تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الخامس
[سورة التوبة، الآية: ٤٩]- [سورة النحل، الآية: ٧٩]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)} [التوبة : ٤٩]

التفسير:

ومِن هؤلاء المنافقين من يطلب الإذن للقعود عن الجهاد ويقول: لا توقعْني في الابتلاء بما يعرض لي في حالة الخروج من فتنة النساء. لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى. فإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفْلِت منهم أحد.

سبب النزول:

عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ، للجد بن قيس أخي بني سلمة : هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ، أوْ تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منِّي ، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ، ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية : {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني}، الآية ، أي : إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم"[١].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} [التوبة : ٤٩]، أي:" ومن هؤلاء المنافقين من يقول لك يا محمد ائذن لي في القعود ولا تفتني بسبب الأمر بالخروج"[٢].

وفي قوله تعالى:{ وَلَا تَفْتِنِّي} [التوبة : ٤٩]، وجهان:

أحدهما : لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة ، قاله الحسن[٣]، وقتادة[٤].

الثاني : أنها نزلت في الجد بن قيس قال : ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر فإني مشتهر بالنساء ، قاله مجاهد[٥].

عن مجاهد في قول الله :"{ائذن لي ولا تفتني}، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغزُوا تبوك ، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم ! فقال الجدّ : ائذن لنا ، ولا تفتنَّا بالنساء"[٦].

قوله تعالى:{أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} [التوبة : ٤٩]، أي:" لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى"[٧].

قال قتادة:" ألا في الإثم سقطوا "[٨].

قال ابن كيسان: "يريد أن اعتلالهم بالباطل هو الفتنة لأنها الشرك والكفر"[٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة : ٤٩]، أي:" فإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفْلِت منهم أحد"[١٠].

قال يمان: "هي محدقة بمن كفر بالله جامعة لهم"[١١].

عن ابن عباس: "{وإن جهنم لمحيطة بالكافرين}، قال: "البحر"- وروي عن عكرمة: نحو ذلك"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري(١٦٧٨٨):ص٢٨٧/١٤.

(٢) صفوة التفاسير:٥٠٣/١.

(٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٠/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٩١):ص٢٨٨/١٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٨٥):ص٢٨٦/١٤-٢٨٧.

(٦) أخرجه الطبري(١٦٧٨٥):ص٢٨٦/١٤-٢٨٧.

(٧) التفسير الميسر:١٩٥.

(٨) أخرجه الطبري(١٦٧٩١):ص٢٨٨/١٤.

(٩) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٠٢/٢، و"البسيط": ٤٧٩/١٠.

(١٠) التفسير الميسر:١٩٥.

(١١) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٠٢/٢، و"البسيط": ٤٧٩/١٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٥):ص١٨١٠/٦.

القرآن

{إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)} [التوبة : ٥٠]

التفسير:

إن يصبك -أيها النبي- سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن محمد، وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء.

قوله تعالى:{إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} [التوبة : ٥٠]، أي:" إن يصبك -أيها النبي- سرور وغنيمة يحزن المنافقون"[١٣].

عن قتادة قوله: "{إن تصبك حسنة تسؤهم}، إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءَهم"[١٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ} [التوبة : ٥٠]، أي:" وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن"[١٥].

عن مجاهد : "{قد أخذنا أمرنا من قبل}، حِذْرنا"[١٦].

قوله تعالى:{وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} [التوبة : ٥٠]، أي:" وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء"[١٧].

عن محمد بن إسحاق: "{يتولوا}، قال: على كفر"[١٨].

القرآن

{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)} [التوبة : ٥١]

التفسير:

قل -أيها النبي- لهؤلاء المتخاذلين زجرًا لهم وتوبيخًا: لن يصيبنا إلا ما قدَّره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ، هو ناصرنا على أعدائنا، وعلى الله، وحده فليعتمد المؤمنون به.

قوله تعالى:{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة : ٥١]، أي:" قل -أيها النبي- لهؤلاء المتخاذلين زجرًا لهم وتوبيخًا: لن يصيبنا إلا ما قدَّره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ"[١٩].

قال مجاهد:" يقول الله لنبيه- صلى الله عليه وسلم-: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"[٢٠].

عن الحسن ما هو معناه:" إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه يصيبنا من خير أو شر، لا أن ذلك بأفعالنا فنذمّ أو نحمد"[٢١].

عن مسلم بن يسار، قال: "الكلام في القدر واديان عريضان، يهلك الناس، لا يدرك غورهما فاعمل عمل رجل يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له"[٢٢].

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة : ٥١]، أي:" وعلى الله، وحده فليعتمد المؤمنون به"[٢٣].

قال ابن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٢٤].

---

(١٣) التفسير الميسر:١٩٥.
(١٤) أخرجه الطبري(١٦٧٩٥):ص٢٩٠/١٤.
(١٥) التفسير الميسر:١٩٥.
(١٦) أخرجه الطبري(١٦٧٩٣):ص٢٩٠/١٤.
(١٧) التفسير الميسر:١٩٥.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣١٣):ص١٨١١/٦.
(١٩) التفسير الميسر:١٩٥.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣١٤):ص١٨١١/٦.
(٢١) انظر: النكت والعيون:٣٧١/٢.
(٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣١٥):ص١٨١١/٦-١٨١٢.
(٢٣) التفسير الميسر:١٩٥.
(٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

القرآن

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢)} [التوبة : ٥٢]

التفسير:

قل لهم -أيها النبي-: هل تنتظرون بنا إلا شهادة أو ظفرًا بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة مِن عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم.

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} [التوبة : ٥٢]، أي:" قل لهم -أيها النبي-: هل تنتظرون بنا إلا شهادة أو ظفرًا بكم؟"[٢٥].

عن مجاهد قوله : "{إلا إحدى الحسنيين}، قال : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعدائه"[٢٦].

عن قتادة قوله : "{هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين}، إلا فتحًا أو قتلا في سبيل الله"[٢٧].

قوله تعالى:{وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا} [التوبة : ٥٢]، أي:" ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة مِن عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم"[٢٨].

عن قتادة: "{ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا}، أي : قتل"[٢٩].

قوله تعالى:{فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} [التوبة : ٥٢]، أي:" فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم"[٣٠].

قال الحسن: "فتربصوا مواعيد الشيطان، إنا معكم متربصون مواعبد الله، من إظهاره دينه واستئصال من خالفه، وكان الشيطان يمني لهم بموت النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٣١].

القرآن

{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)} [التوبة : ٥٣]

التفسير:

قل -أيها النبي- للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم; لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.

سبب النزول:

قال ابن عباس : "قال: الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالي! قال : ففيه نزلت:{أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم}، قال : لقوله:«أعينك بمالي»" [٣٢].

قوله تعالى:{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ} [التوبة : ٥٣]، أي:" قل -أيها النبي- للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم"[٣٣].

قال السدي:" أما {طوعا}: فمن قبل أنفسهم، وأما {كرها}: فمن الفرق من محمد- صلى الله عليه وسلم"[٣٤].

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة : ٥٣]، أي:" لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته"[٣٥].

قال الضحاك:" هذا في الزكاة أمر الله أن يأخذها من أمته طائعين أو كارهين، فأخذت منهم قال المنافقون: {أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين}"[٣٦].

---

(٢٥) التفسير الميسر:١٩٥.
(٢٦) أخرجه الطبري(١٦٧٩٨):ص٢٩٢/١٤.
(٢٧) أخرجه الطبري(١٦٨٠٢):ص٢٩٢/١٤-٢٩٣.
(٢٨) التفسير الميسر:١٩٥.
(٢٩) أخرجه الطبري(١٦٨٠٢):ص٢٩٢/١٤-٢٩٣.
(٣٠) التفسير الميسر:١٩٥.
(٣١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٣/٥، والواحدي في "البسيط": ٤٨٦/١٠، والبغوي في "التفسير": ٥٨/٤.
(٣٢) أخرجه الطبري(١٦٨٠٣):ص٢٩٤/١٤.
(٣٣) التفسير الميسر:١٩٥.
(٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢١):ص١٨١٢/٦.
(٣٥) التفسير الميسر:١٩٥.

القرآن

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)} [التوبة : ٥٤]

التفسير:

وسبب عدم قَبول نفقاتهم أنهم أضمروا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يأتون الصلاة إلا وهم متثاقلون، ولا ينفقون الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا يخشون على تركها عقابًا بسبب كفرهم.

قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} [التوبة : ٥٤]، أي:" وسبب عدم قَبول نفقاتهم أنهم أضمروا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٣٧].

قال الضحاك:" {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ}، يعني: صدقاتهم، {إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ}"[٣٨].

القرآن

{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)} [التوبة : ٥٥]

التفسير:

فلا تعجبك -أيها النبي- أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها، حيث لا يحتسبون ذلك عند الله، وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله.

قوله تعالى:{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [التوبة : ٥٥]، أي:" فلا تعجبك -أيها النبي- أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها حيث لا يحتسبون ذلك عند الله"[٣٩].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [التوبة : ٥٥]، أي:" إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها حيث لا يحتسبون ذلك عند الله"[٤٠].

وفي قوله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [التوبة : ٥٥]، وجهان:

أحدهما : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، قاله قتادة[٤١]، ويكون فيه تقديم وتأخير.

قال قتادة:" هذه من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة"[٤٢].

الثاني : إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم ، يعني المنافقين . وهذا قول الحسن[٤٣].

والصواب هو قول الحسن،لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرْفُ تأويله إلى ما دلَّ عليه ظاهره ، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالة على صحته. وإنما وجَّه من وجَّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا ، وجهًا يوجِّهه إليه ، وقال : كيف يعذِّبهم بذلك في الدنيا ، وهي لهم فيها سرور ؟ وذهبَ عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامُه ما أوجب الله

---

(٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٢):ص١٨١٢/٦-١٨١٣.

(٣٧) التفسير الميسر:١٩٥.

(٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٣):ص١٨١٣/٦.

(٣٩) التفسير الميسر:١٩٦.

(٤٠) التفسير الميسر:١٩٦.

(٤١) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٠٤):ص٢٩٦-٢٩٧.

(٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٠٤):ص٢٩٦-٢٩٧.

(٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٠٦):ص٢٩٦/١٤.

عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيِّب النفس ، ولا راجٍ من الله جزاءً ، ولا من الآخذ منه حمدًا ولا شكرًا ، على ضجرٍ منه وكُرْهٍ"[٤٤].

قوله تعالى:{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٥٥]، أي:" وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله"[٤٥].

عن السدي :{وتزهق أنفسهم وهم كافرون}، قال: تزهق أنفسهم في الحياة الدنيا وهم كافرون قال: هذه آية فيها تقديم وتأخير"[٤٦].

عن الضحاك قوله: "{وتزهق أنفسهم}، قال: في الدنيا وهم كافرون قال: تزهق أنفسهم: تخرج"[٤٧].

القرآن

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)} [التوبة : ٥٦]

التفسير:

ويحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون كذبًا وباطلا إنهم لمنكم، وليسوا منكم، ولكنهم قوم يخافون فيحلفون تَقِيَّة لكم.

قال الضحاك:" إنما يحلفون بالله تقية"[٤٨].

القرآن

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)} [التوبة : ٥٧]

التفسير:

لو يجد هؤلاء المنافقون مأمنًا وحصنًا يحفظهم، أو كهفًا في جبل يؤويهم، أو نفقًا في الأرض ينجيهم منكم، لانصرفوا إليه وهم يسرعون.

قوله تعالى:{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا} [التوبة : ٥٧]، أي:" لو يجد هؤلاء المنافقون مأمنًا وحصنًا يحفظهم، أو كهفًا في جبل يؤويهم، أو نفقًا في الأرض ينجيهم منكم"[٤٩].

عن قتادة: "{لو يجدون ملجأ}، حصونا، {أو مغارات}: غيرانا، {أو مدخلا}: أسرابا"[٥٠].

عن مجاهد: "{لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا}، قال: حرزا لهم يفرون إليه منكم"[٥١].

عن ابن شوذب:" {لو يجدون ملجأ أو مغارات}، قال: تذهبون على وجوهكم في الأرض"[٥٢].

وعن السدي:"{مَلْجَأً}: المهرب"[٥٣].

قوله تعالى:{لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ} [التوبة : ٥٧]، أي:" لانصرفوا إليه وهم يسرعون"[٥٤].

عن مجاهد :"{لولوا إليه}، قال: لفروا إليه منكم"[٥٥].

عن السدي قوله: "{وهم يجمحون}، أما {يجمحون}: فيسرعون"[٥٦].

القرآن

---

(٤٤) تفسير الطبري:١٤/٢٩٦-٢٩٧.

(٤٥) التفسير الميسر:١٩٦.

(٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٨):ص١٨١٤/٦.

(٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٩):ص١٨١٤/٦.

(٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٩):ص١٨١٤/٦.

(٤٩) التفسير الميسر:١٩٦.

(٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٨١٢):ص٣٠٠/١٤.

(٥١) انظر: تفسير الطبري(١٦٨١٠):ص٢٩٩/١٤-٣٠٠.

(٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٣٥):ص١٨١٤/٦.

(٥٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٢/٢.

(٥٤) التفسير الميسر:١٩٦.

(٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٣٨):ص١٨١٥/٦.

(٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٣٩):ص١٨١٥/٦.

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)} [التوبة : ٥٨]

التفسير:

ومن المنافقين مَن يعيبك في قسمة الصدقات، فإن نالهم نصيب منها رضوا وسكتوا، وإن لم يصبهم حظ منها سخطوا عليك وعابوك.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال : " بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم قسما إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى، فقال: اعدل يا رسول الله، قال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى نضيه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شىء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود فى إحدى يديه أو قال إحدى ثدييه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس. فنزلت فيهم {ومنهم من يلمزك فى الصدقات} الآية. قال أبو سعيد: أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معهم جىء بالرجل على النعت الذى نعته رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"[٥٧].

الثاني: ونقل الواحدي عن الكلبي، قال: "نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون، قال رجل منهم يقال له أبو الجواظ للنبي - صلى الله عليه وسلم - لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات}"[٥٨].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة : ٥٨]، أي:" ومن المنافقين مَن يعيبك في قسمة الصدقات"[٥٩].

وفي معنى {يَلْمِزُكَ} [التوبة : ٥٨]، وجوه :

أحدها : يروزك ويسألك ، قاله مجاهد[٦٠].

الثاني: يعيبك، وهذا قول الحسن[٦١]، ومنه قول زياد الأعجم[٦٢]:

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً ... وَإِنْ أُغَيَّبْ ، فَأَنْتَ العَائِبُ اللُّمَزَهْ

ومنه قول رؤبة[٦٣] :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلِي وَلَمْزِي

الثالث: معناه: يطعن عليك في الصدقات. وهذا قول قتادة[٦٤]، وعطاء"[٦٥].

---

(٥٧)أخرجه عبد الرزاق (١٤٦/١٠) ، وابن أبى شيبة (٥٦٢/٧، رقم ٣٧٩٣٢)، والطبري(١٦٨١٧):ص٣٠٢/١٤-٣٠٣، وانظر: [كنز العمال ٣١٥٨٩].

(٥٨) اسباب النزول:٢٤٩. والكلبي ضعيف، وما ذكره مر في الحديث السابق.

(٥٩) التفسير الميسر:١٩٦.

(٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٨١٤):ص٣٠٢/١٤.

(٦١) حكاه عنه الجصاص في احكام القرآن:٣٢٢/٤.

(٦٢)زيادة الأعجم: هو زياد بن سليمان الأعجم ويكنى أبا امامة له ترجمة فى المؤتلف ١٣١ والأغانى ١٤/ ٩٨. - والبيت فى الطبري ١٠/ ٩٥ والسجاوندى ١/ ٢٠١ وشواهد الكشاف ١٥٢.

(٦٣)ديوانه : ٦٤ ، من رجزه في أبان بن الوليد البجلي ، ثم ذكر فيها نفسه ، فقال : فَإن ترَيْنِي اليَوْمَ أُمَّ حَمْزِ ... قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وجَمْزِي
مِنْ بَعْدِ تَقْمَاص الشَّبَابِ الأبْزِ ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ باطِلِي وَلَمْزِي
فَكُلُّ بَدْءٍ صَالِحٍ أوْ نِقْزِ ... لاقٍ حِمَامَ الأجَلِ المُجْتَزِّ
" أم حمز " ، يعني " أم حمزة " . و " العنق " ضرب من العدو ، و " الجمز " فوق العنق ، ودون الحضر ، وهو العدو الشديد. يعني ما تقارب من جريه لما كبر ، " تقماص الشباب " ، من " القمص " ، " قمص الفرس " ، إذا نفر واستن ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا ، ويعجن برجليه. و " التقماص " مصدر لم تذكره كتب اللغة. و " الأبز " : الشديد الوثب ، المتطلق في عدوه ، يقال : " ظبي أبوز ، وأباز " ، ولم يذكروا في الصفات " الأبز " ، وهو هنا صفة بالمصدر. و " البدء " : السيد الشاب المقدم المستجاد الرأي. و " النقز " (بكسرالنون) : الخسيس الرذال من الناس.

(٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٨١٥):ص٣٠٢/١٤.

قال عطاء:"وأما {يلمزك في الصدقات}، فالمز: الطعن عليه في الصدقات"[٦٦].
قوله تعالى:{فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا} [التوبة : ٥٨]، أي:" فإن نالهم نصيب منها رضوا وسكتوا"[٦٧].
قال الضحاك:" كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقسم بينهم ما آتاه الله من مال؟ قليل أو كثير، فأما المؤمنون: فكانوا يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه، وأما المنافقون: فإن أعطوا كثيرا فرحوا"[٦٨].

القرآن
{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)} [التوبة : ٦٠]
التفسير:
إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة، هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدَّرها. والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.
قوله تعالى:{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} [التوبة : ٦٠]، أي:" إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم"[٦٩].
اختلف في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} [التوبة : ٦٠]، على ستة اقوال:
أحدها : أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة . والمسكين : المحتاج السائل ، قاله الحسن[٧٠]، ومجاهد[٧١]، والزهري[٧٢].
الثاني : أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم منهم ، قاله قتادة[٧٣].
الثالث : أن الفقراء هم المهاجرون، والمساكين: غير المهاجرين، قاله الضحاك بن مزاحم[٧٤]، وإبراهيم[٧٥].
وروي عن سعيد بن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قالا :" كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار ، والزوجة ، والعبد ، والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهمًا في الزكاة"[٧٦].
الرابع : أن الفقير من المسلمين ، والمسكين : من أهل الكتاب ، قاله عكرمة[٧٧].
الخامس : أن الفقير الذي له ما لا يكفيه ، والمسكين : الذي ليس له شيء يسكن إليه قاله أبو حنيفة[٧٨].
وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : «الفقير»: هو ذو الفقر أو الحاجة ، ومع حاجته يتعفّف عن مسألة الناس والتذلل لهم ، في هذا الموضع، و «المسكين»: هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، وإن كان الفريقان لم يُعْطيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسألة ، لإجماع الجميع من أهل العلم أن " المسكين " ، إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى " المسكنة " ، عند

---

(٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٤١):ص١٨١٦/٦.
(٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٤١):ص١٨١٦/٦.
(٦٧) التفسير الميسر:١٩٦.
(٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٤٣):ص١٨١٦/٦.
(٦٩) التفسير الميسر:١٩٦.
(٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٨١٨):ص٣٠٥/١٤.
(٧١) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٢٢):ص٣٠٦/١٤.
(٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٢١):ص٣٠٦/١٤.
(٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٢٥):ص٣٠٦/١٤.
(٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٢٧):ص٣٠٧/١٤.
(٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٢٨):ص٣٠٧/١٤.
(٧٦) أخرجه الطبري(١٦٨٣١):ص٣٠٧/١٤.
(٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٣٥):ص٣٠٧/١٤.
(٧٨) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٢.

العرب ، الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه : {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ}، [سورة البقرة : ٦١] ، يعني بذلك : الهون والذلة ، لا الفقر. فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنَّف من قسم له من الصدقة المفروضة قسمًا بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلومًا أن كل صنف منهم غير الآخر. وإذ كان ذلك كذلك ، كان لا شك أن المقسوم له باسم " الفقير " ، غير المقسوم له باسم الفقر و " المسكنة " ، والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذي لا مسكنة فيه. والمعطى باسم المسكنة والفقر ، هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهي الذلّ بالطلب والمسألة. فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء : المتعفِّف منهم الذي لا يسأل ، والمتذلل منهم الذي يسأل"[٧٩].

وروي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس المسكين بالذي تردّه اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، إنما المسكين المتعفف! اقرءوا إن شئتم : {لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [سورة البقرة : ٢٧٣]"[٨٠].

فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم :«إنما المسكين المتعفف» على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر «مساكين»، لا على تفصيل المسكين من الفقير، ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم بقول الله : «اقرءوا إن شئم» : {لا يسألون الناس إلحافًا}» ، وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال : {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [سورة البقرة : ٢٧٣]"[٨١].

قوله تعالى:{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} [التوبة : ٦٠]، أي:" وللسعاة الذين يجمعونها"[٨٢].

عن معقل بن عبيد الله قال : "سألت الزهري : عن {العاملين عليها}، فقال : السعاة"[٨٣].

عن قتادة : "{والعاملين عليها}، قال : جُباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها"[٨٤].

عن عطاء بن زهير العامري ، عن أبيه : "أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة : أيُّ مالٍ هي ؟ فقال : مالُ العُرْجان والعُوران والعميان ، وكل مُنْقَطَع به. فقال له : إن للعاملين حقًّا والمجاهدين! قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم ، والعاملين عليها على قدر عُمالتهم. ثم قال : لا تحل الصدقة لغنيّ ، ولا لذي مِرَّة سويّ"[٨٥].

قوله تعالى:{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ٦٠]، أي:" وللذين تؤلّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين"[٨٦].

عن الحسن : "{والمؤلفة قلوبهم}، الذين يُؤَلَّفون على الإسلام"[٨٧].

عن قتادة : "وأما {المؤلفة قلوبهم }، فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا"[٨٨].

عن معقل بن عبيد الله، قال : "سألت الزهري عن قوله : {والمؤلفة قلوبهم}، فقال : من أسلم من يهوديّ أو نصراني. قلت : وإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنيًّا"[٨٩].

عن يحيى بن أبي كثير : "أن المؤلفة قلوبهم من بني أمية : أبو سفيان بن حرب ومن بني مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني جُمَح : صفوان بن أمية ومن بني عامر بن لؤي : سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ومن بني أسد بن عبد العزى : حكيم بن حزام ومن بني هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن بني فزارة : عيينة بن حصن بن بدر ومن بني تميم : الأقرع بن حابس ومن بني نصر : مالك بن عوف ومن بني سليم : العباس بن مرداس ومن ثقيف : العلاء بن حارثة

---

(٧٩) تفسير الطبري:١٤/٣٠٨-٣٠٩.
(٨٠) أخرجه الطبري(١٦٨٣٦):ص١٤/٣٠٩.
(٨١) تفسير الطبري:١٤/٣٠٩-٣١٠.
(٨٢) التفسير الميسر:١٩٦.
(٨٣) أخرجه الطبري(١٦٨٣٧):ص١٤/٣١٠.
(٨٤) أخرجه الطبري(١٦٨٣٨):ص١٤/٣١٠.
(٨٥) أخرجه الطبري(١٦٨٤٢):ص١٤/٣١١.
(٨٦) التفسير الميسر:١٩٦.
(٨٧) أخرجه الطبري(١٦٨٤٩):ص١٤/٣١٤.
(٨٨) أخرجه الطبري(١٦٨٥٠):ص١٤/٣١٤.
(٨٩) أخرجه الطبري(١٦٨٥١):ص١٤/٣١٤.

أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى ، فإنه أعطى كلَّ رجل منهم خمسين"[٩٠].

عن الزهري قال: "قال صفوان بن أمية : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما بَرح يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليّ"[٩١].

عن مجاهد، قال : "ناس كان يتألفهم بالعطية ، عيينة بن بدر ومن كان معه"[٩٢].

وفي تألفهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالسهم المسمى لهم من الصدقات قولان[٩٣]:

أحدهما : يعطونه ويتألفون به، قاله أبو جعفر[٩٤].

الثاني : يمنعون منه ولا يعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم ، قاله الحسن[٩٥]، وعامر[٩٦].

وروي عن حبان بن أبي جبلة قال : "قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : وأتاه عيينة بن حصن : {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [سورة الكهف : ٢٩] ، أي : ليس اليوم مؤلفة"[٩٧].

والصواب من القول في ذلك: أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما : سدُّ خَلَّة المسلمين ، والآخر : معونة الإسلام وتقويته. فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يُعطاه الغني والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونةً للدين. وذلك كما يعطى الذي يُعطاه بالجهاد في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيًّا كان أو فقيرًا ، للغزو ، لا لسدّ خلته. وكذلك المؤلفة قلوبهم ، يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء ، استصلاحًا بإعطائهموه أمرَ الإسلام وطلبَ تقويته وتأييده. وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام وعز أهله. فلا حجة لمحتجّ بأن يقول : " لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم " ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت"[٩٨].

قوله تعالى:{وَفِي الرِّقَابِ} [التوبة : ٦٠]، أي:" وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين"[٩٩].

قال سعيد بن جبير:" يعني: فكاك الرقاب"[١٠٠].

وفي قوله تعالى:{وَفِي الرِّقَابِ} [التوبة : ٦٠]، قولان:

أحدهما : أنهم المكاتبون ، قاله الحسن[١٠١]، والزهري[١٠٢].

الثاني : أنهم عبيد يُشترون بهذا السهم. قاله مالك[١٠٣].

والصواب من القول في ذلك، قولُ من قال : " عنى بالرقاب ، في هذا الموضع ، المكاتبون " ، لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقًّا واجبًا على من أوجبها عليه في ماله ، يخرجها منه ، لا يرجع إليه منها نفعٌ من عرض الدنيا ، ولا عِوَض. والمعتق رقبةً منها ، راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك نفع يعود إليه منها"[١٠٤].

---

(٩٠) أخرجه الطبري(١٦٨٤٦):ص٣١٣/١٤.
(٩١) أخرجه الطبري(١٦٨٤٧):ص٣١٣/١٤-٣١٤.
(٩٢) أخرجه الطبري(١٦٨٤٨):ص٣١٤/١٤.
(٩٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٦/٢.
(٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٥٨)، (١٦٨٥٩):ص٣١٥/١٤-٣١٦.
(٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٥٣):ص٣١٥/١٤.
(٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٥٤):ص٣١٥/١٤.
(٩٧) أخرجه الطبري(١٦٨٥٥):ص٣١٥/١٤.
(٩٨) تفسير الطبري:٣١٦/١٤.
(٩٩) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٨):ص٢٩٠/١.
(١٠١) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٦٣):ص٣١٧/١٤.
(١٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٦١):ص٣١٧/١٤.
(١٠٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٦/٢.
(١٠٤) تفسير الطبري:٣١٧/١٤.

عن ابن شهاب، "أن عمر بن عبد العزيز أمره فكتب السنة في مواضع الصدقة فكتب: وسهم الرقاب نصفان نصف لكل مكاتب يدعي الإسلام وهم على أصناف شتى في الإسلام فضيلة ولمن سواهم منزلة أخرى، على قدر ما أدى كل رجل منهم وما بقي عليه إن شاء الله"[١٠٥].

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ثلاثة حق على الله عونُهم : الغازي في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف"[١٠٦].

عن البراء بن عازب قال : "جاء رجل فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار. فقال : "أعتق النسَمة وفك الرقبة". فقال : يا رسول الله ، أو ليسا واحدا ؟ قال : "لا عتق النسمة أن تُفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها"[١٠٧].

قوله تعالى:{وَالْغَارِمِينَ} [التوبة : ٦٠]، أي:" وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا"[١٠٨].

عن مجاهد في قوله: "{والغارمين}، قال: من أحرق بيته وذهب السيل بماله، وأدان على عياله"[١٠٩].

وقال مجاهد ايضا:"هم قوم ركبتهم الديون في غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم في هذه الآية سهمًا"[١١٠].

عن أبي جعفر:"{والغارمين}، قال: المستدينين في غير فساد"[١١١].

عن القاسم بن مخيمرة، "أنه قدم على عمر بن عبد العزيز فسأله قضاء دينه، فقال: وكم دينك؟ قال: تسعون دينارا، قال: قد قضيناه عنك أنت من الغارمين"[١١٢].

عن الأوزاعي: "أن عمر بن عبد العزيز فرض للقاسم بن مخيمرة في ستين وقضى عنه تسعين دينارا، وقال له: أنت من الغارمين، وأمر له بخادم ومسكن"[١١٣].

قوله تعالى:{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٦٠]، أي:" وللغزاة في سبيل الله"[١١٤].

عن قتادة :"{وفي سبيل الله}، قال: يحمل من الصدقة من ليس له حملان، وقال قتادة ويحمل الرجل في سبيل الله من الصدقة ويعطي إذا صار لا شيء له ثم يكون سهم له بعد مع المسلمين"[١١٥].

عن أبي معقل، "أنه جاء إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: إن أم معقل جعلت عليها حجة معك وعندي جمل جعلته حبيسا في سبيل الله فأعطيها إياه فتركبه؟ قال: نعم"[١١٦].

عن عطاء بن يسار قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : رجل عمل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدَّق عليه فأهداها له"[١١٧].

قوله تعالى:{وَابْنِ السَّبِيلِ} [التوبة : ٦٠]، أي:" وللمسافر الذي انقطعت به النفقة"[١١٨].

وفي {وَابْنِ السَّبِيلِ} [التوبة : ٦٠]، قولان:

أحدهما : هو المسافر لا يجد نفقة سفره ، يعطى منها وإن كان غنياً في بلده ، وهو قول جمهور التابعين[١١٩].

---

(١٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٥):ص١٨٢٤/٦.

(١٠٦)المسند (٢٥١/٢) وسنن الترمذي برقم (١٦٥٥) وسنن النسائي (٦١/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥١٨) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن".

(١٠٧)المسند (٢٩٩/٤).

(١٠٨) التفسير الميسر:١٩٦.

(١٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٦):ص١٨٢٤/٦.

(١١٠) أخرجه الطبري(١٦٨٧٥):ص٣١٩/١٤.

(١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٧):ص١٨٢٤/٦.

(١١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٩):ص١٨٢٤/٦.

(١١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٠):ص١٨٢٤/٦.

(١١٤) التفسير الميسر:١٩٦.

(١١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٢):ص١٨٢٥/٦.

(١١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٤):ص١٨٢٥/٦.

(١١٧) أخرجه الطبري(١٦٨٧٧):ص٣١٩/١٤.

(١١٨) التفسير الميسر:١٩٦.

(١١٩) انظر: النكت والعيون:٣٧٦/٢.

قال مجاهد: "لابن السبيل حق من الزكاة وإن كان غنيًّا ، إذا كان مُنْقَطَعًا به"[١٢٠].
عن الضحاك ، "أنه قال : في الغني إذا سافر فاحتاج في سفره. قال : يأخذ من الزكاة"[١٢١].
قال أبو جعفر:"المجتاز من الأرض إلى الأرض"[١٢٢]. وروي عن الحسن: نحوه[١٢٣].
عن معقل بن عبيد الله، قال : "سألت الزهري عن «ابن السبيل»، قال : يأتي عليَّ ابن السبيل ، وهو محتاج. قلت : فإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنيًا"[١٢٤].
الثاني : أنه الضيف، قاله قتادة[١٢٥].
عن قتادة : "{وابن السبيل}، الضيف ، جعل له فيها حق"[١٢٦].
قوله تعالى:{فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ} [التوبة : ٦٠]، أي:" هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدَّرها"[١٢٧].
عن قتادة، قوله: "{فريضة من الله والله عليم حكيم}: ثمانية أسهم فرضهن الله وأعلمهن"[١٢٨].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٦٠]، أي:" والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه"[١٢٩].

واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حق ، أو ذلك إلى رب المال ؟ ومن يتولى قسمها ، في أن له أن يعطي جميعَ ذلك من شاء من الأصناف الثمانية، وفي ذلك قولان:
أحدهما: أنه للمتولي قسمُها ووضعُها في أيِّ الأصناف الثمانية شاء. وإنما سمَّى الله الأصناف الثمانية في الآية ، إعلامًا منه خلقَه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ، لا إيجابًا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم. وهذا قول سعيد بن جبير[١٣٠]، عطاء[١٣١]،وأبي العالية[١٣٢]، وإبراهيم[١٣٣]، وميمون بن مهران[١٣٤]، وهذا القول حكاه الطبري عن عامة أهل العلم[١٣٥].
الثاني: أنه إذا تولى رب المال قَسْمها كان عليه وضعها في ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأنّ سهم العاملين يبطل بقسمه إياها، وأنه لا يجزيه أن يعطي من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس، وإن تولى قَسْمها الإمامُ، كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يجزي عنده غير ذلك. وهذا القول حكاه الطبري عن بعض المتأخرين[١٣٦].

القرآن
{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)} [التوبة : ٦١]
التفسير:

---

(١٢٠) أخرجه الطبري(١٦٨٨٠):ص٣٢٠/١٤-٣٢١.
(١٢١) أخرجه الطبري(١٦٨٨٤):ص٣٢١/١٤.
(١٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٦):ص١٨٢٥/٦.
(١٢٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٢٥/٦. حكاه دون ذكر السند
(١٢٤) أخرجه الطبري(١٦٨٨١):ص٣٢١/١٤.
(١٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٨٢):ص٣٢١/١٤.
(١٢٦) أخرجه الطبري(١٦٨٨٢):ص٣٢١/١٤.
(١٢٧) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٨):ص١٨٢٥/٦.
(١٢٩) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٣٠)انظر: تفسير الطبري(١٦٨٩٠):ص٣٢٢/١٤.
(١٣١) انظر: تفسير الطبري(١٦٨٨٩):ص٣٢٢/١٤.
(١٣٢)انظر: تفسير الطبري(١٦٨٩٥):ص٣٢٣/١٤.
(١٣٣)انظر: تفسير الطبري(١٦٨٩٢):ص٣٢٣/١٤.
(١٣٤)انظر: تفسير الطبري(١٦٨٩٨):ص٣٢٣/١٤.
(١٣٥) انظر: تفسير الطبري:٣٢٢/١٤.
(١٣٦) انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٤-٣٢٤.

ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه، قل لهم -أيها النبي-: إن محمدًا هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه، وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم موجع.

سبب النزول:

عن ابن إسحاق قال:" ذكر الله غشَّهم، يعني : المنافقين وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : {ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن}، الآية. وكان الذي يقول تلك المقالة ، فيما بلغني ، نبتل بن الحارث ، أخو بني عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه قال : «إنما محمد أذُنٌ! من حدّثه شيئًا صدّقه!» ، يقول الله : {قل أذن خير لكم}، أي : يسمع الخير ويصدِّق به"[١٣٧].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} [التوبة : ٦١]، أي:" ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام"[١٣٨].

قال السدي:" اجتمع ناس من المنافقين فيهم: جلاس بن سويد بن صامت ومخشي بن حمير ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي- صلى الله عليه وسلم- فنهى بعضهم بعضا وقالوا: إنا نخاف أن يبلغ محمدا فيقع بكم، فقال بعضهم: إنما محمد أذن نحلف له فيصدقنا، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا: «لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير» ، فسمعها الغلام فغضب وقال: والله إن محمدا لصادق، وإنكم لشر من الحمير ثم ذهب فبلغها النبي- صلى الله عليه وسلم- فدعاهم، فحلفوا بالله إن عامرا لكاذب، وحلف عامر إنهم لكذبة فصدقهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال عامر: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب، وقد كان مخشي بن حمير قال في ذلك المجلس: ويحكم يا معشر المنافقين، والله إني لأرى أنا شر خلق الله وخليقته، والله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة، وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا فعند ذلك قالوا: والله إن كان محمد صادقا وقالوا: هو أذن. قل أذن خير لكم"[١٣٩].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} [التوبة : ٦١]، أي:" ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه"[١٤٠].

قال قتادة:" كانوا يقولون : " إنما محمد أذن ، لا يحدَّث عنا شيئًا ، إلا هو أذن يسمع ما يقال له"[١٤١].

عن مجاهد : "{ويقولون هو أذن}، نقول ما شئنا ، ونحلف ، فيصدقنا"[١٤٢]. وفي لفظ:" سنقول له: ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا"[١٤٣].

قوله تعالى:{قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} [التوبة : ٦١]، أي:" قل لهم -أيها النبي-: إن محمدًا هو أذن تستمع لكل خير، يصدِّق بالله وحده لا شريك له"[١٤٤].

قال السدي:" يؤمن إذا حلف له بالله"[١٤٥].

قال ابن عباس:" يعني : يؤمن بالله"[١٤٦]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[١٤٧].

قوله تعالى:{وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ٦١]، أي:" ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه"[١٤٨].

عن الضحاك، قوله: "{ويؤمن للمؤمنين}: يصدق الله بما أنزل إليه، {ويؤمن للمؤمنين}: يصدق المؤمنين فيما بينهم في شهاداتهم، وأيمانهم على حقوقهم وفروجهم وأموالهم"[١٤٩].

---

(١٣٧) أخرجه الطبري(١٦٨٩٩):ص٣٢٥/١٤.
(١٣٨) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٠):ص١٨٢٦/٦.
(١٤٠) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٤١) أخرجه الطبري(١٦٩٠١):ص٣٢٦/١٤.
(١٤٢) أخرجه الطبري(١٦٩٠٢):ص٣٢٦/١٤.
(١٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص١٨٢٧/٦.
(١٤٤) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٥):ص١٨٢٧/٦.
(١٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٤):ص١٨٢٧/٦، والطبري(١٦٩٠٥):ص٣٢٧/١٤.
(١٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٤):ص١٨٢٧/٦.
(١٤٨) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٨٢٧/٦.

قال ابن عباس:"ويصدق المؤمنين"[١٥٠]. وروي عن السدي نحو ذلك[١٥١].
قوله تعالى:{وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} [التوبة : ٦١]، أي:" وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه"[١٥٢].
عن الضحاك: "يعني {ورحمة للذين آمنوا منكم}، قال: رحمة لكم"[١٥٣].
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة : ٦١]، أي:" والذين يؤذون رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم موجع"[١٥٤].
قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٥٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٥٦].

القرآن
{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)} [التوبة : ٦٢]
التفسير:
يحلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعذار الملفقة; ليُرضُوا المؤمنين، والله ورسوله أحق وأولى أن يُرضُوهما بالإيمان بهما وطاعتهما، إن كانوا مؤمنين حقًا.
سبب النزول:
عن قتادة قوله :" {يحلفون بالله لكم ليرضوكم} ، الآية ، ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقًا ، لهم شَرٌّ من الحمير! قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر من الحمار ! فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتَعنُ ، ويحلف بالله ما قال ذلك. قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدِّق الصادق ، وكذِّب الكاذب ! فأنزل الله في ذلك : {يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين}"[١٥٧].
قوله تعالى:{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} [التوبة : ٦٢]، أي:" يحلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعذار الملفقة; ليُرضُوا المؤمنين"[١٥٨].
قال السدي:" هذا حين حلفوا"[١٥٩].

القرآن
{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)} [التوبة : ٦٣]
التفسير:
ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يحاربون الله ورسوله نارُ جهنم لهم العذاب الدائم فيها؟ ذلك المصير هو الهوان والذل العظيم، ومن المحاربة أذِيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبه والقدح فيه، عياذًا بالله من ذلك.
قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا} [التوبة : ٦٣]، أي:" ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يحاربون الله ورسوله نارُ جهنم لهم العذاب الدائم فيها؟"[١٦٠].

---

(١٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٦):ص١٨٢٧/٦، والطبري(١٦٩٠٥):ص٣٢٧/١٤.
(١٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٤):ص١٨٢٧/٦.
(١٥٢) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٠):ص١٨٢٧/٦. كذا الترقيم بالمطبوع!
(١٥٤) التفسير الميسر:١٩٦.
(١٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٧) أخرجه الطبري(١٦٩٠٦):ص٣٢٩/١٤-٣٣٠.
(١٥٨) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٨٢٨/٦.
(١٦٠) التفسير الميسر:١٩٧.

عن السدي:{مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }، " يقول: من يشاقق الله ورسوله"[١٦١].

القرآن

{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤)} [التوبة : ٦٤]

التفسير:

يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل لهم -أيها النبي-: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله مخرج حقيقة ما تحذرون.

قوله تعالى:{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} [التوبة : ٦٤]، أي:" يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر"[١٦٢].

عن مجاهد : "{يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة}، قال : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : " عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا! "[١٦٣]. وفي رواية" سِرَّنا هذا"[١٦٤].

قوله تعالى:{قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} [التوبة : ٦٤]، أي:" قل لهم -أيها النبي-: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله مخرج حقيقة ما تحذرون"[١٦٥].

عن قتادة قال : "كانت تسمَّى هذه السورة : «الفَاضِحَة»، فاضحة المنافقين"[١٦٦].

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)} [التوبة : ٦٥]

التفسير:

ولئن سألتهم -أيها النبي- عما قالوا من القَدْح في حقك وحق أصحابك لَيَقولُنَّ: إنما كنا نتحدث بكلام لا قصد لنا به، قل لهم -أيها النبي-: أبالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

سبب النزول:

عن عبد الله بن عمر قال : "قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغبَ بطونًا ، ولا أكذبَ ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس : كذبتَ ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنْكُبه الحجارة ، وهو يقول : " يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب! " ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}"[١٦٧].

عن عبد الحميد بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: "خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في حر شديد، وأمر بالغزو إلى تبوك، قال: ونزل نفر من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- في جانب فقال بعضهم لبعض والله إن أرغبنا بطونا، وأجبنا عند اللقاء وأضعفنا، لقراؤنا، فدعا النبي- صلى الله عليه وسلم- عمارا فقال: اذهب إلى هؤلاء الرهط فقل لهم: ما قلتم؟ {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن}"[١٦٨].

وعن قتادة قوله : "{ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب}، الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا : " يرجو هذا الرجل أن يفتح

---

(١٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٨٢٨/٦.
(١٦٢) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٦٣) أخرجه الطبري(١٦٩٠٧):ص٣٣١/١٤.
(١٦٤) أهخرجه الطبري(١٦٩٠٨):ص٣٣١/١٤-٣٣٢.
(١٦٥) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٦٦) أخرجه الطبري(١٦٩٠٩):ص٣٣٢/١٤.
(١٦٧) أخرجه الطبري(١٦٩١٢):ص٣٣٣/١٤-٣٣٤.
(١٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٦):ص١٨٢٩/٦.

قصور الشأم وحصونها! هيهات هيهات " ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : " احبسوا عليَّ الرَّكْب ! فأتاهم فقال : قلتم كذا ، قلتم كذا. قالوا : " يا نبي الله ، إنما كنا نخوض ونلعب " ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون"[١٦٩].

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة : ٦٥]، أي:" ولئن سألتهم -أيها النبي- عما قالوا من القَدْح في حقك وحق أصحابك لَيَقولُنَّ: إنما كنا نتحدث بكلام لا قصد لنا به"[١٧٠].

عن ابن إسحاق قال : "كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني ، وديعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد ، من بني عمرو بن عوف"[١٧١].

عن مجاهد : "{إنما كنا نخوض ونلعب}، قال : قال رجل من المنافقين : " يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا ، في يوم كذا وكذا! وما يدريه ما الغيب ؟ "[١٧٢].

عن عكرمة في قوله : "{ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب} ، إلى قوله : {بأنهم كانوا مجرمين} ، قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : " اللهم إني أسمع آية أنا أعْنَى بها ، تقشعرُّ منها الجلود ، وتَجِبُ منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك ، لا يقول أحدٌ : أنا غسَّلت ، أنا كفَّنت ، أنا دفنت " ، قال : فأصيب يوم اليمامة ، فما من أحدٌ من المسلمين إلا وُجد غيره"[١٧٣].

قوله تعالى:{قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة : ٦٥]، أي:" قل لهم -أيها النبي-: أبالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟"[١٧٤].

عن زيد بن أسلم : "أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً ، وأجبُننا عند اللقاء ! فقال له عوف : كذبت ، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه قال زيد: قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبُهُ الحجارة، يقول: {إنما كنا نخوض ونلعب}! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن}؟ ما يزيده"[١٧٥].

عن ابي معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا : "قال رجل من المنافقين : ما أرى قُرَّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ! فرُفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نخوض ونلعب ! فقال : {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون}، إلى قوله : {مجرمين}، وإن رجليه لتنسفان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنِسْعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٧٦].

عن عبد الله بن عمر، قال: "رأيت عبد الله بن أبي، قدام النبي- صلى الله عليه وسلم- والأحجار تنكبه فيقول: يا محمد. إنما كنا نخوض ونلعب والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: أبالله وآياته ورسوله، كنتم تستهزؤن"[١٧٧].

عن الحارث بن سويد: "أن رجلا أتى عمر فقال إنى أخاف أن أكون منافقا، قال عمر ما خاف النفاق على نفسه منافق"[١٧٨].

وقال إبراهيم التيمي: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذب""[١٧٩].

وقال ابن أبي مليكة: " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل "[١٨٠].

---

(١٦٩) أخرجه الطبري(١٦٩١٤):ص٣٣٤/١٤.
(١٧٠) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٧١) أخرجه الطبري(١٦٩١٠):ص٣٣٢/١٤.
(١٧٢) اخرجه الطبري(١٦٩١٧):ص٣٣٥/١٤.
(١٧٣) أخرجه الطبري(١٦٩١٣):ص٣٣٤/١٤.
(١٧٤) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٧٥) أخرجه الطبري(١٦٩١١):ص٣٣٣/١٤.
(١٧٦) أخرجه الطبري(١٦٩١٦):ص٣٣٥/١٤.
(١٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠١):ص١٨٣٠/٦.
(١٧٨)كنز العمال (١٦٠٥).
(١٧٩) صحيح البخاري(باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر):ص١٨/١.

ويذكر عن الحسن: " ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق. وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة، لقول الله تعالى: {ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون} [آل عمران: ١٣٥]"[١٨١].

القرآن

{لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)} [التوبة : ٦٦]

التفسير:

لا تعتذروا -معشر المنافقين- فلا جدوى مِن اعتذاركم، قد كفرتم بهذا المقال الذي استهزأتم به، إن نعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، نعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

سبب النزول:

قال ابن إسحاق:" حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب قال: قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن هم أنكروا وكتموا، فقل: بلى، قد قلتم كذا وكذا، فأدركهم فقال لهم: الذي أمر به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فجاءوا لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- يعتذرون، وقال مخشي بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي فأنزل- الله تعالى- فيهم: {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة}، فكان الذي عفا الله عنه: مخشي بن حمير، فتسمى: عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمقتله فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله ولا يرى له أثر ولا عين"[١٨٢].

عن معمر قال: "قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث، يسير مجانبًا لهم، فنزلت : {إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة}، فسُمِّي " طائفةً " وهو واحدٌ"[١٨٣].

قوله تعالى: {إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة : ٦٦]، أي:" إن نعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، نعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة"[١٨٤].

عن محمد بن كعب : "{إن نعف عن طائفة منكم}، قال : {طائفة} ، رجل"[١٨٥].

وقال مجاهد: أقلها واحد"[١٨٦].

وقال عطاء: أقلها اثنان"[١٨٧].

عن ابن إسحاق قال : "كان الذي عُفِي عنه، فيما بلغني مَخْشِيّ بن حُمَيِّر الأشجعي، حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع"[١٨٨].

القرآن

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)} [التوبة : ٦٧]

---

(١٨٠) صحيح البخاري(باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر):ص١٨/١.

قال الحافظ في " الفتح ": هذا التعليق وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه لكن أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولا في كتاب الإيمان له، وعينه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه من وجه آخر مختصرا كما هنا.

(١٨١) صحيح البخاري(باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر):ص١٨/١.

(١٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٢):ص١٨٣١/٦.

(١٨٣) أخرجه الطبري(١٦٩٢٢):ص٣٣٧/١٤.

(١٨٤) التفسير الميسر:١٩٧.

(١٨٥) أخرجه الطبري(١٦٩٢٠):ص٣٣٦/١٤.

(١٨٦)رواه الطبري: ١٨/ ٦٩ ، وعبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٥٠، والبغوي في "تفسيره" ٦/ ٨، وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في "الدر المنثور" ٣/ ٤٥٧.

(١٨٧)رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٥٠، والبغوي في "التفسير": ٦/ ٨.

(١٨٨) أخرجه الطبري(١٦٩١٩):ص٣٣٦/١٤.

التفسير:
المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيمان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير. إن المنافقين هم الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله.

قوله تعالى:{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} [التوبة : ٦٧]، أي:" يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيمان والطاعة"[١٨٩].

عن أبي العالية قال: "كل آية ذكرها الله في القرآن، فذكر المنكر: عبادة الأوثان والشيطان"[١٩٠].

وروي عن أبي العالية: المعروف، قال: "التوحيد"[١٩١].

قوله تعالى:{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} [التوبة : ٦٧]، أي:" ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله"[١٩٢].

وفي قوله تعالى:{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} [التوبة : ٦٧]، وجوه:

أحدها : يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ، قاله الحسن[١٩٣]، ومجاهد[١٩٤].

عن مجاهد في قوله : "{ويقبضون أيديهم}، قال : لا يبسطونها بنفقة في حق"[١٩٥].

الثاني : يقبضونها عن كل خير ، قاله قتادة[١٩٦].

عن قتادة قوله : "{ويقبضون أيديهم}، لا يبسطونها بخير"[١٩٧]. وفي رواية:"يقبضون أيديهم عن كل خير"[١٩٨].

وروي عن السدي، أنه قال: "يقبضونها من الصدقة والخير"[١٩٩].

قوله تعالى:{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة : ٦٧]، أي:" نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير"[٢٠٠].

عن السدي قوله: "{نسوا الله}، قال: تركوا طاعة الله"[٢٠١].

قال قتادة:" نُسُوا من الخير ، ولم ينسوا من الشرّ"[٢٠٢].

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة : ٦٧]، أي:" . إن المنافقين هم الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله"[٢٠٣].

عن مجاهد: {الفاسقون}: العاصون"[٢٠٤].

القرآن

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨)} [التوبة : ٦٨]

التفسير:

---

(١٨٩) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٥):ص١٨٣١/٦.
(١٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٨):ص١٨٣٢/٦.
(١٩٢) التفسير الميسر:١٩٧.
(١٩٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٩/٢.
(١٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٢٣):ص٣٣٨/١٤.
(١٩٥) اخرجه الطبري(١٦٩٢٣):ص٣٣٨/١٤.
(١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٢٧)، و(١٦٩٢٨):ص٣٣٨/١٤.
(١٩٧) اخرجه الطبري(١٦٩٢٧):ص٣٣٨/١٤.
(١٩٨) اخرجه الطبري(١٦٩٢٨):ص٣٣٨/١٤.
(١٩٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٠٥٠٠):ص١٨٣٢/٦.
(٢٠٠) التفسير الميسر:١٩٧.
(٢٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٣٢/٦.
(٢٠٢) أخرجه الطبري(١٦٩٢٩):ص٣٣٩/١٤.
(٢٠٣) التفسير الميسر:١٩٧.
(٢٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٥):ص١٨٣٣/٦.

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبدًا، هي كافيتهم; عقابًا على كفرهم بالله، وطردهم الله مِن رحمته، ولهم عذاب دائم.

قوله تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ} [التوبة : ٦٨]، أي:" وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم"[٢٠٥].

عن الشعبي، قال: "الكذاب: منافق"[٢٠٦].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة : ٦٨]، أي:" ماكثين فيها أبدًا ، لا يحيون فيها ولا يموتون"[٢٠٧].

قال ابن كثير:" أي : ماكثين فيها مخلدين ، هم والكفار "[٢٠٨].

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٢٠٩].

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" [٢١٠].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة : ٦٨]، أي:" ولهم عذاب دائم"[٢١١].

عن أبي مالك قوله: "{عذاب مقيم}، يعني: دائما لا ينقطع"[٢١٢].

القرآن

{كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)} [التوبة : ٦٩]

التفسير:

إن أفعالكم -معشر المنافقين- من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فاطْمَأنوا إلى الحياة الدنيا، وتَمتَّعوا بما فيها من الحظوظ والملذات، فاستمعتم أيها المنافقون بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله كخوض تلك الأمم قبلكم، أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهبت حسناتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون ببيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا.

قوله تعالى:{كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} [التوبة : ٦٩]، أي:" إن أفعالكم -معشر المنافقين- من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم"[٢١٣].

عن قتادة قوله: "{كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا}، الآية، قال: صنيع الكفار"[٢١٤].

قوله تعالى:{فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} [التوبة : ٦٩]، أي:" فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من ملاذ الدنيا"[٢١٥].

عن الحسن: "{فاستمتعوا بخلاقهم}، قال: بدينهم"[٢١٦].

عن السدي: "{فاستمتعوا بخلاقهم}، يقول: بنصيبهم من الدنيا"[٢١٧].

قوله تعالى:{فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ} [التوبة : ٦٩]، أي:" فاستمعتم أيها المنافقون بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية"[٢١٨].

---

(٢٠٥) التفسير الميسر:١٩٧.

(٢٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٧):ص١٨٣٣/٦.

(٢٠٧) تفسير الطبري:٣٣٩/١٤

(٢٠٨) تفسير ابن كثير:١٧٣/٤.

(٢٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٢١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢١١) التفسير الميسر:١٩٧.

(٢١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠١):ص١٨٣٣/٦-١٨٣٤.

(٢١٣) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٣٤/٦.

(٢١٥) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.

(٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٤):ص١٨٣٤/٦.

(٢١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٥):ص١٨٣٤/٦.

قال سعيد بن جبير:" الخلاق: الدين"[٢١٩]. وروي عن مجاهد نحوه[٢٢٠].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [التوبة : ٦٩]، أي:" أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهبت حسناتهم في الدنيا والآخرة"[٢٢١].

عن أبي مالك قوله: "{حبطت أعمالهم}، يقول: بطلت أعمالهم"[٢٢٢].

القرآن

{أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)} [التوبة : ٧٠]

التفسير:

ألم يأت هؤلاء المنافقين خبرُ الذين مضوا مِن قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب (مدين) وقوم لوط عندما جاءهم المرسلون بالوحي وبآيات الله فكذَّبوهم؟ فأنزل الله بهؤلاء جميعًا عذابه; انتقامًا منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [التوبة : ٧٠]، أي:" ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم"[٢٢٣].

عن الضحاك: "قوله مما يعير به المنافقون :"{ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم}، الآية"[٢٢٤].

قوله تعالى:{قَوْمِ نُوحٍ} [التوبة : ٧٠]، أي:" قوم نوح الذين أهلكوا بالطوفان"[٢٢٥].

قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- وما يذكر أهل الكتاب يعني: من أهل التوراة وما حفظ لنا من الأحاديث عن عبد الله بن عباس وعن عبيد بن عمير أن الله- عز وجل- بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي وكثرت فيها الجبابرة وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر حليما صبورا، لم يلق نبي من قومه من البلاء أكثر مما لقي إلا نبي قتل"[٢٢٦].

عن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"[٢٢٧].

قوله تعالى:{وَعَادٍ} [التوبة : ٧٠] ، أي:" وقوم هود «عاد» الذين أهلكوا بالريح"[٢٢٨].

عن السدي، قال: "إن عادا كانوا قوما باليمن بالأحقاف والأحقاف: هي الرمال، فأتاهم فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"[٢٢٩].

قال محمد بن إسحاق: "وكان من حديث عاد فيما بلغني- والله أعلم- أنهم كانوا قوما عربا وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، صنم يقال له: صمدن وآخر يقال له: صمود، وصنم يقال له: الهناء، فبعث الله إليهم هودا فأمرهم أن يوحدوا الله، لا يعبدوا معه إلها غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس، لم يأمرهم فيما يذكرون والله أعلم إلا بذلك"[٢٣٠].

قوله تعالى:{وَثَمُودَ} [التوبة : ٧٠] ، أي:" وقوم صالح «ثمود» الذين أهلكوا بالصيحة"[٢٣١].

---

(٢١٨) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٧):ص١٨٣٥/٦.

(٢٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٣٥/٦.

(٢٢١) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠١):ص١٨٣٥/٦.

(٢٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٤/١٤، والتفسير الميسر:١٩٨.

(٢٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٣٥/٦.

(٢٢٥) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.

(٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٣٦/٦. كذا الترقيم بالمطبوع!

(٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٣):ص١٨٣٥/٦.

(٢٢٨) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.

(٢٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٣٦/٦.

(٢٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٣٦/٦.

(٢٣١) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.

عن محمد بن إسحاق، قال: "فلما أهلك الله عادا وتقضى أمرها، عمرت ثمود بعدها، فاستخلفوا في الأرض فربلوا وانتشروا ثم عتوا على الله، فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله، بعث الله إليهم صالحا- وكانوا قوما عربا، وهو من أوسطهم نسبا، وأفضلهم موضعا رسولا، وكانت منازلهم الحجر إلى قرح، وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا، فيما بين الحجاز والشام، فبعثه الله إليهم غلاما شابا، فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم أحد إلا قليل مستضعفون"[٢٣٢].

قوله تعالى:{وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ} [التوبة : ٧٠] ، أي:" وقوم إبراهيم الذين أهلكوا بسلب النعمة"[٢٣٣].

عن عبد الصمد بن معقل، قال: "سمعت وهبا يعني: ابن منبه، يذكر مسير إبراهيم النبي- صلى الله عليه وسلم- حين أخرجه قومه بعد ما ألقوه في النار فخرج بامرأته سارة ومعه أخوها لوط- فتوجها إلى أرض الشام ثم بلغوا مصر"[٢٣٤].

قوله تعالى:{وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ} [التوبة : ٧٠] ، أي:" قوم شعيب الذين أهلكوا بعذاب يوم الظلة"[٢٣٥].

عن السدي قال: "إن الله- عز وجل- بعث شعيبا إلى مدين وإلى أصحاب الأيكة: هي الغيضة من الشجر، فكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم: ما ذكر الله في القرآن، وما ردوا عليه، فلما عتوا وكذبوا سألوه العذاب"[٢٣٦].

قوله تعالى:{وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} [التوبة : ٧٠] ، أي:" قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم فصار عاليها سافلها، وأمطروا حجارة من سجيل"[٢٣٧].

عن قتادة قوله: "{والمؤتفكات} قال: قوم لوط، ائتفكت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها"[٢٣٨].

عن الهذلي في قوله: "{المؤتفكات}، قال: هن أربع، المؤتفكات دادوما، وسدوم، وعامورا، وصابوما"[٢٣٩].

القرآن

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)} [التوبة : ٧١]

التفسير:

والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نُهوا عنه، أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه.

قوله تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة : ٧١]، أي:" والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض"[٢٤٠].

قال النضر بن شميل: "تفسير المؤمن: إنه آمن من عذاب الله"[٢٤١].

عن قتادة قال: "{المؤمنون}، هم العجاجون بالليل والنهار والله ما زالوا يقولون: ربنا ربنا، حتى استجيب لهم"[٢٤٢].

قوله تعالى:{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [التوبة : ٧١]، أي:" ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة"[٢٤٣].

---

(٢٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٨):ص١٨٣٧/٦.
(٢٣٣) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.
(٢٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٩):ص١٨٣٧/٦.
(٢٣٥) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.
(٢٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٠):ص١٨٣٧/٦.
(٢٣٧) صفوة التفاسير:٥٠٩/١.
(٢٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٣٧/٦.
(٢٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٣٨/٦.
(٢٤٠) التفسير الميسر:١٩٨.
(٢٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٢٢):ص١٨٣٨/٦. كذا الترقيم بالمطبوع!
(٢٤٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٨):ص١٨٣٩/٦.
(٢٤٣) التفسير الميسر:١٩٨.

عن الزهري: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}: "إقامتها: أن تصلي الأوقات الخمس لوقتها"[٢٤٤].

قال الحسن: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٢٤٥]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٢٤٦].

قال عكرمة: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"[٢٤٧].

قوله تعالى:{وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [التوبة : ٧١]، أي:" ويطيعون الله ورسوله في كل أمر ونهي"[٢٤٨].

قال عطاء:"طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة"[٢٤٩].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٧١]، أي:" إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه"[٢٥٠].

قال أبو العالية: "عزيز في نقمته إذا انتقم، حكيم في أمره"[٢٥١].

القرآن

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)} [التوبة : ٧٢]

التفسير:

وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم.

قوله تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة : ٧٢]، أي:" وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[٢٥٢].

قال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[٢٥٣].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٥٤].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة : ٧٢]، أي:" ماكثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها"[٢٥٥].

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٢٥٦].

قوله تعالى:{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [التوبة : ٧٢]، أي:" ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة"[٢٥٧].

عن الحسن قال : "سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى : {ومساكن طيبة في جنات عدن}، فقالا: على الخبير سقطت! سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصرٌ

---

(٢٤٤)أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٥٠): ص ٤/ ١١٦٢.

(٢٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(٢٤٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(٢٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.

(٢٤٨) انظر: التفسيراليسر:١٩٨، وصفوة التفاسير:٥١٠/١.

(٢٤٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١١١١١):ص١٨٣٩/٦. كذا الترقيم في المطبوع!

(٢٥٠) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٥١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠١):ص١٨٣٩/٦. كذا الترقيم في المطبوع!

(٢٥٢) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٣):ص٦٦/١.

(٢٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٢٥٥) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٢٥٧) التفسير الميسر:١٩٨.

في الجنة من لؤلؤ ، فيه سبعون دارًا من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء ، في كل بيت سبعون سريرًا"[٢٥٨].

وفي {جَنَّاتِ عَدْنٍ} [التوبة : ٧٢]، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[٢٥٩].

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[٢٦٠].

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٢٦١].

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين[٢٦٢]. ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"[٢٦٣].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب ، لا يدخله إلا نبي ، أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل"[٢٦٤].

فيمكن القول بأن «عَدْن» هي جنةٌ متميزة عن سائر جنان الله التي خلقها الله لعباده الصالحين، فهي جنة أراد الله أن تمتاز عن غيرها من الجنان بشكل خاص رغم أن كل جنان الله هي قمة في الابداع و الجمال و مجتمعة فيها مستلزمات الراحة و الرفاهية التامة.

قوله تعالى:{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة : ٧٢]، أي:" ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم"[٢٦٥].

عن سعيد بن جبير في قوله: "{ورضوان من الله أكبر}، يعني: إذا أخبروا أن الله عنهم راض فهو أكبر عندهم من التحف والتسليم"[٢٦٦].

عن حفص ، عن شمر قال : "يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب ، إلى الرجل حين ينشقُّ عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله! أبشر برضوان الله ! فيقول مثلك من يبشِّر بالخير ؟ ومن أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي كُنْت أسهر ليلك ، وأُظمئ نهارك! فيحمله على رقبته حتى يُوافي به ربَّه ، فيمثُلُ بين يديه فيقول : يا رب ، عبدك هذا ، اجزه عني خيرًا ، فقد كنت أسهر ليله ، وأظمئ نهاره ، وآمره فيطيعني ، وأنهاه فيطيعني. فيقول الرب تبارك وتعالى : فله حُلَّة الكرامة. فيقول : أي ربّ ، زدْهُ ، فإنه أهلُ ذلك ! فيقول : فله رِضْواني قال : {ورضوان من الله أكبر}"[٢٦٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ٧٢]، أي:" ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم"[٢٦٨].

عن أبي مالك قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[٢٦٩].

عن سعيد بن جبير:"{عظيما}: وافرا"[٢٧٠].

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)} [التوبة : ٧٣]

---

(٢٥٨) أخرجه الطبري(١٦٩٤٠):ص٣٤٩/١٤.

(٢٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٢٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.

(٢٦١) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.

(٢٦٢)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(٢٦٣) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(٢٦٤) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٢٦٥) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٦٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٥):ص١٨٤٠/٦.

(٢٦٧) أخرجه الطبري(١٦٩٦٠):ص٣٥٦/١٤.

(٢٦٨) التفسير الميسر:١٩٨.

(٢٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٨٤٠/٦.

(٢٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٤١/٦.

التفسير:
يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، واشدد على كلا الفريقين، ومقرُّهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة : ٧٣]، أي:" يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة"[٢٧١].

قال السعدي:" أي: بالغ في جهادهم ...وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان، ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا"[٢٧٢].

وفي جهاد المنافقين، قولان :

أحدهما : جهادهم باللسان ، وجهاد الكفار بالسيف ، قاله ابن عباس[٢٧٣]، والضحاك[٢٧٤].

قال الضحاك:"يقول: جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم[٢٧٥].

الثاني : أن جهاد الكفار بالسيف ، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم ، قاله الحسن[٢٧٦]، وقتادة[٢٧٧].

قوله تعالى:{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ٧٣]، أي:" واشدد على كلا الفريقين"[٢٧٨].

عن الضحاك قوله: "{واغلظ عليهم}، قال: واغلظ على المنافقين بالكلام"[٢٧٩].

قوله تعالى:{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [التوبة : ٧٣]، أي:" ومقرُّهم جهنم"[٢٨٠].

عن محمد بن إسحاق:"{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ } النار، أي: فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم، ما اعتصمتم بي، واتبعتم أمري، للمعصية التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم"[٢٨١].

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة : ٧٣]، أي:" وبئس المصير مصيرهم"[٢٨٢].

عن ابن أبي نجيح قوله: "{وبئس المصير}، قال: مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي نجيح: سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره"[٢٨٣].

قال عطاء: "نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح"[٢٨٤].

القرآن

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)} [التوبة : ٧٤]

التفسير:

يحلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئًا يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، إنهم لكاذبون; فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام وحاولوا الإضرار برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما وجد المنافقون شيئًا يعيبونه، وينتقدونه، إلا أن الله -تعالى- تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فإن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا،

---

(٢٧١) التفسير الميسر:١٩٩.
(٢٧٢) تفسير السعدي:٣٤٤.
(٢٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٢):ص٣٥٨/١٤-٣٥٩.
(٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٤):ص٣٥٩/١٤.
(٢٧٥) أخرجه الطبري(١٦٩٦٤):ص٣٥٩/١٤.
(٢٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٥):ص٣٥٩/١٤.
(٢٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٦):ص٣٥٩/١٤.
(٢٧٨) التفسير الميسر:١٩٩.
(٢٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٨٤٢/٦.
(٢٨٠) التفسير الميسر:١٩٩.
(٢٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٨٤٢/٦.
(٢٨٢) التفسير الميسر:١٩٩.
(٢٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٤٢/٦.
(٢٨٤) تفسير البغوي:٧٤/٤.

أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب الموجع في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.

سبب النزول:

أ-في سبب نزول قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا}[التوبة : ٧٤]، أقوال:

أحدها : أنها نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير ، ثم حلف أنه ما قال ، وهذا قول عروة[٢٨٥]، وابن إسحاق[٢٨٦].

عن عروة:" {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر}، قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: "إن كان ما جاء به محمد حقًّا، لنحن أشرُّ من الحُمُر! "، فقال له ابن امرأته: والله، يا عدو الله، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعةٌ، وأؤاخذ بخطيئتك! فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس، فقال: "يا جُلاس، أقلت كذا وكذا؟ فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نَقَموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}"[٢٨٧].

والثاني : أنه عبد الله بن أبي بن سلول . قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قاله قتادة[٢٨٨].

عن قتادة قوله : "{يحلفون بالله ما قالوا}، إلى قوله : {من وليّ ولا نصير}، قال : ذكر لنا أنّ رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة ، والآخر من غِفار ، وكانت جهينة حلفاء ، الأنصار ، وظهر الغفاريّ على الجهنيّ ، فقال عبد الله بن أبيّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مثلنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل : " سمِّن كلبك يأكلك " ، وقال : {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [سورة المنافقون : ٨] ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر"[٢٨٩].

والثالث : أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك ، قاله الحسن[٢٩٠].

وروي عن ابن عباس قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا في ظلّ شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه. فلم يلبث أن طلع رجل أزرقُ ،فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علامَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا ، حتى تجاوَز عنهم ، فأنزل الله : (يحلفون بالله ما قالوا) ، ثم نعتهم جميعًا ، إلى آخر الآية"[٢٩١].

وروي عن مجاهد[٢٩٢]، أنها نزلت في رجل دون تحديد الاسم.

والصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنّهم يحلفون بالله كذبًا على كلمة كُفْر تكلموا بها أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة : أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال، ولا علم لنا بأيّ ذلك من أيٍّ ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويُتوصَّل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم}"[٢٩٣].

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا}[التوبة : ٧٤]:

قال الضحاك: "هموا أن يدفعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة وكانوا قوما قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وهم معه، يلتمسون غرته حتى أخذ في عقبة، فتقدم بعضهم

---

(٢٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٧):ص٣٦١/١٤.
(٢٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٩):ص٣٦٢/١٤-٣٦٣.
(٢٨٧) أخرجه الطبري(١٦٩٦٧):ص٣٦١/١٤.
(٢٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٤)، (١٦٩٧٥):ص٣٦٤/١٤.
(٢٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٤):ص٣٦٤/١٤.
(٢٩٠) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٢.
(٢٩١) أخرجه الطبري(١٦٩٧٣):ص٣٦٣/١٤.
(٢٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٠):ص٣٦٣/١٤.
(٢٩٣) تفسير الطبري:٣٦٣/١٤-٣٦٤.

وتأخر بعضهم وذلك كان ليلا قالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حذيفة فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل، فالتفت فإذا هو بقوم متلثمين، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله؛ فأمسكوا، ومضى النبي عليه الصلاة والسلام حتى نزل منزله الذي أراد، فأنزل الله تعالى قوله: {وهموا بما لم ينالوا}"[٢٩٤].

ت-سبب نزول قوله تعالى:{وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}[التوبة : ٧٤]:

قال عكرمة: "قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفًا في مولى لبني عديّ بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية : {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}"[٢٩٥].

عن عمرو قال: "سمعت عكرمة: أن مولى لبني عدي بن كعب قتل رجلا من الأنصار، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا ، وفيه أنزلت: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، قال عمرو: لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة، يعني : الدية اثني عشر ألفًا"[٢٩٦].

وروي عن ابن عباس : "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفًا. فذلك قوله : {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، قال : بأخذ الديّة"[٢٩٧].

قوله تعالى:{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} [التوبة : ٧٤]، أي:" يحلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئًا يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، فلقد قالوا كلمة الكفر، وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، وحاولوا الإضرار برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم الله من ذلك "[٢٩٨].

عن مجاهد:" {كلمة الكفر}، قال أحدهم: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن أشر من الحمير، فقال له رجل من المؤمنين: فو الله إنما يقول الحق، ولأنت أشر من حمار"[٢٩٩].

وفي قوله تعالى:{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} [التوبة : ٧٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن المنافقين هموا بقتل الذي أنكر عليهم ، قاله مجاهد[٣٠٠].

، قال مجاهد: "همَّ المنافق بقتله، يعني: قتل المؤمن الذي قال له :أنت شر من الحمار! فذلك قوله : {وهموا بما لم ينالوا}"[٣٠١].

الثاني : أن الذي همّ ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان همُّه الذي لم ينله ، قوله : {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [سورة المنافقون : ٨]. وهذا قول قتادة[٣٠٢].

الثالث : أنهم هموا بقتل النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً[٣٠٣].

عن مجاهد في قوله : "{وهموا بما لم ينالوا}، قال : رجل من قريش ، همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : " الأسود"[٣٠٤].

قوله تعالى:{وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} [التوبة : ٧٤]، أي:" وما وجد المنافقون شيئًا يعيبونه، وينتقدونه، إلا أن الله -تعالى- تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة"[٣٠٥].

قال عكرمة:" قتل رجل من بني عدي بن كعب رجلا من الأنصار، فقضى النبي- صلى الله عليه وسلم- في ديته باثني عشر ألف درهم، قال: فقال الله- عز وجل-: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، يعني: ما أخذوا من الدية"[٣٠٦].

---

(٢٩٤) أسباب النزول للواحدي:٢٥١-٢٥٢.
(٢٩٥) أخرجه الطبري(١٦٩٨٠):ص٣٦٦/١٤-٣٦٧.
(٢٩٦) أخرجه الطبري(١٦٩٨٢):ص٣٦٧/١٤.
(٢٩٧) أخرجه الطبري(١٦٩٨٣):ص٣٦٧/١٤.
(٢٩٨) التفسير الميسر:١٩٩.
(٢٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٣):ص١٨٤٥/٦.
(٣٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٦):ص٣٦٥/١٤.
(٣٠١) أخرجه الطبري(١٦٩٧٦):ص٣٦٥/١٤.
(٣٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٤):ص٣٦٤/١٤.
(٣٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٨):ص٣٦٦/١٤.
(٣٠٤) أخرجه الطبري(١٦٩٧٨):ص٣٦٦/١٤.
(٣٠٥) التفسير الميسر:١٩٩.

قال قتادة:" كانت لعبد الله بن أبي دية، فأخرجها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- له"[٣٠٧].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [التوبة : ٧٤]، أي:" وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب الموجع في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم"[٣٠٨].

عن محمد بن إسحاق: قوله: "{وإن يتولوا}، قال: على كفرهم"[٣٠٩].

القرآن

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)} [التوبة : ٧٥]

التفسير:

ومن فقراء المنافقين مَن يقطع العهد على نفسه: لئن أعطاه الله المال ليصدَّقنَّ منه، وليعمَلنَّ ما يعمل الصالحون في أموالهم، وليسيرَنَّ في طريق الصلاح.

سبب النزول:

في سبب نزول الآيتين[٧٥-٧٦]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة ابن حاطب الأنصاري . وفي سبب نزولها قولان : القول الأول: أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه ، فلما قدم عليه بخل به ، قاله الكلبي[٣١٠].

وروي عن ابن عباس قوله : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) ، الآية ، وذلك أن رجلا يقال له : " ثعلبة بن حاطب " ، من الأنصار ، أتى مجلسًا فأشهدهم فقال : لئن آتاني الله من فضله ، آتيت منه كل ذي حقٍّ حقه ، وتصدّقت منه ، ووصلت منه القرابة! فابتلاه الله فآتاه من فضله ، فأخلف الله ما وعدَه ، وأغضبَ الله بما أخلفَ ما وعده. فقصّ الله شأنه في القرآن : {ومنهم من عاهد الله} ، الآية ، إلى قوله : {يكذبون}"[٣١١].

عن أبي أمامة الباهلي :"عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدِّي شكره ، خير من كثير لا تطيقه! قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما ترضى أن تكون مثل نبيِّ الله ، فوالذي نفسي بيده ، لو شئتُ أن تسيرَ معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت! قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقني مالا لأعطينّ كلّ ذي حق حقه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبه مالا! قال : فاتَّخذ غنمًا ، فنمت كما ينمو الدُّود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحَّى عنها ، فنزل واديًا من أوديتها ، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت ، فتنحّى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقَّى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره ، فقال : يا ويْحَ ثعلبة ! يا ويح ثعلبه ! يا ويح ثعلبة! قال : وأنزل الله : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [سورة التوبة : ١٠٣] الآية ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة ، رجلا من جهينة ، ورجلا من سليم ، وكتب لهما كيفَ يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرَّا بثعلبة ، وبفلان ، رجل من بني سليم ، فخذا صدقاتهما ! فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! ما أدري ما هذا ! انطلقا حتى تفرُغا ثم عودا إليّ. فانطلقا ، وسمع بهما السُّلمي ، فنظر إلى خِيار أسنان إبله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهم بها. فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال : بلى ، فخذوه ، فإنّ نفسي بذلك طيّبة ، وإنما هي لي! فأخذوها منه. فلما فرغا من صدقاتهما رجعا ، حتى مرَّا بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ! فنظر

---

(٣٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٠):ص١٨٤٥/٦.

(٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠١):ص١٨٤٦/٦.

(٣٠٨) التفسير الميسر:١٩٩.

(٣٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٤):ص١٨٤٦/٦.

(٣١٠) انظر: النكت والعيون:٣٨٤/٢.

(٣١١) أخرجه الطبري(١٦٩٨٦):ص٣٧٠/١٤.

فيه ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية! انطلقا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلّمهما ، ودعا للسلميّ بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، والذي صنع السلميّ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين}، إلى قوله : {وبما كانوا يكذبون}، وعند رسول الله رجلٌ من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته. فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ! فجعل يَحْثِي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني! فلما أبَى أن يقبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئًا. ثم أتى أبا بكر حين اسْتخلِف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي ! فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها! فقُبِض أبو بكر ، ولم يقبضها. فلما ولي عمر ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي ! فقال : لم يقبلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ! فقُبِض ولم يقبلها ، ثم ولي عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! فلم يقبلها منه. وهلك ثَعْلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه"[٣١٢].

والقول الثاني : أن مولى لعمر قتل رجلاً لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها ، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرجه ، قاله مقاتل[٣١٣].

والثاني: أنها نزلت في رجلين : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب بن قشير. وهذا قول الحسن[٣١٤].

عن الحسن : "{ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله} الآية ، وكان الذي عاهد الله منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بني عمرو بن عوف"[٣١٥].

وروي عن مجاهد في قول الله : "{ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله}، قال رجلان خرجا على ملأ قُعُود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم بخلوا به"[٣١٦].

والثالث: أنها نزلت صنف من المنافقين. وهذا قول ابن زيد[٣١٧].

قال ابن زيد في قوله : "{ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله} الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقًا إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة"[٣١٨].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ} [التوبة : ٧٥]، أي:" ومن فقراء المنافقين مَن يقطع العهد على نفسه: لئن أعطاه الله المال ليصدَّقنَّ منه"[٣١٩].

عن معتمر بن سليمان التيمي، قال: "ركبت البحرَ ، فأصابنا ريحٌ شديدة ، فنذر قوم منا نذورًا ، ونويت أنا ، لم أتكلم به. فلما قدمت البصرة سألت أبي سليمانَ فقال لي : يا بُنَيّ ، فِ به. قال معتمر : وحدثنا كهمس ، عن سعيد بن ثابت قال قوله : {ومنهم من عاهد الله} ، الآية ، قال : إنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ، ألم تسمع إلى قوله : {ألم يعلموا أن الله يعلم سِرَّهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب}؟"[٣٢٠].

القرآن

{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)} [التوبة : ٧٧]

---

(٣١٢) أخرجه الطبري(١٦٩٨٧):ص١٤/٣٧٠-٣٧١.
(٣١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/١٨٤.
(٣١٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٩٠):ص١٤/٣٧٤-٣٧٥.
(٣١٥) أخرجه الطبري(١٦٩٩٠):ص١٤/٣٧٤-٣٧٥.
(٣١٦) أخرجه الطبري(١٦٩٩١):ص١٤/٣٧٥.
(٣١٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٩٤):ص١٤/٣٧٥.
(٣١٨) أخرجه الطبري(١٦٩٩٤):ص١٤/٣٧٥.
(٣١٩) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٢٠) أخرجه الطبري(١٧٠٠٢):ص١٤/٣٧٩.

التفسير:
فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أنْ زادهم نفاقًا على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب; وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.

قوله تعالى:{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ} [التوبة : ٧٧]، أي:" فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أنْ زادهم نفاقًا على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب، وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم "[٣٢١].

قال مجاهد:" حين قالوا: {لنصدقن}، فلم يفعلوا"[٣٢٢].

قال السدي:" فسمي منافقا بغير جحود بالله ورسوله ولا شك فيهما ولا في شيء مما جاء به ولكن بخلفه وكذبه"[٣٢٣].

قوله تعالى:{وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة : ٧٧]، أي:" وبسبب نفاقهم وكذبهم"[٣٢٤].

قال محمد بن كعب القرظي: "كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والإخلاف ، والخيانة ، فالتمستُها في كتاب الله زمانًا لا أجدُها ، ثم وجدتها في اثنتين من كتاب الله، قوله : {ومنهم من عاهد الله} حتى بلغ : {وبما كانوا يكذبون} ، وقوله : {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [سورة الأحزاب : ٧٢] ، هذه الآية"[٣٢٥].

عن عبد الله بن عمرو بن وائل : "أنه لما حضرته الوفاة قال : إنّ فلانًا خطب إليّ ابنتي ، وإني كنت قلت له فيها قولا شبيهًا بالعِدَة ، والله لا ألقى الله بثُلث النفاق ، وأشهدكم أني قد زوَّجته"[٣٢٦].

عن الحسن قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، فقلت للحسن : يا أبا سعيد ، لئن كان لرجل عليّ دين فلقيني فتقاضاني ، وليس عندي ، وخفت أن يحبسني ويهلكني ، فوعدته أن أقضيه رأسَ الهلال ، فلم أفعل ، أمنافق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث! ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو : أن أباه لما حضره الموت قال : زوِّجوا فلانًا ، فإني وعدته أن أزوجه ، لا ألقى الله بثُلثِ النفاق ! قال قلت : يا أبا سعيد ، ويكون ثُلث الرجل منافقًا ، وثلثاه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث. قال : فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فأخبرته الحديثَ الذي سمعته من الحسن ، وبالذي قلت له وقال لي ، فقال لي : أعجزت أن تقول له : أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يعدوا أباهم فأخلفوه ، وحدَّثوه فكذبوه ، وأتمنهم فخانوه ، أفمنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء ؟ أبوهم نبيٌّ ، وجدُّهم نبي ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدِّثني بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث. فقال : حدثني جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصَّة ، الذين حدَّثوا النبي فكذبوه ، وأتمنهم على سرّه فخانوه ، ووعدوه أن يخرجوه معه في الغزو فأخلفوه. قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه ، واكتموا. قال : فكتب رجل من المنافقين إليه " " إن محمدًا يريدكم ، فخذوا حذرَكم " . فأنزل الله : {لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، [سورة الأنفال : ٢٧] ، وأنزل في المنافقين : {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) ، إلى : {فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدو وبما كانوا يكذبون}، فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت لك. قال : فقدمت على الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذي حدث ، وما قال لي ، فأخذ الحسن بيدي فأشالها ، وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثلَ هذا ؟ سمع مني حديثًا فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا في المنافقين خاصة"[٣٢٧].

---

(٣٢١) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠١):ص١٨٤٩/٦.
(٣٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٩):ص١٨٤٩/٦.
(٣٢٤) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٢٥) أخرجه الطبري(١٦٩٩٨):ص٣٧٧/١٤.
(٣٢٦) أخرجه الطبري(١٧٠٠١):ص٣٧٨/١٤.
(٣٢٧) أخرجه الطبري(١٦٩٩٩):ص٣٧٧/١٤-٣٧٨.

القرآن

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)} [التوبة : ٧٨]

التفسير:

ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله علام الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [التوبة : ٧٨]، أي:" ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر"(٣٢٨).

عن الضحاك: "{يعلم السر}، قال: يعلم ما هو أخفى من السر مما لم يعمله وهو عامله"(٣٢٩).

القرآن

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)} [التوبة : ٧٩]

التفسير:

ومع بخل المنافقين لا يَسْلَم المتصدقون من أذاهم; فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا سخرية منهم: ماذا تجدي صدقتهم هذه؟ سخر الله من هؤلاء المنافقين، ولهم عذاب مؤلم موجع.

سبب نزول الآيتين[٧٩-٨٠]:

عن ابن عباس قوله :«{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يومًا فنادى فيهم : أن أجمعوا صدقاتكم! فجمع الناس صدقاتهم. ثم جاء رجل من آخرهم بِمَنٍّ من تمر، فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمرٍ ، بتُّ ليلتي أجرُّ بالجرير الماءَ، حتى نلت صاعين من تمرٍ ، فأمسكت أحدَهما ، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال وقالوا : والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا! وما يصنعان بصاعك من شيء " ! ثم إن عبد الرحمن بن عوف ، رجل من قريش من بني زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا! فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندي مئة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب : أمجنون أنت ؟ فقال : ليس بي جنون! فقال : فعلِّمنا ما قلت ؟ قال : نعم! مالي ثمانية آلاف ، أما أربعة آلافٍ فأقرضها ربيّ ، وأما أربعة آلاف فلي! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ! وكره المنافقون فقالوا : " والله ما أعطى عبد الرحمن عطيَّته إلا رياءً" ! وهم كاذبون ، إنما كان به متطوِّعًا. فأنزل الله عذرَه وعذرَ صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر ، فقال الله في كتابه : {الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات}، الآية»(٣٣٠).

عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال : "جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مالي ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف ، فاجعلها في سبيل الله ، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت! وجاء رجل آخر فقال : يا رسول الله ، بتُّ الليلة أجرُّ الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به ، أجعله في سبيل الله ، فقال : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت! فقال ناس من المنافقين : والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياءً وسمعة ، ولقد كان الله ورسوله غنيَّين عن صاع فلان! فأنزل الله : {الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات} ، يعني عبد الرحمن بن عوف : {والذين لا يجدون إلا جهدهم}، يعني صاحب الصاع {فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}"(٣٣١).

عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه قال : "بتُّ أجرُّ الجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبتُ بأحدهما إلى أهلي يتبلَّغون به ، وجئت بالآخر أتقرَّب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتيت رسول الله

---

(٣٢٨) التفسير الميسر:١٩٩.

(٣٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٤٩/٦.

(٣٣٠) أخرجه الطبري(١٧٠٠٤):ص٣٨٣/١٤.

(٣٣١) أخرجه الطبري(١٧٠١٧):ص٣٩١/١٤.

صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : انثره في الصدقة. فسخر المنافقون منه. وقالوا : لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا المسكين! فأنزل الله : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، الآيتين"[٣٣٢].

عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثًا. قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، إن عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالي. قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت ! فقال رجل من الأنصار : وإن عندي صاعين من تمرٍ ، صاعًا لربي ، وصاعًا لعيالي ! قال : فلمز المنافقون وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياءً ! وقالوا : أو لم يكن الله غنيًّا عن صاع هذا ! فأنزل الله : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين}، إلى آخر الآية"[٣٣٣].

عن الربيع بن أنس في قوله : "{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، قال : أصاب الناس جَهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدَّقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك له فيما أمسك. فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ! قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله آجرت نفسي بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي ، وجئت بصاع من تمر. فقال المنافقون : إن الله غنيٌّ عن صاع هذا ! فأنزل الله هذه الآية : {والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}"[٣٣٤].

عن أبي مسعود قال : "لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، قال أبو النعمان : كنا نعمل قال : فجاء رجل فتصدق بشيء كثير. قال : وجاء رجل فتصدق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغنيٌّ عن صاع هذا ! فنزلت : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم}"[٣٣٥].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة : ٧٩]، أي:" ومع بخل المنافقين لا يَسْلَم المتصدقون من أذاهم; فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء"[٣٣٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : الذين يلمزون المطوّعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ، ويطعنون فيها عليهم بقولهم : إنما تصدقوا به رياءً وسُمْعة ، ولم يريدوا وجه الله "[٣٣٧].

عن أبي السليل قال : "وقف على الحيّ رجل ، فقال : حدثني أبي أو عمي فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من يتصدق اليوم بصدقة أشهدُ له بها عند الله يوم القيامة ؟ قال : وعليّ عمامة لي. قال : فنزعت لوْثًا أو لوثيْن لأتصدق بهما ، قال : ثم أدركني ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسي. قال : فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصرَ قِمَّة ، ولا أشدَّ سوادًا ، ولا أدَمَّ بعينٍ منه ، يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها. قال : أصدقةٌ هي ، يا رسول الله ؟ قال : نعم! قال : فدُونَكها ! فألقى بخطامها أو بزمامها قال : فلمزه رجل جالسٌ فقال : والله إنه ليتصدّق بها ، ولهي خيرٌ منه ! فنظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل هو خير منك ومنها! يقول ذلك ثلاثًا صلى الله عليه وسلم"[٣٣٨].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} [التوبة : ٧٩]، أي:" ويعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيهزءون منهم"[٣٣٩].

عن ابن إسحاق : "{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات} ، الآية ، وكان المطوعون من المؤمنين في الصدقات ، عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدي أخا بني العَجلان، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغَّب في الصدقة ، وحضَّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدي فتصدق بمئة وَسْقٍ من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما

---

(٣٣٢) أخرجه الطبري(١٧٠١٤):ص٣٨٨/١٤-٣٨٩.
(٣٣٣) أخرجه الطبري(١٧٠١٠):ص٣٨٦/١٤.
(٣٣٤) أخرجه الطبري(١٧٠١١):ص٣٨٦/١٤-٣٨٧.
(٣٣٥) أخرجه الطبري(١٧٠١٣):ص٣٨٨/١٤.
(٣٣٦) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٣٧) تفسير الطبري:٣٨١/١٤-٣٨٢.
(٣٣٨) أخرجه الطبري(١٧٠١٥):ص٣٨٩/١٤-٣٩٠.
(٣٣٩) صفوة التفاسير:٥١٤/١.

هذا إلا رياء ! وكان الذي تصدّق بجهده : أبو عقيل ، أخو بني أنيف ، الأراشي ، حليف بني عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن الله لغنيٌّ عن صاع أبي عقيل!!"[٣٤٠].

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال: "الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون : " أبو خيثمة الأنصاري "[٣٤١].

عن الشعبي، قال :«"الجَهْدُ"، و"الجُهْد"، الجَهْدُ في العمل، والجُهْدُ في القوت»"[٣٤٢].

قوله تعالى:{سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} [التوبة : ٧٩]، أي:" سخر الله من هؤلاء المنافقين"[٣٤٣].

عن مجاهد : "{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين}، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون وقالوا : " راءَى " {والذين لا يجدون إلا جهدهم}، قال : رجل من الأنصار آجرَ نفسه بصاع من تمر ، لم يكن له غيره ، فجاء به فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنيًّا عن صاع هذا!"[٣٤٤].

عن قتادة: قوله : "{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين} ، الآية ، قال : أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله ، فتقرَّب به إلى الله ، فلمزه المنافقون فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسمعة ! فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له " حبحاب ، أبو عقيل" فقال : يا نبي الله ، بتُّ أجرُّ الجرير على صاعين من تمر ، أما صاع فأمسكته لأهلي ، وأما صاع فها هو ذا! فقال المنافقون : " والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا " . فأنزل الله في ذلك القرآن : {الذين يلمزون}، الآية"[٣٤٥].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة : ٧٩]، أي:" ولهم عذاب مؤلم موجع"[٣٤٦].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٤٧]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٤٨].

القرآن

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)} [التوبة : ٨٠]

التفسير:

استغفر -أيها الرسول- للمنافقين أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، مهما كثر استغفارك لهم وتكرر; لأنهم كفروا بالله ورسوله. والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته.

سبب النزول:

عن عروة : "أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه : لولا أنكم تُنْفقون على محمد وأصحابه لانفَضُّوا من حوله! وهو القائل : {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [سورة المنافقون : ٨] ، فأنزل الله : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدنّ على السبعين! فأنزل الله : {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ }، فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم"[٣٤٩].

عن مجاهد : "{إن تستغفر لهم سبعين مرة}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة! فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون :{لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، عزمًا"[٣٥٠].

عن قتادة قوله : "{استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ، فقال نبي الله : قد خيَّرني ربي ، فلأزيدنهم على سبعين! فأنزل الله: { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ }، الآية"[٣٥١].

---

(٣٤٠) أخرجه الطبري(١٧٠١٢):ص٣٨٧/١٤.
(٣٤١) اخرجه الطبري(١٧٠١٦):ص٣٩٠/١٤.
(٣٤٢) أخرجه الطبري(١٧٠٢٠):ص٣٩٣/١٤.
(٣٤٣) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٤٤) أخرجه الطبري(١٧٠٠٥):ص٣٨٤/١٤.
(٣٤٥) أخرجه الطبري(١٧٠٠٨):ص٣٨٤/١٤-٣٨٥.
(٣٤٦) التفسير الميسر:١٩٩.
(٣٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٤٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٤٩) أخرجه الطبري(١٧٠٢٣):ص٣٩٥/١٤.
(٣٥٠) أخرجه الطبري(١٧٠٢٥):ص٣٩٦/١٤.

قوله تعالى:{إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة : ٨٠]، أي:" فلن يغفر الله لهم، مهما كثر استغفارك لهم وتكرر"[٣٥٢].

عن الشعبي قال : "دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : حُباب بن عبد الله بن أبيّ. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ، إن " الحُبَاب " هو الشيطان[٣٥٣]. ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام : إنه قد قيل لي : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، فأنا استغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين ، وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصَه وهو عَرِقٌ"[٣٥٤].

وفي رواية اخرى عن الشعبي أيضا: "لما ثَقُل عبد الله بن أبيّ ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إن أبي قد احْتُضِر ، فأحبُّ أن تشهده وتصليّ عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : الحُباب بن عبد الله. قال : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ، إن " الحباب " اسم شيطان. قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِق ، وصلى عليه ، فقيل له : أتصلي عليه وهو منافق ؟ فقال : إن الله قال : {إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ، ولأستغفرن له سبعين وسبعين! قال هشيم : وأشكُّ في الثالثة"[٣٥٥].

القرآن

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)} [التوبة : ٨١]

التفسير:

فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقعودهم في (المدينة) مخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرِّ، وكانت غزوة (تبوك) في وقت شدة الحرِّ. قل لهم -أيها الرسول-: نار جهنم أشد حرًا، لو كانوا يعلمون ذلك.

سبب النزول:

عن ابن عباس قوله : "{فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله}، إلى قوله : {يفقهون}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحرُّ شديدٌ ، ولا نستطيع الخروجَ ، فلا تنفر في الحرّ ! فقال الله : {قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون}، فأمره الله بالخروج"[٣٥٦].

عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك ، فقال رجل من بني سَلِمة : لا تنفروا في الحرّ ! فأنزل الله : (قل نار جهنم) ، الآية"[٣٥٧].

قوله تعالى:{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} [التوبة : ٨١]، أي:" فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقعودهم في (المدينة) مخالفين لرسول الله صلى"[٣٥٨].

عن قتاده في قوله : "{بمقعدهم خلاف رسول الله}، قال : هي غزوة تبوك"[٣٥٩].

---

(٣٥١) أخرجه الطبري(١٧٠٣١):ص١٤/٣٩٧.

(٣٥٢) التفسير الميسر:١٩٩.

(٣٥٣)" الحباب " (بضم الحاء) ، الحية ، قال ابن كثير : " ويقع على الحية أيضا ، كما يقال لها الشيطان ، فهما مشتركان فيه ".

(٣٥٤) أخرجه الطبري(١٧٠٢٤):ص١٤/٣٩٥.

(٣٥٥) أخرجه الطبري(١٧٠٢٩):ص١٤/٣٩٦.

(٣٥٦) أخرجه الطبري(١٧٠٣٣):ص١٤/٤٠٠.

(٣٥٧) أخرجه الطبري(١٧٠٣٥):ص١٤/٤٠٠.

(٣٥٨) التفسير الميسر:٢٠٠.

(٣٥٩) أخرجه الطبري(١٧٠٣٤):ص١٤/٤٠٠.

عن ابن إسحاق قال : "[ثم] ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد. يقول الله جل ثناؤه : {وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًّا}"[٣٦٠].

قوله تعالى:{وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٨١]، أي:" وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله"[٣٦١].

عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"[٣٦٢].

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} [التوبة : ٨١]، أي:" وقال بعضهم لبعض: لا تخرجوا إلى الجهاد في وقت الحر، قل لهم -أيها الرسول-: نار جهنم أشد حرًا"[٣٦٣].

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: "كانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهي غزوة الحر، قالوا: {لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا}، وهي غزوة العسرة"[٣٦٤].

القرآن

{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)} [التوبة : ٨٢]

التفسير:

فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة (تبوك) قليلا في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيرًا في نار جهنم; جزاءً بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر.

قوله تعالى:{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} [التوبة : ٨٢]، أي:" فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة (تبوك) قليلا في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيرًا في نار جهنم"[٣٦٥].

عن أبي رزين : "{فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا}، قال يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع. فذلك الكثير"[٣٦٦].

عن الحسن : "{فليضحكوا قليلا}، قال : ليضحكوا قليلا في الدنيا {وليبكوا كثيرًا}، في الآخرة ، في نار جهنم {جزاء بما كانوا يكسبون}"[٣٦٧].

عن الربيع بن خثيم: "{فليضحكوا قليلا}، قال : في الدنيا {وليبكوا كثيرًا}، قال : في الآخرة"[٣٦٨].

عن قتادة : "{فليضحكوا قليلا}، أي: في الدنيا. {وليبكوا كثيرًا}، أي: في النار. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا. ذكر لنا أنه نودي عند ذلك ، أو قيل له : لا تُقَنِّط عبادي"[٣٦٩].

وفي قوله تعالى:{ وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً} [التوبة : ٨٢]، فيه وجهان:

أحدهما : في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وهم فيه يبكون ، فصار بكاؤهم كثيراً ، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم[٣٧٠].

الثاني : في النار على التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه ، وهذا قول السدي[٣٧١].

قوله تعالى:{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة : ٨٢]، أي:" جزاءً بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر"[٣٧٢].

---

(٣٦٠) أخرجه الطبري(١٧٠٣٦):ص٤٠٠/١٤.
(٣٦١) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.
(٣٦٣) صفوة التفاسير:٥١٤/١.
(٣٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٣):ص١٨٥٥/٦.
(٣٦٥) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٦٦) أخرجه الطبري(١٧٠٣٧):ص٤٠١/١٤.
(٣٦٧) أخرجه الطبري(١٧٠٤١):ص٤٠٢/١٤.
(٣٦٨) أخرجه الطبري(١٧٠٣٨):ص٤٠١/١٤.
(٣٦٩) أخرجه الطبري(١٧٠٤٢):ص٤٠٢/١٤.
(٣٧٠) انظر: النكت والعيون:٣٨٧/٢.
(٣٧١) انظر: النكت والعيون:٣٨٧/٢.
(٣٧٢) التفسير الميسر:٢٠٠.

عن السدي قوله: "{جزاء بما كانوا يكسبون}، يقول: إن مرجعهم إلى النار"[٣٧٣].

القرآن

{فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)} [التوبة : ٨٣]

التفسير:

فإنْ رَدَّك الله -أيها الرسول- مِن غزوتك إلى جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة (تبوك) فقل لهم: لن تخرجوا معي أبدًا في غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدوًا من الأعداء; إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال : "قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر في الحرّ ! وذلك في غزوة تبوك فقال الله : {قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون}، فأمره الله بالخروج. فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم فقالوا : والله ما صنعنا شيئًا ! فانطلق منهم ثلاثة ، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوه تابوا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فأنزل الله : (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم) ، إلى قوله : {ولا تقم على قبرة}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلك الذين تخلّفوا ، فأنزل الله عُذْرَهم لما تابوا ، فقال: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ}، إلى قوله : {إن الله هو التواب الرحيم} [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨]"[٣٧٤].

قوله تعالى:{فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} [التوبة : ٨٣]، أي:" فاقعدوا مع الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-"[٣٧٥].

عن الحسن:" أنهم النساء والصبيان" [٣٧٦].

عن قتادة قوله : "{فإن رجعك الله إلى طائفة منهم}، إلى قوله : {فاقعدوا مع الخالفين}، أي : مع النساء. ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين ، قيل فيهم ما قيل"[٣٧٧].

القرآن

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)} [التوبة : ٨٤]

التفسير:

ولا تصلِّ -أيها الرسول- أبدًا على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعو له; لأنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وماتوا وهم فاسقون.

سبب نزول الآيتان:[٨٤-٨٥]

عن ابن عمر قال : "جاء ابن عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله حين مات أبوه فقال : أعطني قميصَك حتى أكفّنه فيه ، وصلّ عليه ، واستغفر له . فأعطاه قميصه وإذا فرغتم فآذنوني، فلما أراد أن يصلي عليه ، [جذبه] عمر، وقال : أليس قد نهاك الله أن تُصَلّيّ على المنافقين ؟ فقال : بل خيّرني وقال : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم}، قال : فصلي عليه. قال : فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تُصَلِّ على أحَدٍ منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره}، قال : فترك الصلاة عليهم"[٣٧٨].

عن عبد الله بن عباس قال : "سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لما توفي عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول ، دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه. فلما وقف عليه يريد الصلاة ،

---

(٣٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٥٦/٦.
(٣٧٤) أخرجه الطبري(١٧٠٤٧):ص٤٠٤/١٤.
(٣٧٥) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٧٦) انظر: النكت والعيون:٣٨٨/٢.
(٣٧٧) أخرجه الطبري(١٧٠٤٨):ص٤٠٤/١٤.
(٣٧٨) أخرجه الطبري(١٧٠٥٠):ص٤٠٦/١٤.

تحوَّلتُ حتى قمت في صدره فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على عدوّ الله عبد الله بن أبي ، القائل يوم كذا كذا وكذا!! أعدِّد أيّامه ، ورسول الله عليه السلام يتبسم ، حتى إذا أكثرت عليه قال : أخِّر عنّي يا عمر ، إني خُيِّرت فاخترت ، وقد قيل لي : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ، فلو أنّي أعلم أنّي إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت ! قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره حتى فرغ منه. قال : فعجبتُ لي وجُرْأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : {ولا تصلِّ على أحدا منهم مات أبدًا}، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَه على منافق ، ولا قام على قبره ، حتى قبضه الله"[٣٧٩].

وعن قتادة قوله : "{ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره}، الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر. فأتاه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ اليهود! قال فقال : يا نبي الله ، إني لم أبعث إليك لتؤنّبني ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي! وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفث في جلده ، ودلاه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا} ، الآية. قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كُلِّم في ذلك فقال : وما يغني عنه قميصي من الله أو : ربي، وصلى عليه وإني لأرجو أن يسلم به ألفٌ من قومه"[٣٨٠].

عن جابر بن عبد الله : "أن رأسَ المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلي عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفَّن في قميصه ، فكفنه في قميصه ، وصلى عليه وقام على قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره}"[٣٨١].

قوله تعالى:{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة : ٨٤]، أي:" ولا تصلِّ -أيها الرسول- أبدًا على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعو له"[٣٨٢].

عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال : "لما مات عبد الله بن أبي، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفَّن فيه أباه"[٣٨٣].

القرآن

{وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)} [التوبة : ٨٥]

التفسير:

ولا تعجبك -أيها الرسول- أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بمكابدتهم الشدائد في شأنها، وبموتهم على كفرهم بالله ورسوله.

قوله تعالى:{وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ} [التوبة : ٨٥]، أي:" ولا تعجبك -أيها الرسول- أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم"[٣٨٤].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا} [التوبة : ٨٥]، أي:" ، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بمكابدتهم الشدائد في شأنها"[٣٨٥].

عن قتادة قال: "من مقاديم الكلام: ولا تعجبك أموالهم في الدنيا وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها أي: في الآخرة"[٣٨٦].

---

(٣٧٩) اخرجه الطبري(١٧٠٥٥):ص٤٠٨/١٤-٤٠٩.
(٣٨٠) أخرجه الطبري(١٧٠٥٨):ص٤٠٩/١٤-٤١٠.
(٣٨١) أخرجه الطبري(١٧٠٥٢):ص٤٠٧/١٤.
(٣٨٢) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٨٣) أخرجه الطبري(١٧٠٥٦):ص٤٠٩/١٤.
(٣٨٤) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٨٥) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٨):ص١٨٥٨/٦.

قوله تعالى:{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٨٥]، أي:" وبموتهم على كفرهم بالله ورسوله"[٣٨٧].

عن السدي : "{وتزهق أنفسهم}، في الحياة الدنيا"[٣٨٨].

القرآن

{وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦)} [التوبة : ٨٦]

التفسير:

وإذا أنزلت سورة على محمد صلى الله عليه ولم تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله، طلب الإذن منك -أيها الرسول- أولو اليسار من المنافقين، وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج.

قوله تعالى:{وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ} [التوبة : ٨٦]، أي:" وإذا أنزلت سورة على محمد صلى الله عليه ولم تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله، طلب الإذن منك -أيها الرسول- أولو اليسار من المنافقين"[٣٨٩].

عن قتادة:"{اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ}: أهل الغنى"[٣٩٠].

روي عن ابن إسحاق : "{وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم}، كان منهم عبد الله بن أبيّ ، والجدُّ بن قيس. فنعى الله ذلك عليهم"[٣٩١].

قوله تعالى:{وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة : ٨٦]، أي:" وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج"[٣٩٢].

عن أبي مالك قوله: "{ذر}، يعني: خل"[٣٩٣].

القرآن

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)} [التوبة : ٨٧]

التفسير:

رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار، وختم الله على قلوبهم; بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم.

قوله تعالى:{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [التوبة : ٨٧]، أي:" رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار"[٣٩٤].

وفي قوله تعالى:{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [التوبة : ٨٧]، ثلاثة وجوه:

عن الحسن[٣٩٥]، ومجاهد[٣٩٦]، وعكرمة[٣٩٧]، وقتادة[٣٩٨]، وشمر بن عطية[٣٩٩]، وأبي مالك[٤٠٠]، والضحاك[٤٠١]، والسدي[٤٠٢]،{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}، قالوا: "النساء".

---

(٣٨٧) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٨٨) أخرجه الطبري(١٧٠٦٠):ص٤١١/١٤.
(٣٨٩) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٥٨/٦.
(٣٩١) أخرجه الطبري(١٧٠٦٣):ص٤١٢/١٤.
(٣٩٢) التفسير الميسر:٢٠٠.
(٣٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٥٩/٦.
(٣٩٤) التفسير الميسر:٢٠١.
(٣٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٩):ص٤١٤/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٧٠):ص٤١٤/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٨):ص٤١٣/١٤-٤١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٦):ص٤١٣/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤٠٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

عن السدي :"{رضوا بأن يكونوا مع الخوالف}،: وهم النساء. رضوا بأن يقعدوا كما قعدت النساء"[٤٠٣].

قوله تعالى:{وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [التوبة : ٨٧]، أي:" وختم الله على قلوبهم; بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله"[٤٠٤].

عن سعيد المقبري في قول الله- عز وجل-: "{وطبع على قلوبهم}، قال: ختم على قلوبهم"[٤٠٥].

عن قتادة، قوله: "{وطبع على قلوبهم}، أي: بأعمالهم فهم لا يفقهون"[٤٠٦].

القرآن

{لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)} [التوبة : ٨٨]

التفسير:

إنْ تخلَّف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وأولئك هم الفائزون.

عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي قال: "سمعت أبا حازم يقول: إن الله ليعد للعبد من عبيده في الجنة لؤلؤة مسيرة أربعة برد، أبوابها وغرفها ومغاليقها ليس فيها فصم ولا قصم، والجنة مائة درجة فثلاث منها ورق وذهب ولؤلؤة وزبرجد وياقوت، وسبعة وتسعون لا يعلمها إلا الذي خلقها"[٤٠٧].

القرآن

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)} [التوبة : ٨٩]

التفسير:

أعدَّ الله لهم يوم القيامة جنات تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا. وذلك هو الفلاح العظيم.

قوله تعالى:{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة : ٨٩]، أي:" أعدَّ الله لهم يوم القيامة جنات تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[٤٠٨].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٤٠٩].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة : ٨٩]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[٤١٠].

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٤١١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ٨٩]، أي:" وذلك هو الفلاح العظيم"[٤١٢].

قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[٤١٣].

القرآن

---

(٤٠١)تفسير الطبري(١٧٠٦٧):ص١٤/٤١٣.

(٤٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص٦/١٨٥٩.

(٤٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص٦/١٨٥٩.

(٤٠٤) التفسير الميسر:٢٠١.

(٤٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص٦/١٨٥٩.

(٤٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص٦/١٨٥٩.

(٤٠٧)أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٩):ص٦/١٨٦٠ .

(٤٠٨) التفسير الميسر:٢٠١.

(٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٣/٨٤٥.

(٤١٠) التفسير الميسر:٢٠١.

(٤١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٣/٨٩١، و(١٠٥٠٠):ص٦/١٨٣٣.

(٤١٢) التفسير الميسر:٢٠١.

(٤١٣)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)} [التوبة : ٩٠]

التفسير:

وجاء جماعة من أحياء العرب حول (المدينة) يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو، وقعد قوم بغير عذر أظهروه جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيصيب الذين كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار.

قوله تعالى:{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} [التوبة : ٩٠]، أي:" وجاء جماعة من أحياء العرب حول (المدينة) يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو"[٤١٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : {وجاء}، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم {المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم}، في التخلف"[٤١٥].

وفي قوله تعالى:{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} [التوبة : ٩٠]، وجهان[٤١٦]:

أحدهما : أنهم المعتذرون بحق اعتذروا به فعذروا ، قاله مجاهد-في أحد قوليه[٤١٧]، وهو تأويل قراءة من قرأها بالتخفيف[٤١٨].

الثاني : هم المقصرون المعتذرون بالكذب ، قاله الحسن[٤١٩]، وقتادة[٤٢٠]، ومجاهد[٤٢١]، وتأويل من قرأها بالتشديد ، لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر، وإذا شدد مأخوذ من التعذير ، والفرق بينهما أن العذر حق والعذير كذب.

عن يونس قال: "كان الحسن يقرأ: "وجاء المعذرون من الأعراب"، قال: اعتذروا بشيء ليس بحق"[٤٢٢].

عن أبي إسحاق :"{وجاء المعذرون من الأعراب}، ذكر لي: أنهم نفر من بني غفار جاءوا فاعتذروا فلم يعذرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-"[٤٢٣].

قال السدي:"من قرأها «وجاء المعذرون» خفيفة، قال: بنو مقرن، ومن قرأها «وجاء المعذرون من الأعراب»، قال: الذين لهم عذر"[٤٢٤].

عن مجاهد : "{وجاء المعذرون من الأعراب}، قال : نفر من بني غفار ، جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله"[٤٢٥].

وروي عن ابن إسحاق قال : "كان المعذرون ، فيما بلغني ، نفرًا من بني غِفارٍ ، منهم : خفاف بن أيماء بن رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم}، الآية"[٤٢٦].

قوله تعالى:{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة : ٩٠]، أي:" وقعد قوم بغير عذر أظهروه جرأة على رسول الله صلى الله عليه، سيصيب الذين كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار"[٤٢٧].

---

(٤١٤) التفسير الميسر:٢٠١.
(٤١٥) تفسير الطبري:٤١٦/١٤.
(٤١٦) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٤-٤١٧، والنكت والعيون:٣٩١/٢.
(٤١٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٧٦):ص٣١٨/١٤.
(٤١٨) عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ : «وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ»، مخففةً ، ويقول : هم أهل العذر". أخرجه الطبري(١٧٠٧٣):ص٤١٦/١٤.
(٤١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٢):ص١٨٦٠/٦، والنكت والعيون:٣٩١/٢.
(٤٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٧٤):ص٤١٧/١٤.
(٤٢١) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٧٥):ص٤١٧/١٤.
(٤٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٢):ص١٨٦٠/٦.
(٤٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٦٠/٦.
(٤٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٦٠/٦.
(٤٢٥) أخرجه الطبري(١٧٠٧٥):ص٤١٧/١٤.
(٤٢٦) أخرجه الطبري(١٧٠٧٧):ص٤١٨/١٤-٤١٩.

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٤٢٨]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٤٢٩].

القرآن

{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١)} [التوبة : ٩١]

التفسير:

ليس على أهل الأعذار مِن الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ما على مَن أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب مِن قِبَلِه ويؤاخذ عليه. والله غفور للمحسنين، رحيم بهم.

في سبب نزول الآية، وجهان:

أحدهما: عن زيد بن ثابت قال: "كنت أكتب لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-. فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله، وأنا أعمى؟ فنزلت: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله}، قال: نزلت في عائذ ابن عمرو وفي غيره"[٤٣٠].

وعن قتادة: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله}، نزلت في عائذ بن عمرو"[٤٣١].

والثاني: عن ابن عباس، قوله: "{تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون}، وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم: عبد الله بن مغفل فقالوا: يا رسول الله، احملنا فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء» ، وعزيز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة، ولا محملا، فلما رأى الله عز وجل حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه فقال: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى} إلى قوله: {تولوا وأعينهم تفيض من الدمع} الآية"[٤٣٢].

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ} [التوبة : ٩١]، أي:" ليس على أهل الأعذار مِن الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود"[٤٣٣].

عن ابن لهيعة، "أن أبا شريح الكعبي كان من الذين قال الله: {ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله}"[٤٣٤].

قوله تعالى:{إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة : ٩١]، أي:" إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه"[٤٣٥].

عن أبي ثمامة-صاحب علي-، قال: "قال الحواريون: يا روح الله، أخبرنا من الناصح لله؟ قال: الذي يؤثر حق الله على حق الناس، وإذا حدث له أمران، أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة، بدأ بالذي للآخرة ثم يفرغ للذي للدنيا"[٤٣٦].

---

(٤٢٧) التفسير الميسر:٢٠١.
(٤٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٤٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٤٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦١/٦.
(٤٣١) أخرجه الطبري(١٧٠٧٨):ص٤٢٠/١٤.
(٤٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٠):ص١٨٦٣/٦-١٨٦٤. كذا الترقيم بالمطبوع!
(٤٣٣) التفسير الميسر:٢٠١.
(٤٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٦١/٦.
(٤٣٥) التفسير الميسر:٢٠١.
(٤٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٦١/٦.

قوله تعالى:{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} [التوبة : ٩١]، أي:" ما على مَن أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب مِن قِبَلِه ويؤاخذ عليه"(٤٣٧).

عن الأوزاعي: خرج الناس إلى الاستسقاء، فقام فيهن بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر، ألستم مقرين بالإساءة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم إنا نسمعك تقول: {ما على المحسنين من سبيل}، وقد أقررنا بالإساءة فاغفر لنا وارحمنا، واسقنا، ورفع يديه ورفعوا أيديهم، فسقوا"(٤٣٨).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ٩١]، أي:" والله غفور للمحسنين، رحيم بهم"(٤٣٩).

عن سعيد بن جبير في قوله: "{والله غفور}، لما كان منهم في الشرك، {رحيم} بهم بعد التوبة"(٤٤٠).

القرآن

{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢)} [التوبة : ٩٢]

التفسير:

وكذلك لا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدوابِّ، فانصرفوا عنك، وقد فاضت أعينهم دَمعًا أسفًا على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه; لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله.

اختلف فيمن نزلت هذه الآية، على أقوال :

أحدها : أنها نزلت في العرباض بن سارية ، قاله عبد الرحمن بن عمرو السلمي(٤٤١)، وحجر بن حجر الكلاعي(٤٤٢).

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن الأزرق وأبي ليلى ، قاله السدي(٤٤٣).

عن السدي قوله: "{ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه}، قال: أقبل رجلان من الأنصار، أحدهما يقال له: عبد الله بن الأزرق والآخر: أبو ليلى فسألوا، النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يحملهم فيخرجون معه فقال: لا أجد ما أحملكم عليه. فبكوا حزنا ألا يجدوا ما ينفقون"(٤٤٤).

والثالث : أنها نزلت في بني مقرّن من مُزينة ، قاله مجاهد(٤٤٥).

وروي محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو المزني :"وكان إذا حدث قال: أبي والله، يعني جده عمرا- أحد النفر الذين أنزل الله فيهم :{ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا} الآية "(٤٤٦).

والرابع : أنها نزلت في سبعة من قبائل شتى ، قاله محمد بن كعب(٤٤٧)، ومحمد بن إسحاق(٤٤٨).

عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قال : "جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : {لا أجد ما أحملكم عليه}! فأنزل الله : {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم}، الآية. قال : هم سبعة نفر : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ومن بني واقف : هرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى : سلمان بن صخر ومن بني حارثة

---

(٤٣٧) الكشاف:٣٠١/٢.
(٤٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٩):ص١٨٦٢/٦.
(٤٣٩) الكشاف:٣٠١/٢.
(٤٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢١٠):ص١٨٦٢/٦.
(٤٤١) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٦):ص٤٢١/١٤.
(٤٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٦):ص٤٢١/١٤.
(٤٤٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٦٤/٦.
(٤٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٦٤/٦.
(٤٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٠)-(١٧٠٨٥):ص٤٢٠/١٤-٤٢١.
(٤٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٢/٦-١٨٦٣.
(٤٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٨):ص٤٢٣/١٤.
(٤٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٩):ص٤٢٣/١٤.

: عبد الرحمن بن يزيد ، أبو عبلة ، وهو الذي تصدق بعرضِه فقبله الله منه ومن بني سَلِمة : عمرو بن غنمه ، وعبد الله بن عمرو المزني"[٤٤٩].

عن ابن إسحاق قوله : "{ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم}، إلى قوله : {حزنًا}، وهم البكاؤون ، كانوا سبعة"[٤٥٠].

والخامس: أنها نزلت في عبدالله بن مغفل وأصحابه. قاله ابن عباس[٤٥١].

عن ابن عباس، قوله: "{تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون}، وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم: عبد الله بن مغفل فقالوا: يا رسول الله، احملنا فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء» ، وعزيز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة، ولا محملا، فلما رأى الله عز وجل حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه فقال: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى} إلى قوله: {تولوا وأعينهم تفيض من الدمع} الآية"[٤٥٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن الربيع بن أنس :"عن أبي العالية عن عبد الله بن مغفل وكان أحد هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية: ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية"[٤٥٣].

والسادس: أنها نزلت في أبي موسى وأصحابه ، قاله الحسن[٤٥٤].

قوله تعالى:{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [التوبة : ٩٢]، أي:" وكذلك لا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدوابِّ"[٤٥٥].

عن الحسن، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «لقد خلفتم بالمدينة أقواما، ما أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديا، ولا نلتم من عدو نيلا، إلا وقد شاركوكم في الأجر، ثم قرأ: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد}، الآية"[٤٥٦].

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر الكلاعي، قالا:" دخلنا على عرباض بن سارية السلمي، وثنا محمد بن عوف ثنا محمد بن أسد ثنا الوليد ثنا عبد الله بن العلاء، ثنا يحيى بن أبي المطاع ثنا عرياض، وهو الذي نزل فيه: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا}، فسلمنا وقلنا: إنا جئناك زائرين وعائدين ومقتبسين"[٤٥٧].

عن أبي العالية، عن عبد الله بن مغفل:" وكان أحد هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه} الآية"[٤٥٨].

عن مجاهد، قوله:"{ولا على الذين إذا ما أتوك}، هم بنو مقرن من مزينة"[٤٥٩].

روي عن الحسن بن عطية قال: "سمعت الحسن بن صالح يقول في هذه الآية: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم}، قال: استحملوه النعال"[٤٦٠].

عن كثير بن عبد الله بن عمرو المزني: ""وكان إذا حدث قال: أبي والله، يعني جده عمرا- أحد النفر الذين أنزل الله فيهم: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا}، الآية"[٤٦١].

---

(٤٤٩) أخرجه الطبري(١٧٠٨٨):ص٤٢٣/١٤.
(٤٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٨٩):ص٤٢٣/١٤.
(٤٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٠):ص١٨٦٣/٦-١٨٦٤. كذا الترقيم بالمطبوع!
(٤٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٠):ص١٨٦٣/٦-١٨٦٤. كذا الترقيم بالمطبوع!
(٤٥٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٢):ص١٨٦٢/٦.
(٤٥٤) النكت والعيون:٣٩٢/٢.
(٤٥٥) الكشاف:٣٠١/٢.
(٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٣/٦.
(٤٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١).:ص١٨٦٢/٦
(٤٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٢).:ص١٨٦٢/٦
(٤٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣).:ص١٨٦٢/٦
(٤٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٦٣/٦.
(٤٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٣/٦-١٨٦٤.

عن إبراهيم بن أدهم في قوله: "{ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم}، قال: ما سألوه الخيل، ما سألوه إلا النعال"[٤٦٢]. وروي عن الحسن نحوه[٤٦٣].

قال إبراهيم:" ما سألوه الخيل، ما سألوه إلا النعال"[٤٦٤].

قوله تعالى:{تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة : ٩٢]، أي:" فانصرفوا عنك، وقد فاضت أعينهم دَمعًا أسفًا على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه; لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله"[٤٦٥].

قال السدي:" فبكوا حزنا {أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}"[٤٦٦].

القرآن

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)} [التوبة : ٩٣]

التفسير:

إنما الإثم واللوم على الأغنياء الذين جاءوك -أيها الرسول- يطلبون الإذن بالتخلف، وهم المنافقون الأغنياء اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعذار، وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك.

قوله تعالى:{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [التوبة : ٩٣]، أي:" اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعذار"[٤٦٧].

عن الحسن[٤٦٨]، ومجاهد[٤٦٩]، وعكرمة[٤٧٠]، وقتادة[٤٧١]، وشمر بن عطية[٤٧٢]، وأبي مالك[٤٧٣]، والضحاك[٤٧٤]، والسدي[٤٧٥]،{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}، قالوا: "النساء".

قال السدي:" رضوا بأن يقعدوا كما قعدت النساء"[٤٧٦].

قوله تعالى:{وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [التوبة : ٩٣]، أي:" وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان"[٤٧٧].

قال سعيد المقبري :" ختم على قلوبهم"[٤٧٨].

عن قتادة، قوله: "{وطبع على قلوبهم}، أي: بأعمالهم فهم لا يفقهون"[٤٧٩].

القرآن

{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)} [التوبة : ٩٤]

---

(٤٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٦٣/٦.

(٤٦٣) النكت والعيون:٣٩٢/٢.

(٤٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٦٣/٦.

(٤٦٥) الكشاف:٣٠١/٢.

(٤٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠١):ص١٨٦٤/٦

(٤٦٧) الكشاف:٣٠١/٢.

(٤٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٩):ص٤١٤/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٧٠):ص٤١٤/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧١) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٨):ص٤١٣/١٤-٤١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٦٦):ص٤١٣/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٥٩/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٤)تفسير الطبري(١٧٠٦٧):ص٤١٣/١٤.

(٤٧٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٥٩/٦.

(٤٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٥٩/٦.

(٤٧٧) الكشاف:٣٠١/٢.

(٤٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٥٩/٦.

(٤٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٥٩/٦.

التفسير:
يعتذر إليكم -أيها المؤمنون- هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالأكاذيب عندما تعودون مِن جهادكم من غزوة (تبوك) ، قل لهم -أيها الرسول-: لا تعتذروا لن نصدقكم فيما تقولون، قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم، وسيرى الله عملكم ورسوله، إن كنتم تتوبون من نفاقكم، أو تقيمون عليه، وسيُظهر للناس أعمالكم في الدنيا، ثم ترجعون بعد مماتكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها، ويجازيكم عليها.

قوله تعالى:{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} [التوبة : ٩٤]، أي:" يعتذر إليكم -أيها المؤمنون- هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالأكاذيب عندما تعودون مِن جهادكم من غزوة (تبوك)"[٤٨٠].

قال محمد بن إسحاق:" ثم ذكر حلفهم للمسلمين، واعتذارهم إليهم، يعني قوله: {يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم}"[٤٨١].

قوله تعالى:{قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} [التوبة : ٩٤]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: لا تعتذروا لن نصدقكم فيما تقولون، قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم "[٤٨٢].

قال السدي: "فأخبرنا أنكم لو خرجتم ما زدتمونا إلا خبالا"[٤٨٣].

قوله تعالى:{وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة : ٩٤]، أي:" وسيرى الله عملكم ورسوله، إن كنتم تتوبون من نفاقكم، أو تقيمون عليه"[٤٨٤].

قال السدي: " فسيرون ما تفعلون"[٤٨٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة : ٩٤]، أي:" ثم ترجعون بعد مماتكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها، ويجازيكم عليها"[٤٨٦].

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٤٨٧].

القرآن

{سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥)} [التوبة : ٩٥]

التفسير:
سيحلف لكم المنافقون بالله -كاذبين معتذرين- إذا رجعتم إليهم من الغزو; لتتركوهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقارًا لهم، إنهم خبثاء البواطن، ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة نار جهنم; جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا.

قوله تعالى:{سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ} [التوبة : ٩٥]، أي:" سيحلف لكم المنافقون بالله -كاذبين معتذرين- إذا رجعتم إليهم من الغزو; لتتركوهم دون مساءلة"[٤٨٨].

قال مجاهد:"المنافقون"[٤٨٩].

قوله تعالى:{فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ} [التوبة : ٩٥]، أي:" فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقارًا لهم، إنهم خبثاء البواطن"[٤٩٠].

---

(٤٨٠) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٢):ص١٨٦٤/٦.
(٤٨٢) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٦٤/٦.
(٤٨٤) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٦٤/٦.
(٤٨٦) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٤٨٨) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٥/٦.
(٤٩٠) التفسير الميسر:٢٠٢.

عن موسى بن عبد العزيز، قال: "سألت الحكم قلت: قوله: {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس}، قال: حدثني عكرمة قال: قال محاش بن عويمر: إن كانوا هم أرجاسا فنحن أشر من الحمير، ففيهم نزلت هذه الآية، فسأله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما قلت؟ فقال: لم أقل شيئا فسأله، فقال: ما قلت شيئا فقال: لا جرم كيف لا أعترف وقد جاء بها جبريل عليه السلام من السماء؟!"[٤٩١].

قال السدي:" لما خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خلف عليا بعده ولم يخرج به معه فخاض الناس فقالوا: إنما خلفه لسخطه، فأدركه علي في الطريق فأخبره بما قال المنافقون فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لعلي- رضي الله عنه-: إن موسى لما ذهب إلى ربه استخلف هارون، وإني أستخلفك بعدي أفما ترضى أن تكون مني كمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، قال: بلى يا رسول الله، فلما رجع استقبله علي، فأردفه النبي- صلى الله عليه وسلم- خلفه وقال: لعن الله المنافقين والمخالفين، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعلي قائم خلفه يلعن المنافقين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين: لا تكلموهم ولا تجالسوهم، فأعرضوا عنهم كما أمركم الله عز وجل"[٤٩٢].

القرآن

{يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)} [التوبة : ٩٦]

التفسير:

يحلف لكم -أيها المؤمنون- هؤلاء المنافقون كذبًا; لتَرضَوا عنهم، فإن رضيتم عنهم -لأنكم لا تعلمون كذبهم- فإن الله لا يرضى عن هؤلاء ولا غيرهم ممن استمروا على الفسوق والخروج عن طاعة الله ورسوله.

قوله تعالى:{يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ} [التوبة : ٩٦]، أي:" يحلف لكم -أيها المؤمنون- هؤلاء المنافقون كذبًا; لتَرضَوا عنهم"[٤٩٣].

عن مجاهد، قوله:" {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا}إلى قوله: {الْفَاسِقِينَ}، قال: في المنافقين"[٤٩٤].

القرآن

{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)} [التوبة : ٩٧]

التفسير:

الأعراب سكان البادية أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحاضرة، وذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وبُعدهم عن العلم والعلماء، ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام. والله عليم بحال هؤلاء جميعًا، حكيم في تدبيره لأمور عباده.

قوله تعالى:{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} [التوبة : ٩٧]، أي:" الأعراب سكان البادية أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحاضرة، وذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وبُعدهم عن العلم والعلماء، ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام"[٤٩٥].

وروي عن قتادة قوله: "{وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله}، قال: هم أقل علمًا بالسُّنن"[٤٩٦].

عن إبراهيم قال: "جلس أعرابي إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوَنْد، فقال: والله إنّ حديثك ليعجبني، وإن يدك لَتُرِيبُني! فقال زيد: وما يُرِيبك من يدي؟ إنها الشمال! فقال

---

(٤٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٦٥/٦.
(٤٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٦٥/٦.
(٤٩٣) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٨):ص١٨٦٨/٦.
(٤٩٥) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٤٩٦) أخرجه الطبري(١٧٠٩٢):ص٤٢٩/١٤.

الأعرابي: والله ما أدري، اليمينَ يقطعون أم الشمالَ؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله: {الأعرابُ أشدُّ كفرًا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزلَ الله على رسوله}"[٤٩٧].

وفي رواية عن إبراهيم، قال: "كان زيد بن صوحان يحدث، فقال أعرابي: إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريني فقال: أما تراها الشمال؟ فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أم الشمال؟ قال زيد: صدق الله {الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله}"[٤٩٨].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٩٧]، أي:" والله عليم بحال هؤلاء جميعًا، حكيم في تدبيره لأمور عباده"[٤٩٩].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٥٠٠].

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥٠١].

عن محمد بن جعفر بن الزبير، قوله: "{حكيم}، قال: الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٥٠٢].

القرآن

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨)} [التوبة : ٩٨]

التفسير:

ومن الأعراب مَن يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثوابًا، ولا يدفع عن نفسه عقابًا، وينتظر بكم الحوادث والآفات، ولكن السوء دائر عليهم لا بالمسلمين. والله سميع لما يقولون عليم بنياتهم الفاسدة.

قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا} [التوبة : ٩٨]، أي:" ومن الأعراب مَن يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثوابًا، ولا يدفع عن نفسه عقابًا"[٥٠٣].

قال السدي:" فيعد ما ينفق في سبيل الله غرامة يغرمها"[٥٠٤].

قوله تعالى:{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} [التوبة : ٩٨]، أي:" وينتظر بكم الحوادث والآفات، ولكن السوء دائر عليهم لا بالمسلمين"[٥٠٥].

عن السدي: {وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ}، قال: " ويتربص بمحمد- صلى الله عليه وسلم- الهلاك"[٥٠٦].

عن محمد بن إسحاق: "{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} ، أي: من صدقة، أو نفقة في سبيل الله، {عليهم دائرة السوء}"[٥٠٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة : ٩٨]، أي:" والله سميع لما يقولون عليم بنياتهم"[٥٠٨].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٥٠٩].

القرآن

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)} [التوبة : ٩٩]

---

(٤٩٧) أخرجه الطبري(١٧٠٩٣):ص٤٢٩/١٤.
(٤٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٩):ص١٨٦٦/٦.
(٤٩٩) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٥٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٥٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٥٠٣) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٧/٦.
(٥٠٥) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٧/٦.
(٥٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٣):ص١٨٦٧/٦.
(٥٠٨) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥٠٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

التفسير:
ومن الأعراب مَن يؤمن بالله ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصدًا بها رضا الله ومحبته، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى، سيدخلهم الله في جنته. إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم.
سبب النزول:
عن البختريّ بن المختار العبدي قال، "سمعت عبد الرحمن بن معْقل قال: كنا عشرة ولد مقرّن، فنزلت فينا: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، إلى آخر الآية"(٥١٠).
وروي عن مجاهد قوله: "{ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، قال: هم بنو مقرِّن، من مزينة، وهم الذين قال الله فيهم: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا}"(٥١١).
قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٩٩]، أي:" ومن الأعراب مَن يؤمن بالله ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب"(٥١٢).
قال مجاهد:" هم بنو مقرن من مزينة"(٥١٣).
عن عكرمة والحسن في قول الله في براءة: "{الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم}، قد استثنى فقال: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول}، إلى قوله: {غفور رحيم}"(٥١٤).
قوله تعالى:{وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ} [التوبة : ٩٩]، أي:" ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصدًا بها رضا الله ومحبته، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له"(٥١٥).
عن قتادة: "{وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ}: دعاء الرسول- صلى الله عليه وسلم-"(٥١٦).
و«الصّلاة» من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦] . وقال: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ} [الأحزاب: ٤٣]، وقال: {أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} [البقرة: ١٥٧] أي: مغفرة، وقال النبي، صلّى الله عليه وسلم: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»(٥١٧)، يريد: ارحمهم واغفر لهم"(٥١٨).
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ٩٩]، أي:" ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى، سيدخلهم الله في جنته، إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم"(٥١٩).

---

(٥١٠) أخرجه الطبري(١٧٠٩٨):ص٤٣٣/١٤.
(٥١١) أخرجه الطبري(١٧٠٩٧):ص٤٣٣/١٤.
(٥١٢) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٦):ص١٨٦٧/٦.
(٥١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٧):ص١٨٦٧/٦.
(٥١٥) التفسير الميسر:٢٠٢.
(٥١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٩):ص١٨٦٧/٦، والطبري(١٧٠٩٦):ص٤٣٣/١٤.
(٥١٧)أخرجه البخاري في الزكاة ٢/ ١٥٩، ومسلم في الزكاة حديث ١٧٦، والنسائي في الزكاة باب ٧، وابن ماجه حديث ١٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٣، ٣٥٥- ٣٨١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٥٢، ٤/ ١٥٧، ٧/ ٥، والبغوي في شرح السنة ٣/ ١٤٥، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٤٦، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٨٢، ١٥/ ١١٨، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٢٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤/ ١٦٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٧٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٩، ١٤/ ٢٣٥، والساعاتي في منحة المعبود ٨٣٣، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٤٨٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٥٦، والقاضي عياض في الشفاء ٢/ ١٨٩، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٤٤٨، ٥٣٤، ١١/ ١٣٦، ١٦٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٠، وابن حجر في الكافي والشافي في تخريج أحاديث الكشاف ٧٩، ١٣٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٥١٩، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٢٢.
(٥١٨) تأويل مشكل القرآن:٢٥٥.
(٥١٩) التفسير الميسر:٢٠٢.

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٥٢٠].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٥٢١].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٥٢٢].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٥٢٣].

القرآن

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)} [التوبة : ١٠٠]

التفسير:

والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه الكفار، والذين اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين رضي الله عنهم لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم، وأعدَّ لهم جنات تجري تحت قصورها وأشجارها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ذلك هو الفلاح العظيم.

قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة : ١٠٠]، أي:" والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه الكفار"[٥٢٤].

واختلف في المعنيين في قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة : ١٠٠]، على خمسة اقوال:

أحدها : أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قاله سعيد بن المسيب[٥٢٥]، وابن سيرين[٥٢٦]،والحسن [٥٢٧]، وقتادة[٥٢٨]، والشعبي-في إحدى الروايات[٥٢٩].

الثاني : أنهم الذين بايعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيعة الرضوان ، قاله الشعبي[٥٣٠]، وابن سيرين- في إحدى الروايات[٥٣١].

الثالث : أنهم أهل بدر ، قاله عطاء[٥٣٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} [التوبة : ١٠٠]، أي:" والذين اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى"[٥٣٣].

عن قتادة قوله: "{والذين اتبعوهم بإحسان}، قال: التابعون"[٥٣٤].

---

(٥٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٥٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٥٢٢)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٥٢٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٥٢٤) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٧١٠٩)-(١٧١١٢):ص٤٣٦/١٤-٤٣٧.

(٥٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٧١١٣):ص٤٣٧/١٤.

(٥٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٦٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٧١١٥):ص٤٣٧/١٤.

(٥٢٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٦٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٠٩٩)-(١٧١٠٦):ص٤٣٥/١٤-٤٣٦.

(٥٣١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٦٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٣٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٩٥/٢.

(٥٣٣) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٥):ص١٨٦٩/٦.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأولون، والذين اتبعوهم بإحسان ... ، والذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فأحسن ما نكون أن نكون بهذه المنزلة"(٥٣٥).

عن محمد بن كعب قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية : {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان} ، قال : من أقرأك هذه الآية ؟ قال : أقرأنيها أبيّ بن كعب. قال : لا تفارقني حتى أذهب بك إليه ! فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال : نعم! قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال : [نعم!]. لقد كنتُ أرانا رُفِعنا رَفْعَةً لا يبلُغها أحدٌ بعدنا! فقال أبيّ : تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة : {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } [سورة الجمعة : ٣] ، وأوسط الحشر :{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ} [سورة الحشر : ١٠] ، وأما آخر الأنفال : {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} [سورة الأنفال : ٧٥]"(٥٣٦).

وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ : "«والأنْصَارُ»، بالرفع ، عطفًا بهم على {السابقين}"(٥٣٧).

قوله تعالى:{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة : ١٠٠]، أي:"أولئك الذين رضي الله عنهم لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم"(٥٣٨).

روي عن أبي صخر حميد بن زياد، أنه قال: "قلت يوما لمحمد ابن كعب القرظي: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما كان بينهم، وإنما أريد الفتن، فقال لي: إن الله -عز وجل- قد غفر لجميع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-[وأوجب لهم الجنة، في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة؟ قال: سبحان الله! ألا تقرأ قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} إلى آخرها، فأوجب الله لجميع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطًا لم يشرطه عليهم، قلت: وما ذلك الشرط؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول: فاقتدوا بأعمالهم الحسنة ولا تقتدوا بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: فوالله لكأني لم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب"(٥٣٩).

قوله تعالى:{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة : ١٠٠]، أي:" وأعدَّ لهم جنات تجري تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٥٤٠).

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٥٤١).

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [التوبة : ١٠٠]، أي:" مقيمين فيها من غير انتهاء"(٥٤٢).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٥٤٣).

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ١٠٠]، أي:" ذلك هو الفلاح العظيم"(٥٤٤).

عن سعيد بن جبير قوله: "{ذلك الفوز العظيم}، يعني: ذلك الثواب، الفوز العظيم"(٥٤٥).

القرآن

---

(٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٣):ص١٨٦٨/٦.

(٥٣٦) أخرجه الطبري(١٧١١٦):ص٤٣٧/١٤-٤٣٨.

(٥٣٧) انظر: تفسير الطبري:٤٣٩/١٤.

(٥٣٨) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٣٩)أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر كما في "الدر المنثور" ٣/ ٤٨٥ - ٤٨٦، وذكره الواحدي في "البسيط": ٢٥/١١-٢٦، والبغوي في "تفسيره" ٤/ ٨٨ بغير سند.

(٥٤٠) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٥٤٢) صفوة التفاسير:٥٢٠/١.

(٥٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٥٤٤) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٨٦٩/٦.

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)} [التوبة : ١٠١]

التفسير:

ومن القوم الذين حول (المدينة) أعراب منافقون، ومن أهل (المدينة) منافقون أقاموا على النفاق، وازدادوا فيه طغيانًا، بحيث يخفى عليك -أيها الرسول- أمرهم، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين: بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يُرَدُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم.

قوله تعالى:{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ} [التوبة : ١٠١]، أي:" ومن القوم الذين حول (المدينة) أعراب منافقون"(٥٤٦).

عن عكرمة : "{وممن حولكم من الأعراب}، قال: جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار"(٥٤٧).

قوله تعالى:{وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} [التوبة : ١٠١]، أي:" ومن أهل المدينة منافقون أيضا لجوا في النفاق واستمروا عليه"(٥٤٨).

عن محمد بن إسحاق:" {مردوا على النفاق}، أي: لجوا فيه وأبوا"(٥٤٩).

قوله تعالى:{لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} [التوبة : ١٠١]، أي:" لا تعلمهم أنت يا محمد لمهارتهم في النفاق بحيث يخفى أمرهم على كثيرين، ولكن نحن نعلمهم ونخبرك عن أحوالهم"(٥٥٠).

عن قتادة في قوله: "{وممن حولكم من الأعراب} إلى قوله: {لا تعلمهم نحن نعلمهم}، قال قتادة: فما بال أقوام يتكلفون على الناس؟ يقول: فلان في الجنة، وفلان في النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري، لعمري لأنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه نبي، قال نبي الله نوح- صلى الله عليه وسلم- { وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(٥٥١)، وقال نبي الله شعيب- صلى الله عليه وسلم- {بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(٥٥٢)، وقال الله لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- {لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}(٥٥٣)"(٥٥٤).

قوله تعالى:{سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} [التوبة : ١٠١]، أي:" سنعذبهم مرتين: بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت"(٥٥٥).

وفي تفسير قوله تعالى:{سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} [التوبة : ١٠١]، وجوه:

أحدها : أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين ، والآخر عذاب القبر ، قاله أبو مالك(٥٥٦).

عن أبي مالك : "{سنعذبهم مرتين}، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين ، فيعذبهم بلسانه ، قال : وعذاب القبر"(٥٥٧).

الثاني : أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب القبر ، قاله الحسن(٥٥٨)، و قتادة(٥٥٩)، وابن جريج(٥٦٠).

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين ، فقال : " ستة منهم تكفيكَهم الدُّبيلة ، سِراج من نار جهنم ، يأخذ في كتف أحدهم حتى تُفضي إلى صدره، وستة يموتون موتًا. ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله ، كان إذا مات رجل يرى أنه منهم، نظر إلى حذيفة،

---

(٥٤٦) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٥٤٧) الدر المنثور: ٢٧٣/٤، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٥٤٨) صفوة التفاسير:٥٢١/١.
(٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٦٩/٦.
(٥٥٠) صفوة التفاسير:٥٢١/١.
(٥٥١)[الشعراء : ١١٢].
(٥٥٢)[هود : ٨٦].
(٥٥٣)[التوبة : ١٠١].
(٥٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص١٨٧٠/٦.
(٥٥٥) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٥٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٧١٢٣):ص٤٤٢/١٤.
(٥٥٧) أخرجه الطبري(١٧١٢٣):ص٤٤٢/١٤.
(٥٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣١):ص٤٤٣/١٤.
(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٠):ص٤٤٣/١٤.
(٥٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٣):ص٤٤٤/١٤.

فإن صلى عليه، وإلا تركه. وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشُدُك الله ، أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أومِن منها أحدًا بعدك!"[٥٦١].

الثالث : أن احدهما القتل والسِّبَاء, قاله مجاهد-في إحدى الروايات-[٥٦٢].

الرابع : أن احدهما الجوع، والآخر عذاب القبر. وهو مروي عن مجاهد أيضا[٥٦٣].

الخامس : أن احدهما الجوع، والآخر القتل. وهو مروي عن مجاهد أيضا[٥٦٤].

السادس : أن احدهما الخوف، والآخر القتل. وهو مروي عن مجاهد في رواية يحيى بن آدم[٥٦٥].

السابع : أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذي يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذاباً . قال الحسن[٥٦٦].

الثامن : أن إحدى المرتين: عذابُهم بما يدخل عليهم من الغَيْظِ في أمر الإسلام. قاله ابن إسحاق[٥٦٧].

قال ابن إسحاق:" العذاب الذي وعدَهم مرتين ، فيما بلغني ، غَمُّهم بما هم فيه من أمر الإسلام ،وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسْبة ، ثم عذابهم في القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذي يردُّون إليه ، عذابُ الآخرة ، والخُلْد فيه"[٥٦٨].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلا يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأيٍّ ذلك من أيٍّ. غير أن في قوله جل ثناؤه : (ثم يردّون إلى عذاب عظيم) ، دلالة على أن العذاب في المرَّتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر"[٥٦٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة : ١٠١]، أي:" ثم يُرَدُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم"[٥٧٠].

عن الربيع بن أنس:"{ثم يردون إلى عذاب عظيم}، قال: عذاب جهنم"[٥٧١]. وروي عن قتادة: نحو ذلك[٥٧٢].

قال محمد بن إسحاق: "العذاب العظيم الذي يردون إليه: عذاب النار والخلد فيه"[٥٧٣].

القرآن

{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)} [التوبة : ١٠٢]

التفسير:

وآخرون من أهل (المدينة) وممن حولها، اعترفوا بذنوبهم وندموا عليها وتابوا منها، خلطوا العمل الصالح -وهو التوبة والندم والاعتراف بالذنب وغير ذلك من الأعمال الصالحة- بآخر سيِّئ -وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأعمال السيئة- عسى الله أن يوفقهم للتوبة ويقبلها منهم. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

---

(٥٦١) أخرجه الطبري(١٧١٣٠):ص٤٤٣/١٤.

(٥٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٧١٢٤):ص٤٤٢/١٤.

(٥٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٧١٢٥):ص٤٤٢/١٤.

(٥٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٧١٢٧):ص٤٤٢/١٤.

(٥٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٧١٢٦):ص٤٤٢/١٤.

(٥٦٦) انظر: تفسير الطبري:٤٤٤/١٤.

(٥٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٥):ص٤٤/١٤-٤٤٥.

(٥٦٨) أخرجه الطبري(١٧١٣٥):ص٤٤/١٤-٤٤٥.

(٥٦٩) تفسير الطبري:٤٤٥/١٤.

(٥٧٠) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠١):ص١٨٧١/٦.

(٥٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٧١/٦.

(٥٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص١٨٧١/٦.

القول الأول: أنها نزلت في سبعة من الأنصار منهم أو لبابة بن عبد المنذر ، وأوس بن ثعلبة ، ووديعة بن حزام ، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزاة تبوك ، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن عفا عنهم ، فلما عاد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بهم وكانوا على طريقة فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال : لأ أعذُرُهُمْ وَلاَ أُطْلِقُهم حَتَّى يَكونَ اللَّهَ تَعالَى هُوَ الَّذِيَ يَعْذُرُهم وَيُطْلِقُهُمْ. فنزلت هذه الآية فيهم فأطلقهم ، وهذا قول ابن عباس(٥٧٤).

عن ابن عباس قوله:"{وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا}، قال : كانوا عشرة رَهْطٍ تخلّفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضرَ رُجوع النبي صلى الله عليه وسلم ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد ، فكان ممرّ النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم فلما رآهم قال : " من هؤلاء الموثِقُون أنفسهم بالسواري ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحابٌ له تخلفوا عنك ، يا رسول الله ، [وحلفوا لا يطلقهم أحد] ، حتى تطلقهم ، وتعذرهم. فقال النبي عليه السلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا ! فأنزل الله تبارك وتعالى : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم}، و «عسى» من الله واجب. فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعَذَرَهُم"(٥٧٥).

وروي عن ابن عباس أيضا قوله : "{وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله}، إلى قوله : {إن الله غفور رحيم}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكّروا وندموا ، وأيقنوا بالهلكة ، وقالوا : " نكون في الكِنِّ والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد! والله لنوثقنّ أنفسنا بالسّواري ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرُنا " ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد ، وبقي ثلاثةُ نفرٍ لم يوثقوا أنفسهم. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلممن غزوته ، وكان طريقه في المسجد ، فمرَّ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسواري ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عني ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ! فأنزل الله برحمته : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}، و«عسى» من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعذرَهم ، وتجاوز عنهم"(٥٧٦).

والقول الثاني : أنها نزلت في ابي لبابة وحده، وفي سبب نزولها وجهان:

أحدهما: أنها نزلت فيه وذلك حين قال لبني قريظة -حين أرادوا النزول على حكم النبي -صلى الله عليه وسلم- -إنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه ، قاله مجاهد(٥٧٧).

عن مجاهد : "ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لا أحلُّ نفسي حتى يحلني الله ورسوله ! قال : فحلّه النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه أنزلت هذه الآية : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا}، الآية"(٥٧٨).

الثاني:أنها نزلت في أبي لبابة ، بسبب تخلفه عن تبوك. وهذا قول الزهري(٥٧٩).

قال الزهري:" : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لا أحلّ نفسي منها ، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا ، حتى أموت أو يتوب الله عليّ ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا ، حتى خرّ مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد

---

(٥٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٦):ص٤٤٧/١٤-٤٤٨.
(٥٧٥) أخرجه الطبري(١٧١٣٦):ص٤٤٧/١٤-٤٤٨.
(٥٧٦) أخرجه الطبري(١٧١٣٧):ص٤٤٨/١٤-٤٤٩.
(٥٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٧١٤٤)(١٧١٤٨):ص٤٥١/١٤-٤٥٢.
(٥٧٨) أخرجه الطبري(١٧١٤٧):ص٤٥١/١٤-٤٥٢.
(٥٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٧١٤٩):ص٤٥٢/١٤.

تيب عليك يا أبا لبابة! فقال : والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني ! قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده. ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ، إنّ من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله! قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث[٥٨٠].

والقول الثالث: أنها نزلت في الأعراب. وهذا القول مروي عن ابن عباس أيضا[٥٨١].

عن ابن عباس : "{وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا}، قال : إنهم من الأعراب"[٥٨٢].

قوله تعالى:{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} [التوبة : ١٠٢]، أي:" وآخرون من أهل (المدينة) وممن حولها، اعترفوا بذنوبهم وندموا عليها وتابوا منها، خلطوا العمل الصالح - وهو التوبة والندم والاعتراف بالذنب وغير ذلك من الأعمال الصالحة- بآخر سيِّئ -وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأعمال السيئة"[٥٨٣].

واختلف في هؤلاء المعنيين في الآية، على أقوال:

أحدها :أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك: فأما الذين خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا، فهم: جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار. وهذا قول قتادة[٥٨٤].

وقال قتادة:" هم نفر ممن تخلف عن تبوك، منهم: أبو لبابة، ومنهم: جد بن قيس، تيب عليهم، قال قتادة ليسوا بالثلاثة"[٥٨٥].

الثاني: أنهم كانوا خمسة: هلال ، وأبو لبابة ، وكردم ، ومرداس ، وأبو قيس. وهذا القول مروي عن سعيد[٥٨٦].

الثالث: عني بهذه الآية أبو لبابة خاصة، وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه فيه، ما كان من أمره في بني قريظة. وهذا قول مجاهد[٥٨٧].

قال مجاهد:" نزلت في رجل واحد في أبي لبابة"[٥٨٨].

عن مجاهد:" {وآخرون اعترفوا بذنوبهم}: أبو لبابة حين قال: لقريظة ما قال، أشار بيده إلى حلقه: إن محمدا ذابحكم إن نزلتم إليه على حكمه"[٥٨٩].

وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك ، قولُ من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الجهادَ معه ، والخروجَ لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة ، أحدهم أبو لبابة، وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم}، فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترفُ بذنبه ، الموثقُ نفسه بالسارية في حصار قريظة ، غير أبي لبابة وحده. فإذ كان ذلك كذلك، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم}، بالاعتراف بذنوبهم جماعةً ، عُلِم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعة فعلت ذلك ، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل ، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحَّ ما قلنا في ذلك. وقلنا : " كان منهم أبو لبابة " ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"[٥٩٠].

وفي قوله تعالى:{خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} [التوبة : ١٠٢]، ثلاثة وجوه:

---

(٥٨٠) أخرجه الطبري(١٧١٤٩):ص٤٥٢/١٤.
(٥٨١) انظر: تفسير الطبري(١٧١٥٠):ص٤٥٢/١٤.
(٥٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٧١٥٠):ص٤٥٢/١٤.
(٥٨٣) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٥٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٧١٤٠):ص٤٤٩/١٤-٤٥٠.
(٥٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٨٧٣/٦.
(٥٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٩):٤٤٩/١٤.
(٥٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٧١٤٤):ص٤٥١/١٤.
(٥٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٨٧٣/٦.
(٥٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٧٣/٦.
(٥٩٠) تفسير الطبري:٤٥٣/١٤.

أحدها : أن الصالح : غزوهم مع النبي-صلى الله عليه وسلم- ، والسيء ، تخلفهم عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قاله السدي[٥٩١].

الثاني : أن السيىء : الذنب، والصالح : التوبة ، حكاه الماوردي عن بعض التابعين[٥٩٢].

وروي عن الحسن، في قوله: اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال: تابوا"[٥٩٣].

الثالث : ما قاله الحسن : "ذنباً وسوطاً لا ذهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً"[٥٩٤].

يعني جل ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ : اعترافهم بذنوبهم ، وتوبتهم منها ، والآخر السيئ : هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازيًا ، وتركهم الجهادَ مع المسلمين"[٥٩٥].

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: "يا رسول الله، ثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: رأيت أمتي ضربين، ضرب عليهم ثياب أشد بياضا من القرطاس، وضرب عليهم ثياب رمد، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: أما أصحاب الثياب الرمد: فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا"[٥٩٦].

قال الأحنف بن قيس: "عرضت نفسي على القرآن فلم أجدني بآية أشبه مني بهذه الآية: وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا"[٥٩٧].

قوله تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ١٠٢]، أي:" عسى الله أن يوفقهم للتوبة ويقبلها منهم"[٥٩٨].

قال أبو مالك: " كل شيء في القران: {عسى}، فهو واجب الا حرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ}[٥٩٩]، وفي بني اسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ}[٦٠٠]"[٦٠١]. وروي عن الضحاك[٦٠٢]، والحسن[٦٠٣]، والسدي[٦٠٤]، وابن إسحاق[٦٠٥]، نحو ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٠٢]، أي:" إن الله غفور لعباده، رحيم بهم"[٦٠٦].

قال ابن إسحاق:" أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"[٦٠٧].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٦٠٨]، "{رحيما}، بعباده"[٦٠٩].

القرآن

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)} [التوبة : ١٠٣]

التفسير:

---

(٥٩١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٣)،,(١٠٣٠٥):ص١٨٧٤/٦.

(٥٩٢) انظر: النكت والعيون:٣٩٨/٢.

(٥٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٤):ص١٨٧٤/٦.

(٥٩٤) انظر: النكت والعيون:٣٩٨/٢.

(٥٩٥) تفسير الطبري:٤٤٦/١٤.

(٥٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠١):ص١٨٧٤/٦.

(٥٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص١٨٧٤/٦.

(٥٩٨) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٥٩٩)[التحريم : ٥].

(٦٠٠)[الإسراء : ٨].

(٦٠١)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٢/ ٣٨٣.

(٦٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٦٠٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٦٠٤) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢-٣٤٨.

(٦٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

(٦٠٦) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٠٧) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(٦٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٦٠٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

خذ -أيها النبي- من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا صدقة تطهرهم مِن دنس ذنوبهم، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم. والله سميع لكل دعاء وقول، عليم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كلَّ عامل بعمله.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم يعني أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدّق بها عنا ، واستغفر لنا ! قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا! فأنزل الله : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} ، يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص {وصل عليهم}، يقول : استغفر لهم"[٦١٠].

وروي عن ابن عباس أيضا:" لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدَّق بها عنا ، وصلِّ علينا يقولون : استغفر لنا وطهرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذ منها شيئًا حتى أومر. فأنزل الله : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) ، يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا. فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءًا من أموالهم ، فتصدَّق بها عنهم"[٦١١].

عن الضحاك ، قال : "لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا فتصدَّق به عنا ، وطهِّرنا ، وصلِّ علينا ! يقولون : استغفر لنا فقال نبي الله : لا آخذ من أموالكم شيئًا حتى أومر فيها فأنزل الله عز وجل : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم} ، من ذنوبهم التي أصابوا {وصل عليهم}، يقول : استغفر لهم. ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به"[٦١٢].

عن زيد بن أسلم قال : "لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسَّواري ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ! فأنزل الله : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم}، الآية"[٦١٣].

عن سعيد بن جبير قال : "قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا عنهم : يا نبيّ الله ؛ طهِّر أموالنا ! فأنزل الله : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله ، وكان عَمي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عَمِي"[٦١٤].

قوله تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة : ١٠٣]، أي:" خذ -أيها النبي- من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا صدقة تطهرهم مِن دنس ذنوبهم، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين"[٦١٥].

عن عكرمة: "{خذ من أموالهم صدقة}، قال: من البقر والإبل والغنم، وغيره"[٦١٦].

عن قتادة:"{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}، قال: ذكر لنا أنهم سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك، أما أربعة: فهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، وفيهم قيل: {خذ من أموالهم صدقة}، وكانوا وعدوا الله أن يجاهدوا ويتصدقوا"[٦١٧].

عن الضحاك: "فأنزل الله عز وجل: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}، من ذنوبهم التي أصابوا"[٦١٨].

---

(٦١٠) أخرجه الطبري(١٧١٥٢):ص١٤/٤٥٤-٤٥٥.
(٦١١) أخرجه الطبري(١٧١٥٣):ص١٤/٤٥٥.
(٦١٢) أخرجه الطبري(١٧١٥٧):ص١٤/٤٥٦.
(٦١٣) أخرجه الطبري(١٧١٥٤):ص١٤/٤٥٥.
(٦١٤) أخرجه الطبري(١٧١٥٥):ص١٤/٤٥٥.
(٦١٥) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٦١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص٦/١٨٧٥.
(٦١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص٦/١٨٧٥.
(٦١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص٦/١٨٧٥.

قوله تعالى:{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة : ١٠٣]، أي:" وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم"[٦١٩].

عن السدي، قوله: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ}، يقول: ادع لهم"[٦٢٠].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة : ١٠٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما :أي: وقار لهم ، قاله قتادة[٦٢١].

الثاني: أمن لهم، وهو مروي عن قتادة أيضا[٦٢٢]، ومنه قول الشاعر[٦٢٣]:

يَا جَارَةَ الحَيِّ كُنتِ لي سَكَناً ... إذْ لَيْسَ بعضُ الجِيرَانِ بالسَّكَنِ

وروى عبد الله بن أبي أوفى: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى"[٦٢٤] وفي رواية: "إذا أتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته قال: اللهم صل عليه"[٦٢٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة : ١٠٣]، أي:" والله سميع لكل دعاء وقول، عليم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كلَّ عامل بعمله"[٦٢٦].

قال محمد بن إسحاق:" أي: سميع ما تقولون"[٦٢٧]، عليم بما يخفون"[٦٢٨].

القرآن

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)} [التوبة : ١٠٤]

التفسير:

ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها، وأن الله هو التواب لعباده إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا أنابوا إلى رضاه؟

سبب النزول:

قال ابن زيد: قال الآخرون - يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين-: هؤلاء، يعني الذين تابوا، كانوا بالأمس معنا لا يكلَّمون ولا يجالَسون، فما لهم؟ فقال الله: {إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم}"[٦٢٩].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} [التوبة : ١٠٤]، أي:" ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها"[٦٣٠].

---

(٦١٩) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٥):ص١٨٧٦/٦.

(٦٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٨٧٦/٦.

(٦٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٧٦/٦.

(٦٢٣) لم اقف عليه، والبيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٣٩٩/٢، وأبو حيان في البحر:٥٠٠/٥، ولسمين الحلبي في الدر المصون:١١٧/٦، و١٩٥/١٠.

(٦٢٤)متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٣/ ٣٦١ كتاب الزكاة (٢٤)، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة. . . (٦٤)، الحديث (١٤٩٧)، وأخرجه مسلم في الصحيح ٢/ ٧٥٦ - ٧٥٧ كتاب الزكاة (١٢)، باب الدعاء لمن أتى بصدقة (٥٤)، الحديث (١٧٦/ ١٠٧٨).

(٦٢٥)متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٧/ ٤٤٨ كتاب المغازي (٦٤)، باب غزوة الحديبية. . . (٣٥)، الحديث (٤١٦٦)، وأخرجه مسلم في الصحيح ٢/ ٧٥٧ كتاب الزكاة (١٢)، باب الدعاء لمن أتى بصدقة (٥٤)، الحديث (١٧٦/ ١٠٧٨).

(٦٢٦) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٥):ص١٠٨٦/٤.

(٦٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩١٥):ص١٦٧٤/٥.

(٦٢٩) أخرجه الطبري(١٧١٦٢):ص٤٥٩/١٤.

(٦٣٠) التفسير الميسر:٢٠٣.

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "والذي نفس محمد بيده، لا يتصدق رجلٌ بصدقة فتقع في يد السائل، حتى تقع في يد الله! "[٦٣١].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة : ١٠٤]، أي:" وأن الله هو التواب لعباده إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا أنابوا إلى رضاه"[٦٣٢].

روي عن أبي زرعة قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"[٦٣٣].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٦٣٤].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٦٣٥].

القرآن

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [التوبة : ١٠٥]

التفسير:

وقل -أيها النبي- لهؤلاء المتخلِّفين عن الجهاد: اعملوا لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتناب المعاصي، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسيتبين أمركم، وسترجعون يوم القيامة إلى مَن يعلم سركم وجهركم، فيخبركم بما كنتم تعملون.

قوله تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة : ١٠٥]، أي:" وقل -أيها النبي- لهؤلاء المتخلِّفين عن الجهاد: اعملوا لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتناب المعاصي، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسيتبين أمركم"[٦٣٦].

قال مجاهد:" هذا وعيد"[٦٣٧].

قوله تعالى:{وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة : ١٠٥]، أي:" وسترجعون يوم القيامة إلى مَن يعلم سركم وجهركم، فيخبركم بما كنتم تعملون"[٦٣٨].

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٦٣٩].

قال أهل العلم:"وفي هذا تهديد ووعيد لمن استمر على باطله وطغيانه"[٦٤٠].

القرآن

{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)} [التوبة : ١٠٦]

التفسير:

ومن هؤلاء المتخلفين عنكم -أيها المؤمنون- في غزوة (تبوك) آخرون مؤخرون; ليقضي الله فيهم ما هو قاض. وهؤلاء هم الذين ندموا على ما فعلوا، وهم: مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أُميَّة، إما يعذبهم الله، وإما يعفو عنهم. والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو، حكيم في كل أقواله وأفعاله.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "وكان ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم بالسواري أرجوا سنة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم؟ فأنزل الله تعالى يعني قوله: {وآخرون مرجون لأمر الله}"[٦٤١].

---

(٦٣١) أخرجه الطبري(١٧١٧١):ص٣٦٢/١٤.

(٦٣٢) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٣٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣

(٦٣٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٦٣٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٦٣٦) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٧٣):ص٤٦٣/١٤.

(٦٣٨) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٦٤٠) التفسير الميسر:٢٠٣.

(٦٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٦):ص١٨٧٨/٦.

قوله تعالى:{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ} [التوبة : ١٠٦]، أي:" ومن هؤلاء المتخلفين عنكم -أيها المؤمنون- في غزوة (تبوك) آخرون مؤخرون; ليقضي الله فيهم ما هو قاض"(٦٤٢).

عن مجاهد : "{وآخرون مرجون لأمر الله}، قال : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعيّ ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج"(٦٤٣).

عن قتادة قوله : "{وآخرون مرجون لأمر الله}، قال : كنا نُحدَّث أنهم الثلاثة الذين خُلِّفوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، رهط من الأنصار"(٦٤٤).

عن ابن إسحاق : "{وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم}، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله"(٦٤٥).

عن الضحاك :قوله "{وآخرون مرجون لأمر الله}، هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد : غير أبي لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : " هلكوا " ، حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه، وتقول فرقة أخرى : " عسى الله أن يعفو عنهم ! " ، وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال : {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ}الآية ، وأنزل : {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، الآية"(٦٤٦).

قوله تعالى:{إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ١٠٦]، أي:" إما يعذبهم الله، وإما يعفو عنهم، والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو، حكيم في كل أقواله وأفعاله"(٦٤٧).

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"(٦٤٨).

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٦٤٩).

عن محمد بن جعفر بن الزبير، قوله: "{حكيم}، قال: الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(٦٥٠).

القرآن

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)} [التوبة : ١٠٧]

التفسير:

والمنافقون الذين بنوا مسجدًا; مضارة للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد (قباء) الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل -وهو أبو عامر الراهب الفاسق- ليكون مكانًا للكيد للمسلمين، وليحلفنَّ هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد (قباء) ، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه. وقد هُدِم المسجد وأُحرق.

سبب النزول:

عن ابن عباس قوله : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين}، قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قُباء ، خرج رجالٌ من الأنصار ، منهم : بحزج ، جدُّ عبد الله بن حنيف ، ووديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصاري ، فبَنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحزج ويلك! ما أردت إلى ما أرى! فقال : يا رسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى ! وهو كاذب ، فصدَّقه رسول الله وأراد أن يعذِره ، فأنزل الله : {والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله}، يعني رجلا منهم يقال له " أبو عامر " كان محاربًا لرسول الله صلى الله

---

(٦٤٢) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٦٤٣) أخرجه الطبري(١٧١٧٨):ص٤٦٥/١٤.
(٦٤٤) أخرجه الطبري(١٧١٨٣):ص٤٦٧/١٤.
(٦٤٥) أخرجه الطبري(١٧١٨٥):ص٤٦٧/١٤.
(٦٤٦) أخرجه الطبري(١٧١٧٨):ص٤٦٥/١٤-٤٦٦.
(٦٤٧) التفسير الميسر:٢٠٣.
(٦٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٦٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٦٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون [إذا قدم] أبو عامر أن يصلي فيه ، وكان قد خرج من المدينة محاربًا لله ولرسوله {وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون}"[٦٥١].

عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني : من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة والحاجة والليلة المطِيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ! فقال : إني على جناح سفر وحال شُغْلٍ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قَدْ قَدمنا أتيناكم إن شاء الله ، فصلّينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم ، أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي أو أخاه : عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه ! فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظِرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي ! فدخل [إلى] أهله ، فأخذ سَعفًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل : {والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا}، إلى آخر القصة. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خِذَام بن خالد ، من بني عبيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب ، من بني عبيد ، وهو إلى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير ، من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، وهم من بني ضبيعة وبَحْزَج ، وهو إلى بني ضبيعة وبجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت ، وهو إلى بني أمية ، رهط أبي لبابة بن عبد المنذر"[٦٥٢].

قال ابن زيد في قوله : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل} ، قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم. وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له : " أبو عامر " ، أبو : " حنظلة غسيل الملائكة " ، و " صيفي " ، [واحق]. وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هاربًا هو وابن عبد ياليل ، من ثقيف ، وعلقمة بن علاثة ، من قيس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم. فأما علقمة وابن عبد ياليل ، فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما. وأما أبو عامر ، فتنصر وأقام. قال : وبنى ناسٌ من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : " حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه " ، وتفريقًا بين المؤمنين ، يفرقون به جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء. وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيلُ ، فيقطع بيننا وبين الوادي ، ويحول بيننا وبين القوم ، ونصلي في مسجدنا ، فإذا ذهب السيل صلينا معهم ! قال : وبنوه على النفاق. قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : وألقى الناس عليه التّبن والقُمامة ، فأنزل الله : {والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين} ، لئلا يصلي في مسجد قباء جميعُ المؤمنين {وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل}، أبي عامر {وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون}"[٦٥٣].

وعن مجاهد : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين} ، قال : نزلت في المنافقين، وقوله :{ وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل}، قال : هو أبو عامر الراهب"[٦٥٤].

عن سعيد بن جبير : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا}، قال : هم بنو غنم بن عوف"[٦٥٥].

وقال مقاتل:" نزلت في اثني عشر رجلا من المنافقين وهم من الأنصار كلهم من بني عمرو بن عوف منهم: حرح بن خشف، وحارثة بن عمرو ، وابنه زيد بن حارثة، ونفيل بن الحرث ، ووديعة بن

---

(٦٥١) أخرجه الطبري(١٧١٨٨):ص١٤/٤٧٠-٤٧١.
(٦٥٢) أخرجه الطبري(١٧١٨٦):ص١٤/٤٦٨-٤٦٩.
(٦٥٣) أخرجه الطبري(١٧١٩٩):ص١٤/٤٧٣-٤٧٤.
(٦٥٤) أخرجه الطبري(١٧١٩٢):ص١٤/٤٧٢.
(٦٥٥) أخرجه الطبري(١٧١٩٤):ص١٤/٤٧٢.

ثابت، وحزام بن خالد، ومجمع بن حارثة، قالوا: نبني مسجدا نتحدث فيه وتخلوا فيه فإذا رجع أبو عامر الراهب"[٦٥٦].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١٠٧]، أي:" والمنافقون الذين بنوا مسجدًا; مضارة للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد (قباء) الذي يصلي فيه المسلمون يختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك"[٦٥٧].

عن قتادة قوله : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا}، الآية ، عمد ناسٌ من أهل النفاق ، فابتنوا مسجدًا بقباء ، ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلّي فيه. ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم ، حتى أطلعه الله على ذلك"[٦٥٨].

عن ليث: "أن شقيقًا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر، فقيل له : مسجد بني فلان لم يصلُّوا بعدُ ! فقال : لا أحب أن أصلي فيه ، فإنه بُني على ضرار ، وكل مسجد بُنِيَ ضرارًا أو رياءً أو سمعة ، فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني على ضرار"[٦٥٩].

قوله تعالى:{وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ} [التوبة : ١٠٧]، أي:" وانتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل -وهو أبو عامر الراهب الفاسق- ليكون مكانًا للكيد للمسلمين"[٦٦٠].

عن مجاهد : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا}، قال المنافقون {لمن حارب الله ورسوله}، لأبي عامر الراهب"[٦٦١].

قال قتادة :" وأما قوله : {وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله}، فإنه كان رجلا يقال له : " أبو عامر "، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين ، فقتلوه بإسلامه. قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله : {لا تقم فيه أبدًا لمسجد أسس على التقوى}، الآية"[٦٦٢].

قوله تعالى:{وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} [التوبة : ١٠٧]، أي:" وليحلفنَّ هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد (قباء) "[٦٦٣].

قال السدي:" فحلفوا ما أرادوا به إلا الخير"[٦٦٤].

القرآن

{لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)} [التوبة : ١٠٨]

التفسير:

لا تقم -أيها النبي- للصلاة في ذلك المسجد أبدًا; فإن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم -وهو مسجد (قباء) - أولى أن تقوم فيه للصلاة، ففي هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي. والله يحب المتطهرين.

سبب النزول:

عن ابن عباس قوله : "{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا} ، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدُّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتي بجند من الروم ، فأخرج محمدًا وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام

---

(٦٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٥/٢.
(٦٥٧) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٥٨) أخرجه الطبري(١٧١٩٧):ص٤٧٣/١٤.
(٦٥٩) أخرجه الطبري(١٧٢٠٠):ص٤٧٤/١٤.
(٦٦٠) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٦١) أخرجه الطبري(١٧١٩٠):ص٤٧٢/١٤.
(٦٦٢) أخرجه الطبري(١٧١٩٧):ص٤٧٣/١٤.
(٦٦٣) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٣):ص١٨٨١/٦.

فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبُّ أن تصلي فيه ، وتدعو لنا بالبركة! فأنزل الله فيه : {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} ، إلى قوله : {وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}"[٦٦٥].

وروي عن ابن عباس أيضا:" فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله: {لا تقم فيه أبدا}"[٦٦٦].

قوله تعالى:{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} [التوبة : ١٠٨]، أي:" فإن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم -وهو مسجد (قباء) - أولى أن تقوم فيه للصلاة"[٦٦٧].

وذكروا في هذا المسجد، قولان:

أحدهما : أنه مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في الإسلام ، قاله سعيد بن جبير[٦٦٨]، وابن بريدة[٦٦٩]، وقتادة[٦٧٠]، والضحاك[٦٧١]، وعطية[٦٧٢].

الثاني : أنه كل مسجد بني في المدينة أسس على التقوى ، قاله محمد بن كعب[٦٧٣].

والصواب قول من قال : "هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله[٦٧٤]:

روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : "مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال لي : قال أبي: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيُّ مسجدٍ الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا! فقلت: هكذا سمعت أباك يذكره"[٦٧٥].

قال أهل العلم:" وإذا كان مسجد (قباء) قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كذلك بطريق الأولى والأحرى"[٦٧٦].

قوله تعالى:{فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة : ١٠٨]، أي:" ففي هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي، والله يحب المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة"[٦٧٧].

عن عطاء في قوله: "{يحب المطهرين}، قال: المتطهرين بالماء"[٦٧٨].

عن أبي المنهال قال: "كنت عند أبي العالية فتوضأ أو توضأت، فقلت: إن الله يحب المتطهرين فقال: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب"[٦٧٩].

وروي عن مجاهد قال: "من فعله فليس من المتطهرين، يعني: من أتى امرأته في دبرها"[٦٨٠].

وروي عن الأعمش في قوله: "{والله يحب المطهرين}، قال: التوبة من الذنب، والمتطهر من الشرك"[٦٨١].

---

(٦٦٥) أخرجه الطبري(١٧١٨٧):ص٤٧٠/١٤.
(٦٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٤):ص١٨٨١/٦.
(٦٦٧) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٦٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٢/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(٦٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٢١٥):ص٤٧٩/١٤، وتفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٢/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(٦٧٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٢/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(٦٧١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٢/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(٦٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٢١٤):ص٤٧٨/١٤.
(٦٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٨٨٢/٦.
(٦٧٤) تفسير الطبري:٤٧٩/١٤.
(٦٧٥) أخرجه الطبري(١٧٢٠٦):ص٤٧٧/١٤.
(٦٧٦) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٧٧) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٢):ص١٨٨٣/٦.
(٦٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٣):ص١٨٨٣/٦.
(٦٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٤):ص١٨٨٣/٦.
(٦٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٥):ص١٨٨٣/٦.

القرآن

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)} [التوبة : ١٠٩]

التفسير:

لا يستوي مَن أسَّس بنيانه على تقوى الله وطاعته ومرضاته، ومن أسَّس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبنى مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المسلمين، فأدَّى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم. والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} [التوبة : ١٠٩]، أي:" لا يستوي مَن أسَّس بنيانه على تقوى الله وطاعته ومرضاته، ومن أسَّس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبنى مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المسلمين"[٦٨٢].

قال زيد بن أسلم:" {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ}: هذا مسجد قباء، { خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ}، قال: هذا مسجد الضرار"[٦٨٣].

قوله تعالى:{ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} [التوبة : ١٠٩]، أي:" فأدَّى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم"[٦٨٤].

عن الضحاك قوله: "{فانهار به}، يقول: فخرَّ به"[٦٨٥].

قال قتادة : "ذكر لنا أنه تحفَّرت بقعة منها، فرُؤي منها الدخان"[٦٨٦].

قال قتادة:" والله ما تناهى أن وقع في النار وذكر لنا أنه حفرت فيه بقعة فرئي منها الدخان"[٦٨٧].

قال السدي:" فمضى حين خسف به"[٦٨٨].

قال ابن جريج: "بنو عمرو بن عوف. استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بنيانه، فأذن لهم، ففرغوا منه يوم الجمعة، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد. قال: وانهار يوم الاثنين. قال: وكان قد استنظرهم ثلاثًا، السبت والأحد والاثنين ، {فانهار به في نار جهنم}، مسجد المنافقين، انهار فلم يتناهَ دون أن وقع في النار، قال ابن جريج: ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه، فأبصروا الدخان يخرج منه"[٦٨٩].

عن خلف بن ياسين الكوفي قال: "حججت مع أبي في ذلك الزمان - يعني: زمان بني أمية - فمررنا بالمدينة، فرأيت مسجد القبلتين -يعني مسجد الرسول -وفيه قبلة بيت المقدس، فلما كان زمان أبي جعفر، قالوا: يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة! فهذا البناءُ الذي ترون، جرى على يَدِ عبد الصمد بن علي. ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن، وفيه حجر يخرج منه الدخان، وهو اليوم مَزْبَلة"[٦٩٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة : ١٠٩]، أي:" والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده"[٦٩١].

قال ابن إسحاق:" أي: لا يهديهم في الحجة عند الخصومة، بما هم عليه من الضلالة"[٦٩٢].

قال ابن إسحاق:" {الظالمين}: أي: المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية"[٦٩٣].

---

(٦٨٢) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٧):ص١٨٨٣/٦.
(٦٨٤) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٨٥) أخرجه الطبري(١٧٢٤٥):ص٤٩٢/١٤.
(٦٨٦) أخرجه الطبري(١٧٢٤٦):ص٤٩٢/١٤-٤٩٣.
(٦٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٩٠):ص١٨٨٤/٦.
(٦٨٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٩١):ص١٨٨٤/٦.
(٦٨٩) أخرجه الطبري(١٧٢٤٧):ص٤٩٣/١٤.
(٦٩٠) أخرجه الطبري(١٧٢٥٠):ص٤٩٤/١٤.
(٦٩١) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٦٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٦٤٠):ص٤٩٩/٢.
(٦٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٤):ص١١٥٧/٤.

عن أبي العالية قوله: الظالمين يعني: من أبا أن يقول لا إله إلا الله"[٦٩٤]. وروي عن عكرمة وقتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك[٦٩٥].

القرآن

{لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)} [التوبة : ١١٠]

التفسير:

لا يزال بنيان المنافقين الذي بنوه مضارَّة لمسجد (قباء) شكًا ونفاقًا ماكنًا في قلوبهم، إلى أن تتقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم، أو بندمهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف. والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ١١٠]، أي:" لا يزال بنيان المنافقين الذي بنوه مضارَّة لمسجد (قباء) شكًا ونفاقًا ماكنًا في قلوبهم، إلى أن تتقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم، أو بندمهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف"[٦٩٦].

وفي قوله تعالى:{ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ} [التوبة : ١١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنه شك في قلوبهم ، قاله الحسن[٦٩٧]، وقتادة[٦٩٨]، وإبراهيم[٦٩٩]، والضحاك[٧٠٠]، وسعيد بن أبي عروبة[٧٠١]، ومنه قول النابغة الذبياني[٧٠٢]:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَهَلْ يَأْتَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ?

الثاني: كفر في قلوبهم. وهذا قول السدي [٧٠٣].

عن السدي : "{ريبة في قلوبهم}، قال : كفر. قلت : أكفر مجمّع بن جارية؟ قال : لا ولكنها حَزَازة" [٧٠٤].

الثالث: أن معنى«ريبة في قلوبهم» حزازة في قلوبهم ، قاله السدي-أيضا-[٧٠٥].

الرابع: معناها: ندامة في قلوبهم بما صنعوا. قاله حمزة[٧٠٦].

الخامس:أن المعنى: غيظًا في قلوبهم. قاله حبيب بن أبي ثابت[٧٠٧].

السادس: أن المعنى: غطاء على قلوبهم ، حكاه الماوردي عن حبيب بن أبي ثابت[٧٠٨].

فقوله: { ريبة في قلوبهم}" أي: شكا، وريبا ماكثا في قلوبهم[٧٠٩].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ١١٠]، أي:" إلى أن تتقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم، أو بندمهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف"[٧١٠].

---

(٦٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٥):ص١١٥٧/٤.

(٦٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١١٥٧/٤.

(٦٩٦) التفسير الميسر:٢٠٤.

(٦٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٨):ص٤٩٦/١٤.

(٦٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٢):ص٤٩٥/١٤.

(٦٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٦٥):ص٤٩٧/١٤.

(٧٠٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٧٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٩٧):ص١٨٨٥/٦.

(٧٠٢)ديوانه :٣٥، ولسان العرب (أمم) ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٨، وكتاب العين ٨/ ٤٢٨، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٣٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٤٧، ومجمل اللغة ١/ ١٥٢.

من قصيدته المشهورة في اعتذاره للنعمان. يقول: أيتهجم على الإثم ذو دين، وقد أطاع الله واخبت له، فيحلف لك كاذبا يمين غموس كالتي حلفت بها، لأنفي عن قلبك الريبة في أمري.

(٧٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٨):ص٤٩٦/١٤.

(٧٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٦٢):ص٤٩٦/١٤.

(٧٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٦٣):ص٤٩٧/١٤.

(٧٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٩٨):ص١٨٨٥/٦.

(٧٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٩):ص٤٩٧/١٤.

(٧٠٨) انظر: النكت والعيون:٤٠٥/٢. ولم أقف عليه. وإنما روي عنه:" غيظًا في قلوبهم". كما في القول السابق.

(٧٠٩) تفسير السعدي:٣٥١.

(٧١٠) التفسير الميسر:٢٠٤.

وفي قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ١١٠]، وجهان:
أحدهما : إلا أن يموتوا ، قاله مجاهد[٧١١]، وقتادة[٧١٢]، والضحاك[٧١٣]، حبيب بن أبي ثابت[٧١٤]، والسدي[٧١٥].
الثاني : إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم ، قاله عكرمة[٧١٦].
وذكر أن الحسن كان يقرأ : «إِلى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ»، بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم}[٧١٧].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ١١٠]، أي:" والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه"[٧١٨].
قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٧١٩].
عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٧٢٠].
عن محمد بن جعفر بن الزبير، قوله: "{حكيم}، قال: الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٧٢١].

القرآن
{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)} [التوبة : ١١١]
التفسير:
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم لبذلهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيَقتلون ويُقتَلون، وعدًا عليه حقًا في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفَّى بما عاهد الله عليه، فأظهروا السرور-أيها المؤمنون- ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة : ١١١]، أي:" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم"[٧٢٢].
عن الحسن في قوله: "{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}، قال: هم الذين وفوا ببيعتهم"[٧٢٣].
عن مبارك بن فضالة قال: "سمعت الحسن يقول: اسمعوا رحمكم الله بيعة بايع الله لكل مؤمن، قال الحسن: لا والله ما على ظهر الأرض مؤمن إلا قد دخل في هذه البيعة {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}، الآية"[٧٢٤].
عن سهيل عن كثير، عن الحسن:" أنه كان إذا تلا هذه الآية :{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}، قال: بايعهم والله فأغلى لهم"[٧٢٥].

---

(٧١١) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٤):ص٤٩٦/١٤.
(٧١٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٥٢):ص٤٩٥/١٤.
(٧١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٧١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٧١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٨٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٧١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٠١):ص١٨٨٦/٦.
(٧١٧) انظر: تفسير الطبري:٤٩٧/١٤.
(٧١٨) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٧٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٧٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٧٢٢) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٥):ص١٨٨٦/٦.
(٧٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٦):ص١٨٨٦/٦.
(٧٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٧):ص١٨٨٦/٦.

عن قتادة قوله: "{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم}، الآية. قال: الغزو غزوان: فغزو يطاع الله فيه وينهى فيه عن الفساد، ويحسن فيه مشاركة الشريك فهذا من خير الغزو، وغزو آخر يعصى الله فيه، ويظهر فيه الفساد، وينكل فيه عن العدو ويساء فيه صحابة الصاحب، فهذا من شر الغزو"[٧٢٦].

قوله تعالى:{يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} [التوبة : ١١١]، أي:" إنهم يقاتلون فى سبيل الحق والعدل التي توصل إلى مرضاة الله تعالى ببذل أنفسهم وأموالهم فيكونون إما قاتلين لأعدائه الصادين عن سبيله، وإما مقتولين شهداء فى هذه السبيل "[٧٢٧].

عن سعيد بن جبير في قول الله :"{يقاتلون}، يعني: أن يقاتلوا المشركين، في سبيل الله يعني: في طاعة الله، {فيقتلون}، يعني: العدو {ويقتلون} يعني: المؤمنين"[٧٢٨].

قوله تعالى:{وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} [التوبة : ١١١]، أي:" وعدًا عليه حقًا في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"[٧٢٩].

عن سعيد بن جبير في قوله: "{وعدا عليه حقا}، يعني: ينجز ما وعدهم من الجنة في التوراة والإنجيل والقرآن"[٧٣٠].

عن مبارك قال: "سمعت الحسن يقول في قوله: وعدا عليه حقا قال الحسن: أين قال؟ في التوراة والإنجيل والقرآن"[٧٣١].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} [التوبة : ١١١]، أي:" ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفَّى بما عاهد الله عليه"[٧٣٢].

عن سعيد بن جبير قوله: "{ومن أوفى بعهده من الله}، فليس أحد أوفى بعهده من الله"[٧٣٣].

قوله تعالى:{فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ} [التوبة : ١١١]، أي:" فأظهروا السرور-أيها المؤمنون- ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان"[٧٣٤].

عن سعيد بن جبير :"{فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به} الرب تبارك وتعالى بإقراركم بالعهد الذي ذكره في الآية"[٧٣٥].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ١١١]، أي:" وذلك البيع هو الفلاح العظيم"[٧٣٦].

عن سعيد في قوله عز وجل: "{وذلك}، يعني: الذي ذكر من الثواب في الجنة للقاتل والمقتول هو الفوز العظيم"[٧٣٧].

عن المعرور بن سويد[٧٣٨]، قال: "خرجنا مع عمر في حجة حجها فقرأ هذه الآية: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}، إلى آخر الآية فجعل لهم الصفقتين جميعا"[٧٣٩].

وعن الضحاك بن مزاحم، "وسأله رجل عن قوله: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم}، الآية، قال الرجل: ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل؟ قال: ويلك! أين الشرط؟ {التائبون العابدون}"[٧٤٠] .

---

(٧٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٠):ص١٨٨٧/٦.
(٧٢٧) تفسير المراغي:٣٢/١١.
(٧٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٩):ص١٨٨٧/٦.
(٧٢٩) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١١):ص١٨٨٧/٦.
(٧٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٢):ص١٨٨٧/٦.
(٧٣٢) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٣):ص١٨٨٨/٦.
(٧٣٤) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٤):ص١٨٨٨/٦.
(٧٣٦) التفسير الميسر:٢٠٤.
(٧٣٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٥):ص١٨٨٨/٦ .
(٧٣٨)هو :**معرور بن سويد** -أبو أمية- الأسدي الكوفي، **تابعي** عاش ١٢٠ سنة، أدرك بعض الصحابة، وقد روى عن عمر وأبي ذر **وابن** مسعود، توفي سنة بضع وثمانين هجرية، انظر ترجمته في: "السير" للذهبي: (٤/ ١٧٤) ، و"الطبقات" لابن سعد: (٦/ ١١٨) ، و"تذكرة الحفاظ":٦٧/١، و "تهذيب التهذيب" : (١٥/ ٢٣٠).
(٧٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٤):ص١٨٨٦/٦.

القرآن

{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)} [التوبة : ١١٢]

التفسير:

ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، الذين أخلصوا العبادة لله وحده وجدوا في طاعته، الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر، الصائمون، الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، وينهونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله، المؤدون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه، القائمون على طاعته، الواقفون عند حدوده. وبشِّر -أيها النبي- هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفات برضوان الله وجنته.

قوله تعالى:{التَّائِبُونَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه"(٧٤١).

قال الحسن: "تابوا من الشرك وبروءا من النفاق"(٧٤٢).

عن الضحاك في قوله: "{التائبون}، قال: من الذنوب والشرك"(٧٤٣).

قوله تعالى:{الْعَابِدُونَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" الذين أخلصوا العبادة لله وحده وجدوا في طاعته"(٧٤٤).

وفي قوله تعالى:{الْعَابِدُونَ} [التوبة : ١١٢]، وجوه:

أحدها : العابدون بتوحيد الله تعالى ، قاله سعيد بن جبير(٧٤٥).

الثاني : العابدون بطول الصلاة ، قاله الحسن(٧٤٦).

الثالث: الذين عبدوا الله على أحايينهم كلها ، في السراء والضراء. قاله الحسن أيضا(٧٤٧).

وروي عن الحسن : "{العابدون}، قال : العابدون لربهم"(٧٤٨).

الرابع: العابدون لله عز وجل، قاله الضحاك(٧٤٩).

الخامس: العابدون: قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم. قاله قتادة(٧٥٠).

قوله تعالى:{الْحَامِدُونَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر"(٧٥١).

وفي قوله تعالى:{الْحَامِدُونَ} [التوبة : ١١٢]، وجهان:

أحدهما :الحامدون لله تعالى على أحايينهم كلها، في السرّاء والضرّاء. قاله الحسن(٧٥٢)، وقتادة(٧٥٣).

عن الحسن: "أنه سئل عن هذه الآية :{الحامدون}، قال: مثلها، يعني: يحمدون على أحايينهم كلها في السراء والضراء"(٧٥٤).

الثاني: الحامدون لله تعالى على دين الإسلام ، قاله الحسن-أيضا-(٧٥٥).

---

(٧٤٠) أخرجه الطبري(١٧٢٧١):ص٥٠٠/١٤.

(٧٤١) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٦):ص١٨٨٨/٦.

(٧٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٧):ص١٨٨٨/٦.

(٧٤٤) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٢٢):ص١٨٨٩/٦.

(٧٤٦) انظر:تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠١٩):ص١٨٨٨/٦.

(٧٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٨٠):ص٥٠١/١٤-٥٠٢.

(٧٤٨) أخرجه الطبري(١٧٢٨١):ص٥٠٢/١٤.

(٧٤٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٢١):ص١٨٨٩/٦.

(٧٥٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٢٣):ص١٨٨٩/٦.

(٧٥١) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٨٣):ص٥٠٢/١٤.

(٧٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٨٢):ص٥٠٢/١٤.

(٧٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٢٦):ص١٨٨٩/٦.

قوله تعالى:{السَّائِحُونَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" السائرون في الأرض للغزو أو طلب العلم"[٧٥٦].

وفي قوله تعالى:{السَّائِحُونَ} [التوبة : ١١٢]، أقوال:

أحدها : المجاهدون. وهو ما روى أبو داود وابن ابي حاتم من حديث أبي أمامة :" أن رجلا قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»"[٧٥٧].

وقال ابن مبارك عن عُمارة بن غَزِيَّة : "أن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله ، والتكبير على كل شرف»"[٧٥٨].

الثاني : الصائمون، وهو قول الحسن[٧٥٩]، وأبي عبد الرحمن السلمي[٧٦٠]، وسعيد بن جبير[٧٦١]، ومجاهد[٧٦٢]، وأبي الحسن[٧٦٣]، وأبي عياض[٧٦٤]، وعطاء[٧٦٥]، والضحاك[٧٦٦]، وقتادة[٧٦٧]، ووهب بن منبه[٧٦٨]، والربيع بن أنس[٧٦٩]، وأبي عمرو العبدي[٧٧٠].

عن أبي هريرة قال : "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : {السائحون}، هم الصائمون"[٧٧١].

وروي عن ابن أبي الهذيل قال: "سمعت من سأل أبا عمرو العبدي عن «السائحين»: قال: الذين يديمون الصيام من المؤمنين والرهبان"[٧٧٢].

وروي عن أبي عمرو العبدي قال: "{السائحون}: الصائمون الذين يديمون الصيام"[٧٧٣].

وأصل السائح: "الذاهب في الأرض. ومنه يقال: ماء سائح وسيح: إذا جرى وذهب. والسائح في الأرض ممتنع من الشهوات. فشبه الصائم به. لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح"[٧٧٤].

الثالث : أن السياحة: قيام الليل وصيام النهار. روي عن إسحاق بن سويد عن أبي فاختة مولى جعدة بن هبيرة: "أن عثمان بن مظعون أراد أن ينظر أيستطيع السياحة؟ قال: وكانوا يعدون السياحة قيام الليل وصيام النهار، قال إسحاق: فصادفت يحيى بن عمر بن خراساني فإذا هو يحدث القوم هذا الحديث لم يدع منه حرفا"[٧٧٥].

الرابع: هم طلبة العِلم، قاله عكرمة[٧٧٦].

وليس المراد من «السياحة» ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتَن والزلازل في الدين ، كما ثبت

---

(٧٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٢٥):ص١٨٨٩/٦.

(٧٥٦) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٢٧):ص١٨٨٩/٦، وأبو داود في سننه برقم (٢٤٨٦).

(٧٥٨) تفسير ابن كثير:٢٢٠/٤. وهذا معضل ، عمارة بن غزية لم يدرك أحدا من الصحابة.

(٧٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٤):ص٥٠٤/١٤.

(٧٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦١) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٩٤):ص٥٠٣/١٤.

(٧٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٩٩):ص٥٠٤/١٤، وتفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٩):ص٥٠٥/١٤، و تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٥)-(١٧٣٠٨):ص٥٠٥/١٤، وتفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٣١٢):ص٥٠٥/١٤، وتفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٣١١):ص٥٠٥/١٤..

(٧٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٢):ص٥٠٤/١٤.

(٧٧١) أخرجه الطبري(١٧٢٨٧):ص٥٠٣/١٤.

(٧٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٣٠):ص١٨٩٠/٦.

(٧٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٢٩):ص١٨٩٠/٦.

(٧٧٤) غريب القرآن:١٩٣.

(٧٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٣١):ص١٨٩٠/٦.

(٧٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٣٢):ص١٨٩٠/٦، وانظر: تفسير ابن كثير:٢٢٠/٤، وانظر: النكت والعيون٤٠٨/٢.

في صحيح البخاري ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يوشك أن يكون خير مال الرجل غَنَم يَتْبَع بها شَعفَ الجبال ، ومواقع القَطْر ، يفر بدينه من الفتن»[٧٧٧][٧٧٨].

قوله تعالى:{الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها"[٧٧٩].

عن سعيد بن جبير: "{الراكعون}، يعني: في الصلوات"[٧٨٠].

أخرج الطبري عن الحسن : "{الراكعون الساجدون}، قال : الصلاة المفروضة"[٧٨١].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن:"{الساجدون}، في الصلوات المفروضة"[٧٨٢].

عن قتادة :"{الساجدون}، قال: ذكر لنا أن أقرب ما يكون العبد إلى الله في سجوده"[٧٨٣].

قوله تعالى:{الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة : ١١٢]، أي:" الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، وينهونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله"[٧٨٤].

عن سعيد بن جبير : "{الآمرون بالمعروف}، يعني: بالتوحيد"[٧٨٥].

عن الحسن: "{الآمرون بالمعروف}: لا إله إلا الله، {والناهون عن المنكر}: عن الشرك"[٧٨٦].

عن الحسن في قوله : "{الآمرون بالمعروف} ، قال : أمَا إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها {والناهون عن المنكر}، قال : أمَا إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه"[٧٨٧].

وروي عن الحسن، "أنه سئل عن هذه الآية :{الآمرون بالمعروف}، قال: لم يأمروا بالمعروف حتى كانوا من أهله"[٧٨٨].

عن أبي العالية ، قال : كل ما ذكر في القرآن " الأمر بالمعروف " ، و " النهي عن المنكر " ، فالأمر بالمعروف: دعاءٌ من الشرك إلى الإسلام والنهي عن المنكر: نهيٌ عن عبادة الأوثان والشياطين"[٧٨٩].

وفي قوله تعالى:{وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة : ١١٢]، وجهان:

أحدهما : عن الشرك ، قاله الحسن[٧٩٠]، وسعيد بن جبير[٧٩١].

الثاني : أنهم الذين لم ينهوا عنه حتى انتهوا قبل ذلك عنه ، قاله الحسن-أيضا- [٧٩٢].

وروي عن الحسين[٧٩٣]: "أنه سئل عن هذه الآية والناهون عن المنكر قال: لم ينهوا الناس عن المنكر حتى انتهوا عنه"[٧٩٤].

قوله تعالى:{وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} [التوبة : ١١٢]، أي:" المحافظون على فرائض الله، المتمسكون بما شرع الله من حلال وحرام"[٧٩٥].

وفي قوله تعالى:{وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} [التوبة : ١١٢]، وجهان:

أحدهما : القائمون على أمر الله. قاله الحسن[٧٩٦].

---

(٧٧٧)صحيح البخاري برقم (١٩).

(٧٧٨) تفسير ابن كثير:٤/٢٢٠.

(٧٧٩) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٤):ص٦/١٨٩٠-١٨٩١.

(٧٨١) أخرجه الطبري(١٧٣١٤):ص١٤/٥٠٦.

(٧٨٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٣٥):ص٦/١٨٩٠-١٨٩١.

(٧٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٦):ص٦/١٨٩٠-١٨٩١.

(٧٨٤) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٧٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٣٧):ص٦/١٨٩١.

(٧٨٦) أخرجه الطبري(١٧٣١٥):ص١٤/٥٠٦.

(٧٨٧) اخرجه الطبري(١٧٣١٦):ص١٤/٥٠٦-٥٠٧.

(٧٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٣٩):ص٦/١٨٩١، وانظر: الدر/ ٣/ ٢٨١.

(٧٨٩) اخرجه الطبري(١٧٣١٧):ص١٤/٥٠٧.

(٧٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٣١٥):ص١٤/٥٠٦.

(٧٩١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٤٠):ص٦/١٨٩١.

(٧٩٢) انظر: النكت والعيون:٢/٤٠٨.

(٧٩٣) كذا في المطبوع.

(٧٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٤١):ص٦/١٨٩١-١٨٩٢.

(٧٩٥) صفوة التفاسير:١/٥٢٦.

الثاني : الحافظون لفرائض الله تعالى من حلاله وحرامه ، قاله قتادة[٧٩٧].

وروي عن الحسن:"{والحافظون لحدود الله} ، قال : لفرائض الله"[٧٩٨].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١١٢]، أي:" وبشِّر -أيها النبي- هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفات برضوان الله وجنته"[٧٩٩].

وفي قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١١٢]، وجوه:

أحدها : يعني: المصدقين بما وعد الله تعالى في هذه الآيات . قاله سعيد بن جبير[٨٠٠].

الثاني: يعني: وبشر الذين لم يهز من الفقراء. وهذا مروي عن الحسن أيضا[٨٠١].

الثالث: يعني: وبشر العاملين بما ندب الله إليه في هذه الآيات، ذكره الماوردي وقال: وهذا أشبه بقول الحسن"[٨٠٢].

وروي عن الحسن : «{وبشر المؤمنين} ، قال : الذين لم يغزوا»[٨٠٣]"[٨٠٤].

وفي هذا السياق روي عن الحسن : "{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم}، حتى ختم الآية ، قال الذين وفوا ببيعتهم {التائبون العابدون الحامدون} ، حتى ختم الآية ، فقال : هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ، ثم لقوا العدوّ فصدَقوا ما عاهدوا الله عليه"[٨٠٥].

وفيه أيضا وروي عن الحسن:"{وبشر المؤمنين}: الذين أيضا لا يجاهدون"[٨٠٦].

القرآن

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} [التوبة : ١١٣]

التفسير:

ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كانوا ذوي قرابة لهم مِن بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لموتهم على الشرك، والله لا يغفر للمشركين.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن أبي الخليل عن علي قال: "سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرته لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنزلت {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}"[٨٠٧].

وروي عن ابن عباس قوله: "{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}، وكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الإستغفار ولم ينتهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه}، يعني: استغفر له ما كان حيا، فلما مات أمسك عن الإستغفار"[٨٠٨].

والثاني: عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يوما إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه، ثم دعانا

---

(٧٩٦) أخرجه الطبري(١٧٣٢٠):ص٥٠٨/١٤.

(٧٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٨٩٢/٦.

(٧٩٨) أخرجه الطبري(١٧٣٢١):ص٥٠٨/١٤.

(٧٩٩) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٨٠٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٤٧):ص١٨٩٢/٦-١٨٩٣.

(٨٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٤٦):ص١٨٩٢/٦.

(٨٠٢) النكت والعيون:٤٠٨/٢.

(٨٠٣) تفسير الطبري(١٧٣٢٣):ص٥٠٨/١٤.

(٨٠٤) تفسير الطبري:٥٠٨/١٤.

(٨٠٥) أخرجه الطبري(١٧٣٢٢):ص٥٠٨/١٤.

(٨٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٤٨):ص١٨٩٣/٦.

(٨٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٤٩):ص١٨٩٣/٦.

(٨٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٠):ص١٨٩٣/٦.

فقال: ما أبكاكم؟ قلنا: بكينا لبكائك، قال: إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل على ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة"[٨٠٩].

وقال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- سأل بعد ما افتتح مكة: أي أبويه أحدث به عهدا؟ قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف. قال: حتى أستغفر لها فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك فأنزل الله- عز وجل-:{ما كان للنبي}"[٨١٠].

والثالث: عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة فدخل عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- وعنده أو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فكان آخر شيء كلمهم به أن قال: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}"[٨١١].

قوله تعالى:{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة : ١١٣]، أي:" من بعد ما وضح لهم أنهم من أهل الجحيم لموتهم على الكفر"[٨١٢].

عن أبي مالك قوله: "{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[٨١٣].

القرآن

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)} [التوبة : ١١٤]

التفسير:

وما كان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك، إلا عن موعدة وعدها إياه، وهي قوله: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} . فلما تبيَّن لإبراهيم أن أباه عدو لله ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، وأنه سيموت كافرًا، تركه وترك الاستغفار له، وتبرأ منه. إن إبراهيم عليه السلام عظيم التضرع لله، كثير الصفح عما يصدر مِن قومه من الزلات.

سبب النزول:

قال محمد بن كعب:" لما مرض أبو طالب أتاه النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه، قال: فاستغفروا لقراباتهم من المشركين قال: ثم أنزل الله: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه}، قال: كان يرجوه في حياته فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"[٨١٤].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} [التوبة : ١١٤]، أي:" وما كان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك، إلا عن موعدة وعدها إياه"[٨١٥].

قال محمد بن كعب:" كان يرجوه في حياته"[٨١٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} [التوبة : ١١٤]، أي:" فلما تبيَّن لإبراهيم أن أباه عدو لله ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، وأنه سيموت كافرًا، تركه وترك الاستغفار له، وتبرأ منه"[٨١٧].

عن ابن المسيب ،عن أبيه :"{فلما تبين له أنه عدو لله}، قال: لما مات وهو كافر"[٨١٨].

---

(٨٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥١):ص١٨٩٣/٦-١٨٩٤.
(٨١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٩/٢.
(٨١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٢):ص١٨٩٤/٦.
(٨١٢) صفوة التفاسير:٥٢٦/١.
(٨١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.
(٨١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٦):ص١٨٩٤/٦-١٨٩٥.
(٨١٥) التفسير الميسر:٢٠٥.
(٨١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٦):ص١٨٩٤/٦-١٨٩٥.
(٨١٧) التفسير الميسر:٢٠٥.

وروي عن مجاهد والحسن، "أنهما قالا: لما مات"[٨١٩].

قال قتادة: "ثم عذر الله نبيه إبراهيم فقال: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله} لما مات على شركه {تبرأ منه}"[٨٢٠]. وفي رواية أخرى قال قتادة:" تبين له حين مات، وعلم أن التوبة قد انقطعت منه"[٨٢١].

وروي عن الحكم بن عتيبة قال: "تبرأ منه حين مات ولم يؤمن"[٨٢٢].

قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة : ١١٤]، أي:" إن إبراهيم عليه السلام عظيم التضرع لله، كثير الصفح عما يصدر مِن قومه من الزلات"[٨٢٣].

عن عبد الله بن شداد قال: "قال رجل: يا رسول الله، ما «الأواه؟» قال: الخاشع، المتضرع الدعاء، قال: إن إبراهيم لأواه حليم"[٨٢٤].

وروي عن يحيى بن الجزار "أن أبا العبيدين سأل عبد الله عن «الأواه»؟ فقال: الرحيم"[٨٢٥]. وروي عن أبي ميسرة. والحسن ومجاهد وقتادة مثل ذلك[٨٢٦].

عن مجاهد وعكرمة قالا:"«الأواه»: الموقن بلسان الحبشة"[٨٢٧].

وروي عن مجاهد قال:" فقيه موقن"[٨٢٨].

وعن مجاهد قال: "«الأواب»: المنيب"[٨٢٩].

وعن مجاهد في قول آخر: "«الأواه»: الحفيظ، الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا"[٨٣٠].

وعن الشعبي قوله:"«اواه»: المسبح"[٨٣١].

وروي عن الحسين في قوله: "{إن إبراهيم لأواه حليم}، قال: الحليم: الرحيم"[٨٣٢].

القرآن

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)} [التوبة : ١١٥]

التفسير:

وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد أن مَنَّ عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبيِّن لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أصول الدين وفروعه. إن الله بكل شيء عليم، فقد علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبيَّن لكم ما به تنتفعون، وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [التوبة : ١١٥]، أي:" وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد أن مَنَّ عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبيِّن لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أصول الدين وفروعه"[٨٣٣].

عن سعيد:{ مَا يَتَّقُونَ}، "ما يتقون قال: ما يأتونه، وما ينتهون عنه"[٨٣٤].

---

(٨١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٨):ص١٨٩٥/٦.
(٨١٩) تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٧):ص١٨٩٥/٦.
(٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٥٩):ص١٨٩٥/٦.
(٨٢٢) تفسير ابن أبي حاتم:١٨٩٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨٢٣) التفسير الميسر:٢٠٥.
(٨٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٢):ص١٨٩٥/٦-١٨٩٦.
(٨٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٣):ص١٨٩٦/٦.
(٨٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٥):ص١٨٩٦/٦.
(٨٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٦):ص١٨٩٦/٦.
(٨٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٨):ص١٨٩٦/٦.
(٨٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧١):ص١٨٩٧/٦.
(٨٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٨٩٧/٦.
(٨٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٣):ص١٨٩٧/٦.
(٨٣٣) التفسير الميسر:٢٠٥.

قال مجاهد:" يبين الله للمؤمنين في أن لا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته، فافعلوا أو ذروا"[٨٣٥].

وعن مجاهد في رواية أخرى :"{وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون}، قال: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته وفي معصيته عامة، ما فعلوا أو تركوا"[٨٣٦].

وقال الضحاك: "ما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون"[٨٣٧].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة : ١١٥]، أي:" إن الله بكل شيء عليم، فقد علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبيَّن لكم ما به تنتفعون، وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته"[٨٣٨].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٨٣٩].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)} [التوبة : ١١٦]

التفسير:

إن الله مالك السموات والأرض وما فيهن لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع، يحيي مَن يشاء ويميت مَن يشاء، وما لكم مِن أحد غير الله يتولى أموركم، ولا نصير ينصركم على عدوكم.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [التوبة : ١١٦]، أي:" إن الله مالك السموات والأرض وما فيهن لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع"[٨٤٠].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٨٤١].

قال كعب:" ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مسيرة مائة عام"[٨٤٢].

القرآن

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧)} [التوبة : ١١٧]

التفسير:

لقد وفَّق الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة (تبوك) في حرٍّ شديد، وضيق من الزاد والظَّهْر، لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدَّعة والسكون، لكن الله ثبتهم وقوَّاهم وتاب عليهم، إنه بهم رؤوف رحيم. ومن رحمته بهم أنْ مَنَّ عليهم بالتوبة، وقَبِلها منهم، وثبَّتهم عليها.

قوله تعالى:{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} [التوبة : ١١٧]، أي:" لقد وفَّق الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين

---

(٨٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٥):ص١٨٩٧/٦.

(٨٣٥) أخرجه الطبري(١٧٤٢٢):ص٥٣٧/١٤.

(٨٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٤):ص١٨٩٧/٦.

(٨٣٧) تفسير البغوي:١٠٣/٤.

(٨٣٨) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٨٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

(٨٤٠) التفسير الميسر:٢٠٥.

(٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٨٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٢):ص١٥٨٦/٥.

الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة (تبوك) في حرٍّ شديد، وضيق من الزاد والظَّهْر"[٨٤٣].

عن مجاهد: "{ساعة العسرة}، قال: غزوة تبوك، قال: "العسرة"، أصابهم جَهْدٌ شديد، حتى إن الرجلين ليشقَّان التمرة بينهما، وأنهم ليمصُّون التمرة الواحدة، ويشربون عليها الماء"[٨٤٤].

عن عبد الله بن محمد بن عقيل: "{في ساعة العسرة}، قال: خرجوا في غزوةٍ، الرجلان والثلاثة على بعير. وخرجوا في حرٍّ شديد، وأصابهم يومئذ عطش شديد، فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها، ويشربون ماءه، وكان ذلك عسرة من الماء، وعسرة من الظهر، وعسرة من النفقة"[٨٤٥].

عن قتادة قوله: "{لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوا في ساعة العسرة}، الآية، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قِبَل الشأم في لهَبَان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهدٌ شديد، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم، يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم"[٨٤٦].

قوله تعالى:{مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} [التوبة : ١١٧]، أي:" من بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدَّعة والسكون"[٨٤٧].

قال الطبري:" يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، ويشك في دينه ويرتاب، بالذي ناله من المشقة والشدّة في سفره وغزوه"[٨٤٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ١١٧]، أي:" وفقهم للثبات على الحق وتاب عليهم لما ندموا"[٨٤٩].

روي عن أبي زرعة، قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"[٨٥٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١١٧]، أي:" إنه بهم رؤوف رحيم"[٨٥١].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٨٥٢].

القرآن

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)} [التوبة : ١١٨]

التفسير:

وكذلك تاب الله على الثلاثة الذين خُلِّفوا من الأنصار -وهم كعب بن مالك وهلال بن أُميَّة ومُرَارة بن الربيع- تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحزنوا حزنًا شديدًا، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسَعَتها غمًّا وندمًا بسبب تخلفهم، وضاقت عليهم أنفسهم لِمَا أصابهم من الهم، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وفَّقهم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والرجوع إلى ما يرضيه سبحانه. إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

سبب النزول:

عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك، أقام بها بضع عشرة ليلة، ولقيه بها وفد أذْرُح ووفد أيلة، فصَالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية، ثم قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها، وأنزل

---

(٨٤٣) التفسير الميسر:٢٠٥.
(٨٤٤) أخرجه الطبري(١٧٤٢٥):ص٥٤٠/١٤، وانظر: (١٧٤٢٣):ص٥٣٩-٥٤٠.
(٨٤٥) أخرجه الطبري(١٧٤٢٤):ص٥٤٠/١٤.
(٨٤٦) أخرجه الطبري(١٧٤٢٨):ص٥٤١/١٤.
(٨٤٧) التفسير الميسر:٢٠٥.
(٨٤٨) تفسير الطبري:٥٣٩/١٤.
(٨٤٩) صفوة التفاسير:٥٢٨/١.
(٨٥٠)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣
(٨٥١) التفسير الميسر:٢٠٥.
(٨٥٢)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

الله: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوا في ساعة العسرة) ، الآية، والثلاثة الذين خلفوا: رَهْطٌ منهم: كعب بن مالك، وهو أحد بني سَلِمة، ومرارة بن ربيعة، وهو أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، وهو من بني واقف، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلا. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، صَدَقه أولئك حديثهم، واعترفوا بذنوبهم، وكذب سائرهم، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حبسهم إلا العذر، فقبل منهم رسول الله وبايعهم، ووكَلَهم في سرائرهم إلى الله، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خُلِّفوا، وقال لهم حين حدَّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم: قد صدقتم، فقوموا حتى يقضى الله فيكم. فلما أنزل الله القرآن، تاب على الثلاثة، وقال للآخرين: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم) ، حتى بلغ: (لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [سورة التوبة: ٩٥، ٩٦] .

أخرج الطبري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: "أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عَمي -قال: سمعت كعب بن مالك يحدِّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. قال كعب: لم أتخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتبْ أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد. ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكرَ في الناس منها. فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطُّ حتى جمعْتُهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفاوِزَ، واستقبل عدوًّا كثيرًا، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبُوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظٌ - يريد بذلك: الديوان- قال كعب: فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا يظنَّ أن ذلك سيخفى، ما لم ينزل فيه وَحْيٌ من الله. وغزا رسول الله تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وأنا إليهما أصعَرُ. فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، [فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: "أنا قادر على ذلك إذا أردت! "، فلم يزل ذلك يتمادى بي، حتى استمرّ بالناس الجدُّ. فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا والمسلمون معه]، ولم أقض من جَهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا. فلم يزل ذلك يتمادى [بي]، حتى أسرعوا وتفارط الغزْوُ، وهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، فلم يُقْدَر ذلك لي. فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أنّي لا أرى لي أسوةً إلا رجلا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سَلِمَة: يا رسول الله، حبسه بُرْداه، والنظر في عِطْفَيْه! [فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيرًا] ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا هو على ذلك، رأى رجلا مُبَيِّضًا يزول به السرابُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة! فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر، فلمزه المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلا من تبوك، حضرني بثِّي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: "بم أخرج من سَخَطه غدًا"؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادمًا! "، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصَبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله. حتى جئتُ، فلما سلمت تبسم تبسُّم المغْضَب، ثم قال: تعالَ! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سَخَطه بعذرٍ، لقد أعطيتُ جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكنّ الله أن يُسْخِطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تَجدُ عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفوَ الله، والله ما كان لي عُذْر! والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا هذا فقد صَدَق، قم حتى يقضي الله فيك! فقمت، وثار رجال من بني سلمة

فاتبعوني وقالوا: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا! لقد عجزتَ في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون، فقد كان كافِيَك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك! قال: فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذّبَ نفسي! قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا مثلَ ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة، من بين من تخلّف عنه. قال: فاجتنبنا الناسُ وتغيَّروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً، فأمّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأمّا أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: "هل حرك شفتيه بردّ السلام أم لا؟ "، ثم أصلي معه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليّ = فسلمت عليه، فوالله ما ردّ علي السلام! فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت. قال: فعُدْت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناي، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا بنبطيّ من نَبَط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له، حتى جاءني، فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا، فقرأته، فإذا فيه: "أما بعدُ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هَوَانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحق بنا نُوَاسِك".

قال: فقلت حين قرأته: وهذا أيضًا من البلاء!! فتأمَّمتُ به التنُّور فسجرته به. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال فقلت: أطلّقها، أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها فلا تقربها. قال: وأرسل إلى صاحبي بذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلالٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادمٌ، فهل تكره أن أخدُمَه؟ فقال: لا ولكن لا يقرَبَنْكِ! قالت فقلت: إنه والله ما به حركة إلى شيء! ووالله ما زال يبكي مُنْذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا! قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدُمه؟ قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شابٌّ! فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا.

قال: ثم صليت صلاة الفجر صباحَ خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منّا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعتُ صوت صارخٍ أوْفى على جبل سَلْع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر! قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرجٌ. قال: وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قِبَلَ صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا، وسعى ساعٍ من أسْلم قِبَلي وأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرعَ من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتلقَّاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة ويقولون: لِتَهْنِكَ توبة الله عليك! حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهَرول حتى صافحني، وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة - قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وهو يبرُقُ وجهه من السرور: أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك! فقلت: أمن عندك، يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأن وجه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك بعض مالك، فهو خيرٌ لك! قال فقلت: فإني أمسك سهمي

الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإنّ من توبتي أن لا أحدِّث إلا صدقًا ما بقيت! قال: فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين ابتلاه الله في صِدْق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، أحسن مما ابتلاني، والله ما تعمَّدت كِذْبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله: {لقد تابَ الله على النبي}، حتى بلغ: {وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا} ، إلى: {اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} .

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هَدَاني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فإن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شَرَّ ما قال لأحدٍ: {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون}، إلى قوله: {لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة: ٩٥، ٩٦] .

قال كعب: خُلِّفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حَلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْرَنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيّانا، وإرجاؤه أمرَنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه"[٨٥٣].

قال مقاتل:" ثم ذكر الذين خلفوا عن التوبة. فقال : وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة بعد أبي لبابة وأصحابه وهم ثلاثة: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، ولم يذكر توبتهم ولا عقوبتهم وذلك أنهم لم يفعلوا كفعل أبي لبابة وأصحابه فلم ينزل فيهم شيء شهرا فكان الناس لا يكلمونهم، ولا يخالطونهم، ولا يبايعونهم، ولا يشترون منهم، ولا يكلمهم أهلهم، فضاقت عليهم الأرض فأنزل الله- عز وجل- فيهم بعد شهور أو شهر وتاب أيضا «على الثلاثة الذين خلفوا»"[٨٥٤].

قوله تعالى:{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة : ١١٨]، أي:" وكذلك تاب الله على الثلاثة الذين خُلِّفوا من الأنصار"[٨٥٥].

عن عكرمة، وعامر: "{وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، قال: أرْجئوا، في أوسط «براءة»"[٨٥٦].

عن مجاهد: "{الثلاثة الذين خلفوا}، قال: الذين أرجئوا في أوسط "براءة"، قوله: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللَّهِ} [سورة التوبة: ١٠٦] هلال بن أمية، ومرارة بن ربْعيّ، وكعب بن مالك"[٨٥٧].

عن سعيد، قال: "{الثلاثة الذين خلفوا}، كعب بن مالك وكان شاعرا، ومرارة بن الربيع، وهلال ابن أمية، وكلهم أنصاريّ"[٨٥٨].

قال الضحاك:" كلهم من الأنصار: هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك"[٨٥٩].

عن قتادة، قوله: "{وعلى الثلاثة الذين خلفوا} ، إلى قوله: {ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم}، كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، تخلفوا في غزوة تبوك. ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية، فقال: لا أطلقها - أو لا أطلق نفسي - حتى يُطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال رسول الله: والله لا أطلقه حتى يطلقه ربُّه إن شاء! وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك، فجعله صدقة في سبيل الله، وقال: والله لا أطعمه! وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله، ترفعه أرض وتَضَعه أخرى، وقدماه تَشَلْشَلان دمًا"[٨٦٠].

وفي قوله تعالى:{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة : ١١٨]، وجهان:

---

(٨٥٣) أخرجه الطبري(١٧٤٤٧):ص١٤/٥٤٧-٥٥٦.
(٨٥٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٢٠١.
(٨٥٥) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٥٦) أخرجه الطبري(١٧٤٣٥):ص١٤/٥٤٥.
(٨٥٧) أخرجه الطبري(١٧٤٣٦):ص١٤/٥٤٥.
(٨٥٨) أخرجه الطبري(١٧٤٤٠):ص١٤/٥٤٥.
(٨٥٩) أخرجه الطبري(١٧٤٤١):ص١٤/٥٤٥.
(٨٦٠) أخرجه الطبري(١٧٤٤٣):ص١٤/٥٤٦.

أحدهما : خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم ، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة ، قاله الضحاك[٨٦١]، وأبو مالك[٨٦٢]، وقتادة[٨٦٣]، وعكرمة[٨٦٤].

قال الضحاك:" يعني: خلفوا عن التوبة، لم يتب عليهم حتى تاب الله على أبي لبابة وأصحاب"[٨٦٥].

قال قتادة:" أي: عن التوبة حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم عن قتادة: إنه كعب بن مالك وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، نفر من الأنصار، قال قتادة: والله ما سفكوا دما، ولا أكلوا مالا، ولا أنكروا معرفة، ولكنهم تخلفوا عن غزوة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بتبوك، فتابوا أحسن التوبة، وفزعوا أحسن الفزع، أما أحدهم فأوثق نفسه إلى سارية فقال: والله لا أطلقها حتى يطلقني رسول الله، وأما الآخر: فعمد إلى حائطه الذي تخلف عليه وهو مونع فجعله صدقة، وأما الآخر: فركت المفاوز والوقع حتى لحق نبي الله- صلى الله عليه وسلم- ورجلاه تسيلان دما"[٨٦٦].

الثاني : خلفوا عن بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قاله عكرمة بن خالد المخزومي[٨٦٧].

عن أبي عمرو، عن عكرمة بن خالد المخزومي:" أنه كان يقرؤها (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، نصب، أي: بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[٨٦٨].

قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} [التوبة : ١١٨]، أي:" وأيقنوا أنه لا معتصم لهم من الله ومن عذابه، إلا بالرجوع والإنابة إليه سبحانه"[٨٦٩].

عن مجاهد، قال: "ما كان من ظن في القرآن فهو يقين"[٨٧٠].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} [التوبة : ١١٨]، أي:" ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة، ليستقيموا على التوبة ويدوموا عليها"[٨٧١].

قال الضحاك: "فبدأ التوبة من الله ليتوبوا"[٨٧٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة : ١١٨]، أي:" إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم"[٨٧٣].

عن الضحاك: " {إن الله هو التواب الرحيم}، يعني: إن استقاموا"[٨٧٤].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)} [التوبة : ١١٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [التوبة : ١١٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون"[٨٧٥].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الموحدين يحذرهم"[٨٧٦].

---

(٨٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٨):ص١٩٠٥/٦.
(٨٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٨):ص١٩٠٥/٦.
(٨٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٣٢)::ص٥٤٣/١٤.
(٨٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٣١)::ص٥٤٣/١٤.
(٨٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٨):ص١٩٠٥/٦.
(٨٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٧):ص١٩٠٤/٦-١٩٠٥.
(٨٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٩):ص١٩٠٥/٦.
(٨٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٩):ص١٩٠٥/٦.
(٨٦٩) صفوة التفاسير:٥٢٨/١.
(٨٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩١):ص١٩٠٥/٦.
(٨٧١) صفوة التفاسير:٥٢٨/١.
(٨٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٢):ص١٩٠٥/٦.
(٨٧٣) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٢):ص١٩٠٥/٦.
(٨٧٥) التفسير الميسر:٢٠٦.

عن نافع: "{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله}، قال: في الثلاثة الذين خلفوا ...{اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}"[٨٧٧].

قوله تعالى:{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة : ١١٩]، أي:" وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم"[٨٧٨].

وفي قوله تعالى:{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة : ١١٩]، أقوال:

أحدها : مع أبي بكر وعمر، وأصحابهما-رحمة الله عليهم-. قاله الضحاك[٨٧٩].

وروي عن سعيد بن جبير:"مع أبي بكر وعمر-رحمة الله عليهما-"[٨٨٠].

الثاني : مع الثلاثة الذين خُلفوا حين صدقوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن تأخرهم ولم يكذبوا، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية. قاله السدي[٨٨١].

الثالث : مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته ، قاله قتادة[٨٨٢].

الرابع : مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. حكاه الماوردي عن ابن جريج[٨٨٣].

الخامس: أنهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قاله نافع[٨٨٤].

السادس: مع الزاهدين في الدنيا، والذين يكفون عن اهل الملة. قاله الحسن[٨٨٥].

القرآن

{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)} [التوبة : ١٢٠]

التفسير:

ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن حولهم من سكان البادية أن يتخلَّفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول صلى الله عليه وسلم في تعب ومشقة; ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضًا يُغضِبُ الكفارَ وطؤهم إياها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلا أو هزيمةً إلا كُتِب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه، وحق خلقه.

قوله تعالى:{وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} [التوبة : ١٢٠]، أي:" ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول صلى الله عليه وسلم في تعب ومشقة"[٨٨٦].

عن قتادة: "يعني قوله: {ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه}، قال: إذا بعث الجيوش والسرايا فليس لهم أن يعروا نبي الله صلى الله عليه وسلم، وإذا غزا نبي الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بأمره"[٨٨٧].

---

(٨٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٤):ص١٩٠٦/٦.
(٨٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٥):ص١٩٠٦/٦.
(٨٧٨) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٥٣):ص٥٥٩/١٤.
(٨٨٠) أخرجه الطبري(١٧٤٥٤):ص٥٥٩/١٤.
(٨٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠١٠١):ص١٩٠٧/٦.
(٨٨٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠١٠٢):ص١٩٠٧/٦.
(٨٨٣) انظر: النكت والعيون:٤١٤/٢.
(٨٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٥١):ص٥٥٩/١٤.
(٨٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠١٠٠):ص١٩٠٧/٦.
(٨٨٦) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٠٥):ص١٩٠٨/٦.

قال قتادة:" هذا إذا غزا نبي الله بنفسه، فليس لأحد أن يتخلف. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت خلف سرية تغزو في سبيل الله، لكني لا أجد سعة، فأنطلق بهم معي، ويشق علي- أو: أكره- أن أدعهم بعدي"[٨٨٨].

قال الوليد بن مسلم :" سمعت الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، والفزاري، والسبيعي، وابن جابر، وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية: {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله}، إلى آخر الآية، إنها لأوّل هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله"[٨٨٩].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} [التوبة : ١٢٠]، أي:"ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضًا يُغضِبُ الكفارَ وطؤهم إياها، ولا يصيبون مِن عدو الله وعدوهم قتلا أو هزيمة إلا كُتِب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح"[٨٩٠].

قال أسباط:" الظمأ: العطش"[٨٩١].

قال السدي:" النصب: العناء"[٨٩٢].

وروي عن رجاء ابن حيوة، ومكحول: "أنهما يكرهان التلثيم من الغبار في سبيل الله"[٨٩٣].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة : ١٢٠]، أي:" إن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه، وحق خلقه"[٨٩٤].

القرآن

{وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)} [التوبة : ١٢١]

التفسير:

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون واديًا في سيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده، إلا كُتِب لهم أجر عملهم; ليجزيهم الله أحسن ما يُجْزَون به على أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} [التوبة : ١٢١]، أي:" ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون واديًا في سيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده، إلا كُتِب لهم أجر عملهم"[٨٩٥].

قال قتادة: "ما ازداد القوم من أهليهم في سبيل الله بعدا، إلا ازدادوا من الله قربا"[٨٩٦].

القرآن

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)} [التوبة : ١٢٢]

التفسير:

وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعًا، فهلا خرج من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود; وذلك ليتفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجدد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم، لعلهم يحذرون عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

---

(٨٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٦٢):ص٥٦٢/١٤.
(٨٨٩) أخرجه الطبري(١٧٤٦٣):ص٥٦٢/١٤-٥٦٣.
(٨٩٠) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٠٦):ص١٩٠٨/٦.
(٨٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٠٧):ص١٩٠٨/٦.
(٨٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٠٨):ص١٩٠٨/٦.
(٨٩٤) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٩٥) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٨٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١١٤):ص١٩٠٩/٦.

في سبب نزول الآية وجوه:
أحدها: عبد الله بن عبيد بن عمير في قوله:"{وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، إلى آخر الآية، قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في رقة من الناس، فأنزل الله عز وجل: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، أمروا إذا بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- سرية أن تخرج طائفة وتقيم طائفة فيحفظ المقيمون على الذين خرجوا ما أنزل الله من القرآن، وما يسن من السنن فإذا رجعوا إلى إخوانهم أخبروهم بذلك، وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف عنه أحد إلا بإذن، أو عذر"(٨٩٧).
والثاني: عن مجاهد قوله: "{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة}، ناس من أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- خرجوا في البوادي، فأصابوا من الناس معروفا، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال لهم الناس: ما نراكم إلا تركتم أصحابكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا، وأقبلوا من البادية كلهم، حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة} خرج بعض وقعد بعض، يبتغون الخير، ليتفقهوا ويسمعوا ما في الناس، وما أنزل بعدهم"(٨٩٨).
والثالث: وقال السدي:" أقبلت أعراب هذيل، وأصابهم الجوع واستعانوا بتمر المدينة، وأظهروا الإسلام ودخلوا، فقال عتبة بن مسعود -أخو عبد الله بن مسعود- له: أشعرت أنه قدم منا ألف أهل بيت أسلموا جميعا؟ فقال عبد الله: والله لوددت أنه لم يبق منهم، فكانوا يفخرون على المؤمنين ويقولون: نحن أسلمنا طائعين بغير قتال، وأنتم قاتلتم، فنحن خير منكم، فآذوا المؤمنين فأنزل الله فيهم يخبرهم بأمرهم فقال: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، يقول: جميعا {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة}، يقول: من كل بطن منهم طائفة، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فسمعوا كلامه، ثم رجعوا فأخبروهم الخبر، فجئتم على بصيرة، ولكن إنما جئتم من أجل الطعام"(٨٩٩).
والرابع: عن ابن عباس قوله: "{وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، فإنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين، أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجهدوهم فأنزل الله جل ثناؤه يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك، قوله: {ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}"(٩٠٠).
والخامس: حكي الماوردي عن الكلبي، قال: "وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيّروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتركوه وحده بالمدينة ، فنزل ذلك فيهم "(٩٠١).
قوله تعالى:{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة : ١٢٢]، أي:" وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم"(٩٠٢).
عن أبي مالك: "وكل ما في القرآن {فلولا}، فهو «فهلا»، إلا حرفين: في يونس : {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَت}(٩٠٣)، والآخر: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُم}(٩٠٤)"(٩٠٥).
قوله تعالى:{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين} [التوبة : ١٢٢]، أي:" فهلا خرج من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود; وذلك ليتفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجدد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله"(٩٠٦).

---

(٨٩٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٠١١٧):ص١٩١٠/٦.
(٨٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٢١):ص١٩١٠/٦-١٩١١.
(٨٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٢٣):ص١٩١١/٦.
(٩٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٣٥):ص١٩١٣/٦.
(٩٠١) النكت والعيون:٤١٥/٢.
(٩٠٢) التفسير الميسر:٢٠٦.
(٩٠٣)[يونس : ٩٨].
(٩٠٤)[هود : ١١٦].
(٩٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١١٩):ص١٩١٠/٦.

قال الحسن:" ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصر، وينذروا قومهم"[٩٠٧].

عن مجاهد، قال: "الطائفة: رجل"[٩٠٨].

وفي قوله تعالى:{ طَائِفَةٌ} [التوبة : ١٢٢]، وجهان:

قوله تعالى:{وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة : ١٢٢]، أي:" وليخوفوا قومهم ويرشدوهم إذا رجعوا إليهم من الغزو، لعلهم يخافون عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"[٩٠٩].

عن مجاهد: "{ولينذروا قومهم}، قال: الناس كلهم"[٩١٠].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)} [التوبة : ١٢٣]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، وليجد الكفار فيكم غِلْظة وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [التوبة : ١٢٣]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٩١١].

قوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} [التوبة : ١٢٣]، أي:" ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار"[٩١٢].

وفي قوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} [التوبة : ١٢٣]، قولان:

أحدهما : أنهم الديلم ، قاله الحسن[٩١٣].

الثاني : أنه على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ، وهذا معنى قول قتادة[٩١٤].

قال قتادة:" يريد المشركين الذين حول المدينة، أحب أن يقاتل كل قوم من يليهم إلا أنه قال: على مكان يخاف فيه على المسلمين"[٩١٥].

قوله تعالى:{وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة : ١٢٣]، أي:" وليجد الكفار فيكم غِلْظة وشدة"[٩١٦].

قال مجاهد: "شدة"[٩١٧].

وقال الحسن: صبرا منكم على الجهاد"[٩١٨].

وقال الضحاك: عنفا"[٩١٩].

القرآن

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)} [التوبة : ١٢٤]

---

(٩٠٦) التفسير الميسر:٢٠٦.

(٩٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٢٨):ص١٩١٢/٦.

(٩٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠١٢٥):ص١٩١٢/٦.

(٩٠٩) صفوة التفاسير:٥٢٩/١.

(٩١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٣٢):ص١٩١٣/٦.

(٩١١) التفسير الميسر:٢٠٧.

(٩١٢) التفسير الميسر:٢٠٧.

(٩١٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٤٨٢):ص٥٧٥/١٤.

(٩١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٣٨):ص١٩١٤/١٤.

(٩١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٣٨):ص١٩١٤/١٤.

(٩١٦) التفسير الميسر:٢٠٧.

(٩١٧) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٣٥/٢.

(٩١٨) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٣٥/٢.

(٩١٩) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٣٥/٢.

التفسير:
وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فمِن هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكارًا واستهزاءً- أيُّكم زادته هذه السورة تصديقًا بالله وآياته؟
فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيمانًا بالعلم بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.
قوله تعالى:{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة : ١٢٤]، أي:" وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فمِن هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكارًا واستهزاءً- أيُّكم زادته هذه السورة تصديقًا بالله وآياته؟"[٩٢٠].
عن الحسن:" أنه قول بعضهم لبعض على وجه الإنكار"[٩٢١].
قوله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة : ١٢٤]، أي:" فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيمانًا بالعلم بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين"[٩٢٢].
قال الربيع بن أنس:" زادتهم خشيةً"[٩٢٣].
عن مجاهد:" {فزادتهم إيمانا}، قال: الإيمان يزيد وينقص"[٩٢٤].

القرآن
{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)} [التوبة : ١٢٥]
التفسير:
وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقًا وشكًا إلى ما هم عليه من قبلُ من النفاق والشك، وهلك هؤلاء وهم جاحدون بالله وآياته.
قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} [التوبة : ١٢٥]، أي:" وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقًا وشكًا إلى ما هم عليه من قبلُ من النفاق والشك"[٩٢٥].
عن طاووس في قوله: "{وأما الذين في قلوبهم مرض}، قال: كان ذلك في بعض أمور النساء"[٩٢٦].
عن السدي، قوله:"{ فزادتهم رجسا إلى رجسهم}، يقول: شكا إلى شكهم"[٩٢٧].

القرآن
{أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)} [التوبة : ١٢٦]
التفسير:
أو لا يرى المنافقون أن الله يبتليهم بالقحط والشدة، وبإظهار ما يبطنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؟ ثم هم مع ذلك لا يتوبون مِن كفرهم ونفاقهم، ولا هم يتعظون ولا يتذكرون بما يعاينون من آيات الله.
قوله تعالى:{أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} [التوبة : ١٢٦]، أي:" أو لا يرى المنافقون أن الله يبتليهم بالقحط والشدة، وبإظهار ما يبطنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؟"[٩٢٨].
واختلف أهل التفسير في معنى «الفتنة» التي ذكر الله في هذا الموضع، على أقوال:
أحدها : يبتلون في كل عام مرة أو مرتين بالسنة والجوع. قاله مجاهد"[٩٢٩].

---

(٩٢٠) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٢١) انظر: النكت والعيون:٤١٦/٢.
(٩٢٢) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٢٣) أخرجه الطبري(١٧٤٨٩):ص٥٧٨/١٤.
(٩٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٤٣):ص١٩١٤/٦.
(٩٢٥) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٤٦):ص١٩١٥/٦.
(٩٢٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٤٧):ص١٩١٥/٦.
(٩٢٨) التفسير الميسر:٢٠٧.

الثاني: يبتلون بالعدو، في كل عام مرة أو مرتين. قاله الحسن[٩٣٠].
الثالث: يبتلون بالغزو في سبيل الله يتبعون به، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون. قاله قتادة. [٩٣١].

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله عجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكرهم، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها. وجائزٌ أن تكون تلك المواعظُ الشدائدَ التي ينزلها بهم من الجوع والقحط ، وجائزٌ أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم، وجائزٌ أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له. ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين، بما يكون زاجرًا لهم، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون؟[٩٣٢].

القرآن

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧)} [التوبة : ١٢٧]

التفسير:

وإذا ما أُنزلت سورة تغَامَزَ المنافقون بالعيون إنكارًا لنزولها وسخرية وغيظًا; لِمَا نزل فيها مِن ذِكْر عيوبهم وأفعالهم، ثم يقولون: هل يراكم من أحد إن قمتم من عند الرسول؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وانصرفوا من عنده عليه الصلاة والسلام مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان; بسبب أنهم لا يفهمون ولا يتدبرون.

قوله تعالى:{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا} [التوبة : ١٢٧]، أي:"وإذا أنزلت سورة من القرآن فيها عيب المنافقين وهم في مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر بعضهم لبعض هل يراكم أحد من المسلمين لننصرف، فإنا لا نصبر على استماعه وهو يفضحنا ثم قاموا فانصرفوا"[٩٣٣].

عن الحسن: {ثم انصرفوا}، يعني: عزموا على الكفر"[٩٣٤].

القرآن

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)} [التوبة : ١٢٨]

التفسير:

لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

سبب النزول:

أخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال :"لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا له: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا نأمنك وتأمنا، قال: ولم سألتم هذا قالوا: نطلب الأمن فأنزل الله تعالى هذه الآية :{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم} الآية"[٩٣٥].

قوله تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة : ١٢٨]، أي:" لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم"[٩٣٦].

---

(٩٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٤٩):ص١٩١٥/٦.
(٩٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٥٠):ص١٩١٥/٦.
(٩٣١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٥١):ص١٩١٦/٦.
(٩٣٢) تفسير الطبري:٥٨١/١٤.
(٩٣٣) صفوة التفاسير:٥٢٩/١.
(٩٣٤) تفسير ابن ابي زمنين:٢٤١/٢.
(٩٣٥) الدر المنثور:٣٣٣/٤.
(٩٣٦) التفسير الميسر:٢٠٧.

قال قتادة:" جعله الله من أنفسهم ، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة"[٩٣٧].

وروي عن جبير بن نفير: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد جاءكم رسول إليكم ليس بوهن ولا كسل ليحيي قلوبا غلفا ويفتح أعينا عميا، ويسمع آذانا صما ويقيم ألسنة عوجا، حتى يقال: لا إله إلا الله وحده"[٩٣٨].

وفي قوله تعالى «من أنفسكم»، بضم «الفاء»، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: من المؤمنين لم يصبه شيء من شرك في ولادته، قاله محمد بن علي[٩٣٩].

الثاني : يعني: من نكاح لم يصبه من ولادة الجاهلية ، قاله جعفر بن محمد[٩٤٠].

وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال :« إنى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»[٩٤١].

وفي روياة أخرى:« خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء»[٩٤٢].

الثالث : ممن تعرفونه بينكم، وهذا معنى قول قتادة[٩٤٣].

فقوله {من أنفسكم}، أي: من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم"[٩٤٤].

قوله تعالى:{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة : ١٢٨]، أي:" يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت"[٩٤٥].

وفي قوله تعالى:{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة : ١٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: عزيز عليه عَنت مؤمنكم. قاله قتادة[٩٤٦].

وروي عن قتادة أيضا:" حريص على ضالهم أن يهديه"[٩٤٧].

الثاني: معناه: ما أتممتم. حكاه البغوي عن الضحاك[٩٤٨].

والظاهر-والله أعلم- أن الله عمَّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنتَ قومَه ، ولم يخصص أهل الإيمان به. فكان صلى الله عليه وسلم كما جاء الخبرُ من الله به ، عزيزٌ عليه عَنَتُ جمعهم، فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزًا عليه عنتُ جميعهم، وهو يقتل كفارَهم، ويسبي ذراريَّهم، ويسلبهم أموالهم ؟

قيل : إن إسلامهم ، لو كانوا أسلموا ، كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله. وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزًا عليه أن يأتوا ما يُعنتهم ، وذلك أن يضلُّوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي[٩٤٩].

قوله تعالى:{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة : ١٢٨]، أي:" حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم"[٩٥٠].

عن أبي روق قوله: "{حريص عليكم}، أن يؤمن كفاركم"[٩٥١].

---

(٩٣٧) أخرجه الطبري(١٧٥٠٧):ص٥٨٥/١٤.

(٩٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٥٩):ص١٩١٧/٦.

(٩٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٠٤):٥٨٥/١٤.

(٩٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٠٥):٥٨٥/١٤.

(٩٤١)أخرجه عبد الرزاق (٣٠٣/٧، رقم ١٣٢٧٣) . وأخرجه أيضا: البيهقى (١٩٠/٧، رقم ١٣٨٥٥).

(٩٤٢)أخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق ابن أبى عمر (٨٠/٥، رقم ٤٧٢٨) ، قال الهيثمى (٢١٤/٨) : فيه محمد بن جعفر بن محمد بن على، صحح له الحاكم فى المستدرك وقد تكلم فيه وبقية رجاله ثقات. وابن عساكر من طريق ابن أبى عمر وابن عدى (٤٠٢/٣) . وأخرجه أيضا: الرامهرمزى فى المحدث الفاصل (ص ٤٧٠) ، والديلمى (١٩٠/٢، رقم ٢٩٤٩) . قال الحافظ فى التلخيص الحبير (١٧٦/٣) : فى إسناده نظر.

(٩٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٠٧):ص٥٨٥/١٤.

(٩٤٤) الكشاف:٣٢٥/٢.

(٩٤٥) التفسير الميسر:٢٠٧.

(٩٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٠٠):ص٥٨٦/١٤.

(٩٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٦٦):ص١٩١٨/٦.

(٩٤٨) انظر: تفسير البغوي:١١٦/٤.

(٩٤٩) تفسير الطبري:٥٨٦/١٤.

(٩٥٠) التفسير الميسر:٢٠٧.

(٩٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٦٥):ص١٩١٨/٦.

قال قتادة:" حريص على ضالهم أن يهديه الله"[٩٥٢]. وفي رواية أخرى:" حريص على من لم يسلم أن يسلم"[٩٥٣].

قوله تعالى:{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، أي:" وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة"[٩٥٤].

عن أبي روق في قوله: "{بالمؤمنين}، كلهم رؤف رحيم"[٩٥٥].

عن سعيد بن أبي عروبة :"{بالمؤمنين رؤف رحيم}، قال: رؤف: رقيق"[٩٥٦].

عن عكرمة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جاء جبريل فقال لي: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله إليك وأمره ألا يفعل شيئا إلا بأمرك فقال له ملك الجبال: إن الله أمرني ألا أفعل شيئا إلا بأمرك، إن شئت دمدمت عليهم الجبال، وإن شئت رميتهم بالحصباء وإن شئت خسفت بهم الأرض، قال: يا ملك الجبال، فإني آتي بهم بهم، لعلهم أن تخرج ذرية يقولوا: لا إله إلا الله، فقال ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤف رحيم"[٩٥٧].

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لي أسماء، أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذين يحشر النساء على قدمي، وأنا العاقب: الذي ليس بعده أحد وقد سماه الله رؤفا رحيما"[٩٥٨].

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)} [التوبة : ١٢٩]

التفسير:

فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك -أيها الرسول- فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمَّني، لا معبود بحق إلا هو، عليه اعتمدت، وإليه فَوَّضْتُ جميع أموري; فإنه ناصري ومعيني، وهو رب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات.

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [التوبة : ١٢٩]، أي: فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك -أيها الرسول- فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمَّني، لا معبود بحق إلا هو"[٩٥٩].

عن محمد بن إسحاق :"{لا إله إلا الله}، أي: ليس معه غيره شريكا في أمره"[٩٦٠].

قوله تعالى:{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [التوبة : ١٢٩] ، أي: عليه اعتمدت، وإليه فَوَّضْتُ جميع أموري، فإنه ناصري ومعيني"[٩٦١].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٩٦٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة : ١٢٩] ، أي: وهو رب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات"[٩٦٣].

إسماعيل بن أبي خالد قال: "سمعت سعدا الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"[٩٦٤].

عن كعب قال: "إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض"[٩٦٥].

---

(٩٥٢) أخرجه الطبري(١٧٥١٠):ص٥٨٧/١٤.
(٩٥٣) أخرجه الطبري(١٧٥١١):ص٥٨٧/١٤.
(٩٥٤) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٦٨):ص١٩١٨/٦.
(٩٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٠):ص١٩١٩/٦.
(٩٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٦٩):ص١٩١٨/٦.
(٩٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٦٧):ص١٩١٨/٦.
(٩٥٩) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٤):ص١٩١٩/٦.
(٩٦١) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٥):ص١٩١٩/٦.
(٩٦٣) التفسير الميسر:٢٠٧.
(٩٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٧):ص١٩٢٠/٦.

عن مجاهد قال: "السماوات والأرض عند العرش إلا كحلقة في أرض فلاة"[٩٦٦].

عن وهب بن منبه، قال: "إن الله خلق العرش من نوره، وذكر الحديث"[٩٦٧].

عن عمر بن النصري، قال:" في كتاب ما تنبأ عليه هارون النبي صلى الله عليه وسلم أن بحرنا هذا خليج من نبطس، ونبطس وراءه، وهو محيط بالأرض، فالأرض وما فيها من البحار عند نبطس كعين على سيف البحر، وخلف نبطس عين محيط بالأرض فنبطس وما دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف نبطس الأصم محيط بالأرض فنبطس وما دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف الأصم المظلم محيط بالأرض فالأصم وما دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف المظلم جبل من الماس محيط بالأرض، فالمظلم وما دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف الماس الباكي وهو ماء عذب، محيط بالأرض أمر الله نصفه أن يكون تحت العرش فأراد أن يستجمع فزجره فهو باك يستغفر الله، فالماس وما دونه عنده كعين على سيف البحر والعرش خلف ذلك محيط بالأرض، فالباكي وما دونه عنده كعين على سيف البحر"[٩٦٨].

عن عبيد بن عمير، قال : "كان عمر رحمة الله عليه لا يُثْبت آيةً في المصحف حتى يَشْهَدَ رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه}، فقال عمر : لا أسألك عليهما بيّنةً أبدًا ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم!"[٩٦٩].

عن أبي صالح الحنفي، قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رحيم يحبّ كل رحيم ، يضع رحمته على كل رحيم. قالوا : يا رسول الله ، إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال : وأراه قال : وأزواجنا ؟ قال : ليس كذلك ، ولكن كونوا كما قال الله : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}. أراهُ قرأ هذه الآية كلها"[٩٧٠].

«آخر تفسير سورة التوبة، والحمد لله وحده»

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «يونس»

سورة «يونس»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف، تأتي بعد سورة «التوبة»، وبعد «الإسراء» في ترتيب النزول[٩٧١]، وعدد آياتها (١١٠) مائة وعشر آيات عند الشاميِّين، و(١٠٩) مائة وتسع عند الباقين، عدد كلماتها (١٤٩٩) ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة. وحروفها (٧٠٦٥) سبعة آلاف وخمس وستون، والآيات المختَلف فيها: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [يونس : ٢٢]، {وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس : ٥٧]، و{ مِنَ الشَّاكِرِين} [يونس : ٢٢][٩٧٢].

---

(٩٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٢):ص١٩٢٠/٦.

(٩٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٣):ص١٩٢٠/٦.

(٩٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٨):ص١٩٢٠/٦.

(٩٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٩):ص١٩٢٠/٦.

(٩٦٩) أخرجه الطبري(١٧٥١٢):ص٥٨٨/١٤.

(٩٧٠) أخرجه الطبري(١٧٥١٣):ص٥٨٨/١٤.

(٩٧١) انظر: الكشاف: ٣٢٦/٢.

(٩٧٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٣٨، وعمدة القاري:٣٤٤/١٨.

مجموع فواصل آياته (م ل ن) يجمعها « ملن» على «اللاّم» منها آية واحدة {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، وكلُّ آية على «الميم» قبل «الميم» «ياء»[٩٧٣].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة. وهذا قول ابن عباس[٩٧٤]، وعبدالله بن الزبير[٩٧٥]، والحسن[٩٧٦]، وعكرمة[٩٧٧]، وعطاء[٩٧٨]، وجابر[٩٧٩]، وعليه جمهور المفسرين[٩٨٠].

قال الفيروزآبادي:" اعلم أنّ هذه السّورة مكّيّة، بالاتّفاق"[٩٨١].

والثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٤٠]. نزلت بالمدينة في اليهود. وهذا قول الكلبي[٩٨٢].

والثالث: أن كلها مكية غير آيتين وهما: قوله- تعالى-: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس : ٩٤]، وقوله: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [يونس : ٩٥] ، فإنهما مدنيتان. وهذا قول مقاتل[٩٨٣].

والرابع: أنها مكية إلا ثلاث آيات، وهي: (٩٤ و ٩٥ و ٩٦). وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[٩٨٤].

والخامس: أنها مكية، إلا الآيات: (٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦) فمدنية، به قال الزمخشري[٩٨٥].

والسادس: أنه نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة. حكاه القرطبي عن آخرين[٩٨٦].

قال السيوطي:" المشهور أنها مكية وعن ابن عباس روايتان فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه ومن طريق ابن جريج عن عطاء عنه ومن طريق خصيف عن مجاهد عن ابن الزبير، وأخرج من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنها مدنية، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا [مثل محمد]، فأنزل الله: {أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم}»"[٩٨٧][٩٨٨].

---

(٩٧٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٣٨.

(٩٧٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه إلى النحاس وابي الشيخ وابن مردوية.

(٩٧٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه إلى ابن مردوية.

(٩٧٦) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.

(٩٧٧) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.

(٩٧٨) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.

(٩٧٩) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.

(٩٨٠) انظر: تفسير عبدالرزاق:١٧٣/٢، والكشف والبيان:١١٦/٥، وبحر العلوم:١٠٢/٢، وتفسير ابن كثير:٢٤٥/٤، وروح المعاني:٥٥/٦، والبصائر:٢٣٨/١- والدر المنثور:٣٣٩/٤.

(٩٨١) انظر: البصائر:٢٣٨/١.

(٩٨٢) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.

(٩٨٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٤/٢.

(٩٨٤) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.

(٩٨٥) انظر: الكشاف:٣٢٦/٢.

(٩٨٦) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٤/٨.

(٩٨٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢١):ص٢٢٨٤/٧. والخبر بتمامه:" عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله: {أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم}، وقال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، يعني: فاسألوا أهل الذكر والكتب الماضية: أبشرا كانت الرسل الذين أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم وإن كانوا بشرا فلا تنكروا إن يكون رسولا. ثم قال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى}، أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم".

(٩٨٨) الإتقان في علوم القرآن:٤٧/١-٤٨.

القرآن

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١)} [يونس : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيَّنه لعباده.

قوله تعالى:{الر} [يونس : ١]، الله أعلم بمراده.

وقد اختلف في تفسير قوله تعالى:{الر} [يونس : ١]، على أربعة أقوال:

أحدها: معناه: أنا الله أرى , قاله الضحاك[٩٨٩].

الثاني: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن , قاله سعيد بن جبير[٩٩٠]، وعامر الشعبي[٩٩١].

وعن عكرمة عن ابن عباس، "{الر}: حروف الرحمن مفرقة فحدثنيه الأعمش فقال بذلك مثل هذا فلا تخبرنا"[٩٩٢].

وقال ابن ابي حاتم: "وروي عن سالم بن عبد الله "{الر} و{حم} {ن}: اسم الرحمن مقطع"[٩٩٣].

الثالث: هو اسم من أسماء القرآن , قاله قتادة[٩٩٤].

الرابع: أنها فواتح افتتح الله بها القرآن , قاله مجاهد[٩٩٥].

عن ابن جريج :"قال مجاهد: {الم}: هذا فواتح يفتح الله بها القرآن، قال قلت: ألم تكن تقل اسما قال: لا"[٩٩٦].

والراجح-والله أعلم- أن الحروف المقطعة لها معاني خاصة، سميت أسرارا وحكما أو غير ذلك، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه لم يكلفنا بإدراكها، بل نؤمن بتنزيلها وكونها كلام الله تعالى، ونفوض له سبحانه العلم بحقيقة ما أراد من معانيها، دون أن نزيغ بها إلى معاني باطلة كما وقع لبعض الإشراقيين والفلاسفة الإسلاميين، ودون أن نسلبها معانيها في نفس الأمر بحيث يلزم من ذلك ثبوت كلام لله تعالى لا مدلول له في نفس الأمر، تعالى كلام ربنا عن ذلك.

وهذا مرجع كلام الصحب الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} [يونس : ١]، أي:" هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيَّنه لعباده"[٩٩٧].

عن أبي مالك، قوله: "{تلك}، يعني: هذه"[٩٩٨].

وفي قوله تعالى:{الكِتَابِ الْحِكِيمِ} [يونس : ١]،-ها هنا- أقوال:

أحدها : التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد[٩٩٩].

الثاني : الزبور ، قاله مطر في رواية ابن الحسين بن واقد[١٠٠٠].

الثالث : التوراة والزبور. قاله الحسن[١٠٠١].

الرابع: الكتب التي خلت قبل القرآن. قاله قتادة[١٠٠٢].

---

(٩٨٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٥):ص١٩٢١/٦.

(٩٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٢٢):ص١٠/١٥.

(٩٩١) انظر: تفسير الطبري(١٧٥٢٣):ص١٠/١٥.

(٩٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٦):ص١٩٢١/٦.

(٩٩٣) تفسير ابن ابي حاتم:ص١٩٢١/٦. حكاه ضمن الخبر المرقم((١٠١٨٦) في الصحيفة نفسها.

(٩٩٤)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٧):ص١٩٢١/٦.

(٩٩٥)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦.

(٩٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦.

(٩٩٧) التفسير الميسر:٢٠٨.

(٩٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٩):ص١٩٢١/٦-١٩٢٢.

(٩٩٩) أخرجه الطبري(١٧٥٢٥):ص١١/١٥.

(١٠٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٩٠):ص١٩٢٢/٦.

(١٠٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٩١):ص١٩٢٢/٦.

(١٠٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٩٢):ص١٩٢٢/٦.

والمراد «القرآن»، وهو أولى بالصواب، لأنه لم يجر للكتب المتقدمة ذكر، ولأن «الحكيم» من نعت القرآن. دليله قوله تعالى:{الر كتاب أحكمت آياته}[هود: ١]-والله أعلم-[١٠٠٣].

وفي قوله:{الحَكِيمِ} [يونس : ١]، وجوه من التفسير:

عن الحسن:" «الحكيم» بمعنى :المحكوم فيه، أي: حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول"[١٠٠٤].

القرآن

{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)} [يونس : ٢]

التفسير:

أكان أمرًا عجبًا للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم ينذرهم عقاب الله، ويبشِّر الذين آمنوا بالله ورسله أن لهم أجرًا حسنًا بما قدَّموا من صالح الأعمال؟ فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي الله وتلاه عليهم، قال المنكرون: إنَّ محمدًا ساحر، وما جاء به سحر ظاهر البطلان.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال : "لما بعث الله محمدًا رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : اللهُ أعظمُ من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد ! فأنزل الله تعالى : {أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم }، وقال : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالا} [سورة يوسف : ١٠٩]"[١٠٠٥].

قوله تعالى:{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} [يونس : ٢]، أي:" أكان أمرًا عجبًا للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم، بأن أنذر الناس عقاب الله"[١٠٠٦].

قال ابن جريج: "عجبت قريش أن بُعث رجل منهم. قال : ومثل ذلك : {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [سورة الأعراف : ٦٥] ، {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}، [سورة الأعراف : ٧٣] ، قال الله: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ } [سورة الأعراف : ٦٩] "[١٠٠٧].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس : ٢]، أي:" وأنْ بَشّرِ المؤمنين بأنَّ لهم سابقةً ومنزلة رفيعة عند ربهم بما قدموا من صالح الأعمال"[١٠٠٨].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [يونس : ٣]

التفسير:

إن ربكم الله الذي أوجد السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضادُّه في قضائه أحد، ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له بالشفاعة، فاعبدوا الله ربكم المتصف بهذه الصفات، وأخلصوا له العبادة. أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج؟

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [يونس : ٣]، أي:" إن ربكم الله الذي أوجد السموات والأرض في ستة أيام"[١٠٠٩].

(١٠٠٣) تفسير القرطبي:٣٠٥/٨.

(١٠٠٤) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٥/٨.

(١٠٠٥) أخرجه الطبري(١٧٥٢٧):ص١٣/١٥.

(١٠٠٦) انظر: التفسير الميسر:٢٠٨، وصفوة التفاسير:٥٣٣/١.

(١٠٠٧) أخرجه الطبري(١٧٥٢٨):ص١٣/١٥.

(١٠٠٨) صفوة التفاسير:٥٣٣/١.

(١٠٠٩) التفسير الميسر:٢٠٨.

عن محمد بن إسحاق، قال: "ابتدع السماوات والأرض، ولم يكونا بقدرته لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه، ولم يشركه في شيء من أمره، فسلطانه قاهر قوله النافذ الذي يقول به لما أراه أن يقول له: كن فيكون، ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[١٠١٠].

عن وهب بن منبه، قال:" قال عزير يا رب أمرت الماء فجمد في وسط الهواء فجعلت منه سبعا وسميته السماوات ثم أمرت الماء ينفتق من التراب وأمرت التراب أن يميز من الماء فكان كذلك، فسميت جميع ذلك الأرضين وجميع البحار"[١٠١١].

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [يونس : ٣]، أي:" ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته"[١٠١٢].

عن أبي العالية في قوله: "{ثم استوى}، يقول: ارتفع"[١٠١٣]. وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله[١٠١٤].

عن قتادة، في قول الله:"{ ثم استوى على العرش}، قال: يوم السابع"[١٠١٥].

عن الحكم بن أبان، قال: "سمعت عكرمة يقول إن الله بدء خلق السماوات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات، فخلق في ناحية منها الشموس كي يرغب الناس إلى ربهم في الدعاء والمسألة، وخلق في ناحية النتن الذي يسقط على ابن آدم إذا مات لكي يقبر"[١٠١٦].

عن إسماعيل بن أبي خالد قال :"سمعت سعدا الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء"[١٠١٧].

عن وهب بن منبه قال :"إن الله خلق العرش من نور"[١٠١٨].

وأما قوله تعالى:{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي[١٠١٩] شيخ البخاري - : «من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر»[١٠٢٠]. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى[١٠٢١].

وقال أبو بكر المروذي: "سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية، والإسراء، وقصة العرش، فصححه أبو عبد الله وقال: تلقتها العلماء بالقبول، تمر الأخبار كما جاءت"[١٠٢٢].

(١٠١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٠٨):ص١٩٢٤/٦.
(١٠١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٠٩):ص١٩٢٤/٦-١٩٢٥.
(١٠١٢) التفسير الميسر:٢٠٨.
(١٠١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١١):ص١٩٢٥/٦.
(١٠١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٢٥/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٠١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١٢):ص١٩٢٥/٦.
(١٠١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١٢):ص١٩٢٥/٦. قطعة من الخبر السابق.
(١٠١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١٤):ص١٩٢٥/٦.
(١٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١٥):ص١٩٢٥/٦.
(١٠١٩)هو أبو عبد الله، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، كان من أشهر المحدثين، توفي محبوساً في سامرا سنة ٢٢٨، وقيل غير ذلك.
انظر: الطبقات الكبرى ٥١٩/٧، وتهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠.
(١٠٢٠)أورده الذهبي في العلو ص١٢٦، قال الألباني في مختصره لكتاب الذهبي ص١٨٦: إسناده صحيح، وابن تيمية في الفتاوى ١٩٦/٥، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٢١.
(١٠٢١) تفسير ابن كثير:٤٢٧/٣.
(١٠٢٢)رواه مختصراً ابن قدامة في ذم التأويل ص٢١، ورواه بتمامه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٥٦/١.

وقال محمد بن الحسن الشيباني ـ صاحب أبي حنيفة ـ :"اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم لم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم[١٠٢٣] فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيئ"[١٠٢٤].

وقال عباد بن العوام: "قدم علينا شريك بن عبد الله، فقلنا: إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث: " إن الله ينزل إلى سماء الدنيا " والرؤية وما أشبه هذه الأحاديث فقال: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنن في الصلاة، والزكاة، والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث"[١٠٢٥].

قوله تعالى:{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} [يونس : ٣]، أي:" يدبر أمور خلقه، لا يضادُّه في قضائه أحد"[١٠٢٦].

عن مجاهد قوله: "{يدبر الأمر}، قال: يقبضه وحده"[١٠٢٧].

قوله تعالى:{مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس : ٣]، أي:" ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له بالشفاعة"[١٠٢٨].

عن سعيد بن جبير، قال: "من يتكلم عنده إلا بإذنه"[١٠٢٩].

عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة" أنه قال حين نزلت هذه الآية : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } لقيهم ركب عظيم لا يرون إلا أنهم من العرب ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا. من الجن ، خرجنا من المدينة ، أخرجتنا هذه الآية"[١٠٣٠].

القرآن

{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)} [يونس : ٤]

التفسير:

إلى ربكم معادكم يوم القيامة جميعًا، وهذا وعد الله الحق، هو الذي يبدأ إيجاد الخلق ثم يعيده بعد الموت، فيوجده حيًا كهيئته الأولى، ليجزي مَن صَدَّق الله ورسوله، وعمل الأعمال الحسنة أحسن الجزاء بالعدل. والذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله لهم شراب من ماء شديد الحرارة يشوي الوجوه ويقطِّع الأمعاء، ولهم عذاب موجع بسبب كفرهم وضلالهم.

قوله تعالى:{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} [يونس : ٤]، أي:" إلى ربكم مرجعكم أيها الناس يوم القيامة جميعاً"[١٠٣١].

(١٠٢٣)جهم بن صفوان من أهل خراسان ينسب إلى سمرقند وزمنه ومحتده الكوفة، وكنى أبا محرز، وكان مولى لبني راسب من الأزد، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم وكان فصيحاً، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو إليها، وكان أكثر كلامه في الإلهيات.

انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص١٠.

قال المقريزي: حدث مذهب الجهم بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً آثرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير، وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعة على أقواله التي تؤول إلى التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤا على إنكارها وتضليل أهلها، وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله، وذموا من جلس إليهم، وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهله.

الخطط ٢٥٧/٢.

(١٠٢٤)رواه ابن قدامة في ذم التأويل ص١٣-١٤، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ((٧٤٠)) ٤٣٢/٣، والذهبي في العلو ص١١٣.

(١٠٢٥) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي:٢٢٠، ولم أجده بهذا اللفظ، ورواه بلفظ مقارب الدارقطني في الصفات ص٤٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨٥/٨.

(١٠٢٦) التفسير الميسر:٢٠٨.

(١٠٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢١٦):ص١٩٢٦/٦.

(١٠٢٨) التفسير الميسر:٢٠٨.

(١٠٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢١٧):ص١٩٢٦/٦.

(١٠٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٢):ص١٤٩٦/٥، و(١٠٢٠٧):ص١٩٢٤/٦.

(١٠٣١) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.

عن الضحاك، قوله: "{إليه مرجعكم جميعا}، قال: البر والفاجر"[١٠٣٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس : ٤]، أي:" هو الذي يبدأ إيجاد الخلق ثم يعيده بعد الموت، فيوجده حيًا كهيئته الأولى"[١٠٣٣].

عن مجاهد قوله: "{يبدؤا الخلق ثم يعيده}: يحييه ثم يميته ثم يحييه"[١٠٣٤].

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ} [يونس : ٤]، أي:" ليجزي مَن صَدَّق الله ورسوله، وعمل الأعمال الحسنة أحسن الجزاء بالعدل"[١٠٣٥].

عن زيد بن أسلم الذين: "{آمنوا وعملوا الصالحات}، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم"[١٠٣٦].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ} [يونس : ٤]، أي:" والذين جحدوا بالله وكذبوا رسله لهم في جهنم شرابٌ من حميم، بالغ النهاية في الحرارة"[١٠٣٧].

عن إبراهيم وأبي رزين، "{حميم}، قالا: ما يسيل من صديدهم"[١٠٣٨].

قوله تعالى:{وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس : ٤]، أي:" ولهم عذاب موجع بسبب كفرهم وإشراكهم"[١٠٣٩].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٠٤٠]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٠٤١].

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)} [يونس : ٥]

التفسير:

الله هو الذي جعل الشمس ضياء، وجعل القمر نورًا، وقدَّر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، يبيِّن الحجج والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق.

عن السدي قوله: "{جعل الشمس ضياء والقمر نورا}، فلم يجعل كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار وهو قوله: {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}[١٠٤٢]: في اختلافهما"[١٠٤٣].

قوله تعالى:{يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس : ٥]، أي:" يبيّن الآيات الكونيّة ويوضحها لقوم يعلمون قدرة الله، ويتدبرون حكمته"[١٠٤٤].

عن السدي قوله: "{يفصل الآيات}، أما «نفصل»: نبين"[١٠٤٥].

القرآن

(١٠٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٢٠):ص١٩٢٦/٦.
(١٠٣٣) التفسير الميسر:٢٠٨.
(١٠٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٢١):ص١٩٢٦/٦.
(١٠٣٥) التفسير الميسر:٢٠٨.
(١٠٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٢٢):ص١٩٢٦/٦.
(١٠٣٧) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.
(١٠٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٢٥):ص١٩٢٧/٦.
(١٠٣٩) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.
(١٠٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٠٤١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٠٤٢)[الإسراء : ١٢].
(١٠٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٢٨):ص١٩٢٧/٦.
(١٠٤٤) صفوة التفاسير:٥٣٤/١.
(١٠٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٢٩):ص١٩٢٨/٦.

{إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)} [يونس : ٦]

التفسير:

إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من عجائب الخلق وما فيهما من إبداع ونظام، لأدلة وحججًا واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه.

قوله تعالى:{لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس : ٦]، أي:" لأدلة وحججًا واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه"(١٠٤٦).

عن الضحاك، قوله: "{يتقون}، قال: يتقون النار بالصلوات الخمس"(١٠٤٧).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧)} [يونس : ٧]

التفسير:

إن الذين لا يطمعون في لقائنا في الآخرة للحساب، وما يتلوه من الجزاء على الأعمال لإنكارهم البعث، ورضوا بالحياة الدنيا عوضًا عن الآخرة، وركنوا إليها، والذين هم عن آياتنا الكونية والشرعية ساهون.

قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} [يونس : ٧]، أي:" إن الذين لا يطمعون في لقائنا في الآخرة للحساب، وما يتلوه من الجزاء على الأعمال لإنكارهم البعث، ورضوا بالحياة الدنيا عوضًا عن الآخرة، وفرحوا بها وسكنوا إليها"(١٠٤٨).

عن مجاهد :"{واطمأنوا بها}، مثل قوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا}(١٠٤٩) "(١٠٥٠).

عن الحسن في قوله: "{إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها}، فقال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها"(١٠٥١).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس : ٧]، أي:" والذين هم عن آياتنا الكونية والشرعية غافلون، لا يعتبرون فيها ولا يتفكرون"(١٠٥٢).

عن قتادة، قوله: "{إن الذين لا يرجون لقاءنا}، إلى قوله: {عن آياتنا غافلون}، قال: إذا أتيت رأيته صاحب دنيا، لها يفرح، ولها يحزن ولها يرضى ولها يسخط"(١٠٥٣).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)} [يونس : ٩]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يدلهم ربهم إلى طريق الجنة ويوفقهم إلى العمل الموصل إليه؛ بسبب إيمانهم، ثم يثيبهم بدخول الجنة وإحلال رضوانه عليهم، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} [يونس : ٩]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يدلهم ربهم إلى طريق الجنة ويوفقهم إلى العمل الموصل إليه؛ بسبب إيمانهم"(١٠٥٤).

(١٠٤٦) التفسير الميسر:٢٠٨.
(١٠٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٣١):ص١٩٢٨/٦.
(١٠٤٨) صفوة التفاسير:٥٣٥/١.
(١٠٤٩)[هود : ١٥].
(١٠٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٣٣):ص١٩٢٨/٦.
(١٠٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٣٤):ص١٩٢٨/٦.
(١٠٥٢) انظر: التفسير الميسر:٢٠٩، وصفوة التفاسير:٥٣٥/١.
(١٠٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٣٢):ص١٩٢٨/٦.
(١٠٥٤) .التفسير الميسر:٢٠٩

عن مجاهد، قوله: "{يهديهم ربهم بإيمانهم}: يكون لهم نورا يمشون به"[١٠٥٥].

عن قتادة :"يعني قوله: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم}، ثنا الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره مثل له عمله في صورة حسنة، وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فو الله إني لأراك عين امرئ صدق فيقول أنا عملك فيكون له نورا قائدا إلى الجنة وأما الكافر إذا خرج من قبره مثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيقول ما أنت إني لأراك عين امرئ سوء فيقول: أنا عملك فينطلق حتى يدخله النار"[١٠٥٦].

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس : ٩]، أي:" ثم يثيبهم بدخول الجنة وإحلال رضوانه عليهم، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم"[١٠٥٧].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[١٠٥٨].

وقال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[١٠٥٩].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[١٠٦٠].

عن زيد بن الحباب، قال: "سمعت أبا عبد الملك ... قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعيم أهل الجنة برضوان الله عنهم أفضل من نعيمهم بها في الجنان"[١٠٦١].

القرآن

{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)} [يونس : ١٠]

التفسير:

دعاؤهم في الجنة التسبيح (سبحانك اللهم) ، وتحية الله وملائكته لهم، وتحية بعضهم بعضًا في الجنة (سلام) ، وآخر دعائهم قولهم: «الحمد لله رب العالمين» أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومربِّيها بنعمه.

قوله تعالى:{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ} [يونس : ١٠]، أي:" دعاؤهم في الجنة التسبيح «سبحانك اللهم»"[١٠٦٢].

عن الربيع ابن أنس، قال: "أهل الجنة إذا اشتهوا شيئا قالوا: سبحانك اللهم وبحمدك فإذا هو عندهم فذلك قوله: {دعواهم فيها سبحانك اللهم}"[١٠٦٣].

عن قتادة، قوله: "{دعواهم فيها سبحانك اللهم}، يقول: ذلك قولهم فيها، {وتحيتهم فيها سلام}"[١٠٦٤].

وفي معنى:«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ»، وجهان:

أحدهما: أن «سبحان الله»: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه. قاله الحسن[١٠٦٥].

والثاني: أن «سبحان الله»: اسم يعظم الله به ونجانا به من السوء. قاله ميمون بن عثمان[١٠٦٦].

قوله تعالى:{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]، أي:" وآخر دعائهم قولهم: «الحمد لله رب العالمين» أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومربِّيها بنعمه"[١٠٦٧].

روي عن ابن أبي المذيل :"«الحمد لله» أوله وآخره" [١٠٦٨].

(١٠٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٦):ص١٩٢٩/٦.
(١٠٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٧):ص١٩٢٩/٦.
(١٠٥٧) .التفسير الميسر:٢٠٩
(١٠٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(١٠٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٣):ص٦٦/١.
(١٠٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(١٠٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٩):ص١٩٢٩/٦.
(١٠٦٢) التفسير الميسر:٢٠٩.
(١٠٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٤٠):ص١٩٢٩/٦-١٩٣٠.
(١٠٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٤١):ص١٩٣٠/٦.
(١٠٦٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٤٤):ص١٩٣٠/٦.
(١٠٦٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٤٥):ص١٩٣٠/٦.
(١٠٦٧) التفسير الميسر:٢٠٩.

وفي قوله تعالى:{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]، وجهان:
أحدهما: أن« الحمد لله»: ثناء الله. قاله كعب[١٠٦٩].
الثاني: أن «الحمد لله»: رداء الرحمن. قاله الضحاك[١٠٧٠].
وفي قوله تعالى:{ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]، وجوه:
أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[١٠٧١].
الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة[١٠٧٢].
الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس, وهذا قول مجاهد[١٠٧٣].

القرآن

{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)} [يونس : ١١]

التفسير:

ولو يعجِّل الله للناس إجابة دعائهم في الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا، فنترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث والنشور في تمرُّدهم وعتوِّهم، يترددون حائرين.

قوله تعالى:{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} [يونس : ١١]، أي:" ولو يعجِّل الله للناس إجابة دعائهم في الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا وعُجِّل لهم الموت"[١٠٧٤].

عن مجاهد قوله: "{ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير}، قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه"[١٠٧٥]، قوله "{لقضي إليهم أجلهم}: لأهلك من دعا عليه ولأماته"[١٠٧٦].

عن قتادة :"{ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير}، قال: هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له"[١٠٧٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير}، قال: هو الرجل يدعو على نفسه: اللهم اخزه اللهم افعل به كذا وكذا، فلو عجل الله لهم ذلك، كما يعجل الله لهم: اللهم ارزقني لقضي إليهم الأجل"[١٠٧٨].

قوله تعالى:{فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [يونس : ١١]، أي:" فنترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث والنشور في تمرُّدهم وعتوِّهم، يترددون حائرين"[١٠٧٩].

عن قتادة :"{الذين لا يرجون لقاءنا}، مشركي أهل مكة"[١٠٨٠].

عن أبي العالية: "{في طغيانهم}، يعني: في ضلالهم، وقد تقدم القول فيه"[١٠٨١].

القرآن

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)} [يونس : ١٢]

(١٠٦٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢٤٧):ص١٩٣١/٦.
(١٠٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٤٩):ص١٩٣١/٦.
(١٠٧٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٠):ص١٩٣١/٦.
(١٠٧١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.
(١٠٧٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٣):ص١٩٣١/٦.
(١٠٧٣) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٣٢/٦.
(١٠٧٤) انظر: التفسير الميسر:٢٠٩، وصفوة التفاسير:٥٣٥/١
(١٠٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٥٥):ص١٩٣٢/٦.
(١٠٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٥٨):ص١٩٣٢/٦.
(١٠٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٥٦):ص١٩٣٢/٦.
(١٠٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٥٧):ص١٩٣٢/٦.
(١٠٧٩) التفسير الميسر:٢٠٩.
(١٠٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٥٩):ص١٩٣٢/٦.
(١٠٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٦٠):ص١٩٣٢/٦.

التفسير:
وإذا أصاب الإنسانَ الشدةُ استغاث بنا في كشف ذلك عنه مضطجعًا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا، على حسب الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرِّ به. فلما كشفنا عنه الشدة التي أصابته استمرَّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الشدة والبلاء، وترك الشكر لربه الذي فرَّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، كما زُيِّن لهذا الإنسان استمراره على جحوده وعناده بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، زُيِّن للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به.

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا} [يونس : ١٢]، أي:" وإذا أصاب الإنسانَ الشدةُ استغاث بنا في كشف ذلك عنه مضطجعًا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا، على حسب الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرِّ به"(١٠٨٢).

عن قتادة قال: "إذا مسهم الضر: خلصوا لله الدعاء"(١٠٨٣).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس : ١٢]، أي:" كما زُيّن لذلك الإنسان الدعاء عند الضرِّ والإعراضُ عند الرخاء، كذلك زُيّن للمسرفين المتجاوزين الحد في الإجرام، ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر، ومتابعة الشهوات"(١٠٨٤).

عن عباد ابن منصور، قال: "سألت الحسن عن قوله: {زين}، قال: زين لهم الشيطان"(١٠٨٥).

القرآن

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣)} [يونس : ١٣]

التفسير:
ولقد أهلكنا الأمم التي كذَّبت رسل الله من قبلكم -أيها المشركون بربهم- لمَّا أشركوا، وجاءتهم رسلهم من عند الله بالمعجزات الواضحات والحجج التي تبين صدق مَن جاء بها، فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها لتصدق رسلها وتنقاد لها، فاستحقوا الهلاك، ومثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم متجاوز حدود الله.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} [يونس : ١٣]، أي:" ولقد أهلكنا الأمم التي كذَّبت رسل الله من قبلكم -أيها المشركون بربهم- لمَّا أشركوا"(١٠٨٦).

عن زيد بن أسلم :"أن أهل السهل كان قد ضاق بهم وأهل الجبل حتى ما يقدروا أهل السهل أن يرتقوا إلى الجبل ولا أهل الجبل أن ينزلوا إلى أهل السهل في زمان نوح، قال حشوا"(١٠٨٧).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس : ١٣]، أي:" ومثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم متجاوز حدود الله"(١٠٨٨).

عن أبي مالك، قوله: "{كذلك}، يعني: هكذا"(١٠٨٩).

القرآن

{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)} [يونس : ١٤]

التفسير:
ثم جعلناكم -أيها الناس- خَلَفًا في الأرض من بعد القرون المُهْلَكة، لننظر كيف تعملون: أخيرًا أم شرًا، فنجازيكم بذلك حسب عملكم.

(١٠٨٢) التفسير الميسر:٢٠٩.
(١٠٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٦١):ص١٩٣٣/٦.
(١٠٨٤) صفوة التفاسير:٥٣٥/١.
(١٠٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٦٢):ص١٩٣٣/٦.
(١٠٨٦) صفوة التفاسير:٥٣٥/١.
(١٠٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٦٤):ص١٩٣٣/٦.
(١٠٨٨) صفوة التفاسير:٥٣٥/١.
(١٠٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٦٦):ص١٩٣٣/٦.

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ} [يونس : ١٤]، أي:" ثم جعلناكم -أيها الناس- خَلَفًا في الأرض من بعد القرون المُهْلَكة"(١٠٩٠).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "قال عمر يقول الله تعالى: {ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون}، قال: فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل؟"(١٠٩١).

قوله تعالى:{لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس : ١٤]، أي:" لننظر كيف تعملون: أخيرًا أم شرًا، فنجازيكم بذلك حسب عملكم"(١٠٩٢).

عن قتادة، في قول الله: "{ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون}، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال: صدق ربنا ما جعلنا خلائف الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا فأدوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية"(١٠٩٣).

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)} [يونس : ١٥]

التفسير:

وإذا تتلى على المشركين آيات الله التي أنزلناها إليك -أيها الرسول- واضحات، قال الذين لا يخافون الحساب، ولا يرجون الثواب، ولا يؤمنون بيوم البعث والنشور: ائت بقرآن غير هذا، أو بدِّل هذا القرآن: بأن تجعل الحلال حرامًا، والحرام حلالا والوعد وعيدًا، والوعيد وعدًا، وأن تُسْقط ما فيه مِن عيب آلهتنا وتسفيه أحلامنا، قل لهم -أيها الرسول-: إن ذلك ليس إليَّ، وإنما أتبع في كل ما آمركم به وأنهاكم عنه ما ينزله عليَّ ربي ويأمرني به، إني أخشى من الله -إن خالفت أمره- عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة.

عن قتادة :"{وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات}، إلى قوله: {من تلقاء نفسي}، هذا قول مشركي مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم"(١٠٩٤).

القرآن

{قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)} [يونس : ١٦]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم، ولا أعلمكم الله به، فاعلموا أنه الحق من الله، فإنكم تعلمون أنني مكثت فيكم زمنًا طويلا من قبل أن يوحيه إليَّ ربي، ومن قبل أن أتلوه عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر؟

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} [يونس : ١٦]، أي:" قل لهم -أيها الرسول- : لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم، ولا أعلمكم الله به، فاعلموا أنه الحق من الله"(١٠٩٥).

عن قتادة، قال: "ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به}"(١٠٩٦).

وفي قوله تعالى:{ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} [يونس : ١٦]، وجهان:

أحدهما: ولا أشعركم به. قاله قتادة(١٠٩٧).

(١٠٩٠) صفوة التفاسير:١/٥٣٥.

(١٠٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٦٧):ص١٩٣٤/٦.

(١٠٩٢) صفوة التفاسير:١/٥٣٥.

(١٠٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٦٨):ص١٩٣٤/٦.

(١٠٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٦٩):ص١٩٣٤/٦.

(١٠٩٥) التفسير الميسر:٢١٠.

(١٠٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧١):ص١٩٣٤/٦.

(١٠٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٧٣):ص١٩٣٤/٦.

الثاني: يعني: ولا أنذركم به. قاله شهر بن حوشب[١٠٩٨].

قوله تعالى:{فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يونس : ١٦]، أي:" فإنكم تعلمون أنني مكثت فيكم زمنًا طويلا من قبل أن يوحيه إليَّ ربي، ومن قبل أن أتلوه عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر؟"[١٠٩٩].

عن السدي، قوله: "{لبثت فيكم عمرا من قبله}، قال: لم أتلوا عليكم، ولم أذكره {أفلا تعقلون}؟"[١١٠٠].

عن قتادة، قوله: "{فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون}، قال: لبث أربعين سنة ضالا ورأى رؤيا النبوة سنتين وأوحي إليه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة وتوفي وهو ابن اثنتين وستين سنة صلى الله عليه وسلم"[١١٠١].

القرآن

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)} [يونس : ١٧]

التفسير:

لا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب أو كذَّب بآياته، إنه لا ينجح مَن كذَّب أنبياء الله ورسله، ولا ينالون الفلاح.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: وإذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى، فأنزل الله عز وجل: {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون}"[١١٠٢].

والثاني: عن معاذ بن رفاعة، قال: "سمعت أبا خلف الأعمى، قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله تعالى :{ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون}"[١١٠٣].

القرآن

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)} [يونس : ١٨]

التفسير:

ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله ما لا يضرهم شيئًا، ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويقولون: إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله، قل لهم -أيها الرسول-: أتخبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه مِن أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيهما شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم، فالله تعالى منزَّه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع.

قوله تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} [يونس : ١٨]، أي:" ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله ما لا يضرهم شيئًا، ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة"[١١٠٤].

عن مجاهد قال: "الأوثان"[١١٠٥].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس : ١٨]، أي:" ويقولون: إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله"[١١٠٦].

(١٠٩٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٧٤):ص١٩٣٤/٦.
(١٠٩٩) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٦):ص١٩٣٥/٦.
(١١٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٥):ص١٩٣٥/٦.
(١١٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٧):ص١٩٣٥/٦.
(١١٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٨):ص١٩٣٥/٦.
(١١٠٤) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٩):ص١٩٣٦/٦.
(١١٠٦) التفسير الميسر:٢١٠.

عن عكرمة قال: "قال النضر بن الحارث، إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى قال فأنزل الله: {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله}"[١١٠٧].

قوله تعالى:{قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [يونس : ١٨]، أي:" قل لهم - أيها الرسول-: أتخبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه مِن أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيهما شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم"[١١٠٨].

عن السدي: "{قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض} أن له شريكا أم بظاهر من القول تقولونه أم تجدونه في القرآن أن له شريكا"[١١٠٩].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس : ١٨]، أي:" فالله تعالى منزَّه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع"[١١١٠].

عن السدي :{وتعالى عما يشركون}، يقول: عما أشرك المشركون"[١١١١].

عن مجاهد: {وتعالى عما يشركون}، قال: هو الانكفاف انكف نفسه يقول: عظم نفسه وأنكفته الملائكة وما سبح له"[١١١٢].

عن أبي مالك: "{وتعالى عما يشركون}، قال: هذه لقوم محمد صلى الله عليه وسلم"[١١١٣].

القرآن

{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)} [يونس : ١٩]

التفسير:

كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق. ولولا كلمة سبقت من الله بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم لقُضِيَ بينهم: بأن يُهْلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا} [يونس : ١٩]، أي:" كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق"[١١١٤].

عن مجاهد:"{كان الناس أمة} قال: آدم"[١١١٥]. وروي عن الثوري نحو ذلك[١١١٦].

وعن مجاهد-أيضا- قوله: "{وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا}، حين قتل أحد ابني آدم أخاه"[١١١٧].

عن قتادة: "{فاختلفوا} فيه قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحا وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وبعث عند الاختلاف من الناس وترك الحق، فبعث الله رسله وأنزل كتابه ليحتج به على خلقه"[١١١٨].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس : ١٩]، أي:" ولولا كلمة سبقت من الله بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم لقُضِيَ بينهم: بأن يُهْلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق"[١١١٩].

(١١٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٠):ص١٩٣٦/٦.
(١١٠٨) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨١):ص١٩٣٦/٦.
(١١١٠) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٢):ص١٩٣٦/٦.
(١١١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٣):ص١٩٣٦/٦.
(١١١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٤):ص١٩٣٦/٦.
(١١١٤) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٥):ص١٩٣٦/٦.
(١١١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٣٦/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٧):ص١٩٣٧/٦.
(١١١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٧):ص١٩٣٧/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!
(١١١٩) التفسير الميسر:٢١٠.

عن السدي، قوله: "{ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم}، يقول: كان الناس أهل دين واحد، على دين آدم فكفروا فلولا أن ربك أجلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم"[١١٢٠].

وقال الحسن: "{ولولا كلمة سبقت من ربك}، مضت في حكمه أنه: لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة"[١١٢١].

القرآن

{وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٢٠)} [يونس : ٢٠]

التفسير:

ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون: هلاَّ أُنزل على محمد علم ودليل، وآية حسية من ربه نعلم بها أنه على حق فيما يقول، فقل لهم -أيها الرسول-: لا يعلم الغيب أحد إلا الله، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فانتظروا -أيها القوم- قضاء الله بيننا وبينكم بتعجيل عقوبته للمبطل منا، ونصرة صاحب الحق، إني منتظر ذلك.

قوله تعالى:{فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} [يونس : ٢٠]، أي:" فانتظروا -أيها القوم- قضاء الله بيننا وبينكم بتعجيل عقوبته للمبطل منا، ونصرة صاحب الحق، إني منتظر ذلك"[١١٢٢].

عن الربيع، في قوله: "{فانتظروا إني معكم من المنتظرين}، قال: خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته"[١١٢٣].

القرآن

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)} [يونس : ٢١]

التفسير:

وإذا أذقنا المشركين يسرًا وفرجًا ورخاءً بعد عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذِّبون، ويستهزئون بآيات الله، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم. إن حَفَظَتَنا الذين نرسلهم إليكم يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا، ثم نحاسبكم على ذلك.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ} [يونس : ٢١]، أي:" وإذا أذقنا المشركين يسرًا وفرجًا ورخاءً بعد عسر وشدة وكرب أصابهم"[١١٢٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ} [يونس : ٢١]، وجهان:

أحدهما : خصباً بعد جدب ، وهذا قول الضحاك[١١٢٥].

الثاني : إسلاماً بعد كفر وهو المنافق ، وهذا معنى قول الحسن[١١٢٦].

عن الحسن:" {وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم}- قال: ذاك المنافق"[١١٢٧].

قوله تعالى:{إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا} [يونس : ٢١]، أي:" إذا هم يكذِّبون، ويستهزئون بآيات الله"[١١٢٨].

قال مجاهد:" يعني: استهزاء بالرسل وتكذيبا بالقرآن"[١١٢٩].

عن مستور، قال:" سئل الحسن عن هذه الآية: {إذا لهم مكر في آياتنا}، [قال]:"منافق والله"[١١٣٠].

(١١٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٨):ص١٩٣٧/٦.
(١١٢١) تفسير البغوي:١٢٧/٤.
(١١٢٢) التفسير الميسر:٢١٠.
(١١٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٨٩):ص١٩٣٧/٦.
(١١٢٤) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٢٥) انظر: النكت والعيون:٤٢٩/٢.
(١١٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٩٠):ص١٩٣٧/٦، والنكت والعيون:٤٢٩/٢.
(١١٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٩٠):ص١٩٣٧/٦.
(١١٢٨) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٢٩) تفسير مجاهد: ٣٨٠، و تفسير الطبري(١٧٥٩٢):ص٤٩/١٥.
(١١٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٩٢):ص١٩٣٨/٦.

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا} [يونس : ٢١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم"(١١٣١).

قال عطاء: "أسرع نقمة"(١١٣٢).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)} [يونس : ٢٢]

التفسير:

هو الذي يسيِّركم -أيها الناس- في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر في السُّفُن، حتى إذا كنتم فيها وجرت بريح طيبة، وفرح ركاب السفن بالريح الطيبة، جاءت هذه السفنَ ريحٌ شديدة، وجاء الركابَ الموجُ (وهو ما ارتفع من الماء) من كل مكان، وأيقنوا أن الهلاك قد أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، وتركوا ما كانوا يعبدون، وقالوا: لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نِعَمك.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [يونس : ٢٢]، أي:" هو الذي يسيِّركم -أيها الناس- في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر في السُّفُن"(١١٣٣).

قال الضحاك:" البر: بادية الأعراب، والبحر، الأمصار والقرى"(١١٣٤).

قوله تعالى:{جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} [يونس : ٢٢]، أي:" وفجأةً جاءتها الريح الشديدة العاصفة المدمّرة"(١١٣٥).

عن عبد الله بن شداد بن المناد، قال :"الريح: من روح الله. فإذا رأيتموها فاسألوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها"(١١٣٦).

قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ} [يونس : ٢٢]، أي:" وأيقنوا أن الهلاك قد أحاط بهم"(١١٣٧).

عن مجاهد قال: "ما كان من «ظن» في القرآن فهو يقين"(١١٣٨).

قوله تعالى:{دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [يونس : ٢٢]، أي:" أخلصوا الدعاء لله وتركوا ما كانوا يعبدون"(١١٣٩).

عن قتادة :"{دعوا الله مخلصين له الدين}، قال: إذا مسهم الضر في البحر أخلصوا لله الدعاء"(١١٤٠).

عن سعيد بن جبير:"{مخلصين له الدين}، قال: إذا قلت لا إله إلا الله فقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين"(١١٤١).

القرآن

{فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)} [يونس : ٢٣]

التفسير:

(١١٣١) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٣٢) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ١٥٦/١١.
(١١٣٣) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٩٤):ص١٩٣٨/٦.
(١١٣٥) صفوة التفاسير:٥٤٠/١.
(١١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٩٦):ص١٩٣٨/٦.
(١١٣٧) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٩٧):ص١٩٣٨/٦.
(١١٣٩)التفسير الميسر:٢١١.
(١١٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٩٩):ص١٩٣٩/٦.
(١١٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٠):ص١٩٣٩/٦.

فلما أنجاهم الله من الشدائد والأهوال إذا هم يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. يا أيها الناس إنما وَبالُ بغيكم راجع على أنفسكم، لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إلينا مصيركم ومرجعكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [يونس : ٢٣]، أي:" فلما خلّصهم وأنقذهم إذا هم يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي"(١١٤٢).

عن مجاهد قوله: "{يبغون}، قال: يلعبون"(١١٤٣).

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [يونس : ٢٣]، أي:" يا أيها الناس إنما وَبالُ بغيكم راجع على أنفسكم"(١١٤٤).

عن زيد بن أسلم :"أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤخر الله عقوبة البغي فإن الله قال: إنما بغيكم على أنفسكم"(١١٤٥).

عن الزهري، قال: "بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تبغ ولا تعن باغيا فإن الله يقول: يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم"(١١٤٦).

قوله تعالى:{مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس : ٢٣]، أي:" لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة"(١١٤٧).

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"(١١٤٨).

عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"(١١٤٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ} [يونس : ٢٣]، أي:" ثم إلينا مصيركم ومرجعكم"(١١٥٠).

عن أبي العالية، قال: "يرجعون إليه بعد الحياة"(١١٥١).

قوله تعالى:{فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يونس : ٢٣]، أي:" فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها"(١١٥٢).

عن الربيع بن أنس، قال: "يبعثهم الله من بعد الموت فيبعث أولياءه وأعداءه فينبئهم بأعمالهم"(١١٥٣).

القرآن

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)} [يونس : ٢٤]

التفسير:

إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات، والزينة إما ليلا وإما نهارًا، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيء فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض، فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهَون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها الله ويهلكها. وكما بيَّنا لكم -

---

(١١٤٢) صفوة التفاسير:١/٥٤٠.
(١١٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٣):ص١٩٣٩/٦.
(١١٤٤)التفسير الميسر:٢١١.
(١١٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٥):ص١٩٤٠/٦.
(١١٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٦):ص١٩٤٠/٦.
(١١٤٧)التفسير الميسر:٢١١.
(١١٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.
(١١٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.
(١١٥٠) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٩٤٠/٦.
(١١٥٢) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٠):ص١٩٤٠/٦.

أيها الناس- مَثَلَ هذه الدنيا وعرَّفناكم بحقيقتها، نبيِّن حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ} [يونس : ٢٤]، أي:" إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض"(١١٥٤).

عن شهر بن حوشب :"أن أبا هريرة قال: ما نزل قطر إلا بميزان"(١١٥٥).

عن عكرمة قال: ينزل الله الماء من السماء السابعة فتسع القطرة منه على السحابة مثل البعير"(١١٥٦).

قوله تعالى:{فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ} [يونس : ٢٤]، أي:"فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات"(١١٥٧).

قال عطاء:" أما اختلط به نبات الأرض فاختلط فنبت بالماء من كل لون"(١١٥٨).

عن السدي :قوله {الأنعام}، قال: "والأنعام: الراعية"(١١٥٩).

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} [يونس : ٢٤]، أي:" حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها"(١١٦٠).

عن مجاهد، قال: "ما كنت أدري ما "الزخرف"، حتى قرأت قراءة عبد الله: «أو يكون لك بيت من ذهب»"(١١٦١).

عن قتادة قوله:"{حتى إذا أخذت الأرض زخرفها}، الآية،: أي والله، لئن تشبَّثَ بالدنيا وحَدِب عليها، لتوشك الدنيا أن تلفظه وتقضي منه"(١١٦٢).

وعن قتادة: -أيضا- :"{وازينت}، قال: أنبتت وحسُنَت"(١١٦٣).

قوله تعالى:{وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا} [يونس : ٢٤]، أي:" وظنَّ أصحابها أنهم متمكنون من الانتفاع بها، محصّلون لثمرتها وغلّتها"(١١٦٤).

عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: "سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيُهْلِكَهَا إلا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا}، قال: قد قرأتها، وليست في المصحف. فقال عباس بن عبد الله بن العباس: هكذا يقرؤها ابن عباس. فأرسلوا إلى ابن عباس فقال: هكذا أقرأني أبيُّ بن كعب"(١١٦٥).

قوله تعالى:{أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا} [يونس : ٢٤]، أي:" جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات، والزينة إما ليلا وإما نهارًا، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيء فيها "(١١٦٦).

عن الضحاك:{ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا}، يعني: "المحصود"(١١٦٧).

(١١٥٤)التفسير الميسر:٢١١.

أخرجه أبو الشيخ فى تفسيره، وابن مردويه، والخطيب (٤٤٩/٨)عن أنس. انظر: جامع الاحاديث(١١١٩٢):ص٤٥٤/١١

(١١٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٢):ص١٩٤٠/٦.

(١١٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٣):ص١٩٤٠/٦.

(١١٥٧)التفسير الميسر:٢١١.

(١١٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٤):ص١٩٤١/٦.

(١١٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٥):ص١٩٤١/٦.

(١١٦٠)التفسير الميسر:٢١١.

(١١٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٦):ص١٩٤١/٦.

(١١٦٢) أخرجه الطبري(١٧٥٩٩):ص٥٧/١٥.

(١١٦٣) أخرجه الطبري(١٧٦٠٠):ص٥٧/١٥.

(١١٦٤) صفوة التفاسير:٥٤٠/١.

(١١٦٥) أخرجه الطبري(١٧٦٠١):ص٥٧/١٥.

قال السيد أحمد محمد شاكر:" وهذا الخبر كما ترى، هالك الإسناد من نواحيه. والقراءة التي فيه إذا صحت من غير هذا الطريق الهالك، فهي قراءة تفسير، كما هو معروف، وكما أشرنا إليه مرارًا في أشباهها. ولا يجل لقارئ أنة يقرأ بمثلها على أنها نص التلاوة، لشذوذها، ولمخالفتها رسم المصحف بالزيادة، بغير حجة يجب التسليم لها". تفسير الطبري:٥٧/١٥.[كلام المحقق: الهامش:٢].

(١١٦٦)التفسير الميسر:٢١١.

(١١٦٧)ذكره الواحدي في "البسيط": ١٦٥/١١، والرازي في "تفسيره" ١٧/ ٧٤.

قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} [يونس : ٢٤]، أي:" كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض، فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهَون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها الله ويهلكها"[١١٦٨].

عن السدي:"{كأن لم تغن بالأمس}، بزينتها"[١١٦٩].

وفي قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} [يونس : ٢٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : كأن لم تعشْ، قاله قتادة[١١٧٠]، ومنه قول لبيد[١١٧١]:

وَغَنِيتُ سَبْتًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ ... لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ

الثاني: كأن لم تنعم بالأمس ، قاله قتادة أيضاً[١١٧٢].

قال قتادة:" كأن لم تعش، كأن لم تنعم"[١١٧٣].

قرأ الحسن: "كأن لم يغن"، بالباء على أن الضمير للمضاف المحذوف، الذي هو الزرع. وعن مروان أنه قرأ على المنبر: «كأن لم تتغن بالأمس»، من قول الأعشى[١١٧٤]:

وكنت امرأ زمنا بالعراق ... طويل الثواء طويل التغنى[١١٧٥]

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس : ٢٤]، أي:" وكما بيَّنا لكم -أيها الناس- مَثَلَ هذه الدنيا وعرَّفناكم بحقيقتها، نبيِّن حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة"[١١٧٦].

عن السدي:"{كذلك نفصل}، أما {نفصل}: فنبيّن"[١١٧٧].

قال مجاهد: "{يتفكرون}: يطيعون"[١١٧٨].

عن قتادة: "{لقوم يتفكرون}، قال: هذا مثل خص به الله فاعقلوا عن الله أمثاله فإن الله يقول: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[١١٧٩]"[١١٨٠].

روي عن الصعق التميمي قال: "شهدت الحسن وقرأ هذا الآية: {يتفكرون}، قال: هو والله لمن تفكر فيها يعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء وليعلم أن دار الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء"[١١٨١].

أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن أبي مجلز، قال: "مكتوب في سورة يونس عليه السلام إلى جنب هذه الآية {حتى إذا أخذت الأرض زخرفها} إلى {يتفكرون} ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يشبع نفس ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب فمحيت"[١١٨٢].

القرآن

{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)} [يونس : ٢٥]

التفسير:

(١١٦٨)التفسير الميسر:٢١١.

(١١٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٢٠):ص١٩٤٢/٦.

(١١٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٠٢):ص٥٨/١٥.

(١١٧١)ويروى (بعد مجرى) وعَمَرْتُ كَرْسًا. غنيت: عشت (سبتا): دهرا، (داحس) اسم فرس. ورد البيت في "تهذيب اللغة" (سبت) ٢/ ١٦٠٧، "اللسان" (سبت) ٤/ ١٩١٢، و (عمر) ٥/ ٣١٠، و"حماسة البحتري" ص ١٠٠، "المخصص" ٢/ ٦٤، "الخزانة" ٢/ ٢٥١، "البحر المحيط" ١/ ٢٤٠، وديوان لبيد مع شرحه :ص ٣٥ .

(١١٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٠٢):ص٥٨/١٥.

(١١٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٠٢):ص٥٨/١٥.

(١١٧٤) انظر: الكشاف:٣٤١/٢، والبحر المحيط في التفسير:٣٩/٦، والدر المصون:١٨٠/٦، وفي تفسير القرطبي:١٤/١، وروايته:« وكنت امرأ زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التغن».

(١١٧٥)انظر: الكشاف:٣٤١/٢ .

(١١٧٦)التفسير الميسر:٢١١.

(١١٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٢١):ص١٩٤٣/٦.

(١١٧٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٢٥):ص١٩٤٢/٦.

(١١٧٩)[العنكبوت : ٤٣].

(١١٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٤):ص١٩٤٢/٦.

(١١٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٢٣):ص١٩٤٢/٦.

(١١٨٢) الدر المنثور:٣٥٤/٤.

والله يدعوكم إلى جناته التي أعدها لأوليائه، ويهدي مَن يشاء مِن خَلْقه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} [يونس : ٢٥]، أي:" والله يدعوكم إلى جناته التي أعدها لأوليائه"[١١٨٣].

عن السدي: "{لهم دار السلام عند ربهم}، الله هو السلام، والدار الجنة»[١١٨٤]"[١١٨٥].

عن قتادة، في قوله: "{والله يدعو إلى دار السلام} [يونس: ٢٥] قال: الله هو السلام، وداره الجنة"[١١٨٦].

عن الحسن، قال: "ما من ليلة إلا ينادي مناد: يا صاحب الخير هلم ويا صاحب الشر أقصر، فقال رجل للحسن: أتجدها في كتاب الله قال: نعم: {والله يدعوا إلى دار السلام}"[١١٨٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن في التوراة مكتوبا يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر انته"[١١٨٨].

قوله تعالى:{وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس : ٢٥]، أي:" ويهدي مَن يشاء مِن خَلْقه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام"[١١٨٩].

قال أبو العالية:" يقول: يهديهم للمخرج من الشبهات والضلالات والفتن"[١١٩٠].

عن مجاهد، في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"[١١٩١].

وفي تفسير «الصراط المستقيم»، أربعة اقوال:

أحدها: أن «الصراط المستقيم: كتاب الله عزّ وجل». رواه علي بن أبي طالب عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[١١٩٢].

الثاني: أن «الصراط: الإسلام». رواه النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم[١١٩٣].

الثالث: أن «الصراط المستقيم»: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه بعده رضي الله عنهما». قاله أبو العالية[١١٩٤]. قال الحسن:"صدق أبو العالية ونصح"[١١٩٥].

الرابع: أن «الصراط المستقيم»: الحق. وهذا قول مجاهد[١١٩٦].

القرآن

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)} [يونس : ٢٦]

التفسير:

للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى، الجنةُ، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرةُ والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكثون فيها أبدًا.

(١١٨٣) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٨٤) تفسير الطبري(١٣٨٨٤):ص١١٤/١٢.
(١١٨٥) تفسير الطبري: ١١٤/١٢.
(١١٨٦) أخرجه الطبري:١٥٤/١٢.
(١١٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٢٧):ص١٩٤٣/٦.
(١١٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٢٨):ص١٩٤٣/٦.
(١١٨٩) التفسير الميسر:٢١١.
(١١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٣١):ص١٩٤٣/٦.
(١١٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٣٢):ص١٩٤٣/٦.
(١١٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٩٠٣):ص٧٢١/٣.
(١١٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٩٠٤):ص٧٢١/٣.
(١١٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٩٠٥):ص٧٢١/٣.
(١١٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٩٠٥):ص٧٢١/٣.
(١١٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٩٠٦):ص٧٢١/٣، و(١٠٣٣٢):ص١٩٤٣/٦.

قوله تعالى:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]، أي:" للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى، الجنةُ، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرةُ والرضوان"(١١٩٧).

وفي قوله تعالى:{الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]، أقوال:

أحدها : أن «الحسنى» الجنة ، و«الزيادة» النظر إلى وجه الله تعالى . وهذا مروي عن عامر بن سعد(١١٩٨)، وعبدالرحمن بن أبي ليلى(١١٩٩).

عن كعب بن عجرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}، قال: الزيادة، النظرُ إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى"(١٢٠٠).

الثاني : أن «الحسنى» واحدة من الحسنات، و«الزيادة» مضاعفتها إلى عشر أمثالها ، روي نحوه عن الحسن(١٢٠١)، وعلقمة بن قيس(١٢٠٢).

عن قتادة قال: "كان الحسن يقول في هذه الآية: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} ، قال: «الزيادة»: بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف"(١٢٠٣).

الثالث : أن «الحسنى» حسنة مثل حسنة . و«الزيادة» مغفرة ورضوان ، قاله مجاهد(١٢٠٤).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وَعَد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إيّاه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها. ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غُرفا من لآلئ، وأن يزيدَهم غفرانا ورضوانًا، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: {وزيادة}، الزيادات على {الحسنى}، فلم يخصص منها شيئًا دون شيء، وغير مستنكَرٍ من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يُعَمَّ، كما عمَّه عز ذكره(١٢٠٥).

قوله تعالى:{وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ} [يونس : ٢٦]، أي:" ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار"(١٢٠٦).

وفي معنى«قَتَرٌ»، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه سواد الوجوه ، قاله السدي(١٢٠٧).

الثاني : أنه الخزي، قاله مجاهد(١٢٠٨).

الثالث : أنه الحزن، حكاه الماوردي عن مجاهد(١٢٠٩).

الرابع : أنه الدخان، ومنه: قتار اللحم وقتار العود، وهو دخانه ، قاله عطاء(١٢١٠).

قال عطاء: "يريد دخان جهنم"(١٢١١).

فقوله { قَتَرٌ}: " أي : قتام وسواد في عَرَصات المحشر ، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القُتْرة والغُبْرة(١٢١٢).

(١١٩٧) التفسير الميسر:٢١٢.

(١١٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٦١٢):ص٦٣/١٥-٦٤.

(١١٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٦١٩):ص٦٦/١٥.

(١٢٠٠) أخرجه الطبري(١٧٦٣١):ص٦٨/١٥.

(١٢٠١) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٣٩):ص٧٠/١٥.

(١٢٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٣٨):ص٧٠/١٥.

(١٢٠٣) أخرجه الطبري(١٧٦٣٩):ص٧٠/١٥.

(١٢٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٤٠):ص٧٠/١٥.

(١٢٠٥) تفسير الطبري:٧١/١٥.

(١٢٠٦) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٤٦/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٢٠٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٤٧):ص١٩٤٦/٦.

(١٢٠٩) انظر: النكت والعيون:٤٣٣/٢.

(١٢١٠) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٤٥/٢.

(١٢١١) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٤٥/٢.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس : ٢٦]، أي:" هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكثون فيها أبدًا"[١٢١٣].

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[١٢١٤].

قال السدي: " خالدا أبدا" [١٢١٥].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)} [يونس : ٢٧]

التفسير:

والذين عملوا السيئات في الدنيا فكفروا وعصَوا الله لهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتغشاهم ذلّة وهوان، وليس لهم مِن عذاب الله مِن مانع يمنعهم إذا عاقبهم، كأنما أُلبست وجوههم أجزاء من سواد الليل المظلم. هؤلاء هم أهل النار ماكثون فيها أبدًا.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} [يونس : ٢٧]، أي:" والذين عملوا السيئات في الدنيا فكفروا وعصَوا الله لهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة"[١٢١٦].

عن مجاهد، قوله: "{سيئة}، قال: الشر"[١٢١٧].

قوله تعالى:{كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا} [يونس : ٢٧]، أي:" كأنما أُلبست وجوههم أجزاء من سواد الليل المظلم"[١٢١٨].

قال قتادة:" ظلمة من الليل"[١٢١٩].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس : ٢٧]، أي:" هؤلاء هم أهل النار ماكثون فيها أبدًا"[١٢٢٠].

عن أبي مالك، قوله: "{أولئك أصحاب النار}: فهم أصحاب النار يعذبون فيها"[١٢٢١].

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" [١٢٢٢].

القرآن

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨)} [يونس : ٢٨]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم نحشر الخلق جميعا للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يُفْعل بكم، فَفَرَّقنا بين المشركين ومعبوديهم، وتبرَّأ مَن عُبِدُوا مِن دون الله ممن كانوا يعبدونهم، وقالوا للمشركين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [يونس : ٢٨]، أي:" واذكر -أيها الرسول- يوم نحشر الخلق جميعا للحساب والجزاء"[١٢٢٣].

(١٢١٢) تفسير ابن كثير:٤/٢٦٣.

(١٢١٣) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٣/٨٩١، و(١٠٥٠٠):ص٦/١٨٣٣.

(١٢١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٦/١٧٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٢١٦) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٠):ص٦/١٩٤٧.

(١٢١٨) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢١٩) تفسير عبدالرزاق(١١٦٠):ص٢/١٧٦.

(١٢٢٠) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٣):ص٦/١٩٤٧.

(١٢٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٦/١٧٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٢٢٣) التفسير الميسر:٢١٢.

قال ابن كثير:" أي : أهل الأرض كلهم ، من إنس وجن وبر وفاجر ، كما قال : { وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } [الكهف : ٤٧]"[١٢٢٤].

قال مجاهد:" الحشر: الموت"[١٢٢٥].

قال ابن عباس:" يحشر كل شيء حتى إن الذباب يحشر"[١٢٢٦].

عن الضحاك، في قوله: "{جميعا}، قال: البر والفاجر"[١٢٢٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ} [يونس : ٢٨]، أي:" ، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يُفْعل بكم"[١٢٢٨].

قال قتادة:" ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض"[١٢٢٩].

القرآن

{فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)} [يونس : ٢٩]

التفسير:

فكفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم، إننا لم نكن نعلم ما كنتم تقولون وتفعلون، ولقد كنَّا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر بها.

قوله تعالى:{فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [يونس : ٢٩]، أي:" فكفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم، إننا لم نكن نعلم ما كنتم تقولون وتفعلون"[١٢٣٠].

قال مجاهد:" يأتي على الناس يوم القيامة ساعة فيها لن يرى أهل الشرك أهل التوحيد يغفر لهم فيقولون: ربنا ما كنا مشركين فيقول الله تعالى: انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم يكون من بعدها ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون من دون الله فيقول: هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله فيقولون: نعم هؤلاء الذين كنا نعبد فتقول لهم الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم إنكم تعبدوننا، فيقولون: بلى والله إياكم كنا نعبد، قال: فيقول لهم الله: {فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين}"[١٢٣١].

قوله تعالى:{إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} [يونس : ٢٩]، أي:" ولقد كنَّا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر بها"[١٢٣٢].

عن مجاهد: {عن عبادتكم لغافلين}، يقول: لكل شيء كان يعبد دون الله"[١٢٣٣].

قال مجاهد:" فتقول لهم الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا"[١٢٣٤].

القرآن

{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)} [يونس : ٣٠]

التفسير:

(١٢٢٤) تفسير ابن كثير:٤/٢٦٤.

(١٢٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٥):ص١٩٤٧/٦.

(١٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٦):ص١٩٤٧/٦.

(١٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٧):ص١٩٤٨/٦.

(١٢٢٨) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٨):ص١٩٤٨/٦.

(١٢٣٠) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٦٢):ص١٩٤٨/٦.

(١٢٣٢) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٦٣):ص١٩٤٩/٦.

(١٢٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٦٤):ص١٩٤٩/٦.

في ذلك الموقف للحساب تتفقد كل نفس أحوالها وأعمالها التي سلفت وتعاينها، وتجازى بحسبها: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ورُدَّ الجميع إلى الله الحكم العدل، فأُدخِلَ أهل الجنةِ الجنة وأهل النار النار، وذهب عن المشركين ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

قوله تعالى:{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ} [يونس : ٣٠]، أي:" في ذلك الموقف للحساب تتفقد كل نفس أحوالها وأعمالها التي سلفت وتعاينها، وتجازى بحسبها: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"(١٢٣٥).

عن الحسين، في قوله: "{ما أسلفت}، قال: عملت"(١٢٣٦).

وفي قوله تعالى:{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ} [يونس : ٣٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: عن السدي: "قوله { هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ}، يقول: "مبتغ كل نفس"(١٢٣٧).

الثاني : هنالك تسلم كل نفس. قاله الحسن(١٢٣٨).

الثالث : تختبر كل نفس، قاله مجاهد(١٢٣٩).

عن مجاهد:" هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت}: قال: تختبر"(١٢٤٠).

القرآن

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)} [يونس : ٣١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: مَن يرزقكم من السماء، بما يُنزله من المطر، ومن الأرض بما ينبته فيها من أنواع النبات والشجر تأكلون منه أنتم وأنعامكم؟ ومَن يملك ما تتمتعون به أنتم وغيركم من حواسِّ السمع والأبصار؟ ومن ذا الذي يملك الحياة والموت في الكون كلِّه، فيخرج الأحياء والأموات بعضها من بعض فيما تعرفون من المخلوقات، وفيما لا تعرفون؟ ومَن يدبِّر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخليقة جميعًا؟ فسوف يجيبونك بأن الذي يفعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تخافون عقاب الله إن عبدتم معه غيره؟

قوله تعالى:{وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} [يونس : ٣١]، أي:" ومَن يدبِّر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخليقة جميعًا؟"(١٢٤١).

عن مجاهد:"{يدبر الأمر}، قال: يقضيه وحده"(١٢٤٢).

قوله تعالى:{فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس : ٣١]، أي:" فقل لهم: أفلا تخافون عقاب الله إن عبدتم معه غيره؟"(١٢٤٣).

عن الضحاك، في قوله: "{أفلا تتقون}، قال: تتقون النار بالصلوات الخمس"(١٢٤٤).

وعن مجاهد:"{تتقون}: تستطيعون"(١٢٤٥).

القرآن

{فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)} [يونس : ٣٢]

التفسير:

فذلكم الله ربكم هو الحق الذي لا ريب فيه، المستَحِق للعبادة وحده لا شريك له، فأي شيء سوى الحق إلا الضلال؟ فكيف تُصرَفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه؟

(١٢٣٥) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٦٨):ص١٩٤٩/٦.

(١٢٣٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٦٧):ص١٩٤٩/٦.

(١٢٣٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٦٦):ص١٩٤٩/٦.

(١٢٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٥٤)-(١٧٦٥٦):ص٨١/١٥.

(١٢٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٥٤)-(١٧٦٥٦):ص٨١/١٥.

(١٢٤١) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٧٤):ص١٩٥٠/٦.

(١٢٤٣) التفسير الميسر:٢١٢.

(١٢٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٧٥):ص١٩٥٠/٦.

(١٢٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٧٦):ص١٩٥١/٦.

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن حرملة بن عبد العزيز، قال: "قلت لمالك بن أنس: ما ترى في رجل أمره يعنيني قال: ليس ذلك من الحق قال الله:{فماذا بعد الحق إلا الضلال}"[١٢٤٦].

قال ابن ابي حاتم: قرئ على يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنبأ أشهب قال: سئل مالك عن شهادة اللعاب بالشطرنج والنرد أترى شهادته جائزة؟ فقال: أما من أتى منها فما أرى شهادتهم طائلة يقول الله عز وجل: {فماذا بعد الحق إلا الضلال}، فهذا كله من الضلال"[١٢٤٧].

القرآن

{كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)} [يونس : ٣٣]

التفسير:

كما كفر هؤلاء المشركون واستمرُّوا على شركهم، حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين خرجوا عن طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به أنَّهم لا يصدقون بوحدانية الله، ولا بنبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يعملون بهديه.

قوله تعالى:{أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس : ٣٣]، أي:" لأنهم لا يصدّقون بوحدانية الله ورسالة نبيّه، فلذلك حقت عليهم كلمة العذاب لشقاوتهم وضلالتهم"[١٢٤٨].

عن مجاهد قوله:"{لا يؤمنون}، قال: إذا جاءت بخبر لا يؤمنون"[١٢٤٩].

القرآن

{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤)} [يونس : ٣٤]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: هل من آلهتكم ومعبوداتكم مَن يبدأ خَلْق أي شيء من غير أصل، ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه؟ فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك، قل -أيها الرسول-: الله تعالى وحده هو الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه ثم يعيده، فكيف تنصرفون عن طريق الحق إلى الباطل، وهو عبادة غير الله؟

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس : ٣٤]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: هل من آلهتكم ومعبوداتكم مَن يبدأ خَلْق أي شيء من غير أصل، ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه؟"[١٢٥٠].

عن مجاهد قوله: "{يبدؤا الخلق ثم يعيده}: يحييه ثم يميته ثم يبديه ثم يحييه"[١٢٥١].

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [يونس : ٣٤]، أي:" قل -أيها الرسول-: الله تعالى وحده هو الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه ثم يعيده، فكيف تنصرفون عن طريق الحق إلى الباطل، وهو عبادة غير الله؟"[١٢٥٢].

عن الحسن :"{فأنى تؤفكون}، قال: فأنى تصرفون"[١٢٥٣].

القرآن

{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)} [يونس : ٣٥]

التفسير:

(١٢٤٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٧٧):ص١٩٥١/٦.
(١٢٤٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٧٧):ص١٩٥١/٦.
(١٢٤٨) صفوة التفاسير:٥٤٢/١.
(١٢٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٨٠):ص١٩٥١/٦.
(١٢٥٠)التفسير الميسر:٢١٣.
(١٢٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٨١):ص١٩٥١/٦.
(١٢٥٢)التفسير الميسر:٢١٣.
(١٢٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٣):ص١٩٥٢/٦.

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هل مِن شركائكم مَن يرشد إلى الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرون على ذلك، قل لهم: الله وحده يهدي الضال عن الهدى إلى الحق. أيهما أحق بالاتباع: مَن يهدي وحده للحق أم من لا يهتدي لعدم علمه ولضلاله، وهم شركاؤكم الذين لا يهدون ولا يهتدون إلا أن يهدوا؟ فما بالكم كيف سوَّيتم بين الله وخلقه؟ وهذا حكم باطل.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} [يونس : ٣٥]، أي:" أفمن يرشد إلى الحق وهو سبحانه وتعالى أحقُّ بالاتباع أم هذه الأصنام التي لا تهدي أحداً؟ ولا تستطيع هداية نفسها فضلاً عن هداية غيرها؟"[١٢٥٤].

عن مجاهد في قوله: "{أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى}، الأوثان. الله عز وجل يهدي منها ومن غيرها ما شاء"[١٢٥٥].

وعن الحسن :"أي: آلله الذي يهدي ويرشد إلى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره، أو الأصنام التي لا تهدي أحدًا ولا تهدي إلى خير؟!"[١٢٥٦].

القرآن

{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)} [يونس : ٣٦]

التفسير:

وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم بأنها تقرِّب إلى الله إلا تخرصًا وظنًا، وهو لا يغني من اليقين شيئًا. إن الله عليم بما يفعل هؤلاء المشركون من الكفر والتكذيب.

قوله تعالى:{إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [يونس : ٣٦]، أي:"إن الظن لا يغني من اليقين شيئًا"[١٢٥٧].

قال عطاء: "يريد: ليس الظن كاليقين"[١٢٥٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [يونس : ٣٦]، أي:" إن الله عليم بما يفعل هؤلاء المشركون من الكفر والتكذيب"[١٢٥٩].

عن سعيد بن جبير: "{عليم}، يعني: عالم بها"[١٢٦٠].

قال محمد بن إسحاق:" أي: عليم بما يخفون"[١٢٦١].

القرآن

{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)} [يونس : ٣٧]

التفسير:

وما كان يتهيَّأ لأحد أن يأتي بهذا القرآن مِن عند غير الله، لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، ولكن الله أنزله مصدِّقا للكتب التي أنزلها على أنبيائه; لأن دين الله واحد، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا شك في أن هذا القرآن موحىً من رب العالمين.

قوله تعالى:{لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ٣٧]، أي:" لا شك في أن هذا القرآن موحىً من رب العالمين"[١٢٦٢].

وفي قوله تعالى:{ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]، وجوه:

(١٢٥٤) صفوة التفاسير:٥٤٢/١.

(١٢٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٨٤):ص١٩٥٢/٦.

(١٢٥٦) ذكره الواحدي في "البسيط": ١٩٣/١١، وقال وهذا معنى قول ابن عباس، والحسن، والمفسرين.

(١٢٥٧)التفسير الميسر:٢١٣.

(١٢٥٨) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٤٧/٢.

(١٢٥٩)التفسير الميسر:٢١٣.

(١٢٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٥):ص١٩٥٢/٦.

(١٢٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٦):ص١٩٥٢/٦.

(١٢٦٢)التفسير الميسر:٢١٣.

أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[١٢٦٣].
الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة[١٢٦٤].
الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس, وهذا قول مجاهد[١٢٦٥].

القرآن
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)} [يونس : ٣٨]
التفسير:
بل أيقولون: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فإنهم يعلمون أنه بشر مثلهم!! قل لهم -أيها الرسول-: فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا على ذلك بكل مَن قَدَرْتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.
قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [يونس : ٣٨]، أي:" بل أيقولون اختلق محمد هذا القرآن من قبل نفسه؟"[١٢٦٦].
عن وهب بن منبه، قال: "الكذب هو الفرية وإن رأس الفرية الكذب على الله ثم هو ما بين ذلك حتى يأتي ... كذب وما بين الكفر بالله كفر يأتي كفر النعم"[١٢٦٧].
قوله تعالى:{قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} [يونس : ٣٨]، أي:" إن كان كما زعمتم فجيئوا بسورةٍ مثل هذا القرآن"[١٢٦٨].
عن مجاهد: "{فأتوا بسورة مثله}، قال: مثل هذا القرآن"[١٢٦٩].
قال قتادة:" مثل هذا القرآن حقا وصدقا لا باطل فيه ولا كذب"[١٢٧٠].
قوله تعالى:{وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨]، أي:" وادعوا من دونه تعالى من استطعتم من خلقه، من الإنس والجن للاستعانة بهم، إن كنتم صادقين في أن محمداً افتراه"[١٢٧١].
عن مجاهد :"{وادعوا}، قال: ناس يشهدون به"[١٢٧٢].

القرآن
{بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)} [يونس : ٣٩]
التفسير:
بل سارَعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه، قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك، ولم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعِدوا به في الكتاب. وكما كذَّب المشركون بوعيد الله كذَّبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كانت عاقبة الظالمين؟ فقد أهلك الله بعضهم بالخسف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.
قوله تعالى:{وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} [يونس : ٣٩]، أي:" ولم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعِدوا به في الكتاب"[١٢٧٣].

(١٢٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.
(١٢٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٣):ص١٩٣١/٦.
(١٢٦٥) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٣٢/٦.
(١٢٦٦) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.
(١٢٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٨٩):ص١٩٥٣/٦.
(١٢٦٨) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.
(١٢٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٩٠):ص١٩٥٣/٦.
(١٢٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٩١):ص١٩٥٣/٦.
(١٢٧١) صفوة التفاسير:٥٤٣/١.
(١٢٧٢) أخره ابن ابي حاتم(١٠٣٩٣):ص١٩٥٣/٦.
(١٢٧٣) التفسير الميسر:٢١٣.

قال الضحاك: "يعني: عاقبته وما وعد الله في القرآن انه كائن من الوعيد"[١٢٧٤].

القرآن

{وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)} [يونس : ٤٠]

التفسير:

ومِن قومك -أيها الرسول- مَن يصدِّق بالقرآن، ومنهم من لا يصدِّق به حتى يموت على ذلك ويبعث عليه، وربك أعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به على وجه الظلم والعناد والفساد، فيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

قوله تعالى:{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٤٠]، أي:" وربك أعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به على وجه الظلم والعناد والفساد، فيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب"[١٢٧٥].

قال عطاء: "يريد المكذبين وهذا تهديد لهم"[١٢٧٦].

عن مجاهد قال: "أن الله لا يخفى عليه الذين يريدون منك الإصلاح والإفساد"[١٢٧٧].

القرآن

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)} [يونس : ٤٢]

التفسير:

ومِنَ الكفار مَن يسمعون كلامك الحق، وتلاوتك القرآن، ولكنهم لا يهتدون. أفأنت تَقْدر على إسماع الصم؟ فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله هدايتهم; لأنهم صمٌّ عن سماع الحق، لا يعقلونه.

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} [يونس : ٤٢]، أي:" ومِنَ الكفار مَن يسمعون كلامك الحق، وتلاوتك القرآن، ولكنهم لا يهتدون"[١٢٧٨].

عن مجاهد قوله: "{ومنهم من يستمعون إليك}، قال: قريش"[١٢٧٩].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)} [يونس : ٤٤]

التفسير:

إن الله لا يظلم الناس شيئًا بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهيه.

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس : ٤٤]، أي:" ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهي"[١٢٨٠].

قال الحسن: "ينقصون"[١٢٨١].

قال السدي:" يعني: يضرون بكفرهم وتكذيبهم"[١٢٨٢].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أكثر معاذير من الله عذب قوما بذنوبهم اعتذر إلى المؤمنين قال: {وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}"[١٢٨٣].

(١٢٧٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٣/٥.

(١٢٧٥) التفسير الميسر:٢١٣.

(١٢٧٦) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٤٨/٢.

(١٢٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٥):ص١٩٥٤/٦.

(١٢٧٨) التفسير الميسر:٢١٣.

(١٢٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٩٧):ص١٩٥٤/٦.

(١٢٨٠) التفسير الميسر:٢١٤.

(١٢٨١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢/١.

(١٢٨٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٤٧/٢.

(١٢٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٥):ص١٥٩٣/٥.

القرآن

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)} [يونس : ٤٥]

التفسير:

ويوم يَحشر الله هؤلاء المشركين يوم البعث والحساب، كأنهم قبل ذلك لم يمكثوا في الحياة الدنيا إلا قدر ساعة من النهار، يعرف بعضهم بعضًا كحالهم في الدنيا، ثم انقطعت تلك المعرفة وانقضت تلك الساعة. قد خسر الذين كفروا وكذَّبوا بلقاء الله وثوابه وعقابه، وما كانوا موفَّقين لإصابة الرشد فيما فعلوا.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ} [يونس : ٤٥]، أي:" ويوم يَحشر الله هؤلاء المشركين يوم البعث والحساب، كأنهم قبل ذلك لم يمكثوا في الحياة الدنيا إلا قدر ساعة من النهار"(١٢٨٤).

قال الضحاك: "قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة"(١٢٨٥).

قوله تعالى:{يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} [يونس : ٤٥]، أي:" يعرف بعضهم بعضًا كحالهم في الدنيا"(١٢٨٦).

عن الحسن :"{يتعارفون بينهم}، قال: يعرف الرجل صاحبه إلى جنبه لا يكلمه، يعني: يوم القيامة"(١٢٨٧).

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [يونس : ٤٥]، أي:" قد خسر الذين كفروا وكذَّبوا بلقاء الله وثوابه وعقابه، وما كانوا موفَّقين لإصابة الرشد فيما فعلوا"(١٢٨٨).

عن أبي رزين في قوله: "{قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله}، قال: قد ضلوا قبل ذلك"(١٢٨٩).

القرآن

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)} [يونس : ٤٦]

التفسير:

وإمَّا نريَنَّك -أيها الرسول- في حياتك بعض الذي نَعِدُهم من العقاب في الدنيا، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم، فإلينا وحدنا يرجع أمرهم في الحالتين، ثم الله شهيد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منها، فيجازيهم بها جزاءهم الذي يستحقونه.

قوله تعالى:{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} [يونس : ٤٦]، أي:" وإمَّا نريَنَّك -أيها الرسول- في حياتك بعض الذي نَعِدُهم من العقاب في الدنيا، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم، فإلينا وحدنا يرجع أمرهم في الحالتين"(١٢٩٠).

عن مجاهد قوله: "{وإما نرينك بعض الذي نعدهم}: من العذاب في حياتك"(١٢٩١).

القرآن

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)} [يونس : ٤٧]

التفسير:

(١٢٨٤) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٢٨٥) ذكره الواحدي في "البسيط": ٥٤٩/٢.
(١٢٨٦) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٢٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠١):ص١٩٥٤/٦-١٩٥٥.
(١٢٨٨) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٢٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٠٢):ص١٩٥٥/٦.
(١٢٩٠) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٢٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٠٣):ص١٩٥٥/٦.

ولكل أمة خَلَتْ قبلكم -أيها الناس- رسول أرسلتُه إليهم، كما أرسلت محمدًا إليكم يدعو إلى دين الله وطاعته، فإذا جاء رسولهم في الآخرة قُضِيَ حينئذ بينهم بالعدل، وهم لا يُظلمون مِن جزاء أعمالهم شيئًا.

قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ} [يونس : ٤٧]، أي:" ولكل أمة من الأمم رسولٌ أُرسل لهدايتهم، فإذا جاء رسولهم في الآخرة قُضِيَ حينئذ بينهم بالعدل"[١٢٩٢].

عن مجاهد:"{ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم}: يوم القيامة"[١٢٩٣].

وعن مجاهد -أيضا-:"«القسط»: العدل"[١٢٩٤]. وروي عن السدي نحو ذلك[١٢٩٥].

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)} [يونس : ٤٨]

التفسير:

ويقول المشركون من قومك -أيها الرسول-: متى قيام الساعة إن كنت أنت ومَن تبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟

قال قتادة:" قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لنا يوما يوشك أن نستريح فيه وننعم فيه فقال المشركون: {متى هذا الوعد إن كنتم صادقين}، أي: تكذيبا"[١٢٩٦].

القرآن

{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)} [يونس : ٤٩]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضررًا، ولا أجلب لها نفعًا، إلا ما شاء الله أن يدفع عني مِن ضرٍّ أو يجلب لي من نفع. لكل قوم وقت لانقضاء مدتهم وأجلهم، إذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم، فلا يستأخرون عنه ساعة فيُمْهلون، ولا يتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم.

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [يونس : ٤٩]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضررًا، ولا أجلب لها نفعًا، إلا ما شاء الله أن يدفع عني مِن ضرٍّ أو يجلب لي من نفع"[١٢٩٧].

عن مجاهد قال: "{لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا}، ضلالة إلا ما شاء الله"[١٢٩٨].

قوله تعالى:{ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس : ٤٩]، أي:" لكل قوم وقت لانقضاء مدتهم وأجلهم، إذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم، فلا يستأخرون عنه ساعة فيُمْهلون، ولا يتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم"[١٢٩٩].

عن سعيد ابن أبي عروبة، قال: "كان الحسن يقول: ما أحمق هؤلاء القوم يقولون: اللهم أطل عمره! والله يقول: {إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}"[١٣٠٠].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠)} [يونس : ٥٠]

التفسير:

(١٢٩٢) صفوة التفاسير:١/٥٤٦.

(١٢٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٠٤):ص٦/١٩٥٥.

(١٢٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٠٥):ص٦/١٩٥٥.

(١٢٩٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٦/١٩٥٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٢٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٦):ص٦/١٩٥٥.

(١٢٩٧) التفسير الميسر:٢١٤.

(١٢٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٧):ص٦/١٩٥٥.

(١٢٩٩) التفسير الميسر:٢١٤.

(١٣٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٨):ص٦/١٩٥٥-١٩٥٦.

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله ليلا أو نهارًا، فأي شيء تستعجلون أيها المجرمون بنزول العذاب؟

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا} [يونس : ٥٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله ليلا أو نهارًا"(١٣٠١).

عن مجاهد قوله: "{أرأيتم إن أتاكم عذابه}، قال: فجاءة آمنين"(١٣٠٢).

القرآن

{ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)} [يونس : ٥٢]

التفسير:

ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله: تجرَّعوا عذاب الله الدائم لكم أبدًا، فهل تُعاقَبون إلا بما كنتم تعملون في حياتكم من معاصي الله؟

قوله تعالى:{ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} [يونس : ٥٢]، أي:" ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله: تجرَّعوا عذاب الله الدائم لكم أبدًا"(١٣٠٣).

عن سعيد بن جبير، في قول الله: "{ذوقوا}، يعني: العقوبة"(١٣٠٤).

قوله تعالى:{هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [يونس : ٥٢]، أي:" فهل تُعاقَبون إلا بما كنتم تعملون في حياتكم من معاصي الله؟"(١٣٠٥).

عن أبي العالية قوله: "{تكسبون}، يعني: من الخطيئة"(١٣٠٦).

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)} [يونس : ٥٤]

التفسير:

ولو أن لكل نفس أشركت وكفرت بالله جميع ما في الأرض، وأمكنها أن تجعله فداء لها من ذلك العذاب لافتدت به، وأخفى الذين ظلموا حسرتهم حين أبصروا عذاب الله واقعا بهم جميعًا، وقضى الله عز وجل بينهم بالعدل، وهم لا يُظلَمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه.

قوله تعالى:{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [يونس : ٥٤]، أي:" وقضى الله عز وجل بينهم بالعدل، وهم لا يُظلَمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه"(١٣٠٧).

عن سعيد بن جبير: "{وهم لا يظلمون}، يعني: من أعمالهم فلا ينقص من حسابهم ولا يزاد على سيئاتهم"(١٣٠٨).

القرآن

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)} [يونس : ٥٥]

التفسير:

ألا إن كل ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى، لا شيء من ذلك لأحد سواه. ألا إن لقاء الله تعالى وعذابه للمشركين كائن، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة ذلك.

(١٣٠١) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٣٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٠٩):ص١٩٥٦/٦.
(١٣٠٣) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٣٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٠):ص١٩٥٦/٦.
(١٣٠٥) التفسير الميسر:٢١٤.
(١٣٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١١):ص١٩٥٦/٦.
(١٣٠٧) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤١٤):ص١٩٥٦/٦.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يونس : ٥٥]، أي:" ألا إن كل ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى، لا شيء من ذلك لأحد سواه"(١٣٠٩).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(١٣١٠).

القرآن

{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)} [يونس : ٥٦]

التفسير:

إن الله هو المحيي والمميت لا يتعذَّر عليه إحياء الناس بعد موتهم، كما لا تعجزه إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه راجعون بعد موتهم.

قوله تعالى:{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} [يونس : ٥٦]، أي:" هو سبحانه المحيي والمميتُ"(١٣١١).

عن محمد بن إسحاق:"{يحيي ويميت}: يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته"(١٣١٢).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)} [يونس : ٥٧]

التفسير:

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم تذكِّركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة ورحمة للمؤمنين، وخصَّهم بذلك; لأنهم المنتفعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عَمَى.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس : ٥٧]، أي:" يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم تذكِّركم عقاب الله وتخوفكم وعيده"(١٣١٣).

عن الشعبي، قوله: "{موعظة}، قال: موعظة من الجهل"(١٣١٤).

قوله تعالى:{وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس : ٥٧]، أي:" وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض"(١٣١٥).

عن مجاهد:"{شفاء}، قال: الشفاء: القرآن"(١٣١٦).

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس : ٥٧]، أي:" وهداية من الضلال ورحمة لأهل الإيمان"(١٣١٧).

عن سعيد بن جبير:"{هدى}، يعني: تبيانا"(١٣١٨).

عن السدي :"{هدى}، قال: نور"(١٣١٩).

عن الشعبي:"{هدى}، قال: هدى من الضلالة"(١٣٢٠).

(١٣٠٩) التفسير الميسر:٢١٥.

(١٣١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٣١١) صفوة التفاسير:٥٤٧/١.

(١٣١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٦):ص١٩٥٧/٦.

(١٣١٣) التفسير الميسر:٢١٥.

(١٣١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٧):ص١٩٥٧/٦.

(١٣١٥) التفسير الميسر:٢١٥.

(١٣١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٩):ص١٩٥٧/٦.

(١٣١٧) صفوة التفاسير:٥٤٧/١.

(١٣١٨)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٢):ص١٩٥٨/٦ .

(١٣١٩)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢١):ص١٩٥٨/٦ .

عن عباد بن منصور، قال:" سألت الحسن عن قوله: {وهدى}، قال: هو القرآن"[١٣٢١].
عن أبي العالية، قوله: "{ورحمة}، قال: رحمة القرآن"[١٣٢٢].

القرآن
{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)} [يونس : ٥٨]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته، وهو ما جاءهم من الله من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، فبذلك فليفرحوا; فإن الإسلام الذي دعاهم الله إليه، والقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة.
قوله تعالى:{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} [يونس : ٥٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته، وهو ما جاءهم من الله من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، فبذلك فليفرحوا"[١٣٢٣].
عن محمد بن كعب:"{قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا}، قال: إذا عملت خيرا حمدت الله عليه فافرح فهو خير مما تجمعون من الدنيا"[١٣٢٤].
وفي قوله تعالى:{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ} [يونس : ٥٨]، وجهان:
أحدهما : أن فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام ، قاله زيد بن أسلم[١٣٢٥]، والضحاك[١٣٢٦].
الثاني : أن فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن ، قاله الحسن[١٣٢٧]، ومجاهد[١٣٢٨]، وقتادة[١٣٢٩]، وهلال بن يساف[١٣٣٠].
وروي عن مجاهد: "{وبرحمته}، قال: القرآن"[١٣٣١].
قوله تعالى:{هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس : ٥٨]، أي:" فإن الإسلام الذي دعاهم الله إليه، والقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة"[١٣٣٢].
عن الضحاك قوله: "{هو خير مما يجمعون}، قال: خير مما تجمع الكفار من الأموال"[١٣٣٣]. وروي عن الحسن مثله[١٣٣٤].
عن محمد بن كعب:"{فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}، قال: من الدنيا"[١٣٣٥].
عن أيفع بن عبد الكلاعي: "لما قدم خراج العراق إلى عمر خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل فإذا هو أكثر من ذلك فجعل عمر يقول: الحمد لله، ويقول مولاه: يا أمير المؤمنين، هذا والله من فضل

(١٣٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٩):ص١٩٥٧/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!
(١٣٢١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٠):ص١٩٥٧/٦ .
(١٣٢٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٣):ص١٩٥٨/٦ .
(١٣٢٣) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٢):ص١٩٥٩/٦.
(١٣٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٨٣):ص١٠٨/١٥.
(١٣٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٨٤):ص١٠٨/١٥.
(١٣٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٧٦):ص١٠٧/١٥.
(١٣٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٧٨):ص١٠٧/١٥.
(١٣٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٧٥):ص١٠٧/١٥.
(١٣٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٦٦٩):ص١٠٦/١٥.
(١٣٣١) أخرجه الطبري(١٧٦٧٨):ص١٠٧/١٥.
(١٣٣٢) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٣):ص١٩٦٠/٦.
(١٣٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٦٠/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٣٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٤):ص١٩٦٠/٦.

الله ورحمته، فقال عمر: كذبت ليس هذا هو. يقول الله: {بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}، وهذا مما تجمعون"[١٣٣٦].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)} [يونس : ٥٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجاحدين للوحي: أخبروني عن هذا الرزق الذي خلقه الله لكم من الحيوان والنبات والخيرات فحلَّلتم بعض ذلك لأنفسكم وحرَّمتم بعضه، قل لهم: آلله أذن لكم بذلك، أم تقولون على الله الباطل وتكذبون؟ وإنهم ليقولون على الله الباطل ويكذبون.

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ} [يونس : ٥٩]، أي:" أخبروني أيها المشركون عما خلقه الله لكم من الرزق الحلال"[١٣٣٧].

قال قتادة:" يقول: رزقا لم أحرمه عليكم فتحرمونه على أنفسكم من نسائكم وأولادكم"[١٣٣٨].

قوله تعالى:{فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا} [يونس : ٥٩]، أي:" فحرَّمتم بعضه وحلَّلتم بعضه"[١٣٣٩].

عن مجاهد، قوله: "{فجعلتم منه حراما وحلالا}: في البحيرة السائبة"[١٣٤٠].

عن الضحاك، في قوله: "{أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا}: هو الذي قال الله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا}[١٣٤١]، إلى قوله: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[١٣٤٢]"[١٣٤٣].

قوله تعالى:{قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس : ٥٩]، أي:" قل لهم يا محمد أخبروني: أحصل إذنٌ من الله لكم بالتحليل والتحريم، فأنتم فيه ممتثلون لأمره، أم هو مجرد افتراء وبهتان على ذي العزة والجلال؟"[١٣٤٤].

عن قتادة: "{قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون}: فيما حرم عليكم من ذلك"[١٣٤٥].

عن قتادة، قوله: "{يفترون}، أي: يشركون"[١٣٤٦].

القرآن

{وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)} [يونس : ٦٠]

التفسير:

وما ظنُّ هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفِرْيَتِهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟ إن الله لذو فضل على خلقه; بتركه معاجلة مَن افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك.

قوله تعالى:{وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [يونس : ٦٠]، أي:" وما ظنُّ هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفِرْيَتِهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟"[١٣٤٧].

(١٣٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٥):ص١٩٦٠/٦.
(١٣٣٧) صفوة التفاسير:٥٤٨/١.
(١٣٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٦):ص١٩٦٠/٦.
(١٣٣٩) صفوة التفاسير:٥٤٨/١.
(١٣٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٣٩):ص١٩٦١/٦.
(١٣٤١)[الأنعام : ١٣٦].
(١٣٤٢)[الأنعام : ١٣٦].
(١٣٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٤٠):ص١٩٦١/٦.
(١٣٤٤) صفوة التفاسير:٥٤٨/١.
(١٣٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٤٢):ص١٩٦١/٦.
(١٣٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٤٤):ص١٩٦١/٦.

عن قتادة، قوله: "{يفترون}، أي: يشركون"[١٣٤٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} [يونس : ٦٠]، أي:" إن الله لذو فضل على خلقه; بتركه معاجلة مَن افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه"[١٣٤٩].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن موسى بن أبي الصباح في قول الله: "{إن الله لذو فضل على الناس}، قال: "إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله فيقومون بين يدي الله ثلاث أصناف قال: فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدي لماذا عملت: فيقول: يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليها قال: فيقول: عبدي إنما عملت الجنة هذه الجنة فادخلها، ومن فضلي عليك أعتقك من النار قال: يدخل الجنة هو ومن معه قال: يؤتى بالعبد من الصنف الثاني قال: فيقول: عبدي لماذا عملت فيقول: يا رب خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها اوسمومها ويحمومها، وما أعددت لأهل عذابك فيها ولأهل معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأطبت نهاري خوفا منها فيقول: عبدي إنما عملت خوفا من النار فإني قد أعتقك من النار، ومن فضلي عليك أدخلتك جنتي فيدخل الجنة هو ومن معه الجنة ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول: عبدي لماذا عملت؟ فيقول رب حبا لك وشوقا إليك وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليك وحبا لك فيقول تبارك وتعالى: عبدي إنما عملت حبا لي وشوقا إلي فيتجلى له الرب فيقول ها أنا ذا انظر إلي ثم يقول: من فضلي عليك أن أعتقك من النار وأدخلك جنتي وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي فيدخل هو ومن معه الجنة"[١٣٥٠].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [يونس : ٦٠]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك"[١٣٥١].

عن قتادة، قوله: "{ولكن أكثر الناس لا يشكرون}، وإن المؤمن ليشكر نعم الله عليه وعلى خلقه. قال قتادة: وذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يا رب شاكر نعمه غيره، ومنهم عليه لا يزيد: ويا رب حامل فقه غير فقيه"[١٣٥٢].

القرآن

{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)} [يونس : ٦١]

التفسير:

وما تكون -أيها الرسول- في أمر مِن أمورك وما تتلو من كتاب الله من آيات، وما يعمل أحد من هذه الأمة عملا من خير أو شر إلا كنا عليكم شهودًا مُطَّلِعين عليه، إذ تأخذون في ذلك، وتعملونه، فنحفظه عليكم ونجزيكم به، وما يغيب عن علم ربك -أيها الرسول- من زنة نملة صغيرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر الأشياء ولا أكبرها، إلا في كتاب عند الله واضح جلي، أحاط به علمه وجرى به قلمه.

قوله تعالى:{وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس : ٦١]، أي:" وما تقرأ من كتاب الله شيئاً من القرآن، ولا تعملون أيها الناس من خير أو شر، إلا كنا شاهدين رقباء، نحصي عليكم أعمالكم حين تندفعون وتخوضون فيها "[١٣٥٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} [يونس : ٦١]، أي:" ولا تعملون أيها الناس من خير أو شر"[١٣٥٤].

عن الحسن:" {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ}: من شأن الدنيا وحوائجك فيها"[١٣٥٥].

(١٣٤٧) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٤٤):ص١٩٦١/٦.
(١٣٤٩) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٥٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٤٤٥):ص١٩٦١/٦-١٩٦٢.
(١٣٥١) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٤٦):ص١٩٦٢/٦.
(١٣٥٣) صفوة التفاسير:٥٤٨/١.
(١٣٥٤) صفوة التفاسير:٥٤٨/١.

عن مجاهد قوله: "{إذ تفيضون فيه}: في الحق ما كان"[١٣٥٦].

عن عبد الله بن إبراهيم الصنعاني، عن أبيه، قال: "كان بعض العلماء إذا اخرج من منزله كتب في يده: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس : ٦١]، الآية"[١٣٥٧].

عن أبي صخر، قال: "سمعت القرظي يقول في البرهان: الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الانفطار : ١٠ - ١٢]، وقول الله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس : ٦١]، وقول الله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣]. قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل القرظي، وزاد آية أخرى رابعة: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء : ٣٢]"[١٣٥٨].

قوله تعالى:{وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس : ٦١]، أي:" وما يغيب عن علم ربك -أيها الرسول- من زنة نملة صغيرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر الأشياء ولا أكبرها، إلا في كتاب عند الله واضح جلي، أحاط به علمه وجرى به قلمه"[١٣٥٩].

عن قتادة، قوله: "{في كتاب مبين}، قال: كل ذلك في كتاب عند الله مبين"[١٣٦٠].

القرآن

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)} [يونس : ٦٢]

التفسير:

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} [يونس : ٦٢]، أي:" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله"[١٣٦١].

عن العلاء بن المسيب، عن أبيه: "{ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}، قال: الذي يذكر الله لرؤيتهم"[١٣٦٢].

عن العلاء بن المسيب، عن أبي الضحى، قال: "سمعته يقول في هذه الآية: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} ، قال: من الناس مفاتيح، إذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم"[١٣٦٣].

قال عبد الله بن أبي الهذيل:" إن ولي الله إذا رئي ذكر الله"[١٣٦٤].

وروي عن سعيد بن جبير، قال: "سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن "أولياء الله"، فقال: الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله"[١٣٦٥].

عن سعيد بن جبير: "{لا خوف عليهم}، يعني: في الآخرة"[١٣٦٦].

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس : ٦٢]، أي:" ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا"[١٣٦٧].

عن سعيد بن جبير: "{ولا هم يحزنون}، يعني: لا يحزنون للموت"[١٣٦٨].

(١٣٥٥) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٥٢/٢.
(١٣٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٤٩):ص١٩٦٣/٦.
(١٣٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٤٧):ص١٩٦٢/٦.
(١٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧.
(١٣٥٩) التفسير الميسر:٢١٥.
(١٣٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٥١):ص١٩٦٣/٦.
(١٣٦١) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٣٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٠٦):ص١١٩/١٥.
(١٣٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٠٧):ص١١٩/١٥.
(١٣٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٧١٢):ص١٢٠/١٥.
(١٣٦٥) أخرجه الطبري(١٧٧٠٨):ص١٢٠/١٥.
(١٣٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٥٧):ص١٩٦٥/٦.
(١٣٦٧) التفسير الميسر:٢١٦.

القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)} [يونس : ٦٣]

التفسير:

وصفات هؤلاء الأولياء، أنهم الذين صدَّقوا الله واتبعوا رسوله وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره، واجتناب معاصيه.

قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا} [يونس : ٦٣]، أي:" وصفات هؤلاء الأولياء، أنهم الذين صدَّقوا الله واتبعوا رسوله وما جاء به من عند الله"[١٣٦٩].

قال سعيد بن جبير:"{آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[١٣٧٠].

قوله تعالى:{وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس : ٦٣]، أي:" وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره، واجتناب معاصيه"[١٣٧١].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[١٣٧٢].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[١٣٧٣].

القرآن

{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)} [يونس : ٦٤]

التفسير:

لهؤلاء الأولياء البشارة من الله في الحياة الدنيا بما يسرُّهم، ومنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وفي الآخرة بالجنة، لا يخلف الله وعده ولا يغيِّره، ذلك هو الفوز العظيم; لأنه اشتمل على النجاة مِن كل محذور، والظَّفَر بكل مطلوب محبوب.

قوله تعالى:{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس : ٦٤]، أي:" لهؤلاء الأولياء البشارة من الله في الحياة الدنيا بما يسرُّهم، وفي الآخرة بالجنة"[١٣٧٤].

وفي قوله تعالى:{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس : ٦٤]، وجهان:

أحدهما : أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت ، وفي الآخرة الجنة ، قاله قتادة[١٣٧٥]، والضحاك[١٣٧٦]، والزهري[١٣٧٧].

الثاني : أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له ، وفي الآخرة الجنة ، روى ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبو الدرداء[١٣٧٨]، وأبو هريرة[١٣٧٩]، وعبادة بن الصامت[١٣٨٠]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[١٣٨١]، وعبدالله بن عمر[١٣٨٢]، وبه قال يحيى بن ابي كثير[١٣٨٣]، ومجاهد[١٣٨٤]، وإبراهيم[١٣٨٥]، وعطاء[١٣٨٦].

(١٣٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٥٧):ص١٩٦٥/٦.

(١٣٦٩) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٣٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(١٣٧١) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٣٧٢) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(١٣٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(١٣٧٤) التفسير الميسر:٢١٦.[بتصرف]

(١٣٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٥٧):ص١٤٠/١٥.

(١٣٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٥٨):ص١٤٠/١٥.

(١٣٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٥٧):ص١٤٠/١٥.

(١٣٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٧١٧):ص١٢٤/١٥-١٢٥.

(١٣٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٢٨):ص١٣١/١٥.

(١٣٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٧١٩):ص١٢٦/١٥.

(١٣٨١) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٢٩):ص١٣١/١٥.

(١٣٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٥٤):ص١٣٩/١٥.

(١٣٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٤٥):ص١٣٧/١٥.

وروي عن أم كرز الكعبية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات"[١٣٨٧].

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه»[١٣٨٨].

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} الآية، [سورة البقرة: ٢٥] .

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه: أن (لهم البشرى في الحياة الدنيا) ، وأما في الآخرة فالجنة"[١٣٨٩].

قوله تعالى:{لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} [يونس : ٦٤]، أي:" لا إخلاف لوعد الله"[١٣٩٠].

عن نافع قال: "أطال الحجاج الخطبة، فوضع ابن عمر رأسَه في حِجْري، فقال الحجاج: إن ابن الزبير بدّل كتاب الله! فقعد ابن عمر فقال: لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير! لا تبديل لكلمات الله! فقال الحجاج: لقد أوتيت علمًا إن نفعك! قال أيوب: فلما أقبل عليه في خاصّة نفسه سكَتَ"[١٣٩١][١٣٩٢].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس : ٦٤]، أي:" ذلك هو الفوز الذي لا فوز وراءه، والظفر بالمقصود الذي لا يُضاهى"[١٣٩٣].

عن أبي مالك، قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[١٣٩٤].

عن سعيد بن جبير:"{الْعَظِيمُ}: عظيما"[١٣٩٥].

القرآن

{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)} [يونس : ٦٥]

التفسير:

ولا يحزنك -أيها الرسول- قول المشركين في ربهم وافتراؤهم عليه وإشراكهم معه الأوثان والأصنام; فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، وهو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

(١٣٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٤٧):ص١٣٨/١٥.

(١٣٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٤٩):ص١٣٨/١٥.

(١٣٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٥٣):ص١٣٩/١٥.

(١٣٨٧) أخرجه الطبري(١٧٧٣٢):ص١٣٣/١٥.

(١٣٨٨)حديث بغير إسناد، لم أستطع أن أجده بلفظه في مكان قريب.

(١٣٨٩) تفسير الطبري:١٤٠/١٥-١٤١.

(١٣٩٠) صفوة التفاسير:٥٤٩/١.

(١٣٩١) أخرجه الطبري(١٧٧٥٩):ص١٤١/١٥. ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ٣٣٩، ٣٤٠، من طريق أبي النعمان، عن إسماعيل بن علية، عن أيوب، بمثله، ليس فيه كلمة أيوب. وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي.

(١٣٩٢) تفسير الطبري:١٤١/١٥،(الهامش:٣) قال المحقق:" وهذا خبر عظيم القدر فيه أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظاهرة كما علمهم رسولهم، من ترك هيبة الجبابرة، ومن إنكار المنكر من القول والعمل، ومن اليقظة لمعاني الكلام ومقاصد الأعمال، ومن تعليم الناس جهرة أخطاء أمرائهم والولاة عليهم، ومن الصبر على أذى هؤلاء الجبابرة إذا كان الأذى يمسهم في خاصة أنفسهم. فأما إذا كان الأمر أمر الله وأمر رسوله، وأمر الكتاب المنزل بالحق إلى الديانين والجبابرة جميعًا، يأمرهم وينهاهم على السواء، فهم لا يخافون جبارًا قد عود سيفه سفح الدماء، ودرب لسانه على اللذع والقرص واللجاجة. فرحم الله أمة كان هؤلاء النبلاء، أئمتها وهداتها!".

(١٣٩٣) صفوة التفاسير:٥٤٩/١.

(١٣٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٥):ص١٩٦٦/٦.

(١٣٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٧):ص١٩٦٦/٦.

قوله تعالى:{إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس : ٦٥]، أي:" فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة"(١٣٩٦).

قال سعيد بن المسيب: "إن العزة لله جميعا يعني: أن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} [المنافقون: ٨]، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله"(١٣٩٧).

قوله تعالى:{هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس : ٦٥]، أي:" وهو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم"(١٣٩٨).

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"(١٣٩٩).

القرآن

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦)} [يونس : ٦٦]

التفسير:

ألا إن لله كل مَن في السموات ومن في الأرض من الملائكة، والإنس، والجن وغير ذلك. وأي شيء يتَّبع مَن يدعو غير الله من الشركاء؟ ما يتَّبعون إلا الشك، وإن هم إلا يكذبون فيما ينسبونه إلى الله.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} [يونس : ٦٦]، أي:" ألا إن لله كل مَن في السموات ومن في الأرض من الملائكة، والإنس، والجن وغير ذلك"(١٤٠٠).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(١٤٠١).

قوله تعالى:{وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ} [يونس : ٦٦]، أي:" وأي شيء يتَّبع مَن يدعو غير الله من الشركاء؟"(١٤٠٢).

عن قتادة: "{الذين يدعون من دون الله}، قال: إن الذين يدعون من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر"(١٤٠٣).

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)} [يونس : ٦٧]

التفسير:

هو الذي جعل لكم -أيها الناس- الليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من عناء الحركة في طلب المعاش، وجعل لكم النهار; لتبصروا فيه، ولتسعَوْا لطلب رزقكم. إن في اختلاف الليل والنهار وحال أهلهما فيهما لدلالةً وحججًا على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لقوم يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ} [يونس : ٦٧]، أي:" هو الذي جعل لكم -أيها الناس- الليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من عناء الحركة في طلب المعاش"(١٤٠٤).

عن قتادة في قول الله: {الليل سكنا}: يسكن فيه كل طائر ودابة"(١٤٠٥).

(١٣٩٦) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٣٩٧) تفسير البغوي:١٤٢/٤.

(١٣٩٨) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٣٩٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(١٤٠٠) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٤٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٤٠٢) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٤٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٨):ص١٩٦٧/٦.

(١٤٠٤) التفسير الميسر:٢١٦.

(١٤٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٦٩):ص١٩٦٧/٦.

قوله تعالى:{وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [يونس : ٦٧]، أي:" وجعل لكم النهار; لتبصروا فيه، ولتسعَوْا لطلب رزقكم"(١٤٠٦).

قال قتادة:" أي: منيرا"(١٤٠٧).

قال مجاهد: "الشمس آية النهار"(١٤٠٨).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [يونس : ٦٧]، أي:" إن في اختلاف الليل والنهار وحال أهلهما فيهما لدلالةً وحججًا على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لقوم يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها"(١٤٠٩).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(١٤١٠).

القرآن

{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨)} [يونس : ٦٨]

التفسير:

قال المشركون: اتخذ الله ولدًا، كقولهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله. تقدَّس الله عن ذلك كله وتنزَّه، هو الغني عن كل ما سواه، له كل ما في السموات والأرض، فكيف يكون له ولد ممن خلق وكل شيء مملوك له؟ وليس لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب، أتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟

قوله تعالى:{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ} [يونس : ٦٨]، أي:" قال المشركون: اتخذ الله ولدًا، كقولهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله، تقدَّس الله عن ذلك كله وتنزَّه، هو الغني عن كل ما سواه"(١٤١١).

عن قتادة:{سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}، قال: "إذ قالوا عليه البهتان عظم نفسه"(١٤١٢).

عن غالب بن عجرة، ثنا رجل من أهل الشام في مسجد منى قال: "بلغني أن الله خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا فيها منفعة وقال كان لهم فيها منفعة، ولم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة من بني آدم بتلك الكلمة العظيمة بقولهم: "اتخذ الله ولدا" فلما تكلموا فيها اقشعرت الأرض وشاك الشجر"(١٤١٣).

قوله تعالى:{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [يونس : ٦٨]، أي:" له كل ما في السموات والأرض فكيف يكون له ولد ممن خلق وكل شيء مملوك له؟"(١٤١٤).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(١٤١٥).

قوله تعالى:{إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا} [يونس : ٦٨]، أي:" وليس لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب"(١٤١٦).

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"(١٤١٧).

(١٤٠٦) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٠):ص١٩٦٧/٦.
(١٤٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٠):ص١٩٦٧/٦.
(١٤٠٩) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(١٤١١) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٢):ص١٩٦٧/٦.
(١٤١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٣):ص١٩٦٨/٦.
(١٤١٤) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(١٤١٦) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

قوله تعالى:{أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يونس : ٦٨]، أي:" أتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟"(١٤١٨).

قال قتادة:" القول الكذب والباطل وقالوا عليه ما لا يعلمون"(١٤١٩).

القرآن

{مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)} [يونس : ٧٠]

التفسير:

إنما يتمتعون في الدنيا بكفرهم وكذبهم متاعًا قصيرًا، ثم إذا انقضى أجلهم فإلينا مصيرهم، ثم نذيقهم عذاب جهنم بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم رسل الله، وجحدهم آياته.

قوله تعالى:{مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} [يونس : ٧٠]، أي:" متاعٌ قليل في الدنيا يتمتعون به مدة حياتهم، ثم معادهم ورجوعهم إلينا للجزاء والحساب"(١٤٢٠).

عن هشام بن حسان، قال: "سمعت الحسن يقول: متاع الدنيا قليل قال رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"(١٤٢١).

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"(١٤٢٢).

عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"(١٤٢٣).

القرآن

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١)} [يونس : ٧١]

التفسير:

واقصص -أيها الرسول- على كفار «مكة» خبر نوح -عليه السلام- مع قومه حين قال لهم: إن كان عَظُمَ عليكم مقامي فيكم وتذكيري إياكم بحجج الله وبراهينه فعلى الله اعتمادي وبه ثقتي، فأعدُّوا أمركم، وادعوا شركاءكم، ثم لا تجعلوا أمركم عليكم مستترًا بل ظاهرًا منكشفًا، ثم اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تمهلوني ساعة من نهار.(١٤٢٤).

قوله تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ} [يونس : ٧١]، أي:" واقصص -أيها الرسول- على كفار «مكة» خبر نوح -عليه السلام- مع قومه"(١٤٢٥).

عن قتادة :"أن نوحا بعث من الجزيرة"(١٤٢٦).

قال محمد بن إسحاق:" كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يذكر أهل العلم من التوراة وما حفظ الناس الأحاديث عن عبد الله بن عباس، عن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا ولم يلق نبي من قومه من البلاء أكثر مما لقي إلا نبي قتل"(١٤٢٧).

(١٤١٨) التفسير الميسر:٢١٦.
(١٤١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٦):ص١٩٦٨/٦.
(١٤٢٠) صفوة التفاسير:٥٤٩/١.
(١٤٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٧):ص١٩٦٨/٦.
(١٤٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.
(١٤٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.
(١٤٢٤) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٢٥) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٨):ص١٩٦٨/٦.
(١٤٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧٩):ص١٩٦٨/٦.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ} [يونس : ٧١]، أي:" حين قال لهم: إن كان عَظُمَ عليكم طولُ مقامي ولبثي فيكم وتذكيري إياكم بحجج الله وبراهينه، فعلى الله وحده اعتمدت، وبه وثقت فلا أبالي بكم "[١٤٢٨].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المتوكلون"[١٤٢٩].

قوله تعالى:{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} [يونس : ٧١]، أي:" فاعزموا أمركم وادعوا شركاءكم، ودبّروا ما تريدون لمكيدتي"[١٤٣٠].

عن الحسن، قوله:{فأجمعوا أمركم وشركاءكم}، أي: فليجمعوا أمرهم معكم"[١٤٣١].

قال الأعرج:" أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم"[١٤٣٢].

وقرأها الحسن «وشركاؤكم» بالرفع[١٤٣٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} [يونس : ٧١]، أي:" يكن أمركم في شأني مستوراً بل مكشوفاً مشهوراً"[١٤٣٤].

عن قتادة: "{أمركم عليكم غمة}، قال: لا يكبر عليكم أمركم"[١٤٣٥].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} [يونس : ٧١]، قولان[١٤٣٦]:

قوله تعالى:{ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس : ٧١]، أي:" ثم أنفذوا ما تريدونه في أمري، ولا تؤخروني ساعة من نهار"[١٤٣٧].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ} [يونس : ٧١]، وجهان:

أحدهما : ثم اقضوا إليّ ما أنتم قاضون ، قاله قتادة[١٤٣٨].

الثاني : اقضوا إليّ ما في أنفسكم ، قاله مجاهد[١٤٣٩].

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)} [يونس : ٧٢]

التفسير:

فإن أعرضتم عن دعوتي فإنني لم أسألكم أجرًا; لأن ثوابي عند ربي وأجري عليه سبحانه، وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المنقادين لحكمه.

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [يونس : ٧٢]، أي:" ما أطلب ثواباً أو جزاءً على تبليغ الرسالة إلا من الله، وما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرضٍ من أغراض الدنيا"[١٤٤٠].

عن مجاهد :"{إن أجري}، يقول: جزائي"[١٤٤١].

القرآن

(١٤٢٨) انظر: التفسير الميسر: ٢١٧، وصفوة التفاسير:٥٥٢/١.

(١٤٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٨٠):ص١٩٦٨/٦.

(١٤٣٠) صفوة التفاسير:٥٥٢/١.

(١٤٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٨٢):ص١٩٦٩/٦.

(١٤٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٤٨١):ص١٩٦٩/٦.

(١٤٣٣) انظر: معاني القرآن للفراء:٤٧٣/١. قال الفراء:"وإنما «الشركاء» هاهنا آلهتهم كأنه أراد: أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم. ولست أشتهيه لخلافه للكتاب، ولأن المعنى فيه ضعيف لأن الآلهة لا تعمل ولا تجمع".

(١٤٣٤) صفوة التفاسير:٥٥٢/١.

(١٤٣٥) أخرجه الطبري(١٧٧٦١):ص١٥٠/١٥.

(١٤٣٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٥، والنكت والعيون:٤٤٣/٢.

(١٤٣٧) انظر: التفسير الميسر: ٢١٧، وصفوة التفاسير:٥٥٢/١.

(١٤٣٨) انظر: الطبري(١٧٧٦٢):ص١٥٠/١٥.

(١٤٣٩) انظر: الطبري(١٧٧٦٣):ص١٥٠/١٥.

(١٤٤٠) صفوة التفاسير:٥٥٢/١.

(١٤٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٨٩):ص١٩٧٠/٦.

{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)} [يونس : ٧٣]

التفسير:

فكذب نوحًا قومُه فيما أخبرهم به عن الله، فنجَّيناه هو ومن معه في السفينة، وجعلناهم يَخْلُفون المكذبين في الأرض، وأغرقنا الذين جحدوا حججنا، فتأمل -أيها الرسول- كيف كان عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم عذاب الله وبأسه؟

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} [يونس : ٧٣]، أي:" فكذب نوحًا قومُه فيما أخبرهم به عن الله، فنجَّيناه هو ومن معه في السفينة"(١٤٤٢).

عن أبي مالك:"{في الفلك}، قال: سفينة نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين"(١٤٤٣).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ} [يونس : ٧٣]، أي:" وجعلناهم يَخْلُفون المكذبين في الأرض"(١٤٤٤).

قال السدي:" فأهلك القرون فاستخلفنا فيها بعدهم"(١٤٤٥).

قوله تعالى:{وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ} [يونس : ٧٣]، أي:" وأغرقنا الذين جحدوا حججنا، فتأمل -أيها الرسول- كيف كان عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم عذاب الله وبأسه؟"(١٤٤٦).

عبد الرحمن بن سلمة أبو زهير، عن رجل من أصحابه، قال: "بلغني أن قوم نوح عاشوا في ذلك الغرق أربعين يوما"(١٤٤٧).

قال محمد بن إسحاق:" فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه وما جاور الماء ركبته وداب الماء حين أرسله الله خمسين ومائة يوم كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاص ستة أشهر وعشر ليال ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء، فسكن الماء، وانسدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه فلم تجد لرجليها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت إليه حين أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ثم مكث فيها سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فعلم نوح أن الأرض قد برزت"(١٤٤٨).

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤)} [يونس : ٧٤]

التفسير:

ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى أقوامهم (هودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا وغيرَهم) فجاء كل رسول قومه بالمعجزات الدالة على رسالته، وعلى صحة ما دعاهم إليه، فما كانوا ليصدِّقوا ويعملوا بما كذَّب به قوم نوح ومَن سبقهم من الأمم الخالية. وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يختم على قلوب مَن شابههم ممن بعدهم من الذين تجاوزوا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معاصيهم.

(١٤٤٢) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٩٣):ص١٩٧١/٦.
(١٤٤٤) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٩٤):ص١٩٧١/٦.
(١٤٤٦) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٩٦):ص١٩٧١/٦.
(١٤٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٩٧):ص١٩٧١/٦-١٩٧٢.

قوله تعالى:{فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} [يونس : ٧٤]، أي:" فما كانوا ليصدِّقوا ويعملوا بما كذَّب به قوم نوح ومَن سبقهم من الأمم الخالية"[١٤٤٩].

عن مجاهد، قوله: "{بما كذبوا به من قبل}، قول الله: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}[١٤٥٠]"[١٤٥١].

عن السدي، قوله: "{فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل}، قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق آمنوا كرها"[١٤٥٢].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ} [يونس : ٧٤]، أي:" وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يختم على قلوب مَن شابههم ممن بعدهم من الذين تجاوزوا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معاصيهم"[١٤٥٣].

عن سعيد المقبري في قول الله: "{وطبع}: ختم على قلوبهم"[١٤٥٤].

عن قتادة، قوله: "{وطبع على قلوبهم}، أي: بأعمالهم"[١٤٥٥].

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥)} [يونس : ٧٥]

التفسير:

ثم بعثنا مِن بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبروا عن قَبول الحق، وكانوا قومًا مشركين مجرمين مكذبين.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا} [يونس : ٧٥]، أي:" ثم بعثنا مِن بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما"[١٤٥٦].

قال مجاهد:" كان فرعون فارسيا من أهل إصطخر"[١٤٥٧].

عن ابن لهيعة :"أن فرعون كان من أبناء سحرة"[١٤٥٨].

عن محمد بن المنكدر، قال: "عاش فرعون ثلاثمائة سنة، مائتان وعشرون لم ير فيها ما يقذي عينه، ودعى موسى ثمانين سنة"[١٤٥٩].

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦)} [يونس : ٧٦]

التفسير:

فلما أتى فرعونَ وقومَه الحقُّ الذي جاء به موسى قالوا: إن الذي جاء به موسى من الآيات إنما هو سحر ظاهر.

قال السدي: "لما جاءهم رسول من عند الله عارضوه وحاصروه"[١٤٦٠].

(١٤٤٩) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٥٠)[الأنعام : ٢٨].
(١٤٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٩٩):ص١٩٧٢/٦.
(١٤٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٠):ص١٩٧٢/٦.
(١٤٥٣) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠١):ص١٩٧٢/٦.
(١٤٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٩٧٢/٦.
(١٤٥٦) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٤):ص١٩٧٣/٦.
(١٤٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٥):ص١٩٧٣/٦.
(١٤٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٣):ص١٩٧٢/٦.
(١٤٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٠٦):ص١٩٧٣/٦.

القرآن

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)} [يونس : ٧٨]

التفسير:

قال فرعون وملؤه لموسى: أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله، وتكون لكما أنت وهارون العظمة والسلطان في أرض «مصر» ؟ وما نحن لكما بمقرِّين بأنكما رسولان أُرسلتما إلينا; لنعبد الله وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [يونس : ٧٨]، أي:" قال فرعون وملؤه لموسى: أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله"(١٤٦١).

وفي قوله تعالى:{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [يونس : ٧٨]، وجهان:

أحدهما : لتلوينا ، قاله قتادة(١٤٦٢).

الثاني : لتصدنا عن آلهتنا، قاله السدي(١٤٦٣).

قوله تعالى:{وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ} [يونس : ٧٨]، أي:" وتكون لكما أنت وهارون العظمة والسلطان في أرض «مصر»؟"(١٤٦٤).

وفي قوله تعالى:{وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ} [يونس : ٧٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : الملك والسلطان في الأرض، قاله مجاهد(١٤٦٥).

الثاني : العظمة، حكاه الأعمش عن مجاهد(١٤٦٦).

الثالث : الطاعة ، قاله الضحاك(١٤٦٧).

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني، وذلك أن الملك سلطان، والطاعة ملك، غير أن معنى «الكبرياء»، هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك(١٤٦٨).

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يونس : ٧٨]، أي:" وما نحن لكما بمقرِّين بأنكما رسولان أُرسلتما إلينا; لنعبد الله وحده لا شريك له"(١٤٦٩).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{بمؤمنين}، قال: بمصدقين"(١٤٧٠).

القرآن

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩)} [يونس : ٧٩]

التفسير:

وقال فرعون: جيئوني بكل ساحر متقن للسحر.(١٤٧١).

عن ابن إسحاق والسدي: "قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب إلا بمن هو أعلم منه، فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها: الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحرا كثيرا، وواعد فرعون موسى موعدا فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا

(١٤٦١) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٦٥):ص١٥٧/١٥.
(١٤٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٥٠٨):ص١٩٧٣/٦.
(١٤٦٤) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٦٦)، و(١٧٧٦٧):ص١٥٨/١٥.
(١٤٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٥١٠):ص١٩٧٣/٦.
(١٤٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٦٩):ص١٥٨/١٥.
(١٤٦٨) تفسير الطبري:١٥٩/١٥.
(١٤٦٩) التفسير الميسر:٢١٧.
(١٤٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥١١):ص١٩٧٣/٦.
(١٤٧١) التفسير الميسر:٢١٨.

صنعت؟ قال: قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به"[١٤٧٢].

قال عكرمة: "كانوا سبعين ألفا"[١٤٧٣].

وقال محمد بن المنكدر: "كانوا ثمانين ألفا"[١٤٧٤].

وقال ابن جريج: "رئيس السحرة يوحنا ا"[١٤٧٥].

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠)} [يونس : ٨٠]

التفسير:

فلما جاء السحرة فرعون قال لهم موسى: ألقوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيِّكم.

قوله تعالى:{قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ} [يونس : ٨٠]، أي:" قال لهم موسى: ألقوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيِّكم"[١٤٧٦].

قال السدي:" قال لهم موسى: {ألقوا ما أنتم ملقون}! فألقوا حبالهم وعصيهم!"[١٤٧٧].

القرآن

{فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)} [يونس : ٨١]

التفسير:

فلما ألقَوا حبالهم وعصيَّهم قال لهم موسى: إنَّ الذي جئتم به وألقيتموه هو السحر، إن الله سيُذْهب ما جئتم به وسيُبطله، إن الله لا يصلح عمل مَن سعى في أرض الله بما يكرهه، وأفسد فيها بمعصيته.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَلْقَوْا} [يونس : ٨١]، أي:" فلما ألقَوا حبالهم وعصيَّهم"[١٤٧٨].

قال ابن إسحاق:" صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى} [طه: ٦٥-٦٦]. فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصى والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا، {فأوجس في نفسه خيفة موسى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصاي هذه! أو كما حدث نفسه"[١٤٧٩].

قوله تعالى:{قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٨١]، أي:" قال لهم موسى: إنَّ الذي جئتم به وألقيتموه هو السحر، إن الله سيُذْهب ما جئتم به وسيُبطله، إن الله لا يصلح عمل مَن سعى في أرض الله بما يكرهه، وأفسد فيها بمعصيته"[١٤٨٠].

عن ليث، قال :"بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس: {فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢)}[١٤٨١]، والآية الأخرى: {فَوَقَعَ

(١٤٧٢) ذكره البغوي: ٢٦٤/٣.
(١٤٧٣) ذكره البغوي: ٢٦٤/٣.
(١٤٧٤) ذكره البغوي: ٢٦٤/٣.
(١٤٧٥) ذكره البغوي: ٢٦٤/٣.
(١٤٧٦) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٤٧٧) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٣.
(١٤٧٨) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٤٧٩) أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.
(١٤٨٠) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٤٨١)[يونس : ٨١ - ٨٢].

الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[١٤٨٢] إلى انتهاء أربع آيات، وقوله: { إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[١٤٨٣]"[١٤٨٤].

من فوائد الآيتين[٨١-٨٢]:

١- أن عاقبة الفساد وعمل أصحابه الخراب والدمار.
٢- ذم الله عز وجل السحر وأهله في كتابه الكريم، وبين بطلان عملهم، وأنهم لا خلاق لهم في الآخرة.
٣- أن عمل الساحر ما يثبت بل يبطل، قال تعالى: {مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ}، وأما معجزة الأنبياء فلها حقيقة كما جرى بين موسى والسحرة فإنهم مع كثرتهم قيل أنهم سبعون ألفاً وألقوا ما ألقوا من الكيد أمر الله موسى أن يلقي عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون.

القرآن

{وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢)} [يونس : ٨٢]

التفسير:

ويثبِّت الله الحق الذي جئتكم به من عنده فيُعليه على باطلكم بكلماته وأمره، ولو كره المجرمون أصحاب المعاصي مِن آل فرعون.

قوله تعالى:{وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} [يونس : ٨٢]، أي:" ولو كره ذلك المجرمون أصحاب المعاصي مِن آل فرعون"[١٤٨٥].

عن السدي:" {المجرمون}: وهم المشركون"[١٤٨٦].

القرآن

{فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)} [يونس : ٨٣]

التفسير:

فما آمن لموسى عليه السلام مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئه أن يفتنوهم بالعذاب، فيصدُّوهم عن دينهم، وإن فرعون لجبار مستكبر في الأرض، وإنه لمن المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.

قوله تعالى:{فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ} [يونس : ٨٣]، أي:" فما آمن لموسى عليه السلام مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل"[١٤٨٧].

وفي قوله تعالى:{فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ} [يونس : ٨٣]، وجوه:

أحدها : أن الذرية: القليل ، قاله الضحاك[١٤٨٨].

قال الضحاك:" «الذرية»: القليل، كما قال الله تعالى: {كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [سورة الأنعام: ١٣٣]"[١٤٨٩].

الثاني : أنهم الغلمان من بني إسرائيل، لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى ، قاله زيد بن أسلم[١٤٩٠].

(١٤٨٢)[الأعراف : ١١٨].
(١٤٨٣)[طه : ٦٩].
(١٤٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥١٤):ص١٩٧٤/٦.
(١٤٨٥) التفسير الميسر:٢١٨.[بتصرف]
(١٤٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.
(١٤٨٧) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٤٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٧٥):ص١٦٣/١٥.
(١٤٨٩) أخرجه الطبري(١٧٧٧٥):ص١٦٣/١٥.
(١٤٩٠) انظر:تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥١٨):ص١٩٧٥/٦.

قال زيد بن أسلم:" كان فرعون يذبح الغلمان فلما كان من أمر موسى عليه السلام ما كان حين ضرب موسى بالعصا، وهو قاعد عبد عنده أخرجه ثم قطر عن قتل ذرية بني إسرائيل وعرف أنه هو الذي كان يقتل في سببه ذرية بني إسرائيل فنشئت ناشئة فيما بين ذلك إلى أن جاء موسى من مدين حين بعثه الله عز وجل رسولا وهي الذرية التي قال الله: {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون}"[١٤٩١].
الثالث : أنهم أولاد الزمن، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام. قاله مجاهد[١٤٩٢]، والأعمش[١٤٩٣].

قال مجاهد:" أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان، ومات آباؤهم"[١٤٩٤].

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، هو قول مجاهد، وهو أن «الذرية»، في هذا الموضع أريد بها دُرّية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريّتهم، فآمن منهم من ذكر الله، بموسى، وإنما قلت: "هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك"، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فَلأن تكون "الهاء"، في قوله: "من قومه"، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ، من خبرٍ ولا نظرٍ.

وبعدُ، فإن في قوله: {على خوف من فرعون وملئهم}، الدليلُ الواضح على أن الهاء في قوله: {إلا ذرية من قومه}، من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، "على خوف منه"، ولم يكن {على خوف من فرعون}"[١٤٩٥].

قوله تعالى:{عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ} [يونس : ٨٣]، أي:" على تخوف وحذر من فرعون وملأه أن يعذبهم ويصرفهم عن دينهم"[١٤٩٦].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[١٤٩٧].

القرآن

{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)} [يونس : ٨٤]

التفسير:

وقال موسى: يا قومي إن صدقتم بالله -جلَّ وعلا- وامتثلتم شرعه فثقوا به، وسلّموا لأمره، وعلى الله توكلوا إن كنتم مذعنين له بالطاعة.

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ} [يونس : ٨٤]، أي:" وقال موسى: يا قومي إن صدقتم بالله -جلَّ وعلا- وامتثلتم شرعه"[١٤٩٨].

قوله تعالى:{فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} [يونس : ٨٤]، أي:" فعلى الله وحده اعتمدوا فإنه يكفيكم كل شرٍّ وضُرّ"[١٤٩٩].

قال محمد بن إسحاق:" يعني: على الله توكلوا، أي: أرضى به من العباد"[١٥٠٠].

القرآن

{فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥)} [يونس : ٨٥]

التفسير:

(١٤٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥١٨):ص١٩٧٥/٦.
(١٤٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٧٦)-(١٧٧٧٩):ص١٦٤/١٥.
(١٤٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٨٠):ص١٦٤/١٥.
(١٤٩٤) أخرجه الطبري(١٧٧٧٦):ص١٦٤/١٥.
(١٤٩٥) تفسير الطبري:١٦٥/١٥.
(١٤٩٦) صفوة التفاسير:٥٥٣/١.
(١٤٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.
(١٤٩٨) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٤٩٩) صفوة التفاسير:٥٥٣/١.
(١٥٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٢٠):ص١٩٧٥/٦.

فقال قوم موسى له: على الله وحده لا شريك له اعتمدنا، وإليه فوَّضنا أمرنا، ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفارُ بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غُلبوا.

قوله تعالى:{فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} [يونس : ٨٥]، أي:" فقال قوم موسى له: على الله وحده لا شريك له اعتمدنا، وإليه فوَّضنا أمرنا"(١٥٠١).

قوله تعالى:{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [يونس : ٨٥]، أي:" ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفارُ بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غُلبوا"(١٥٠٢).

وفي قوله تعالى:{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [يونس : ٨٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : لا تسلطهم علينا فيفتنوننا ، قاله مجاهد(١٥٠٣).

وقال مجاهد:" لا تسلطهم علينا فيضلونا"(١٥٠٤).

قال مجاهد:" لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: "لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا"، فيفتتنوا بنا"(١٥٠٥).

قال مجاهد:" لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم، فيفتتنوا ويقولوا: "لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا""(١٥٠٦).

الثاني: لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم على حق ، قاله أبو الضحى(١٥٠٧)، وأبو مجلز(١٥٠٨).

وقال عطية: "لا تسلطهم علينا فيسيئون ويقتلون"(١٥٠٩).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن القوم رغبوا إلى الله في أن يُجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاءً، وكلُّ ما كان من أمر كان لهم مصدَّة عن اتباع موسى والإقرار به، وبما جاءهم به، فإنه لا شك أنه كان لهم "فتنة"، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادًا من الإيمان بالله ورسوله. وكذلك من المصدَّة كان لهم عن الإيمان: أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنةٌ في أنفسهم، من بلية تنزل بهم، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادًّا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم"(١٥١٠).

القرآن

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)} [يونس : ٨٧]

التفسير:

وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذا لقومكما بيوتًا في «مصر» تكون مساكن وملاجئ تعتصمون بها، واجعلوا بيوتكم أماكن تصلُّون فيها عند الخوف، وأدُّوا الصلاة المفروضة في أوقاتها. وبشِّر المؤمنين المطيعين لله بالنصر المؤزر، والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} [يونس : ٨٧]، أي:" وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذا لقومكما بيوتًا في «مصر» تكون مساكن وملاجئ تعتصمون بها"(١٥١١).

وفي قوله {بِمِصْرَ}[يونس : ٨٧]، قولان :

أحدهما : أنها الإسكندرية ، وهو قول مجاهد(١٥١٢).

(١٥٠١) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥٠٢) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٨٦)-(١٧٧٩١):ص١٥/١٦٩-١٧٠.

(١٥٠٤) أخرجه الطبري(١٧٧٨٧):ص١٥/١٨٩.

(١٥٠٥) أخرجه الطبري(١٧٧٨٩):ص١٥/١٨٩-١٩٠.

(١٥٠٦) أخرجه الطبري(١٧٧٩١):ص١٥/١٩٠.

(١٥٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٨٥):ص١٥/١٦٩.

(١٥٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٨٣):ص١٥/١٦٩.

(١٥٠٩) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥/١٤٣-١٤٤.

(١٥١٠) تفسير الطبري:١٥/١٧٠-١٧١.

(١٥١١) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥٢٦):ص٦/١٩٧٦.

الثاني : أنه البلد المسمى مصر ، قاله الضحاك[١٥١٣].

قوله تعالى:{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} [يونس : ٨٧]، أي:" واجعلوا بيوتكم أماكن تصلُّون فيها عند الخوف"[١٥١٤].

وفي قوله تعالى:{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} [يونس : ٨٧]، أقوال:

أحدها : واجعلوها مساجد تصلون فيها، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم ، قاله مجاهد[١٥١٥]، وأبو مالك[١٥١٦]، والربيع بن انس[١٥١٧]، والضحاك[١٥١٨]، وإبراهيم النخعي[١٥١٩].

الثاني : واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة ، وهذا مروي عن مجاهد[١٥٢٠]، وقتادة[١٥٢١]، والضحاك[١٥٢٢].

الثالث : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير[١٥٢٣].

والأغلب من معاني "البيوت" - وإن كانت المساجد بيوتًا -: البيوت المسكونة، إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد. لأن "المساجد" لها اسم هي به معروفة، خاصٌّ لها، وذلك "المساجد"، فأمّا "البيوت" المطلقة بغير وصلها بشيء، ولا إضافتها إلى شيء، فالبيوت المسكونة، وكذلك "القبلة" الأغلب من استعمال الناس إيّاها في قبل المساجد وللصلوات.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به، دون الخفيّ المجهول، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك ولم يكن على قوله: {واجعلوا بيوتكم قبلة} ، دلالةٌ تقطع العذرَ بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا، وكذلك القول في قوله {قبلة}"[١٥٢٤].

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [يونس : ٨٧]، أي:" وأدُّوا الصلاة المفروضة في أوقاتها"[١٥٢٥].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[١٥٢٦].

عن الحسن في قوله: {وأقيموا الصلاة}، قال: فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[١٥٢٧].

وروي عن عطاء وقتادة نحو ذلك[١٥٢٨].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس : ٨٧]، أي:" وبشِّر المؤمنين المطيعين لله بالنصر المؤزر، والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى"[١٥٢٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{وبشر المؤمنين}، قال: بشرهم بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة"[١٥٣٠].

القرآن

(١٥١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥٢٨):ص١٩٧٦/٦.
(١٥١٤) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٥١٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٩٩)، و(١٧٨٠٠):ص١٧٢/١٥-١٧٣.
(١٥١٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٠١):ص١٧٣/١٥.
(١٥١٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٠٢):ص١٧٣/١٥.
(١٥١٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٠٤):ص١٧٣/١٥.
(١٥١٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٩٦):ص١٧٢/١٥.
(١٥٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٨١٠)-(١٧٨١٤):ص١٧٤/١٥-١٧٥.
(١٥٢١) انظر: تفسير الطبري(١٧٨١٥):ص١٧٥/١٥.
(١٥٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٨١٧):ص١٧٥/١٥.
(١٥٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨١٨):ص١٧٥/١٥.
(١٥٢٤) .تفسير الطبري:١٧٥/١٥-١٧٦
(١٥٢٥) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٥٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(١٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٣٤):ص١٩٧٧/٦.
(١٥٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٧٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٥٢٩) التفسير الميسر:٢١٨.
(١٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٣٦):ص١٩٧٨/٦.

{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨)} [يونس : ٨٨]

التفسير:

وقال موسى: ربنا إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه زينة من متاع الدنيا; فلم يشكروا لك، وإنما استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم، فلا ينتفعوا بها، واختم على قلوبهم حتى لا تنشرح للإيمان، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجع.

قوله تعالى:{رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} [يونس : ٨٨]، أي:" ربنا اطمس على أموالهم، فلا ينتفعوا بها"(١٥٣١).

وفي قوله تعالى:{رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} [يونس : ٨٨]، وجهان:

أحدهما: معناه: اجعل اموالهم حجارة. قاله الربيع بن انس(١٥٣٢)، ابو العالية(١٥٣٣)، وسفيان(١٥٣٤)، والضحاك(١٥٣٥)، وأبو صالح(١٥٣٦).

قال الضحاك:" جعلها الله حجارةً منقوشة على هيئة ما كانت"(١٥٣٧).

قال قتادة:" بلغنا أن زروعهم تحوَّلت حجارة"(١٥٣٨).

وعن القرظي:" اجعل سُكّرهم حجارة"(١٥٣٩).

الثاني: أن معناه: أهلكها. قاله مجاهد(١٥٤٠).

قوله تعالى:{وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [يونس : ٨٨]، أي:" واختم على قلوبهم حتى لا تنشرح للإيمان"(١٥٤١).

قال مجاهد:" بالضلالة(١٥٤٢).

وروي عن الضحاك:" أهلكهم كفارًا"(١٥٤٣).

قوله تعالى:{فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس : ٨٨]، أي:" فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجع"(١٥٤٤).

عن مجاهد: "{فلا يؤمنوا}، بالله فيما يرون من الآيات، {حتى يروا العذابَ الأليم}"(١٥٤٥).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(١٥٤٦)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(١٥٤٧).

القرآن

{قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)} [يونس : ٨٩]

التفسير:

(١٥٣١) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٢٣):ص١٨٠/١٥.

(١٥٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٢٢):ص١٨٠/١٥.

(١٥٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٢٦):ص١٨٠/١٥.

(١٥٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٢٩):ص١٨٠/١٥-١٨١.

(١٥٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٢٧):ص١٨٠/١٥.

(١٥٣٧) أخرجه الطبري(١٧٨٢٩):ص١٨٠/١٥-١٨١.

(١٥٣٨) أخرجه الطبري(١٧٨٢٤):ص١٨٠/١٥.

(١٥٣٩) أخرجه الطبري(١٧٨٢٠):ص١٧٩/١٥.

(١٥٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٣١):ص١٨١/١٥.

(١٥٤١) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥٤٢) تفسير مجاهد: ٣٨٣، وتفسير الطبري(١٧٨٣٧)-(١٧٨٣٩):ص١٨٢/١٥.

(١٥٤٣) أخرجه الطبري(١٧٨٤٠):ص١٨٢/١٥.

(١٥٤٤) التفسير الميسر:٢١٨.

(١٥٤٥) أخرجه الطبري(١٧٨٤١):ص١٨٢/١٥.

(١٥٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(١٥٤٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

قال الله تعالى لهما: قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم -وكان موسى يدعو، وهارون يؤمِّن على دعائه، فمن هنا نسبت الدعوة إلى الاثنين- فاستقيما على دينكما، واستمرَّا على دعوتكما فرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته، ولا تسلكا طريق مَن لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي.

قوله تعالى:{قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا} [يونس : ٨٩]، أي:" قال الله تعالى لهما: قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم"(١٥٤٨).

قال عكرمة:" كان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فذلك قوله: {قد أجيبت دعواتكما}"(١٥٤٩).

عن أبي صالح: "{قد أجيبت دعوتكما} قال: دعا موسى، وأمن هارون"(١٥٥٠). وروي عن الربيع بن أنس مثله(١٥٥١).

عن محمد بن كعب قال: "دعا موسى، وأمَّن هارون"(١٥٥٢). وروي عن ابي العالية مثله(١٥٥٣).

قوله تعالى:{فَاسْتَقِيمَا} [يونس : ٨٩]، أي:" فاستقيما على دينكما، واستمرَّا على دعوتكما فرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته(١٥٥٤).

قال ابن جريج: يقولون: إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة"(١٥٥٥).

قال أسباط: "فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وأمن هارون فذلك حين يقول الله: {قد أجيبت دعوتكما فاستقيما} فخرجا في قومهم"(١٥٥٦).

القرآن

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)} [يونس : ٩٠]

التفسير:

وقطَعْنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وعدوانًا، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال: آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

قوله تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا} [يونس : ٩٠]، أي:" وقطَعْنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وعدوانًا، فسلكوا البحر وراءهم"(١٥٥٧).

عن عكرمة، قوله: "{فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا}، قال: العدو والعلو والعتو في كتاب الله تجبر"(١٥٥٨).

قال السدي:" وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف لا يعدون لصغره ولا ابن ستين لكبره وإنما عدوا فيما بين ذلك سوى الذرية، وتبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ليس فيها ماذيانة"(١٥٥٩).

وقرأ قتادة:«فاتبعهم» بوصل الألف(١٥٦٠).

(١٥٤٨) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٤٩) أخرجه الطبري(١٧٨٤٧):ص١٨٥/١٥.
(١٥٥٠) أخرجه الطبري(١٧٨٤٨):ص١٨٦/١٥.
(١٥٥١) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٥٢):ص١٨٦/١٥.
(١٥٥٢) أخرجه الطبري(١٧٨٤٩):ص١٨٦/١٥.
(١٥٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٥١):ص١٨٦/١٥.
(١٥٥٤) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٥٥) أخرجه الطبري(١٧٨٥٦):ص١٨٧/١٥.
(١٥٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٥٤):ص١٩٨٠/٦.
(١٥٥٧) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٥٨):ص١٩٨١/٦.
(١٥٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٥٧):ص١٩٨١/٦.
(١٥٦٠) انظر: تفسير القرطبي:٨٣٧٧.

قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس : ٩٠]، أي:" حتى إذا أحاط به الغرق وأيقن بالهلاك، قال: أقررتُ وصدقتُ بأنه أنه لا إله إلا الذي آمنت وأقرت به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة"[١٥٦١].

عن قتادة، قوله: "{حتى إذا أدركه الغرق}، قال: ما وجد عدو الله طعم الموت وأخذ بذنبه"[١٥٦٢].

قال عبدالله بن شداد:" حدثت أنه لما دخل بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحد قبل فرعون وهو على حصان له من الخيل حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله فهاب الحصان أن يتقدم فعرض له جبريل على فرس أنثى وريق ففر بها منه فشمها الفحل، فلما شمها قدمها فتقدم معها الحصان عليه فرعون فلما رأى جند فرعون قد دخل دخلوا معه قال وجبريل أمامه يتبعه فرعون وميكائيل على فرس من خلف القوم يشحذهم على فرسه، ذاك يقول: الحقوا بصاحبكم حتى إذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد وقف ميكائيل على الناحية الأخرى ليس خلفه أحد أطبق عليهم البحر"[١٥٦٣].

وعن عبد الله بن شداد، قال: "اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف، وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ست مائة ألف، فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا: يا موسى أين المخرجُ؟ فقد أدركنا، قد كنا نلقى من فرعون البلاء؟ فأوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرْق كالطود العظيم، ويبس لهم البحرُ، وكشف الله عن وجه الأرض، وخرج فرعون على فرس حِصان أدهَم على لونه من الدُّهم ثمان مائة ألف سوى ألوانها من الدوابّ، وكانت تحت جبريل عليه السلام فرسٌ ودِيق ليس فيها أنثى غيرها، وميكائيل يسوقهم، لا يشذُّ رجل منهم إلا ضمّه إلى الناس. فلما خرج آخر بني إسرائيل، دنا منه جبريل ولصِق به، فوجد الحصان ريح الأنثى، فلم يملك فرعون من أمره شيئًا، وقال: أقدموا، فليس القومُ أحقُّ بالبحر منكم! ثم أتبعهم فرعون، حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرجوا، ارتطم ونادى فيها: {آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين} ، ونودي: {آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين}"[١٥٦٤].

القرآن

{آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)} [يونس : ٩١]

التفسير:

آلآن يا فرعون، وقد نزل بك الموت تقرُّ لله بالعبودية، وقد عصيته قبل نزول عذابه بك، وكنت من المفسدين الصادين عن سبيله!! فلا تنفعك التوبة ساعة الاحتضار ومشاهدة الموت والعذاب.

قوله تعالى: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٩١]، أي:" الآن تؤمن حين يئست من الحياة، وقد عصيت الله قبل نزول نقمته بك، وكنتَ من الغالين في الضلال والإضلال والصدِّ عن دين الله؟"[١٥٦٥].

عن قتادة، قوله: "{آلآن وقد عصيت قبل}، أي: لو كان هذا في الرخاء وكنت من المفسدين"[١٥٦٦].

قال السدي: "فبعث الله ميكائيل يعيره، فقال: {آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين}"[١٥٦٧].

عن ميمون بن مهران، قال: "خطب الضحاك بن قيس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن فرعون كان عبدًا طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال:{آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين}، قال الله: {آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين}"[١٥٦٨].

القرآن

(١٥٦١) انظر: التفسير الميسر:٢١٩، وصفوة التفاسير:٥٥٥/١.
(١٥٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٦٠):ص١٩٨٢/٦.
(١٥٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٥٩):ص١٩٨١/٦-١٩٨٢.
(١٥٦٤) أخرجه الطبري(١٧٨٥٧):ص١٩٠/١٥.
(١٥٦٥) صفوة التفاسير:٥٥٦/١.
(١٥٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٦٦):ص١٩٨٣/٦.
(١٥٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٦٧):ص١٩٨٣/٦.
(١٥٦٨) أخرجه الطبري(١٧٨٦٤):ص١٩٣/١٥.

{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)} [يونس : ٩٢]

التفسير:

فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض ببدنك، ينظر إليك من كذَّب بهلاكك; لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. وإن كثيرًا من الناس عن حججنا وأدلتنا لَغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون.

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} [يونس : ٩٢]، أي:" فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض ببدنك، ينظر إليك من كذَّب بهلاكك"[١٥٦٩].

وفي قوله تعالى:{بِبَدَنِكَ} [يونس : ٩٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها: يعني: بجسدك من غير روح، قاله الحسن[١٥٧٠]، ومجاهد[١٥٧١]، وقتادة[١٥٧٢]، وعبدالله بن شداد[١٥٧٣].

الثاني : بدرعك، وكان له درع من حديد يعرف بها ، قاله أبو صخر[١٥٧٤].

الثالث: أنه "شيء كان فرعون يلبسه يقال له: «البدن»". رواه المفضل بن أبي موسى ابن سالم عن أبيه[١٥٧٥].

عن قيس بن عباد وغيره، قال: "قالت بنو إسرائيل لموسى: إنه لم يمت فرعون! قال: فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر"[١٥٧٦].

قوله تعالى:{لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} [يونس : ٩٢]، أي:" لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك"[١٥٧٧].

قال السدي:" لبني إسرائيل آية"[١٥٧٨].

قال قتادة:" قال: لما أغرق الله فرعون لم تصدِّق طائفة من الناس بذلك، فأخرجه الله آيةً وعظةً"[١٥٧٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢]، أي:" وإن كثيرًا من الناس عن حججنا وأدلتنا لَغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون"[١٥٨٠].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[١٥٨١].

القرآن

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)} [يونس : ٩٣]

التفسير:

ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلا صالحًا مختارًا في بلاد «الشام» و «مصر» ، ورزقناهم الرزق الحلال الطيب من خيرات الأرض المباركة، فما اختلفوا في أمر دينهم إلا مِن بعد ما جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم وائتلافهم، ومن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. إن ربك -أيها الرسول- يقضي بينهم يوم القيامة، ويَفْصِل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك، فيدخل المكذبين النار والمؤمنين الجنة.

(١٥٦٩) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٧٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥٧٠):ص١٩٨٤/٦.
(١٥٧١) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٧١)-(١٧٨٧٣):ص١٩٦/١٥.
(١٥٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٧٥):ص١٩٦/١٥.
(١٥٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٧٠):ص١٩٦/١٥.
(١٥٧٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥٧١):ص١٩٨٤/٦.
(١٥٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٧٢):ص١٩٨٤/٦.
(١٥٧٦) أخرجه الطبري(١٧٨٦٨):ص١٩٥/١٥.
(١٥٧٧) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٧٥):ص١٩٨٤/٦.
(١٥٧٩) أخرجه الطبري(١٧٨٧٦):ص١٩٦/١٥.
(١٥٨٠) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} [يونس : ٩٣]، أي:" ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلا صالحًا مختارًا في بلاد «الشام» و «مصر»"(١٥٨٢).

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} [يونس : ٩٣]، قولان:

أحدهما : أنه الشام وبيت المقدس ، قاله قتادة(١٥٨٣).

قال قتادة:" بوأهم الله الشام , وبيت المقدس"(١٥٨٤).

الثاني : أنه مصر والشام : قاله الضحاك(١٥٨٥).

القرآن

{فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)} [يونس : ٩٤]

التفسير:

فإن كنت -أيها الرسول- في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكونَنَّ من الشاكِّين في صحة ذلك وحقيقته. والمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قطعًا لمعذرتهم.

قوله تعالى:{فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} [يونس : ٩٤]، أي:" فإن كنت -أيها الرسول- في ريب من حقيقة ما أخبرناك به، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل، فإن ذلك ثابت في كتبهم"(١٥٨٦).

قال الحسن:" لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل"(١٥٨٧).

قال سعيد بن جبير:" ما شك وما سأل"(١٥٨٨).

عن الضحاك، قوله: "{فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، يعني: أهل التقوى وأهل الإيمان ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم-"(١٥٨٩).

قوله تعالى:{لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس : ٩٤]، أي:" جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، فلا تكونَنَّ من الشاكِّين في صحة ذلك وحقيقته"(١٥٩٠).

قال أبو العالية:" يقول: فلا تكونن في شك من ذلك"(١٥٩١).

القرآن

{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥)} [يونس : ٩٥]

التفسير:

ولا تكونن -أيها الرسول- من الذين كذَّبوا بحجج الله وأدلته فتكون من الخاسرين الذين سخِط الله عليهم ونالوا عقابه.

قوله تعالى:{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} [يونس : ٩٥]، أي:" ولا تكونن -أيها الرسول- من الذين كذَّبوا بحجج الله وأدلته"(١٥٩٢).

(١٥٨٢) التفسير الميسر:٢١٩.

(١٥٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٨٣):ص١٩٩/١٥.

(١٥٨٤) تفسير عبدالرزاق(١١٧٢):ص١٧٨/٢.

(١٥٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٨٢):ص١٩٨/١٥.

(١٥٨٦) التفسير الميسر:٢١٩.

(١٥٨٧) أخرجه الطبري(١٧٨٩٢):ص٢٠٢/١٥.

(١٥٨٨) أخرجه الطبري(١٧٨٩١):ص٢٠٢/١٥.

(١٥٨٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٥٨٤):ص١٩٨٦/٦.

(١٥٩٠) التفسير الميسر:٢١٩.

(١٥٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٨٦):ص١٩٨٦/٦.

عن السدي، قوله: "{بآيات الله}، أما بآيات محمد صلى الله عليه وسلم"[١٥٩٣].

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦)} [يونس : ٩٦]
التفسير:
إن الذين حقَّت عليهم كلمة ربك -أيها الرسول- بطردهم من رحمته وعذابه لهم، لا يؤمنون بحجج الله، ولا يقرُّون بوحدانيته، ولا يعملون بشرعه.
قال قتادة:" حق عليهم سخط الله بما عصوه"[١٥٩٤].

القرآن
{وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)} [يونس : ٩٧]
التفسير:
ولو جاءتهم كل موعظة وعبرة حتى يعاينوا العذاب الموجع، فحينئذ يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم.
قوله تعالى:{حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس : ٩٧]، أي:" حتى يعاينوا العذاب الموجع، فحينئذ يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم"[١٥٩٥].
قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٥٩٦]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٥٩٧].

القرآن
{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)} [يونس : ٩٨]
التفسير:
لم ينفع الإيمان أهل قرية آمنوا عند معاينة العذاب إلا أهل قرية يونس بن مَتَّى، فإنهم لمَّا أيقنوا أن العذاب نازل بهم تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحا، فلمَّا تبيَّن منهم الصدق في توبتهم كشف الله عنهم عذاب الخزي بعد أن اقترب منهم، وتركهم في الدنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء آجالهم.
قوله تعالى:{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} [يونس : ٩٨]، أي:" فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها، ثابتْ عن الكفر وأخلصت الإيمان عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها في ذلك الوقت غير قوم يونس"[١٥٩٨].
عن عطاء:" {فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها}، إذا نزل بها بأس الله ولم نفعل ذلك بقرية إلا قرية يونس"[١٥٩٩].
عن أبي العالية:{ {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا}" يقول: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها"[١٦٠٠].
عن مجاهد، قوله: "{فلولا كانت قرية آمنت}، قال: فلم تكن قرية آمنت"[١٦٠١].

(١٥٩٢) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٨٧):ص١٩٨٦/٦.
(١٥٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٨٩):ص١٩٨٦/٦.
(١٥٩٥) التفسير الميسر:٢١٩.
(١٥٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٩٨) صفوة التفاسير:٥٥٦/١-٥٥٧.
(١٥٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٠٠):ص١٩٨٨/٦.
(١٦٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٩٠):ص١٩٨٧/٦.
(١٦٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٩١):ص١٩٨٧/٦.

قال السدي :" كان يونس بن متى عليه السلام من أنبياء الله عز وجل بعثه الله إلى قرية يقال لها نينوى على شاطئ دجلة"[١٦٠٢].

قال محمد بن إسحاق:" وكان من حديث يونس بن متى فيها بلغني أن الله تبارك وتعالى بعثه إلى أهل قرية أهل نينوى، وهي من بلاد الموصل"[١٦٠٣].

قوله تعالى:{لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس : ٩٨]، أي:" لمَّا أيقنوا أن العذاب نازل بهم تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحا، فلمَّا تبيَّن منهم الصدق في توبتهم كشف الله عنهم عذاب الخزي بعد أن اقترب منهم"[١٦٠٤].

قال سعيد بن جبير:" غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب بالقبر"[١٦٠٥].

عن معروف الموصلي:" أن سحابة غشيتهم تنضح عليهم شرر النار"[١٦٠٦].

قال قتادة:" كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم لم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل"[١٦٠٧].قال قتادة:" لم تكن قرية آمنت من الأمم قبل قوم يونس كفرت ثم آمنت حين عاينت العذاب إلا قوم يونس فاستثنى الله قوم يونس"[١٦٠٨].

عن أبي الجلد، قال: "إن العذاب لما هبط على قوم يونس جعل يحور على رءوسهم مثل قطع الليل المظلم فمشى ذو العقول منهم إلى شيخ من علمائهم فقالوا: إنا قد نزل بنا ما ترى فعلمنا دعاء ندعو الله به عسى أن يرفع عنا عقوبته قال: قولوا يا حي، يا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فكشف عنهم العذاب"[١٦٠٩].

قوله تعالى:{وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يونس : ٩٨]، أي:" وتركهم في الدنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء آجالهم"[١٦١٠].

قال السدي:" إلى أجلهم"[١٦١١].

قال عكرمة:" الحين: الذي لا يدرك"[١٦١٢].

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)} [يونس : ٩٩]

التفسير:

ولو شاء ربك -أيها الرسول- الإيمان لأهل الأرض كلهم لآمنوا جميعًا بما جئتهم به، ولكن له حكمة في ذلك; فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وَفْق حكمته، وليس في استطاعتك أن تُكْره الناس على الإيمان.

قوله تعالى:{أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس : ٩٩]، أي:" أفأنت يا محمد تُكره الناس على الإيمان، وتضطرهم إلى الدخول في دينك؟ ليس ذلك إليك"[١٦١٣].

عن سعيد بن جبير:" {مؤمنين}، يقول: مصدقين"[١٦١٤].

القرآن

(١٦٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٩٣):ص١٩٨٧/٦.
(١٦٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٩٤):ص١٩٨٧/٦.
(١٦٠٤) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦٠٥)أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٠٣):ص١٩٨٩/٦ .
(١٦٠٦)أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٠٤):ص١٩٨٩/٦ .
(١٦٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٠٥):ص١٩٨٩/٦.
(١٦٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٥٩٨):ص١٩٨٨/٦.
(١٦٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٠٢):ص١٩٨٩/٦.
(١٦١٠) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦١٠):ص١٩٩٠/٦.
(١٦١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٠٨):ص١٩٩٠/٦.
(١٦١٣) صفوة التفاسير:٥٥٧/١.
(١٦١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦١١):ص١٩٩٠/٦.

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)} [يونس : ١٠٠]

التفسير:

وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه وتوفيقه، فلا تُجهد نفسك في ذلك، فإن أمرهم إلى الله. ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [يونس : ١٠٠]، أي:" وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه وتوفيقه، فلا تُجهد نفسك في ذلك، فإن أمرهم إلى الله"(١٦١٥).

عن الحسن:{إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}: إلا بأمر الله تعالى"(١٦١٦).

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [يونس : ١٠٠]، أي:" ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه"(١٦١٧).

وفي قوله تعالى:{وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [يونس : ١٠٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن "الرجس": العذاب. قاله الحسن(١٦١٨).

الثاني : أنه الإثم ، قاله سعيد بن جبير(١٦١٩).

الثالث: أنه ما لا خير فيه ، قاله مجاهد(١٦٢٠).

الرابع : أنه الشيطان ، قاله قتادة(١٦٢١).

القرآن

{قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)} [يونس : ١٠١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك: تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من آيات الله البينات، ولكن الآيات والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه، لا تنفع قومًا لا يؤمنون بشيء من ذلك؛ لإعراضهم وعنادهم.

قوله تعالى:{وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس : ١٠١]، أي:" ولكن الآيات والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه، لا تنفع قومًا لا يؤمنون بشيء من ذلك؛ لإعراضهم وعنادهم"(١٦٢٢).

عن مجاهد، قوله: "{لا يؤمنون}، قال: أوجب عليهم أنهم لا يؤمنون"(١٦٢٣).

القرآن

{فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢)} [يونس : ١٠٢]

التفسير:

فهل ينتظر هؤلاء إلا يومًا يعاينون فيه عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مَضَوا قبلهم؟ قل لهم -أيها الرسول-: فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم.

قوله تعالى:{فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ} [يونس : ١٠٢]، أي:" فهل ينتظر هؤلاء إلا يومًا يعاينون فيه عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مَضَوا قبلهم؟"(١٦٢٤).

(١٦١٥) التفسير الميسر:٢٢٠.

(١٦١٦) انظر: النكت والعيون:٤٥٢/٢.

(١٦١٧) التفسير الميسر:٢٢٠.

(١٦١٨) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٦٠/٢-٥٦١، و"البسيط": ٣٢٥/١١، و ذكره بمعناه ابن الجوزي في "زاد المسير" ٤/ ٦٧.

(١٦١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦١٣):ص١٩٩٠/٦.

(١٦٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦١٣):ص١٩٩٠/٦. هكذا مرقوم بالمطبوع!

(١٦٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦١٤):ص١٩٩٠/٦.

(١٦٢٢) التفسير الميسر:٢٢٠.

(١٦٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦١٦):ص١٩٩١/٦.

(١٦٢٤) التفسير الميسر:٢٢٠.

قال قتادة:" أي: مثل قوم نوح وعاد وثمود"[١٦٢٥].
قوله تعالى:{قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} [يونس : ١٠٢]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم"[١٦٢٦].
قال الربيع:" خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته"[١٦٢٧].

القرآن
{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)} [يونس : ١٠٣]
التفسير:
ثم ننجِّي رسلنا والذين آمنوا معهم، وكما نجينا أولئك ننجِّيك -أيها الرسول- ومن آمن بك تفضلا منَّا ورحمة.
قوله تعالى:{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا} [يونس : ١٠٣]، أي:" ثم إذا نزل العذاب بالمكذبين نُنجّي رسلنا والذين آمنوا معهم"[١٦٢٨].
عن الربيع بن أنس، قال: "ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر نجى الله رسله والذين آمنوا فقال: {ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين}"[١٦٢٩].

القرآن
{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)} [يونس : ١٠٤]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم إليه، وهو الإسلام ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد في حال من الأحوال أحدًا من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان، ولكن أعبد الله وحده الذي يميتكم ويقبض أرواحكم، وأُمِرْت أن أكون من المصدِّقين به العاملين بشرعه.
قوله تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [يونس : ١٠٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم إليه، وهو الإسلام ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد في حال من الأحوال أحدًا من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان "[١٦٣٠].
عن قتادة، قوله: "{من دون الله}، قال: الوثن"[١٦٣١].
قوله تعالى:{وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ} [يونس : ١٠٤]، أي:" ولكن أعبد الله وحده الذي يميتكم ويقبض أرواحكم"[١٦٣٢].
عن عكرمة، قوله: "{يتوفاكم}، قال: يتوفى الأنفس"[١٦٣٣].

القرآن
{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥)} [يونس : ١٠٥]
التفسير:

(١٦٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦١٧):ص١٩٩١/٦.
(١٦٢٦) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦١٨):ص١٩٩١/٦.
(١٦٢٨) انظر: التفسير الميسر:٢٢٠، وصفوة التفاسير:٥٥٧/١.
(١٦٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦١٩):ص١٩٩١/٦.
(١٦٣٠) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢١):ص١٩٩١/٦.
(١٦٣٢) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٢):ص١٩٩٢/٦.

وأن أقم -أيها الرسول- نفسك على دين الإسلام مستقيمًا عليه غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره، ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والأنداد، فتكون من الهالكين. وهذا وإن كان خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلَّم فإنه موجَّه لعموم الأمة.

قوله تعالى:{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} [يونس : ١٠٥]، أي:" وأن أقم -أيها الرسول- نفسك على دين الإسلام مستقيمًا عليه غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره"[١٦٣٤].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{حَنِيفًا}[يونس : ١٠٥]، على أقوال:

أحدها: معناه: حاجا، والحنيفية حج البيت. وهذا قول الحسن[١٦٣٥]، ومجاهد[١٦٣٦]، وعطية[١٦٣٧]، وكثير بن زياد[١٦٣٨]، وعبدالله بن قاسم[١٦٣٩]، والضحاك[١٦٤٠]، والسدي[١٦٤١].

الثاني: متبعا، أي: اتباع الحق، قاله مجاهد[١٦٤٢]، والربيع بن أنس[١٦٤٣].

الثالث: مخلصا. قاله عطاء[١٦٤٤]. و«الحنيف» على قولهم : المخلص دينه لله وحده[١٦٤٥]، قاله السدي[١٦٤٦]، وخصيف[١٦٤٧].

الرابع : مستقيما. قاله محمد بن كعب[١٦٤٨]، وروي عن عيسى بن جارية[١٦٤٩] مثله.

الخامس: مؤمنا بالرسل ككلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[١٦٥٠].

السادس: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[١٦٥١].

وبالجملة فـ«الحنيف»: لقب لمن دان بالإسلام كسائر ألقاب الديانات، وأصله من إبراهيم عليه السلام[١٦٥٢].

القرآن

{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)} [يونس : ١٠٦]

التفسير:

ولا تَدْعُ -أيها الرسول- من دون الله شيئًا من الأوثان والأصنام; لأنها لا تنفع ولا تضرُّ، فإن فعَلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذًا من المشركين بالله، الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعصية. وهذا وإن كان خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلَّم فإنه موجَّه لعموم الأمة.

قوله تعالى:{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} [يونس : ١٠٦]، أي:" ولا تَدْعُ -أيها الرسول- من دون الله شيئًا من الأوثان والأصنام; لأنها لا تنفع ولا تضرُّ"[١٦٥٣].

(١٦٣٤) التفسير الميسر:٢٢٠.

(١٦٣٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص١٠٤/٣.

(١٦٣٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص١٠٦/٣.

(١٦٣٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص١٠٤/٣-١٠٥.

(١٦٣٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص١٠٦/٣.

(١٦٣٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص١٠٦/٣.

(١٦٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.

(١٦٤١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.

(١٦٤٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص١٠٦/٣، وابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص٢٤١/١.

(١٦٤٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص٢٤١/١.

(١٦٤٤) انظر: النكت والعيون:٤٥٤/٢.

(١٦٤٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٣.

(١٦٤٦) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص١٠٧/٣.

(١٦٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص٢٤٢/١.

(١٦٤٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص٢٤٢/١.

(١٦٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٤٢/١.

(١٦٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص٢٤٢/١.

(١٦٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١.

(١٦٥٢) مفاتيح الغيب: ٧١/٤.

عن مجاهد:" ما لا ينفعنا ولا يضرنا قال: الأوثان"[١٦٥٤].

القرآن

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)} [يونس : ١٠٧]

التفسير:

وإن يصبك الله -أيها الرسول- بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا هو جلَّ وعلا وإن يُرِدْك برخاء أو نعمة لا يمنعه عنك أحد، يصيب الله عز وجل بالسراء والضراء من يشاء من عباده، وهو الغفور لذنوب مَن تاب، الرحيم بمن آمن به وأطاعه.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس : ١٠٧]، أي:" وإن يصبك الله -أيها الرسول- بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا هو جلَّ وعلا، وإن يُرِدْك برخاء أو نعمة لا يمنعه عنك أحد"[١٦٥٥].

عن مجاهد:" {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ}، هو الحق"[١٦٥٦].

قوله تعالى:{يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس : ١٠٧]، أي:" يصيب الله عز وجل بالسراء والضراء من يشاء من عباده، وهو الغفور لذنوب مَن تاب، الرحيم بمن آمن به وأطاعه"[١٦٥٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"[١٦٥٨].

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨)} [يونس : ١٠٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه بيان هدايتكم، فمن اهتدى بهدي الله فإنما ثمرة عمله راجعة إليه، ومن انحرف عن الحق وأصرَّ على الضلال فإنما ضلاله وضرره على نفسه، وما أنا موكَّل بكم حتى تكونوا مؤمنين، إنما أنا رسول مبلِّغ أبلِّغكم ما أُرْسِلت به.

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس : ١٠٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه بيان هدايتكم"[١٦٥٩].

عن محمد بن إسحاق :"{الحق من ربكم}، قال: ما جاءك من الخير"[١٦٦٠].

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، أي:" وما أنا موكَّل بكم حتى تكونوا مؤمنين، إنما أنا رسول مبلِّغ أبلِّغكم ما أُرْسِلت به"[١٦٦١].

قال السدي:" أما «الوكيل»: فالحفيظ"[١٦٦٢].

«آخر تفسير سورة يونس، والحمد لله وحده»

(١٦٥٣) التفسير الميسر:٢٢٠.
(١٦٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٢٤):ص٦/١٩٩٢.
(١٦٥٥) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٦٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٢٦):ص٦/١٩٩٢.
(١٦٥٧) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٦٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص٦/١٩٩٢.
(١٦٥٩) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٦٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٨):ص٦/١٩٩٢.
(١٦٦١) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٦٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٩):ص٦/١٩٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «هود»

سورة «هود»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «يونس»[١٦٦٣]، وعدد آياتها (١٢٢) مائة واثنتان وعشرون عند الشَّاميّين، و(١٢١) مائة وإحدى وعشرون عند المكيّين والبصريّين، و(١٢٣) ومائة ثلاث وعشرون عند الكوفيّين، عدد كلماتها (١٩١١) ألف وتسعمائة وإحدى عشرة كلمة، وحروفها (٧٦٠٥) سبعة آلاف وستمائة وخمس، والآيات المختلف فيها سبع: { بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود : ٥٤]، { فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، {مِنْ سِجِّيلٍ} [هود : ٨٢]؛ {مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، {إِنَّا عَامِلُونَ} [هود : ١٢١]، {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [هود : ٨٦]، {مُخْتَلِفِينَ} [هود : ١١٨][١٦٦٤].

مجموع فواصل آياته (ق ص د ت ل ن ظ م ط ب ر ز د) يجمعها قولك: «قصدْت لنظم طبرْ زَد»[١٦٦٥].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة كلها. روى ذلك ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١٦٦٦]، وابن الزبير[١٦٦٧]، وبه قال الحسن[١٦٦٨]، وعكرمة[١٦٦٩]، ومجاهد[١٦٧٠]، وعطاء[١٦٧١]، وجابر بن زيد[١٦٧٢]، وقتادة[١٦٧٣]. وعليه جمهور المفسرين[١٦٧٤].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مكّيّة بالإجماع"[١٦٧٥].

والثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود : ١١٤]؛ فإنها مدنية. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[١٦٧٦]، وقتادة[١٦٧٧]، وبه قال السمعاني[١٦٧٨]، والبغوي[١٦٧٩].

والثالث: أنها مكية ماعدا الآيات: (١٢ ، ١٧ ، ١١٤)[١٦٨٠]، فمدنية. قاله مقاتل[١٦٨١]، وبه قال الزمخشري[١٦٨٢]، الفخر الرازي[١٦٨٣]، وابن عاشور[١٦٨٤].

(١٦٦٣) انظر: الكشاف: ٣٧٧/٢.

(١٦٦٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٤٦.

(١٦٦٥)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٤٦.

(١٦٦٦) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وعزاه إلى النحاس-في تاريخه- وابي الشيخ وابن مردوية.

(١٦٦٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وعزاه إلى ابن مردوية..

(١٦٦٨) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩.

(١٦٦٩) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.

(١٦٧٠) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢ ، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.

(١٦٧١) انظر: تفسير القرطبي:١/٩.

(١٦٧٢) انظر: زاد المسير:١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.

(١٦٧٣) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.

(١٦٧٤) انظر: بحر العلوم:١٣٧/٢، وتفسير ابن كثير:٣٠٢/٤، وتفسير ابن ابي زمنين:٢٧٧/٢، والكشف والبيان:١٥٦/٥، و دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآي والسُّوَر:٩٦١/٣، والبصائر:٢٤٦/١، وتفسير البيضاوي:١٢٧/٣، وغيرها.

(١٦٧٥) البصائر:٢٤٦/١.

(١٦٧٦) انظر: تفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازن:٤٧٠/٢.

(١٦٧٧) انظر: تفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازن:٤٧٠/٢.

(١٦٧٨) انظر: تفسير السمعاني:٤١١/٢.

(١٦٧٩) انظر: تفسير البغوي:١٥٦/٤.

(١٦٨٠)أما استثناء الآية(١١٤)، فقد نقل القرطبي (٩/ ١) عن ابن عباس وقتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٥) عن ابن عباس فقط، وهذه الآية المستثناة أسباب نزولها في المدينة. والله أعلم.

(١٦٨١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/٢.

(١٦٨٢) انظر: الكشاف:٣٧٧/٢.

(١٦٨٣) انظر: مفاتيح الغيب:٣١٢/١٧.

(١٦٨٤) انظر: التحرير والتنوير:١٤٨/٣.

القرآن

{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)} [هود : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم أُحكمت آياته من الخلل والباطل، ثم بُيِّنت بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام من عند الله، الحكيم بتدبير الأمور، الخبير بما تؤول إليه عواقبها.

قوله تعالى:{الر} [هود : ١]، "الله أعلم بمراده"(١٦٨٥).

قوله تعالى:{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود : ١]، أي:" هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم أُحكمت آياته من الخلل والباطل ثم بُيِّنت بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام من عند الله، الحكيم بتدبير الأمور، الخبير بما تؤول إليه عواقبها"(١٦٨٦).

عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في عذره وحجته إلى عباده"(١٦٨٧).

عن أبي العالية قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"(١٦٨٨).

عن قتادة، قوله: "{من لدن حكيم خبير}، يقول: من عند حكيم خبير"(١٦٨٩).

وفي قوله تعالى:{أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ} [هود : ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب ، قاله الحسن(١٦٩٠).

الثاني : أحكمت آياته بالثواب والعقاب ثم فصلت بالأمر والنهي. وهذا مروي عن الحسن أيضا(١٦٩١).

الثاني: أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية ، وهذا قول قتادة(١٦٩٢).

الثالث : أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت ، وهذا معنى قول مجاهد(١٦٩٣).

الرابع: ما رواه أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال:" سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قرأ: {الر كتاب أحكمت آياته}، قال: هي كلها محكمة يعني: سورة هود"(١٦٩٤)، "يعني: قوله: {فصلت}، قال: ثم ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم فحكم فيها بينه وبين من خالفه، وقرأ: مثل الفريقين الآية كلها ثم ذكر قوم نوح فقال وعذبهم بعد طول نظره ثم هود وقرأ: نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا فكان هذا تفصيل ذلك وكان أوله محكما قال: وكان أبي يقول ذلك -يعني: زيد بن أسلم-"(١٦٩٥).

والصواب:" قولُ من قال: معناه: أحكم الله آياته من الدَّخَل والخَلل والباطل، ثم فصَّلها بالأمر والنهي، وذلك أن «إحكام الشيء» إصلاحه وإتقانه، و«إحكام آيات القرآن»، إحكامها من خلل يكون فيها، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله، وأما «تفصيل آياته» فإنه تمييز بعضها من بعض، بالبيان عما فيها من حلال وحرام، وأمرٍ ونهي"(١٦٩٦).

القرآن

(١٦٨٥) تفسير الجلالين:٦٤، وقد تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في سورة البقرة، والصحيح في ذلك أن يقال: الله أعلم بمراده.

(١٦٨٦) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٦٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٣٣):ص١٩٩٦/٦.

(١٦٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٣٥):ص١٩٩٦/٦.

(١٦٨٩) أخرجه الطبري(١٧٩٢٧):ص٢٢٨/١٥.

(١٦٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٩١٥)-(١٧٩١٧):ص٢٢٥/١٥-٢٢٦.

(١٦٩١) انظر: تفسير الطبري(١٧٩١٨):ص٢٢٦/١٥.

(١٦٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٩١٩):ص٢٢٦/١٥.

(١٦٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٢١)-(١٧٩٢٦):ص٢٢٧/١٥-٢٢٨.

(١٦٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٣٧):ص١٩٩٥/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(١٦٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٣٢):ص١٩٩٥/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(١٦٩٦) تفسير الطبري٢٢٧/١٥.

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)} [هود : ٣]

التفسير:

واسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه نادمين يمتعْكم في دنياكم متاعًا حسنًا بالحياة الطيبة فيها، إلى أن يحين أجلكم، ويُعطِ كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله كاملا لا نقص فيه، وإن تعرضوا عمَّا أدعوكم إليه فإني أخشى عليكم عذاب يوم شديد، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٣]، أي:" واسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه نادمين"(١٦٩٧).

عن عبد الصمد بن يزيد، قال: "سمعت الفضل، يقول: قول العبد: أستغفر الله قال: تفسيره: اقبلني"(١٦٩٨).

قوله تعالى:{يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [هود : ٣]، أي:" يمتعْكم في دنياكم متاعًا حسنًا بالحياة الطيبة فيها، إلى أن يحين أجلكم"(١٦٩٩).

عن مرة الهمذاني:"{يمتعكم متاعا حسنا}، قال: يمتعكم في الدنيا"(١٧٠٠).

عن قتادة :"{يمتعكم متاعا حسنا}، فأنتم في ذلك المتاع، فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر في مزيد من الله، وذلك قضاؤه الذي قضاه"(١٧٠١).

وفي قوله تعالى:{إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [هود : ٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : إلى يوم القيامة ، قاله سعيد بن جبير(١٧٠٢)، و عكرمة(١٧٠٣)، وعطية(١٧٠٤)، وعطاء الخراساني(١٧٠٥)، والسدي(١٧٠٦)، والربيع بن أنس(١٧٠٧).

وروي عن خالد بن مهران أنه قال: "أجل البعث"(١٧٠٨).

الثاني : ما بين أن يخلق إلى أن يموت. قاله الحسن(١٧٠٩).

وروي عن قتادة:" أجل حياتك إلى أن تموت، وأجل موتك إلى أن تبعث، فأنت بين أجلين من الله"(١٧١٠).

قوله تعالى:{وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود : ٣]، أي:" ويُعطِ كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله كاملا لا نقص فيه"(١٧١١).

وفي قوله تعالى:{وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود : ٣]، وجهان:

أحدهما : يجازيه عليه في الآخرة ، على قول قتادة(١٧١٢).

الثاني: يجازيه عليه في الدنيا، وهذا معنى قول مجاهد (١٧١٣).

(١٦٩٧) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٦٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٣٨):ص١٩٩٦/٦.
(١٦٩٩) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٧٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٤٠):ص١٩٩٦/٦.
(١٧٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٤١):ص١٩٩٧/٦.
(١٧٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٦٤٢):ص١٩٩٧/٦.
(١٧٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٨) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧٠٩) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٩٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(١٧١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٤٥):ص١٩٩٧/٦.
(١٧١١) التفسير الميسر:٢٢١.
(١٧١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦٤٧):ص١٩٩٧/٦.
(١٧١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٦٤٨):ص١٩٩٧/٦.

عن مجاهد :"{ويؤت كل ذي فضل فضله}: ما احتسب به من مال أو عمل بيده أو رجله أو كلامه، وما تطول به من أمره كله"[١٧١٤].

القرآن

{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)} [هود : ٤]

التفسير:

إلى الله رجوعكم بعد موتكم جميعًا فاحذروا عقابه، وهو سبحانه قادر على بعثكم وحشركم وجزائكم.

قوله تعالى:{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ} [هود : ٤]، أي:" إلى الله رجوعكم بعد موتكم"[١٧١٥].

عن أبي العالية قوله: "{إلى الله مرجعكم}، قال: يرجعون إليه بعد الحياة"[١٧١٦].

عن الضحاك قوله: "{إلى الله مرجعكم}، قال: البر والفاجر"[١٧١٧].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [هود : ٤]، أي:" وهو سبحانه قادر على بعثكم وحشركم وجزائكم"[١٧١٨].

قال محمد بن إسحاق:" أي: إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير"[١٧١٩].

القرآن

{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور (٥)} [هود : ٥]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين يضمرون في صدورهم الكفر; ظنًّا منهم أنه يخفى على الله ما تضمره نفوسهم، ألا يعلمون حين يغطُّون أجسادهم بثيابهم أن الله لا يخفى عليه سِرُّهم وعلانيتهم؟ إنه عليم بكل ما تُكِنُّه صدورهم من النيات والضمائر والسرائر.

سبب النزول:

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي "[١٧٢٠].

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} [هود : ٥]، أي:" إن هؤلاء المشركين يضمرون في صدورهم الكفر; ظنًّا منهم أنه يخفى على الله ما تضمره نفوسهم"[١٧٢١].

قال أبو رزين:" كان أحدهم يحنى ظهره، ويستغشي بثوبه"[١٧٢٢].

وفي قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} [هود : ٥]، أقوال:

أحدها : يثنون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله تعالى ، قاله مجاهد[١٧٢٣].

الثاني: يثنونها على ما أضمروه من حديث النفس ليخفوه عن الناس ، قاله الحسن[١٧٢٤].

الثالث : أن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- غطوا رؤوسهم وثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم ، قاله عبد الله بن شداد[١٧٢٥].

الرابع : أنهم كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كتاب الله. وهذا قول قتادة[١٧٢٦].

(١٧١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٤٨):ص١٩٩٧/٦.

(١٧١٥) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٧١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٥٢):ص١٩٩٨/٦.

(١٧١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٥١):ص١٩٩٨/٦.

(١٧١٨) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٧١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٥٣):ص١٩٩٨/٦.

(١٧٢٠) انظر: النكت والعيون:٤٥٨/٢.

(١٧٢١) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٧٢٢) أخرجه الطبري(١٧٩٤٧):ص٢٣٥/١٥.

(١٧٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٤١)-(١٧٩٤٥):ص٢٣٤/١٥.

(١٧٢٤) انظر: النكت والعيون:٤٥٧/٢.

(١٧٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٣٨)-(١٧٩٤٠):ص٢٣٣/١٥-٢٣٤.

(١٧٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٤٨)، و(١٧٩٤٩):ص٢٣٥/١٥.

قال قتادة:"كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله، قال تعالى: {ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون}، وذلك أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى صدره واستغشى بثوبه، وأضمر همَّه في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه"[١٧٢٧].

وروي عن الضحاك قوله: "{ألا انهم يثنون صدورهم} يقول:«تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ»"[١٧٢٨].

قوله تعالى:{أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [هود : ٥]، أي:" ألا يعلمون حين يغطُّون أجسادهم بثيابهم أن الله لا يخفى عليه سِرُّهم وعلانيتهم؟"[١٧٢٩].

عن قتادة: "{يستغشون ثيابهم}، قال: أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرَّ في نفسه شيئًا وتغطَّى بثوبه، فذلك أخفى ما يكون، والله يطلع على ما في نفوسهم، والله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون"[١٧٣٠].

عن السدي:" أما {يستغشون ثيابهم}، فيلبسون ثيابهم استغثوا بها على رءوسهم"[١٧٣١].

وروي عن الحسن:"{يعلم ما يسرون وما يعلنون}، قال: في ظلمة الليل وفي أجواف بيوتهم"[١٧٣٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} [هود : ٥]، أي:" إنه عليم بكل ما تُكِنُّه صدورهم من النيات والضمائر والسرائر"[١٧٣٣].

عن محمد بن إسحاق :" والله عليم بذات الصدور، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم بما استخفوا به منكم"[١٧٣٤].

وعن الحسن:"{إنه عليم بذات الصدور}،: يعلم تلك الساعة"[١٧٣٥].

القرآن

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)} [هود : ٦]

التفسير:

لقد تكفَّل الله برزق جميع ما دبَّ على وجه الأرض، تفضلا منه، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك.

قوله تعالى:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود : ٦]، أي:" ما من شيء يدب على وجه الأرض من إنسان أو حيوان إلا تكفَّل الله برزقه تفضلاً منه تعالى وكرماً"[١٧٣٦].

قال الضحاك:" يعني: كلّ دابة، والناسُ منهم"[١٧٣٧].

عن مجاهد :"{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}، ما جاءها من رزق فمن الله، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا، ولكن ما كان من رزق لها فمن الله"[١٧٣٨].

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} [هود : ٦]، أي:" ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه"[١٧٣٩].

وفي قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} [هود : ٦]، وجهان:

(١٧٢٧) أخرجه الطبري(١٧٩٤٨):ص٦/٢٣٥.

(١٧٢٨) أخرجه الطبري(١٧٩٥٧):ص١٥/٢٣٧. قال الطبري: (١٥/٢٣٨)" وهذا التأويل الذي تأوّله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس، إلا أن الذي حدثنا، هكذا ذكر القراءة في الرواية".

(١٧٢٩) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٧٣٠) أخرجه الطبري(١٧٩٤٩):ص١٥/٢٣٥.

(١٧٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٧٠):ص٦/٢٠٠٠.

(١٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٧٢):ص٦/٢٠٠١.

(١٧٣٣) التفسير الميسر:٢٢١.

(١٧٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٧٣):ص٦/٢٠٠١.

(١٧٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٧٤):ص٦/٢٠٠١.

(١٧٣٦) صفوة التفاسير:٦/٢.

(١٧٣٧) أخرجه الطبري(١٧٩٦١):ص١٥/٢٤١.

(١٧٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٧٦):ص٦/٢٠٠١.

(١٧٣٩) التفسير الميسر:٢٢٢.

أحدهما : أن {مستقرها}، أيام حياتها، و{مستودعها}: حيث تموت، ومن حيث تبعث. قاله الربيع بن أنس[١٧٤٠].

الثاني : مستقرها في الرحم ، ومستودعها في الصلب ، قاله سعيد بن جبير[١٧٤١]، ومجاهد[١٧٤٢]، والضحاك[١٧٤٣].

وعن ابن عباس :"{ومستودع}، قال: ما كان في أصلاب الرجال"[١٧٤٤]. وروي، عن قيس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك[١٧٤٥].

وعن إبراهيم بن محمد بن الحنفية، قال: "المستودع: في أرحام النساء"[١٧٤٦]. وهو أحد قولي عطاء بن أبي رباح وقول زيد بن علي ابن الحسين[١٧٤٧].

قوله تعالى:{كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود : ٦]، أي:" ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك"[١٧٤٨].

عن قتادة، قوله: "{في كتاب مبين}، قال: كل ذلك في كتاب، عند الله مبين"[١٧٤٩].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)} [هود : ٧]

التفسير:

وهو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك; ليختبركم أيكم أحسن له طاعةً وعملا وهو ما كان خالصًا لله موافقًا لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولئن قلت -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياءً بعد موتكم، لسارعوا إلى التكذيب وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا سحر بيِّن.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [هود : ٧]، أي:" وهو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام"[١٧٥٠].

قوله تعالى:{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود : ٧]، أي:" وكان عرشه على الماء قبل ذلك"[١٧٥١].

قال مجاهد: يعني: «قبل أن يخلق شيئا»"[١٧٥٢].

قال قتادة:" هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض"[١٧٥٣].

قال ابن إسحاق:" فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى إنه ليس إلا الماء عليه العرش وعلى العرش ذو الجلال والإكرام والعزة والسلطان والملك والقدرة والحلم والعلم والرحمة والنقمة الفعال لما يريد"[١٧٥٤].

(١٧٤٠) أخرجه الطبري(١٧٩٧٠):ص٢٤٣/١٥، وتفسير ابن ابي حاتم(١٠٦٨٧):ص٢٠٠٣/٦.أخرج الجزء الأخير من كلامه.

(١٧٤١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٦٨٥):ص٢٠٠٢/٦-٢٠٠٣.

(١٧٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٦٥):ص٢٤٢/١٥.

(١٧٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٦٧):ص٢٤٢/١٥.

(١٧٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٨٨):ص٢٠٠٣/٦.

(١٧٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٠٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٧٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٩١):ص٢٠٠٣/٦-٢٠٠٤.

(١٧٤٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٠٤/٦.

(١٧٤٨) التفسير الميسر:٢٢٢.

(١٧٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٩٢):ص٢٠٠٤/٦.

(١٧٥٠) التفسير الميسر:٢٢٢.

(١٧٥١) التفسير الميسر:٢٢٢.

(١٧٥٢) تفسير مجاهد: ٣٨٤.

(١٧٥٣) تفسير عبدالرزاق(١١٨٢):ص١٨٢/٢.

(١٧٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٣):ص٢٠٠٥/٦.

قال الربيع بن أنس:" عرشه على الماء: فلما خلق السماوات والأرض قسم ذلك الماء قسمين الذي كان عليه عرشه فجعل نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور"[١٧٥٥].

قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"[١٧٥٦].

عن أبي خالد، قال:" سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"[١٧٥٧].

قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود : ٧]، أي:" ليختبركم أيكم أحسن له طاعةً وعملا وهو ما كان خالصًا لله موافقًا لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٧٥٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام {ليبلوكم}، يقول: ليختبركم ، {أيكم أحسن عملا}، يقول: أيكم أحسن له طاعة"[١٧٥٩].

عن قتادة :"{ليبلوكم}، يعني: ليخبركم"[١٧٦٠].

عن ابن جريج، في قوله: "{ليبلوكم}، قال: الثقلين"[١٧٦١].

عن أبي عجلان، قال: قال الله: ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولم يقل أكثر عملا"[١٧٦٢].

وفي قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود : ٧]، وجهان:

أحدها : يعني أيكم أتم عملا ، قاله قتادة[١٧٦٣].

الثاني : أيكم أكثر شكراً ، قاله الضحاك[١٧٦٤].

القرآن

{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)} [هود : ٨]

التفسير:

ولئن أخَّرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معلوم فاستبطؤوه، ليقولُنَّ استهزاء وتكذيبًا: أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقًا؟ ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه دافع، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ} [هود : ٨]، أي:" ولئن أخَّرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى مدةٍ من الزمن قليلة"[١٧٦٥].

عن ابن جريج: "{ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة}، يقول: أمسكنا عنهم العذاب"[١٧٦٦].

عن مجاهد: "{إلى أمة معدودة}، قال: إلى حين"[١٧٦٧].

قال الضحاك[١٧٦٨]، وقتادة[١٧٦٩]:" إلى أجل معدود".

عن قتادة :"{ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة}، يعني: بذلك أهل النفاق، ويقول: {لئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه}، قال الله: {ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم}، الآية"[١٧٧٠].

(١٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٠):ص٢٠٠٥/٦.

(١٧٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

(١٧٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

(١٧٥٨) التفسير الميسر:٢٢٢.

(١٧٥٩) تفسير الطبري:٢٥٠/١٥.

(١٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٠٤):ص٢٠٠٦/٦.

(١٧٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٠٦):ص٢٠٠٦/٦.

(١٧٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٠٦):ص٢٠٠٦/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(١٧٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٧٠٨):ص٢٠٠٦/٦.

(١٧٦٤) انظر: النكت والعيون:٤٥٩/٢.

(١٧٦٥) انظر: التفسير الميسر:٢٢٢، وصفوة التفاسير:٦/٢.

(١٧٦٦) أخرجه الطبري(١٧٩٩):ص٢٥٣/١٥-٢٥٤.

(١٧٦٧) أخرجه الطبري(١٧٩٩٦):ص٢٥٣/١٥.

(١٧٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٩٥):ص٢٥٣/١٥.

(١٧٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٩٩٤):ص٢٥٣/١٥.

(١٧٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١٣):ص٢٠٠٧/٦.

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} [هود : ٨]، أي:" ليقولُنَّ استهزاء وتكذيبًا: أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقًا؟"[١٧٧١].

عن ابن جريج قال قوله: "{ليقولن ما يحبسه}، قال: للتكذيب به، أو أنه ليس بشيء"[١٧٧٢].

قوله تعالى:{أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [هود : ٨]، أي:" ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه دافع، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم"[١٧٧٣].

عن السدي:" {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، يقول: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به"[١٧٧٤].

عن مجاهد: "{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، قال: ما جاءت به أنبياؤهم من الحق"[١٧٧٥].

القرآن

{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩)} [هود : ٩]

التفسير:

ولئن أعطينا الإنسان مِنَّا نعمة من صحة وأمن وغيرهما، ثم سلبناها منه، إنه لشديد اليأس من رحمة الله، جَحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} [هود : ٩]، أي:" إنه لشديد اليأس من رحمة الله، جَحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه"[١٧٧٦].

عن قتادة، قوله: "{إنه ليؤس كفور}، يقول: إذا ابتلى ببلاء ثم يصبر عليه"[١٧٧٧].

عن ابن جريج في قوله: "{ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور}، يا ابن آدم أما كانت نعمة من الله عز وجل من السعة والأمن والعافية فكفور لما بك منها، وإذا نزعت منك يبتغي بك فراغك وعملك فيئوس من روح الله، قنوط من رحمته كذلك أي المنافق والكافر، يئوس أن يرجع ما كان به منها، كفور لما كان من به"[١٧٧٨].

القرآن

{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)} [هود : ١٠]

التفسير:

ولئن بسطنا للإنسان في دنياه ووسَّعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش، ليقولَنَّ عند ذلك: ذهب الضيق عني وزالت الشدائد، إنه لبَطِر بالنعم، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} [هود : ١٠]، أي:" ولئن بسطنا للإنسان في دنياه ووسَّعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش، ليقولَنَّ عند ذلك: ذهب الضيق عني وزالت الشدائد"[١٧٧٩].

عن ابن جريج قوله: "{ذهب السيئات عني}، غِرَّةً بالله وجراءة عليه"[١٧٨٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود : ١٠]، أي:" إنه لبَطِر بالنعم، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس"[١٧٨١].

(١٧٧١) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٧٢) أخرجه الطبري(١٨٠٠٢):ص٢٥٤/١٥.
(١٧٧٣) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧١٥):ص٢٠٠٧/٦.
(١٧٧٥) أخرجه الطبري(١٨٠٠٣):ص٢٥٥/١٥.
(١٧٧٦) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧١٧):ص٢٠٠٨/٦.
(١٧٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧١٦):ص٢٠٠٧/٦.
(١٧٧٩) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٨٠) أخرجه الطبري(١٨٠٠٥):ص٢٥٧/١٥.
(١٧٨١) التفسير الميسر:٢٢٢.

عن ابن جريج قوله: "{إنه لفرح}، والله لا يحب الفرحين،{فخور}، بعد ما أعطي، وهو لا يشكر الله"[١٧٨٢].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)} [هود : ١١]

التفسير:

لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيمانًا بالله واحتسابًا للأجر عنده، وعملوا الصالحات شكرا لله على نعمه، هؤلاء لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الآخرة.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [هود : ١١]، أي:" لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيمانًا بالله واحتسابًا للأجر عنده، وعملوا الصالحات شكرا لله على نعمه"[١٧٨٣].

عن ابن جريج: "{إلا الذين صبروا}، عند البلاء، {وعملوا الصالحات}، عند النعمة"[١٧٨٤].

وروي عن زيد بن أسلم :"{وعملوا الصالحات}، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله، عنهم"[١٧٨٥].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود : ١١]، أي:" هؤلاء لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الآخرة"[١٧٨٦].

عن ابن جريج: "{أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ}، لذنوبهم، {وأجر كبير}، قال: الجنة"[١٧٨٧].

عن قتادة :" {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ}، يقول: مغفرة لذنوبهم"[١٧٨٨]، " { وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}: لحسناتهم وهي الجنة"[١٧٨٩].

القرآن

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)} [هود : ١٢]

التفسير:

فلعلك -أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب- تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك; خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أُنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته، فبلغهم ما أوحيته إليك; فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أُوحي إليك. والله على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه.

قوله تعالى:{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود : ١٢]، أي:" فلعلك -أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب- تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك، خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أُنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته"[١٧٩٠].

عن ابن جريج في قوله: "{فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك}، أن تفعل فيه كما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت"[١٧٩١].

(١٧٨٢) أخرجه الطبري(١٨٠٠٥):ص٢٥٧/١٥.
(١٧٨٣) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٨٤) أخرجه الطبري(١٨٠٠٦):ص٢٥٧/١٥-٢٥٨.
(١٧٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٠):ص٢٠٠٨/٦.
(١٧٨٦) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٨٧) أخرجه الطبري(١٨٠٠٦):ص٢٥٧/١٥-٢٥٨.
(١٧٨٨) أخرجه الن ابي حاتم(١٠٧٢١):ص٢٠٠٨/٦.
(١٧٨٩)أخرجه الن ابي حاتم(١٠٧٢٢):ص٢٠٠٨/٦.
(١٧٩٠) التفسير الميسر:٢٢٢.
(١٧٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٣):ص٢٠٠٨/٦.

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود : ١٢]، أي:" لست يا محمد إلا منذراً تخوّف المجرمين من عذاب الله، والله على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه"(١٧٩٢).

عن السدي قوله: "{وكيل}، أما «الوكيل»، فالحفيظ"(١٧٩٣).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)} [هود : ١٣]

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل «مكة» : إن محمدًا قد افترى هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [هود : ١٣]، أي:" أي بل أيقولون اختلق محمد هذا القرآن وافتراه من عند نفسه؟"(١٧٩٤).

عن ابن جريج:"{أم يقولون افتراه}، قد قالوه، قل: {فأتوا بعشر سور مثله}"(١٧٩٥).

قوله تعالى:{قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود : ١٣]، أي:" قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون، فأتوا بعشر سور مثله في الفصاحة والبلاغة مفتريات"(١٧٩٦).

عن مجاهد: "{سور مثله}، قال: مثل القرآن"(١٧٩٧).

عن قتادة قوله: "{سور مثله مفتريات}، قال: مثل هذا القرآن حقا وصدقا لا باطل فيه ولا كذب"(١٧٩٨).

عن الحسن، في قوله: "{سور مثله}، قال: فلا يستطيعون والله أن يأتوا بسورة من مثله ولو حرصوا"(١٧٩٩).

قوله تعالى:{وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود : ١٣]، أي:" وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم"(١٨٠٠).

عن مجاهد :"{وادعوا}، قال: ناس يشهدون به"(١٨٠١).

القرآن

{فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)} [هود : ١٤]

التفسير:

فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم -أيها الرسول ومَن آمن معك- لما تدعونهم إليه; لِعَجْز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله، فهل أنتم -بعد قيام هذه الحجة عليكم- مسلمون منقادون لله ورسوله؟

قوله تعالى:{فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود : ١٤]، أي:" فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم -أيها الرسول ومَن آمن معك- لما تدعونهم إليه; لِعَجْز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر"(١٨٠٢).

(١٧٩٢) صفوة التفاسير:٧/٢.
(١٧٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٧):ص٢٠٠٩/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!
(١٧٩٤) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٧٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم:٢٠٠٩/٦. والخبر غير مرقم بالمطبوع!
(١٧٩٦) انظر: التفسير الميسر:٢٢٣، وصفوة التفاسير:٧/٢.
(١٧٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٨):ص٢٠٠٩/٦.
(١٧٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٩):ص٢٠٠٩/٦.
(١٧٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٠):ص٢٠٠٩/٦.
(١٨٠٠) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٩٣):ص١٩٥٣/٦.
(١٨٠٢) التفسير الميسر:٢٢٣.

عن مجاهد قال: "«الاستجابة»: الطاعة"[١٨٠٣].
قوله تعالى:{وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [هود : ١٤]، أي:" واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله"[١٨٠٤].
عن محمد بن إسحاق:«لا إله إلا هو»، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"[١٨٠٥].
قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [هود : ١٤]، أي:" فهل أنتم -بعد قيام هذه الحجة عليكم- مسلمون منقادون لله ورسوله؟"[١٨٠٦].
عن مجاهد قوله: "{فهل أنتم مسلمون}، لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"[١٨٠٧].

القرآن
{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)} [هود : ١٥]
التفسير:
من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتَعها نعطهم ما قُسِم لهم من ثواب أعمالهم في الحياة الدنيا كاملا غير منقوص.
سبب النزول:
عن أنس بن مالك في قوله: "{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها}، قال: نزلت في اليهود والنصارى"[١٨٠٨].
قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} [هود : ١٥]، أي:" من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتَعها"[١٨٠٩].
عن الحسن :"{من كان يريد الحياة الدنيا}، قال: من كان يريد أن يعجل له حسناته"[١٨١٠].
وعن الحسن أيضا:"{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها}، قال: طيباتهم"[١٨١١].
عن منصور أنه حدثهم ثم قال: "سألت سعيد بن جبير، عن هذه الآية في قول الله تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها}، قال: هو الرجل يعمل عمل الدنيا لا يريد بها الله وهي مثل الآية في الروم: وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله"[١٨١٢].
عن مجاهد: "{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها}، الآية، قال: ممن لا يتقبل منه، يصوم ويصلي يريد به الدنيا، ويدفع عنه هم الآخرة"[١٨١٣].
عن وهيب: "أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول في هذه الآية: هم أهل الرياء، هم أهل الرياء"[١٨١٤].
عن عبد الله بن معبد، قال: قام رجل إلى علي فقال: أخبرنا، عن هذه الآية؟: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها}، إلى قوله: {وباطل ما كانوا يعملون}، قال: له نعم ويحك ذاك من كان يريد الدنيا لا يريد الآخرة"[١٨١٥].
قوله تعالى:{نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} [هود : ١٥]، أي:" نعطهم ما قُسِم لهم من ثواب أعمالهم في الحياة الدنيا"[١٨١٦].
قال مجاهد:" نعجل لمن لا يتقبل منه"[١٨١٧].

(١٨٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٢):ص٢٠٠٩/٦.
(١٨٠٤) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٤):ص٢٠١٠/٦.
(١٨٠٦) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٥):ص٢٠١٠/٦.
(١٨٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٦):ص٢٠١٠/٦.
(١٨٠٩) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤١):ص٢٠١١/٦.
(١٨١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٢):ص٢٠١١/٦.
(١٨١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٧):ص٢٠١٠/٦.
(١٨١٣) أخرجه الطبري(١٨٠٢٩):ص٢٦٨/١٥.
(١٨١٤) أخرجه الطبري(١٨٠٢٧):ص٢٦٦/١٥.
(١٨١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣٨):ص٢٠١٠/٦.
(١٨١٦) التفسير الميسر:٢٢٣.

عن الضحاك :"{نوف إليهم أعمالهم فيها}، يقول: يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما حوله ويدفع، عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا وليس له في الآخرة من نصيب"[١٨١٨].

عن قتادة قوله: "{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون}، يقول: من كانت الدنيا همه وطلبه ونيته وحاجته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفض إلى الآخرة، وليس له فيها حسنة وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة {وهم فيها لا يبخسون}"[١٨١٩].

عن الضحاك، قوله: "{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون}، يقول: من عمل عملا صالحا يريد به وجه الله في غير تقوى، يعني: أهل الشرك أعطي على ذلك أجرا في الدنيا يصل رحما، يعطي سائلا، يرحم مضطرا في نحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا"[١٨٢٠].

عن محمد بن كعب القرظي: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحسن من محسن، فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة"[١٨٢١].

قوله تعالى:{وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود : ١٥]، أي:" وهم في الدنيا لا يُنقصون شيئاً من أجورهم"[١٨٢٢].

عن قتادة:"{وهم فيها لا يبخسون}، يقول: لا يظلمون"[١٨٢٣].

عن مجاهد: "{وهم فيها لا يبخسون}، قال: لا ينقصون"[١٨٢٤].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)} [هود : ١٦]

التفسير:

أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرَّها، وذهب عنهم نَفْع ما عملوه، وكان عملهم باطلا لأنه لم يكن لوجه الله.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود : ١٦]، أي:" أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرَّها"[١٨٢٥].

عن الضحاك:" وأما قوله: {أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار}، يقول: ما عملوا من عمل صالح في شركهم، عجل الله لهم ثوابه في الدنيا، ولم يكن لهم في الآخرة إلا النار"[١٨٢٦].

قوله تعالى:{وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا} [هود : ١٦]، أي:" بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاءها"[١٨٢٧].

عن السدي :"{وحبط ما صنعوا فيها}، قال: وحبط ما عملوا من خير"[١٨٢٨].

عن أبي مالك :"{وحبط}، يعني: بطل"[١٨٢٩].

(١٨١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٤):ص٢٠١١/٦.
(١٨١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٥):ص٢٠١١/٦.
(١٨١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٦):ص٢٠١٢/٦.
(١٨٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٠):ص٢٠١١/٦.
(١٨٢١) أخرجه الطبري(١٨٠٢١):ص٢٦٥/١٥.
(١٨٢٢) صفوة التافسير:٧/٢.
(١٨٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٧):ص٢٠١٢/٦.
(١٨٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٨):ص٢٠١٢/٦.
(١٨٢٥) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٤٩):ص٢٠١٢/٦.
(١٨٢٧) صفوة التفاسير:٧/٢.
(١٨٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٥١):ص٢٠١٢/٦.
(١٨٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٥٠):ص٢٠١٢/٦.

قوله تعالى:{وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود : ١٦]، أي:" وباطل ما كانوا يعملون في الدنيا من الخيرات"[١٨٣٠].

عن السدي:"{وباطل ما كانوا يعملون}، قال: وباطل في الآخرة ليس لهم فيها جزاء"[١٨٣١].

القرآن

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)} [هود : ١٧]

التفسير:

أفمَن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قبل القرآن، وهو التوراة -الكتاب الذي أنزل على موسى إمامًا ورحمة لمن آمن به-، كمن كان همه الحياة الفانية بزينتها؟ أولئك يصدِّقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزَّبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزاؤه النار، يَرِدُها لا محالة، فلا تك -أيها الرسول- في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدِّقون ولا يعملون بما أُمروا به.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [هود : ١٧]، أي:" أفمَن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة"[١٨٣٢].

عن أبي العالية: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ}، قال: "محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١٨٣٣]. وروي عن محمد بن علي بن الحنفية[١٨٣٤]، ومجاهد[١٨٣٥]، وأبي صالح[١٨٣٦]، وإبراهيم[١٨٣٧]، وعكرمة[١٨٣٨]، والضحاك[١٨٣٩]،وقتادة[١٨٤٠]، والسدي[١٨٤١]، وخصيف[١٨٤٢] نحو ذلك.

قوله تعالى:{وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود : ١٧]، أي:" ويتبعه شاهد من الله بصدقه"[١٨٤٣].

عن مجاهد في قوله: "{ويتلوه شاهد منه}، قال جبريل: تلا التوراة والإنجيل والقرآن، وهو الشاهد من الله عز وجل"[١٨٤٤].

وفي قوله تعالى:{وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود : ١٧]، أقوال:

أحدها : أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن ، قاله الحسن[١٨٤٥]، وقتادة[١٨٤٦]، ومنه قول الأعشى[١٨٤٧]:

فلا تحبسنّي كافراً لك نعمةً ... على شاهدي يا شاهد الله فاشهد .

(١٨٣٠) صفوة التفاسير:٧/٢.
(١٨٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٥٤):ص٢٠١٣/٦.
(١٨٣٢) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٣٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٧٥٥)ص:٢٠١٣/٦.
(١٨٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٤٤):ص٢٧٢/١٥.
(١٨٣٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٤٦):ص٢٧٢/١٥.
(١٨٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٤٥):ص٢٧٢/١٥.
(١٨٣٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٣٥):ص٢٧٠/١٥.
(١٨٤١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٤٣) صفوة التفاسير:٧/٢.
(١٨٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٦٢):ص٢٠١٤/٦.
(١٨٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٣١)-(١٨٠٣٦):ص٢٧٠/١٥.
(١٨٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٣٧):ص٢٧٠/١٥.
(١٨٤٧) انظر: النكت والعيون:٤٦١/٢.

الثاني : أنه جبريل عليه السلام ، قاله أبو العالية[١٨٤٨]، وأبو صالح[١٨٤٩]، ومجاهد -في إحدى الروايات- [١٨٥٠]، وإبراهيم[١٨٥١]، وعكرمة[١٨٥٢]، والضحاك[١٨٥٣]، وعطاء الخراساني[١٨٥٤]، وخصيف[١٨٥٥].

الثالث : أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

روي عن عبد الله بن نجيّ، قال:" قال علي رضى الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان. فقال له رجُل: فأنتَ فأي شيء نزل فيك؟ فقال علي: أما تقرأ الآية التي نزلت في هود: {ويتلوه شاهد منه}"[١٨٥٦].

وأخرج ابن ابي حاتم عن المنهال، عن عباد بن عبد الله، قال: "قال علي: ما في قريش من أحد إلا وقد نزلت فيه آية مثل له فما نزل فيك: قال: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ}"[١٨٥٧].

الرابع : أنه ملك يحفظه ، قاله مجاهد[١٨٥٨]، وأبو العالية[١٨٥٩].

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: {ويتلوه شاهد منه}، قولُ من قال: «هو جبريل»، لدلالة قوله: {ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمةً}، على صحة ذلك. وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال: «عنى به لسان محمد صلى الله عليه وسلم، أو: محمد نفسه، أو: عليّ» على قول من قال: «عني به علي». ولا يعلم أنّ أحدًا كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به، ممن ذكر أهل التأويل أنه عنى بقوله: {ويتلوه شاهد منه}، غير جبريل عليه السلام[١٨٦٠].

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً} [هود : ١٧]، أي:" ومن قبل القرآن كتاب التوراة الذي أنزله الله على موسى قدوةً في الخير ورحمة لمن نزل عليهم"[١٨٦١].

عن إبراهيم، في قوله: "{ومن قبله كتاب موسى}، قال: من قبله جاء بالكتاب إلى موسى"[١٨٦٢].

عن مجاهد: " ومن قبل محمد كتاب موسى"[١٨٦٣].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [هود : ١٧]، أي:" أولئك الموصوفون بأنهم على نور من ربهم يصدّقون بالقرآن حق التصديق"[١٨٦٤].

عن سعيد بن جبير في قول الله: "{ليؤمنوا}، قال: ليصدقوا"[١٨٦٥]،"قوله: {به}، يعني: ليصدقوا بالله تعالى ورسوله"[١٨٦٦].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هود : ١٧]، أي:" ومن يكفر بالقرآن من أهل الملل والأديان، فله نار جهنم يردها لا محالة"[١٨٦٧].

عن ابن جريج في قوله: "{ومن يكفر به}، بالقرآن {من الأحزاب}"[١٨٦٨].

(١٨٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٦١):ص٢٧٤/١٥.
(١٨٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٥٨):ص٢٧٤/١٥.
(١٨٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٥٢):ص٢٧٣/١٥، و(١٨٠٦٥):ص٢٧٥/١٥
(١٨٥١) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٥٠):ص٢٧٣/١٥.
(١٨٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٦٢):ص٢٧٤/١٥.
(١٨٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٥٩):ص٢٧٤/١٥.
(١٨٥٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠١٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨٥٦) أخرجه الطبري(١٨٠٤٨):ص٢٧٢/١٥.
(١٨٥٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٧٦٤):ص٢٠١٤/٦-٢٠١٥.
(١٨٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٦٦)-(١٨٠٧١):ص٢٧٥/١٥، وتفسير ابن ابي حاتم(١٠٧٦٣):ص٢٠١٤/٦.
(١٨٥٩) انظر: النكت والعيون:٤٦١/٢.
(١٨٦٠) تفسير الطبري:٢٧٦/١٥.
(١٨٦١) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٨٦٢) أخرجه الطبري(١٨٠٧٢):ص٢٧٧/١٥.
(١٨٦٣) انظر: النكت والعيون:٤٦٢/٢.
(١٨٦٤) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٨٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٦٨):ص٢٠١٥/٦.
(١٨٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٦٨):ص٢٠١٥/٦.
(١٨٦٧) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٨٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم:١٠١٥/٦. باسناده ابن مبارك عن ابن جريج.

وفي المراد بهم، وجوه:
أحدها : قريش، قاله السدي[١٨٦٩].
الثاني : اليهود والنصارى ، قاله سعيد بن جبير[١٨٧٠]، وقتادة[١٨٧١].
وروي عن أبي موسى الأشعري: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني، فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة"[١٨٧٢].
الثالث : أهل الملل كلها. وهذا مروي عن سعيد بن جبير أيضا[١٨٧٣].
وروي عن قتادة: "{ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) ، قال: الكفارُ أحزابٌ كلهم على الكفر"[١٨٧٤].
وروي عن أيوب قال: "نبئت أن سعيد بن جبير قال: ما بلغني حديثٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، على وَجهه إلا وجدت مصداقَه في كتاب الله تعالى، حتى قال: «لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصرانيّ، ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار». قال سعيد، فقلت: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية: {ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده}، قال: من أهل الملل كُلّها"[١٨٧٥].
قوله تعالى:{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} [هود : ١٧]، أي:" فلا تكن في شكٍ من هذا القرآن، إنه الحق الثابت المنزّل من عند الله"[١٨٧٦].
عن محمد بن إسحاق :"{الحق من ربك}، قال: ما جاءك من الخير"[١٨٧٧].

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)} [هود : ١٨]

التفسير:
ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا، أولئك سيعرضون على ربهم يوم القيامة; ليحاسبهم على أعمالهم، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم في الدنيا قد سخط الله عليهم، ولعنهم لعنة لا تنقطع; لأن ظلمهم صار وصفًا ملازمًا لهم.
سبب النزول:
عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذ كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا}"[١٨٧٨].
قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [هود : ١٨]، أي:" ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا"[١٨٧٩].
عن ابن جريج:"{ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا}، قال: هم الكفار والمنافقون"[١٨٨٠].
قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ} [هود : ١٨]، أي:" أولئك سيعرضون على ربهم يوم القيامة; ليحاسبهم على أعمالهم"[١٨٨١].
قال ابن جريج:" فيسألهم، عن أعمالهم"[١٨٨٢].

(١٨٦٩) انظر: النكت والعيون:٤٦٢/٢.
(١٨٧٠) انظر: النكت والعيون:٤٦٢/٢.
(١٨٧١) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٧٨):ص١٨٠/١٥-١٨١.
(١٨٧٢) أخرجه الطبري(١٨٠٧٩):ص٢٨١/١٥.
(١٨٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٧٤):ص٢٧٩/١٥-٢٨٠.
(١٨٧٤) أخرجه الطبري(١٨٠٧٧):ص٢٨٠/١٥.
(١٨٧٥) أخرجه الطبري(١٨٠٧٣):ص٢٧٩/١٥.
(١٨٧٦) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٨٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧١):ص٢٠١٦/٦.
(١٨٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٢):ص٢٠١٦/٦.
(١٨٧٩) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٣):ص٢٠١٦/٦.
(١٨٨١) التفسير الميسر:٢٢٣.

عن صفوان بن محرز قال: "قيل لعبد الله بن عمر، كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في النجوى؟ فقال: سمعته يقول: يدنو المؤمن من ربه عز وجل يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه ثم يقرئه بذنوبه هل تعرف؟ فيقول: يا رب أعرف حتى إذا بلغ منه ما شاء أن يبلغ يقول له تبارك وتعالى: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم قال ثم يعطى صحيفة حسابه أو قال: كتابه بيمينه وأما الكافر والمنافق فينادى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"[١٨٨٣].

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} [هود : ١٨]، أي:" ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم في الدنيا"[١٨٨٤].

عن الضحاك قوله: "{ويقول الأشهاد}، يعني: الأنبياء والرسل"[١٨٨٥]، "يقولون: يا ربنا أتيناهم بالحق، فكذبوا فنحن نشهد أنهم كذبوا عليك يا ربنا"[١٨٨٦].

وقال مجاهد:" هؤلاء الملائكة يشهدون على بني آدم بأعمالهم"[١٨٨٧].

وقال زيد بن اسلم:" الأشهاد أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والأجساد"[١٨٨٨].

قوله تعالى:{أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود : ١٨]، أي:" قد سخط الله عليهم، ولعنهم لعنة لا تنقطع; لأن ظلمهم صار وصفًا ملازمًا لهم"[١٨٨٩].

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: "هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن فقال: إن الله كره الظلم، ونهى، عنه وقال: {ألا لعنة الله على الظالمين}"[١٨٩٠].

عن إبراهيم، قال: "لعن بعض هؤلاء الجبابرة الحجاج أو غيره فقال: {ألا لعنة الله على الظالمين}"[١٨٩١].

عن ميمون بن مهران، قال: "إن الرجل ليصلي ويلعن نفسه في قراءته، فيقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وإنه لظالم"[١٨٩٢].

القرآن

{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)} [هود : ١٩]

التفسير:

هؤلاء الظالمون الذين يمنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم، وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [هود : ١٩]، أي:" هؤلاء الظالمون الذين يمنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته"[١٨٩٣].

عن السدي قوله: "{الذين يصدون عن سبيل الله }، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم صدت قريش، عنه الناس"[١٨٩٤].

قوله تعالى:{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [هود : ١٩]، أي:" ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم"[١٨٩٥].

(١٨٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم:٢٠١٦/٦. بإسناد علي بن المبارك.
(١٨٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٤):ص٢٠١٦/٦.
(١٨٨٤) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٦):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٨):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٧):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٥):ص٢٠١٦/٦-٢٠١٧.
(١٨٨٩) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٧٩):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٠):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨١):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٩٣) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٢):ص٢٠١٧/٦.

عن ابي مالك، قوله: {ويبغونها عوجا}، يعني: يرجون بمكة غير الإسلام دينا"[١٨٩٦].
عن السدي: "{يبغونها عوجا}: كانوا إذا سألهم أحد هل تجدون محمدا: قالوا لا فصدوا، عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا"[١٨٩٧].
قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود : ١٩]، أي:" وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء"[١٨٩٨].
قال قتادة:" لا يؤمنون بها"[١٨٩٩].

القرآن
{أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)} [هود : ٢٠]
التفسير:
أولئك الكافرون لم يكونوا ليفوتوا الله في الدنيا هربًا، وما كان لهم مِن أنصار يمنعونهم من عقابه. يضاعَفُ لهم العذاب في جهنم; لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا القرآن سماع منتفع، أو يبصروا آيات الله في هذا الكون إبصار مهتد; لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين.
قوله تعالى:{يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ} [هود : ٢٠]، أي:" يضاعف عليهم العذاب بسبب إجرامهم وطغيانهم"[١٩٠٠].
قال قتادة:" أي: عذاب الدنيا والآخرة"[١٩٠١].
قوله تعالى:{مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود : ٢٠]، أي:" سبب تشديد العذاب ومضاعفته عليهم أن الله جعل لهم سمعاً وبصراً، ولكنهم كانوا صُما عن سماع الحق، عمياً عن اتباعه، فلم ينتفعوا بما منحهم الله من حواس"[١٩٠٢].
قال قتادة:" يقول: صم، عن الحق فلا يسمعونه"[١٩٠٣].
وقال قتادة أيضا:" ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به"[١٩٠٤].

القرآن
{أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)} [هود : ٢١]
التفسير:
أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدَّعون أنها تشفع لهم.
قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود : ٢١]، أي:" أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله"[١٩٠٥].
قال السدي:" غبنوا أنفسهم"[١٩٠٦].

(١٨٩٥) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٤):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٥):ص٢٠١٧/٦.
(١٨٩٨) التفسير الميسر:٢٢٣.
(١٨٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٦):ص٢٠١٧/٦.
(١٩٠٠) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٩٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٨):ص٢٠١٨/٦.
(١٩٠٢) صفوة التفاسير:٨/٢.
(١٩٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٩):ص٢٠١٨/٦.
(١٩٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٩٠):ص٢٠١٨/٦.
(١٩٠٥) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٩١):ص٢٠١٩/٦.

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [هود : ٢١]، أي:" وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدَّعون أنها تشفع لهم"(١٩٠٧).

عن قتادة، قوله: "{ما كانوا يفترون}، أي: يشركون"(١٩٠٨).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣)} [هود : ٢٣]

التفسير:

إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعوا لله في كل ما أُمروا به ونُهوا عنه، أولئك هم أهل الجنة، لا يموتون فيها، ولا يَخْرجون منها أبدًا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [هود : ٢٣]، أي: "إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة"(١٩٠٩).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(١٩١٠).

قوله تعالى:{وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} [هود : ٢٣]، أي: "وخضعوا لله في كل ما أُمروا به ونُهوا عنه"(١٩١١).

وفي قوله تعالى:{وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} [هود : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: اطمأنوا ، قاله مجاهد(١٩١٢).

الثاني : أنابوا، قاله ابن عباس في رواية أخرى(١٩١٣)، وقتادة(١٩١٤).

الثالث: خشعوا وتواضعوا لربهم ، رواه معمر عن قتادة(١٩١٥).

وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس "الإخبات"، عند العرب: الخشوع والتواضع"(١٩١٦).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [هود : ٢٣]، أي: "أولئك هم أهل الجنة، لا يموتون فيها، ولا يَخْرجون منها أبدًا"(١٩١٧).

عن أبي مالك، قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها"(١٩١٨).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(١٩١٩).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (١٩٢٠).

القرآن

{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)} [هود : ٢٤]

التفسير:

(١٩٠٧) التفسير الميسر:٢٢٤.

(١٩٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٩٤):ص٢٠١٩/٦.

(١٩٠٩) التفسير الميسر:٢٢٤.

(١٩١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(١٩١١) التفسير الميسر:٢٢٤.

(١٩١٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٩٨)-(١٨١٠٠):ص٢٩٠/١٥.

(١٩١٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٩٥):ص٢٨٩/١٥.

(١٩١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٠٩٦):ص٢٨٩/١٥.

(١٩١٥) انظر: تفسير الطبري(١٨١٠١):ص٢٩٠/١٥.

(١٩١٦) تفسير الطبري:٢٩٠/١٥.

(١٩١٧) التفسير الميسر:٢٢٤.

(١٩١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٠):ص٩٤/١.

(١٩١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(١٩٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

مثل فريقَي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى والأصم الذي لا يسمع والبصير والسميع: ففريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه، ولا يسمع داعي الله فيهتدي به، أما فريق الإيمان فقد أبصر حجج الله وسمع داعي الله فأجابه، هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتتفكرون؟

قوله تعالى:{ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ} [هود : ٢٤]، أي:" مثل فريقَي الكفر والإيمان، كمثل الأعمى الذي لا يرى والأصم الذي لا يسمع والبصير والسميع: ففريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه، ولا يسمع داعي الله فيهتدي به، أما فريق الإيمان فقد أبصر حجج الله وسمع داعي الله فأجابه"[١٩٢١].

عن مجاهد: "{مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع}، الفريقان الكافران، والمؤمنان، فأما الأعمى والأصم فالكافران، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان"[١٩٢٢].

قال قتادة:" هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فأما الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره. وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به"[١٩٢٣].

قوله تعالى:{هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [هود : ٢٤]، أي:" هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتتفكرون؟"[١٩٢٤].

عن سعيد بن جبير: {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا}، "لا يستوي في الفضل"[١٩٢٥].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥)} [هود : ٢٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال لهم: إني نذير لكم من عذاب الله، مبيِّن لكم ما أُرسلت به إليكم من أمر الله ونهيه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [هود : ٢٥]، أي:" ولقد أرسلنا نوحارسولاً إلى قومه بعد أن امتلأت الأرض بشركهم وشرورهم"[١٩٢٦].

عن أبي صالح: "أرسل: أي: بعث"[١٩٢٧].

القرآن

{أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)} [هود : ٢٦]

التفسير:

آمركم ألا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم -إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة- عذاب يوم موجع.

قوله تعالى:{أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [هود : ٢٦]، أي: آمركم ألا تعبدوا إلا الله"[١٩٢٨].

عن محمد بن إسحاق قال: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما يذكر أهل العلم أنه كان حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلاء أكثر مما لقي إلا نبي قتل. وكان يدعوهم كما قال الله تعالى: { لَيْلًا وَنَهَارًا}[١٩٢٩] وسرا وجهارا[١٩٣٠] بالنصيحة لهم فلم يزدهم ذلك منه إلا فرارا حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل أصابعه في أذنيه لكيلا يسمع شيئا من قوله"[١٩٣١].

(١٩٢١) انظر: تفسير الطبري:٢٩١/١٥، والتفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٢٢) أخرجه الطبري(١٨١٠٣):ص٢٩٢/١٥.
(١٩٢٣) أخرجه الطبري(١٨١٠٤):ص٢٩٢/١٥.
(١٩٢٤) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٠٥):ص٢٠٢١/٦.
(١٩٢٦) انظر: صفوة التفاسير:١٠/٢. [بتصرف].
(١٩٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٠٦):ص٢٠٢١/٦.
(١٩٢٨) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٢٩)[نوح : ٥].
(١٩٣٠) يقصد قوله تعالى: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)} [نوح : ٨ - ٩].
(١٩٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨١٠):ص٢٠٢١/٦-٢٠٢٢.

قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} [هود : ٢٦]، أي: إني أخاف عليكم -إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة- عذاب يوم موجع"[١٩٣٢].

أخرج ابن ابي حاتم عن أبي العالية في قوله: "{عذاب يوم أليم}، قال: «الأليم»: الموجع في القرآن كله"[١٩٣٣]. قال ابن ابي حاتم:"وكذلك فسره سعيد، بن جبير والضحاك، وقتادة، وأبو مالك وأبو عمران النحوي ومقاتل بن حيان"[١٩٣٤].

القرآن

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)} [هود : ٢٧]

التفسير:

فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بمَلَك ولكنك بشر، فكيف أُوحي إليك مِن دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أسافلنا وإنما اتبعوك من غير تفكر ولا رويَّة، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لمَّا دخلتم في دينكم هذا، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدَّعون.

قوله تعالى:{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [هود : ٢٧]، أي:" قال السادة والكبراء من قوم نوح"[١٩٣٥].

عن أبي مالك :"{ فَقَالَ الْمَلَأُ}، يعني: الأشراف من قومه"[١٩٣٦].

قوله تعالى:{مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} [هود : ٢٧]، أي:" ما نراك إلا واحداً مثلنا ولا فضل لك علينا"[١٩٣٧].

عن محمد بن إسحاق، عن من لا يتهم، عن عبيد بن عمير الليثي:" أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هذا مجنون لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل وقال كما قص الله علينا في كتابه"[١٩٣٨].

قوله تعالى:{وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} [هود : ٢٧]، أي:" وما نرى لك ولأتباعك من مزية وشرف علينا يؤهلكم للنبوة، واستحقاق المتابعة"[١٩٣٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{من فضل}، يعني: فضيلة"[١٩٤٠].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)} [هود : ٢٨]

التفسير:

قال نوح: يا قومي أرأيتم إن كنتُ على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبيِّن لكم أنني على الحق من عنده، وآتاني رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم، فهل يصح أن نُلْزمكم إياها بالإكراه وأنتم جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك، ولكن نَكِل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء.

(١٩٣٢) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٣٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨١١):ص٢٠٢٢/٦.
(١٩٣٤) تفسير ابن ابي حاتم: ٢٠٢٢/٦.
(١٩٣٥) صفوة التفاسير:١١/٢.
(١٩٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨١٢):ص٢٠٢٢/٦.
(١٩٣٧) صفوة التفاسير:١١/٢.
(١٩٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨١٣):ص٢٠٢٢/٦.
(١٩٣٩) صفوة التفاسير:١١/٢.
(١٩٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨١٦):ص٢٠٢٣/٦.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود : ٢٨]، أي:" قال نوح: يا قومي أرأيتم إن كنتُ على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبيِّن لكم أنني على الحق من عنده"(١٩٤١).

عن أبي عمران الجوني: عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي}، قال:" على ثقة "(١٩٤٢).

عن ابن جريج: "قال نوح: {يا قوم إن كنت على بينة من ربي}، قال: قد عرفتها، وعرفت بها أمره، وأنه لا إله إلا هو"(١٩٤٣).

قوله تعالى:{وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} [هود : ٢٨]، أي:" وآتاني رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم"(١٩٤٤).

عن ابن جريج:" {وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ}، قال: الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة"(١٩٤٥).

قوله تعالى:{أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود : ٢٨]، أي:" فهل يصح أن نُلزمكم إياها بالإكراه وأنتم جاحدون بها؟"(١٩٤٦).

قال قتادة:" أما والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه"(١٩٤٧).

عن أبي العالية قال: "في قراءة أبيّ: «أَنُلْزِمُكُمُوهَا مِنْ شَطْرِ أَنْفُسِنَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ»"(١٩٤٨).

وعن أبي العالية، عن أبي بن كعب: «أَنُلْزِمُكُمُوهَا مِنْ شَطْرِ قُلُوبِنَا وأَنْتُمْ لَهَا كارِهُونَ»"(١٩٤٩).

هذه القراءة التي مرت في الأخبار السالفة، بالزيادة في الآية، قراءة شاذة لزيادتها على المصحف، لا يحل لأحد أن يقرأ بها وظني أن قوله: «من شطر أنفسنا»، أو: «من شطر قلوبنا»، تفسير مدرج في كتابة الآية، وليس قراءة(١٩٥٠).

القرآن

{وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)} [هود : ٢٩]

التفسير:

قال نوح عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العبادة له مالاً تؤدونه إليَّ بعد إيمانكم، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده، وليس من شأني أن أطرد المؤمنين، فإنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، ولكني أراكم قومًا تجهلون; إذ تأمروننني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [هود : ٢٩]، أي:" قال نوح عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العبادة له مالاً تؤدونه إليَّ بعد إيمانكم، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده"(١٩٥١).

عن مجاهد: "{إن أجري}: جزائي "(١٩٥٢).

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا} [هود : ٢٩]، أي:" وليس من شأني أن أطرد المؤمنين"(١٩٥٣).

عن سعيد، في قوله: "{إنهم ملاقوا ربهم}، قال: الذين شروا أنفسهم لله وطمنوها على الموت"(١٩٥٤).

(١٩٤١) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨١٧):ص٢٠٢٣/٦.
(١٩٤٣) أخرجه الطبري(١٨١٠٦):ص٢٩٩/١٥.
(١٩٤٤) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٨١٠٦):ص٢٩٩/١٥.
(١٩٤٦) التفسير الميسر:٢٢٤.
(١٩٤٧) أخرجه الطبري(١٨١٠٧):ص٢٩٩/١٥.
(١٩٤٨) اخرجه الطبري(١٨١٠٨):ص٢٩٩/١٥.
(١٩٤٩) اخرجه الطبري(١٨١١١):ص٣٠٠/١٥.
(١٩٥٠) تفسير الطبري:٣٠٠/١٥.[الهامش:١].
(١٩٥١) التفسير الميسر:٢٢٥.
(١٩٥٢) التفسير الميسر:٢٢٥.
(١٩٥٣) التفسير الميسر:٢٢٥.
(١٩٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٢):ص٢٠٢٣/٦.

القرآن

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)} [هود : ٣١]

التفسير:

ولا أقول لكم: إني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بمَلَك من الملائكة، ولا أقول لهؤلاء الذين تحتقرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثوابًا على أعمالكم، فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلتُ ذلك إني إذًا لمن الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

قوله تعالى:{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} [هود : ٣١]، أي:" ولا أقول لكم: إني أملك التصرف في خزائن الله"(١٩٥٥).

عن ابن جريج، قوله: "{ولا أقول لكم عندي خزائن الله} التي لا يفينها شيء، فأكون إنما أدعوكم لتتبعوني عليها لأعطيكم منها"(١٩٥٦).

قوله تعالى:{وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [هود : ٣١]، أي:" ولا أقول لكم إني أعلم الغيب حتى تظنوا بي الربوبية"(١٩٥٧).

عن ابن جريج: "{ولا أعلم الغيب}، ولا أقول اتبعوني على علم الغيب"(١٩٥٨).

قوله تعالى:{وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} [هود : ٣١]، أي:" ولا أقول لكم إني مَلَك من الملائكة"(١٩٥٩).

عن ابن جريج: "{ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} نزلت من السماء برسالة، ما أنا إلا بشر مثلكم"(١٩٦٠).

القرآن

{قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)} [هود : ٣٢]

التفسير:

قالوا: يا نوح قد حاججتنا فأكثرت جدالنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا} [هود : ٣٢]، أي:" قال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرهم خصومتنا"(١٩٦١).

عن مجاهد قوله: "{جادلتنا}: ماديتنا"(١٩٦٢).

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣)} [هود : ٣٣]

التفسير:

قال نوح لقومه: إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء، ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم; لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [هود : ٣٣]، أي:" ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم، لأنكم في ملكه وسلطانه"(١٩٦٣).

عن السدي: {وما أنتم بمعجزين}، " يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة، فتفوتوه هربا"(١٩٦٤).

(١٩٥٥) التفسير الميسر:٢٢٥.

(١٩٥٦) أخرجه الطبري(١٨١١٦):ص٣٠٣/١٥.

(١٩٥٧) صفوة التفاسير:١١/٢.

(١٩٥٨) أخرجه الطبري(١٨١١٦):ص٣٠٣/١٥.

(١٩٥٩) انظر: صفوة التفاسير:١١/٢، والتفسير الميسر:٢٢٥.

(١٩٦٠) أخرجه الطبري(١٨١١٦):ص٣٠٣/١٥.

(١٩٦١) صفوة التفاسير:١١/٢.

(١٩٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٤):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٦٣) انظر: التفسير الميسر:٢٢٥، وصفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٦٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢٤/٢.

القرآن

{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)} [هود : ٣٤]

التفسير:

ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان، إن كان الله يريد أن يضلَّكم ويهلككم، هو سبحانه مالككم، وإليه تُرجَعون في الآخرة للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [هود : ٣٤]، أي:" هو خالقكم والمتصرف في شئونكم، وإليه مرجعكم ومصيركم فيجازيكم على أعمالكم"(١٩٦٥).

عن أبي العالية :"{إليه ترجعون}، قال: إليه يرجعون بعد الحياة"(١٩٦٦).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)} [هود : ٣٥]

التفسير:

بل أيقول كفار قريش اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه؟ :" قل لهم يا محمد إن كنت قد افتريت هذا القرآن فعليَّ وزري وذنبي، ولا تؤاخذون أنتم بجريرتي، كفركم وتكذيبكم وإجرامكم.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي} [هود : ٣٥]، أي:" بل أيقول كفار قريش اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه، قل لهم يا محمد إن كنت قد افتريت هذا القرآن فعليَّ وزري وذنبي، ولا تؤاخذون أنتم بجريرتي"(١٩٦٧).

عن قتادة، في قوله تعالى: {فعليّ إجرامي}، يقول فعلي عملي"(١٩٦٨).

قوله تعالى:{وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ} [هود : ٣٥]، أي:" وأنا بريءٌ من إجرامكم بكفركم وتكذيبكم"(١٩٦٩).

عن قتادة، قوله: "{وأنا بريء مما تجرمون}، أي: مما تعملون"(١٩٧٠).

القرآن

{وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)} [هود : ٣٦]

التفسير:

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح -عليه السلام- لمَّا حق على قومه العذاب، أنه لن يؤمن بالله إلا مَن قد آمن مِن قبل، فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون.

قوله تعالى:{وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ} [هود : ٣٦]، أي:" وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح -عليه السلام- لمَّا حق على قومه العذاب، أنه لن يؤمن بالله إلا مَن قد آمن مِن قبل"(١٩٧١).

عن قتادة قوله: "{وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن}، وذلك حين دعا عليهم نوح، قال: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}(١٩٧٢)"(١٩٧٣).

قال الضحاك:" فحينئذ دعا على قومه، لما بيَّن الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن"(١٩٧٤).

(١٩٦٥) صفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٦):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٦٧) صفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٧):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٦٩) صفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٨):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٧١) التفسير الميسر:٢٢٥.

(١٩٧٢)[نوح : ٢٦].

(١٩٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٢٩):ص٢٠٢٤/٦.

قوله تعالى:{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]، أي:" فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون"[١٩٧٥].

عن مجاهد قوله: "{فلا تبتئس}،: فلا تحزن"[١٩٧٦].

عن محمد بن كعب، قال: "لما استنقذ الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء كل مؤمن ومؤمنة قال: يا نوح «لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون»"[١٩٧٧].

القرآن

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧)} [هود : ٣٧]

التفسير:

واصنع السفينة بمرأى منَّا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، ولا تطلب مني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم، فإنهم مغرقون بالطوفان.

قوله تعالى:{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود : ٣٧]، أي:" واصنع السفينة بمرأى منَّا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا"[١٩٧٨].

عن أبي صالح في قوله: "{الفلك}، قال: سفينة نوح"[١٩٧٩].

عن قتادة:{ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}، قال: " بعين الله تعالى ووحيه"[١٩٨٠].

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه: "وأما قوله: {بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}، فيقال: بعين الله ورحمته"[١٩٨١].

وري عن أبي شيبة، عن عطاء الخراساني في قوله: "{ووحينا}، أي: بوحي الله"[١٩٨٢].

روي عن مجاهد: قوله :"{ووحينا}، كما نأمرك"[١٩٨٣].

قال الحسن:" كان طول سفينة نوح ستمائة ذراع، وارتفاعها ثلاثون ذراعا، وعرضها ثلاثمائة ذراع، وكان بابها في جنبها"[١٩٨٤].

وفي رواية أخرى عن الحسن:" كان طول سفينة نوح ألف ومائة ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت مطبقة"[١٩٨٥].

وعن الحسن أيضا:" كان طول سفينة نوح ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع"[١٩٨٦].

عن خصيف :"أن سفينة نوح كانت من خشب وكانت ثلاثة أبيات وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطول الأبيات الثلاثة من أسفل إلى فوق ثلاثون ذراعا كل بيت منها عشرة أذرع، وكانت مغطاة أعلاها وأسفلها إلا باب يدخل منه كل شيء ثم ردمه"[١٩٨٧].

قوله تعالى:{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [هود : ٣٧]، أي:" ولا تشفع في الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم، فإني مهلكهم لا محالة، فإنهم هالكون غرقاً بالطوفان"[١٩٨٨].

قال قتادة:" نهى الله عز وجل نوحا عليه السلام أن يراجعه في أحد"[١٩٨٩].

(١٩٧٤) أخرجه الطبري(١٨١٢٦):ص٣٠٨/١٥.

(١٩٧٥) التفسير الميسر:٢٢٥.

(١٩٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣١):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٠):ص٢٠٢٤/٦.

(١٩٧٨) صفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٤):ص٢٠٢٥/٦.

(١٩٨٠) تفسير عبدالرزاق(١١٩٩):ص١٨٦/٢، وتفسير الطبري(١٨١٣١):ص٣٠٩/١٥.

(١٩٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٣):ص٢٠٢٦/٦.

(١٩٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٢):ص٢٠٢٦/٦.

(١٩٨٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤١):ص٢٠٢٦/٦.

(١٩٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٦):ص٢٠٢٥/٦.

(١٩٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٨):ص٢٠٢٥/٦.

(١٩٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٩):ص٢٠٢٦/٦.

(١٩٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٣٧):ص٢٠٢٥/٦.

(١٩٨٨) صفوة التفاسير:١٢/٢.

(١٩٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٥):ص٢٠٢٦/٦.

قال محمد بن إسحاق:" فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل واستنصر عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا، أي: بعد اليوم إنهم مغرقون"[١٩٩٠].

القرآن

{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨)} [هود : ٣٨]

التفسير:

ويصنع نوح السفينة، وكلَّما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه، قال لهم نوح: إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله، فإنا نسخر منكم غدًا عند الغرق كما تسخرون منا.

قوله تعالى:{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} [هود : ٣٨]، أي:" صنع نوحٌ السفينة كما علّمه ربُّه"[١٩٩١].

قال سليمان القراسي: "عمل نوح السفينة في أربع مائة سنة، وأنبت الساج أربعين سنة، حتى كان طوله أربع مائة ذراع، والذراع إلى المنكب"[١٩٩٢].

عن زيد بن أسلم :"أن نوحا عليه السلام مكث يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ثم مائة يعملها"[١٩٩٣].

قوله تعالى:{وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} [هود : ٣٨]، أي:" كلما مرَّ عليه جماعة من كبراء قومه هزءوا منه وضحكوا"[١٩٩٤].

عن كعب الأحبار :"أنه قال لما استنفذ الله من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين والكافرين أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فاصنع الفلك، قال: يا رب ما أنا بنجار، قال: بلى فإن ذلك بعيني خذ القادوم فجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارا فعملها أربعين سنة"[١٩٩٥].

قوله تعالى:{قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} [هود : ٣٨]، أي:" قال لهم نوح: إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله، فإنا نسخر منكم غدًا عند الغرق كما تسخرون منا"[١٩٩٦].

عن أم عبد الله -يعني: بنت خالد بن مهران، عن أبيها قال:" يقال: الذين يسخرون من الناس في الدنيا ادخلوا الجنة فإذا آتوها ردوا وقيل لهم: سخر بكم كما كنتم تسخرون بالناس في الدنيا"[١٩٩٧].

القرآن

{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩)} [هود : ٣٩]

التفسير:

فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله بذلك: من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يُهينه، وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له؟

قوله تعالى:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [هود : ٣٩]، أي:" فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله بذلك: من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يُهينه"[١٩٩٨].

عن عكرمة، في قوله: "{من يأتيه عذاب يخزيه}، قال: الغرق"[١٩٩٩].

قوله تعالى:{وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [هود : ٣٩]، أي:" وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له"[٢٠٠٠].

(١٩٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٤):ص٢٠٢٦/٦.
(١٩٩١) صفوة التفاسير:١٢/٢.
(١٩٩٢) أخرجه الطبري(١٨١٤٢):ص٣١٧/١٥.
(١٩٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٦):ص٢٠٢٦/٦.
(١٩٩٤) صفوة التفاسير:١٢/٢.
(١٩٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٢٦/٦.
(١٩٩٦) التفسير الميسر: ٢٢٦.
(١٩٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٩):ص٢٠٢٧/٦.
(١٩٩٨) التفسير الميسر: ٢٢٦.
(١٩٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٠):ص٢٠٢٧/٦.
(٢٠٠٠) التفسير الميسر: ٢٢٦.

عن أبي مالك قوله: "{عذاب مقيم}، يعني: دائما لا ينقطع"[٢٠٠١].
عن عكرمة:"{ويحل عليه عذاب مقيم}، قال: جهنم"[٢٠٠٢].

القرآن
{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)} [هود : ٤٠]
التفسير:
حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وَعدْنا نوحًا بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى، واحمل فيها أهل بيتك، إلا مَن سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته، واحمل فيها من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم.
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} [هود : ٤٠]، أي:" حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وَعدْنا نوحًا بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب"[٢٠٠٣].
قال مطرف بن عبد الله بن الشخير:" كانت علامة بينه وبين ربه إذا رأيت التنور يفور بالماء فـ {احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}"[٢٠٠٤].
وفي قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [هود : ٤٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن المراد: وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض: تَنُّوراً ، قاله عكرمة[٢٠٠٥].
وقيل لنوح عليه السلام : « إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن اتبعك قال: العرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض»[٢٠٠٦].
الثاني : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله محمد بن علي[٢٠٠٧]،والشعبي[٢٠٠٨]، ومجاهد[٢٠٠٩].
الثالث : أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة[٢٠١٠].
عن قتادة قوله: "{وفار التنور}، قال: فيفور التنور علم بين نوح وربه والتنور أشرف الأرض وأعلاها عين بالجزيرة عين الوردة"[٢٠١١].
الرابع : أنه التنور الذي يخبز فيه ، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد[٢٠١٢].
قال عطاء:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[٢٠١٣].
وأولى هذه الأقوال قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به[٢٠١٤].

(٢٠٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥١):ص٢٠٢٨/٦.
(٢٠٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٢):ص٢٠٢٨/٦.
(٢٠٠٣) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٣):ص٢٠٢٨/٦.
(٢٠٠٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم٢٠٢٩/٦. قال ابن أبي حاتم:" وروي، عن عكرمة، أنه قال وجه الأرض".
(٢٠٠٦) هذا كلام ابن عباس، انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٨):ص٢٠٢٨/٦.
(٢٠٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٦):ص٢٠٢٨/٦.
(٢٠٠٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٠٠٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٠١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.
(٢٠١١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.
(٢٠١٢) انظر: تفسير الطبري(١٨١٥٦)-(١٨١٦٠):ص٣٢٠/١٥، وحكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٨/٣.
(٢٠١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦.
(٢٠١٤) تفسير الطبري:٣٢١/١٥.

قوله تعالى:{قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [هود : ٤٠]، أي:" قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى"[٢٠١٥].

عن مجاهد قوله: "{من كل زوجين اثنين}، ذكر وأنثى من كل صنف"[٢٠١٦].

عن عكرمة، في قوله: "{احمل فيها من كل زوجين اثنين}، خلقته ذكرا وأنثى، قال: الذكر زوج، والأنثى زوج"[٢٠١٧].

عن عبد الله ابن مسلم بن يسار، عن أبيه:"{من كل زوجين اثنين}، قال: أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه من كل زوجين اثنين وملك معه، فجعل يقبض زوجا زوجا وبقي العنب، فجاء إبليس فقال: هذا كله لي، فنظر نوح إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، فقال: لي النصف وله النصف، قال إبليس: هذا كله لي، فنظر إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، قال: نعم، لي الثلث وله الثلثان، قال أخفت وأنت بحساب أنك تأكله عنبا وتأكله ذبيبا وتشربه عصيرا ثلاثة أيام، قال: مسلم: فكانوا يرون أنه إذا شربه كذلك فليس للشيطان فيه نصيب"[٢٠١٨].

عن مبارك قال: "سمعت بكرا يقول: لما حمل نوح الأسد في السفينة اشتهى اللحم فزاد مخافة أهل السفينة فشكوا ذلك إلى نوح فدعا عليه فألقيت عليه الحمى فمر به نوح"[٢٠١٩].

عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمأن أو تطمئن المواشي ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة فتخبأت الفارة منها"[٢٠٢٠].

قوله تعالى:{وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود : ٤٠]، أي:" واحمل فيها أهل بيتك، إلا مَن سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته"[٢٠٢١].

عن قتادة، قوله :"{وأهلك إلا من سبق عليه القول}: إنه مغرق"[٢٠٢٢].

قوله تعالى:{وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود : ٤٠]، أي:" واحمل فيها من آمن معك من قومك، وما آمن بنوح إلا نزرٌ يسير مع طول إقامته بينهم"[٢٠٢٣].

عن الحكم :"{ومن آمن وما آمن معه إلا قليل}، قال: كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كنانيه"[٢٠٢٤].

واختلف في عددهم على أقوال:

أحدها : ثمانين ، قاله ابن جريج[٢٠٢٥]، وزيد بن اسلم[٢٠٢٦].

عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه :"أنه كان مع نوح يوم أغرق قومه ثمانون من أهل الإيمان"[٢٠٢٧].

الثاني : اثنان وسبعون، قال كعب الأحبار :"والمؤمنون يومئذ اثنان وسبعون فأرسل الله الماء من السماء وفتح الأرض"[٢٠٢٨].

الثالث: سبعة ، قاله الأعمش[٢٠٢٩]، ومطر[٢٠٣٠].

(٢٠١٥) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٧):ص٢٠٣٠/٦.
(٢٠١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٦):ص٢٠٣٠/٦.
(٢٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٨):ص٢٠٣٠/٦.
(٢٠١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٠):ص٢٠٣٠/٦.
(٢٠٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧١):ص٢٠٣١/٦.
(٢٠٢١) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٥):ص٢٠٣١/٦.
(٢٠٢٣) صفوة التفاسير:١٣/٢.
(٢٠٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٧):ص٢٠٣١/٦.
(٢٠٢٥) انظر: النكت والعيون:٤٧٢/٢.
(٢٠٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٧٩):ص٢٠٣٢/٦.
(٢٠٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٩):ص٢٠٣٢/٦.
(٢٠٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٨):ص٢٠٣٢/٦.
(٢٠٢٩) انظر: النكت والعيون:٤٧٢/٢.
(٢٠٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٣١/٦.

قال مطر:" كان نوح في السفينة سبعة نوح وثلاثة أولاده وكنانيه ثلاثة"[٢٠٣١].
الرابع: ثمانية، قال قتادة:" ذكر لنا أنه لم ينج ممن في السفينة إلا نوح وثلاثة بنين له ونساؤهم فجمعهم ثمانية"[٢٠٣٢].
قال محمد بن عباد بن جعفر : " فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح أن يغير لطفته فجاء السودان"[٢٠٣٣] .

القرآن
{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)} [هود : ٤١]
التفسير:
وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورُسوُّها. إن ربي لَغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.
قوله تعالى:{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} [هود : ٤١]، أي:" وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورُسوُّها"[٢٠٣٤].
عن مجاهد: "{بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا}، قال: حين يركبون ويجرون ويرسون"[٢٠٣٥].
قال الضحاك:" إذا أراد أن ترسي قال: "بسم الله " فأرست، وإذا أراد أن تجري قال "بسم الله " فجرت"[٢٠٣٦].
قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود : ٤١]، أي:" إن ربي لغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة"[٢٠٣٧].
عن سعيد، بن جبير، قوله: "{لغفور رحيم}، لما كان منهم في الشرك، {رحيم} بهم بعد التوبة"[٢٠٣٨].
عن سعيد بن جبير قال: "إذا ركبت في السفينة يذكر نعمة الله وإن شاء قال كما قال نوح صلى الله عليه وسلم {بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم}، فمن ركب دابة لم يذكر اسم الله جاء الشيطان فيقول تغنى فإن لم يتغنى يقول له: تمشى"[٢٠٣٩].
عن توبة أبي سالم قال: "رأيت رزين بن حبيش يصلي في الزاوية حين تدخل من أبواب كندة عن يمينك، فسألته إنك لكثير الصلاة يوم الجمعة، قال: بلغني أن سفينة نوح أرسيت من هاهنا"[٢٠٤٠].
عن الثوري، عن غير واحد، عن الشعبي: " أن النبي صلى الله عليه وسلم: كتب أول ما كتب باسمك اللهم , حتى نزلت: {بسم الله مجراها ومرساها} [هود: ٤١] , فكتب بسم الله , حتى نزلت {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} [الإسراء: ١١٠] فكتب: بسم الله الرحمن , حتى نزلت: {إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم} [النمل: ٣٠] فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم "[٢٠٤١].

القرآن
{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)} [هود : ٤٢]
التفسير:

(٢٠٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٣١/٦.
(٢٠٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٣):ص٢٠٣١/٦.
(٢٠٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨١):٢٠٣٢/٦.
(٢٠٣٤) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٣٥) أخرجه الطبري(١٨١٨٣):ص٣٣٠/١٥.
(٢٠٣٦) أخرجه الطبري(١٨١٨٦):ص٣٣٠/١٥.
(٢٠٣٧) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٠):ص٢٠٣٤/٦.
(٢٠٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨٨):ص٢٠٣٣/٦.
(٢٠٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨٩):ص٢٠٣٣/٦.
(٢٠٤١) تفسير عبدالرزاق(٢١٥٨):ص٤٧٦/٢.

وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه -وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسه عن المؤمنين- فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق.

قوله تعالى:{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ} [هود : ٤٢]، أي:" وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها"(٢٠٤٢).

عن أبي سهل، عن تبيع أنه قال :"لما استنقذ من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين والكافرين أوحى الله عز وجل إلى نوح أن لو كنت أريد أن أرحم من قومك أحدا إذا لرحمت المرأة وولدها، فهاجت به الفلك ما بين المشرق والمغرب فمرت بالطور فنقرت على الجبل"(٢٠٤٣).

قوله تعالى:{وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ} [هود : ٤٢]، أي:" ونادى نوح ابنه -وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسه عن المؤمنين-"(٢٠٤٤).

عن محمد بن علي: "{ونادى نوح ابنه}، قال: يعني بلغة طيئ: ابن امرأته"(٢٠٤٥).

عن الحسن، قال: "ليس بابنه"(٢٠٤٦).

عن ثابت بن الحجاج الكلابي، في قول الله: "{ونادى نوح ابنه}، قال: ولد على فراشه"(٢٠٤٧).

وعن مجاهد قال: "كل نبي أبو أمته"(٢٠٤٨).

عن قتادة: "كان اسم ابن نوح الذي غرق: كنعان"(٢٠٤٩).

وقرأ السدى: «ونادى نوح ابناه»، على الندبة والترثى. أى: قال يا ابناه(٢٠٥٠).

قوله تعالى:{يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]، أي:" فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق"(٢٠٥١).

قال السدي:" نادى نوح الغلام وكان قد ولد على فراشه وكان نوح ظن أنه ابنه فناداه نوح :{يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين}، ولا يعلم نوح إلا أنه ابنه وكان ولده وكان كافرا"(٢٠٥٢).

القرآن

{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)} [هود : ٤٣]

التفسير:

قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أتحصَّن به من الماء، فيمنعني من الغرق، فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا مَن رحمه الله تعالى، فآمِنْ واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين.

قوله تعالى:{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} [هود : ٤٣]، أي:" قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أتحصَّن به من الماء، فيمنعني من الغرق"(٢٠٥٣).

عن عطاء الخراساني:" {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}، يقول: الجبل يعصمني"(٢٠٥٤).

عن ابن إسحاق:" إذا كان فظن أن ذلك لما كان يكون"(٢٠٥٥).

(٢٠٤٢) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩١):ص٢٠٣٤/٦.
(٢٠٤٤) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٤):ص٢٠٣٤/٦.
(٢٠٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٥):ص٢٠٣٤/٦.
(٢٠٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٦):ص٢٠٣٤/٦.
(٢٠٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٧):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٨):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٥٠) انظر: الكشاف:٣٩٦/٢.
(٢٠٥١) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٩):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٥٣) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٠٠):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٠٠):ص٢٠٣٥/٦.

قوله تعالى:{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود : ٤٣]، أي:" فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا مَن رحمه الله تعالى"[٢٠٥٦].

قال عكرمة:" لا ناج إلا أهل السفينة"[٢٠٥٧].

قال السدي:" فقال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، ففتح الله عليه السماء"[٢٠٥٨].

قوله تعالى:{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود : ٤٣]، أي:" وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين"[٢٠٥٩].

قال الطبري:" يقول: وحال بين نوح وابنه موج الماء فغرق، فكان ممن أهلكه بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم"[٢٠٦٠].

عن القسم بن أبي مرة :"{وحال بينهما الموج}، قال: بين نوح وبين الجبل"[٢٠٦١].

عن عون بن أبي شراد، قال: "غرق الماء الجبال فوقها ثمانين ميلا"[٢٠٦٢].

عن مجاهد:" قال لما أصاب قوم نوح الغرق، قال: قام الماء على رأس كل جبل خمسة عشرة رأسا قال: أصاب الغرق امرأة فيمن أصاب لها صبي فوضعته على صدرها فلما بلغها الماء وضعته على منكبيها فلما بلغها الماء وضعته على يديها، قال: فقال تبارك وتعالى: لو رحمت أحدا من أهل الأرض لرحمتها"[٢٠٦٣].

القرآن

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)} [هود : ٤٤]

التفسير:

وقال الله للأرض -بعد هلاك قوم نوح-: يا أرض اشربي ماءك، ويا سماء أمسكي عن المطر، ونقص الماء ونضب، وقُضي أمر الله بهلاك قوم نوح، ورست السفينة على جبل الجوديِّ، وقيل: هلاكًا وبعدًا للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به.

قوله تعالى:{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} [هود : ٤٤]، أي:" وقال الله للأرض -بعد هلاك قوم نوح-: يا أرض اشربي ماءك"[٢٠٦٤].

قال قتادة:" ابلعي ما كان عليك"[٢٠٦٥].

عن وهب بن منبه :"{وقيل يا أرض ابلعي ماءك}، يقول بالحبشية: ازرديه"[٢٠٦٦].

قوله تعالى:{وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود : ٤٤]، أي:" ويا سماء أمسكي عن المطر"[٢٠٦٧].

عن ابن عباس:"{ويا سماء أقلعي}، يقول: اسكني"[٢٠٦٨]. وروي عن قتادة، نحو ذلك[٢٠٦٩].

قوله تعالى:{وَغِيضَ الْمَاءُ} [هود : ٤٤]، أي:" ونقص الماء ونضب"[٢٠٧٠].

قال مجاهد:" نقص وروي"[٢٠٧١]. وروي عن عطاء الخراساني مثله[٢٠٧٢].

(٢٠٥٦) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٠٢):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٠٣):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٥٩) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٦٠) تفسير الطبري: ٣٣١/١٥.
(٢٠٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٠٤):ص٢٠٣٥/٦.
(٢٠٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٠٦):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٠٥):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٦٤) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٠٩):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٠٨):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٦٧) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٠):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٣٦/٦.
(٢٠٧٠) التفسير الميسر:٢٢٦.

قال ابن عباس:" ذهب الماء"[٢٠٧٣]. وروي عن قتادة نحو ذلك[٢٠٧٤].
قوله تعالى:{وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [هود : ٤٤]، أي:" وقُضي أمر الله بهلاك قوم نوح"[٢٠٧٥].
قال مجاهد: "هلك قوم نوح"[٢٠٧٦].
قوله تعالى:{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود : ٤٤]، أي:" ورست السفينة على جبل الجوديِّ"[٢٠٧٧].
قال الضحاك:" وأما قوله: الجودي فجبل بالموصل"[٢٠٧٨].
قال قتادة:" فاستقرت على الجودي شهرا"[٢٠٧٩].
قال قتادة:" أبقاها الله من أرض الجزيرة عبروا به حتى رآها أوائل هذه الآية: وكم من سفينة قد كانت بعدها، فهلكت بعدها وصارت رمزا"[٢٠٨٠].
قال مجاهد:" الجودي: جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح"[٢٠٨١].
عن عمر بن هاني العيسى:" أنه حدثه أن شيوخا من عبس أنهم حدثوه إنهم لما كانوا بصفين أتوا الجودي ينظرون إلى موضع السفينة فيه"[٢٠٨٢].
قال وهب بن منبه: "إن نوحا عليه السلام لما ركب في السفينة فلما أتى الجودي وهو جبل بالجزيرة أرست عليه فأصاب جؤجؤها الجبل فأرست فكشفنا غطاءها فطلعت الشمس فبعث الغراب والحمامة يأتيانه بالخبر فأتته الحمامة بمقدار من الماء إلى ركبتيها فدعا لها قال: فتلك الحمرة في رجليها من ذلك قال واحتبس الغراب على جيفة يأكل منها ثم أخذ نوح من قضبان كان في السفينة من العنب فأغرس فنبت وأثمر ونضج من ساعته فعصر منه فشرب ثم نام في الشمس فتكشف وأتيا سام ويافث بشيء يستران عليه، وضحك حام ومشيا القهقري على أدبارهما فانتبه نوح من نومه فأوحي إليه ما كان من أمرهما فدعا لسام ويافث أن يكون النبوة والعز في أولادهما ودعا أن يكون السواد والعبودة في ولد حام"[٢٠٨٣].

القرآن

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)} [هود : ٤٥]

التفسير:

ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعَدْتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي، وإن وعدك الحق الذي لا خُلْف فيه، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم.

قوله تعالى:{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود : ٤٥]، أي:" ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعَدْتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي"[٢٠٨٤].
قال الحسن:" وإنك قد وعدتني أن تنجي لي أهلي وإن ابني من أهلي"[٢٠٨٥].
قال عاصم الجحدري:" كان ابن عباس يحلف بالله إنه لابنه"[٢٠٨٦].

(٢٠٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٢):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٣٧/٦.
(٢٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١١):ص٢٠٣٦/٦.
(٢٠٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٣٦/٦.
(٢٠٧٥) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٣):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٧٧) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٨):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٤):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٦):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٥):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١٧):ص٢٠٣٧/٦.
(٢٠٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٢٠):ص٢٠٣٨/٦.
(٢٠٨٤) التفسير الميسر:٢٢٦.
(٢٠٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٢١):ص٢٠٣٨/٦.
(٢٠٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٢٢):ص٢٠٣٨/٦.

القرآن

{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)} [هود : ٤٦]

التفسير:

قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم; وذلك بسبب كفره، وعمله عملا غير صالح، وإني أنهاك أن تسألني أمرًا لا علم لك به، إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك.

قوله تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود : ٤٦]، أي:" قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم"(٢٠٨٧).

وفي كونه ابن النبي نوح-عليه السلام- أقوال:

أحدها : أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغيره رشدة ، قاله الحسن(٢٠٨٨)، ومجاهد(٢٠٨٩)، وابن جريج(٢٠٩٠).

قال عبيد بن عمير: "نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم "الولد للفراش"، من أجل ابن نوح"(٢٠٩١).

عن قتادة قال: "كنت عند الحسن فقال: "نادى نوح ابنه"، لعمْر الله ما هو ابنه! قال: قلت: يا أبا سعيد يقول: {ونادى نوح ابنه}، وتقول: ليس بابنه؟ قال: أفرأيت قوله: {إنه ليس من أهلك}؟ قال: قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه. قال: إن أهل الكتاب يكذبون"(٢٠٩٢).

عن قتادة، قال: "سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: {إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه. ثم قرأ هذه الآية: {فَخَانَتَاهُمَا}، [التحريم: ١٠]، قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف! "(٢٠٩٣).

الثاني : أنه ابن امرأته. رواه جابر عن أبي جعفر(٢٠٩٤).

قال أبو جعفر:" لو كان من أهله لنجا"(٢٠٩٥).

وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازا ، لكونه كان ربيبًا عنده(٢٠٩٦).

الثالث : أنه كان ابنه ، قاله مجاهد(٢٠٩٧)، وعكرمة(٢٠٩٨)، وسعيد بن جبير(٢٠٩٩)، والضحاك(٢١٠٠)، وميمون(٢١٠١)، وثابت بن الحجاج(٢١٠٢).

قال الضحاك:" هو والله ابنه لصُلْبه"(٢١٠٣).

(٢٠٨٧)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢٠٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٠٨)، و(١٨٢١٠):ص٣٤٠/١٥.

(٢٠٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٢١٥)-(١٨٢١٨):ص٣٤١/١٥-٣٤٢.

(٢٠٩٠) انظر: تفسير الطبري:٣٤٢/١٥.

(٢٠٩١) أخرجه الطبري(١٨٢٢٠):ص٣٤٢/١٥.

(٢٠٩٢) أخرجه الطبري(١٨٢١٣):ص٣٤١/١٥.

(٢٠٩٣) أخرجه الطبري(١٨٢١٤):ص٣٤١/١٥.

(٢٠٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٠٩):ص٣٤٠/١٥.

(٢٠٩٥) أخرجه الطبري(١٨٢١٩):ص٣٤٢/١٥.

(٢٠٩٦) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٤.

(٢٠٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٤):ص٣٤٥/١٥.

(٢٠٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٦):ص٣٤٣/١٥.

(٢٠٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٧)، و(١٨٢٢٨):ص٣٤٣/١٥-٣٤٤.

(٢١٠٠)انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٥):ص٣٤٥/١٥ .

(٢١٠١)انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤١):ص٣٤٦/١٥ .

(٢١٠٢)انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤١):ص٣٤٦/١٥ .

(٢١٠٣) أخرجه الطبري(١٨٢٣٧):ص٣٤٥/١٥.

قال بزيع: "سأل رجل الضحاك عن ابن نوح، فقال: ألا تعجبون إلى هذا الأحمق! يسألني عن ابن نوح، وهو ابن نوح كما قال الله: {قال نوح لابنه}"[٢١٠٤].

قال عكرمة:" كان ابنه، ولكن كان مخالفًا له في النية والعمل، فمن ثم قيل له: {إنه ليس من أهلك}"[٢١٠٥].

وقال عكرمة:" أشهد أنه ابنه، قال الله: {ونادى نوح ابنه}"[٢١٠٦].

عن سليمان بن قتة، قال: "سمعت ابن عباس يُسْأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا}، [سورة التحريم: ١٠] ، قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل، على الأضياف. ثم قرأ: {إنه عملٌ خير صالح} ،قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدُّهني: أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال: كانَ ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال: {ونادى نوح ابنه} ، قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرَأة نبيٍّ قط"[٢١٠٧].

عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير: "أنه جاء إليه رجل فسأله. فقال: أرأيتك ابن نُوح أبنه؟ فسبَّحَ طويلا ثم قال: لا إله إلا الله، يحدِّث الله محمدًا: {ونادى نوح ابنه} وتقول ليس منه؟ ولكن خالفه في العمل، فليس منه من لم يؤمن"[٢١٠٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود : ٤٦]، وجهان:

أحدهما : ليس من أهل دينك وولايتك ، حكاه الماوردي عن الجمهور[٢١٠٩].

الثاني : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، قاله سعيد بن جبير[٢١١٠]، وأبو بشر[٢١١١].

قال الضحاك:"يقول: ليس هو من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجى من أهلك، {إنه عمل غير صالح}، قال: يقول كان عمله في شرك"[٢١١٢].

والقوال الثاني في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه ، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رمَوا أم المؤمنين عائشة بنتَ الصدّيق زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ؛ ولهذا قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } إلى قوله { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور : ١١ - ١٥][٢١١٣]، فالصواب" قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفًا، وبي كافرًا وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه فقال: {ونادى نوح ابنه} ، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: {إنه ليس من أهلك}، دلالةٌ على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله: {ليس من أهلك}، محتملا من المعنى ما ذكرنا، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف "الدين" فيقال: {إنه ليس من أهلك} ، كما قيل: {واسأل القرية التي كنا فيها} ، [سورة يوسف: ٨٢][٢١١٤].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} [هود : ٤٦]، أي:" إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح"[٢١١٥].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} [هود : ٤٦]، وجوه:

أحدها : أن مسألتك إياي أن أنجيه عمل غير صالح ، قاله قتادة[٢١١٦]، وإبراهيم[٢١١٧]، وهو تأويل من قرأ «عملٌ غير صالح» بالتنوين.

(٢١٠٤)انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٥):ص٣٤٥/١٥ .
(٢١٠٥) أخرجه الطبري(١٨٢٢٦):ص٣٤٣/١٥.
(٢١٠٦) أخرجه الطبري(١٨٢٣٣):ص٣٤٤/١٥-٣٤٥.
(٢١٠٧) أخرجه الطبري(١٨٢٢٧):ص٣٤٣/١٥-٣٤٤.
(٢١٠٨) أخرجه الطبري(١٨٢٣٢):ص٣٤٤/١٥.
(٢١٠٩) انظر: النكت والعيون:٤٧٦/٢.
(٢١١٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٠):ص٣٤٤/١٥.
(٢١١١) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٠):ص٣٤٤/١٥.
(٢١١٢) أخرجه الطبري(١٨٢٣٦):ص٣٤٥/١٥.
(٢١١٣) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٤.
(٢١١٤) تفسير الطبري:٣٤٦/١٥.
(٢١١٥) تفسير الطبري:٣٤٦/١٥.

وروي عن مجاهد:" سؤالك إياي، عمل غير صالح"[٢١١٨].
الثاني : معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ ، أي: أنه لغير رشدة ، قاله الحسن[٢١١٩].
قال الحسن:" ما هو والله بابنه"[٢١٢٠].
والمعنى: إن سؤالك إياي ما تسألنيه في أبنك -المخالفِ دينَك، الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك: {لا تَذَر على الأرض مع الكافرين ديَّارًا}، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم- عملٌ غير صالح، لأنَّه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح[٢١٢١].
قوله تعالى:{فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [هود : ٤٦]، أي:" وإني أنهاك أن تسألني أمرًا لا علم لك به"[٢١٢٢].
عن مجاهد:"{فلا تسئلن ما ليس لك به علم}، قال الله لنوح إنه ليس بابنه"[٢١٢٣].
قوله تعالى:{إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦]، أي:" إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك"[٢١٢٤].
قال ابن زيد:" أأن تبلغ بك الجهالة لا في لك بوعد وعدتك حتى تسئلن ما ليس لك به علم ... قال: فإنها خطيئة"[٢١٢٥].

القرآن

{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)} [هود : ٤٧]

التفسير:

قال نوح: يا رب إني أعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.
قوله تعالى:{وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود : ٤٧]، أي:" وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا"[٢١٢٦].
عن عمر بن عبد العزيز:" في زحف كان في ولاية: أما بعد فإنه بلغني أن هذا الزحف شيء يعاقب الله به خلقه فقولوا كما قال نوح: {وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}"[٢١٢٧].

القرآن

{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)} [هود : ٤٨]

التفسير:

قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منَّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك. وهناك أمم وجماعات من أهل الشقاء سنمتعهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجع يوم القيامة.

(٢١١٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٢):ص٣٤٧/١٥.
(٢١١٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٣):ص٣٤٧/١٥.
(٢١١٨) أخرجه الطبري(١٨٢٤٥):ص٣٤٧/١٥.
(٢١١٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٦):ص٣٤٧/١٥.
(٢١٢٠) أخرجه الطبري(١٨٢٤٦):ص٣٤٧/١٥.
(٢١٢١) تفسير الطبري:٣٥٠/١٥.
(٢١٢٢)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٣٠):ص٢٠٤٠/٦.
(٢١٢٤)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٣١):ص٢٠٤٠/٦، والطبري(١٨٢٤٩):ص٣٥٠/١٥. [مختصرا]
(٢١٢٦)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٣٢):ص٢٠٤٠/٦.

قوله تعالى:{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود : ٤٨]، أي:" قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منَّا"[٢١٢٨].

قال قتادة:" هبط إلى الأرض يوم عاشوراء وصام نوح ومن معه من المغرب إلى المغرب"[٢١٢٩].

قوله تعالى:{وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ} [هود : ٤٨]، أي:" وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة"[٢١٣٠].

قال محمد بن كعب:" فما بقي مؤمن ولا مؤمنة إلا دخل في ذلك السلام وفي تلك البركات إلى يوم القيامة"[٢١٣١].

قال الضحاك:"{أمما ممن معك}، يعني: ممن لم يولد، قد مضى لمن سبق كلام الله السعادة وأما من سبق له في قضاء الله وكلمته الشقوة، فيمتعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ"[٢١٣٢].

قال الحسن:" نجى الله نوحا والذين آمنوا معه وأهلك المتمنعين ثم استقرا الأنبياء هود وشعيب وصالح فأنجاهم وأهلك المتمنعين"[٢١٣٣].

قوله تعالى:{وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]، أي:" هناك أمم وجماعات من أهل الشقاء سنمتعهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجع يوم القيامة"[٢١٣٤].

عن الضحاك، قوله:"{ثم يمسهم منا عذاب أليم}، لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة"[٢١٣٥].

عن الضحاك، في قوله: "{وأمم سنمتعهم}، يعني: متاع الحياة الدنيا"[٢١٣٦].

قال السدي:" هؤلاء الأمم من أبناء من كان في السفينة مثل عاد وثمود وتلك القرون"[٢١٣٧].

قال الحسن:" فما زال الله يأخذ لنا بسهمنا وحفظنا ويذكرنا من حيث لا نذكر أنفسنا كلما هلكت أمة خلصنا في أصلاب من نجوا بلطفه حتى جعلنا في خير أمة أخرجت للناس"[٢١٣٨].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢١٣٩]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢١٤٠].

القرآن

{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)} [هود : ٤٩]

التفسير:

تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب السالفة، نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك مِن قبل هذا البيان، فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله.

قوله تعالى:{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ} [هود : ٤٩]، أي:" تلك القصة التي قصصناها عليك - أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب السالفة، نوحيها إليك"[٢١٤١].

(٢١٢٨)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٣):ص٢٠٤٠/٦.
(٢١٣٠) صفوة التفاسير:١٤/٢.
(٢١٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٨):ص٢٠٤١/٦.
(٢١٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٧):ص٢٠٤٠/٦.
(٢١٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٩):ص٢٠٤١/٦.
(٢١٣٤)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٥):ص٢٠٤٢/٦.
(٢١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٠):ص٢٠٤٢/٦.
(٢١٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤١):ص٢٠٤٢/٦.
(٢١٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٣):ص٢٠٤٢/٦.
(٢١٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢١٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢١٤١)التفسير الميسر:٢٢٧.

عن السدي، قال: "ثم رجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال: {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك}"[٢١٤٢].

عن أبي مالك قوله: "{تلك}، يعني: هذه، {أنباء}، يعني: أحاديث"[٢١٤٣].

قوله تعالى:{مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود : ٤٩]، أي:" ما كنت تعلم تلك القصة أنت ولا قومك مِن قبل هذا البيان"[٢١٤٤].

عن أبي عبد الرحمن السلمي: "{ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا}، قال: هذا الذي قصصت عليك"[٢١٤٥].

عن السدي، قوله: "{ما كنت تعلمها أنت ولا قومك}، يعني: العرب"[٢١٤٦].

قال قتادة:" أي: ما علم محمد صلى الله عليه وسلم قومه بما صنع نوح قومه لولا بيان الله عز وجل"[٢١٤٧].

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود : ٤٩]، أي:" فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله"[٢١٤٨].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٢١٤٩].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٢١٥٠].

القرآن

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)} [هود : ٥٠]

التفسير:

وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، فما أنتم إلا كاذبون في إشراككم بالله.

قوله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [هود : ٥٠]، أي:" وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا"[٢١٥١].

قال السدي:" إن عادا كانوا باليمن والأحقاف هي الرمال فأتاهم فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"[٢١٥٢].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود : ٥٠]، أي:" قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[٢١٥٣].

عن محمد بن إسحاق:"وكان من حديث عاد فيها بلغني والله أعلم أنهم كانوا قوما عربا فبعث الله إليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله عز وجل"[٢١٥٤].

القرآن

{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١)} [هود : ٥١]

التفسير:

(٢١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٤٩):ص٢٠٤٣/٦.

(٢١٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٤٨):ص٢٠٤٣/٦.

(٢١٤٤)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٥٠):ص٢٠٤٣/٦.

(٢١٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٥٢):ص٢٠٤٣/٦.

(٢١٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٥١):ص٢٠٤٣/٦.

(٢١٤٨)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٤٩) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٢١٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٢١٥١)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٥):ص٢٠٤٤/٦.

(٢١٥٣)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٦):ص٢٠٤٤/٦.

يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجرًا، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقني، أفلا تعقلون فتميِّزوا بين الحق والباطل؟

قوله تعالى:{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [هود : ٥١]، أي:" يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجرًا"(٢١٥٥).

قال عطاء بن دينار:" لا أسئلكم على ما جئتكم به أجرا"(٢١٥٦).

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي} [هود : ٥١]، أي:" ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقني"(٢١٥٧).

قال قتادة:" {فطرني}، أي: خلقني"(٢١٥٨).

القرآن

{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)} [هود : ٥٢]

التفسير:

ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم، ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرِّين على إجرامكم.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٥٢]، أي:" ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم"(٢١٥٩).

قال الشعبي:" خرج عمر بن الخطاب يستغفر فما زاد على الاستغفار حتى رجع، قالوا: ما رأيناك استسقيت قال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ: {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم}"(٢١٦٠).

قوله تعالى:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [هود : ٥٢]، أي:" فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم"(٢١٦١).

عن هارون التيمي في قوله: "{يرسل السماء عليكم مدرارا}، قال: المطر"(٢١٦٢).

قوله تعالى:{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود : ٥٢]، أي:" ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم"(٢١٦٣).

وفي قوله تعالى:{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود : ٥٢] وجوه:

أحدها : يعني: شدة إلى شدتك ، قاله مجاهد(٢١٦٤).

الثاني : خصباً إلى خصبكم ، قاله الضحاك(٢١٦٥).

الثالث : أنه ولد الولد ، قاله عكرمة(٢١٦٦).

القرآن

{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)} [هود : ٥٣]

(٢١٥٥)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٨):ص٢٠٤٤/٦.

(٢١٥٧)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٩):ص٢٠٤٤/٦.

(٢١٥٩)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٠):ص٢٠٤٥/٦.

(٢١٦١)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦١):ص٢٠٤٥/٦.

(٢١٦٣)التفسير الميسر:٢٢٧.

(٢١٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٦٤):ص٢٠٤٥/٦.

(٢١٦٥) انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.

(٢١٦٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٦٦):ص٢٠٤٥/٦.

التفسير:
قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدِّقين لك فيما تدَّعيه.

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هود : ٥٣]، أي:" وما نحن بمصدِّقين لك فيما تدَّعيه"(٢١٦٧).

عن سعيد، بن جبير قوله: "{بمؤمنين}، قال: بمصدقين"(٢١٦٨).

القرآن

{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤)} [هود : ٥٤]

التفسير:
ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها. قال لهم: إني أُشهد الله على ما أقول، وأُشهدكم على أنني بريء مما تشركون.

قوله تعالى:{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود : ٥٤]، أي:" ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها"(٢١٦٩).

قال الضحاك:" يقولون: نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء، ولا نحب أن تعتريك، يقولون: يصيبك منها سوء"(٢١٧٠).

عن مجاهد: "{اعتراك بعض آلهتنا بسوء}، قال: أصابتك الأوثان بجنون"(٢١٧١).

عن قتادة قوله: "{إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء}، قال: إنما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء"(٢١٧٢).

القرآن

{مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥)} [هود : ٥٥]

التفسير:
مِن دون الله من الأنداد والأصنام، فانظروا واجتهدوا أنتم ومَن زعمتم من آلهتكم في إلحاق الضرر بي، ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين.

قوله تعالى:{فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} [هود : ٥٥]، أي:" فانظروا واجتهدوا أنتم ومَن زعمتم من آلهتكم في إلحاق الضرر بي، ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين"(٢١٧٣).

عن ابن إسحاق، قوله: "{فكيدوني جميعا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ}، أي: فكيدوني أنتم ومن معكم جميعا"(٢١٧٤).

عن محمد بن مهاجر قال: "كان عمر جالسا وهو يشق عليه الجلوس فكان متكئا وعنده يومئذ سعيد، بن خالد، وعنبسة بن سعيد، وأناس من بني عمه، فقال: يا بني عم أسألكم صنع أما لكم كذا؟ قالوا بلى. قال سعيد بن خالد،:وكانت فيه أعرابية والله إنك لتريد أمرا لا تناله حتى تنال السماء، قال: فاستوى قاعدا، ثم قال: {فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون}، قال: فقال عنبسة بن سعيد، يا أمير المؤمنين أما لنا قرابة أما لنا حق، قال: بلى ولكني والله ما لكم فيه إلا كالرجل في حضرموت راعي غنم، قال: فلما سمعوها افترقوا ولحقوا بمنازلهم"(٢١٧٥).

(٢١٦٧)التفسير الميسر:٢٢٧.
(٢١٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٧):ص٢٠٤٦/٦.
(٢١٦٩)التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٦):ص٣٦٢/١٥.
(٢١٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٦٧):ص٣٦١/١٥.
(٢١٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٤):ص٣٦٢/١٥.
(٢١٧٣)التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٢):ص٢٠٤٧/٦.
(٢١٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧١):ص٢٠٤٦/٦.

القرآن

{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)} [هود : ٥٦]

التفسير:

إني توكلت على الله ربي وربكم مالك كل شيء والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا بأمره، وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء يدِبُّ على هذه الأرض إلا والله مالكه، وهو في سلطانه وتصرفه. إن ربي على صراط مستقيم، أي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قوله تعالى:{مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود : ٥٦]، أي:" فليس من شيء يدِبُّ على هذه الأرض إلا والله مالكه، وهو في سلطانه وتصرفه"[٢١٧٦].

لذل"[٢١٧٧].

عن صفوان بن عمرو، عن يفع بن عبد الكلاعي:" أنه قال في قوله: {ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم}، قال: فيأخذ بنواصي عباده فيلين للمؤمن حتى يكون لهم ألين من الوالد بولده، ويقال للكافر: ما غرك بربك الكريم"[٢١٧٨].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود : ٥٦]، أي:" إن ربي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"[٢١٧٩].

عن مجاهد: "{إن ربي على صراط مستقيم}، الحقّ"[٢١٨٠].

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)} [هود : ٥٧]

التفسير:

فإن تُعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون لله العبادة، ولا تضرونه شيئًا، إن ربي على كل شيء حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [هود : ٥٧]، أي:" فإن تُعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له"[٢١٨١].

عن محمد بن إسحاق: قوله: "{وإن يتولوا}، قال: على كفرهم"[٢١٨٢].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)} [هود : ٥٨]

التفسير:

ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نجَّينا منه هودًا والمؤمنين بفضل منَّا عليهم ورحمة، ونجَّيناهم من عذاب شديد أحله الله بعادٍ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم.

قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [هود : ٥٨]، أي:" ونجَّيناهم من عذاب شديد أحله الله بعادٍ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم"[٢١٨٣].

عن أبي مالك قوله: "{غليظا}، يعني: شديدا"[٢١٨٤].

(٢١٧٦)التفسير الميسر:٢٢٨.

(٢١٧٧) تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

(٢١٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.

(٢١٧٩)التفسير الميسر:٢٢٨.

(٢١٨٠)أخرجه الطبري(١٨٢٧٨):ص٣٦٤/١٥ .

(٢١٨١)التفسير الميسر:٢٢٨.

(٢١٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٤):ص١٨٤٦/٦.

(٢١٨٣)التفسير الميسر:٢٢٨.

القرآن

{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)} [هود : ٥٩]

التفسير:

وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصَوا رسله، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُذْعن له.

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود : ٥٩]، أي:" وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُذْعن له"(٢١٨٥).

قال قتادة:" العنيد: المشرك"(٢١٨٦).

عن السدي، قوله: "{أمر كل جبار عنيد}، قال: المشاق"(٢١٨٧).

القرآن

{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)} [هود : ٦٠]

التفسير:

وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطًا منه يوم القيامة. ألا إن عادًا جحدوا ربهم وكذَّبوا رسله. ألا بُعْدًا وهلاكًا لعاد قوم هود; بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم.

قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٦٠]، أي:" وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطًا منه يوم القيامة"(٢١٨٨).

قال السدي:" لم يبعث نبي بعد عادا إلا لعنت عاد على لسانه"(٢١٨٩).

القرآن

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)} [هود : ٦١]

التفسير:

وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارا لها، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

قوله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [هود : ٦١]، أي:" وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا"(٢١٩٠).

عن قتادة:" أن صالحا بعث من الحجر"(٢١٩١).

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود : ٦١]، أي:" فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"(٢١٩٢).

قوله تعالى:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [هود : ٦١]، أي:" هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها"(٢١٩٣).

قال السدي:" خلقكم من الأرض"(٢١٩٤).

(٢١٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٦):ص٢٠٤٧/٦.
(٢١٨٥)التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٧):ص٢٠٤٧/٦.
(٢١٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٨):ص٢٠٤٧/٦.
(٢١٨٨)التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٩):ص٢٠٤٨/٦.
(٢١٩٠) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٠):ص٢٠٤٨/٦.
(٢١٩٢) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٩٣) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨١):ص٢٠٤٨/٦.

قوله تعالى:{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود : ٦١]، أي:" وجعلكم عُمَّارا للأرض"[٢١٩٥].
وفي قوله تعالى:{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود : ٦١]، وجهان:
أحدهما : معناه: أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم ، قاله مجاهد[٢١٩٦]، من قولهم: أعمر فلان فلاناً داره فهي له عمرى.
الثاني: أطال فيها أعمالكم ، قال الضحاك"كانت أعماركم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة"[٢١٩٧].
قوله تعالى:{فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٦١]، أي:" فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح"[٢١٩٨].
روي عن أبي زرعة قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"[٢١٩٩].

القرآن

{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)} [هود : ٦٢]

التفسير:

قالت ثمود لنبيِّهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا مطاعًا قبل هذا القول الذي قلته لنا، أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريب مِن دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.
قوله تعالى:{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} [هود : ٦٢]، أي:" قالت ثمود لنبيِّهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا مطاعًا قبل هذا القول الذي قلته لنا"[٢٢٠٠].
قوله تعالى:{وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [هود : ٦٢]، أي:" وإننا لفي شكٍّ مريب مِن دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده"[٢٢٠١].
قال قتادة:" وكذبوا والله ما في الله شك في من فطر السماء والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وأظهر لكم من الآلاء والنعم المتظاهرة ما لا يشك في الله"[٢٢٠٢].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)} [هود : ٦٣]

التفسير:

قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلِّغ الرسالة وأنصحْ لكم؟ فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير.
قوله تعالى:{فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} [هود : ٦٣]، أي:" فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير"[٢٢٠٣].
قال مجاهد:" ما تزدادون أنتم إلا خسارا"[٢٢٠٤].
قال عطاء:" ما يزيدونني إلا شرا وخسرانا تخسرونه"[٢٢٠٥].

القرآن

(٢١٩٥) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٨٣):ص٣٦٩/١٥.
(٢١٩٧) انظر: النكت والعيون:٩٨/٢.
(٢١٩٨) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢١٩٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣
(٢٢٠٠) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢٢٠١) التفسير الميسر:٢٢٨.
(٢٢٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٤):ص٢٠٤٨/٦.
(٢٢٠٣) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٨٥):ص٣٧١/١٥.
(٢٢٠٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٩٨٥):ص٢٠٤٩/٦ .

{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)} [هود : ٦٤]

التفسير:

ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسُّوها بعَقْر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عَقْرها.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [هود : ٦٤]، أي:" ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه"(٢٢٠٦).

عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة حدث:" أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تمخض الفتوج بولدها فتحركت الهضبة ثم انقضت فانصدعت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبرا تثوج ما بين جنبيها ما لا يعلمه إلا الله.

قال محمد بن إسحاق،: ثم قال له جندع بن جراش بن عمرو بن الرميل وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمها: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء، والمخترجة، ما شاكل البخت من الإبل وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فإن فعلت آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت وفعل الله لتصدقني ولتؤمنن لي قالوا: نعم وأعطوه على ذلك عهودهم فدعا صالح ربه عز وجل بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفوا"(٢٢٠٧).

قوله تعالى:{فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} [هود : ٦٤]، أي:" فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسُّوها بعَقْر فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عَقْرها"(٢٢٠٨).

قال السدي:" فسألوا -يعني صالحا- أن يأتيهم بآية، فجاءهم بالناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال: {فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء}، فأقروا بها جميعا، فذلك قوله: }فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدىٰ، فكانوا قد أقروا به على وجه النفاق"(٢٢٠٩).

عن محمد بن إسحاق قال: "فمكثت الناقة التي أخرج الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر، وتشرب الماء، فقال لهم صالح: " {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف : ٧٣]""(٢٢١٠).

القرآن

{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)} [هود : ٦٥]

التفسير:

فكذَّبوه ونحروا الناقة، فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وَعْدٌ من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه.

قوله تعالى:{فَعَقَرُوهَا} [هود : ٦٥]، أي:" فكذَّبوه ونحروا الناقة"(٢٢١١).

عن محمد بن إسحاق، قال: "فرصدوا الناقة حين صدرت، عن الماء، وقد كمن لها قداد في أصل الصخرة على طريقها وكمن لها مصرع في أصل أخرى، فمرت على مصدع فرماها بهم فانتظم به عضلة ساقها قال: فشد يعني قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فحترت ساقيها، ثم طعن في لبتها فنحرها. وانظلم سقيها حتى أتى جبلا ثم أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها فأتاهم صالح فلما رأى الناقة عقرت بكى ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته"(٢٢١٢).

(٢٢٠٦) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٦):ص٢٠٤٩/٦.
(٢٢٠٨) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٨):ص١٥١٢/٥-١٥١٣.
(٢٢١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٩):ص١٥١٣/٥.
(٢٢١١) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٨):ص٢٠٥٠/٦.

عن قتادة:" أن ثمود لما عقروا الناقة تغامروا وقالوا: عليكم الفصل فصعد القارة جبل كان حتى إذا كان يوما استقبل القبلة، وقال: يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي، قال: فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك"(٢٢١٣).

عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: "لما عقرت الناقة صعد بكرها فوق جبل فرغا فما سمعه شيء إلا هو"(٢٢١٤).

قوله تعالى:{فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود : ٦٥]، أي:" فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وَعْدٌ من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه"(٢٢١٥).

عن قتادة:" {تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب}، قال:" القوم إلى آجالهم وهو عليهم غضبان فو الله ما عجل إليهم أن وفاهم بقية آجالهم"(٢٢١٦).

عن قتادة:" أن صالحا قال لقومه: إن آية ذلك أن تصبح وجوهكم أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة قال: فخدوا لهم أخدودا وكفر غنيهم فقيرهم فأرسل الله عليهم صيحة فأهمدتهم قال الله: كأن لم يغنوا فيها"(٢٢١٧).

عن محمد بن إسحاق، قال: "فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت بكى ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته وأتبع القب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة ولما قال لهم صالح أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزئون به ومن ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام فيهم الأحد أول والإثنين أهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا له ذلك: تصبحون غدا يوم مؤنس يعني الخميس وجوهكم مصفرة وتصبحون يوم العروبة يعني الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار يعني السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب أول يعني يوم أحد"(٢٢١٨).

قال عبدالواحد بن زيد قلت للحسن: " يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل، لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه سكت بلسانه ورضي بقلبه قال: يا ابن أخي كم يدا عقرت الناقة؟ قال: قلت: يد واحدة قال: أليس قد هلك القوم جميعا برضاهم وتماليهم" (٢٢١٩).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)} [هود : ٦٦]

التفسير:

فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحًا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلّته. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومِن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَّى الرسل وأتباعهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود : ٦٦]، أي:" فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود، نجينا صالحًا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا"(٢٢٢٠).

قال قتادة:" نجاه الله برحمة منه"(٢٢٢١).

قوله تعالى:{وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} [هود : ٦٦]، أي:" ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلّته"(٢٢٢٢).

(٢٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٧):ص٢٠٤٩/٦.
(٢٢١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٨٩):ص٢٠٥٠/٦.
(٢٢١٥) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٩١):ص٢٠٥٠/٦.
(٢٢١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٩٢):ص٢٠٥١/٦.
(٢٢١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٩٣):ص٢٠٥١/٦.
(٢٢١٩) رواه أحمد في الزهد(١٦٧١):ص٢٣٤.
(٢٢٢٠) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٢١) أخرجه الطبري(١٨٢٨٩):ص٣٧٣/١٥-٣٧٤.

قال قتادة:" نجاه من خزي يومئذ"[٢٢٢٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [هود : ٦٦]، أي:" إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومِن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَّى الرسل وأتباعهم"[٢٢٢٤].

قال الطبري:" {القوي} في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها ، {العزيز} فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره"[٢٢٢٥].

عن أبي العالية، قوله: {العزيز}، يقول: العزيز في نقمته"[٢٢٢٦]. وروي، عن قتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٢٢٧].

عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة قال: "قلنا له: حدّثنا حديثَ ثمود. قال: أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود: كانت ثمودُ قومَ صالح، أعمرهم الله في الدنيا فأطال أعْمَارهم، حتى جعل أحدهم يبني المسكنَ من المدر، فينهدم، والرَّجلُ منهم حيٌّ. فلما رأوا ذلك، اتخذوا من الجبال بيوتًا فَرِهين، فنحتوها وجَابُوها وجوَّفوها. وكانوا في سعةٍ من معايشهم. فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله، فدعا صالح ربَّه، فأخرج لهم الناقة، فكان شِرْبُها يومًا، وشِرْبهم يومًا معلومًا. فإذا كان يوم شربها خَلَّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنًا، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئًا، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء. فأوحى الله إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناقتك! فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل! فقال: إلا تعقروها أنتم، يوشكُ أن يولد فيكم مولود [يعقرها] . قالوا: ما علامة ذلك المولود؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه! قال: فإنه غلام أشقَر أزرَق أصهَبُ، أحمر. قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤًا، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفؤًا. قال: فإن ابنتي كفؤ له، وأنا أزوجك. . فزوّجه، فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فلما قال لهم صالح: "إنما يعقرها مولود فيكم"، اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهن شُرَطًا كانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدُوا المرأة تمخَضُ، نظروا ما ولدُها إن كان غلامًا قَلَّبنه فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها. فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن: "هذا الذي يريد رسول الله صالح "، فأراد الشرط أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه، وقالا لو أن صالحًا أراد هذا قتلناه! فكان شرَّ مولود، وكان يشبُّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة. فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا: "استعمل علينا هذا الغلام " لمنزلته وشرَف جديه، فكانوا تسعة. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان في مسجد يقال له: "مسجد صالح"، فيه يبيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه".

قال حجاج: وقال ابن جريج: لما قال لهم صالح: "إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه"، قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال: آمركم بقتلهم! فقتلوهم إلا واحدًا. قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادَنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عملُ صالح! فأتمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانيةً، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أنَّا مسافرون، كما نحن! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصُدُونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضَخَتهم، فأصبحوا رَضْخًا. فانطلق رجال ممَّن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رضْخٌ، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادَهم حتى قتلهم؟ ! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر.

ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله، فبيَّتْناهُمْ!

(٢٢٢٢) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٩٦):ص٢٠٥١/٦.
(٢٢٢٤) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٢٥) تفسير الطبري:٣٧٣/١٥.
(٢٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٩٧):ص٢٠٥٢/٦.
(٢٢٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٥٢/٦.

فأمر الله الأرض فاستوت عنهم. قال: فاجتمعوا ومشَوْا إلى الناقة وهي على حَوْضها قائمة، فقال الشقيُّ لأحدهم: ائتها فاعقرها! فأتاها، فتعاظمَه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك. فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاظمه أمرُها، حتى مشوا إليها، وتطاول فضرب عرقوبيها، فوقعت تركُضُ، وأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال: "أدرك الناقة فقد عمرت "! فأقبل، وخرجوا يتَلقَّونه ويعتذرون إليه: "يا نبيّ الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا"! قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟ ، فإن أدركتموه، فعسَى الله أن يرفعَ عنكم العذابَ! فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمَّه تضطرب، أتى جبلا يقال له "القارَة" قصيرًا، فصعد وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطالَ في السماء حتى ما تَناله الطير. قال: ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سألت دموعه، ثم استقبل صالحًا فرغَا رَغْوةً، ثم رغَا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوة أجلُ يوم، (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ، ألا إن أية العذاب أنّ اليوم الأوّل تصبح وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة! فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق، صغيرُهم وكبيرُهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب "! فلما أصبحوا اليوم. الثاني إذا وجوههم محمرة، كأنها خُضِبت بالدماء، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلما أمسوا صاحُوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب "! فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودّة كأنها طُليت بالقار، فصاحوا جميعا: "ألا قد حضركم العذاب"! فتكفَّنُوا وتحنَّطوا، وكان حنوطهم الصَّبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض، جَثَعًا وفَرَقًا. فلما أصبحوا اليومَ الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتُ كل صاعقة، وصوت كلّ شيء له صوتٌ في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدُورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين"[٢٢٢٨].

القرآن

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)} [هود : ٦٧]

التفسير:

وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حِرَاك لهم.

قوله تعالى:{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود : ٦٧]، أي:" وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين"[٢٢٢٩].

قال محمد بن إسحاق:" فلما كان صبيحة الأحد واشتد الضحى أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغيرا ولا كبيرا إلا هلك إلا جارية مقعدة يقال لها: الذريعة، وهي كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها عند ما عاينت أجمع فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت أهل خرج فأخبرتهم بما عانت من العذاب وما أصاب ثمود منه استقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت"[٢٢٣٠].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود : ٦٧]، أي:" فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حِرَاك لهم"[٢٢٣١].

عن أبي مالك :"{في ديارهم}، يعني: بيوتهم"[٢٢٣٢].

قال قتادة:"{ فأصبحوا في ديارهم جاثمين}، يقول: أصبحوا قد هلكوا"[٢٢٣٣].

القرآن

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)} [هود : ٦٨]

(٢٢٢٨) أخرجه الطبري(١٨٢٩٠):ص١٥/٣٧٤-٣٧٧.

(٢٢٢٩) التفسير الميسر:٢٢٩.

(٢٢٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٩٩):ص٦/٢٠٥٢.

(٢٢٣١) التفسير الميسر:٢٢٩.

(٢٢٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٠٠):ص٦/٢٠٥٢.

(٢٢٣٣) أخرجه الطبري(١٨٢٩٤):ص١٥/٣٨٠-٣٨١.

التفسير:
كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها. ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه. ألا بُعْدًا لثمود وطردًا لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذلَّهم!!

قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [هود : ٦٨]، أي:" كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها"(٢٢٣٤).

قال قتادة: "كأن لم ينعموا"(٢٢٣٥).

وروي عن أبي مالك:"كأن لم يكونوا فيها"(٢٢٣٦).

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ} [هود : ٦٨]، أي:" ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه، ألا بُعْدًا لثمود وطردًا لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذلَّهم!!"(٢٢٣٧).

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود، وهو عامد إلى تبوك قال: فأمر أصحابه أن يسرعوا السير، وأن لا ينزلوا به، ولا يشربوا من مائه، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون. قال: وذكر لنا أن الرجل المُوسِر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكفّنون به، وكان الرجل منهم يَلْحَد لنفسه ولأهل بيته، لميعاد نبي الله صالح الذي وعدهم. وحدَّث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت، فيهم شبان وشيوخ، أبقاهم الله عبرة وآية"(٢٢٣٨).

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)} [هود : ٦٩]

التفسير:
ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوبَ بعده، فقالوا: سلامًا، قال ردًّا على تحيتهم: سلام، فذهب سريعًا وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} [هود : ٦٩]، أي:" ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوبَ بعده"(٢٢٣٩).

وفي البشرى التي جاءوه بها، أقوال :

أحدها : بشروه بنبّوته، قاله عكرمة(٢٢٤٠).

الثاني : بإسحاق ، قاله الحسن(٢٢٤١).

الثالث : بشروه بهلاك قوم لوط ، قاله قتادة(٢٢٤٢).

قوله تعالى:{قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود : ٦٩]، أي:" فقالوا: سلامًا، قال ردًّا على تحيتهم: سلام"(٢٢٤٣).

قال سعيد بن جبير:" ما كان من قوله الملائكة، فرد عليهم إبراهيم عليه السلام فإنه يقول: {قالوا سلاما قال سلام}"(٢٢٤٤).

قوله تعالى:{فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود : ٦٩]، أي:" فذهب سريعًا وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه"(٢٢٤٥).

عن الضحاك:"{ بعجل حنيذ}: الذي أنضج بالحجارة"(٢٢٤٦).

(٢٢٣٤) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٠٤):ص٢٠٥٣/٦.
(٢٢٣٦) تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٥٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٢٣٧) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٣٨) أخرجه الطبري(١٨٢٩٢):ص٣٧٩/١٥.
(٢٢٣٩) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٠٥):ص٢٠٥٣/٦.
(٢٢٤١) انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.وحكاه الطبري:٣٨٣/١٥، عن بعضهم.
(٢٢٤٢) انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.وحكاه الطبري:٣٨٣/١٥، عن بعضهم.
(٢٢٤٣) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٠٦):ص٢٠٥٣/٦.
(٢٢٤٥) التفسير الميسر:٢٢٩.

عن الضحاك:"{بعجل حينذ}، يقول: نضيج" [٢٢٤٧].
قال السدي:" ذبحه ثم شواه في الرَّضْف[٢٢٤٨]، فهو «الحنيذ» حين شواه"[٢٢٤٩].
عن مجاهد:{بعجل حينئذ}، قال: "بعجل، حَسِيل البقر، و«الحنيذ»: المشوي النضيج"[٢٢٥٠].
عن قتادة: "«الحنيذ»: النضيج"[٢٢٥١].
عن شمر بن عطية: "{فجاء بعجل حنيذ}، قال: المشويّ الذي يقطر"[٢٢٥٢].

القرآن

{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)} [هود : ٧٠]

التفسير:

فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها، قالت الملائكة -لما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود : ٧٠]، أي:" فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها"[٢٢٥٣].

عن جندب بن سفيان قال: "لما دخل ضيف إبراهيم عليه ، قرّب إليهم العجل، فجعلوا ينكثُون بقِداح في أيديهم من نبْل، ولا تصل أيديهم إليه، نكرهم عند ذلك"[٢٢٥٤].

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين :

أحدهما : أنهم لم يطعموا ، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً ، فنكرهم إبراهيم لذلك ، قاله قتادة[٢٢٥٥].

قال قتادة:" فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا إنه لم يجيء لخير، وأنه يحدث نقمة بالسر، ثم حدثوه عن ذلك بما جاءوا فيه فضحكت امرأته"[٢٢٥٦].

الثاني : لأنه لم تكن لهم أيدي فنكرهم ، قاله يزيد بن أبي حبيب[٢٢٥٧].

قوله تعالى:{قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٠]، أي:" قالت الملائكة -لما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم"[٢٢٥٨].

قال السدّي : "لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صُور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم إبراهيم أجَلَّهم ،{ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } فذبحه ثم شواه في الرضف ، فهو الحنيد حين شواه، وأتاهم به فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول : «وامرأته قائمة وهو جالس» في قراءة ابن مسعود : "فلما قَربه إليهم قال ألا تأكلون قالوا : يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن. قال فإن لهذا ثمنا. قالوا: وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال : حُق لهذا أن يتخذه ربه خليلا" ، { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } يقول : فلما رآهم لا

(٢٢٤٦) أخرجه الطبري(١٨٣٠٧):ص٣٨٦/١٥.
(٢٢٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٠٦):ص٣٨٦/١٥.
(٢٢٤٨)" الرضف " (بفتح فسكون) الحجارة المحماة على النار. و " شواء مرضوف "، مشوي على الرضفة.
(٢٢٤٩) أخرجه الطبري(١٨٣٠٣):ص٣٨٥/١٥.
(٢٢٥٠) اخرجه الطبري(١٨٢٩٨):ص٣٨٤/١٥-٣٨٥. والحسيل " (بفتح الحاء وكسر السين) : ولد البقرة.
(٢٢٥١) أخرجه الطبري(١٨٣٠٠):ص٣٨٥/١٥.
(٢٢٥٢) أخرجه الطبري(١٨٣٠٤):ص٣٨٥/١٥.
(٢٢٥٣) التفسير الميسر:٢٢٩.
(٢٢٥٤) أخرجه الطبري(١٨٣١٣):ص٣٨٧/١٥-٣٨٨.
(٢٢٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٣١١):ص٣٨٧/١٥.
(٢٢٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠١٥):ص٢٠٥٤/٦، والطبري(١٨٣١١):ص٣٨٧/١٥.
(٢٢٥٧) انظر: النكت والعيون:٤٨٣/٢.
(٢٢٥٨) التفسير الميسر:٢٢٩.

يأكلون فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ، ضحكت وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا"[٢٢٥٩].

روي عن نوح بن قيس عن عثمان بن مِحْصن -في ضيف إبراهيم- قال : "كانوا أربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل، ورفائيل. قال نوح بن قيس : فزعم نوح بن أبي شداد أنهم لما دخلوا على إبراهيم ، فقرب إليهم العجل ، مسحه جبريل بجناحه ، فقام يدرج حتى لحق بأمه ، وأم العجل في الدار"[٢٢٦٠].

القرآن

{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)} [هود : ٧١]

التفسير:

وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجبًا مما سمعت، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

قوله تعالى:{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ} [هود : ٧١]، أي:" وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجبًا مما سمعت"[٢٢٦١].

وفي قيامها، ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم ، قاله وهب[٢٢٦٢].

قال وهب بن منبه:" فلما رأى الله ذلك يعني فاحشة قوم لوط بعث الله عز وجل الملائكة ليعذبوهم فأتوا إبراهيم فلما رأهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا إليه فقام ليقرب لهم العجل فقالوا مكانك قال: بل دعوني آتيكم بما ينبغي لكم فإن لكم حقا لم يأتنا أحد أحق بالكرامة منكم فأمر بعجل سمين فحنذ له يعني شوي فقرب إليهم الطعام فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وسارة وراء الباب تسمع"[٢٢٦٣].

الثاني : أنها كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد[٢٢٦٤].

الثالث : أنها كانت قائمة تُصَلّي ، قاله محمد بن إسحاق[٢٢٦٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{ فَضَحِكَتْ}[هود: ٧١] ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني حاضت ، قاله مجاهد[٢٢٦٦].

والعرب تقول: ضحكت المرأة إذا حاضت.

عن مجاهد:"{فضحكت} قال: حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. قال: وكان إبراهيم ابن مائة سنة"[٢٢٦٧].

و«الضحك»: الحيض في كلام العرب ، قال الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا ... كمثل دم الخوف يوم اللّقا

الثاني : أن معنى «ضحكت»: تعجبت، وقد يسمى التعجب ضحكاً لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي ذؤيب[٢٢٦٨]:

(٢٢٥٩) تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.

(٢٢٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.

(٢٢٦١) التفسير الميسر:٢٢٩.

(٢٢٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠١٨):ص٢٠٥٥/٦.

(٢٢٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠١٨):ص٢٠٥٥/٦.

(٢٢٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢٠):ص٢٠٥٥/٦.

(٢٢٦٥) انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

(٢٢٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٠):ص٣٩٢/١٥.

(٢٢٦٧) أخرجه الطبري(١٨٣٢٠):ص٣٩٢/١٥.

(٢٢٦٨)ديوان الهذليين) ١: ٤٢، واللسان (ضحك) ، وغيرهما، من قصيدة من عجائبه، ذكر في آخرها الخمر، وكيف تزودها من أهل مصر وغزة، وأقبل بها يقطع الأرض، حتى بات بمزدلفة (جمع) ، ومنى، فقال قبل البيت: فَبَاتَ بِجَمْعٍ، ثُمَّ تَمَّ إِلى مِنًى ... فأَصْبَحَ رَأْدًا يَبْتَغِي المِزْجَ بالسَّحْلِ

وقوله: " رأدًا "، أي طالبًا، و " المزج " العسل يمزج بالخمر، و"السحل" يعني ينقد الدراهم، يقول: فلما طلب ذلك "المزج"

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... هُوَ الضَّحْكُ إلا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

ومنه قول الشاعر[٢٢٦٩]:

وَضِحْكُ الأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا ... كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا

وللكميت[٢٢٧٠]:

فَأَضْحَكَتِ الضِّبَاعُ سُيُوفُ سَعْدٍ ... بِقَتْلَى مَا دُفِنَّ وَلا وُدِينَا

عن ضمرة بن حبيب :"أن سارة لما بشرها الرسل بإسحاق قال بينما هي تمشي وتحدثهم حين آنست بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل إسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها بإسحاق كنت شابة وكان إبراهيم شابا فلم أحمل فحين كبرت وكبر أألد؟ قالوا: تعجبين من ذلك يا سارة، فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك، ان الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد"[٢٢٧١].

الثالث : أنه الضحك المعروف في الوجه ، حكاه الماوردي عن الجمهور[٢٢٧٢].

وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال: معنى قوله: {فضحكت} فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: {لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط}، فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: {لا تخف}، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط"[٢٢٧٣].

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجب منه أربعة أقوال :

أحدها : أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكرمة لهم وهم لا يأكلون ، قاله السدي[٢٢٧٤].

الثاني : تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم غافلون، قاله قتادة[٢٢٧٥].

وقال محمد بن إسحاق:" لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط"[٢٢٧٦].

وعن كعب :"{إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت}، بخزي الله إياهم"[٢٢٧٧].

الثالث : أنها عجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ، قاله وهب بن منبه[٢٢٧٨].

الرابع : أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار ، قاله عون بن أبي شداد[٢٢٧٩].

قوله تعالى:{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود : ٧١]، أي:" فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب"[٢٢٨٠].

عن الشعبي في قوله: "{فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب}، قال: ولد الولد هو الوراء""[٢٢٨١].

اشترى بماله مزجا أي: عسلًا، كأنه ثغر حسناء في بياضه وصفائه ورقته. هكذا قالوا، وفي النفس منه شيء. وأجود منه عندي أن يقال إن " الضحك " في هذا البيت، هو طلع النخل حين ينشق عما في جوفه، وهو أبيض شديد البياض والنقاء.

(٢٢٦٩) لم أعرف قائله، وانظر البيت في اللسان"ضحك"، وتفسير الطبري:٣٩٣/١٥.

(٢٢٧٠)اللسان (ضحك) ، من قصيدة له مشهورة، لم أجدها مجموعة في مكان، ويزعمون أن الضبع تحيض، إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم. وكان ابن دريد يرد هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض؟.

(٢٢٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٣):ص٢٠٥٥/٦-٢٠٥٦.

(٢٢٧٢) انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

(٢٢٧٣) تفسير الطبري:٣٩٤/١٥.

(٢٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٤):ص٣٨٩/١٥.

(٢٢٧٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠١٧):ص٢٠٥٤/٦.

(٢٢٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠١٩):ص٢٠٥٥/٦.

(٢٢٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠١٦):ص٢٠٥٤/٦.

(٢٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٩):ص٣٩١/١٥.

(٢٢٧٩) انظر: النكت والعيون:٤٨٥/٢.

(٢٢٨٠) التفسير الميسر:٢٢٩.

(٢٢٨١) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٣)-(١٨٣٢٦):ص٣٩٥/١٥، ووتفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢٥):ص٢٠٥٦/٦.

قال محمد بن إسحاق:" {فضحكت}، -يعني: سارة لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ولما تعلم من قوم لوط - فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، بابن وبابن ابن. فقالت وصكت وجهها، يقال: ضربت على جبينها {يا ويلتا أألد وأنا عجوز}، إلى قوله: {إنه حميد مجيد}"[٢٢٨٢].

عن حبيب بن أبي ثابت قال: "جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: من هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني. قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب}، فولد الولد هم الوراء"[٢٢٨٣].

عن أبي اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعري، قال: "كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران، في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، فقال الحسن: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} "[٢٢٨٤].

قال السدي:"لما ضحكت سارَة. وقالت: "عجبًا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا "! قال لها جبريل: أبشري بولد اسمُه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. فَضربتْ وَجْهَهَا عجبًا، فذلك قوله: {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} ، [سورة الذاريات: ٢٩] . وقالت: {أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب} قالوا {أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد}، قالت سارة: ما آية ذلك؟ قال: فأخذ بيده عودًا يابسا فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هُو لله إذا ذبيحًا"[٢٢٨٥].

القرآن

{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)} [هود : ٧٢]

التفسير:

قالت سارة لما بُشِّرت بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب الولد مِن مثلي ومثل زوجي مع كبر السن لَشيء عجيب.

قوله تعالى:{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود : ٧٢]، أي:" قالت سارة لما بُشِّرت بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟"[٢٢٨٦].

عن أبي مالك قوله: بعلي تعني: زوجي"[٢٢٨٧].

عن قتادة في قول الله: "{قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز}، وهي يومئذ بنت سبعين"[٢٢٨٨]، "قوله: {وهذا بعلي شيخا}،وهو يومئذ ابن تسعين سنة""[٢٢٨٩].

قال ابن إسحاق:" ذكر أبي، عن بعض من قرأ الكتاب أنها كانت بنت تسعين سنة"[٢٢٩٠].

وقال ابن إسحاق:" ذكر لي، عن بعض من قرأ الكتاب وهذا بعلي شيخا: إن إبراهيم ابن عشرين ومائة سنة"[٢٢٩١].

القرآن

{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)} [هود : ٧٣]

التفسير:

(٢٢٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٩):ص٣٩٦/١٥.
(٢٢٨٣) أخرجه الطبري(١٨٣٢٧):ص٣٩٥/١٥.
(٢٢٨٤)أخرجه الطبري(١٨٣٢٢):ص٣٩٤/١٥-٣٩٥ .
(٢٢٨٥) أخرجه الطبري(١٨٣٢٨):ص٣٩٥/١٥-٣٩٦.
(٢٢٨٦) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٢٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٨):ص٢٠٥٦/٦.
(٢٢٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٦):ص٢٠٥٦/٦.
(٢٢٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٩):ص٢٠٥٦/٦.
(٢٢٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٧):ص٢٠٥٦/٦.
(٢٢٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٣٠):ص٢٠٥٦/٦.

قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مَجْد وعظمة فيها.

قوله تعالى:{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود : ٧٣]، أي:" قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟"(٢٢٩٢).

قال ابن إسحاق:" كانت سارَة يوم بُشِّرت بإسحاق، فيما ذكر لي بعض أهل العلم، ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة"(٢٢٩٣).

القرآن

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)} [هود : ٧٤]

التفسير:

فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام، وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب، ظلَّ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} [هود : ٧٤]، أي:" فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام"(٢٢٩٤).

قال قتادة:" يقول: ذهب عنه الخوف"(٢٢٩٥).

قال ابن إسحاق:" وأمن مما كان يخاف"(٢٢٩٦).

قوله تعالى:{وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى} [هود : ٧٤]، أي:" وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب"(٢٢٩٧).

قال قتادة:" بإسحاق"(٢٢٩٨).

قال ابن إسحاق:" بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق"(٢٢٩٩).

عن مجاهد: «"الروع"، الفَرَق»(٢٣٠٠).

وروي عن قتادة: {وجاءته البشرى}، قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وأنهم ليسوا إياه يريدون"(٢٣٠١).

قوله تعالى:{يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، أي:" ظلَّ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم"(٢٣٠٢).

عن مجاهد: "{يجادلنا}، يخاصمنا"(٢٣٠٣).

وفي قوله تعالى:{يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، وجهان:

أحدهما : أنه جادل الملائكة بقوله{إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينة وأهله} [العنكبوت : ٣٢]. قاله الحسن(٢٣٠٤).

الثاني : أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين ؟ قالوا لا ، قال : فإن كان فيها أربعون ؟ قالوا : لا ، إلى أن أنزلهم إلى عشرة ، فقالوا : لا ، قتادة(٢٣٠٥).

(٢٢٩٢) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٢٩٣) اخرجه الطبري(١٨٣٣٠):ص٣٩٨/١٥.
(٢٢٩٤) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٢٩٥) أخرجه الطبري(١٨٣٣١):ص٤٠٠/١٥-٤٠١.
(٢٢٩٦) أخرجه الطبري(١٨٣٣٢):ص٤٠١/١٥.
(٢٢٩٧) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٢٩٨) أخرجه الطبري(١٨٣٣١):ص٤٠٠/١٥-٤٠١.
(٢٢٩٩) أخرجه الطبري(١٨٣٣٢):ص٤٠١/١٥.
(٢٣٠٠) أخرجه الطبري(١٨٣٣٤):ص٤٠٢/١٥.
(٢٣٠١) أخرجه الطبري(١٨٣٣٣):ص٤٠١/١٥.
(٢٣٠٢) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٠٣) أخرجه الطبري(١٨٣٣٩):ص٤٠٢/١٥.
(٢٣٠٤) انظر: النكت والعيون:٤٨٧/٢.
(٢٣٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٤٣):ص٤٠٣/١٥.

قال قتادة:" ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم؟ قالوا: لا! حتى صار ذلك إلى عشرة قال، أرأيتم إن كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا! وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد"(٢٣٠٦).

وقال سعيد:"لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم: إنَّا مهلكو أهل هذه القرية إنَّ أهلها كانوا ظالمين: قال لهم إبراهيم: أتهلكون قريةً فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا! وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكتَ عنهم واطمأنت نفسه"(٢٣٠٧).

قال ابن جريج:" قال إبراهيم: أتهلكونهم إن وجدتم فيها مائة مؤمن ثم تسعين؟ حتى هبَط إلى خمسة. قال: وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف"(٢٣٠٨).

عن صفوان قال: حدثنا أبو المثني ومسلم أبو الحبيل الأشجعي قالا: "{لما ذهب عن إبراهيم الروع}، إلى آخر الآية قال إبراهيم: أتعذب عالمًا من عالمك كثيرًا، فيهم مائة رجل؟ قال: لا وعزتي، ولا خمسين! قال: فأربعين؟ فثلاثين؟ حتى انتهى إلى خمسة. قال: لا! وعزتي لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني! قال الله عز وجل: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [سورة الذاريات:٣٦] ، أي لوطًا وابنتيه، قال: فحلّ بهم من العذاب، قال الله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [سورة الذاريات:٣٧] ، وقال: {فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط}"(٢٣٠٩).

وعن السدي، "{فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى}، قال: ما خطبُكم أيها المرسلون؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط قال، أرأيتم إن كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا! فلم يزل يحُطَّ حتى بلغ عشرة من المسلمين، فقالوا: لا نعذبهم، إن كان فيهم عشرة من المسلمين، ثم قالوا: "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين " هو لوط وأهل بيته، وهو قول الله تعالى ذكره: {يجادلنا في قوم لوط}. فقالت الملائكة: {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"(٢٣١٠).

عن ابن إسحاق قال: "{فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى}، يعني: إبراهيم جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب قال: فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين جادلهم في قوم لوط ليردّ عنهم العذاب، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به: أرأيتم إن كان فيهم مائة مؤمن أتهلكونهم؟ قالوا:، لا! قال: أفرأيتم إن كانوا تسعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ثمانين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا سبعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ستين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كانوا خمسين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كان رجلا واحدًا مسلمًا؟ قالوا: لا! قال: فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنًا واحدًا، {قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا}، يدفع به عنهم العذاب، {قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [سورة العنكبوت: ٣٢] ، {قالوا يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"(٢٣١١).

قال معمر: "بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان، أو ما شاء الله من ذلك"(٢٣١٢).

القرآن

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)} [هود : ٧٥]

التفسير:

إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب، كثير التضرع إلى الله والدعاء له، تائب يرجع إلى الله في أموره كلها.

(٢٣٠٦) أخرجه الطبري(١٨٣٤٣):ص٤٠٣/١٥.
(٢٣٠٧) أخرجه الطبري(١٨٣٤١):ص٤٠٣/١٥.
(٢٣٠٨) أخرجه الطبري(١٨٣٤٧):ص٤٠٥/١٥.
(٢٣٠٩) أخرجه الطبري(١٨٣٤٨):ص٤٠٥/١٥.
(٢٣١٠) أخرجه الطبري(١٨٣٤٥):ص٤٠٤/١٥.
(٢٣١١) أخرجه الطبري(١٨٣٤٦):ص٤٠٤/١٥-٤٠٥.
(٢٣١٢) أخرجه الطبري(١٨٣٤٤):ص٤٠٤/١٥.

قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ} [هود : ٧٥]، أي:" إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب"[٢٣١٣].

قال الحسن:" الحليم: الرحيم"[٢٣١٤].

قوله تعالى:{أَوَّاهٌ} [هود : ٧٥]، أي:" كثير التضرع إلى الله والدعاء له"[٢٣١٥].

عن عبد الله بن شداد قال: "قال رجل: يا رسول الله، ما «الأواه؟» قال: الخاشع، المتضرع الدعاء، قال: إن إبراهيم لأواه حليم"[٢٣١٦].

عن شعبة عن أبي يونس الباهلي :"سمعت رجلا كان بمكة أصله رومي يحده عن أبي ذر، قال: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه: أوه أوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لأواه، قال أبو ذر فخرجت ليلة فإذا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- معه المصباح يدفن ذلك الرجل"[٢٣١٧].

وروي عن يحيى بن الجزار "أن أبا العبيدين سأل عبد الله عن «الأواه»؟ فقال: الرحيم"[٢٣١٨].

وروي عن أبي ميسرة. والحسن ومجاهد وقتادة مثل ذلك[٢٣١٩].

عن مجاهد وعكرمة قالا:"«الأواه»: الموقن بلسان الحبشة"[٢٣٢٠].

وروي عن مجاهد قال:" فقيه موقن"[٢٣٢١].

وعن مجاهد قال: "«الأواب»: المنيب"[٢٣٢٢].

وعن مجاهد في قول آخر: "«الأواه»: الحفيظ، الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا"[٢٣٢٣].

وعن الشعبي قوله:"«اواه»: المسبح"[٢٣٢٤].

قوله تعالى:{مُنِيبٌ} [هود : ٧٥]، أي:" تائب يرجع إلى الله في أموره كلها"[٢٣٢٥].

عن مجاهد وعكرمة، قالا: المنيب: المخبت"[٢٣٢٦].

قال قتادة:" الله يثني عليه :{إن إبراهيم لحليم أواه منيب}، و«المنيب»: التائب"[٢٣٢٧].

عن مجاهد: "{أوّاه منيب}، قال: القانت: الرَّجاع"[٢٣٢٨].

القرآن

{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)} [هود : ٧٦]

التفسير:

قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم; فإنه قد حق عليهم العذاب، وجاء أمر ربك الذي قدَّره عليهم بهلاكهم، وإنهم نازل بهم عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

(٢٣١٣) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣١٤) أخرجه ابم ابي حاتم(١١٠٤٢):ص٢٠٥٨/٦.

(٢٣١٥) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٢):ص١٨٩٥/٦-١٨٩٦.

(٢٣١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦١):ص١٨٩٥/٦.

(٢٣١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٣):ص١٨٩٦/٦.

(٢٣١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٣٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٥):ص١٨٩٦/٦.

(٢٣٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٦):ص١٨٩٦/٦.

(٢٣٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٨):ص١٨٩٦/٦.

(٢٣٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧١):ص١٨٩٧/٦.

(٢٣٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٨٩٧/٦.

(٢٣٢٥) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣٢٦)أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٤٧):ص٢٠٥٩/٦ .

(٢٣٢٧)أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٤٨):ص٢٠٥٩/٦ .

(٢٣٢٨) أخرجه الطبري(١٨٣٤٩):ص٤٠٦/١٥.

قوله تعالى:{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} [هود : ٧٦]، أي:" قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم، فإنه قد جاء أمر ربك الذي قدَّره عليهم بهلاكهم"(٢٣٢٩).

قال كعب:" فكلمهم إبراهيم في أمر قوم لوط إن كان فيهم قالوا يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك"(٢٣٣٠).

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)} [هود : ٧٧]

التفسير:

ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم واغتمَّ لذلك; وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ} [هود : ٧٧]، أي:" ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم"(٢٣٣١).

قال كعب:" ساء مكانهم لما رأى منهم من الحال"(٢٣٣٢).

قال قتادة:" أتت الملائكة لوطًا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات فقد أذنت لكم في هَلَكتهم. فقالوا: يا لوط، إنا نريد أن نُضيِّفك الليلة. فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملا! يقول ذلك أربع مرات، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله"(٢٣٣٣).

قوله تعالى:{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [هود : ٧٧]، أي:" ضاق صدره بمجيئهم خشيةً عليهم من قومه الأشرار"(٢٣٣٤).

قال ابن إسحاق:" خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة، فلما جاءت الرسل لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحُوه في ضيفه، فقال: {هذا يوم عصيبٌ}"(٢٣٣٥).

قوله تعالى:{وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود : ٧٧]، أي:" وقال: هذا يوم بلاء وشدة"(٢٣٣٦).

عن مجاهد: "{عصيب}: شديد"(٢٣٣٧).

عن قتادة قال: "{هذا يوم عصيب}، يقول: شديد"(٢٣٣٨).

عن ابن إسحاق قال: "{هذا يوم عصيب}، أي: يوم بلاء وشدة"(٢٣٣٩).

عن جعفر :"{وقال هذا يوم عصيب}، قال: يوم سيء من قومي"(٢٣٤٠).

عن محمد بن كعب القرظي:"{وقال هذا يوم عصيب}، قال: يعصب شره"(٢٣٤١).

قال السدي:" خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سَدُوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى "ريثا"، والصغرى "زغرتا"، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فَمكانَكم لا تدخُلوا حتى آتيكم! فَرفَتْ عليهم من قَوْمها. فأتت

(٢٣٢٩) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٤٩):ص٢٠٥٩/٦.
(٢٣٣١) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٤):ص٢٠٦١/٦.
(٢٣٣٣) أخرجه الطبري(١٨٣٥٢):ص٤٠٨/١٥.
(٢٣٣٤) صفوة التفاسير:٢٣/٢.
(٢٣٣٥) أخرجه الطبري(١٨٣٥٥):ص٤٠٩/١٥.
(٢٣٣٦) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٣٧) أخرجه الطبري(١٨٣٥٦):ص٤١١/١٥.
(٢٣٣٨) أخرجه الطبري(١٨٣٥٧):ص٤١١/١٥.
(٢٣٣٩) أخرجه الطبري(١٨٣٥٨):ص٤١١/١٥.
(٢٣٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٧):ص٢٠٦١/٦.
(٢٣٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٨):ص٢٠٦١/٦.

أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسنَ منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلا فقالوا: خَلّ عنَّا فلنضِف الرجال! فجاء بهم، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطْ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه"[٢٣٤٢].

القرآن

{وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)} [هود : ٧٨]

التفسير:

وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا مِن قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون، وسماهن بناته; لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فاخشوا الله واحذروا عقابه، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة؟

قوله تعالى:{وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} [هود : ٧٨]، أي:" وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة"[٢٣٤٣].

قال مجاهد:" يعني: الإسراع في المشي"[٢٣٤٤].

قال قتادة:" يسرعون إليه"[٢٣٤٥].

قال شمر بن عطية:" أقبلوا يسرعون مشيا بين الهرولة والجمز"[٢٣٤٦].

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ٧٨]، أي:" ، وكانوا مِن قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء"[٢٣٤٧].

قال ابن جريج:" يأتون الرجال"[٢٣٤٨].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود : ٧٨]، أي:" فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون"[٢٣٤٩].

عن كعب :"{هؤلاء بناتي هن أطهر لكم}، قال: تزوجوهن"[٢٣٥٠].

قال مجاهد:" لم يكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته"[٢٣٥١].

قال سعيد بن جبير:" إنما دعاهم إلى نسائهم، قال: وكل نبي هو أبو أمته، وكان في بعض القراءة :«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»"[٢٣٥٢].

وقال حذيفة بن اليمان:" عرض بناته عليهم تزويجا وأراد نبي الله صلى الله عليه وسلم إن يفي بتزويج بناته"[٢٣٥٣].

فإن قيل : كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته ؟

قيل عن هذا جوابان:

أحدهما : أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة ، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ ، قاله الحسن[٢٣٥٤].

(٢٣٤٢) أخرجه الطبري(١٨٣٥٤):ص٤٠٨/١٥-٤٠٩.

(٢٣٤٣) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣٤٤) تفسير مجاهد: ٣٨٩.

(٢٣٤٥) تفسير عبدالرزاق(١٢٢٥):ص١٩٤/٢.

(٢٣٤٦) أخرجه الطبري(١٨٣٧٠):ص٤١٣/١٥.

(٢٣٤٧) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣٤٨) أخرجه الطبري(١٨٣٧٢):ص٤١٣/١٥.

(٢٣٤٩) التفسير الميسر:٢٣٠.

(٢٣٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٥):ص٢٠٦٢/٦.

(٢٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٦):ص٢٠٦٢/٦.

(٢٣٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٧):ص٢٠٦٢/٦. والآية في [سورة الأحزاب : ٦].

(٢٣٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٦٩):ص٢٠٦٣/٦.

الثاني : أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا بخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح[٢٣٥٥].

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} [هود : ٧٨]، أي:" فاخشوا الله واحذروا عقابه ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي"[٢٣٥٦].

قال وهب بن منبه: "فدخلوا على لوط يعني الملائكة فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قوم لم نر قوما أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك فغشوا دار لوط من كل ناحية تسوروا عليهم الجدران فلقيهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحوني في ضيفي وإني أزوجكم بناتي ف هن أطهر لكم فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهم ولكن لا بد لنا من هؤلاء القوم الذين نزلوا بك، خل بيننا وبينهم"[٢٣٥٧].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} [هود : ٧٨]، أي:" أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها"[٢٣٥٨].

قال أبو مالك:" رجل يأمر بالمعروف وينهى، عن المنكر"[٢٣٥٩].

القرآن

{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)} [هود : ٧٩]

التفسير:

قال قوم لوط له: لقد علمتَ من قبلُ أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

قوله تعالى:{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} [هود : ٧٩]، أي:" قال قوم لوط له: لقد علمتَ من قبلُ أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة"[٢٣٦٠].

عن ابن إسحاق:"{قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق}، أي: من أزواج"[٢٣٦١].

نقل ابن الجوزي عن السدي أن اسمي بنتي لوط-عليه السلام-: "رية وعروبة[٢٣٦٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود : ٧٩]، أي:" وأنت تعلم غرضنا"[٢٣٦٣].

عن السدي :"{وإنك لتعلم ما نريد}، إنما نريد الرجال"[٢٣٦٤].

عن محمد بن إسحاق:"{وإنك لتعلم ما نريد}، إن بغيتنا لغير ذلك"[٢٣٦٥].

القرآن

{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)} [هود : ٨٠]

التفسير:

قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصارًا معي، أو أركَن إلى عشيرة تمنعني منكم، لَحُلْتُ بينكم وبين ما تريدون.

قوله تعالى:{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} [هود : ٨٠]، أي:" لو كان لي قوة أستطيع أن أدفع أذاكم بها"[٢٣٦٦].

(٢٣٥٤) انظر: النكت والعيون:٤٨٨/٢.
(٢٣٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٦٨):ص٢٠٦٣/٦.
(٢٣٥٦) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٧٠):ص٢٠٦٣/٦.
(٢٣٥٨) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٢):ص٢٠٦٣/٦.
(٢٣٦٠) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٧٣):ص٢٠٦٣/٦.
(٢٣٦٢) انظر: زاد المسير: ٤/ ١٤١.
(٢٣٦٣) صفوة التفاسير:٢٤/٢.
(٢٣٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٤):ص٢٠٦٤/٦.
(٢٣٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٥):ص٢٠٦٤/٦.

قال السدي:" لما قال لوط: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ، بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه، ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضهم في أدبار بعض عميانا يقولون: "النجاء النجاء! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض"! فذلك قوله: {ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم}، [القمر: ٣٧] . وقالوا للوط: {إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها} ، واتبع أدبار أهلك، يقول: سر بهم، {وامضوا حيث تؤمرون}،فأخرجهم الله إلى الشام. وقال لوط: أهلكوهم الساعة! فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح، أليس الصبح بقريب؟ فلما أن كان السحر، خرج لوط وأهله معه امرأته، فذلك قوله: {إلا آل لوط نجيناهم بسحر}، [القمر: ٣٤]"(٢٣٦٧).

قوله تعالى:{أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود : ٨٠]، أي:" ألجأ إلى عشيرة وأنصار تنصرني عليكم"(٢٣٦٨).

قال وهب بن منبه:" قال لوط: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد}، فوجد عليه الرسلُ وقالوا: إنَّ ركنَك لشديد!"(٢٣٦٩).

عن السدي: "قال لوط: {قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، يقول: إلى جُنْد شديد، لقاتلتكم"(٢٣٧٠).

عن ابن إسحاق قال: "{لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، أي: عشيرة تمنعني أو شيعة تنصرني، لحلت بينكم وبين هذا"(٢٣٧١).

عن قتادة: "{أو آوى إلى ركن شديد}، قال: العشيرة"(٢٣٧٢).

عن الحسن: "{أو آوى إلى ركن شديد}، قال: إلى ركن من الناس"(٢٣٧٣).

قال ابن جريج:" بلغنا أنه لم يبعث نبيٌّ بعد لوط إلا في ثَرْوَة من قومه، حتى النبي صلى الله عليه وسلم"(٢٣٧٤).

عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله أخي لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، فلأيّ شيء استكان!"(٢٣٧٥).

القرآن

{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)} [هود : ٨١]

التفسير:

قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أرْسَلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فاخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه; لئلا يرى العذاب فيصيبه، لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ٨١]، أي:" قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أرْسَلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فاخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل"(٢٣٧٦).

قال قتادة:"{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}، قال: بطائفة من الليل أي سواد "(٢٣٧٧).

(٢٣٦٦) صفوة التفاسير:٢/٢٤.
(٢٣٦٧) أخرجه الطبري(١٨٤١٤):ص١٥/٤٢٧-٤٢٨.
(٢٣٦٨) صفوة التفاسير:٢/٢٤.
(٢٣٦٩) أخرجه الطبري(١٨٤٠٦):ص١٥/٤٢٢.
(٢٣٧٠) أخرجه الطبري(١٨٣٨٨):ص١٥/٤١٨.
(٢٣٧١) أخرجه الطبري(١٨٣٩٣):ص١٥/٤١٩.
(٢٣٧٢) أخرجه الطبري(١٨٣٨٩):ص١٥/٤١٩.
(٢٣٧٣) أخرجه الطبري(١٨٣٩١):ص١٥/٤١٩.
(٢٣٧٤) أخرجه الطبري(١٨٣٩٢):ص١٥/٤١٩.
(٢٣٧٥) أخرجه الطبري(١٨٣٩٦):ص١٥/٤١٩.
(٢٣٧٦) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٧٧) تفسير الطبري(١١٠٨٤):ص٦/٢٠٦٥، وتفسير عبدالرزاق(١٢٢٦):ص٢/١٩٤.

قال أبو الصخر:" السحر الأول"[٢٣٧٨].

قوله تعالى:{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} [هود : ٨١]، أي:" ولا يلتفت منكم أحد وراءه; لئلا يرى العذاب فيصيبه"[٢٣٧٩].

قال مجاهد:" لا ينظر وراءه أحد"[٢٣٨٠].

قوله تعالى:{إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ} [هود : ٨١]، أي:" لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك"[٢٣٨١].

قال قتادة:" ذكر لنا أنها كانت مع لوط لما خرج من القرية فسمعت الصوت فالتفتت فأرسل عليها حجرا فأهلكها فهي معلوم مكانها شاذة، عن القوم"[٢٣٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} [هود : ٨١]، أي:" إن موعد هلاكهم الصبح"[٢٣٨٣].

قال الطبري:" يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح"[٢٣٨٤].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود : ٨١]، أي:" أليس وقت الصبح قريباً؟"[٢٣٨٥].

قال السدي:" وقال لوط: أهلكوهم الساعة! فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح، أليس الصبح بقريب؟"[٢٣٨٦].

عن ابن إسحاق: "{أليس الصبح بقريب}، أي: إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه، فامض لما تؤمر"[٢٣٨٧].

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢)} [هود : ٨٢]

التفسير:

فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلّب متين، قد صُفَّ بعضها إلى بعض متتابعة.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} [هود : ٨٢]، أي:" فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم، جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها"[٢٣٨٨].

قال مجاهد: "أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وامتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم"[٢٣٨٩].

قال قتادة:" بلغنا أن جبريل عليه السلام أخذ بعُرْوة القرية الوُسْطى، ثم ألوَى بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء ضَواغِي كلابهم، ثم دمَّر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم الحجارة، قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف"[٢٣٩٠].

عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم، فاحتملها بجناحه، ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله: {جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل} ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات، وكنّ خمس

(٢٣٧٨) أخرجه الطبري(١١٠٨٥):ص٢٠٦٥/٦.
(٢٣٧٩) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٨٠) أخرجه الطبري(١١٠٨٧):ص٢٠٦٦/٦.
(٢٣٨١) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٨٢) أخرجه الطبري(١١٠٨٧):ص٢٠٦٦/٦.
(٢٣٨٣) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٨٤) تفسير الطبري:٤٢٤/١٥.
(٢٣٨٥) صفوة التفاسير:٢٤/٢.
(٢٣٨٦) أخرجه الطبري(١٨٤١٤):ص٤٢٧/١٥-٤٢٨.
(٢٣٨٧) أخرجه الطبري(١٨٤٠٧):ص٤٢٤/١٥.
(٢٣٨٨) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٨٩) أخرجه الطبري(١٨٤٥٨):ص٤٤٠/١٥.
(٢٣٩٠) أخرجه الطبري(١٨٤٦٢):ص٤٤١/١٥.

قريات، "صنعة" و"صعوة" "وعثرة"، و"دوما" و"سدوم" -وسدوم هي القرية العظمى -ونجى الله لوطًا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك"[٢٣٩١].

قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، أي:" وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلّب متين، قد صُفَّ بعضها إلى بعض متتابعة"[٢٣٩٢].

وفي قوله تعالى:{مِنْ سِجِّيلٍ} [هود : ٨٢]، قولان:

أحدهما : أنه فارسي معرب، وهو «سنك وكيل»، فالسنك : الحجر ، و«الكيل» الطين، قاله مجاهد[٢٣٩٣]، وسعيد بن جبير[٢٣٩٤]، ووهب[٢٣٩٥].

الثاني : فارسية ونبطية: «سج»، «إيل». قاله سعيد بن جبير[٢٣٩٦].

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤][٢٣٩٧].

وفي معنى قوله تعالى: {مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، قولان:

أحدهما : قد نُضَّد بعضه على بعض ، قال الربيع بن انس[٢٣٩٨].

وروي عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله: "أما قوله: {منضود}، فإنها في السماء منضودة: معدَّة، وهي من عُدَّة الله التي أعَدَّ للظلمة"[٢٣٩٩].

الثاني : مصفوف ، قاله قتادة[٢٤٠٠]، وعكرمة[٢٤٠١].

والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس، وذلك أن قوله: {منضود} من نعت "سجيل"، لا من نعت "الحجارة"، وإنما أمطر القوم حجارة من طين، صفة ذلك الطين أنه نُضِد بعضه إلى بعض، فصُيِّر حجارة، ولم يُمْطَرُوا الطين، فيكونَ موصوفًا بأنه تتابع على القوم بمجيئه، وإنما كان جائزًا أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل لو كان التنزيل بالنصب "منضودةً"، فيكون من نعت "الحجارة " حينئذ[٢٤٠٢].

القرآن

{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)} [هود : ٨٣]

التفسير:

أن هذه الحجارة التي أمطروا بها من السماء كانت معلَّمة ومميزة عند الله بما يدل على أنها ليست من حجارة الأرض وأنه - سبحانه - أعدّها لعذاب هؤلاء، وليست تلك الحجارة الموصوفة بما ذكر ببعيدة من غيرهم من كل ظالم يأثم إثمهم ويظلم ظلمهم.

قوله تعالى:{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ} [هود : ٨٣]، أي:" أن هذه الحجارة التي أمطروا بها من السماء كانت معلَّمة ومميزة عند الله بما يدل على أنها ليست من حجارة الأرض وأنه - سبحانه - أعدّها لعذاب هؤلاء[٢٤٠٣].

عن مجاهد: "{مسوّمة}، قال: معلمة"[٢٤٠٤].

(٢٣٩١) أخرجه الطبري(١٨٤٦٦):ص٤٤٢/١٥-٤٤٣.
(٢٣٩٢) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢٣٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٤)-(١٨٤٢٧):ص٤٣٣/١٥.
(٢٣٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٨):ص٤٣٣/١٥.
(٢٣٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣١):ص٤٣٣/١٥.
(٢٣٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٥):ص٤٣٦/١٥.
(٢٣٩٧) تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.
(٢٣٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٨):ص٤٣٦/١٥.
(٢٣٩٩) أخرجه الطبري(١٨٤٣٩):ص٤٣٧/١٥.
(٢٤٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٦)، و(١٨٤٣٧):ص٤٣٦/١٥.
(٢٤٠١) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٦):ص٤٣٦/١٥.
(٢٤٠٢) تفسير الطبري:٤٣٧/١٥.
(٢٤٠٣) انظر: التفسير الوسيط:٢٣٢/٤.
(٢٤٠٤) أخرجه الطبري(١٨٤٤٠):ص٤٣٧/١٥.

وفي علامتها أقوال:
أحدها : أنها كانت مختمة، على كل حجر منها اسم صاحبه[٢٤٠٥].
عن السدي: "{مسومة} قال: «المسومة»، المختَّمة"[٢٤٠٦].
الثاني : أنها حجارة مطوقة عليها نصح من حمرة.
عن قتادة، قوله: "{مسومة}، حدثني من رآها أنها حجارة مطوقة عليها نصح من حمرة ليست كحجارتكم هذه"[٢٤٠٧].
الثالث: مطوقة بسواد وحمرة. قاله قتادة[٢٤٠٨].
الرابع: عليها سيما خطوط. قاله الربيع[٢٤٠٩].
قوله تعالى:{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٣]، أي:" وليست تلك الحجارة الموصوفة بما ذكر ببعيدة من غيرهم من كل ظالم يأثم إثمهم ويظلم ظلمهم[٢٤١٠].
عن مجاهد، في قوله: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، قال: أن يصيبهم ما أصاب القوم"[٢٤١١]. وفي رواية أخرى:" يُرْهِب بها من يشاء"[٢٤١٢]. وفي رواية :" يرهب بها قريش"[٢٤١٣].
وعن قتادة: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: ما أجار الله منها ظالمًا بعد قوم لوط"[٢٤١٤].
وعن قتادة وعكرمة: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: لم يترك منها ظالمًا بعدهم"[٢٤١٥].
عن قتادة أيضا: في قوله: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، قال: يعني ظالمي هذه الأمة. قال: والله ما أجارَ منها ظالمًا بعدُ! "[٢٤١٦].
عن السدي: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: من ظلمة العرب، إن لم يتوبوا فيعذّبوا بها"[٢٤١٧].
عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله قال: "يقول: {وما هي من الظالمين ببعيد}، من ظلمة أمتك ببعيد، فلا يأمنها منهم ظالم"[٢٤١٨].

القرآن
{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤)} [هود : ٨٤]
التفسير:
وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم، إني أراكم في سَعَة عيش، وإني أخاف عليكم -بسبب إنقاص المكيال والميزان- عذاب يوم يحيط بكم.
قوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [هود : ٨٤]، أي:" وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا"[٢٤١٩].
قال السدي:" إن الله تبارك وتعالى بعث شعيبا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، والأيكة هي الغيضة من الشجر"[٢٤٢٠].

(٢٤٠٥) انظر: النكت والعيون:٢/٤٩٣.
(٢٤٠٦) أخرجه الطبري(١٨٤٤٧):ص١٥/٤٣٨.
(٢٤٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٠٩):ص٦/٢٠٦٩.
(٢٤٠٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١١٠):ص٦/٢٠٦٩.
(٢٤٠٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١١١):ص٦/٢٠٦٩.
(٢٤١٠) انظر: التفسير الوسيط:٤/٢٣٢.
(٢٤١١) أخرجه الطبري(١٨٤٤٨):ص١٥/٤٣٩.
(٢٤١٢) أخرجه الطبري(١٨٤٤٩):ص١٥/٤٣٩.
(٢٤١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١١٣):ص٦/٢٠٦٩.
(٢٤١٤) أخرجه الطبري(١٨٤٥٣):ص١٥/٤٣٩.
(٢٤١٥) أخرجه الطبري(١٨٤٥٤):ص١٥/٤٣٩.
(٢٤١٦) أخرجه الطبري(١٨٤٥٥):ص١٥/٤٣٩.
(٢٤١٧) أخرجه الطبري(١٨٤٥٦):ص١٥/٤٤٠.
(٢٤١٨) أخرجه الطبري(١٨٤٥٧):ص١٥/٤٤٠.
(٢٤١٩) التفسير الميسر:٢٣١.

قوله تعالى:{وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} [هود : ٨٤]، أي:" ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم"[٢٤٢١].

قال السدي:" إن الله بعث شعيبا إلى مدين فكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه، فلما عتوا وكذبوا سألوه العذاب"[٢٤٢٢].

قال خلف بن حوشب: "هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة كانوا يأخذون بالرزينة ويعطون بالخفيفة"[٢٤٢٣].

قوله تعالى:{إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود : ٨٤]، أي:" إني أراكم في سَعَة عيش"[٢٤٢٤].

وفي قوله تعالى:{إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود : ٨٤]، قولان:

أحدهما : أنه رخص السعر ، قاله الحسن[٢٤٢٥].

وقال الحسن:" الغني ورخص السعر"[٢٤٢٦].

الثاني : أنه المال وزينة الدنيا ، قال قتادة[٢٤٢٧].

قال قتادة:" رأى عليهم قشرا من قشر الدنيا وزينتها"[٢٤٢٨].

والصواب أن المراد: خير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر، ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها، وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وَسَّع الله عليكم رزقكم[٢٤٢٩].

القرآن

{وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)} [هود : ٨٥]

التفسير:

ويا قوم أتمُّوا المكيال والميزان بالعدل، ولا تُنْقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد.

قوله تعالى:{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [هود : ٨٥]، أي:" ولا تُنْقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم"[٢٤٣٠].

قال ابن عباس:" لا تظلموا الناس أشياءهم"[٢٤٣١]. وروي، عن قتادة والسدي نحو ذلك[٢٤٣٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [هود : ٨٥]، أي:" ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد"[٢٤٣٣].

قال قتادة:" لا تسيروا في الأرض مفسدين"[٢٤٣٤].

(٢٤٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٦، و(١١١١٩):ص٢٠٧٠/٦.
(٢٤٢١) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢١):ص٢٠٧٠/٦.
(٢٤٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٠):ص٢٠٧٠/٦.
(٢٤٢٤) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٦٨):ص٤٤٤/١٥.
(٢٤٢٦) أخرجه الطبري(١٨٤٦٩):ص٤٤٤/١٥.
(٢٤٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٧٠):ص٤٤٤/١٥.
(٢٤٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٢):ص٢٠٧١/٦.
(٢٤٢٩) تفسير الطبري:٤٤٥/١٥.
(٢٤٣٠) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٥):ص٢٠٧١/٦.
(٢٤٣٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٧١/٦.. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٤٣٣) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٨):ص٢٠٧١/٦.

قال أبو مالك:" لا تمشوا بالمعاصي"[٢٤٣٥].

القرآن

{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)} [هود : ٨٦]

التفسير:

إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم ممَّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام، إن كنتم تؤمنون بالله حقا، فامتثلوا أمره، وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم.

قوله تعالى:{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} [هود : ٨٦]، أي:" إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم ممَّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام"[٢٤٣٦].

عن مجاهد: {بقيت الله خير لكم}، قال: طاعة الله"[٢٤٣٧].

وقال قتادة:" يقول: حظكم من ربكم خير لكم"[٢٤٣٨].

وقال الربيع بن أنس:" وصية الله خير لكم"[٢٤٣٩].

وقال الحسن:" رزق الله خير لكم من بخسكم الناس"[٢٤٤٠].

القرآن

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)} [هود : ٨٧]

التفسير:

قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا -استهزاءً به-: إنك لأنت الحليم الرشيد.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود : ٨٧]، أي:" قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان"[٢٤٤١].

عن الأعمش:"{أَصَلَاتُكَ}: قراءتك"[٢٤٤٢].

قال الحسن:" أي والله إن صلواته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم"[٢٤٤٣].

قوله تعالى:{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} [هود : ٨٧]، أي:" أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟"[٢٤٤٤].

قال زيد بن أسلم:" كان ينهاهم عن حذف الدراهم، وحذف الدراهم من الفساد في الأرض"[٢٤٤٥].

عن قتادة :"{أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء}، أي: ما نشتهي"[٢٤٤٦].

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود : ٨٧]، أي:" وقالوا -استهزاءً به-: إنك لأنت الحليم الرشيد"[٢٤٤٧].

عن ميمون بن مهران، في قول الله: "{إنك لأنت الحليم الرشيد}، قال: هزوا"[٢٤٤٨].

(٢٤٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٩):ص٢٠٧٢/٦.
(٢٤٣٦) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٠):ص١٠٧٢/٦.
(٢٤٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣١):ص١٠٧٢/٦.
(٢٤٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٢):ص١٠٧٢/٦.
(٢٤٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٣):ص١٠٧٢/٦.
(٢٤٤١) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٣٥):ص١٠٧٢/٦.
(٢٤٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٦):ص٢٠٧٢/٦.
(٢٤٤٤) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٣٧):ص٢٠٧٣/٦.
(٢٤٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٨):ص٢٠٧٢/٦.
(٢٤٤٧) التفسير الميسر:٢٣١.

عن قتادة قوله: "{إنك لأنت الحليم الرشيد}، قال: استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم"(٢٤٤٩).

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)} [هود : ٨٨]

التفسير:

قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقًا واسعًا حلالا طيبًا؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمرًا نهيتكم عنه، وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قَدْر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي -في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم- إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود : ٨٨]، أي:" قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال"(٢٤٥٠).

عن جعفر بن سليمان قال: "سمعت أبا عمران الجوني قرأ هذه الآية: إني على بينة من ربي قال: على ثقة"(٢٤٥١).

قوله تعالى:{وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} [هود : ٨٨]، أي:" ورزقني منه رزقًا واسعًا حلالا طيبًا"(٢٤٥٢).

قال الضحاك:" الرزق الحسن: الحلال"(٢٤٥٣).

قوله تعالى:{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود : ٨٨]، أي:" وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمرًا نهيتكم عنه"(٢٤٥٤).

قال قتادة:" يقول: لم أكن أنهاكم، عن أمر وأركبه"(٢٤٥٥).

عن مسروق :"أن امرأة جاءت ابن مسعود رضي الله عنه فقالت أتنهى، عن الواصلة قال: نعم فقالت المرأة: فلعله في بعض نسائك فقال ما حفظت إذا وصية العبد الصالح {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه}"(٢٤٥٦).

عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه : أن أخاه مالكًا قال : "يا معاوية ، إن محمدًا أخذ جيراني ، فانطلق إليه ، فإنه قد كلمك وعرفك ، فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني ، فقد كانوا أسلموا. فأعرض عنه. فقام مُتَمَعطًا، فقال : أما والله لئن فَعلتَ إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. وجعلت أجرّه وهو يتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما تقول ؟" فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك. إن الناس ليزعمون أنك لتأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. قال : فقال : "أوَ قد قالوها - أو قائلهم - ولئن فعلت ذلك ما ذاك إلا عليّ ، وما عليهم من ذلك من شيء ، أرسلوا له جيرانه"(٢٤٥٧).

قوله تعالى:{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود : ٨٨]، أي:" وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قَدْر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي -في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم- إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإناب "(٢٤٥٨).

عن مجاهد، قوله: "{وإليه أنيب}، قال: إليه أرجع"(٢٤٥٩).

(٢٤٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤١):ص٢٠٧٣/٦.
(٢٤٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٢):ص٢٠٧٣/٦.
(٢٤٥٠) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٣):ص٢٠٧٣/٦.
(٢٤٥٢) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٤):ص٢٠٧٣/٦.
(٢٤٥٤) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٦):ص١٠٧٤/٦.
(٢٤٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٥):ص١٠٧٤/٦.
(٢٤٥٧)المسند (٤٤٧/٤).
(٢٤٥٨) التفسير الميسر:٢٣١.

وروي عن عبيد بن يعلى، قال: "«الإنابة»: الدعاء"[٢٤٦٠].

عن أبي سليمان الضبي، قال: "كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز إلى خراسان فيها الأمر والنهي فيكتب في آخرها: وما كنت في ذلك إلا كما قال العبد الصالح: {وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب}"[٢٤٦١].

القرآن

{وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩)} [هود : ٨٩]

التفسير:

ويا قوم لا تحملنَّكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حلَّ بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ} [هود : ٨٩]، أي:" ويا قوم لا تحملنَّكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك"[٢٤٦٢].

قال السدي:" يقول: لا تحملنكم عداوتي على أن تمادوا في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب ما أصابهم"[٢٤٦٣].

عن قتادة قوله: "{لا يجرمنكم شقاقي}، أي: لا يحملنكم"[٢٤٦٤].

وفي قوله تعالى:{شِقَاقِي} [هود : ٨٩]، أربعة أقوال:

أحدها : إضراري ، قاله الحسن[٢٤٦٥].

الثاني : عداوتي ، قاله السدي[٢٤٦٦]، ومنه قول الأخطل[٢٤٦٧]:

ألا من مبلغ قيساً رسولاً ... فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

الثالث : فراقي، قاله قتادة[٢٤٦٨].

الرابع: عداوتي وبغضائي وفراقي. قاله ابن جريج[٢٤٦٩].

عن أبي ليلى الكندي قال: "كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان رضي الله عنه إذا أشرف علينا من داره فقال: يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوني إنكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه."[٢٤٧٠].

قوله تعالى:{وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]، أي:" وما قوم لوط وما حلَّ بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان"[٢٤٧١].

قال قتادة:"إنما كانوا حديثي عهد قريب بعد قوم نوح وعاد وثمود"[٢٤٧٢].

(٢٤٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٨):ص٢٠٧٤/٦.
(٢٤٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٩):ص٢٠٧٤/٦.
(٢٤٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٧):ص١٠٧٤/٦.
(٢٤٦٢) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٦٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٥):ص٢٠٧٥/٦.
(٢٤٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٠):ص٢٠٧٤/٦.
(٢٤٦٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥١):ص٢٠٧٥/٦.
(٢٤٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥٣):ص٢٠٧٥/٦.
(٢٤٦٧) انظر: النكت والعيون:٤٩٨/٢، وتفسير القرطبي:٩٠/٩، وفتح القدير للشوكاني:٥٨٩/٢، وغيرها.
(٢٤٦٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥٢):ص٢٠٧٥/٦.
(٢٤٦٩) انظر تفسير الطبري(١٨٥٠٤):ص٤٥٥/١٥.
(٢٤٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٤):ص٢٠٧٥/٦.
(٢٤٧١) التفسير الميسر:٢٣١.
(٢٤٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٧):ص٢٠٧٥/٦.

قال قتادة:" إنما أهلكوا من أيديكم أمس"[٢٤٧٣].

القرآن

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)} [هود : ٩١]

التفسير:

قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول، وإننا لنراك فينا ضعيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْما بالحجارة -وكان رهطه من أهل ملتهم-، وليس لك قَدْر واحترام في نفوسنا.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود : ٩١]، أي:" قالوا لنبيّهم شعيب على وجه الاستهانة: ما نفهم كثيراً مما تحدثنا به، وإننا لنراك فينا ضعيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء"[٢٤٧٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود : ٩١]، وجوه:

أحدها: أعمى، قاله سعيد بن جبير[٢٤٧٥]، وقتادة، وشريك[٢٤٧٦].

قال سعيد بن جبير:" كان أعمى"[٢٤٧٧]. وفي لفظ:" كان ضرير البصر"[٢٤٧٨].

الثاني : قليل المعرفة، وحيداً ، قاله السدي[٢٤٧٩].

قال السدي:" أنت واحد"[٢٤٨٠].

الثالث : ذليلاً مهيناً ، قاله الحسن[٢٤٨١]، وأبو روق[٢٤٨٢].

قال أبو روق:" قالوا له إن عشيرتك ليسوا على دينك فأنت ذليل ضعيف"[٢٤٨٣].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} [هود : ٩١]، أي:" ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْما بالحجارة[٢٤٨٤].

قال أبو روق:" أي: ولولا عشيرتك نحفظك فيهم لرجمناك"[٢٤٨٥].

قال أبو روق:" أي: لشتمناك وآذيناك ولفعلنا بك"[٢٤٨٦].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)} [هود : ٩٢]

التفسير:

قال: يا قوم أعشيرتي أعزُّ وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلا وآجلا.

(٢٤٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٦):ص٢٠٧٥/٦.

(٢٤٧٤) صفوة التفاسير:٢٦/٢.

(٢٤٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٠٧):ص٤٥٧/١٥.

(٢٤٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٥١٠):ص٤٥٨/١٥.

(٢٤٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٦١):ص٢٠٧٦/٦، والطبري(١٨٥٠٧):ص٤٥٧/١٥.

(٢٤٧٨) أخرجه الطبري(١٨٥١٣):ص٤٥٨/١٥.

(٢٤٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٦٣):ص٢٠٧٦/٦.

(٢٤٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٦٣):ص٢٠٧٦/٦.

(٢٤٨١) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٢.

(٢٤٨٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٦٤):ص٢٠٧٦/٦.

(٢٤٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٦٤):ص٢٠٧٦/٦.

(٢٤٨٤) التفسير الميسر:٢٣٢.

(٢٤٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٦٥):ص٢٠٧٦/٦.

(٢٤٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٦٧):ص٢٠٧٧/٦.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود : ٩٢]، أي:" قال: يا قوم أعشيرتي أعزُّ وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه"[٢٤٨٧].

قال قتادة:" يقول: عززتم قومكم، وأظهرْتم بربكم"[٢٤٨٨]. وفي رواية أخرى:" لا تخافونه"[٢٤٨٩].
قال مجاهد:" رهط شعيب جعلوا الله وراءهم ظهريا"[٢٤٩٠]. وفي رواية:" تركتم ما جاء به شعيب"[٢٤٩١].
وفي قوله تعالى:{وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود : ٩٢]، وجهان:
أحدها : أطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، وهذا معنى قول مجاهد[٢٤٩٢]، والسدي[٢٤٩٣]، ومنه قول الشاعر[٢٤٩٤]:
فَمَنْ مُبْلِغٌ أَبْنَاءَ مُرَّةَ أَنَّنَا ... وَجَدْنَا بَنِي البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ
أي: من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم.
قال السدي:" فجعلتموه خلف ظهوركم فلم تطيعوه ولم تخافوه"[٢٤٩٥].
الثاني : يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، حكاه الماوردي عن السدي[٢٤٩٦]، من قولهم: حملت فلاناً على ظهري اذا أظهرت عناده .

القرآن
{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)} [هود : ٩٣]
التفسير:
ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقتكم وحالتكم، إني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي مِن دعوتكم إلى التوحيد، سوف تعلمون مَن منا يأتيه عذاب يذلُّه، ومَن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟ وانتظروا ما سيحل بكم إني معكم من المنتظرين.
قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ} [هود : ٩٣]، أي:" ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقتكم وحالتكم، إني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي مِن دعوتكم إلى التوحيد"[٢٤٩٧].
عن مجاهد:" {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}، قال:" على ناحيتكم"[٢٤٩٨]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[٢٤٩٩].

(٢٤٨٧) التفسير الميسر:٢٣٢.
(٢٤٨٨) أخرجه الطبري(١٨٥١٧):ص٤٦٠/١٥.
(٢٤٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٤):ص٢٠٧٧/٦.
(٢٤٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٧٢):ص٢٠٧٧/٦.
(٢٤٩١) أخرجه الطبري(١٨٥٢٢):ص٤٦١/١٥.
(٢٤٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٢٢)-(١٨٥٢٧):ص٤٦١/١٥-٤٦٢.
(٢٤٩٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٧٦):ص٢٠٧٨/٦.
(٢٤٩٤) البيت لأرطأة بن سهية فى اللسان (ظهر)، وغير مغزو في مجاز القرآن:٢٩٨/١، وتفسير الطبري:٤٥٩/١٥، والأغاني ١٣: ٢٩ - ٤٤ (دار الكتب) ترجمة أرطاة بن سهية = والأغاني ١٢: ٢٧١ - ٢٨١ (ساسي) ترجمة شبيب بن البرصاء
وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، وهما جميعًا من بني مرة بن سعد بن ذبيان، والهجاء بينهما كثير، وهذا منه.
(٢٤٩٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٧٦):ص٢٠٧٨/٦.
(٢٤٩٦) انظر: النكت والعيون:٥٠٠/٢.
(٢٤٩٧) التفسير الميسر:٢٣٢.
(٢٤٩٨) تفسير مجاهد: ٥٧٩.
(٢٤٩٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٣٩٠/٤.

قوله تعالى:{سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [هود : ٩٣]، أي:" ، سوف تعلمون مَن منا يأتيه عذاب يذلُّه"(٢٥٠٠).

عن الحسن :"{سوف تعلمون}، قال: وعيد"(٢٥٠١).

عن عكرمة، في قوله: "{من يأتيه عذاب يخزيه}، قال: الغرق"(٢٥٠٢).

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤)} [هود : ٩٤]

التفسير:

ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجَّينا رسولنا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، فأهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حِرَاك بهم.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا } [هود : ٩٤]، أي:" ولما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا شعيباً والمؤمنين معه بسبب رحمة عظيمة منا لهم"(٢٥٠٣).

قال محمد بن إسحاق: "بلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى إذ أنضجهم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها ما هم فيه حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت. فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه فأصابه على قومه حزن لما نزل بهم من نقمة الله"(٢٥٠٤).

قوله تعالى:{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} [هود : ٩٤]، أي:" وأخذ أولئك الظالمين صيحةُ العذاب"(٢٥٠٥).

عن محمد بن كعب القرظي، قال:" إن أهل مدين عذبوا ثلاثة أصناف من العذاب أحدهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا البيوت إن تسقط عليهم، فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال: ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد، هلموا أيها الناس، فدخلوا جميعا تحت الظلة، فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا"(٢٥٠٦).

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود : ٩٤]، أي:" فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حِرَاك بهم"(٢٥٠٧).

قال قتادة:" ميتين"(٢٥٠٨).

القرآن

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)} [هود : ٩٥]

التفسير:

كأن لم يقيموا في ديارهم وقتًا من الأوقات. ألا بُعدًا لـ «مدين» -إذ أهلكها الله وأخزاها- كما بَعِدت ثمود، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك.

قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [هود : ٩٥]، أي:" كأن لم يقيموا في ديارهم وقتًا من الأوقات"(٢٥٠٩).

قال قتادة:" كأن لم يعيشوا فيها، كأن لم ينعموا"(٢٥١٠).

وقال أبو مالك:" كأن لم يكونوا فيها"(٢٥١١).

(٢٥٠٠) التفسير الميسر:٢٣٢.

(٢٥٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٩):ص٢٠٧٨/٦.

(٢٥٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٠):ص٢٠٧٨/٦.

(٢٥٠٣) صفوة التفاسير:٢٧/٢.

(٢٥٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨١):ص٢٠٧٩/٦.

(٢٥٠٥) صفوة التفاسير:٢٧/٢.

(٢٥٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٢):ص٢٠٧٩/٦.

(٢٥٠٧) التفسير الميسر:٢٣٢.

(٢٥٠٨) تفسير عبدالرزاق(١٢٠٦):ص١٨٨/٢.

(٢٥٠٩) التفسير الميسر:٢٣٢.

(٢٥١٠) تفسير عبدالرزاق(٩٢٢):ص٨٥/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٧٣٧):ص١٥٢٤/٥.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦)} [هود : ٩٦]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها -بقلب صحيح- أنها تدل على وحدانية الله، وكَذِبِ كلِّ من ادَّعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} [هود : ٩٦]، أي:" لقد أرسلنا موسى بشرائع وأحكام وتكاليف إلهية"(٢٥١٢).

عن أبي صالح: "{أرسل}، قال: بعث"(٢٥١٣).

عن مجاهد "{بآياتنا}، قال: بالبينات"(٢٥١٤).

قوله تعالى:{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [هود : ٩٦]، أي:" وأيدناه بمعجزات قاهرة، وبينات قاهرة، كالعصا واليد"(٢٥١٥).

عن قتادة قوله: "{وسلطان مبين}: سلطان من الله وعذر مبين"(٢٥١٦).

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"(٢٥١٧).

القرآن

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)} [هود : ٩٧]

التفسير:

أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون وأمر قومه أن يتبعوه، فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد.

قوله تعالى:{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [هود : ٩٧]، أي:" أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه"(٢٥١٨).

قال مجاهد:" كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر"(٢٥١٩).

قال ابن وهب :"أخبرني ابن لهيعة أن فرعون كان من أبناء مصر"(٢٥٢٠).

قال محمد بن المنكدر: "عاش فرعون ثلاثمائة سنة، فيها مائتان وعشرون سنة لم ير فيها يقذي عينه، ودعاه موسى ثمانين سنة"(٢٥٢١).

القرآن

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨)} [هود : ٩٨]

التفسير:

يَقْدُم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، وقبُح المدخل الذي يدخلونه.

قوله تعالى:{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٩٨]، أي:" يتقدم فرعون أمام قومه إلى النار يوم القيامة كما كان يتقدمهم في الدنيا"(٢٥٢٢).

(٢٥١١)تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٣٧):ص١٥٢٤/٥.
(٢٥١٢) صفوة التفاسير:٢/ ٢٧.
(٢٥١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٤):ص١٠٧٩/٦.
(٢٥١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٥):ص١٠٧٩/٦.
(٢٥١٥) صفوة التفاسير:٢/ ٢٧.
(٢٥١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٧):ص٢٠٨٠/٦.
(٢٥١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(٢٥١٨) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٨٩):ص٢٠٨٠/٦.
(٢٥٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٩٠):ص٢٠٨٠/٦.
(٢٥٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٨٨):ص٢٠٨٠/٦.

قال قتادة:" يقول: يقود قومه يوم القيامة"[٢٥٢٣]. وفي رواية أخرى:" يمضي بين أيديهم يحم بهم على النار"[٢٥٢٤].

القرآن

{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)} [هود : ٩٩]

التفسير:

وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجَّله لهم فيها من الغرق في البحر لعنةً، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادَف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٩٩]، أي:" وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجَّله لهم فيها من الغرق في البحر لعنةً، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار"[٢٥٢٥].

عن مجاهد: "{وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة}، قال: زيدوا بلعنته لعنةً أخرى، فتلك لعنتان"[٢٥٢٦].

قوله تعالى:{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [هود : ٩٩]، أي:" وبئس ما اجتمع لهم وترادَف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة"[٢٥٢٧].

عن قتادة: "{بئس الرفد المرفود}، قال: لعنهم الله في الدنيا، وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة"[٢٥٢٨].

قال الضحاك:" أصابتهم لعنتان في الدنيا، رفدت إحداهما الأخرى"[٢٥٢٩].

القرآن

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠)} [هود : ١٠٠]

التفسير:

ذلك الذي ذكرناه لك -أيها الرسول- من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك به، ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} [هود : ١٠٠]، أي:" ذلك الذي ذكرناه لك -أيها الرسول- من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك به"[٢٥٣٠].

قال أبو مالك:" {أنباء}، يعني: أحاديث"[٢٥٣١].

قوله تعالى:{مِنْهَا قَائِمٌ} [هود : ١٠٠]، أي:" ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء"[٢٥٣٢].

عن محمد بن كعب في قوله: "{قائم وحصيد}، قال: ما كان من بنيانهم قائم لم يخرب"[٢٥٣٣].

قوله تعالى:{وَحَصِيدٌ} [هود : ١٠٠]، أي:" ومن تلك القرى ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء"[٢٥٣٤].

عن الأعمش:" {وحصيد}، قال: خر بنيانه"[٢٥٣٥].

قال قتادة:" قرى خاوية على عروشها لاصق بالأرض ولا ترى فيها أثرا"[٢٥٣٦].

(٢٥٢٢) صفوة التفاسير:٢٧/٢.
(٢٥٢٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩١):ص٢٠٨٠/٦.
(٢٥٢٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩٢):ص٢٠٨٠/٦.
(٢٥٢٥) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥٢٦) أخرجه الطبري(١٨٥٣٧):ص٤٦٨/١٥.
(٢٥٢٧) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥٢٨) أخرجه الطبري(١٨٥٤٢):ص٤٦٩/١٥.
(٢٥٢٩) أخرجه الطبري(١٨٥٤٥):ص٤٧٠/١٥.
(٢٥٣٠) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٠):ص٢٠٨٢/٦.
(٢٥٣٢) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٢):ص٢٠٨٣/٦.
(٢٥٣٤) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٢٥٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٤):ص٢٠٨٣/٦.

القرآن

{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)} [هود : ١٠١]

التفسير:

وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعُونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضر لمَّا جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود : ١٠١]، أي:" وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض"[٢٥٣٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصصنا نبأها عليك، يا محمد، بغير استحقاق منهم عقوبتنا، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا هم في غير موضعها، ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به، عقوبته وعذابه، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها"[٢٥٣٨].

قوله تعالى:{فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} [هود : ١٠١]، أي:" ، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعُونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضر لمَّا جاء أمر ربك بعذابهم"[٢٥٣٩].

قال الطبري:" يقول: فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله، ويدعونها أربابا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربهم من شيء، ولا ردت عنهم شيئا منه، لما جاء قضاء ربك بعذابهم، فحق عليهم عقابه، ونزل بهم سخطه"[٢٥٤٠].

قوله تعالى:{وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود : ١٠١]، أي:" وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران"[٢٥٤١].

قال مجاهد:" يعني: غير تخسير"[٢٥٤٢]. وروي عن قتادة مثله[٢٥٤٣]

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)} [هود : ١٠٢]

التفسير:

وكما أخذتُ أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، آخذ غيرهم مِن أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله. إنَّ أخْذه بالعقوبة لأليم موجع شديد.

قوله تعالى:{إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود : ١٠٢]، أي:" إنَّ أخْذه بالعقوبة لأليم موجع شديد"[٢٥٤٤].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٥٤٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٥٤٦].

القرآن

(٢٥٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٥):ص٢٠٨٣/٦.
(٢٥٣٧) التفسير الميسر:٢٢٣.
(٢٥٣٨) تفسير الطبري:٤٧٢/١٥.
(٢٥٣٩) التفسير الميسر:٢٢٣.
(٢٥٤٠) تفسير الطبري:٤٧٢/١٥.
(٢٥٤١) التفسير الميسر:٢٢٣.
(٢٥٤٢) تفسير مجاهد: ٣٩١، وتفسير الطبري(١٨٥٥٤):ص٤٧٣/١٥.
(٢٥٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٥٦):ص٤٧٣/١٥.
(٢٥٤٤) التفسير الميسر:٢٢٣.
(٢٥٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٥٤٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)} [هود : ١٠٣]

التفسير:

إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرةً وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعًا للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم.

قوله تعالى:{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود : ١٠٣]، أي:" ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعًا للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم "[٢٥٤٧].

عن مجاهد في قوله: "{ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}، قال: يوم القيامة"[٢٥٤٨]. وروي عن عكرمة مثله[٢٥٤٩].

عن الضحاك قوله: "{ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}، قال: ذلك يوم القيامة، يجتمع فيه الخلق كلهم، ويشهدُه أهل السماء وأهل الأرض"[٢٥٥٠].

القرآن

{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)} [هود : ١٠٥]

التفسير:

يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بإذن ربها، فمنهم شقي متسحق للعذاب، وسعيد متفضَّل عليه بالنعيم.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود : ١٠٥]، أي:" يوم يأتي ذلك اليوم الرهيب لا يتكلم أحدٌ إلا بإذن الله تعالى"[٢٥٥١].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إلا بإذنه}، قال: من يتكلم عنده إلا بإذنه"[٢٥٥٢].

القرآن

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)} [هود : ١٠٦]

التفسير:

فأما الذين شَقُوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، لهم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب إخراج النفس من الصدر زفير وشهيق، وهما أشنع الأصوات وأقبحها.

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود : ١٠٦]، أي:" لهم من شدة كربهم {زَفِيرٌ} وهو إخراج النَّفَس بشدة {وَشَهِيقٌ} وهو ردُّ النَّفَس بشدة"[٢٥٥٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود : ١٠٦]، وجهان:

أحدهما : أن الزفير: في الحلق من شدة الحزن ، مأخوذ من: الزفير ، والشهيق: في الصدر ، قاله الربيع بن أنس[٢٥٥٤]، وأبو العالية[٢٥٥٥].

الثاني : أن الزفير: أول نهيق الحمار، والشهيق آخر نهيقه. قاله قتادة[٢٥٥٦]، قال الشاعر :

حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق ... حتى يقال ناهق وما نهق

قال قتادة:" صوت الكافر في النار صوت الحمار، أوّله زفير وآخره شهيق"[٢٥٥٧].

(٢٥٤٧) التفسير الميسر:٢٢٣.
(٢٥٤٨) اخرجه الطبري(١٨٥٦٢):ص٤٧٧/١٥.
(٢٥٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٣):ص٤٧٧/١٥.
(٢٥٥٠) اخرجه الطبري(١٨٥٦٦):ص٤٧٨/١٥.
(٢٥٥١) صفوة التفاسير:٣٠/٢.
(٢٥٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٢٠):ص٢٠٨٤/٦.
(٢٥٥٣) صفوة التفاسير:٣٠/٢.
(٢٥٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٨):ص٤٨٠/١٥.
(٢٥٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٩):ص٤٨٠/١٥.
(٢٥٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٧٠):ص٤٨٠/١٥.
(٢٥٥٧) أخرجه الطبري(١٨٥٧٠):ص٤٨٠/١٥.

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧)} [هود : ١٠٧]

التفسير:

ماكثين في النار أبدًا ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكَّد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدَّة من مكثهم في النار. إن ربك -أيها الرسول- فعَّال لما يريد.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٧]، أي:" ماكثين في النار أبدًا ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكَّد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدَّة من مكثهم في النار"(٢٥٥٨).

عن قتادة قوله: {فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك}، الله أعلم بتثنيته(٢٥٥٩)على ما وقعت به"(٢٥٦٠).

عن سعيد بن جبير :"{خالدين فيها}، يعني: لا يموتون"(٢٥٦١).

عن السدي :"{إلا ما شاء ربك}، فإن هذه الآية يوم نزلت كانوا يطمعون في الخروج، فنسختها قوله: {خالدين فيها أبدا}"(٢٥٦٢).

عن الشعبي، قال: "جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا"(٢٥٦٣).

عن الضحاك بن مزاحم قوله: "{إلا ما شاء ربك}، يقول: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة"(٢٥٦٤).

قال الحسن:" فأما الاستثناءان جميعا ففي أهل التوحيد الذين يعذبون في البراني وهو واد يعذب الموحدون فيه ثم يشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم يردون إلى الجنة ويقول: الذين شقوا خالدين فيها إلا الموحدون الذين يخرجون من البراني"(٢٥٦٥).

وعن خالد بن مهران قوله: "{إلا ما شاء ربك}، قال: إنه في أهل التوحيد من أهل القبلة"(٢٥٦٦).

قال السدي:" أما السماء والأرض فسماء الجنة وأرضها"(٢٥٦٧).

قال الحسن:" تبدل سماء غير هذه وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض"(٢٥٦٨).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود : ١٠٧]، أي:" إن ربك -أيها الرسول- فعَّال لما يريد"(٢٥٦٩).

عن الجريدي، سمعت أبا نضرة يقول:" ينتهي القرآن كله إلى هذه الآية: {إن ربك فعال لما يريد}"(٢٥٧٠).

قال الحسن:" إذا كان يوم القيامة أخذ الله السماوات السبع والأرضين السبع فطهرهن من كل قذر ودنس فصيرهن أرضا بيضاء فضة نورا تلألأ فصيرهن أرضا للجنة والسماوات والأرضون اليوم في الجنة كالجنة في الدنيا فصيرهن الله على عرض الجنة ويضع الجنة عليها وهي اليوم على أرض زعفرانية، عن يمين العرش فما دامت أرضا للجنة وأهل الشرك خالدين في جهنم ما دامت أرض الجنة"(٢٥٧١).

(٢٥٥٨) التفسير الميسر:٢٣٣.

(٢٥٥٩)الدر (بمشيئة) ٤/ ٤٧٧.

(٢٥٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٧):ص٢٠٨٧/٦.

(٢٥٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٢٨):ص٢٠٨٥/٦.

(٢٥٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٨):ص٢٠٨٧/٦.

(٢٥٦٣) أخرجه الطبري(١٨٥٨١):ص٤٨٤/١٥.

(٢٥٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٦):ص٢٠٨٧/٦.

(٢٥٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٤):ص٢٠٨٦/٦.

(٢٥٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٥):ص٢٠٨٧/٦.

(٢٥٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٣٢):ص٢٠٨٦/٦.

(٢٥٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٠):ص٢٠٨٦/٦.

(٢٥٦٩) التفسير الميسر:٢٣٣.

(٢٥٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٩):ص٢٠٨٧/٦.

(٢٥٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣١):ص٢٠٨٦/٦.

القرآن

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)} [هود : ١٠٨]

التفسير:

وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيره، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٨]، أي:" وأما الذين رزقهم الله السعادة فهم مستقرون في الجنة، لا يُخْرجون منها أبداً، دائمون فيها دوام السماوات والأرض، حسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام"[٢٥٧٢].

عن أبي سنان، في قوله: {وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ... إلا ما شاء ربك}، ومشيئته خلودهم فيها، ثم أتبعها عطاء غير مجذوذ"[٢٥٧٣].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٨]، وجهان من التفسير:

أحدهما: {إلا ما شاء ربك} من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها ، قاله الضحاك[٢٥٧٤].

الثاني : {خالدين فيها}، يعني: أهل التوحيد ، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك ، وهو يشبه قول أبي نضرة[٢٥٧٥].

قوله تعالى:{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود : ١٠٨]، أي:" عطاءً غير مقطوع عنهم"[٢٥٧٦].

قال الحسن:" لا ينقص منه شيء"[٢٥٧٧].

القرآن

{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١٠٩)} [هود : ١٠٩]

التفسير:

فلا تكن -أيها الرسول- في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وإنا لموفوهم ما وعدناهم تاما غير منقوص. وهذا توجيه لجميع الأمة، وإن كان لفظه موجهًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلَّم.

قوله تعالى:{ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ} [هود : ١٠٩]، أي:" فلا تكن -أيها الرسول- في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل"[٢٥٧٨].

عن قتادة، قال: "ما يعبد هؤلاء الآلهة إلا ليشفعوا عند الله"[٢٥٧٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} [هود : ١٠٩]، أي:" وإنا لموفوهم ما وعدناهم تاما غير منقوص"[٢٥٨٠].

عن أبي العالية في قوله: "{وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص}، قال: من الرزق"[٢٥٨١].

(٢٥٧٢) صفوة التفاسير:٣١/٢.

(٢٥٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٣):ص٢٠٨٨/٦.

(٢٥٧٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١١٢٤٤):ص٢٠٨٨/٦.

(٢٥٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٧٩):ص٤٨٣/١٥.

(٢٥٧٦) صفوة التفاسير:٣١/٢.

(٢٥٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٦):ص٢٠٨٨/٦.

(٢٥٧٨) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٢٥٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٧):ص٢٠٨٨/٦.

(٢٥٨٠) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٢٥٨١) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٩):ص٢٠٨٩/٦.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)} [هود : ١١٠]

التفسير:

ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين. وإن الكفار من اليهود والمشركين -أيها الرسول- لفي شك -من هذا القرآن- مريب.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ} [هود : ١١٠]، أي:" ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن"(٢٥٨٢).

عن قتادة :"{آتينا موسى الكتاب}، قال: التوراة"(٢٥٨٣).

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [هود : ١١٠]، أي:" ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين"(٢٥٨٤).

قال السدي:" كان الناس أهل دين واحد، على دين آدم فكفروا فلولا أن ربك أجلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم"(٢٥٨٥).

القرآن

{وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)} [هود : ١١١]

التفسير:

وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك -أيها الرسول- أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم.

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [هود : ١١١]، أي:" إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم"(٢٥٨٦).

قال قتادة:" خبير بخلقه" (٢٥٨٧).

القرآن

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)} [هود : ١١٢]

التفسير:

فاستقم -أيها النبي- كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حدَّه الله لكم، إن ربَّكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود : ١١٢]، أي: فاستقم -أيها النبي- كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك"(٢٥٨٨).

قال قتادة: "أمر الله نبيه أن يستقيم على أمره"(٢٥٨٩).

قال السدي:" الخطاب له والمراد منه أمته"(٢٥٩٠).

(٢٥٨٢) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٢٥٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٥١):ص٢٠٨٩/٦.

(٢٥٨٤) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٢٥٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٨٨):ص١٩٣٧/٦.

(٢٥٨٦) التفسيرالميسر:٢٣٤/١.

(٢٥٨٧) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

(٢٥٨٨) التفسيرالميسر:٢٣٤/١.

(٢٥٨٩) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٩٣/٢.

(٢٥٩٠) ذكره الواحدي في "البسيط":٥٧٦/١١، والقرطبي في "التفسير": ٩/ ١٠٧.

عن عثمان بن حاضر الأزدي، قال: «دخلت على ابن عباس فقلت أوصني! فقال: نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[٢٥٩١].

القرآن

{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)} [هود : ١١٣]

التفسير:

ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة، فتصيبكم النار، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ويتولى أموركم.

قوله تعالى:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود : ١١٣]، أي:" لا تميلوا إلى الظلمة من الولاة وغيرهم من الفسقة الفجرة فتمسكم نار جهنم"[٢٥٩٢].

قال قتادة:" لا تلحقوا بالشرك، وهو الذي خرجتم منه"[٢٥٩٣].

قال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم. يقول: «الركون»، الرضى"[٢٥٩٤].

وحكى:" أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه، فلما أفاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم، فكيف بالظالم"[٢٥٩٥].

وعن الحسن -رحمه الله-: «جعل الله الدين بين لاءين: ولا تطغوا، ولا تركنوا»[٢٥٩٦].

ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين: «عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا، حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلو، الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا}، فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام»[٢٥٩٧].

وقال سفيان: «في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك»[٢٥٩٨].

وعن الأوزاعى: «ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا»[٢٥٩٩].

وعن محمد ابن مسلمة: «الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء»[٢٦٠٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»[٢٦٠١].

(٢٥٩١)الدارمي (١/ ٥٣) وذم الكلام (٢/ ٦٥ - ٦٦/ ٢٦٣) والإبانة (١/ ٣١٨/٢ - ٣١٩/ ١٥٧) وابن وضاح (ص.٦٥) والفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٦) بنحوه وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤).

(٢٥٩٢) صفوة التفاسير:٢١/٢.

(٢٥٩٣) أخرجه الطبري(١٨٦٠٧):ص٥٠١/١٥.

(٢٥٩٤) أخرجه الطبري(١٨٦٠٤):ص٥٠٠/١٥.

(٢٥٩٥) الكشاف:٤٣٣/٢.

(٢٥٩٦) الكشاف:٤٣٣/٢.

(٢٥٩٧) الكشاف:٤٣٣/٢-٤٣٤.

(٢٥٩٨) الكشاف: ٤٣٤/٢.

(٢٥٩٩) الكشاف: ٤٣٤/٢.

(٢٦٠٠) الكشاف: ٤٣٤/٢.

(٢٦٠١)قد رواه البيهقي في السادس والستين من الشعب من رواية يونس بن عبد عن الحسن من قوله. وذكره أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري.

ولقد سئل سفيان :«عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت»[٢٦٠٢].

القرآن

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)} [هود : ١١٤]

التفسير:

وأدِّ الصلاة -أيها النبي- على أتمِّ وجه طَرَفَي النهار في الصباح والمساء، وفي ساعات من الليل. إنَّ فِعْلَ الخيرات يكفِّر الذنوب السالفة ويمحو آثارها، والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر.

سبب النزول:

عن أبي عثمان النهدي، عن عبد الله بن مسعود:" أن رجلا نال من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن كفارتها قال: فنزلت: {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل} [هود: ١١٤]، قال: يا رسول الله هذه لي قال: «لمن عمل من أمتي»"[٢٦٠٣].

وفي رواية عن سفيان، عن ابن مسعود قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أصبت منها كل شيء إلا الجماع يعني من امرأة فأنزل الله: {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات}"[٢٦٠٤].

قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود : ١١٤]، أي:" أقم الصلاة المكتوبة على تمامها وكمالها أول النهار وآخره"[٢٦٠٥].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٢٦٠٦].

وأما «الطرف الأول» فصلاة الصبح باتفاق[٢٦٠٧]، وأما الطرف الثاني، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عنى صلاة الظهر والعصر ، قاله مجاهد[٢٦٠٨]، ومحمد بن كعب القرظي[٢٦٠٩]، والضحاك[٢٦١٠].

الثاني: صلاة العصر وحدها ، قاله الحسن[٢٦١١]، وقتادة[٢٦١٢]، وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي[٢٦١٣]، والضحاك[٢٦١٤] أيضا.

الثالث : صلاة المغرب، وهو مروي عن الحسن في رواية أخرى[٢٦١٥].

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قولُ من قال: "هي صلاة المغرب"، لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر، وهي تصلى قبل طلُوع الشمس. فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعًا، أن تكون صلاةُ الطرف الآخر المغرب، لأنها تصلى بعد غُروب الشمس. ولو كان واجبًا أن يكون مرادًا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس، وجب أن يكون مرادًا بصلاة الطرف الآخر بعدَ طلوعها، وذلك ما لا نعلم قائلا قاله، إلا من قال: "عنى بذلك صلاة الظهر والعصر". وذلك قول لا يُخِيلُ فساده، لأنهما إلى أن يكونا جميعًا من صلاة أحد الطرفين، أقربُ منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار. وذلك أن "الظهر" لا شك

(٢٦٠٢) الكشاف: ٤٣٣/٢.
(٢٦٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٦٩):ص٢٠٩١/٦.
(٢٦٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٠):ص٢٠٩٢/٦.
(٢٦٠٥) صفوة التفاسير:٣١/٢.
(٢٦٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(٢٦٠٧) انظر: النكت والعيون:٥٠٨/٢.
(٢٦٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٠٩):ص٥٠٢/١٥.
(٢٦٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٢):ص٥٠٢/١٥.
(٢٦١٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٤):ص٥٠٣/١٥.
(٢٦١١) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٠)- (١٨٦٢١):ص٥٠٣/١٥-٥٠٤.
(٢٦١٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٢):ص٥٠٤/١٥.
(٢٦١٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٩):ص٥٠٣/١٥.
(٢٦١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٨):ص٥٠٣/١٥.
(٢٦١٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٦):ص٥٠٣/١٥.

أنها تصلَّى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه، فمحالٌ أن تكون من طرف النهار الأول، وهي في طرفه الآخر.

فإذا كان لا قائلَ من أهل العلم يقول: "عنى بصلاة طرف النهار الأول صلاةً بعد طلوع الشمس"، وجب أن يكون غير جائز أن يقال: "عنى بصلاة طرف النهار الآخر صلاةً قبل غروبها"، وإذا كان ذلك كذلك، صح ما قلنا في ذلك من القول، وفسدَ ما خالفه"[٢٦١٦].

قوله تعالى:{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ١١٤]، أي:" وفي ساعات من الليل"[٢٦١٧].

وفي قوله تعالى:{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ١١٤]، قولان:

أحدهما : صلاة العشاء الآخرة ، قاله مجاهد[٢٦١٨].

عن مجاهد، في قول الله: "{وزلفًا من الليل}، قال: الساعات من الليل صلاة العتمة"[٢٦١٩].

وعن الحسن: "{وزلفًا من الليل}، قال: العشاء"[٢٦٢٠].

الثانية : صلاة المغرب والعشاء ، قاله الحسن[٢٦٢١]، ومجاهد[٢٦٢٢]، وقتادة[٢٦٢٣]، والضحاك[٢٦٢٤]، ومحمد بن كعب القرظي[٢٦٢٥].

وروي عن الحسن –مرفوعا-:" قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: "{أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل}، قال: {زلفًا من الليل}: المغرب، والعشاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هما زُلْفَتا الليل، المغرب والعشاء»"[٢٦٢٦].

وفي رواية أخرى عن الحسن-مرفوعا-:" قد بيّن اللهُ مواقيتَ الصلاة في القرآن، قال: {أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [سورة الإسراء: ٧٨] ، قال: «دلوكها»: إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض فيءٌ. وقال: {أقم الصلاة طرفي النهار}، الغداة، والعصر {وزلفًا من الليل}، المغرب، والعشاء. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُما زلفتا الليل، المغرب والعشاء»"[٢٦٢٧].

قوله تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ١١٤]، أي:" إنَّ فِعْلَ الخيرات يكفِّر الذنوب السالفة ويمحو آثارها"[٢٦٢٨].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ١١٤]، وجوه:

أحدها : الصلوات الخمس، قاله الحسن[٢٦٢٩]، ومجاهد[٢٦٣٠]، الضحاك[٢٦٣١]، ومحمد بن كعب القرظي[٢٦٣٢]، وسلمان[٢٦٣٣]، ومسروق[٢٦٣٤].

وروي عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعلت الصلوات كفارات لما بينهن، فإن الله قال: {إن الحسنات يذهبن السيئات}"[٢٦٣٥].

(٢٦١٦) تفسير الطبري:١٥/٥٠٤-٥٠٥.
(٢٦١٧) التفسير الميسر:٢٣٤.
(٢٦١٨)انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٦):ص١٥/٥٠٧.
(٢٦١٩) اخرجه الطبري(١٨٦٢٦):ص١٥/٥٠٧.
(٢٦٢٠) اخرجه الطبري(١٨٦٣٠):ص١٥/٥٠٧.
(٢٦٢١) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٣٤):ص١٥/٥٠٧.
(٢٦٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٣٧):ص١٥/٥٠٨.
(٢٦٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤١):ص١٥/٥٠٨.
(٢٦٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤٦):ص١٥/٥٠٩.
(٢٦٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤٢):ص١٥/٥٠٨.
(٢٦٢٦) أخرجه الطبري(١٨٦٣٦):ص١٥/٥٠٧-٥٠٨.
(٢٦٢٧) أخرجه الطبري(١٨٦٤٠):ص١٥/٥٠٨.
(٢٦٢٨) التفسير الميسر:٢٣٤.
(٢٦٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٤):١٥/٥١٠.
(٢٦٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٦):١٥/٥١١.
(٢٦٣١) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٤):١٥/٥١٠.
(٢٦٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥١):١٥/٥١٠.
(٢٦٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٩):١٥/٥١١.
(٢٦٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٦١):١٥/٥١١.
(٢٦٣٥) أخرجه الطبري(١٨٦٦٥):ص١٥/٥١٣.

وعن أبي عثمان النهدي قال: "كنت مع سلمان تحت شجرة، فأخذ غصنا من أغصانها يابسًا فهزَّه حتى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنت معه تحت شجرة، فأخذ غصنًا من أغصانها يابسًا فهزه حتى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: ألا تسألني لم أفعل هذا يا سلمان؟ فقلت: ولم تفعله؟ فقال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلَّى الصلوات الخمس، تحاتّت خطاياه كما تحاتَّ هذا الورق. ثم تلا هذه الآية: (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل) ، إلى آخر الآية"[٢٦٣٦].

الثاني : هي قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». قاله مجاهد[٢٦٣٧].

وروي عطاء بن دينار، في قوله: "{إن الحسنات يذهبن السيئات}، قال: وإن من الحسنات قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»، وهن الباقيات الصالحات"[٢٦٣٨].

والصواب في ذلك، قولُ من قال في ذلك: "هن الصلوات الخمس"، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه أنه قال: «مَثَلُ الصلوات الخمس مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَى بابِ أحَدِكم، ينغمس فيه كل يومٍ خمس مرات، فماذا يُبقينَ من دَرَنه؟»[٢٦٣٩]، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعدُ على إقامتها الجزيلَ من الثواب عَقيبها، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال، إذا خُصّ بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض"[٢٦٤٠].

قال الحسن:" استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات. وإنكم لن تجدوا شيئا أذهب بسيئة قديمة من حسنة حديثة، قال الحسن: وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: {إن الحسنات يذهبن السيئات}"[٢٦٤١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود : ١١٤]، أي:" والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر"[٢٦٤٢].

عن الحسن :"{ذلك ذكرى للذاكرين}، قال: هم الذين يذكرون الله في السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء"[٢٦٤٣].

عن مجاهد قال: "لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا"[٢٦٤٤].

القرآن

{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)} [هود : ١١٥]

التفسير:

واصبر -أيها النبي- على الصلاة، وعلى ما تَلْقى من الأذى من مشركي قومك; فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم.

عن الربيع بن أنس قال: "مكتوب في الكتاب الأول أن الحاسد لا يضر بحسده إلا نفسه ليس ضارا من حسد وإن الحاسد ينقضه حسده وإن المحسود إذا صبر أنجاه تصبره، لأن الله يقول: {واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}"[٢٦٤٥].

القرآن

(٢٦٣٦) اخرجه الطبري(١٨٦٦٦):ص٥١٤/١٥.

(٢٦٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٦٧):ص٥١٤/١٥-٥١٥.

(٢٦٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٣):ص٢٠٩٢/٦.

(٢٦٣٩)في روايةٍ: " مثل الصلوات الخمس مثل نهرٍ عظيمٍ ببابِ أحدِكم يغتسل فيه كل يومٍ خمس مراتٍ، فإنه لا يُبقي ذلك من دَرَنِه شيئاً ".

أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧)، والترمذي (٢٨٦٨)، والنسائي ١/ ٢٣٠ - ٢٣١.

وانظر تمام تخريجه في " صحيح ابن حبان " (١٧٢٦). والدرن: الوسخ.

(٢٦٤٠) تفسير الطبري:٥١٥/١٥.

(٢٦٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٤):ص٢٠٩٢/٦.

(٢٦٤٢) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٢٦٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٦):ص٢٠٩٣/٦.

(٢٦٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٥):ص٢٠٩٢/٦.

(٢٦٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٧٧):ص٢٠٩٣/٦.

{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)} [هود : ١١٦]

التفسير:

فهلاَّ وُجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجَّاهم الله بسبب ذلك مِن عذابه حين أخذ الظالمين. واتَّبع الذين ظلموا أنفسهم ما مُتِّعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها، وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تنعموا فيه، فحقَّ عليهم العذاب.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود : ١١٦]، أي:" فهلاَّ وُجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجَّاهم الله بسبب ذلك مِن عذابه حين أخذ الظالمين"[٢٦٤٦].

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود : ١١٦]، أي:" لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجَّاهم الله بسبب ذلك مِن عذابه حين أخذ الظالمين"[٢٦٤٧].

عن مجاهد: {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}، " يعني: في مهلكهم وتجبرهم وتركهم الحق"[٢٦٤٨].

وقال قتادة:" من دنياهم"[٢٦٤٩].

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)} [هود : ١١٨]

التفسير:

ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم; وذلك مقتضى حكمته.[٢٦٥٠].

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود : ١١٨]، أي:" ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام"[٢٦٥١].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود : ١١٨]، وجهان:

أحدهما : على ملة الإسلام وحدها ، قاله سعيد بن جبير[٢٦٥٢].

الثاني : أهل دين واحد ، أهل ضلالة وأهل هدى ، قاله الضحاك[٢٦٥٣].

قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود : ١١٨]، أي:" ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم، وذلك مقتضى حكمته"[٢٦٥٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩)إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [هود : ١١٨-١١٩]، وجهان من التفسير:

أحدهما : مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق، قاله الحسن[٢٦٥٥]، ومجاهد[٢٦٥٦]، وعطاء[٢٦٥٧]، وعكرمة[٢٦٥٨]، والأعمش[٢٦٥٩].

(٢٦٤٦) التفسير الميسر:٢٣٤.
(٢٦٤٧) التفسير الميسر:٢٣٤.
(٢٦٤٨) تفسير مجاهد: ٣٩١، وتفسير الطبري(١٨٦٩٦):ص٥٢٩/١٥.
(٢٦٤٩) أخرجه الطبري(١٨٦٩٥):ص٥٢٨/١٥.
(٢٦٥٠) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٦٥١) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٦٥٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٧٩):ص٢٠٩٣/٦.
(٢٦٥٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٧٨):ص٢٠٩٣/٦.
(٢٦٥٤) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٦٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٨٢):ص٢٠٩٣/٦.
(٢٦٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٦٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٠٠)، و(١٨٧٧٠١):ص٥٣١/١٥-٥٣٢.
(٢٦٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧١١):ص٥٣٣/١٥.
(٢٦٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٧١٥):ص٥٣٣/١٥.

قال عطاء:" اختلاف الملل"[٢٦٦٠]. "والحنيفيَّة همُ الذين رحم ربُّك"[٢٦٦١].

الثاني : مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة . قاله الحسن[٢٦٦٢].

والصواب قولُ من قال: معنى ذلك: "ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله"، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : ١١٩]، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم[٢٦٦٣].

القرآن

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)} [هود : ١١٩]

التفسير:

إلا مَن رحم ربك فآمنوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خَلَقهم مختلفين: فريق شقيٌّ وفريق سعيد، وكل ميسر لما خُلِق له. وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان.

قوله تعالى:{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود : ١١٩]، أي:" خلقهم لتكون العاقبة اختلافهم ما بين شقي وسعيد"[٢٦٦٤].

وفي قوله تعالى:{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود : ١١٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : للاختلاف خلقهم ، قاله الحسن[٢٦٦٥]، وعطاء[٢٦٦٦].

الثاني : للرحمة خلقهم ، قاله مجاهد[٢٦٦٧]، والضحاك[٢٦٦٨]، وقتادة[٢٦٦٩].

قال عكرمة:" أهل الحقّ ومن اتبعه لرحمته"[٢٦٧٠].

روي عن ابن أبي نجيح، عن طاووس :"أن رجلين اختصما إليه فأكثرا فقال طاوس اختلفتما وأكثرتما قال أحد الرجلين لذلك خلقنا فقال طاوس كذبت قال: أليس الله يقول: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة"[٢٦٧١].

وقال عمر بن عبدالعزيز:" خلق أهل رحمته ألا يختلفوا"[٢٦٧٢].

الثالث : للجنة والنار خلقهم ، قاله الحسن[٢٦٧٣].

عن منصور بن عبد الرحمن قال: "قلت للحسن: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء للنار، وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء للعذاب"[٢٦٧٤].

(٢٦٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٨٣):ص٢٠٩٤/٦.
(٢٦٦١) أخرجه الطبري(١٨٧٠٠):ص٥٣١/١٥.
(٢٦٦٢) انظر:تفسير الطبري(١٨٧١٩):ص٥٣٤/١٥.
(٢٦٦٣) تفسير الطبري:٥٣٤/١٥-٥٣٥.
(٢٦٦٤) صفوة التفاسير:٣٢/٢.
(٢٦٦٥) انظر: تفسير البطبري(١٨٧٢٠)-(١٨٧٢٥):ص٥٣٥/١٥-٥٣٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٨):ص٢٠٩٦/٦.
(٢٦٦٦) انظر: النكت والعيون:٥١١/٢.
(٢٦٦٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٤):ص٢٠٩٥/٦.
(٢٦٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٣٦):ص٥٣٧/١٥.
(٢٦٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٣٥):ص٥٣٧/١٥.
(٢٦٧٠)أخرجه الطبري(١٨٧٣٧):ص٥٣٧/١٥ .
(٢٦٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٣):ص٢٠٩٥/٦.
(٢٦٧٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٦):ص٢٠٩٥/٦.
(٢٦٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٥):ص٢٠٩٥/٦.
(٢٦٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٥):ص٢٠٩٥/٦.

وعن الحسن أيضا:" خلق أهل رحمته للجنة لئلا يختلفوا وخلق أهل الاختلاف لناره"[٢٦٧٥].

قال الأشهب: "سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة، وفريق في السعير"[٢٦٧٦].

والصواب" قولُ من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقَّب ذلك بقوله: {ولذلك خلقهم}، فعمّ بقوله: {ولذلك خلقهم} ، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميَسَّر لما خلق له"[٢٦٧٧].

القرآن

{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)} [هود : ١٢٠]

التفسير:

ونقصُّ عليك -أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوِّي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله.

قوله تعالى:{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود : ١٢٠]، أي:" ونقصُّ عليك - أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوِّي قلبك للقيام بأعباء الرسالة"[٢٦٧٨].

عن ابن جريج قوله: "{وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك}، قال: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم"[٢٦٧٩].

قوله تعالى:{وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} [هود : ١٢٠]، أي:" وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه"[٢٦٨٠].

وفي قوله تعالى:{وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} [هود : ١٢٠]، وجهان:

أحدهما : في هذه السورة ، قاله الحسن[٢٦٨١]، وسعيد بن جبير[٢٦٨٢]، وأبو العالية[٢٦٨٣]، ومجاهد[٢٦٨٤]، وقتادة[٢٦٨٥]، والربيع بن أنس[٢٦٨٦].

الثاني : في هذه الدنيا ، قاله الحسن[٢٦٨٧]، وقتادة[٢٦٨٨].

والصواب" في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق، لإجماع الحجة من أهل التأويل، على أن ذلك تأويله[٢٦٨٩].

قوله تعالى:{وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود : ١٢٠]، أي:" وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله"[٢٦٩٠].

قال الشعبي:" موعظة من الجهل"[٢٦٩١].

(٢٦٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٧):ص٢٠٩٥/٦.
(٢٦٧٦) الكشف والبيان:١٩٤/٥.
(٢٦٧٧) تفسير الطبري:٥٣٧/١٥.
(٢٦٧٨) التفسير الميسر: ٢٣٥.
(٢٦٧٩) أخرجه الطبري(١٨٧٤١):ص٥٣٩/١٥.
(٢٦٨٠) التفسير الميسر: ٢٣٥.
(٢٦٨١) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٦)-(١٨٧٥٨):ص٥٤٢/١٥.
(٢٦٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٣):ص٥٤١/١٥.
(٢٦٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٤):ص٥٤١/١٥-٥٤٢
(٢٦٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٠)-(١٨٧٥٢):ص٥٤١/١٥.
(٢٦٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٦٠):ص٥٤٢/١٥.
(٢٦٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٥):ص٥٤٢/١٥.
(٢٦٨٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٤):ص٢٠٩٦/٦.
(٢٦٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٦٣):ص٥٤٢/١٥-٥٤٣.
(٢٦٨٩) تفسير الطبري:٥٤٣/١٥.
(٢٦٩٠) التفسير الميسر: ٢٣٥.

عن قتادة قال :"المؤمنون هم العجاجون بالليل والنهار صلى الله عليه وسلم والله ما زالوا يقولون: «ربنا»، حتى استجيب لهم"[٢٦٩٢].

القرآن

{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١)} [هود : ١٢١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول- للكافرين الذين لا يقرُّون بوحدانية الله: اعملوا ما أنتم عاملون على حالتكم وطريقتكم في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمستجيبين له، فإنَّا عاملون على مكانتنا وطريقتنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أمر الله.

عن الضحاك :"{اعملوا على مكانتكم}، على ناحيتكم"[٢٦٩٣].

عن قتادة قوله: "{اعملوا على مكانتكم}، أي: منازلكم"[٢٦٩٤].

القرآن

{وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)} [هود : ١٢٢]

التفسير:

وانتظروا عاقبة أمرنا، فإنَّا منتظرون عاقبة أمركم.

عن ابن جريج في قوله: "{وانتظروا إنا منتظرون} ، قال: يقول: انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزيّن لكم {إنا منتظرون}"[٢٦٩٥].

عن الربيع في قوله: "{وانتظروا}، قال: خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته"[٢٦٩٦].

القرآن

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)} [هود : ١٢٣]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض، وإليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده -أيها النبي- وفوِّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [هود : ١٢٣]، أي:" ولله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض"[٢٦٩٧].

حكي الثعلبي عن الضحاك: "جميع ما غاب عن العباد"[٢٦٩٨].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٢٦٩٩].

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} [هود : ١٢٣]، أي:" وإليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة"[٢٧٠٠].

قال مقاتل:" يعني: أمر العباد يرجع إلى الله يوم القيامة وذلك قوله «وإلى الله ترجع الأمور» يعني أمور العباد"[٢٧٠١].

عن ابن جريج: "{وإليه يرجع الأمر كله}، قال: فيقضي بينهم بحكمه بالعدل"[٢٧٠٢].

(٢٦٩١) اخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٠٥):ص٢٠٩٧/٦.
(٢٦٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٦):ص٢٠٩٧/٦.
(٢٦٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٧):ص٢٠٩٧/٦.
(٢٦٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٨):ص٢٠٩٧/٦.
(٢٦٩٥) أخرجه الطبري(١٨٧٦٥):ص٥٤٤/١٥.
(٢٦٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٩):ص٢٠٩٧/٦.
(٢٦٩٧) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٦٩٨) الكشف والبيان:١٩٥/٥.
(٢٦٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٢٧٠٠) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٠١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٢/٢.

وقال أبو العالية: "يرجعون إليه بعد الحياة"[٢٧٠٣].

قوله تعالى:{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود : ١٢٣]، أي:" فاعبده -أيها النبي- وفوِّض أمرك إليه"[٢٧٠٤].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٢٧٠٥].

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود : ١٢٣]، أي:" وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله"[٢٧٠٦].

عن سعيد بن جبير:" {عما تعملون}، يعني: بما يكون"[٢٧٠٧].

عن كعب، قال: "خاتمة «التوراة»، خاتمة «هود»"[٢٧٠٨].

قال أهل العلم:" هذه آية تعظم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه، وهو علم الغيب، وتبيين أن الخير والشر، وجليل الأشياء وحقيرها- مصروف إلى أحكام مالكه، ثم أمر البشر بالعبادة والتوكل على الله تعالى، وفيها زوال همه وصلاحه ووصوله إلى رضوان الله"[٢٧٠٩].

«آخر تفسير سورة (هود)، والحمد لله وحده»

(٢٧٠٢) أخرجه الطبري(١٨٧٦٦):ص٥٤٥/١٥.

(٢٧٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٠):ص٢٠٩٧/٦.

(٢٧٠٤) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٧٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٢٧٠٦) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٧٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١١):ص٢٠٩٧/٦.

(٢٧٠٨) أخرجه الطبري(١٨٧٦٧):ص٥٤٥/١٥.

(٢٧٠٩) المحرر الوجيز:٢١٧/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «يوسف»

سورة «يوسف»: هي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «هود»[٢٧١٠]، وعدد آياتها (١١١) مائة وإحدى عشرة، بلا خلاف، عدد كلماتها (١٧٧٦) ألف وسبعمائة وست وسبعون، وحروفها (٧١٦٦) سبعة آلاف ومائة وست وستون، وما فيها آية مختلف فيها[٢٧١١].

مجموع فواصل آياته يجمعها قولك «لم نر»، منها آية واحدة على اللام: {قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف : ٦٦][٢٧١٢].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة كلها. قاله ابن عباس[٢٧١٣]، وابن زبير[٢٧١٤]، ومقاتل[٢٧١٥]، وبه قال ابن قتيبة[٢٧١٦]، وقال السيوطي[٢٧١٧]، القرطبي[٢٧١٨]، وابن كثير[٢٧١٩].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مكّيّة بالإجماع"[٢٧٢٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بالإجماع"[٢٧٢١].

أخرج ابن سعد عن عكرمة :"أن مصعب بن عمير لما قدم المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا به فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن قال: نعم، فواعدهم يوما فجاء فقرأ عليه القرآن {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}"[٢٧٢٢].

والثاني: أنها مكية ماعدا الآيات: [١، ٢، ٣، ٧)[٢٧٢٣]، فمدنية، قاله الزمخشري[٢٧٢٤].

نقل القرطبي:عن ابن عباس وقتادة أنها مكية: "إلا أربع آيات منها"[٢٧٢٥].

وروي عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"[٢٧٢٦].

(٢٧١٠) انظر: الكشاف: ٤٤٠/٢.

(٢٧١١)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.

(٢٧١٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.

(٢٧١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردوية.

(٢٧١٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى ابن مردوية.

(٢٧١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٧/٢.

(٢٧١٦) انظر: غريب القرآن:٢١٢.

(٢٧١٧) انظر: الدر المنثور:٤٩٤/٤.

(٢٧١٨) انظر: تفسير القرطبي:١١١/٩.

(٢٧١٩) انظر: تفسير ابن كثير:٣٦٥/٤.

(٢٧٢٠) البصائر:٢٥٥/١.

(٢٧٢١)زاد المسير:٤١١/٢.

(٢٧٢٢) الدر المنثور:٤٩٥/٤.

(٢٧٢٣) وهي الآيات:

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)} [يوسف : ١ - ٣]، {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)} [يوسف : ٧].

(٢٧٢٤) انظر: الكشاف:٤٤٠/٢.

(٢٧٢٥) تفسير القرطبي:١١٨/٩.

(٢٧٢٦)عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير:٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

القرآن

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)} [يوسف : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب البيِّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسألة أصحابه إياه أن يقصَّ عليهم. قاله ابن عباس(٢٧٢٧)، وعون بن عبدالله(٢٧٢٨).

روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، قال: فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا! فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين} ، إلى قوله: {لعلكم تعقلون}، الآية. قال: ثم تلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا! فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [سورة الزمر:٢٣] ، قال خلاد: وزاد فيه رجل آخر، قالوا: يا رسول الله- أو قال أبو يحيى: ذهبت من كتابي كلمة- فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الحديد:١٦]"(٢٧٢٩).[صحيح]

وقال عون بن عبد الله: " ملَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملَّةً، فقالوا: يا رسول الله حدثنا! فأنزل الله عز وجل: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [سورة الزمر:٢٣] . ثم ملوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن! يعنون القصَص، فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين} ، فأرادوا الحديث فدَّلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصصَ فدلهم على أحسن القصص"(٢٧٣٠).[مرسل]

الثاني: عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"(٢٧٣١).

والراجح-والله أعلم- أن السورة مكية بإجماع كما ذكر في مقدمة تفسير السورة، وسؤالات اليهود إنما كانت في المدينة، فتنبه، والله الموفق إلى الصواب.

قوله تعالى:{الر} [يوسف : ١]، الله أعلم بمراده.

روي عن الضحاك:"{الر}، قال: أنا الله أرى"(٢٧٣٢).

عن سعيد بن جبير قال: "{الر} و{حم}، و{ن}، هو «الرحمن» مقطع"(٢٧٣٣). وروي عن سالم بن عبد الله، مثله(٢٧٣٤).

عن قتادة قال: "{الر}: اسم من أسماء القرآن"(٢٧٣٥).

(٢٧٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٧٣):ص٥٥٢/١٥.

(٢٧٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٧٥):ص٥٥٢/١٥.

(٢٧٢٩) أخرجه البزار ٣٢١٨ وأبو يعلى ٧٤٠ وابن حبان ٦٢٠٩ والحاكم ٢/ ٣٤٥ و(١٨٧٧٦):ص٥٥٣/١٥-واللفظ له-، والواحدي في «أسباب النزول» ٥٤٤ من طرق عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به. وإسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر ما بعده.

(٢٧٣٠) أخرجه الطبري(١٨٧٧٥):ص٥٥٢/١٥. عن عون بن عبد الله بن مسعود مرسلا، والمرسل من قسم الضعيف، لكن للحديث شاهد من حديث سعد، وهو المتقدم. وشاهد آخر من حديث ابن عباس: أخرجه الطبري (١٨٧٧٣):ص٥٥٢/١٥، عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس، وإسناده منقطع، عمرو لم يسمع من ابن عباس. وكرره الطبري (١٨٧٧٤):ص٥٥٢/١٥، من مرسل عمرو بن قيس، وهو شاهد لما قبله، وإن كان ضعيفا، والله أعلم.

(٢٧٣١)عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير:٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

(٢٧٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٧٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٤):ص٢٠٩٨/٧.

(٢٧٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٧٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٥):ص٢٠٩٨/٧.

عن مجاهد: "{الر}، قال: هذا فواتح يفتتح الله بها القرآن، قال: قلت: ألم تكن تقول هي أسماء؟ قال: لا"[٢٧٣٦].

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف : ١]، أي:" هذه آيات الكتاب البيِّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه"[٢٧٣٧].

عن خالد بن عرفطة، قال: "كنت عند عمر ابن الخطاب إذ أتى برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس، فضربه بقناة معه فقال العبدي: مالي؟ فقرأ عليه: {الر تلك آيات الكتاب المبين} إلى قوله: {وإن كنت من قبله لمن الغافلين}، فقرأها عليه ثلاث مرات فضربه ثلاث مرات، ثم قال له عمر: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: نعم. قال: اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس"[٢٧٣٨].

القرآن

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)} [يوسف : ٣]

التفسير:

نحن نقصُّ عليك -أيها الرسول- أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئًا.

قوله تعالى:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} [يوسف : ٣]، أي:" نحن نحدثك يا محمد ونروي لك أخبار الأمم السابقة، بأصدق كلام، وأحسن بيان، بإيحاءتنا إليك هذا القرآن المعجز"[٢٧٣٩].

عن قتادة: "{نحن نقص عليك أحسن القصص}، من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم،{وإن كنت من قبله لمن الغافلين}"[٢٧٤٠].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣]، أي:" وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئًا"[٢٧٤١].

عن قتادة: "{وإن كنت من قبله لمن الغافلين}، أي: من قبل هذا القرآن"[٢٧٤٢].

القرآن

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)} [يوسف : ٤]

التفسير:

اذكر -أيها الرسول- لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فكانت هذه الرؤيا بشرى لِمَا وصل إليه يوسف عليه السلام من علوِّ المنزلة في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف : ٤]، أي:" اذكر -أيها الرسول- لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبًا"[٢٧٤٣].

سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: "الأسف: الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا في «»يوسف، فلذلك سمي يوسف، لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-"[٢٧٤٤].

(٢٧٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٦):ص٢٠٩٨/٧.
(٢٧٣٧) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢٤):ص٢١٠٠/٧.
(٢٧٣٩) صفوة التفاسير:٣٧/٢.
(٢٧٤٠) أخرجه الطبري(١٨٧٧٢):ص٥٥١/١٥-٥٥٢.
(٢٧٤١) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢٧):ص٢١٠٠/٧.
(٢٧٤٣) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٤٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره:١٩٧/٥، وانظر: تفسير البغوي:٢١٢/٤.

وفي قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف : ٤]، وجهان:
أحدهما: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنى عن ذكرهم، وهذا مروي عن قتادة[٢٧٤٥].
الثاني : أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، قاله قتادة-أيضا-[٢٧٤٦]، والضحاك[٢٧٤٧]، وابن جريج[٢٧٤٨]، وهو قول الأكثرين[٢٧٤٩].
قال قتادة:" الكواكب: إخوته، والشمس والقمر: أبواه"[٢٧٥٠].
وحكي الثعلبي عن قتادة: "الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه راحيل كانت قد ماتت"[٢٧٥١].
وقال السدي: "الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت"[٢٧٥٢].
قال الواحدي :"قال وهب والمفسرون: رأى يوسف وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر سجدن له"[٢٧٥٣].
قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف : ٤]، أي:" ورأيت في المنام الشمس والقمر ساجدةً لي مع الكواكب"[٢٧٥٤].
قال وهب: "وكان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين، أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال له: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصها على أبيه فقال له: لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فيبغوا لك الغوائل ويحتالوا في إهلاكك، لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[٢٧٥٥].

القرآن
{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)} [يوسف : ٥]
التفسير:
قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك، ويعادوك، ويحتالوا في إهلاكك، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.
قوله تعالى:{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} [يوسف : ٥]، أي:" قال له يعقوب: لا تخبرْ بهذه الرؤيا إخوتك، فيحتالوا لإهلاكك حيلةً عظيمة لا تقدر على ردّها"[٢٧٥٦].
قال محمد بن إسحاق:" يقول الله عز وجل في كتابه، لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو يذكر له خبر يوسف وإخوته: إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا الآية، فعرف يعقوب تأويلها، وخشي عليه بغي إخوته فيما عرف من التأويل أن الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا أبوه وأمه وإخوته، فقال: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[٢٧٥٧].
قال السدي:" فكان الغلامان يوسف وبنيامين في حجر يعقوب، أحبهما وعطف عليهما ليتمهما من أمهما، وكان أحب الخلق إليه يوسف، فلما قدموا نحو الشام قال يعقوب لرعاته وغلمانه: إن أتاكم أحد يسألكم: من أنتم فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيصا فلقيهم عيصا فقال: من أنتم؟ فقالوا نحن ليعقوب عبد عيصا، قال:

(٢٧٤٥) انظر: النكتو العيون:٦/٣، وزاد المسير:٤١٣/٢.
(٢٧٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨١)، (١٨٧٨٣):ص٥٥٦/١٥-٥٥٧.
(٢٧٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٦):ص٥٥٧/١٥.
(٢٧٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٥):ص٥٥٧/١٥.
(٢٧٤٩) انظر: النكتو العيون:٦/٣، وزاد المسير:٤١٣/٢.
(٢٧٥٠) أخرجه الطبري(١٨٧٨٣):ص٥٥٧/١٥.
(٢٧٥١) الكشف والبيان:١٩٨/٥.
(٢٧٥٢) زاد المسير:٤١٣/٢.
(٢٧٥٣) التفسير البسيط :١٨/١٢، وانظر: زاد المسير:١٨٠/٤.
(٢٧٥٤) صفوة التفاسير:٣٧/٢.
(٢٧٥٥) الكشف والبيان:١٩٨/٥.
(٢٧٥٦) صفوة التفاسير:٣٧/٢.
(٢٧٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٣٤):ص٢١٠٢/٧.

فكف، عن يعقوب، فذلك حين قال: وإذ غلبتني على الدعوة فلا تغلبني على القبر، فنزل يعقوب الشام فكان ليس له هم إلا يوسف وأخوه فحسده إخوته مما رأوا، من حب أبيه له ورأى يوسف في النوم رؤيا أن: أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فحدث أباه بها فقال له يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فبلغ إخوة يوسف الرؤيا فحسدوه"[٢٧٥٨].

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف : ٥]، أي:" إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة"[٢٧٥٩].

عن قتادة قوله: "{إن الشيطان للإنسان عدو مبين}، قال: عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته، أن تعاديه بطاعة الله"[٢٧٦٠].

القرآن

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)} [يوسف : ٦]

التفسير:

وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تؤول إليه واقعًا، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة، كما أتمها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة. إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده، حكيم في تدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} [يوسف : ٦]، أي:" وكما أراك مثل هذه الرؤيا العظيم كذلك يختارك ربك للنبوة"[٢٧٦١].

عن عكرمة: "{وكذلك يجتبيك ربك}، قال: يصطفيك"[٢٧٦٢].

قال الحسن: "بالنبوة "[٢٧٦٣].

قال قتادة:" يصطفيك بتأويل الأحاديث"[٢٧٦٤].

عن قتادة: "اجتباه: اصطفاه"[٢٧٦٥].

قال قتادة:" فاجتباه واصطفاه وعلّمه من عَبْر الأحاديث، وهو«تأويل الأحاديث»"[٢٧٦٦].

قوله تعالى:{وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ٦]، أي:"ويعلمك تفسير الرؤيا المناميَّة"[٢٧٦٧].

قال مجاهد:" عبارة الرؤيا"[٢٧٦٨].

قوله تعالى:{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} [يوسف : ٦]، أي:" يتمم فضله وإنعامه عليك وعلى ذرية أبيك يعقوب، كما أكمل النعمة من قبل ذلك على جدك إبراهيم وجدك إسحاق بالرسالة والاصطفاء"[٢٧٦٩].

قال عكرمة:" فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار، وعلى إسحاق أنْ نجَّاه من الذَّبح"[٢٧٧٠].

قال سعيد بن جبير:" من تمام النعمة، دخول الجنة أن الله لم يتم على أحد نعمه فيدخله النار"[٢٧٧١].

(٢٧٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٣٣):ص٢١٠٢/٧.

(٢٧٥٩) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٣٥):ص٢١٠٢/٧-٢١٠٣.

(٢٧٦١) صفوة التفاسير:٣٧/٢.

(٢٧٦٢) أخرجه الطبري(١٨٧٨٩):ص٥٦٠/١٥.

(٢٧٦٣) انظر: النكت والعيون:٨/٣.

(٢٧٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٣٧):ص٢١٠٣/٧.

(٢٧٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٣٨):ص٢١٠٣/٧.

(٢٧٦٦) أخرجه الطبري(١٨٧٩٠):ص٥٦٠/١٥.

(٢٧٦٧) صفوة التفاسير:٣٧/٢.

(٢٧٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٩١):ص٥٦٠/١٥.

(٢٧٦٩) صفوة التفاسير:٣٧/٢.

(٢٧٧٠) أخرجه الطبري(١٨٧٩٣):ص٥٦١/١٥.

(٢٧٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٢):ص٢١٠٤/٧.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف : ٦]، أي:" إن ربك عليمٌ بمن هو أهلٌ للفضل، حكيم في تدبيره لخلقه"[٢٧٧٢].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٢٧٧٣]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٢٧٧٤].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٧٧٥].

القرآن

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)} [يوسف : ٧]

التفسير:

لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.

عن قتادة قوله: "{لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، يقول: من سأل، عن ذلك فهو هكذا ما قص الله عليكم وأنبأكم به"[٢٧٧٦].

عن الحسن: "{لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، قال: عبر"[٢٧٧٧].

عن ابن إسحاق، قال: "إنما قصّ الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف، وبَغْي إخوته عليه وحسدهم إياه، حين ذكر رؤياه، لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغي قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته، ليأتسي به"[٢٧٧٨].

وروي عن مجاهد وابن كثير أنهما قرآ:« ءاية للسآئلين»، على التوحيد[٢٧٧٩].

وفي بعض المصاحف: «عبرة للسائلين»[٢٧٨٠].

القرآن

{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨)} [يوسف : ٨]

التفسير:

إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضّلهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدد، إن أبانا لفي خطأ بيِّن حيث فضَّلهما علينا من غير موجب نراه.

قوله تعالى:{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا} [يوسف : ٨]، أي:" إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضّلهما علينا"[٢٧٨١].

عن قتادة: "{إذ قالوا ليوسف وأخوه}، يعني: بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه"[٢٧٨٢].

عن السدي، قوله: "{إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا}، وأخوه: بنيامين"[٢٧٨٣].

قوله تعالى:{وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف : ٨]، أي:" ونحن جماعة ذوو عدد"[٢٧٨٤].

وفي معنى «العصبة»، أقوال:

أحدها : أنها ستة أو سبعة ، قاله سعيد بن جبير[٢٧٨٥].

(٢٧٧٢) صفوة التفاسير:٣٧/٢.

(٢٧٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٧٦)أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٧):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٧٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٦):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٧٨) أخرجه الطبري(١٨٧٩٤):ص٥٦٢/١٥.

(٢٧٧٩) انظر: السبعة في القراءات:٣٤٤، وتفسير الطبري:٥٦٢/١٥.

(٢٧٨٠) انظر: تفسير السمعاني:٩/٣.

(٢٧٨١) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٧٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٩):ص٢١٠٤/٧-٢١٠٥.

(٢٧٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٨):ص٢١٠٤/٧.

(٢٧٨٤) التفسير الميسر:٢٣٥.

الثاني : أنها من عشرة إلى خمسة عشر ، قاله مجاهد[٢٧٨٦].
الثالث : من عشرة إلى أربعين ، قاله قتادة[٢٧٨٧]، وأبو المليح[٢٧٨٨].
قال السدي:" كانوا عشرة"[٢٧٨٩].
الرابع : أنها أربعون رجلا. قاله الحكم[٢٧٩٠].
قوله تعالى:{إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٨]، أي:" إن أبانا لفي خطأ بيِّن حيث فضَّلهما علينا من غير موجب نراه"[٢٧٩١].
قال السدي:" في ضلال من أمرنا"[٢٧٩٢].

القرآن
{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)} [يوسف : ٩]
التفسير:
اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.
قوله تعالى:{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٩]، أي:" اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران، يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم"[٢٧٩٣].
وفي قوله تعالى:{يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٩]، وجهان:
أحدهما : أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاح الدين ، قاله الحسن[٢٧٩٤].
الثاني : أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، وهذا معنى قول السدي[٢٧٩٥].
قال السدي:" تتوبون مما صنعتم، أو: من صنيعكم"[٢٧٩٦].
قوله تعالى:{وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} [يوسف : ٩]، أي:" وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم"[٢٧٩٧].
قال السدي:" تتوبون مما صنعتم به"[٢٧٩٨].

القرآن
{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)} [يوسف : ١٠]
التفسير:
قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون.

(٢٧٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٣):ص٢١٠٥/٧.
(٢٧٨٦) انظر: النكت والعيون:١٠/٣.
(٢٧٨٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٠):ص٢١٠٥/٧.
(٢٧٨٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٠٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٧٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٥١):ص٢١٠٥/٧.
(٢٧٩٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٢):ص٢١٠٥/٧.
(٢٧٩١) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٩٢)أخرجه الطبري(١٨٧٩٦):ص٥٦٣/١٥ .
(٢٧٩٣) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٩٤) انظر: النكت والعيون:١١/٣.
(٢٧٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٩٨):ص٥٦٤/١٥.
(٢٧٩٦) أخرجه الطبري(١٨٧٩٨):ص٥٦٤/١٥.
(٢٧٩٧) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٢٧٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٥٦):ص٢١٠٥/٧.

قوله تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف : ١٠]، أي:" قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر"[٢٧٩٩].

عن قتادة :"{وألقوه في غيابت الجب}، في بعض نواحيه أسفله"[٢٨٠٠].

قال قتادة :"بئر ببيت المقدس"[٢٨٠١].

اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته ، قاله قتادة[٢٨٠٢].

الثاني : أنه شمعون ، قاله مجاهد[٢٨٠٣].

الثالث : أنه يهوذا ، قال السدي[٢٨٠٤].

قال محمد بن إسحاق:" فذكروا والله أعلم أن الذي قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بني يعقوب، وكان أقصدهم فيه رأيا، وكل قد عظم فيه جرمه، وكان أيسرهم جرما، وكفى بجرمه جرما لما اجتمعوا عليه من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع، الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل عليهم، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده- ليفرقوا بينه وبين ولده وحبيبه على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله وبين من أحبه طفلا صغيرا على ضعف قوته، وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده، وسكونه إليه يغفر الله لهم، وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمرا عظيما"[٢٨٠٥].

قوله تعالى:{يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف : ١٠]، أي:" البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون"[٢٨٠٦].

عن الحسن:" {بَعْضُ السَّيَّارَةِ}: مارة الطريق"[٢٨٠٧].

قال أبو بكر بن عياش: "كان يوسف في الجب ثلاثة أيام"[٢٨٠٨].

قال الثعلبي:" قيل للحسن: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ ولهذا قيل: الأب جلاب، والأخ سلاب"[٢٨٠٩].

قال محمد بن إسحاق: "اشتمل فعلهم على جرائم من قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد والكذب مع أبيهم. وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييئس أحد من رحمة الله"[٢٨١٠].

وقرأ الحسن:« تلتقطه»، بالتاء[٢٨١١].

القرآن

{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١)} [يوسف : ١١]

التفسير:

قال إخوة يوسف -بعد اتفاقهم على إبعاده-: يا أبانا ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير ونشفق عليه ونرعاه، ونخصه بخالص النصح؟

قال السدي:" فلما أجمعوا أمرهم على ذلك، أتوا أباهم فقالوا: {يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} "[٢٨١٢].

(٢٧٩٩) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٨٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٢):ص٢١٠٧/٧.

(٢٨٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٦٣):ص٢١٠٧/٧.

(٢٨٠٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٧):ص٢١٠٦/٧.

(٢٨٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٩):ص٢١٠٦/٧.

(٢٨٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٨):ص٢١٠٦/٧.

(٢٨٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٠):ص٢١٠٦/٧.

(٢٨٠٦) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٢٨٠٧) انظر: النكت والعيون:١٢/٣.

(٢٨٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٥):ص٢١٠٧/٧.

(٢٨٠٩) الكشف والبيان:٢٠٠/٥.

(٢٨١٠) تفسير البغوي:٢١٩/٤.

(٢٨١١) انظر: تفسير الطبري(١٨٨١٢):ص٥٦٧/١٥، ومعاني القرآن للفراء:٣٦/٢.

القرآن

{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)} [يوسف : ١٢]

التفسير:

أرسله معنا غدًا عندما نخرج إلى مراعينا يَسْعَ وينشط ويفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإنا لحافظون له من كل ما تخاف عليه.

قوله تعالى:{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} [يوسف : ١٢]، أي:" أرسله معنا غدًا عندما نخرج إلى مراعينا يَسْعَ وينشط ويفرح، ويلعب"(٢٨١٣).

وفي قوله تعالى:{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} [يوسف : ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يتلهَّى ويلعب، قاله الضحاك(٢٨١٤).

الثاني : ينشط ويلعب. قاله مجاهد(٢٨١٥)، وقتادة(٢٨١٦)، والسدي(٢٨١٧).

وفي رواية عن قتادة:" ينشط ويلهو"(٢٨١٨).

الثالث: يسعى ويلهو. قاله قتادة(٢٨١٩).

الرابع: يسعى وينشط، قاله الضحاك-في رواية-(٢٨٢٠).

الخامس : بحفظ بعضنا بعضًا، نتكالأ نتحارس، ونلهو، قاله مجاهد(٢٨٢١).

روي ابن جريج عن مجاهد:" نتحارس ونتكالأ، يحفظ بعضنا بعضا وربما قال: يكلأ بعضنا بعضا"(٢٨٢٢).

القرآن

{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)} [يوسف : ١٣]

التفسير:

قال يعقوب: إني ليؤلم نفسي مفارقته لي إذا ذهبتم به إلى المراعي، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون.

قال أبو مجلز:" لا ينبغي لأحد أن يلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس، حتى قال لهم أبوهم: إني أخاف أن يأكله الذئب"(٢٨٢٣).

القرآن

{قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)} [يوسف : ١٤]

التفسير:

قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذًا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يُرْجَى منا.

قال محمد بن إسحاق:" فلم يزالوا يأتونه حتى أرسله معهم دعاه حين أرادوا الذهاب به فضمه إليه ودعا له"(٢٨٢٤).

(٢٨١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٦٦):ص٢١٠٧/٧.

(٢٨١٣) التفسير الميسر:٢٣٦.

(٢٨١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٠):ص٥٧١/١٥.

(٢٨١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٧٠):ص٢١٠٨/٧.

(٢٨١٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٣):ص٥٧١/١٥.

(٢٨١٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢١):ص٥٧١/١٥.

(٢٨١٨) أخرجه الطبري(١٨٨١٦):ص٥٧٠/١٥.

(٢٨١٩) أخرجه الطبري(١٨٨١٨):ص٥٧٠/١٥.

(٢٨٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٤):ص٥٧١/١٥.

(٢٨٢١) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٦)-(١٨٨٣٠):ص٥٧٢/١٥.

(٢٨٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٦٩):ص٢١٠٧/٧.

(٢٨٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٤):ص٢١٠٨/٧.

عن السدي: "قال: لن أرسله معكم، أخاف أن يأكله الذئب ... قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون، فأرسله معهم"[٢٨٢٥].

وقال السدي أيضا:" فلما ذهبوا به، أخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية أظهروا به، فلما أخرجوه، وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية، أظهروا له العداوة، فجعل يضربه أحدهم فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح، يا أبتاه يا يعقوب، لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوا فيه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفة البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه، ذروا علي قميصي أتوارى به في الجب، قالوا له: ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك، قال: فإني لم أر شيئا فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه فلم يضره، ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها فجعل يبكي فناداه إخوته فظن أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه، بصخرة فقام يهوذا فمنعهم وقال: قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فكان يهوذا يأتيه بالطعام"[٢٨٢٦].

القرآن

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)} [يوسف : ١٥]

التفسير:

فأرْسَلَهُ معهم. فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر، وأوحينا إلى يوسف لتخبرنَّ إخوتك مستقبلا بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يُحِسُّون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ} [يوسف : ١٥]، أي:" فأرسله معهم فلما أخذوه وابتعدوا به عن أبيه"[٢٨٢٧].

قوله تعالى:{وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف : ١٥]، أي:" عزموا واتفقوا على إلقائه في غور الجب"[٢٨٢٨].

قال السدي:" أخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية أظهروا به، فلما أخرجوه، وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية، أظهروا له العداوة، فجعل يضربه أحدهم فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح، يا أبتاه يا يعقوب، لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوا فيه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفة البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه، ذروا علي قميصي أتوارى به في الجب، قالوا له: ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك، قال: فإني لم أر شيئا فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه فلم يضره، ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها فجعل يبكي فناداه إخوته فظن أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه، بصخرة فقام يهوذا فمنعهم وقال: قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فكان يهوذا يأتيه بالطعام"[٢٨٢٩].

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف : ١٥]، أي:" وأوحينا إلى يوسف لتخبرنَّ إخوتك مستقبلا بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يُحِسُّون بذلك الأمر ولا يشعرون به"[٢٨٣٠].

قال مجاهد:" أوحى إلى يوسف وهو في الجبّ أنْ سينبئهم بما صنعوا، وهم لا يشعرون بذلك الوحي"[٢٨٣١].

(٢٨٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٣):ص٢١٠٨/٧.

(٢٨٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٥):ص٢١٠٨/٧.

(٢٨٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٦):ص٢١٠٨/٧-٢١٠٩.

(٢٨٢٧) صفوة التفاسير:٣٨/٢.

(٢٨٢٨) صفوة التفاسير:٣٨/٢.

(٢٨٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٧٦):ص٢١٠٨/٧-٢١٠٩.

(٢٨٣٠) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٣١) أخرجه الطبري(١٨٨٣٤):ص٥٧٥/١٥-٥٧٦.

قال قتادة:" أوحى الله إليه وحيا وهو في الجب، فهون ذلك الوحي عليه ما صنع به"[٢٨٣٢].
قال قتادة:" أتاه الوحي من الله، وهو في البئر بما يريدوا أن يفعلوا به، وهم لا يشعرون بما أطلع الله عليه رسوله من أمرهم"[٢٨٣٣].
وفي قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف : ١٥]، وجهان :
أحدهما : لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف، قاله قتادة[٢٨٣٤]، وابن جريج[٢٨٣٥].
الثاني : لا يشعرون بوحي الله تعالى له بالنبوة، قاله مجاهد[٢٨٣٦].

القرآن
{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)} [يوسف : ١٦]
التفسير:
وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العِشاء من أول الليل، يبكون ويظهرون الأسف والجزع.
قوله تعالى:{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} [يوسف : ١٦]، أي:" رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليلاً وهم يبكون"[٢٨٣٧].
قال السدي:" ثم إنهم رجعوا إلى أبيهم فأخذوا جديا من الغنم فذبحوه، ونضحوا دمه على القميص، ثم أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون"[٢٨٣٨].
قال محمد بن إسحاق: "فلما انطلقت به العير، وعرف إخوته أن قد ذهب به، جاؤ أباهم عشاء يبكون"[٢٨٣٩].
روى :"أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية، أما تراها تبكى؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضى إلا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية"[٢٨٤٠].

القرآن
{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)} [يوسف : ١٧]
التفسير:
قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجَرْي والرمي بالسهام، وتركنا يوسف عند زادنا وثيابنا، فلم نقصِّر في حفظه، بل تركناه في مأمننا، وما فارقناه إلا وقتًا يسيرًا، فأكله الذئب، وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق; لشدة حبك ليوسف.
قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف : ١٧]، أي:" قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجَرْي والرمي بالسهام، وتركنا يوسف عند ثيابنا وحوائجنا ليحفظها فجاء الذئب فافترسه "[٢٨٤١].
قال السدي:" أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون، فلما سمع أصواتهم فزع وقال: ما لكم يا بنيّ؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا! قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: {يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب}! فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فجاءوه بالقميص عليه دمٌ كذب، فأخذ القميص فطرحه على وجهه، ثم بكى حتى تخضَّب وجهه من دم القميص"[٢٨٤٢].

(٢٨٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٧):ص٢١٠٩/٧.
(٢٨٣٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٩):ص٢١٠٩/٧.
(٢٨٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٢):ص٢١١٠/٧.
(٢٨٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٣٩):ص٥٧٦/١٥.
(٢٨٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٨٣٤):ص٥٧٥/١٥-٥٧٦.
(٢٨٣٧) صفوة التفاسير:٣٩/٢.
(٢٨٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٥):ص٢١١٠/٧.
(٢٨٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٦):ص٢١١٠/٧.
(٢٨٤٠) الكشاف:٤٥٠/٢.
(٢٨٤١) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٨٤٢) أخرجه الطبري(١٨٨٤١):ص٥٧٧/١٥-٥٧٨.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف : ١٧]، أي:" وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق; لشدة حبك ليوسف"[٢٨٤٣].

عن السدي: "{وما أنت بمؤمن لنا}، قال: بمصدق لنا!"[٢٨٤٤].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ما أنت بمصدقنا ولو كنا صادقين وإن كنا قد صدقنا"[٢٨٤٥].

نقل القرطبي عن السدي: "إنه لما قالوا أكله الذئب خر مغشيا عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك، ونادوه فلم يجب، قال وهب: ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديان يوم الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلا ببرد السحر، فأفاق ورأسه في حجر روبيل، فقال: يا روبيل! ألم آتمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهدا؟ فقال: يا أبت كف عني بكاءك أخبرك، فكف يعقوب بكاءه فقال: يا أبت{إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب}"[٢٨٤٦].

القرآن

{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)} [يوسف : ١٨]

التفسير:

وجاؤوا بقميصه ملطخًا بدم غير دم يوسف; ليشهد على صدقهم، فكان دليلا على كذبهم; لأن القميص لم يُمَزَّقْ. فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء أمرًا قبيحًا في يوسف، فرأيتموه حسنًا وفعلتموه، فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق، وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي.

قوله تعالى:{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} [يوسف : ١٨]، أي:" وجاءوا على ثوبه بدمٍ كاذب"[٢٨٤٧].

قال قتادة:" الدم الكذب، لم يكن دم يوسف"[٢٨٤٨].

عن مجاهد في قول الله: "{بدم كذب}، قال: دم سخلة، يعني: شاة"[٢٨٤٩].

قال السدي:" ذبحوا جديًا من الغنم، ثم لطَّخوا القميص بدمه، ثم أقبلوا إلى أبيهم، فقال يعقوب: إن كان هذا الذئبُ لرحيما! كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟ يا بني، يا يوسف ما فعل بك بنو الإماء!"[٢٨٥٠].

قال الشعبي:" ذبحوا جديًا ولطخوه من دمه. فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحًا، عرف أن القوم كذبوه. فقال لهم: إن كان هذا الذئب لحليمًا، حيث رَحم القميص ولم يرحم ابني! فعرف أنهم قد كذبوه"[٢٨٥١].

قال الحسن:" جيء بقميص يوسف إلى يعقوب، فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم، ولا يرى فيه خَرْقًا، قال: يا بني ما كنت أعهدُ الذئب حليمًا؟"[٢٨٥٢]. وفي رواية:" أكل ابني، وأبقى على قميصه!"[٢٨٥٣].

قال عامر:" في قميص يوسف ثلاث آيات: حين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرًا، وحين قُدَّ منْ دُبُر، وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب"[٢٨٥٤].

(٢٨٤٣) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٤٤) أخرجه الطبري(١٨٨٤٢):ص٥٧٨/١٥.

(٢٨٤٥)أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٩):ص٢١١٠/٧ .

(٢٨٤٦) تفسير القرطبي:١٤٤/٩-١٤٥.

(٢٨٤٧) صفوة التفاسير:٣٩/٢.

(٢٨٤٨) أخرجه الطبري(١٨٨٥٨):ص٥٨١/١٥.

(٢٨٤٩) أخرجه الطبري(١٨٨٤٥):ص٥٧٩/١٥.

(٢٨٥٠) أخرجه الطبري(١٨٨٥٠):ص٥٨٠/١٥.

(٢٨٥١) أخرجه الطبري(١٨٨٥٩):ص٥٨١/١٥.

(٢٨٥٢) أخرجه الطبري(١٨٨٥٤):ص١٥-٥٨٠-٥٨١.

(٢٨٥٣) أخرجه الطبري(١٨٨٥٦):ص٥٨١/١٥.

(٢٨٥٤) أخرجه الطبري(١٨٨٦٢):ص٥٨٢/١٥.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف : ١٨]، أي:" فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء أمرًا قبيحًا في يوسف، فرأيتموه حسنًا وفعلتموه"(٢٨٥٥).

قال قتادة:" أي: زينت لكم أنفسكم أمرا"(٢٨٥٦).

قوله تعالى:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف : ١٨]، أي:" فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق"(٢٨٥٧).

قال مجاهد:" ليس فيه جزع"(٢٨٥٨).

أخرج الطبري بسنده عن الثوري، عن بعض أصحابه قال: "يقال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدِّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكّي نفسك، قال أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت: أن يعقوب النبيّ صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجبَاه، فكان يرفعهما بخرقةٍ، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان، وكثرة الأحزان! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا يعقوب، أتشكوني؟ قال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي"(٢٨٥٩).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف : ١٨]، أي:" وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي"(٢٨٦٠).

عن قتادة: "{والله المستعان على ما تصفون}، أي: على ما تكذبون"(٢٨٦١).

القرآن

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)} [يوسف : ١٩]

التفسير:

وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا مَن يطلب لهم الماء، فلما أرسل دلوه في البئر تعلَّق بها يوسف، ففرح وارد الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشري هذا غلام نفيس، وأخفى الوارِدُ وأصحابه يوسفَ عن بقية المسافرين فلم يظهروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها، والله عليم بما يعملونه بيوسف.

قوله تعالى:{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} [يوسف : ١٩]، أي:" وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا مَن يطلب لهم الماء، فلما أرسل دلوه في البئر تعلَّق بها يوسف، ففرح وارد الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشري هذا غلام نفيس"(٢٨٦٢).

قال قتادة:" أرسلوا رسولهم، فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام {قال يا بشرى هذا غلام}"(٢٨٦٣).

قال قتادة:" تباشروا به حين أخرجوه. وهي بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها"(٢٨٦٤).

قال قتادة:" بشرهم واردهم حين وجد يوسف"(٢٨٦٥).

قال قتادة:" فتشبث الغلام بالدلو، فلما خرج قال: {يا بشرى هذا غلام}"(٢٨٦٦).

قال السدي:" فتعلق يوسف بالحبل، فخرج، فلما رآه صاحب الحبل نادى رجلا من أصحابه يقال له"بشرى": {يا بشرى هذا غلام}"(٢٨٦٧).

(٢٨٥٥) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٩٦):ص٢١١١/٧.

(٢٨٥٧) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٩٨):ص٢١١٢/٧، والطبري(١٨٨٦٧):ص٥٨٤/١٥.

(٢٨٥٩) تفسير الطبري(١٨٨٧٨):ص٥٨٥/١٥-٥٨٦.

(٢٨٦٠) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٦١) أخرجه الطبري(١٨٨٧٩):ص٥٨٦/١٥.

(٢٨٦٢) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٨٦٣) أخرجه الطبري(١٨٨٨٢):ص٢/١٦.

(٢٨٦٤) أخرجه الطبري(١٨٨٨٣):ص٢/١٦.

(٢٨٦٥) أخرجه الطبري(١٨٨٨٤):ص٢/١٦.

(٢٨٦٦) أخرجه الطبري(١٨٨٨١):ص٢/١٦.

(٢٨٦٧) أخرجه الطبري(١٨٨٨٠):ص٢/١/١٦-٢.

وقال السدي:" نادى رجلا من أصحابه يقال له" بشرى"، فقال: {يا بشرى هذا غلام}"[٢٨٦٨].
قال السدي:" كان اسم صاحبه"بشرى""[٢٨٦٩].
قال السدي:" اسم الغلام"بشرى" ; قال:"يا بشرى"، كما تقول": يا زيد""[٢٨٧٠].
قوله تعالى:{وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} [يوسف : ١٩]، أي:" وأخفى الواردُ وأصحابه يوسفَ عن بقية المسافرين فلم يظهروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها"[٢٨٧١].
قال أبو الصخر:" إنهم لما ألقوه في الجب، بصروا العير قد أقبلت، فلما أرسل أهل العير واردهم، وأدلى دلوه أحس بالغلام، فنادى أصحابه فلما أتوا، قال لهم إخوة يوسف: هذا الغلام الذي في الجب غلام لنا مملوك، فهل لكم أن تبتاعوه منا؟ وأسروا بيعهم بينهم"[٢٨٧٢].
وحكى جويبر عن الضحاك "أنه ألقيَ في الجب وهو ابن ست سنين ، وبقي فيه إلى أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام"[٢٨٧٣].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [يوسف : ١٩]، أي:" والله عليم بما يعملونه بيوسف"[٢٨٧٤].
عن محمد بن إسحاق :"{العليم}، أي: علم بما يخفون"[٢٨٧٥].

القرآن

{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)} [يوسف : ٢٠]

التفسير:

وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم، وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه; وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله.

قوله تعالى:{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف : ٢٠]، أي:" وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم"[٢٨٧٦].
عن عطية، عن أبيه:"{وشروه}، قال: باعوه"[٢٨٧٧].
وفي بائعه قولان :
أحدهما : أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبداً، قاله مجاهد[٢٨٧٨].
الثاني : أن السيارة باعوه عن ملك مصر، قاله الحسن[٢٨٧٩]، وقتادة[٢٨٨٠].
وفي قوله تعالى:{ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} [يوسف : ٢٠]، ثلاثة وجوه:
أحدها : أن البخس -ها هنا-: الحرام، قاله الضحاك[٢٨٨١].
الثاني : أنه الظلم ، قاله قتادة[٢٨٨٢]، وعطية[٢٨٨٣].
الثالث : أنه القليل ، قاله مجاهد[٢٨٨٤]، والشعبي[٢٨٨٥].

(٢٨٦٨) أخرجه الطبري(١٨٨٨٥):ص٣/١٦.
(٢٨٦٩) أخرجه الطبري(١٨٨٨٦):ص٣/١٦.
(٢٨٧٠) أخرجه الطبري(١٨٨٨٧):ص٣/١٦.
(٢٨٧١) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٨٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٦):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٧٣) النكت والعيون:١٧/٣.
(٢٨٧٤) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٨٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٧):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٧٦) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٨٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٨):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٠٠)-(١٨٩٠٤):ص٩/١٦.
(٢٨٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤١٩):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٨٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٢٩٠):ص٢٠٩/٢.
(٢٨٨١) انظر: تفسير الطبري(١٨٩١٤):ص١٢/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٢):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٨٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٣):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٨٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢١):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٩١٨):ص١٢/١٦.
(٢٨٨٥) انظر: النكت والعيون:١٨/٣.

واختلفوا في تفسير قوله تعالى: {دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف : ٢٠]، على وجوه:
أحدها : أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين ، قاله قتادة[٢٨٨٦]، وعطية[٢٨٨٧]، وعكرمة[٢٨٨٨]، وأبو الصخر[٢٨٨٩]، والسدي[٢٨٩٠]، ونوف بن فضالة البكالي الشامي[٢٨٩١].
قال عطية:" كانوا عشرة اقتسموا درهمين درهمين"[٢٨٩٢].
الثاني : باثنين وعشرين درهماً ، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين ، قاله مجاهد[٢٨٩٣]، والسدي[٢٨٩٤].
الثالث: بأربعين درهما ، قاله عكرمة[٢٨٩٥]، وابن إسحاق[٢٨٩٦].
قال ابن إسحاق:" باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأواقي، فما قصَّر عن الأوقية فهو عَدد ; يقول الله: {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة}، أي: لم يبلغ الأوقية"[٢٨٩٧].
وكان السدي يقول: "اشتروا بها خفافاً ونِعالاً"[٢٨٩٨].
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعُوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدَّ مبلغَ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد يحتمل أن يكون كان عشرين - ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين - وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأيُّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة ; وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرضٌ، وما عَداه فموضوعٌ عنا تكلُّفُ علمه[٢٨٩٩].
قوله تعالى:{وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف : ٢٠]، أي:" وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه; وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله"[٢٩٠٠].
قال الضحاك: "لم يعلموا بنبوته، ولا بمنزلته من الله"[٢٩٠١].
قال الضحاك:" فاستقى من الماء فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلامًا لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه، فباعوه. وكان بيعه حرامًا، وباعوه بدراهم معدودة"[٢٩٠٢].
وقال عكرمة:" أعتق يوسف حين بيع"[٢٩٠٣].

القرآن
{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)} [يوسف : ٢١]
التفسير:

(٢٨٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٧):ص١٤/١٦.
(٢٨٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٥):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٨٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٠):ص٢١١٥/٧.
(٢٨٨٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١١٥/٧. ذكره دون إسناد.
(٢٨٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٦):ص١٤/١٦.
(٢٨٩١) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٢):ص١٣/١٦.
(٢٨٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٢٥):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٧):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٩٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٨):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٦):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٣٦):ص١٥/١٦.
(٢٨٩٧) أخرجه الطبري(١٨٩٣٦):ص١٥/١٦.
(٢٨٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٢٨):ص٢١١٦/٧.
(٢٨٩٩) تفسير الطبري:١٥/١٦-١٦.
(٢٩٠٠) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٩٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٣١):ص٢١١٧/٧.
(٢٩٠٢) أخرجه الطبري(١٨٩٣٨):ص١٦/١٦.
(٢٩٠٣) انظر: النكت والعيون:١٩/٣.

ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريمًا، لعلنا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد، وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يَعْطِف عليه، فكذلك مكنَّا له في أرض «مصر» ، وجعلناه على خزائنها، ولنعلّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلا. والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} [يوسف : ٢١]، أي:" ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريمًا"[٢٩٠٤].

عن قتادة :"{أكرمي مثواه}: منزلته"[٢٩٠٥].

قال مجاهد:" اشتراه الملك، والملك مسلم"[٢٩٠٦].

وعن محمد بن سحاق:" إن اسمه إطفير بن روحيب، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الريَّان بن الوليد، رجل من العماليق"[٢٩٠٧].

إبراهيم"[٢٩٠٨].

أخرج الطبري عن ابن إسحاق أن اسم امراة العزيز:" راعيل بنت رعائيل"[٢٩٠٩].

وأخرج الثعلبي عن هشام الرفاعي، أن: "اسم امرأة العزيز التي ضمت يوسف زليخا بنت موسى"[٢٩١٠].

قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف : ٢١]، أي:" لعلنا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد "[٢٩١١].

قال السدي:" انطُلِق بيوسف إلى مصر، فاشتراه العزيز ملك مصر، فانطلق به إلى بيته فقال لامرأته: {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدًا}"[٢٩١٢].

قال محمد بن إسحاق:" كان إطفير فيما ذكر لي رجلا لا يأتي النساء، وكانت امرأته راعيل امرأةً حسناء ناعمةً طاعمة، في مُلك ودُنْيا"[٢٩١٣].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف : ٢١]، أي:" وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يَعْطِف عليه، فكذلك مكنَّا له في أرض «مصر»"[٢٩١٤].

عن السدي قوله: "{عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا}، يقول الله: {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض}"[٢٩١٥].

قوله تعالى:{وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ٢١]، أي:" ولنعلّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلا"[٢٩١٦].

قال مجاهد:" عبارة الرؤيا"[٢٩١٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٢١]، أي:" والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله"[٢٩١٨].

(٢٩٠٤) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٩٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٣٧):ص٢١١٧/٧.
(٢٩٠٦) أخرجه الطبري(١٨٩٤٧):ص١٩/١٦.
(٢٩٠٧) اخرجه الطبري(١٨٩٤٢):١٧/١٦.
(٢٩٠٨) اخرجه الطبري(١٨٩٤٣):١٨/١٦.
(٢٩٠٩) كتفسير الطبري(١٨٩٤٤):ص١٨/١٦.
(٢٩١٠) الكشف والبيان:٢٠٥/٥.
(٢٩١١) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٩١٢) اخرجه الطبري(١٨٩٥٠):ص١٩/١٦.
(٢٩١٣) اخرجه الطبري(١٨٩٤٨):ص١٩/١٦.
(٢٩١٤) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٩١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٣٩):ص٢١١٨/٧.
(٢٩١٦) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٢٩١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٤٠):ص٢١١٨/٧.

عن سعيد بن جبير، قوله: "{والله غالب على أمره}، قال: فعال"[٢٩١٩].

القرآن

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)} [يوسف : ٢٢]

التفسير:

ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهمًا وعلمًا، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم.

قوله تعالى:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف : ٢٢]، أي:" ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهمًا وعلمًا"[٢٩٢٠].

وفي معنى «الأشدُّ»، أقوال:

أحدها : ببلوغ الحلم ، قاله الشعبي[٢٩٢١]، وربيعة[٢٩٢٢]، وزيد بن أسلم[٢٩٢٣]، ومالك[٢٩٢٤].

قال الشعبي:" الأشد: الحلم. إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات"[٢٩٢٥].

الثاني : ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير[٢٩٢٦].

الثالث : عشرون سنة ، قاله الضحاك[٢٩٢٧].

الرابع : خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة[٢٩٢٨].

الخامس : ثلاثون سنة ، قاله السدي[٢٩٢٩].

السادس : ثلاث وثلاثون سنة . قاله الحسن[٢٩٣٠]، ومجاهد[٢٩٣١]، وقتادة[٢٩٣٢].

السابع: أربعون سنة. قاله الحسن[٢٩٣٣].

وروي عن الحسن في قوله: {بلغ أشده}، قال: أربعين سنة"[٢٩٣٤].

والأولى في تحقيق بلوغ «الأشد»: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء : ٦]، فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد[٢٩٣٥].

قوله تعالى:{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف : ٢٢]، أي:" أعطيناه فهمًا وعلمًا"[٢٩٣٦].

قال مجاهد:" «يعني: الفقه والعقل والعلم قبل النبوة»[٢٩٣٧]. وفي رواية:" العقل والعلم قبل النبوة"[٢٩٣٨].

(٢٩١٨) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٩١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٤١):ص٢١١٨/٧.

(٢٩٢٠) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٩٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٦):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٧):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٩/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٢٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٠):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦١):ص٢٣/١٦.

(٢٩٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٥):ص٢١١٩/٧.

(٢٩٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٩):ص٢١٩/٧.

(٢٩٣٠) انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

(٢٩٣١) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٥٧)-(١٨٩٦٠):ص٢٢/١٦.

(٢٩٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٣٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٢١١٨/٧.

(٢٩٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٢١١٨/٧.

(٢٩٣٥) فتح القدير:٣٠٢/٢.

(٢٩٣٦) التفسير الميسر:٢٣٧.

(٢٩٣٧) تفسير مجاهد:٥٢٥/١، وتفسير ابن وهب(٣٠٧):ص١٣٤/١، .

وفي هذا الحكم الذي آتاه، وجوه:
أحدها : العقل، قاله مجاهد[٢٩٣٩].
الثاني : القرآن، قاله مجاهد[٢٩٤٠]، وسفيان[٢٩٤١].
الثالث: النبوة ، قاله السدي[٢٩٤٢].
وفي هذا العلم الذي آتاه، وجهان:
أحدهما : الفقه ، قاله مجاهد[٢٩٤٣].
الثاني : النبوة ، قاله ابن أبي نجيح[٢٩٤٤].

القرآن
{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)} [يوسف : ٢٣]
التفسير:
ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها; لحبها الشديد له وحسن بهائه، وغلَّقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلمَّ إليَّ، فقال: معاذ الله أعتصم به، وأستجير مِن الذي تدعينني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح مَن ظلَم فَفَعل ما ليس له فعله.
قوله تعالى:{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٢٣]، أي:" ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها"[٢٩٤٥].
عن السدي: {وراودته التي هو في بيتها عن نفسه}، قال: أحبته"[٢٩٤٦].
قال محمد بن إسحاق:" امرأة العزيز"[٢٩٤٧].
قال محمد بن إسحاق:" وكان أطيفير فيما ذكر لي رجلا لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة طاعمة في ملك ودنيا، وكان الله قد أعطى يوسف من الحسن والهيئة ما لم يعطه أحدا من الناس قبله ولا بعده، وكان يقال والله أعلم: إنه أعطي نصف الحسن، وقسم النصف الآخر بين الناس"[٢٩٤٨].
قوله تعالى:{وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" وغلقت أبواب البيوت عليها وعلى يوسف وأحكمت إغلاقها، وقالت: هلمَّ إليَّ"[٢٩٤٩].
وفي قوله تعالى:{وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف : ٢٣]، وجوه:
أحدها: معناه: تهيأت لك، قاله عكرمة[٢٩٥٠]، وأبو عبد الرحمن السلمي[٢٩٥١]، وهذا تأويل من قرأ بكسر الهاء وترك الهمز[٢٩٥٢]، وقال الشاعر[٢٩٥٣]:
قد رابني أن الكرى أسكتا ... لو كان معنياً بها لهيتا

(٢٩٣٨) أخرجه الطبري(١٨٩٦٢):ص٢٣/١٦.
(٢٩٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦٢):ص٢٣/١٦.
(٢٩٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٤):ص٢١٢٠/٧.
(٢٩٤١) انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
(٢٩٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٣):ص٢١٢٠/٧.
(٢٩٤٣) انظ{: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٥٢):ص٢١١٩/٧.
(٢٩٤٤) انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
(٢٩٤٥) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٢٩٤٦) أخرجه الطبري(١٨٩٦٥):ص٢٥/١٦.
(٢٩٤٧) أخرجه الطبري(١٨٩٦٤):ص٢٤/١٦.
(٢٩٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٥٩):ص٢١٢٠/٧.
(٢٩٤٩) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٢٩٥٠) أخرجه الطبري(١٨٩٩٢)، و(١٨٩٩٤):ص٢٨/١٦-٢٩.
(٢٩٥١) أخرجه الطبري(١٨٩٩١):ص٢٨/١٦.
(٢٩٥٢) انظر: تفسير الطبري:٢٨/١٦.
(٢٩٥٣)الرجز بلا نسبة في لسان العرب ٢/ ٤٣ (سكت)، ١٠٦ (هيت)؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٣٩٥، ١٠/ ٤٩؛ وتاج العروس ٤/ ٥٥٩ (سكت)، ٥/ ١٤٦ (هيت)؛ ومقاييس اللغة ٦/ ٢٣؛ وديوان الأدب ٢/ ٢٨٥، ٣/ ٤٣٦؛ والمخصص ٢/ ١٣٤، ١٣٦.

عن عاصم بن بهدلة، قال: "كان أبو وائل يقول:«هِئْتُ لكَ»: أي: تهيأت لك. وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة"[٢٩٥٤].

الثاني: معناه: عليك عليك. أي: دونك حاجتك. قاله الحسن[٢٩٥٥].

وعن محمد بن إسحاق :"{وقالت هيت لك}، أي: تعال فأنا لك"[٢٩٥٦].

الثالث: هلم لك، قاله الحسن-أيضا-[٢٩٥٧]، والسدي[٢٩٥٨].

قال مجاهد:" لغة عربية، تدعُوه بها"[٢٩٥٩].

وقال الحسن : هي كلمة سريانية[٢٩٦٠].

وعن مجاهد :"{هيت لك}، قال: ألقت نفسها، ودعته إلى نفسها، وهي لغة"[٢٩٦١].

وعن ابن إسحاق: "{هيت لك}، قال: تعال"[٢٩٦٢].

قوله تعالى:{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" عياذاً بالله من فعل السوء، إن زوجك هو سيدي العزيز الذي أكرمني وأحسن تعهدي فكيف أسيء إليه بالخيانة في حَرَمه؟"[٢٩٦٣].

عن مجاهد: "{قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي}، قال: سيدي، يعني: زوج المرأة"[٢٩٦٤].

عن ابن إسحاق: "{قال معاذ الله إنه ربي}، يعني: إطفير. يقول: إنه سيدي"[٢٩٦٥].

عن ابن إسحاق، قال: "{أحسن مثواي}، أمنني على بيته وأهله"[٢٩٦٦].

عن السدي: "{أحسن مثواي}، فلا أخونه في أهله"[٢٩٦٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" إنه لا يفلح مَن ظَلَم فَفَعل ما ليس له فعله"[٢٩٦٨].

عن ابن إسحاق: "{إنه لا يفلح الظالمون}، قال: هذا الذي تدعوني إليه ظلم، ولا يفلح من عمل به"[٢٩٦٩].

القرآن

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)} [يوسف : ٢٤]

التفسير:

ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك; لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} [يوسف : ٢٤]، أي:" ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة"[٢٩٧٠].

(٢٩٥٤) أخرجه الطبري(١٨٩٩٥):ص٢٩/١٦.

(٢٩٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٦٧):ص٢١٢٢/٧.

(٢٩٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٦٨):ص٢١٢٢/٧.

(٢٩٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٧٣):ص٢٦/١٦. وقال في(١٨٩٧٦):ص٢٧/١٦:" كلمة بالسريانية، أي: عليك".

(٢٩٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٧٥):ص٢٧/١٦. وقال:"بالقبطية".

(٢٩٥٩) أخرجه الطبري(١٨٩٨٢):ص٢٧/١٦.

(٢٩٦٠) انظر: تفسير الطبري: (١٨٩٧٦):ص٢٧/١٦.

(٢٩٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٦٣):ص٢١٢١/٧.

(٢٩٦٢) أخرجه الطبري(١٨٩٨٨):ص٢٨/١٦.

(٢٩٦٣) صفوة التفاسير:٤٢/٢.

(٢٩٦٤) أخرجه الطبري(١٩٠٠٧):ص٣٢/١٦.

(٢٩٦٥) أخرجه الطبري(١٩٠٠٨):ص٣٢/١٦.

(٢٩٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٠٩):ص٣٣/١٦.

(٢٩٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٠١٠):ص٣٣/١٦.

(٢٩٦٨) التفسير الميسر:٢٣٨.

(٢٩٦٩) أخرجه الطبري(١٩٠١٢):ص٣٣/١٦.

وفي قوله تعالى:{وَهَمَّ بِهَا} [يوسف : ٢٤]، قولان:
أحدهما : أنه همه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً له. وهو معنى قول الحسن[٢٩٧١].
الثاني: أنه هم بمواقعتها وعزم عليه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس[٢٩٧٢]، ومجاهد[٢٩٧٣]، والسدي[٢٩٧٤]. وحكي الماوردي هذا القول عن جمهور المفسرين[٢٩٧٥].
قال مجاهد:" حل سراويله حتى بلغ ثنته، فمثل له يعقوب فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله"[٢٩٧٦].

عن أسباط، عن السدي، قوله: "{ولقد همت به وهم بها}، فقالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك. قال: هو أول ما يتناثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك.. قال: هما أول ما يسيلان إلى الأرض من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك.. قال: هو للتراب يأكله، فلم تزل به حتى أطمعها ف همت به وهم بها ودخل البيت، وغلقت الأبواب فذهب يحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف، لا تواقعها"[٢٩٧٧].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبدالله ابن أبي مليكة: "سئل ابن عباس عن هم يوسف فقال: حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن فنودي: يا ابن يعقوب أتزني؟ فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه، فذهب يطير فلم يستطع"[٢٩٧٨].

وعن عن محمد بن إسحاق قوله: "{ولقد همت به وهم بها}، فأكبت عليه تطيعه مرة، وتخيفه مرة أخرى، وتدعوه إلى لذة وهي من حاجة الرجال، في جمالها وحسنها وملكها، وهو شاب مقتبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجال حتى رق لها مما يرى من كلفها به، ولم يتخوف منها حتى هم بها وهمت به، حتى دخلوا في بعض بيوته فلما هم وتهيأ لذلك رأى برهان ربه فانكشف عنها هاربا"[٢٩٧٩].

وقد طول المفسرون في تفسير هذين «الهمين»، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب «لولا» متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: أن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل.
وكذلك هنا التقدير: «لولا أن رأى برهان ربه لهم بها»، فكان موجدا الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم.
ولا التفات إلى قول الزجاج. ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا، فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: {وهم بها} هو جواب «لولا»، ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب. وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فـ«اللام» ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب «لولا» إذا كان بصيغة الماضي باللام، وبغير «لام»، تقول: لولا زيد لأكرمتك، ولولا زيد أكرمتك.

(٢٩٧٠) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٢٩٧١) انظر: النكت والعيون:٢٤/٣.
(٢٩٧٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٣):ص٢١٢٢/٧.
(٢٩٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
(٢٩٧٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
(٢٩٧٥) انظر: النكت والعيون:٢٥/٣.
(٢٩٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
(٢٩٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
(٢٩٧٨) تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٣):ص٢١٢٢/٧.
(٢٩٧٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٧٦):ص٢١٢٣/٧.

فمن ذهب إلى أن قوله: {وهم بها} هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات لقول ابن عطية إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ولقد همت به، وإن جواب« لولا» في قوله: {وهم بها}، وأن المعنى: لولا أن رأى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى.

أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص : ١٠]، فقوله: {إن كادت لتبدي به}، إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة. والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا لهم بها. ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين. ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري[٢٩٨٠]، وابن عطية[٢٩٨١]، وغيرهما"[٢٩٨٢].

قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} [يوسف : ٢٤]، أي:" لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه"[٢٩٨٣].

وفي قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} [يوسف : ٢٤]، وجوه:

أحدها : أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة. وهذا قول قتادة[٢٩٨٤]، و ابن أبي مليكة[٢٩٨٥].

قال قتادة:" نودي يوسف فقيل: أنت مكتوب في الأنبياء، تعمل عمل السفهاء؟"[٢٩٨٦].

الثاني : أنه رأى صورة يعقوب-عليه السلام- يتوعّده، فكفّ عن مواقعة الخطيئة، قاله الحسن[٢٩٨٧]، وسعيد بن جبير[٢٩٨٨]، عكرمة[٢٩٨٩]، والضحاك[٢٩٩٠]، وقتادة[٢٩٩١]، ومجاهد[٢٩٩٢]، والسدي[٢٩٩٣]، وأبو صالح[٢٩٩٤]، ومحمد بن سيرين[٢٩٩٥]، وحميد بن عبد الرحمن[٢٩٩٦]، والقاسم بن ابي بزة[٢٩٩٧]، ومشمر بن عطية[٢٩٩٨].

(٢٩٨٠) انظر: الكشاف:٤٥٥/٢ وما بعدها.
(٢٩٨١) انظر: المحرر الوجيز:٢٢٣/٣ وما بعدها.
(٢٩٨٢) البحر المحيط:٢٥٧/٦-٢٥٨. وانظر: معاني القرآن للزجاج:١٠١/٣.
(٢٩٨٣) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٢٩٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤٠):ص٤١/١٦.
(٢٩٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤١):ص٤١/١٦.
(٢٩٨٦) أخرجه الطبري(١٩٠٤٠):ص٤١/١٦.
(٢٩٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٣):ص٤٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٠):ص٢١٢٤/٧.
(٢٩٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤٤):ص٤٢/١٦.
(٢٩٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٦٤)، و(١٩٠٦٥):ص٤٥/١٦.
(٢٩٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٨٣):ص٤٧/١٦ ولفظه:" يزعمون أنه مَثَلَ له يعقوب، فاستحيىمنه".
(٢٩٩١) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧١):ص٤٥/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٣):ص٢١٢٤/٧.
(٢٩٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٥٥)-(١٩٠٦٢):ص٤٣/١٦-٤٤، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٦):ص٢١٢٥/٧.
(٢٩٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٨):ص٢١٢٥/٧.
(٢٩٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٤):ص٤٦/١٦.
(٢٩٩٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٤):ص٢١٢٤/٧.
(٢٩٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٥٣):ص٤٣/١٦.
(٢٩٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٦٣):ص٤٤/١٦.
(٢٩٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٧):ص٤٦/١٦.

قال الحسن:" رأى يعقوب عاضا على أصابعه، يقول: يوسف، يوسف"[٢٩٩٩]. وفي رواية أخرى:" زعموا، والله أعلم، أن سقف البيت انفرج، فرأى يعقوبَ عاضًّا على أصابعه"[٣٠٠٠].

قال سعيد بن جبير:" رأى تمثال وجه أبيه، قائلا بكفه هكذا - وبسط كفه- فخرجت شهوته من أنامله"[٣٠٠١].

عن وهب بن جرير، عن أبيه قال: "سمعت ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: أطلق تكة سراويله، وقعد منها ذلك المقعد، فمثل له يعقوب في سقف البيت عاضا على إبهامه، فانتزع الله كل شهوة كانت في جسده فخرج يسعى إلى باب البيت"[٣٠٠٢].

قال قتادة:"مثل له يعقوب عاضا على أصبعيه وهو يقول له: أيا يوسف أتتهم بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فذلك البرهان، فانتزع الله كل شهوة كانت في مفاصله"[٣٠٠٣].

قال محمد بن سيرين:" مثل له يعقوب عاضا على أصبعيه يقول: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، اسمك في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء"[٣٠٠٤].

قال السدي:" فإذا هو بصورة يعقوب قائم في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف، لا تواقعها، إنما مثلك مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا وقعت عليها مثله إذا مات فوقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع، عن نفسه، ومثلك مثل الثور الصعب الذي لم يعمل عليه ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات، فدخل الماء في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع، عن نفسه فربط سراويله"[٣٠٠٥].

قال مجاهد:" تمثل له يعقوب، فضرب في صدر يوسف، فطارت شهوته من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب اثنا عشر ذكر غير يوسف لم يولد له إلا غلامان"[٣٠٠٦].

قال سعيد بن جبير:" رأى صورةً فيها وجه يعقوب عاضًّا على أصابعه، فدفع في صدره، فخرجت شهوته من أنامله. فكلُّ ولد يعقوب وُلِدَ له اثنا عشر رجلا إلا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة، ولم يولد له غير أحد عشر"[٣٠٠٧].

عن علي بن بذيمة، قال: "كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابنًا، إلا يوسف، ولد له أحد عشر، من أجل ما خرج من شهوته"[٣٠٠٨].

قال عبيد الله بن أبي جعفر: "بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بَنَانه"[٣٠٠٩].

الثالث : أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى. وهذا المعنى مروي عن محمد بن كعب القرظي[٣٠١٠]، وأبي هلال في رواية نافع[٣٠١١].

قال محمد بن كعب القرظي:" رفع رأسَه إلى سقف البيت، فإذا كتاب في حائط البيت: {لا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا} [سورة الإسراء: ٣٢]"[٣٠١٢].

وقال محمد بن كعب:" لولا أن رأى ما حرم عليه من القرآن لرجع عليه"[٣٠١٣].

وعن أبي صخر، قال: "سمعت القرظي يقول في «البرهان»: الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)}[٣٠١٤]، وقول الله: {وَمَا تَكُونُ

(٢٩٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٠):ص٢١٢٤/٧.
(٣٠٠٠) أخرجه الطبري(١٩٠٤٨):ص٤٢/١٦-٤٣.
(٣٠٠١) أأخرجه الطبري(١٩٠٤٤):ص٤٢/١٦.
(٣٠٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٧٨):ص٢١٢٤/٧.
(٣٠٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٣):ص٢١٢٤/٧.
(٣٠٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٤):ص٢١٢٤/٧.
(٣٠٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٨):ص٢١٢٥/٧.
(٣٠٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٦):ص٢١٢٥/٧.
(٣٠٠٧) أخرجه الطبري(١٩٠٥٢):ص٤٣/١٦.
(٣٠٠٨) أخرجه الطبري(١٩٠٦٧):ص٤٥/١٦.
(٣٠٠٩) أخرجه الطبري(١٩٠٦٨):ص٤٥/١٦.
(٣٠١٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٨٤):ص٤٧/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٦) ، و(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.
(٣٠١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.
(٣٠١٢) أخرجه الطبري(١٩٠٨٤):ص٤٧/١٦.
(٣٠١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٧):ص٢١٢٥/٧.

فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}[٣٠١٥]، وقول الله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}[٣٠١٦]، قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل القرظي، وزاد آية أخرى أخرى رابعة {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا}[٣٠١٧]"[٣٠١٨].

الرابع : أن البرهان الذي رآه . تمثال الملك إظفير سيده ، قاله ابن إسحاق[٣٠١٩].

قال محمد بن إسحاق:" كان بعض أهل العلم، فيما بلغني، يقول: البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوءَ والفحشاء، يعقوبُ عاضًّا على إصبعه، فلما رآه انكشفَ هاربًا ،ويقول بعضهم: إنما هو خيال إظفير سيده، حين دَنا من الباب، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته، ألفياه لدى الباب"[٣٠٢٠].

الخامس: أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها : ما وراء هذه الستر؟ فقالت : صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه . فقال : إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه ، قاله الضحاك[٣٠٢١].

السادس: أنه رأى آية من آيات ربه حجزه الله بها، عن معصيته. قاله قتادة[٣٠٢٢].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله، زجرته عن ركوب ما همَّ به يوسف من الفاحشة،وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك - وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ،ولا حجة للعذر قاطعة بأيِّ ذلك [كان] من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه"[٣٠٢٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف : ٢٤]، أي:" وإنما أريناه ذلك; لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده"[٣٠٢٤].

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر في قوله: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء}، قال: الزنا، والثناء القبيح"[٣٠٢٥].

عن أبي ثمامة قال: "قال الحواريون: يا روح الله: أخبرنا من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس"[٣٠٢٦].

القرآن

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)} [يوسف : ٢٥]

التفسير:

وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه; لتحول بينه وبين الخروج فشقَّته، ووجدا زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء مَن أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجع.

(٣٠١٤)[الانفطار : ١٠ - ١٢].
(٣٠١٥)[يونس : ٦١].
(٣٠١٦)[الرعد : ٣٣].
(٣٠١٧)[الإسراء : ٣٢].
(٣٠١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٧/٢١٢٥-٢١٢٦.
(٣٠١٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٠٩٠):ص١٦/٤٨-٤٩.
(٣٠٢٠) أخرجه الطبري(١٩٠٩٠):ص١٦/٤٨-٤٩.
(٣٠٢١) انظر: النكت والعيون:٣/٢٦، وذكره العز بن عبدالسلام في تفسيره :٢/١١٦، دون نسبة.
(٣٠٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٢):ص٧/٢١٢٤.
(٣٠٢٣) تفسير الطبري:١٦/٤٩.
(٣٠٢٤) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٩٠):ص٧/٢١٢٦.
(٣٠٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٩١):ص٧/٢١٢٦.

قوله تعالى:{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} [يوسف : ٢٥]، أي:" وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به"(٣٠٢٧).

قال قتادة:" استبق هو والمرأة الباب"(٣٠٢٨).

قوله تعالى:{وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف : ٢٥]، أي:" وجذبت قميصه من خلفه; لتحول بينه وبين الخروج فشقَّته"(٣٠٢٩).

قال ابن إسحاق:" لما رأى برهان ربه، انكشفَ عنها هاربًا، واتبعته، فأخذت قميصه من دبر، فشقَّته عليه"(٣٠٣٠).

قوله تعالى:{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} [يوسف : ٢٥]، أي:" ووجدا زوجها عند الباب"(٣٠٣١).

قال مجاهد:" سيدها: زوجها ، {لدى الباب}، قال: عند الباب"(٣٠٣٢).

قال أبو صالح : "والسيد هو الزوج بلسان القبط "(٣٠٣٣).

عن السدي: "{وألفيا سيدها لدى الباب}، قال: جالسًا عند الباب وابن عمّها معه، فلما رأته قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ إنه راودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي، فشققت قميصه. قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي، وفررت منها فأدركتني، فشقت قميصي. فقال ابن عمها: تِبْيان هذا في القميص، فإن كان القميص، قدّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فأتي بالقميص، فوجده قدّ من دبر قال: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}"(٣٠٣٤).

عن ابن إسحاق: "{وألفيا سيدها لدى الباب}، إطفير، قائمًا على باب البيت، فقالت وهابَتْه: {ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم}، ولطخته مكانها بالسيئة، فَرَقًا من أن يتهمها صاحبُها على القبيح. فقال هو، وصَدقه الحديث: {هي راودتني عن نفسي}"(٣٠٣٥).

قوله تعالى:{قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يوسف : ٢٥]، أي:" فقالت: ما جزاء مَن أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجع"(٣٠٣٦).

عن نوف الشامي، قال: "ما كان يوسف يريد أن يذكره، حتى قالت: {ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا}، الآية، قال: فغضب، فقال: {هي راودتني عن نفسي}"(٣٠٣٧).

أخرج الثعلبي عن جعفر بن سليمان، قال: "سمعت امرأة في بعض الطرق وهي تتكلم ببعض الرفث فقلت لها: [....]إنكن صويحبات يوسف، فقالت له المرأة: وا عجبا نحن دعوناه إلى اللذة، وأنتم أردتم قتله، فمن أصحابه نحن أو أنتم، وقتل النفس أعظم مما أردناه؟"(٣٠٣٨).

القرآن

{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)} [يوسف : ٢٦]

التفسير:

قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، فشهد صبي في المهد مِن أهلها فقال: إن كان قميصه شُقَّ من الأمام فصدقت في اتِّهامها له، وهو من الكاذبين.

(٣٠٢٧) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٢٨) أخرجه الطبري(١٩٠٩١):ص٥١/١٦.
(٣٠٢٩) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٣٠) أخرجه الطبري(١٩٠٩٢):ص٥١/١٦.
(٣٠٣١) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٣٢) أخرجه الطبري(١٩٠٩٣):ص٥١/١٦.
(٣٠٣٣) النكت والعيون:٢٧/٣.
(٣٠٣٤) أخرجه الطبري(١٩٠٩٦):ص٥١/١٦-٥٢.
(٣٠٣٥) أخرجه الطبري(١٩٠٩٧):ص٥٢/١٦.
(٣٠٣٦) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٣٧) أخرجه الطبري(١٩٠٩٦):ص٥٣/١٦.
(٣٠٣٨) الكشف والبيان٢١٤/٥.

قوله تعالى:{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} [يوسف : ٢٦]، أي:" قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك"[٣٠٣٩].

قال السدي:" واشتد نحو الباب وألفيا سيدها جالسا عند الباب هو وابن عم المرأة فلما رأته قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم إنه راودني، عن نفسي، فدفعته عني، فشققت قميصه فقال يوسف: لا بل هي راودتني، عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فأخذت بقميصي فشقته علي"[٣٠٤٠].

قوله تعالى:{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا} [يوسف : ٢٦]، أي:" فشهد صبي في المهد مِن أهلها"[٣٠٤١].

وفي هذا الشاهد، اربعة أقوال:

أحدها : أنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله الحسن[٣٠٤٢]، وسعيد بن جبير[٣٠٤٣]، والضحاك[٣٠٤٤]، وهلال بن يساف[٣٠٤٥].

قال ابن عباس:" تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام"[٣٠٤٦]. ورواه مرفاعا[٣٠٤٧].

الثاني : أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن، قاله مجاهد[٣٠٤٨].

الثالث : أنه رجل حكيم من أهلها، قاله قتادة[٣٠٤٩]، وعكرمة[٣٠٥٠].

قال قتادة:" رجل حكيم كان من أهلها، فقال: القميص يقضي بينكما، إن كان قميصه قد من قبل، فصدقت وهو من الكاذبين"[٣٠٥١].

وقال مجاهد:"كان رجلا:"[٣٠٥٢]. وروي عنه أيضا: "حكم حاكم"[٣٠٥٣].

وقال سعيد بن جبير:" رجل"[٣٠٥٤].

قال الحسن:" رجل له رأي أشارَ برأيه"[٣٠٥٥].

قال زيد بن أسلم:" ابن عم كان لها حكيما"[٣٠٥٦].

قال السدي:" ابن عمها كان الشاهدَ من أهلها"[٣٠٥٧].

قال ابن إسحاق:" إن الشاهد مشيوا، رجل من أهل أطيفير، كان يستعين برأيه ويسمع منه إلا أنه قال: أشهد إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا، وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة مدبرا، وقال: إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذلك"[٣٠٥٨].

(٣٠٣٩) التفسير الميسر:٢٣٨.

(٣٠٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠٢):ص٢١٢٨/٧.

(٣٠٤١) التفسير الميسر:٢٣٨.

(٣٠٤٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

(٣٠٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٩١٠١)-(١٩١٠٥):ص٥٤/١٦-٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

(٣٠٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٧):ص٥٥/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

(٣٠٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٦):ص٥٥/١٦.

(٣٠٤٦) أخرجه الطبري(١٩٠٩٩):ص٥٤/١٦.

(٣٠٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٨):ص٥٥/١٦. ورواه أحمد في المسند (٣١٠/١) والحاكم في المستدرك (٤٩٦/٢) من طريق حماد بن سلمة به ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣٠٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٩١٣٢)، و(١٩١٣٣):ص٥٨/١٦-٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٥٠٥)، و(١١٥٠٦):ص٢١٢٨/٧-٢١٢٩.

قال ابن كثير: "هذا قول غريب".[تفسير ابن كثير:٣٨٤/٤]

(٣٠٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٩١٢٤):ص٥٧/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٥٠٧):ص٢١٢٩/٧.

(٣٠٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٩١١٣):ص٥٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٢٩/٧. حكاه دون ذكر السند.

(٣٠٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٢):ص٢١٢٩/٧.

(٣٠٥٢) أخرجه الطبري(١٩١١٥):ص٥٦/١٦.

(٣٠٥٣) أخرجه الطبري(١٩١٢٩):ص٥٨/١٦.

(٣٠٥٤) أخرجه الطبري(١٩١١٨):ص٥٧/١٦.

(٣٠٥٥) أخرجه الطبري(١٩١٢٧):ص٥٨/١٦.

(٣٠٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٠):ص٢١٢٩/٧.

(٣٠٥٧) أخرجه الطبري(١٩١٢٠):ص٥٧/١٦.

(٣٠٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٣):ص٢١٢٩/٧-٢١٣٠.

وقال الحسن:" رجل له فهم وعلم"[٣٠٥٩].
الرابع : أنه عنى شهادة القميص المقدود ، قاله مجاهد أيضاً[٣٠٦٠].
والصواب من القول في ذلك، قول من قال: كان صبيًّا في المهد، للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنه ذكر من تكلم في المهد. فذكر أنَّ أحدهم صاحب يوسف، فأمّا ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود، فما لا معنى له ; لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال: {وشهد شاهد من أهلها}، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة[٣٠٦١].
قوله تعالى:{إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [يوسف : ٢٦]، أي:" فقال: إن كان قميصه شُقَّ من الأمام فصدقت في اتّهامها له، وهو من الكاذبين"[٣٠٦٢].
قال عامر: "كان في قميص يوسف ثلاث آيات: حين قد قميصه من دبر، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين جاؤ على قميصه بدم كذب، عرف أن الذئب لو أكله خرق قميصه"[٣٠٦٣].

القرآن
{وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)} [يوسف : ٢٧]
التفسير:
وإن كان قميصه شُقَّ من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.
قال السدي:" قال ابن عمها: في القميص تبيان الأمر انظروا إن كان قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما أتى بالقميص وجد قد قد من دبر"[٣٠٦٤].

القرآن
{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)} [يوسف : ٢٨]
التفسير:
فلما رأى الزوج قميص يوسف شُقَّ من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمتِ به هذا الشاب هو مِن جملة مكركن -أيتها النساء-، إنَّ مكركن عظيم.
قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف : ٢٨]، أي:" فلما رأى زوجها أن الثوب قد شُقَّ من الوراء"[٣٠٦٥].
قال محمد بن إسحاق:" فلما رأى أطيفير قميصه قد من دبر عرف أنه من كيدها قال: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم}"[٣٠٦٦].
قوله تعالى:{قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف : ٢٨]، أي:" قال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمتِ به هذا الشاب هو مِن جملة مكركن -أيتها النساء-، إن مكركنَّ معشر النسوة واحتيالكنّ للتخلص مما دبرتُنَّ شيءٌ عظيم"[٣٠٦٧].

القرآن
{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)} [يوسف : ٢٩]
التفسير:

(٣٠٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠٨):ص٢١٢٩/٧.
(٣٠٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٩١٣٠)، و(١٩١٣١):ص:٥٨/١٦
(٣٠٦١) تفسير الطبري:٥٩/١٦.
(٣٠٦٢) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١١):ص٢١٢٩/٧.
(٣٠٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٤):ص٢١٣٠/٧.
(٣٠٦٥) .صفوة التفاسير:٤٣/٢
(٣٠٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٥):ص٢١٣٠/٧.
(٣٠٦٧) التفسير الميسر:٢٣٨.

قال عزيز «مصر» : يا يوسف اترك ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي -أيتها المرأة- المغفرة لذنبك؛ إنك كنتِ من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افترائك عليه.

قوله تعالى:{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [يوسف : ٢٩]، أي:" قال عزيز «مصر» : يا يوسف اترك ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد"[٣٠٦٨].

عن قتادة، قوله: "{يوسف أعرض عن هذا}: الأمر والحديث"[٣٠٦٩].

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف : ٢٩]، أي:" واطلبي -أيتها المرأة- المغفرة لذنبك، إنك كنتِ من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افترائك عليه"[٣٠٧٠].

عن السدي :"{واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}، يقول: لا تعودن لذنبك"[٣٠٧١].

القرآن

{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠)} [يوسف : ٣٠]

التفسير:

ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شَغَاف قلبها -وهو غلافه-، إنا لنراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

قوله تعالى:{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٣٠]، أي:" قال جماعة من النساء في مدينة مصر امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها"[٣٠٧٢].

قال محمد بن إسحاق:" وشاع الحديث في القرية، وتحدث النساء بأمره وأمرها، وقلن: {امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه}، أي: عبدها"[٣٠٧٣].

قوله تعالى:{قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} [يوسف : ٣٠]، أي:" قد بلغ حبُّه شَغَاف قلبها"[٣٠٧٤].

قال عكرمة:" دخل حبه تحت الشَّغاف"[٣٠٧٥].

قال مجاهد:" دخل حبه في شَغافها"[٣٠٧٦].

قال الشعبي:: "«المشغوف»: المحب، و«المشعوف»، المجنون"[٣٠٧٧].

قال الحسن:" قد بطنَها حبًّا"[٣٠٧٨].

وعن أبي رجاء والحسن: "{قد شغفها حبًّا}، قال أحدهما: قد بَطَنَها حبًّا. وقال الآخر: قد صَدَقها حبًّا"[٣٠٧٩].

قال قتادة:" استبطنها حبها إياه"[٣٠٨٠].

قال الضحاك:" هو الحب اللازق بالقلب"[٣٠٨١]. وفي رواية:" هلكت عليه حبًّا، و"الشَّغَاف": شَغَاف القلب"[٣٠٨٢].

(٣٠٦٨) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥١٦):ص٢١٣٠/٧.
(٣٠٧٠) التفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٢٠):ص٢١٣١/٧.
(٣٠٧٢) انظر: صفوة التفاسير:٤٤/٢، والتفسير الميسر:٢٣٨.
(٣٠٧٣) أخرجه الطبري(١٩١٣٧):ص٦٢/١٦.
(٣٠٧٤) صفوة التفاسير:٤٤/٢.
(٣٠٧٥) أخرجه الطبري(١٩١٣٨):ص٦٣/١٦.
(٣٠٧٦) أخرجه الطبري(١٩١٣٩):ص٦٣/١٦.
(٣٠٧٧) أخرجه الطبري(١٩١٤٥):ص٦٤/١٦.
(٣٠٧٨) أخرجه الطبري(١٩١٤٧):ص٦٤/١٦.
(٣٠٧٩) أخرجه الطبري(١٩١٤٦):ص٦٤/١٦.
(٣٠٨٠) أخرجه الطبري(١٩١٥٢):ص٦٥/١٦.
(٣٠٨١) أخرجه الطبري(١٩١٥٥):ص٦٥/١٦.
(٣٠٨٢) أخرجه الطبري(١٩١٥٦):ص٦٥/١٦.

وفي «شغاف القلب»، أقوال :
أحدها : أنه حجاب القلب، قاله ابن عباس[٣٠٨٣].
الثاني : أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب ، قاله السدي[٣٠٨٤].
الثالث : أنه باطن القلب ، قاله الحسن[٣٠٨٥].
قوله تعالى:{إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٣٠]، أي:" إنا لنعتقد أنها في ضلال عن طريق الرشد واضح بسبب حبها إيّاه"[٣٠٨٦].
عبد الصمد بن محمد العباد اني، قال: "سمعت أبي يقول قال رجل ليوسف، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم: إني أحبك فقال له يوسف: لا أريد أن يحبني أحد غير الله، من حب أبي ألقيت في الجب، ومن حب امرأة العزيز ألقيت في السجن"[٣٠٨٧].

القرآن
{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)} [يوسف : ٣١]
التفسير:
فلما سمعت امرأة العزيز بغِيْبتهن إياها واحتيالهن في ذمِّها، أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها، وهيَّأت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد، وما يأكلنه من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا ليُقَطِّعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمنه وأجللنه، وأخَذْهن حسنه وجماله، فجرحن أيديهن وهن يُقَطِّعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر; لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا مَلَك كريم من الملائكة.
قوله تعالى:{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" فلما سمعت امرأة العزيز بغِيْبتهن إياها واحتيالهن في ذمِّها"[٣٠٨٨].
عن قتادة، قوله: "{فلما سمعت بمكرهن}، أي: بحديثهن"[٣٠٨٩].
عن السدي: "{فلما سمعت بمكرهن}، يقول: بقولهن"[٣٠٩٠].
قال ابن إسحاق:" لما أظهر النساء ذلك، من قولهن: تراود عبدها! مكرًا بها لتريهن يوسف، وكان يوصف لهن بحُسنه وجماله; {فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ}"[٣٠٩١].
قوله تعالى:{أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها"[٣٠٩٢].
عن قتادة: "{ أرسلت إليهن}، يقول: أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدثن بشأنها وشأن يوسف"[٣٠٩٣].
قوله تعالى:{وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} [يوسف : ٣١]، أي:" هيأت لهنَّ ما يتكئن عليه من الفرش والوسائد"[٣٠٩٤].
وفي «المُتْكَأ» ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه المجلس.
عن الحسن أنه كان يقرأ: "«مُتَّكَآءً»، ويقول: هو المجلس والطعام"[٣٠٩٥].

(٣٠٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٥٢٣):ص٢١٣١/٧.
(٣٠٨٤)انظر: تفسير الطبري(١٩١٥٧):ص٦٥/١٦-٦٦ .
(٣٠٨٥) انظر: النكت والعيون:٣٠/٣، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني:٤٥٧.
(٣٠٨٦) صفوة التفاسير:٤٤/٢.
(٣٠٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٣٠):ص٢١٣٢/٧.
(٣٠٨٨) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣٠٨٩) أخرجه الطبري(١٩١٦٦):ص٦٩/١٦.
(٣٠٩٠) أخرجه الطبري(١٩١٦٤):ص٦٩/١٦.
(٣٠٩١) أخرجه الطبري(١٩١٦٥):ص٦٩/١٦.
(٣٠٩٢) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣٠٩٣) أخرجه الطبري(١٩١٦٦):ص٦٩/١٦.
(٣٠٩٤) صفوة التفاسير:٤٤/٢.

عن السدي، قوله: "{وأعتدت لهن متكأ} يتكين عليه، وآتت كل واحدة منهن سكينا وأترنجا يأكلنه"[٣٠٩٦].

الثاني : أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها ، قاله السدي[٣٠٩٧].

الثالث : أنه الطعام، قاله الحسن[٣٠٩٨]، وسعيد بن جبير[٣٠٩٩]، وعكرمة[٣١٠٠]، ومجاهد[٣١٠١]، وقتادة-في إحدى الروايات-[٣١٠٢]، وعطية[٣١٠٣]، والسدي-في إحدى الروايات-[٣١٠٤]، ومحمد بن إسحاق[٣١٠٥]. وهو مأخوذ من قول العرب: اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا عنده ، وأصله أن من دعي إلى طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ على الاستعارة .

فعلى هذا، أيّ الطعام هو ؟ فيه أربعة أقوال:

أحدها : أنه الزُّماورد ، قاله الضحاك[٣١٠٦].

الثاني : أنه الأترج، قاله الضحاك[٣١٠٧]، والسدي[٣١٠٨]، وأبو عبدالله الشقري[٣١٠٩]، وهو وتأويل من قرأها مخففة غير مهموزة.

قال أبو عبدالله الشقري:" عبد الله الشقري، قال: متكأ بكلام الحبش يسمون الترنج متكئا"[٣١١٠].

و«المثك» في كلامهم الأترج ، قال الشاعر[٣١١١]:

نَشْرَبُ الإِثْمَ بالصُّواعِ جِهاراً ... وترى المُثْكَ بيننا مُسْتعارا

عن عوف، قال: "حدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها:«مُثْكًا»، مخففة، ويقول: هو الأترُجّ"[٣١١٢].

قال عبد الله بن يزيد: "من قرأ:«مُثْكَأً»، خفيفة، يعني: طعامًا. ومن قرأ «مُتَّكَأً»، يعني المتكأ"[٣١١٣].

الثالث : أنه كل ما يجز بالسكين. وهو قول عكرمة[٣١١٤]، والضحاك[٣١١٥].

الرابع : أنه كل الطعام والشراب على عمومه ، وهو قول سعيد بن جبير[٣١١٦]، وقتادة[٣١١٧].

قوله تعالى:{وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" وأعطت كل واحدة منهن سكينًا ليُقَطِّعن الطعام، وقالت ليوسف: اخرج عليهن"[٣١١٨].

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن دريد بن مجاشع، عن بعض أشياخه، قال:"{وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا}، قالت للقيم: أدخله عليهن وألبسه ثيابا بيضاء، فإن الجميل أحسن ما يكون في البياض،

(٣٠٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٠):ص٧٠/١٦.

(٣٠٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٤٤):ص٢١٣٤/٧.

(٣٠٩٧) انظر: النكت والعيون: ٣١/٣.

(٣٠٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٧):ص٧٢/١٦.

(٣٠٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٩):ص٧٢/١٦.

(٣١٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٩١٩١):ص٧٣/١٦.

(٣١٠١) انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٢):ص٧٢/١٦.

(٣١٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٩):ص٧٣/١٦.

(٣١٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٦):ص٧٢/١٦.

(٣١٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٣٢/٧. حكاه دون ذكر الاسناد.

(٣١٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٣):ص٧٣/١٦.

(٣١٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٢):ص٧٠/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٥٤٠)، و(١١٥٤١):ص٢١٣٣/٧.

(٣١٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٣٦):ص٢١٣٢/٧.

(٣١٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٧):ص٧٤/١٦.

(٣١٠٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٣٥):ص٢١٣٢/٧.

(٣١١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٣٥):ص٢١٣٢/٧.

(٣١١١) البيت غير منسوب في لسان العرب (أثم): ص (١٢/ ٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، وتاج العروس (أثم). والمتك: الأترج.

(٣١١٢) أخرجه الطبري(١٩١٧٥):ص٧١/١٦-٧٢.

(٣١١٣) أخرجه الطبري(١٩١٧١):ص٧٠/١٦.

(٣١١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٤٢):ص٢١٣٢/٧.

(٣١١٥) انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٦):ص٧٤/١٦.

(٣١١٦) انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٩):ص٧٢/١٦.

(٣١١٧) انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٩):ص٧٣/١٦.

(٣١١٨) التفسير الميسر:٢٣٩.

قال فأدخله عليهن، وهن يحززن ما في أيديهن، فلما رأينه حززن أيديهن، وهن لا يشعرن من النظر إليه فنظرن إليه مقبلا، ثم أومأت إليه أن ارجع فنظرن إليه مدبرا، وهن يحززن أيديهن بالسكاكين، لا يشعرن بالوجع من نظرهن إليه فلما خرج نظرن إلى أيديهن، وجاء الوجع فجعلن يولولن، وقالت لهن: أنتن من ساعة واحدة هكذا صنعتن فكيف أصنع أنا؟ {قلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم}"[٣١١٩].

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} [يوسف : ٣١]، أي:" فلما رأينه أعظمنه وأجللنه"[٣١٢٠].

وفي قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} [يوسف : ٣١]، وجهان:

أحدهما: غارت عقولهن، عجبا منه حين رأينه. قاله محمد بن إسحاق[٣١٢١].

الثاني: معناه: أعظمنه ، قاله مجاهد[٣١٢٢]، وقتادة[٣١٢٣]، والسدي[٣١٢٤].

قوله تعالى:{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" فجرحن أيديهن وهن يُقَطِّعن الطعام من فرط الدهشة والذهول"[٣١٢٥].

وفي قطع أيديهن وجهان[٣١٢٦]:

أحدهما : أنهن قطعن أيديهن حتى بانت. قاله مجاهد[٣١٢٧]، وقتادة[٣١٢٨].

الثاني : أنهن جرحن أيديهن حتى دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها. وهذا قول مجاهد[٣١٢٩]، وقتادة[٣١٣٠]، والسدي[٣١٣١]، وابن إسحاق[٣١٣٢].

قال السدي:" كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج، فقطعن أيديهنّ، وسالت الدماء، فقلن: نحن نلومك على حبّ هذا الرجل، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء!"[٣١٣٣].

قال ابن إسحاق:" قالت ليوسف: {اخرج عليهن}، فخرج عليهن، {فلما رأينه أكبرنه}، وغلبت عقولهن عجبًا حين رأينه، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن، ما يعقلن شيئًا مما يصنعن، {وقلن حاش لله ما هذا بشرًا}"[٣١٣٤].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عنهن أنهن قطَّعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف، وجائز أن يكون ذلك قطعًا بإبانة، وجائز أن يكون كان قطع حزّ وخدش، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل[٣١٣٥].

عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أعطي يوسف وأمه شَطْرَ الحسن"[٣١٣٦].

قال عبدالله:" أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن"[٣١٣٧].

وفي رواية:" أعطي يوسف وأمه ثلث حسن الخلق"[٣١٣٨].

(٣١١٩) تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٥٠):ص٢١٣٤/٧-٢١٣٥.
(٣١٢٠) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٥٥):ص٢١٣٥/٧.
(٣١٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠١)-(١٩٢٠٣):ص٧٥/١٦.
(٣١٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٤):ص٧٦/١٦.
(٣١٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٥):ص٧٦/١٦.
(٣١٢٥) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٢٦) انظر: النكت والعيون:٣٣/٣.
(٣١٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢٢):ص٧٩/١٦.
(٣١٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢٣):ص٧٩/١٦.
(٣١٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٢)-(١٩٢١٤):ص٧٧/١٦-٧٨.
(٣١٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٨):ص٧٨/١٦.
(٣١٣١) انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٥)، و(١٩٢١٦):ص٧٨/١٦.
(٣١٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢١):ص٧٩/١٦.
(٣١٣٣) أخرجه الطبري(١٩٢١٦):ص٧٨/١٦.
(٣١٣٤) أخرجه الطبري(١٩٢٢١):ص٧٩/١٦.
(٣١٣٥) تفسير الطبري:٧٩/١٦.
(٣١٣٦) أخرجه الطبري(١٩٢٢٨):ص٨٠/١٦.
(٣١٣٧) أخرجه الطبري(١٩٢٢٤):ص٧٩/١٦.
(٣١٣٨) أخرجه الطبري(١٩٢٢٧):ص٨٠/١٦.

عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطي يوسف وأمه ثلث حُسن أهل الدنيا، وأعطي الناس الثلثين، أو قال: أعطي يوسف وأمه الثلثين، وأعطي الناس الثلث"[٣١٣٩].

عن الحسن:" أعطي يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا، وأعطي الناس الثلثين"[٣١٤٠].

عن ربيعة الجرشي، قال: "قسم الحسن نصفين، فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن، والنصف الآخر بين سائر الخلق"[٣١٤١].

قوله تعالى:{وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف : ٣١]، أي:" وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر، ما هو إلا مَلَك كريم من الملائكة"[٣١٤٢].

قال قتادة:" قلن ملك من الملائكة"[٣١٤٣].

قال قتادة:" أي: من حسنه"[٣١٤٤].

قال أهل العلم:" وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر"[٣١٤٥].

القرآن

{قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)} [يوسف : ٣٢]

التفسير:

قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطَّعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراءه; ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلا ليعاقَبَنَّ بدخول السجن، وليكونن من الأذلاء.

قوله تعالى:{قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف : ٣٢]، أي:" قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطَّعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به"[٣١٤٦].

عن زيد بن أسلم، قال: "وأعتدت لهن متكأ قال: لما تغدين، وطابت أنفسهن، قالت لقيمها، ايتهن ترنجا وسكاكينا، فأتاهن بهن فجعلن يقطعن ويأكلن فقالت لهن: هل لكن في النظر إلى يوسف؟ قلن ما شئت فأمرت قيمها فأدخله عليهن، فلما رأينه جعلن يقطعن أصابعهن مع الأترنج، وهن لا يشعرن، ولا يجدن ألما مما رأين من حسنه، فلما ولى عنهن قالت: هذا الذي لمتنني فيه، فلقد رأيتكن تقطعن أيديكن وما تشعرن، قال: فنظرن إلى أيديهن فجعلن يصحن ويبكين قالت: فكيف أصنع أنا؟ فقلن: {حاش لله ما هذا بشرا، إن هذا إلا ملك كريم} وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا"[٣١٤٧].

عن السدي: وقالت ليوسف اخرج عليهن، فلما خرج رأى النسوة يوسف، فجعلن يقطعن الأترنج {قلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم} {قالت فذلكن الذي لمتنني فيه}"[٣١٤٨].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف : ٣٢]، أي:" ولقد طلبته وحاولت إغراءه; ليستجيب لي فامتنع وأبى"[٣١٤٩].

عن قتادة، قوله: "{فاستعصم}، أي: فاستعصى"[٣١٥٠].

عن السدي: "{ولقد راودته عن نفسه فاستعصم}، بعد ما كان قد حل سراويله، ثم لا أدري ما بدا له"[٣١٥١].

(٣١٣٩) أخرجه الطبري(١٩٢٢٩):ص١٦/٨٠-٨١.

(٣١٤٠) أخرجه الطبري(١٩٢٣٣):ص١٦/٨١.

(٣١٤١) أخرجه الطبري(١٩٢٣٠):ص١٦/٨١.

(٣١٤٢) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٤٣) تفسير عبدالرزاق(١٣٠٨):ص٢/٢١٥.

(٣١٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٦٥):ص٧/٢١٣٧.

(٣١٤٥)كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء:١٠١.

(٣١٤٦) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٦٧):ص٧/٢١٣٧.

(٣١٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٦٧):ص٧/٢١٣٧.

(٣١٤٩) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٧٠):ص٧/٢١٣٧.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف : ٣٢]، أي:" ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلا ليعاقَبَنَّ بدخول السجن، وليكونن من الأذلاء"(٣١٥٢).

عن سعيد بن جبير: "{الصاغرين}، يعني: مذلين"(٣١٥٣).

القرآن

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)} [يوسف : ٣٣]

التفسير:

قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أمِلْ إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف : ٣٣]، أي:" قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة"(٣١٥٤).

قال محمد بن إسحاق:" قال يوسف، وأضاف إلى ربه، واستغاثه على ما نزل به {رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه}، أي: السجن أحبّ إليّ من أن آتي ما تكره"(٣١٥٥).

عن السدي: "{قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه} : الحبس أحب إلي مما يدعونني إليه من الزنا"(٣١٥٦).

قوله تعالى:{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣٣]، أي:" وإن لم تدفع عني مكرهن أمِلْ إليهن "(٣١٥٧).

عن ابن إسحاق: "{وإلا تصرف عني كيدهن}، أي: ما أتخوَّف منهن، {أصب إليهن}"(٣١٥٨).

عن قتادة: "{أصب إليهن} ، يقول: أتابعهن"(٣١٥٩).

قوله تعالى:{وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف : ٣٣]، أي:" وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم"(٣١٦٠).

عن ابن إسحاق: "{وأكن من الجاهلين}، أي: جاهلا إذا ركبت معصيتك"(٣١٦١).

القرآن

{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)} [يوسف : ٣٤]

التفسير:

فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله. إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع مِن خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ} [يوسف : ٣٤]، أي:" استجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله"(٣١٦٢).

قال محمد بن إسحاق:" أي: نجاه من أن يركب المعصية فيهن، وقد نزل به بعض ما حذر منه"(٣١٦٣).

(٣١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٧١):ص٢١٣٧/٧.

(٣١٥٢) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٧٢):ص٢١٣٨/٧.

(٣١٥٤) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٥٥) أخرجه الطبري(١٩٢٤٧):ص٨٨/١٦.

(٣١٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٧٣):ص٢١٣٨/٧، و الطبري(١٩٢٤٦):ص٨٨/١٦.[مختصرا]

(٣١٥٧) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٥٨) أخرجه الطبري(١٩٢٤٩):ص٨٩/١٦.

(٣١٥٩) أخرجه الطبري(١٩٢٤٨):ص٨٩/١٦.

(٣١٦٠) التفسير الميسر:٢٣٩.

(٣١٦١) أخرجه الطبري(١٩٢٥١):ص٨٩/١٦.

(٣١٦٢) التفسير الميسر:٢٣٩.

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف : ٣٤]، أي:" إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع مِن خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم"[٣١٦٤].
قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٣١٦٥].

القرآن
{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)} [يوسف : ٣٥]
التفسير:
ثم ظهر للعزيز وأصحابه -من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته- أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر; منعًا للفضيحة.
قوله تعالى:{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف : ٣٥]، أي:" ثم ظهر للعزيز وأهله ومن استشارهم بعد الدلائل القاطعة على براءة يوسف، سجنه إلى مدة من الزمن غير معلومة"[٣١٦٦].
قال السدي:" قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبدَ العبرانيَّ قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم، ويخبرهم أني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستَني. فذلك قول الله تعالى: {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين}"[٣١٦٧].
قال قتادة:" حزُّهن أيديهن، وقدُّ القميص"[٣١٦٨].
قال السدي:" القميصُ، وقطع الأيدي"[٣١٦٩].
قال مجاهد:" قدُّ القميص من دبر"[٣١٧٠].
قال ابن إسحاق:" شق قميصه من دُبر"[٣١٧١].
وفي قوله تعالى:{لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف : ٣٥]، وجهان:
أحدهما: أن الحين -ها هنا- ستة أشهر ، قاله سعيد بن جبير[٣١٧٢].
الثاني: أنه سبع سنين ، قاله عكرمة[٣١٧٣].
وروي عن عكرمة :" نذر رجل أن يقطع يد غلامه، ويحبسه حينا، فسألني عمر بن عبد العزيز عنها فقلت: لا تقطع يده، ويحبسه الحين في سنة مرة، ثم قرأ: ليسجننه حتى حين"[٣١٧٤].
قال وهب بن منبه:" لما أتى جبريل يوسف بالبشرى، وهو في السجن، قال: هل تعرفني أيها الصديق؟ قال: أرى صورة طاهرة وروحا طيبا، لا يشبه أرواح الخطائين، قال: فإني رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين، قال: فما الذي أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين، ورأس المقربين، وأمين رب العالمين؟ قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرضين، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله، يا طاهر الطاهرين ويا ابن المتطهرين..: إنما يتطهر بفضل طهورك وطهر آبائك المخلصين، قال: كيف تسميني بأسماء الصديقين، وتعدني مع المخلصين الصالحين وقد أدخلت مدخل المذنبين، وسميت بالضالين المفسدين؟ قال: لم يفتن قلبك الحزن، ولم يدرس حرمتك الرق، ولم

(٣١٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٨٠):ص٢١٣٩/٧.
(٣١٦٤) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٦٥) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.
(٣١٦٦) صفوة التفاسير:٤٥/٢.
(٣١٦٧) أخرجه الطبري(١٩٢٦٤):ص٩٣/١٦.
(٣١٦٨) أخرجه الطبري(١٩٢٥٩):ص٩٢/١٦.
(٣١٦٩) أخرجه الطبري(١٩٢٦٢):ص٩٢/١٦.
(٣١٧٠) أخرجه الطبري(١٩٢٥٥):ص٩٢/١٦.
(٣١٧١) أخرجه الطبري(١٩٢٦١):ص٩٢/١٦.
(٣١٧٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٩١):ص٢١٤١/٧.
(٣١٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٦٥):ص٩٤/١٦.
(٣١٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٩١):ص٢١٤١/٧.

تطع سيدتك في معصية ربك، ولذلك سماك الله بأسماء الصديقين، وعدك مع المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين"[٣١٧٥].

القرآن

{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)} [يوسف : ٣٦]

التفسير:

ودخل السجن مع يوسف فَتَيان، قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبًا ليصير خمرًا، وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه، أخبرنا -يا يوسف -بتفسير ما رأينا، إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه.

قوله تعالى:{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} [يوسف : ٣٦]، أي:" ودخل السجن مع يوسف فَتَيان"[٣١٧٦].

قال ابن إسحاق:" فطرح في السجن - يعني يوسف – {ودخل معه السجن فتيان}، غلامان كانا للملك الأكبر الرّيان بن الوليد، كان أحدهما على شرابه، والآخر على بعض أمره، في سَخْطَةٍ سخطها عليهما، اسم أحدهما: «مجلث» والآخر: «نبو»، و«نبو» الذي كان على الشراب"[٣١٧٧].

قال قتادة:" كان أحدهما خبازًا للملك على طعامه، وكان الآخر ساقيه على شرابه"[٣١٧٨].

قال السدي:" إن الملك غضب على خبَّازه، بلغه أنه يريد أن يسمّه، فحبسه وحبس صاحب شرابه، ظنَّ أنه مالأه على ذلك. فحبسهما جميعًا ; فذلك قول الله: {ودخل معه السجن فتيان}"[٣١٧٩].

قوله تعالى:{قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} [يوسف : ٣٦]، أي:" قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبًا ليصير خمرًا"[٣١٨٠].

قال الضحاك:" يقول: أعصر عنبا، وهو بلغة أهل عمان، يسمون العنب خمرا"[٣١٨١].

قال عكرمة:" أتاه فقال: رأيت فيما يرى النائم أني غرست حَبَلة من عنب، فنبتت، فخرج فيه عناقيد فعصرتهنّ، ثم سقيتهن الملك، فقال: تمكث في السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتسقيه خمرًا"[٣١٨٢].

قوله تعالى:{وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} [يوسف : ٣٦]، أي:" وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه"[٣١٨٣].

وفي الرؤيا-ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها. قاله مجاهد[٣١٨٤]، وابن إسحاق[٣١٨٥].

عن مجاهد: "أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك: أنشدكما الله أن لا تحباني، فوالله ما أحبني أحدٌ قط إلا دخل عليَّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء، ثم لقد أحبني أبي فدخل عليّ بحبه بلاء، ثم لقد أحبتني زوجةُ صاحبي هذا فدخل عليَّ بحبها إياي بلاء، فلا تحباني بارك الله فيكما! قال: فأبيا إلا حبه وإلفه حيث كان، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله. وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا، فرأى"مجلث" أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، ورأى"نبو" أنه يعصر خمرًا، فاستفتياه فيها، وقالا له: {نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين}، إن فعلت"[٣١٨٦].

(٣١٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٨٨):ص٢١٤٠/٧.
(٣١٧٦) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٧٧) أخرجه الطبري(١٩٢٦٦).:ص٩٥/١٦
(٣١٧٨) أخرجه الطبري(١٩٢٦٧).:ص٩٥/١٦
(٣١٧٩) أخرجه الطبري(١٩٢٦٨).:ص٩٥/١٦
(٣١٨٠) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٨١) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٤):ص٩٧/١٦.
(٣١٨٢) أخرجه الطبري(١٩٢٧٧):ص٩٧/١٦.
(٣١٨٣) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٢):ص٩٦/١٦.
(٣١٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧١):ص٩٦/١٦.
(٣١٨٦) أخرجه الطبري(١٩٢٧٢):ص٩٦/١٦.

الثاني : أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة، فلما أجابهما قالا: إنما كنا نلعب، فقال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}، وهذا معنى قول السدي[٣١٨٧].

قال السدي:" لما دخل يوسف السجن قال: أنا أعبُرُ الأحلام. فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلمَّ نجرّب هذا العبد العبرانيّ فتراءَيَا له! فسألاه، من غير أن يكونا رأيا شيئًا. فقال الخباز: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير"[٣١٨٨].

الثالث : أن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً، قاله أبو مجلز[٣١٨٩].

قوله تعالى:{نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف : ٣٦]، أي:" أخبرنا -يا يوسف -بتفسير ما رأينا"[٣١٩٠].

قال مجاهد:" أن«تأويل الشيء»، هو الشيء. قال: ومنه:«تأويل الرؤيا»، إنما هو الشيء الذي تؤول إليه"[٣١٩١].

قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٣٦]، أي:" إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه"[٣١٩٢].

وفي قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٣٦]، وجهان:

أحدهما: أنهم وصفوه بذلك، لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك[٣١٩٣].

وقال قتادة:" بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوي مريضهم، ويعزِّي حزينهم، ويجتهد لربه. وقال: لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قومًا قد انقطع رجاؤهم، واشتد بلاؤهم، فطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجَروا، إن لهذا أجرًا، إن لهذا ثوابًا. فقالوا: يا فتى، بارك الله فيك، ما أحسن وجهك، وأحسن خلقك، لقد بورك لنا في جوارك، ما نحبُّ أنَّا كنا في غير هذا منذ حبسنا، لما تخبرنا من الأجر والكفَّارة والطَّهارة، فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف، ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وكانت عليه محبَّة. وقال له عامل السجن: يا فتى، والله لو استطعت لخلَّيت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك، وأحسن إسارك، فكن في أيِّ بيوت السجن شئت"[٣١٩٤].

وفي رواية عن الضحاك:" كان يوسع للرجل في مجلسه، ويتعاهد المرضى"[٣١٩٥].

الثاني: إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه، قاله ابن إسحاق[٣١٩٦].

القرآن

{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)} [يوسف : ٣٧]

التفسير:

قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبرتكما بتفسيره قبل أن يأتيكما، ذلكما التعبير الذي سأعبِّره لكما مما علَّمني ربي; إني آمنت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبعث والحساب جاحدون.

قوله تعالى:{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف : ٣٧]، أي:" قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبرتكما بتفسيره قبل أن يأتيكما"[٣١٩٧].

(٣١٨٧) أخرجه الطبري(١٩٢٦٩):ص٩٥/١٦-٩٦.
(٣١٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٦٩):ص٩٥/١٦-٩٦.
(٣١٨٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٠٣):ص٢١٤٣/٧.
(٣١٩٠) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٩١) أخرجه الطبري(١٩٢٧٨):ص٩٨/١٦.
(٣١٩٢) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣١٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٩):ص٩٨/١٦.
(٣١٩٤) أخرجه الطبري(١٩٢٨١):ص٩٩/١٦.
(٣١٩٥) أخرجه الطبري(١٩٢٨٢):ص٩٩/١٦.
(٣١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٣):ص٩٩/١٦.
(٣١٩٧) التفسير الميسر:٢٣٩.

وفي قوله تعالى:{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف : ٣٧]، ثلاثة وجوه:
أحدها : لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة. قاله مجاهد[٣١٩٨]، والسدي[٣١٩٩]، وابن إسحاق[٣٢٠٠].
الثاني : لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما، لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى، قاله الحسن[٣٢٠١].
الثالث : أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً وأرسل به إليه ، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحّ عليه عبرها ، لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحَّ عليه عبرها ، قاله ابن جريج[٣٢٠٢].

قال ابن جريج:" فكره العبارة لهما، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علمًا. وكان الملك إذا أراد قتل إنسان، صنع له طعامًا معلومًا، فأرسل به إليه، فقال يوسف: {لا يأتيكما طعام ترزقانه}، إلى قوله: {تشكرون}، فلم يدَعَاه، فعدل بهما، وكره العبارة لهما. فلم يدعاه حتى يعبر لهما، فعدل بهما وقال: (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، إلى قوله: {يعلمون}، فلم يدعاه حتى عبر لهما، فقال: {يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}. قالا ما رأينا شيئًا، إنما كنا نلعب! قال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}[٣٢٠٣].

قوله تعالى:{ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف : ٣٧]، أي:" ذلكما التعبير الذي سأعبِّره لكما مما علَّمني ربي"[٣٢٠٤].

عن أبي مالك قوله: "{ذلكما}، يعني: هذا"[٣٢٠٥].

القرآن

{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)} [يوسف : ٣٨]

التفسير:

واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده، ما كان لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

قوله تعالى:{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [يوسف : ٣٨]، أي:" واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده"[٣٢٠٦].

عن أبي إسحاق سمع أبا الأحوص، يقول:" فاخر أسماء بن خارجة الفزاري رجلا، فقال: أنا ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله بن مسعود: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله"[٣٢٠٧].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف : ٣٨]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان"[٣٢٠٨].

(٣١٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٠٨):ص٢١٤٤/٧.
(٣١٩٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٠٩):ص٢١٤٤/٧.
(٣٢٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٥):ص١٠١/١٦.
(٣٢٠١) انظر: النكت والعيون:٣٧/٣.
(٣٢٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٦):ص١٠٢/١٦.
(٣٢٠٣) أخرجه الطبري(١٩٢٨٦):ص١٠٢/١٦.
(٣٢٠٤) التفسير الميسر:٢٣٩.
(٣٢٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٠):ص٢١٤٤/٧.
(٣٢٠٦) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٣٢٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٣):ص٢١٤٥/٧.
(٣٢٠٨) التفسير الميسر:٢٤٠.

قال قتادة:" وإن المؤمن ليشكر نعم الله عليه، وعلى خلقه"[٣٢٠٩].

وروي عن قتادة قال: "ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يا رب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري، ويا رب حامل فقه غير فقيه"[٣٢١٠].

القرآن

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)} [يوسف : ٣٩]

التفسير:

وقال يوسف للفَتَيين اللذين معه في السجن: أعبادةُ آلهةٍ مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

قال مجاهد:" دعاهما إلى الله وإلى الإسلام فقال: {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، أي: خير أن تعبدوا إلها واحدا، أم آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئا ما تعبدون من دونه"[٣٢١١].

قال ابن إسحاق:" ثم دعاهما إلى الله وإلى الإسلام، فقال: {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، أي: خيرٌ أن تعبدوا إلهًا واحدًا، أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئا؟"[٣٢١٢].

قال قتادة:" لما عرف نبيُّ الله يوسف أن أحدهما مقتولٌ، دعاهما إلى حظّهما من ربهما، وإلى نصيبهما من آخرتهما"[٣٢١٣].

القرآن

{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)} [يوسف : ٤٠]

التفسير: ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أربابًا جهلا منكم وضلالا، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

قوله تعالى:{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أربابًا جهلا منكم وضلالا، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها"[٣٢١٤].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٣٢١٥].

قوله تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ما الحكم الحق إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده"[٣٢١٦].

قال أبو العالية:" أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"[٣٢١٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف : ٤٠]، أي:" وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه"[٣٢١٨].

عن السدي قوله: "{ذلك الدين القيم}، قال: المستقيم"[٣٢١٩].

وروي عن زيد بن أسلم قوله: "{الدين القيم}، قال: الحمد لله رب العالمين"[٣٢٢٠].

(٣٢٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٦):ص٧/٢١٤٥.

(٣٢١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٧):ص٧/٢١٤٥.

(٣٢١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٨):ص٧/٢١٤٥-٢١٤٦.

(٣٢١٢) أخرجه الطبري(١٩٢٩٢):ص١٦/١٠٥.

(٣٢١٣)أخرجه الطبري(١٩٢٨٩):ص١٦/١٠٤-١٠٥ .

(٣٢١٤) التفسير الميسر:٢٤٠.

(٣٢١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص٣/١٠٣٠.

(٣٢١٦) التفسير الميسر:٢٤٠.

(٣٢١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢١):ص٧/٢١٤٦.

(٣٢١٨) التفسير الميسر:٢٤٠.

(٣٢١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٥):ص٧/٢١٤٧.

(٣٢٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٤):ص٧/٢١٤٧.

القرآن

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)} [يوسف : ٤١]

التفسير:

يا صاحبيَّ في السجن، إليكما تفسيرَ رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزًا فإنه يُصْلب ويُتْرك، وتأكل الطير من رأسه، قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفُرِغ منه.

قوله تعالى:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} [يوسف : ٤١]، أي:" يا صاحبيَّ في السجن، إليكما تفسيرَ رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزًا فإنه يُصْلب ويُتْرك، وتأكل الطير من رأسه"[٣٢٢١].

عن مجاهد:" ثم قال لمجلث: أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك، وقال لنبو: أما أنت فترد على عملك، يرضى عنك صاحبك، {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}"[٣٢٢٢].

عن السدي: "{يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا} فيعاد على مكانه، {وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}، ففزعا، وقالا: مما عبر؟ والله ما رأينا شيئا، قال يوسف: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}"[٣٢٢٣].

قوله تعالى:{قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف : ٤١]، أي:" قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفُرِغ منه"[٣٢٢٤].

قال السدي:" إن هذا كائن لا بد منه"[٣٢٢٥].

القرآن

{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)} [يوسف : ٤٢]

التفسير:

وقال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات.

قوله تعالى:{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف : ٤٢]، أي:" وقال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب"[٣٢٢٦].

عن ابن إسحاق قال، "قال- يعني لنبو-: {اذكرني عند ربك}: أي: اذكر للملك الأعظم مظلمتي وحبسي في غير شيء، قال: أفعل"[٣٢٢٧].

عن مجاهد:" قال للذي نجا من صاحبي السجن، يوسف يقول: اذكرني عند الملك"[٣٢٢٨].

عن إبراهيم التيمي: "أنه لما انتهى به إلى باب السجن، قال له صاحبٌ له: حاجتَك أوصني بحاجتك! قال: حاجتي أن تذكرني عند ربك- سوى الربِّ، قال يوسف"[٣٢٢٩].

(٣٢٢١) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٢٨):ص٢١٤٧/٧.
(٣٢٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٣٠):ص٢١٤٨/٧.
(٣٢٢٤) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٣٣):ص٢١٤٨/٧.
(٣٢٢٦) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٢٧) أخرجه الطبري(١٩٣٠٣):ص١٠٩/١٦.
(٣٢٢٨) أخرجه الطبري(١٩٣٠٤):ص١٠٩/١٦.
(٣٢٢٩) أخرجه الطبري(١٩٣٠٩):ص١١٠/١٦.

عن قتادة: "{وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك}، وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيحقُّ الله ما يشاءُ ويُبْطِل ما يشاء"[٣٢٣٠].

قوله تعالى:{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف : ٤٢]، أي:" فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف"[٣٢٣١].

وفي قوله تعالى:{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف : ٤٢]، وجهان:

أحدهما : أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا قاله محمد بن إسحاق[٣٢٣٢].

قال محمد بن إسحاق:" لما خرج - يعني الذي ظنّ أنه ناج منهما- رُدّ على ما كان عليه، ورضي عنه صاحبه، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف أن يذكره، فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين. يقول جل ثناؤه: فلبث يوسف في السجن، لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل:«اذكرني عند سيدك»، بضع سنين، عقوبةً له من الله بذلك"[٣٢٣٣].

الثاني: أن يوسف أنساه الشياطن ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه. وهذا قول جماعة من المفسرين[٣٢٣٤].

عن مالك بن دينار قال: لما قال يوسف للساقي: {اذكرني عند ربك}، قال: قيل: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلا؟ لأطيلن حبسك! فبكى يوسف، وقال: يا ربّ، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي"[٣٢٣٥].

عن قتادة قال: "بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو لم يستعن يوسف على ربّه، ما لبث في السجن طول ما لبث"[٣٢٣٦].

وعن قتادة -أيضا-قال: "ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لولا أنّ يوسف استشفع على ربه، ما لبث في السجن طول ما لبث، ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربّه"[٣٢٣٧].

عن مجاهد قال: "قال له: {اذكرني عند ربك}، قال: فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكرَ ربه، وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده، {فلبث في السجن بضع سنين} بقوله: {اذكرني عند ربك}"[٣٢٣٨].

قال مجاهد:" فلبث في السجن بضع سنين، عقوبةً لقوله: {اذكرني عند ربك}"[٣٢٣٩].

قوله تعالى:{فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف : ٤٢]، أي:" فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات"[٣٢٤٠].

واختلفوا في معنى «البضع»، على أقوقولينال:

(٣٢٣٠) أخرجه الطبري(١٩٣١٠):ص١١٠/١٦. وقال:" وهذا الذي قاله قتادة، من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء. فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن، لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يُؤمَن مثل ذلك في كل أخبارها. وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حُجَّتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك، كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق. فمعلومٌ، إذ كان الأمر على ما وصفت، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: {أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}، ثم يؤكد ذلك بقوله: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}، عند قولهما: «لم تر شيئا» ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه. وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: {اذكرني عند ربك}. فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: {وقال للذي ظن أنه ناج منهما}".[تفسير الطبري:١١١/١٦]

(٣٢٣١) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٢٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٢):ص١١٣/١٦.

(٣٢٣٣) أخرجه الطبري(١٩٣٢٢):ص١١٣/١٦.

(٣٢٣٤) انظر: الأقوال في تفسير الطبري:١١١/١٦ وما بعدها.

(٣٢٣٥) أخرجه الطبري(١٩٣١١):ص١١١/١٦.

(٣٢٣٦) أخرجه الطبري(١٩٣١٦):ص١١٢/١٦.

(٣٢٣٧) أخرجه الطبري(١٩٣١٧):ص١١٣/١٦.

(٣٢٣٨) أخرجه الطبري(١٩٣١٨):ص١١٣/١٦.

(٣٢٣٩) أخرجه الطبري(١٩٣١٩):ص١١٣/١٦.

(٣٢٤٠) التفسير الميسر:٢٤١.

أحدها: ما بين الثلاث إلى السبع. حكاه البغوي عن مجاهد[٣٢٤١].
الثاني: ما بين الثلاث إلى التسع. قاله مجاهد[٣٢٤٢]، وحكاه البغوي عن قتادة[٣٢٤٣].
والصواب في«البضع»: من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة، وما زاد على المئة فلا يكون فيه «بضع»[٣٢٤٤].
وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً أقوال:
أحدها : سبع سنين ، قاله قتادة[٣٢٤٥]، وابن جريج[٣٢٤٦]، ووهب بن منبه[٣٢٤٧].
الثاني: لبث أربعة عشرة سنة ، قاله الضحاك[٣٢٤٨]، وطاووس[٣٢٤٩].
وأكثر المفسرين على أن «البضع» في هذه الآية: سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين، فجملته اثنتا عشرة سنة[٣٢٥٠].
وقال وهب:" أصاب أيُّوب البلاء سبع سنين، وترك في السجن يوسف سبع سنين، وعذب بختنصر، فحُوِّل في السباع سبع سنين"[٣٢٥١].
قال المفسرون: "وإنما لبث في السجن بضع سنين، لأنه اعتمد ووثق بالمخلوق، وغفل أن يرفع حاجته إلى الخالق جل وعلا"[٣٢٥٢].
عن الحسن قال: "قال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم:"رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طولَ ما لبث- يعني قوله: {اذكرني عند ربك}-، قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس"[٣٢٥٣].

القرآن
{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)} [يوسف : ٤٣]
التفسير:
وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون.
قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} [يوسف : ٤٣]، أي:" وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات"[٣٢٥٤].
عن ابن إسحاق، قال: "ثم إن الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التي رأى فهالته، وعرف أنها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها، فقال للملأ حوله من أهل مملكته: {إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف}، إلى قوله: {بعالمين}"[٣٢٥٥].

(٣٢٤١) انظر: تفسير البغوي:٤/٢٤٤.
(٣٢٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٤٤):ص٧/٢١٥٠.
(٣٢٤٣) انظر: تفسير البغوي:٤/٢٤٤.
(٣٢٤٤) تفسير الطبري:١٦/١١٥.
(٣٢٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٣):ص١٦/١١٤.
(٣٢٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٦):ص١٦/١١٤.
(٣٢٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٥):ص١٦/١١٤.
(٣٢٤٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٤٦):ص٢١٥٠.
(٣٢٤٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٤٦):ص٢١٥٠.
(٣٢٥٠) تفسير البغوي:٤/٢٤٤.
(٣٢٥١) أخرجه الطبري(١٩٣٢٥):ص١٦/١١٤.
(٣٢٥٢) صفوة التفاسير:٢/٤٧.
(٣٢٥٣) أخرجه الطبري(١٩٣١٣):ص١٦/١١٢.
(٣٢٥٤) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٥٥) أخرجه الطبري(١٩٣٣١):ص١٦/١١٧.

عن السدي، قال: "إن الله أرى الملك في منامه رؤيا هالته، فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات"[٣٢٥٦].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف : ٤٣]، أي:" يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون"[٣٢٥٧].

عن السدي، قال: " فجمع السحرة والكهنة والحزاة والقافة، فقصها عليهم، فقالوا: {أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين}"[٣٢٥٨].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٣٢٥٩].

القرآن

{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)} [يوسف : ٤٤]

التفسير:

قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها، وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين.[٣٢٦٠].

قوله تعالى:{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [يوسف : ٤٤]، أي:" قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها"[٣٢٦١].

وفي تفسير قوله تعالى:{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [يوسف : ٤٤]، وجوه:

أحدها: ألوان أحلام ، قاله الحسن[٣٢٦٢].

الثاني : أهاويل أحلام. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٣٢٦٣].

الثالث : أكاذيب أحلام ، قاله الضحاك[٣٢٦٤].

قال ابن جريج: "قال لي عطاء: إن أضغاث الأحلام :الكاذبة المخطئة من الرؤيا"[٣٢٦٥].

الرابع: أخلاط أحلام. قاله قتادة[٣٢٦٦].

وروى عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-« إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا الرجل المسلم تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا»[٣٢٦٧].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)} [يوسف : ٤٥]

التفسير:

وقال الذي نجا من القتل من صاحبَي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف : ٤٥]، أي:" وقال الذي نجا من القتل من صاحبَي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا"[٣٢٦٨].

(٣٢٥٦) أخرجه الطبري(١٩٣٣٠):ص١١٧/١٦.

(٣٢٥٧) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٢٥٨) أخرجه الطبري(١٩٣٣٠):ص١١٧/١٦.

(٣٢٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

(٣٢٦٠) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٢٦١) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٢٦٢) انظر: النكت والعيون:٤٢/٣.

(٣٢٦٣) انظر: تفسير مجاهد:٤٦٩، وانظر: النكت والعيون:٤٢/٣، وتفسير القرطبي:١٩٩/٩.

(٣٢٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٦)-(١٩٣٣٨):ص١١٨/١٦-١١٩.

(٣٢٦٥) حكاه القرطبي في تفسيره:١٩٩/٩.

(٣٢٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٥):ص١١٨/١٦.

(٣٢٦٧)أخرجه البخارى (٢٥٧٤/٦، رقم ٦٦١٤) ، ومسلم (١٧٧٣/٤، رقم ٢٢٦٣) وابن ماجه (١٢٨٩/٢ رقم ٣٩١٧) . وأخرجه أيضا: الدارمى (١٦٨/٢، رقم ٢١٤٤) ، وابن حبان (٤٠٤/١٣، رقم ٦٠٤٠).

(٣٢٦٨) التفسير الميسر:٢٤١.

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ} [يوسف : ٤٥]، وجوه:
أحدها : يعني: بعد حين ، قاله الحسن[٣٢٦٩]، وأبو رزين[٣٢٧٠]، وأبو بكر بن عياش[٣٢٧١]، ومجاهد[٣٢٧٢]، وعبدالله بن كثير[٣٢٧٣]، والسدي[٣٢٧٤].
الثاني: بعد حقبة من الدهر. قاله عكرمة[٣٢٧٥]، ومجاهد[٣٢٧٦].
الثالث: بعد سنين. قاله سعيد بن جبير[٣٢٧٧].
الرابع: بعد نسيان، قاله عكرمة[٣٢٧٨]، وقتادة[٣٢٧٩]، والضحاك[٣٢٨٠]، ومجاهد[٣٢٨١].
الخامس : بعد أمة من الناس ، قاله الحسن[٣٢٨٢].
قال مالك بن دينار: "وكان الحسن يقرأ هذه الآية :«أنا آتيكم بتأويله»، فقيل له: يا أبا سعيد أنا أنبئكم بتأويله قال: أهو كان نبيهم"[٣٢٨٣].
قال الحسن : " ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبوديّة وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة، ثم جمع الله عز وجل شمله، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة"[٣٢٨٤].

القرآن
{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)} [يوسف : ٤٦]
التفسير:
وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات; لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم; ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.
قوله تعالى:{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} [يوسف : ٤٦]، أي:" وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات"[٣٢٨٥].
عن قتادة :" قوله: {أفتنا في سبع بقرات سمان}، وهي: السنون المخصبات"[٣٢٨٦]، " يأكلهن سبع عجاف وهن السنون المحول الجدوب"[٣٢٨٧]، {وسبع سنبلات خضر}: وهي السنون المخاصيب تخرج

(٣٢٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٧):ص١٢٠/١٦.
(٣٢٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٣):ص١٢٠/١٦.
(٣٢٧١) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٢):ص١٢٠/١٦.
(٣٢٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٠):ص١٢١/١٦.
(٣٢٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥١):ص١٢١/١٦.
(٣٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٢):ص١٢١/١٦.
(٣٢٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٣):ص١٢١/١٦.
(٣٢٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٥٦):ص٢١٥٢/٧.
(٣٢٧٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٥٥):ص٢١٥١/٧.
(٣٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٦)-(١٩٣٥٩):ص١٢٢/١٦.
(٣٢٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦١):ص١٢٢/١٦.
(٣٢٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦٣):ص١٢٣/١٦.
(٣٢٨١) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦٢):ص١٢٢/١٦-١٢٣.
(٣٢٨٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٥٩):ص٢١٥٢/٧.
(٣٢٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٠):ص٢١٥٢/٧.
(٣٢٨٤) أخرجه الطبري(١٩٩٢٧):ص٢٧٤/١٦.
(٣٢٨٥) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٢):ص٢١٥٢/٧.
(٣٢٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٦٣):ص٢١٥٣/٧.

الأرض نباتها وزرعها وثمارها"[٣٢٨٨]، {وأخر يابسات}: المحول الجدوب، فلا تخرج الأرض زرعها ولا ثمارها"[٣٢٨٩].

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٤٦]، أي:" لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم; ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك"[٣٢٩٠].

عن السدي: "{لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون}، تأويلها"[٣٢٩١].

القرآن

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)} [يوسف : ٤٧]

التفسير:

قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله; ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى، إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب.

قوله تعالى:{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ} [يوسف : ٤٧]، أي:" قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله; ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى"[٣٢٩٢].

عن السدي: "{قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله}، قال: هو أبقى له"[٣٢٩٣].

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف : ٤٧]، أي:" إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب"[٣٢٩٤].

قال قتادة:" قال لهم نبي الله يوسف- صلى الله عليه وسلم-: {تزرعون سبع سنين دأبا} إلى قوله {مما تأكلون}، أراد نبي الله يوسف البقاء"[٣٢٩٥].

القرآن

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)} [يوسف : ٤٨]

التفسير:

ثم يأتي بعد هذه السنين الخِصْبة سبع سنين شديدة الجَدْب، يأكل أهلها كل ما ادَّخرتم لهن من قبل، إلا قليلا مما تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذورًا للزراعة.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ} [يوسف : ٤٨]، أي:" ثم يأتي بعد هذه السنين الخِصْبة سبع سنين شديدة الجَدْب"[٣٢٩٦].

قال قتادة: "وهن السنون المحمول، الجدوب"[٣٢٩٧].

عن زيد بن أسلم:" أن يوسف، النبي صلى الله عليه وسلم، في زمانه كان يضع لرجل طعام اثنين فيقربه إلى الرجل فيأكل نصفه ويدع نصفه، حتى إذا كان يوما قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم من السبع الشداد"[٣٢٩٨].

قوله تعالى:{يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} [يوسف : ٤٨]، أي:" تأكلون فيها مما ادخرتم أيام الرخاء"[٣٢٩٩].

قال قتادة:" يقول: يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت"[٣٣٠٠].

(٣٢٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٤):ص٢١٥٣/٧.
(٣٢٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٥):ص٢١٥٣/٧.
(٣٢٩٠) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٧):ص٢١٥٣/٧.
(٣٢٩٢) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٨):ص٢١٥٣/٧.
(٣٢٩٤) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٧٠):ص٢١٥٣/٧.
(٣٢٩٦) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٢٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧١):ص٢١٥٤/٧.
(٣٢٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٢):ص٢١٥٤/٧.
(٣٢٩٩) صفوة التفاسير:٥١/٢.

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف : ٤٨]، أي:" إلا القليل الذي تدخرونه وتخبئونه للزراعة"(٣٣٠١).

عن قتادة: قوله: "{إلا قليلا مما تحصنون}، أي: مما تدخرون"(٣٣٠٢).

القرآن

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)} [يوسف : ٤٩]

التفسير:

ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} [يوسف : ٤٩]، أي:" ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة"(٣٣٠٣).

قال قتادة:" يغاث الناس بالمطر"(٣٣٠٤).

عن قتادة، قوله: "{ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس}، قال: فيه يغاثون بالمطر"(٣٣٠٥).

قوله تعالى:{وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩]، أي:" ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء"(٣٣٠٦).

قال قتادة:" ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها، فقال: {ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون}"(٣٣٠٧).

قال قتادة:" يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب. هذا علم آتاه الله يوسف لم يسأل عنه"(٣٣٠٨).

وقال مجاهد:" يعصرون أعنابهم"(٣٣٠٩).

وعن السدي: "{وفيه يعصرون} ، قال: العنب"(٣٣١٠).

وعن الضحاك: "{وفيه يعصرون}، قال: الزيت"(٣٣١١).

القرآن

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)} [يوسف : ٥٠]

التفسير:

وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبِّر للرؤيا من السجن وأحضروه لي، فلما جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي; لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ} [يوسف : ٥٠]، أي:" وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبِّر للرؤيا من السجن وأحضروه لي"(٣٣١٢).

(٣٣٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٣):ص٢١٥٤/٧.

(٣٣٠١) صفوة التفاسير:٥١/٢.

(٣٣٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٦):ص٢١٥٤/٧.

(٣٣٠٣) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٣٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٨):ص٢١٥٤/٧.

(٣٣٠٥) أخرجه الطبري(١٩٣٧٨):ص١٢٩/١٦.

(٣٣٠٦) التفسير الميسر:٢٤١.

(٣٣٠٧) أخرجه الطبري(١٩٣٧٧):ص١٢٨/١٦.

(٣٣٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٨٩):ص١٣٠/١٦.

(٣٣٠٩) أخرجه الطبري(١٩٣٨٥):ص١٣٠/١٦.

(٣٣١٠) أخرجه الطبري(١٩٣٨٦):ص١٣٠/١٦.

(٣٣١١) أخرجه الطبري(١٩٣٨٧):ص١٣٠/١٦.

عن السدي قال: "لما أتى الملك رسوله، قال:{ائتوني به}"[٣٣١٣].

قال ابن إسحاق:" فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك حتى أتى الملك، فأخبره بما قال، فلما أخبره بما في نفسه كمثل النهار، وعرف أن الذي قال كائن كما قال، قال:{ائتوني به}"[٣٣١٤].

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف : ٥٠]، أي:" جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي"[٣٣١٥].

قال ابن إسحاق:" والمرأة التي سجنت بسبب أمرها، عما كان من ذلك"[٣٣١٦].

قال ابن جريج:" أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن"[٣٣١٧].

عن السدي، قال:" لما أتى الملك رسوله فأخبره، قال: {ائتوني به}، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك، أبى يوسف الخروج معه {وقال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن} الآية. قال السدي، قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه، ما زالت في نفس العزيز منه حاجة! يقول: هذا الذي راود امرأته"[٣٣١٨].

عن عكرمة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه، والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشيء حتى أشترط أن يخرجوني"[٣٣١٩].

القرآن

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)} [يوسف : ٥١]

التفسير:

قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتنَّ يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فهل رأيتن منه ما يريب؟ قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يَشينه، عند ذلك قالت امراة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

قوله تعالى:{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٥١]، أي:" قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتنَّ يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟"[٣٣٢٠].

قال ابن إسحاق:" فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه، جمع النسوة وقال: {ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه} ؟"[٣٣٢١].

قوله تعالى:{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} [يوسف : ٥١]، أي:" قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يَشينه"[٣٣٢٢].

عن مجاهد، قوله: "{حاش لله}، قال: معاذ الله"[٣٣٢٣].

قوله تعالى:{قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف : ٥١]، أي:" ذلك قالت امراة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه"[٣٣٢٤].

(٣٣١٢) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣١٣) أخرجه الطبري(١٩٣٩٣):ص١٣٣/١٦.
(٣٣١٤) أخرجه الطبري(١٩٣٩٢):ص١٣٣/١٦.
(٣٣١٥) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣١٦) أخرجه الطبري(١٩٣٩٤):ص١٣٤/١٦.
(٣٣١٧) أخرجه الطبري(١٩٤٠٥):ص١٣٦:١٦-١٣٧.
(٣٣١٨) أخرجه الطبري(١٩٣٩٥):ص١٣٤/١٦
(٣٣١٩) أخرجه الطبري(١٩٤٠٣):ص١٣٦/١٦
(٣٣٢٠) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣٢١) أخرجه الطبري(١٩٤٠٦):ص١٣٧/١٦-١٣٨.
(٣٣٢٢) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٨٨):ص٢١٥٦/٧.

قال ابن إسحاق:" قالت راعيل امرأة إطفير العزيز: {الآن حصحص الحق}، أي: الآن برز الحق وتبيَّن"[٣٣٢٥].

عن مجاهد: "{الآن حصحص الحق}، قال: تبيّن"[٣٣٢٦]. وروي عن الضحاك[٣٣٢٧]، وقتادة[٣٣٢٨]، والسدي[٣٣٢٩]، مثل ذلك.

قال السدي:" قال الملك: ائتوني بهن! فقال: {ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء} ، ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت وحلّ سراويله، ثم شدَّه بعد ذلك،، فلا تدري ما بدا له، فقالت امرأة العزيز: {الآن حصحص الحق}"[٣٣٣٠].

قوله تعالى:{أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف : ٥١]، أي:" ، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله"[٣٣٣١].

قال ابن إسحاق:" فيما كان قال يوسف مما ادّعَت عليه"[٣٣٣٢].

القرآن

{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)} [يوسف : ٥٢]

التفسير:

قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلتُه من ردّ الرسول حتى تظهر براءتي، ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها، وأن لا يوفق الخائن ولا يسدّد خطاه.

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف : ٥٢]، أي:" ذلك الأمر الذي فعلتُه من ردّ الرسول حتى تظهر براءتي، ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها"[٣٣٣٣].

عن مجاهد: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، يوسف يقوله"[٣٣٣٤].

قال مجاهد:" يوسف يقوله: لم أخن سيدي"[٣٣٣٥].

قال قتادة:" هذا قول يوسف"[٣٣٣٦].

قال أبو صالح:" هو يوسف، لم يخن العزيز في امرأته"[٣٣٣٧].

قال الضحاك:" هو يوسف يقول: لم أخن الملك بالغيب"[٣٣٣٨].

قال السدي:" قال يوسف، وقد جيء به،: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب في أهله، {وأن الله لا يهدي كيد الخائنين}"[٣٣٣٩].

قال ابن إسحاق:" ذلك ليعلم أطيفير سيده أني لم أخنه بالغيب أي: لم أكن لأخالف إلى أهله من حيث لا يعلم، {وأن الله لا يهدي كيد الخائنين}"[٣٣٤٠].

(٣٣٢٤) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣٢٥) أخرجه الطبري(١٩٤١٨):ص١٣٩/١٦.
(٣٣٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٠٨):ص١٣٨/١٦.
(٣٣٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٧):ص١٣٨/١٦.
(٣٣٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٤):ص١٣٨/١٦.
(٣٣٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٥):ص١٣٨/١٦.
(٣٣٣٠) أخرجه الطبري(١٩٤١٩):ص١٣٩/١٦.
(٣٣٣١) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣٣٢) أخرجه الطبري(١٩٤١٨):ص١٣٩/١٦.
(٣٣٣٣) صفوة التفاسير:٥٢/٢.
(٣٣٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٢):ص١٤١/١٦.
(٣٣٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٣):ص١٤١/١٦.
(٣٣٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٥):ص١٤١/١٦.
(٣٣٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٦):ص١٤١/١٦.
(٣٣٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٧):ص١٤١/١٦.
(٣٣٣٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٩٦):ص٢١٥٧/٧.
(٣٣٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٩٧):ص٢١٥٧/٧.

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف : ٥٢]، أي:" وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم"[٣٣٤١].

القرآن

{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)} [يوسف : ٥٣]

التفسير:

قال يوسف: ولا أزكي نفسي ولا أنزّهها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها، إلا من رَحِمَهُ اللَّهُ بالعصمة. إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم.[٣٣٤٢].

قوله تعالى:{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف : ٥٣]، أي:" قال يوسف: ولا أزكي نفسي ولا أنزّهها"[٣٣٤٣].

واختلف في السبب الذي من اجله قال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف : ٥٣]، وفيه وجوه:

أحدها : أن يوسف لما قال: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل ؟ فقال : {وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}، قاله السدي[٣٣٤٤].

وروي عن السدي: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال: قاله يوسف حين جيء به، ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. فقالت امرأة العزيز: يا يوسف، ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال يوسف: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٣٣٤٥].

الثاني : أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال : ولا حين هممت ؟ فقال: {وما أُبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}. قاله أبو صالح[٣٣٤٦]، وسعيد بن جبير[٣٣٤٧]، والحسن[٣٣٤٨].

عن أبي صالح، في قوله: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال: هذا قول يوسف قال: فقال له جبريل: ولا حين حللت سراويلك؟ قال فقال يوسف: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}، الآية"[٣٣٤٩].

قال سعيد بن جبير:" لما قال يوسف: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} . قال جبريل، أو مَلَك: ولا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٣٣٥٠].

عن الحسن: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال له جبريل: اذكر همَّك! فقال: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٣٣٥١].

الثالث : أن الملك الذي مع يوسف قال له : اذكر ما هممت به، فقال: {وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}.وهذا قول قتادة[٣٣٥٢].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف، قال له: اذكر ما هممت به. قال نبي الله: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٣٣٥٣].

وروي عن عكرمة، قوله: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال الملك، وطَعَن في جنبه: يا يوسف، ولا حين هممت؟ قال: فقال: {وما أبرئ نفسي}"[٣٣٥٤].

الرابع : أن يوسف قال ذلك ابتداءً من قبل نفسه، وذلك لما قال:{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه، فقال: {وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}. قاله الحسن[٣٣٥٥].

(٣٣٤١) التفسير الميسر:٢٤١.
(٣٣٤٢) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٣٤٣) صفوة التفاسير:٥٢/٢.
(٣٣٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٤٤):ص١٤٦/١٦.
(٣٣٤٥) أخرجه الطبري(١٩٤٤٤):ص١٤٦/١٦.
(٣٣٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣٩):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣١):ص١٤٣/١٦.
(٣٣٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣٧):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٤٩) أخرجه الطبري(١٩٤٣٩):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٥٠) أخرجه الطبري(١٩٤٣١):ص١٤٣/١٦.
(٣٣٥١) أخرجه الطبري(١٩٤٣٧):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٤١):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٥٣) أخرجه الطبري(١٩٤٤١):ص١٤٥/١٦.
(٣٣٥٤) أخرجه الطبري(١٩٤٤٣):ص١٤٥/١٦-١٤٦.

قوله تعالى:{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} [يوسف : ٥٣]، أي:"إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها، إلا من رَحِمَهُ اللَّهُ بالعصمة"(٣٣٥٦).

عن الحسن: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}، " يعني: همته التي هم بها"(٣٣٥٧).

قال أبو خزيمة: سمعت عبد العزيز بن عمير، يقول:" إن النفس أمارة بالسوء، فإذا جاء العزم من الله كانت هي التي تدعوك إلى الحياء"(٣٣٥٨).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف : ٥٣]، أي:" إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم"(٣٣٥٩).

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"(٣٣٦٠).

القرآن

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)} [يوسف : ٥٤]

التفسير:

وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيئوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلَّمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف : ٥٤]، أي:" وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيئوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي"(٣٣٦١).

عن قتادة: {أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي}،"أتخذه لنفسي"(٣٣٦٢).

قال مجاهد : "وأسلم على يده"(٣٣٦٣). أي: الملك.

عن ابن أبي الهذيل:" قال الملك: {ائتوني به أستخلصه لنفسي}، قال: قال له الملك: إني أريد أن أخلصك لنفسي، غير أني آنف أن تأكل معي"(٣٣٦٤). وفي رواية قال يوسف:" أنا ابن إبراهيم خليل الله، ابن إسماعيل ذبيح الله"(٣٣٦٥).

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: "قال العزيز ليوسف: ما من شيء إلا وأنا أحب أن تشركني فيه، إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي، وأن لا يأكل معي عبدي! قال: أتأنف أن آكل معك؟ فأنا أحق أن آنف منك، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وابن إسحاق الذبيح، وابن يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن"(٣٣٦٦).

عن أبي ميسرة قال: "لما رأى العزيز لبق يوسف، وكيسه وظرفه دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه، فلما كان بينه وبين المرأة ما كان قالت له مرة: فليتغد ويتعشى مع الغلمان فقال له يوسف في وجهه: ترغب أن تأكل معي؟ أو تنكف أن تأكل معي؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله"(٣٣٦٧).

القرآن

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)} [يوسف : ٥٥]

(٣٣٥٥) انظر: النكت والعيون:٤٩/٣.
(٣٣٥٦) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٣٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٣):ص٢١٥٨/٧.
(٣٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٤):ص٢١٥٨/٧.
(٣٣٥٩) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٣٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.
(٣٣٦١) التفسير الكيسر:٢٤٢.
(٣٣٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٠٩):ص٢١٥٩/٧.
(٣٣٦٣) النكت والعيون:٥٢/٣.
(٣٣٦٤) أخرجه الطبري(١٩٤٤٩):ص١٤٧/١٦.
(٣٣٦٥) أخرجه الطبري(١٩٤٥٠):ص١٤٧/١٦.
(٣٣٦٦) أخرجه الطبري(١٩٤٥١):ص١٤٧/١٦-١٤٨.
(٣٣٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٨):ص٢١٥٩/٧.

التفسير:
قال يوسف للملك: اجعلني واليًا على خزائن «مصر» ، فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه.
قوله تعالى:{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف : ٥٥]، أي:" قال يوسف للملك: اجعلني واليًا على خزائن «مصر»"(٣٣٦٨).
عن ابن إسحاق قال: "لما قال يوسف للملك: {اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم}، قال الملك: قد فعلت! فولاه فيما يذكرون عمل إطفير وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله: {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء}، الآية. قال: فذكر لي، والله أعلم أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريان بن الوليد، زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسنا وجمالا ناعمة في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف، وميشا بن يوسف"(٣٣٦٩).
قوله تعالى:{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٥]، أي:" فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه"(٣٣٧٠).
وفي قوله تعالى:{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٥]، أربعة وجوه:
أحدها : حافظ لما استودعتني عالم بما وليتني ، قاله ابن إسحاق(٣٣٧١).
الثاني : حفيظ بالكتاب ، عليم بالحساب ، حكاه ابن سراقة(٣٣٧٢)، وأنه أول من كتب في القراطيس.
الثالث : حفيظ بالحساب ، عليم بالألسن ، قاله الأشجعي(٣٣٧٣).
الرابع : حفيظ لما وليت، عليم بأمرها. قاله قتادة(٣٣٧٤).
والصواب، قولُ من قال: معنى ذلك:" إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: {اجعلني على خزائن الأرض} ، ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرةً في ذلك وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب، ومعرفته بالألسن(٣٣٧٥).
عن أبي هريرة قال: "استعملني عمر على البحرين ثم نزعني، ثم دعاني بعد إلى العمل، فأبيت فقال: لم؟ وقد سأل يوسف العمل"(٣٣٧٦).

القرآن
{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [يوسف : ٥٦]
التفسير:
وكما أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن مكَّن له في أرض «مصر» ينزل منها أي منزل شاءه. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع أجر مَن أحسن شيئًا مِن العمل الصالح.
قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف : ٥٦]، أي:" وهكذا مكنّا ليوسف في أرض مصر، وجعلنا له العزَّ والسلطان بعد الحبس والضيق"(٣٣٧٧).
قال السدي:" فاستعمله على مصر، فكان صاحب أمرها هو الذي يلي البيع والأمر"(٣٣٧٨).

(٣٣٦٨) التفسير الكيسر:٢٤٢.
(٣٣٦٩) أخرجه الطبري(١٩٤٥٩):ص١٥١/١٦.
(٣٣٧٠) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٣٧١) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٥):ص١٤٩/١٦.
(٣٣٧٢) انظر: النكت والعيون:٥١/٣.
(٣٣٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٨):ص١٥٠/١٦.
(٣٣٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٦):ص١٤٩/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٧١٣):ص٢١٦٠/٧.
(٣٣٧٥) تفسير الطبري:١٥٠/١٦.
(٣٣٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧١١):ص٢١٦٠/٧.
(٣٣٧٧) صفوة التفاسير:٥٢/٢.
(٣٣٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧١٩):ص٢١٦١/٧.

عن ابن إسحاق: "{إني حفيظ عليم}، بما وليتني، قال: قد فعلت. فولاه فيما يذكرون عمل أطيفير، وعزل أطيفير عما كان عليه"[٣٣٧٩].

قوله تعالى:{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} [يوسف : ٥٦]، أي:" يتخذ منها منزلاً حيث يشاء ويتصرف في المملكة كما يريد"[٣٣٨٠].

قال سعيد بن جبير:" يقول: ينزل منها حيث يشاء"[٣٣٨١].

قوله تعالى:{نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٥٦]، أي:" نخص بإنعامنا وفضلنا من نشاء من عبادنا، ولا يضيع أجر مَن أحسن أحسن عمله وأطاع ربه"[٣٣٨٢].

قال الفضيل بن عياض: "وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق، حتى مر يوسف، فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته وجعل الملوك عبيدا بمعصيته"[٣٣٨٣].

القرآن

{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)} [يوسف : ٥٧]

التفسير:

ولثواب الآخرة عند الله أعظم من ثواب الدنيا لأهل الإيمان والتقوى الذين يخافون عقاب الله، ويطيعونه في أمره ونهيه.

قوله تعالى:{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف : ٥٧]، أي:" ولأجر الآخرة وثوابها خير للمؤمنين المتقين من أجر الدنيا"[٣٣٨٤].

عن عكرمة: "دار {الآخرة}، يقول: الجنة"[٣٣٨٥].

عن مجاهد: "{يتقون}، يطيعونه"[٣٣٨٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف : ٥٧]، وجهان من التفسير[٣٣٨٧]:

عن مالك بن دينار قال: "سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد {ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون}: ما هيه؟ قال: يا مالك: اتقوا المحارم، خمصت بطونهم، المحارم تركوا وهم يشتهونها"[٣٣٨٨].

القرآن

{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨)} [يوسف : ٥٨]

التفسير:

وقدِمَ إخوة يوسف إلى «مصر» -بعد أن حلَّ بهم الجدب في أرضهم-; ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه فعرفهم، ولم يعرفوه لطول المدة وتغيُّر هيئته.

قوله تعالى:{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف : ٥٨]، أي:" وقدِمَ إخوة يوسف إلى «مصر» -بعد أن حلَّ بهم الجدب في أرضهم-; ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه فعرفهم، ولم يعرفوه لطول المدة وتغيُّر هيئته"[٣٣٨٩].

عن قتادة: "{وهم له منكرون}، قال: لا يعرفونه"[٣٣٩٠].

(٣٣٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٠):ص٢١٦١/٧.

(٣٣٨٠) صفوة التفاسير:٥٢/٢.

(٣٣٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٢):ص٢١٦١/٧.

(٣٣٨٢) صفوة التفاسير:٥٢/٢.

(٣٣٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٤):ص٢١٦٢/٧.

(٣٣٨٤) صفوة التفسير:٥٢/٢.

(٣٣٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٦):ص٢١٦٢/٧.

(٣٣٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٧):ص٢١٦٢/٧.

(٣٣٨٧) انظر: النكت والعيون:٥٣/٣.

(٣٣٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٨):ص٢١٦٢/٧.

(٣٣٨٩) التفسير الميسر:٢٤٢.

(٣٣٩٠) أخرجه الطبري(١٩٤٦٥):ص١٥٤/١٦.

عن الحسن:"ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم"[٣٣٩١].

عن ابن عون، قال: "قلت للحسن ترى يوسف عرف إخوته؟ قال: لا والله ما عرفهم حتى تعرفوا إليه"[٣٣٩٢].

قال ابن إسحاق:" لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة، جُهد الناس في كل وجه، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة. وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد، قد آسى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرًا واحدًا، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين، تقسيطًا بين الناس، وتوسيعًا عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس، يلتمسون الميرة من مصر، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام فيما أراد"[٣٣٩٣].

قال السدي:" أصاب الناس الجوعُ، حتى أصاب بلادَ يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك أخا يوسف بنيامين ; فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ; فلما نظر إليهم، قال: أخبروني ما أمركم، فإني أنكر شأنكم! قالوا: نحن قوم من أرض الشأم. قال: فما جاء بكم قالوا: جئنا نمتار طعامًا. قال: كذبتم، أنتم عيون، كم أنتم؟ قالوا: عشرة. قال: أنتم عشرة آلاف، كل رجل منكم أمير ألف، فأخبروني خبركم. قالوا: إنّا إخوة بنو رجل صِدِّيق، وإنا كنا اثنى عشر، وكان أبونا يحبّ أخًا لنا، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها، وكان أحبَّنا إلى أبينا. قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه. قال: فكيف تخبروني أن أباكم صدِّيق، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير؟ ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه {فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون}، قال: فضعُوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا. فوضعوا شمعون"[٣٣٩٤].

عن ابن أبي الجلد، قال: "قال إخوة يوسف ليوسف حين قال لهم إن أمركم ليريبني، وهو يترقب عليهم، كأنكم جواسيس، قالوا أيها العزيز: إن أبانا شيخ صديق وإنا قوم صديقون، وإن الله يحيي بكلام الأنبياء القلوب، كما يحيي وابل السماء الأرض ويقول لهم وفي يده الإناء وهو يقرعه القرعة، كأن هذا يخبر عنكم بأنكم جواسيس"[٣٣٩٥].

القرآن

{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩)} [يوسف : ٥٩]

التفسير:

وقد أمر يوسف بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا، وكانوا قد أخبروه أن لهم أخًا من أبيهم لم يُحضروه معهم -يريدون شقيقه- فقال: ائتوني بأخيكم من أبيكم، ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة، وأنا خير المضيفين لكم؟

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} [يوسف : ٥٩]، أي:" ولمّا هيأ لهم الطعام والميرة وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم"[٣٣٩٦].

قال محمد بن إسحاق:" لما جهز يوسف فيمن جهَّز من الناس، حَمَل لكل رجل منهم بعيرًا بعدّتهم"[٣٣٩٧].

قوله تعالى:{قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٥٩]، أي:" فقال: ائتوني بأخيكم من أبيكم"[٣٣٩٨].

أبيكم"[٣٣٩٨].

(٣٣٩١) انظر: النكت والعيون:٥٤/٣.

(٣٣٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٣٢):ص٢١٦٣/٧.

(٣٣٩٣) أخرجه الطبري(١٩٤٦٣):ص١٥٣/١٦.

(٣٣٩٤) أخرجه الطبري(١٩٤٦٤):ص١٥٣/١٦-١٥٤.

(٣٣٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٣٠):ص٢١٦٣/٧.

(٣٣٩٦) صفوة التفاسير:٥٢/٢.

(٣٣٩٧) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.

(٣٣٩٨) التفسير الميسر:٢٤٢.

قال قتادة:" يعني: بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه"[٣٣٩٩].
قال محمد بن إسحاق:" ثم قال لهم: {ائتوني بأخ لكم من أبيكم}، أجعل لكم بعيرًا آخر"[٣٤٠٠].
قوله تعالى:{أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} [يوسف : ٥٩]، أي:" ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة"[٣٤٠١].
قال محمد بن إسحاق:" أي: لا أبخس الناس شيئًا"[٣٤٠٢].
قوله تعالى:{وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف : ٥٩]، أي:" وأنا خير المضيفين لكم"[٣٤٠٣].
عن مجاهد: "{وأنا خير المنزلين}، يوسف يقوله: أنا خيرُ من يُضيف بمصر"[٣٤٠٤].
قال محمد بن إسحاق:" أي: خير لكم من غيري، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم وأحسنت إليكم، وازددتم به بعيرًا مع عدّتكم، فإني لا أعطي كلّ رجل منكم إلا بعيرًا"[٣٤٠٥].

القرآن
{فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)} [يوسف : ٦٠]
التفسير:
فإن لم تأتوني به فليس لكم عندي طعام أكيله لكم، ولا تأتوا إليَّ.

عن محمد بن إسحاق:{وَلَا تَقْرَبُونِ}، أي: " لا تقربوا بلدي"[٣٤٠٦].

القرآن
{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١)} [يوسف : ٦١]
التفسير:
قالوا: سنبذل جهدنا لإقناع أبيه أن يرسله معنا، ولن نقصِّر في ذلك.
عن ابن إسحاق: "{قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون}: لنجتهدن"[٣٤٠٧].

القرآن
{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)} [يوسف : ٦٢]
التفسير:
وقال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا; رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعًا في عطائنا.
قوله تعالى:{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ} [يوسف : ٦٢]، أي:" وقال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا"[٣٤٠٨].
عن قتادة: "{وقال لفتيانه}، أي: لغلمانه"، {اجعلوا بضاعتهم في رحالهم}، أي: أوراقهم في رحالهم"[٣٤٠٩].
عن السدي، قال: "{وقال لفتيانه} وهو يكيل لهم {اجعلوا بضاعتهم في رحالهم}"[٣٤١٠].

(٣٣٩٩) أخرجه الطبري(١٩٤٦٨):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠٠) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠١) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٤٠٢) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠٣) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٤٠٤) أخرجه الطبري(١٩٤٦٦):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠٥) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠٦) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
(٣٤٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٤٢):ص٢١٦٤/٧.
(٣٤٠٨) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٤٣)، (١١٧٤٤):ص٢١٦٥/٧.

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ} [يوسف : ٦٢]، أي:" رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم"[٣٤١١].

قال الزمخشري:"{لعلهم يعرفون} حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين {إذا انقلبوا إلى أهلهم} وفرغوا ظروفهم"[٣٤١٢].

عن محمد بن إسحاق، قال: "ثم خرجوا حتى قدموا على أبيهم، وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم، بالعربات، من أرض فلسطين بغور الشام، وبعض يقول: كان بالأولاج، من ناحية الشعب أسفل من حسمى وكان صاحب بادية له بها شاء وإبل"[٣٤١٣].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [يوسف : ٦٢]، أي:" لعلهم يرجعون إلينا إذا رأوها"[٣٤١٤].

قال السدي:" لعلهم يرجعون إليّ"[٣٤١٥].

القرآن

{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)} [يوسف : ٦٣]

التفسير:

فلما رجعوا إلى أبيهم قصُّوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم، وقالوا: إنه لن يعطينا مستقبَلا إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرناه به، فأرسلْه معنا نحضر الطعام وافيًا، ونتعهد لك بحفظه.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} [يوسف : ٦٣]، أي:" فلما عادوا إلى أبيهم قالوا له - قبل أن يفتحوا متاعهم - يا أبانا لقد أُنذرنا بمنع الكيل في المستقبل إن لم نأت بأخينا الذي أخبرناه به"[٣٤١٦].

قال السدي:" فلما رجع القوم إلى أبيهم، كلموه فقالوا، يا أبانا، إن ملك مصر أكرمنا، لو كان رجلا منا من بني يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون، وقال: ائتوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك حتى أنظر إليه فإن لم تأتوني به، فلا تقربوا بلادي أبدا"[٣٤١٧].

القرآن

{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)} [يوسف : ٦٤]

التفسير:

قال لهم أبوهم: كيف آمنكم على «بنيامين» وقد أمنتكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تفوا بذلك؟ فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، ولكني أثق بحفظ الله، خير الحافظين وأرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويرده عليَّ.[٣٤١٨].

قال محمد بن إسحاق:" قالوا: يا أبانا، قدمنا على خير رجل، أنزلنا فأكرم منزلنا، وكال لنا فأوفانا، ولم يبخسنا، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا، وقال: إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربني ولا تدخلن بلدي فقال لهم يعقوب: {هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين}"[٣٤١٩].

(٣٤١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٤٥):ص٢١٦٥/٧.
(٣٤١١) التفسير الميسر:٢٤٢.
(٣٤١٢) الكشاف:٤٨٥/٢.
(٣٤١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٤٧):ص٢١٦٥/٧.
(٣٤١٤) صفوة التفاسير:٥٣/٢.
(٣٤١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٤٨):ص٢١٦٥/٧.
(٣٤١٦) انظر: التفسير الميسر:٢٤٢، وصفوة التفاسير٥٣/٢.
(٣٤١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٤٩):ص٢١٦٥/٧
(٣٤١٨) التفسير الميسر:٢٤٣.
(٣٤١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٥٠):ص٢١٦٦/٧.

القرآن

{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)} [يوسف : ٦٥]

التفسير:

ولما فتحوا أوعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم قالوا: يا أبانا ماذا نطلب أكثر من هذا؟ هذا ثمن بضاعتنا ردَّه العزيز إلينا، فكن مطمئنًا على أخينا، وأرسله معنا; لنجلب طعامًا وفيرًا لأهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد حِمْلَ بعير له; فإن العزيز يكيل لكل واحد حِمْلَ بعير، وذلك كيل يسير عليه.

قوله تعالى:{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} [يوسف : ٦٥]، أي:" ولما فتحوا أوعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم"(٣٤٢٠).

قال السدي:" ولما فتحوا متاعهم قال: لما رجعوا إلى أبيهم وفتحوا رحالهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، أتوا أباهم، {قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا}"(٣٤٢١).

قال قتادة:" هذه أوراقنا ردت إلينا"(٣٤٢٢).

قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} [يوسف : ٦٥]، أي:" أيَّ شيءٍ نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟، هذا ثمن بضاعتنا ردَّه العزيز إلينا"(٣٤٢٣).

قال قتادة:" ما نبغي وراء هذا، إن بضاعتنا ردت إلينا، وقد أوفي لنا الكيل"(٣٤٢٤).

قوله تعالى:{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ} [يوسف : ٦٥]، أي:"ونأتي بالميرة والطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا من المكاره، ونزداد باستصحابنا له حمل بعير"(٣٤٢٥).

عن قتادة:" {وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ}، أي: حمل بعير"(٣٤٢٦).

قال محمد بن إسحاق:" أي: نزداد بعدته بعيرا مع إبلنا ذلك كيل يسير"(٣٤٢٧).

القرآن

{قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)} [يوسف : ٦٦]

التفسير:

قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليَّ، إلا أن تُغْلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه، فلما أعطَوْه عهد الله على ما طلب، قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل، أي تكفينا شهادته علينا وحفظه لنا.

قوله تعالى:{قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ} [يوسف : ٦٦]، أي:" قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليَّ، إلا أن تُغْلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه"(٣٤٢٨).

عن مجاهد قوله: "{إلا أن يحاط بكم} : إلا أن تهلكوا جميعا"(٣٤٢٩).

قال قتادة:" إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك"(٣٤٣٠).

قال ابن إسحاق:" إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا، فيكون ذلك عذرا لكم عندي"(٣٤٣١).

(٣٤٢٠) التفسير الميسر:٢٤٣.
(٣٤٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٥١):ص٢١٦٦/٧.
(٣٤٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٥٢):ص٢١٦٦/٧.
(٣٤٢٣) انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.
(٣٤٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٥٣):ص٢١٦٦/٧.
(٣٤٢٥) انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.
(٣٤٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٥٤):ص٢١٦٦/٧.
(٣٤٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٥٥):ص٢١٦٧/٧.
(٣٤٢٨) التفسير الميسر:٢٤٣.
(٣٤٢٩) أخرجه الطبري(١٩٤٨٥):ص١٦٤/١٦.
(٣٤٣٠) أخرجه الطبري(١٩٤٨٢):ص١٦٣/١٦.
(٣٤٣١) أخرجه الطبري(١٩٤٨٦):ص١٦٣/١٦.

قوله تعالى:{فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف : ٦٦]، أي:" فلما حلفوا له وأعطوه العهد المؤكد، قال يعقوب: الله شهيد رقيب على ذلك"(٣٤٣٢).

عن مجاهد: "{فلما آتوه موثقهم}، قال: عهدهم"(٣٤٣٣).

القرآن

{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)} [يوسف : ٦٧]

التفسير:

وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم أرض «مصر» فلا تدخلوا مِن باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين، وإني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئًا قضاه الله عليكم، فما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت ووثقت، وعليه وحده يعتمد المؤمنون.

قوله تعالى:{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} [يوسف : ٦٧]، أي:" وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم أرض «مصر» فلا تدخلوا مِن باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين"(٣٤٣٤).

وفيما طلب منهم أن يدخلوا من باب واحد، قولان:

أحدهما : أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال ، قاله مجاهد(٣٤٣٥)، والضحاك(٣٤٣٦)، وقتادة(٣٤٣٧)، ومحمد بن كعب(٣٤٣٨)، والسدي(٣٤٣٩)، وابن إسحاق(٣٤٤٠).

قال قتادة:" خشي نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم العينَ على بنيه، كانوا ذوي صُورة وجَمال"(٣٤٤١).

قال قتادة:" خشي نبي الله أنفس الناس، على بنيه وكانوا ذوي صورة وجمال"(٣٤٤٢).

قال السدي:" خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين، فقال: {يا بني لا تدخلوا من باب واحد}، فيقال: هؤلاء لرجل واحدٍ! ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة"(٣٤٤٣).

قال السدي:" ورهب عليهم أن تصيبهم العين إن دخلوا مصر، فيقال هؤلاء لرجل واحد، قال {يا بني لا تدخلوا من باب واحد}، يقول: من طريق واحد"(٣٤٤٤).

الثاني: علم أنه سيلقى إخوته في بعض الأبواب. وهذا قول إبراهيم(٣٤٤٥).

قوله تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف : ٦٧]، أي:" فما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت ووثقت، وعليه وحده يعتمد المؤمنون"(٣٤٤٦).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٣٤٤٧).

القرآن

(٣٤٣٢) صفوة التفاسير:٥٤/٢.

(٣٤٣٣) أخرجه الطبري(١٩٤٨٠):ص١٦٣/١٦.

(٣٤٣٤) التفسير الميسر:٢٤٣.

(٣٤٣٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٦٧):ص٢١٦٨/٧.

(٣٤٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٨٧):ص١٦٥/١٦.

(٣٤٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٨٨):ص١٦٥/١٦.

(٣٤٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٢):ص١٦٥/١٦.

(٣٤٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٣):ص١٦٦/١٦.

(٣٤٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٤):ص١٦٦/١٦.

(٣٤٤١) أخرجه الطبري(١٩٤٨٨):ص١٦٥/١٦.

(٣٤٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧١):ص٢١٦٩/٧.

(٣٤٤٣) أخرجه الطبري(١٩٤٩٣):ص١٦٦/١٦.

(٣٤٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٦٨):ص٢١٦٨/٧.

(٣٤٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٦٩):ص٢١٦٨/٧.

(٣٤٤٦) التفسير الميسر:٢٤٣.

(٣٤٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)} [يوسف : ٦٨]

التفسير:

ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن يعقوب لصاحب علمٍ عظيم بأمر دينه علَّمه الله له وحْيًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وما يعلمه يعقوب -عليه السلام- مِن أمر دينه.

قوله تعالى:{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ} [يوسف : ٦٨]، أي:" ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم"(٣٤٤٨).

قال ابن إسحاق:" لما دخلوا على يوسف، قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، وقد جئناك به"(٣٤٤٩).

قوله تعالى:{ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} [يوسف : ٦٨]، أي:" ما كان دخولهم متفريقن ليدفع عنهم من قضاء الله شيئا، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين"(٣٤٥٠).

عن مجاهد :قوله: "{حاجة في نفس يعقوب قضاها}، أي: خيفة العين على بنيه"(٣٤٥١).

قال محمد بن إسحاق:" والحاجة التي كانت في نفس يعقوب ما تخوف على بنيه من أنفس الناس لعدتهم ولهيئتهم"(٣٤٥٢).

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف : ٦٨]، أي:" وإن يعقوب لذو علمٍ واسع لتعليمنا إياه بطريق الوحي"(٣٤٥٣).

عن قتادة: "{لما علمناه}، أي: مما علمناه"(٣٤٥٤).

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف : ٦٨]، وجهان:

أحدها : إنه لعامل بما علم ، قاله قتادة(٣٤٥٥).

وعن قتادة قوله: "{وإنه لذو علم}، وأعلمه أن خير العلم ما نفع، وأن أفضل الهدى ما اتبع وأن أغوى الضلالة، الضلالة بعد الهدى، وإنما ينتفع بالعلم من علمه، ثم عمل به ولا ينتفع به من علمه ثم تركه"(٣٤٥٦).

الثاني : لمتيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك(٣٤٥٧).

القرآن

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)} [يوسف : ٦٩]

التفسير:

ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه، ضم يوسف إليه شقيقه، وقال له سرًا: إني أنا أخوك فلا تحزن، ولا تغتمَّ بما صنعوه بي فيما مضى. وأمره بكتمان ذلك عنهم.

قوله تعالى:{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} [يوسف : ٦٩]، أي:" ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه، ضم يوسف إليه شقيقه"(٣٤٥٨).

قال الزمخشري:" ضم إليه بنيامين"(٣٤٥٩).

(٣٤٤٨) التفسير الميسر:٢٤٣.
(٣٤٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٢):ص٢١٦٩/٧.
(٣٤٥٠) التفسير الميسر:٢٤٣.
(٣٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٣):ص٢١٦٩/٧.
(٣٤٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٤):ص٢١٦٩/٧.
(٣٤٥٣) صفوة التفاسير:٥٤/٢.
(٣٤٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٦):ص٢١٦٩/٧.
(٣٤٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٧٧):ص٢١٧٠/٧.
(٣٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٥):ص٢١٦٩/٧.
(٣٤٥٧) انظر: النكت والعيون:٦٠/٣.
(٣٤٥٨) التفسير الميسر:٢٤٣.

قال قتادة:" ضمه إليه وأنزله معه"[٣٤٦٠]. وفي لفظ:" ضمه إليه، وأنزله، وهو بنيامين"[٣٤٦١].

قال السدي:" ولما دخلوا على يوسف عرف أخاه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل أتاهم بمثل، قال: لينام كل واحد منكم على مثال حتى بقي الغلام وحده، فقال يوسف: هذا ينام معي، على فراشي، فبات مع يوسف فجعل يشتم ريحه ويضمه إليه حتى أصبح"[٣٤٦٢].

عن ابن إسحاق: "فـ {لما دخلوا على يوسف}، قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، وقد جئناك به، فذكر لي أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم ستجدون ذلك لكم عندي، أو كما قال: أراكم رجالا وقد أردت أن أكرمكم، ودعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كل رجلين على حده، ثم أكرمهما، وأحسن ضيافتهما ثم قال: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثاني، فسأضمه إلي، فيكون منزله معي فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فآواه إليه"[٣٤٦٣].

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} [يوسف : ٦٩]، أي:" وقال له سرًا: إني أنا أخوك يوسف"[٣٤٦٤].

وفي قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} [يوسف : ٦٩]، وجهان:

أحدهما : أنه أخبره أنه يوسف أخوه ، قاله ابن إسحاق[٣٤٦٥].

قال ابن إسحاق:" فلما خلا به قال إني أنا أخوك أنا يوسف"[٣٤٦٦].

الثاني : أنه قال له : أنا أخوك مكان أخيك الهالك ، قاله وهب[٣٤٦٧].

عن وهب بن منبه - وسئل عن قول يوسف: {ولما دخلوا على يوسف آوى الله أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون} -: كيف أصابه حين أخذ بالصواع، وقد كان أخبره أنه أخوه، وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكايدهم حتى رجعوا؟ فقال: إنه لم يعترف له بالنسبة، ولكنه قال: {أنا أخوك} مكان أخيك الهالك{فلا تبتئس بما كانوا يعملون}، يقول: لا يحزنك مكانه"[٣٤٦٨].

قوله تعالى:{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يوسف : ٦٩]، أي:" فلا تحزن، ولا تغتمَّ بما صنعوه بي فيما مضى"[٣٤٦٩].

قال قتادة:" أي: لا تحزن ولا تيأس بما كانوا يعملون"[٣٤٧٠].

قال السدي:" لا تحزن على ما كانوا يعملون"[٣٤٧١].

قال وهب:" لا يحزنك مكانه"[٣٤٧٢].

القرآن

{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)} [يوسف : ٧٠]

التفسير:

فلما جهزَّهم يوسف، وحمَّل إبلهم بالطعام، أمر عماله، فوضعوا الإناء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبوا ليسيروا نادى منادٍ قائلا يا أصحاب هذه العير المحمَّلة بالطعام، إنكم لسارقون.

(٣٤٥٩) الكشاف:٤٨٩/٢.

(٣٤٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٨):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٦١) أخرجه الطبري(١٩٥٠٥):ص١٧٠/١٦.

(٣٤٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٩):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٨٠):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٦٤) التفسير الميسر:٢٤٣.[بتصرف]

(٣٤٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٨٢):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٨٢):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٠٦):ص١٧٠/١٦.

(٣٤٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٠٦):ص١٧٠/١٦.

(٣٤٦٩) التفسير الميسر:٢٤٣.

(٣٤٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٨٣):ص٢١٧٠/٧.

(٣٤٧١) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٠٩):ص١٧١/١٦.

(٣٤٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٠٨):ص١٧١/١٦.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} [يوسف : ٧٠]، أي:" فلما جهزَّهم يوسف، وحمَّل إبلهم بالطعام"[٣٤٧٣].

قال قتادة:" لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم"[٣٤٧٤].

قوله تعالى:{جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ} [يوسف : ٧٠]، أي:" أمر عماله، فوضعوا الإناء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد"[٣٤٧٥].

عن قتادة: "{جعل السقاية}، قال: مشربة الملك"[٣٤٧٦]، " {في رحل أخيه}، أي: في متاع أخيه"[٣٤٧٧].

قال الحسن:" الصواع" و"السقاية"، سواء، هو الإناء الذي يشرب فيه"[٣٤٧٨].

قال مجاهد:" السقاية" و"الصواع"، شيء واحد،، كان يشرب فيه يوسف"[٣٤٧٩].

قال قتادة:" وهو إناء الملك الذي كان يشرب فيه"[٣٤٨٠].

قال الضحاك:" هو الإناء الذي كان يشرب فيه الملك"[٣٤٨١].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} [يوسف : ٧٠]، أي:" ولما ركبوا ليسيروا نادى منادٍ قائلا يا أصحاب هذه العير المحمَّلة بالطعام، إنكم لسارقون"[٣٤٨٢].

قال مجاهد :"كانت العير حميرا"[٣٤٨٣].

عن السدي: "{فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه}، والأخ لا يشعر. فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير: {إنكم لسارقون}"[٣٤٨٤].

عن ابن إسحاق قال، ثم جهزهم بجهازهم، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم، وحمل لهم بعيرا بعيرا، وحمل لأخيه بعيرا باسمه كما حمل لهم. ثم أمر بسقاية الملك- وهو"الصواع"، وزعموا أنها كانت من فضة- فجعلت في رحل أخيه بنيامين. ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية، أمر بهم فأدركوا، فاحتبسوا، ثم نادى مناد: {أيتها العير إنكم لسارقون}، قفوا. وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون: ألم نكرم ضيافتكم، ونوفكم كيلكم، ونحسن منزلتكم، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا؟ - أو كما قال لهم- قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم. {قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين}"[٣٤٨٥].

القرآن

{قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١)} [يوسف : ٧١]

التفسير:

قال أولاد يعقوب مقبلين على المنادي: ما الذي تفقدونه؟

عن السدي: {قالوا وأقبلوا عليهم} يقولون: ماذا تفقدون"[٣٤٨٦].

عن ابن إسحاق، قال: "قالوا: بلى وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولأنتم عليها غيركم، قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض"[٣٤٨٧].

(٣٤٧٣) التفسير الميسر:٢٤٤.
(٣٤٧٤) أخرجه الطبري(١٩٥١٠):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٧٥) التفسير الميسر:٢٤٤.
(٣٤٧٦) أخرجه الطبري(١٩٥١٤):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٧٧) أخرجه الطبري(١٩٥٢٠):ص١٦/١٧٣.
(٣٤٧٨) أخرجه الطبري(١٩٥١١):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٧٩) أخرجه الطبري(١٩٥١٢):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٨٠) أخرجه الطبري(١٩٥١٥):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٨١) أخرجه الطبري(١٩٥١٨):ص١٦/١٧٢.
(٣٤٨٢) التفسير الميسر:٢٤٤.
(٣٤٨٣) الكشف والبيان:٥/٢٣٩.
(٣٤٨٤) أخرجه الطبري(١٩٥٢١):ص١٦/١٧٤.
(٣٤٨٥) أخرجه الطبري(١٩٥٢٢):ص١٦/١٧٤.
(٣٤٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٩٩):ص٧/٢١٧٣.
(٣٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٩٨):ص٧/٢١٧٢-٢١٧٣.

القرآن

{قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)} [يوسف : ٧٢]

التفسير:

قال المنادي ومَن بحضرته: نفقد المكيال الذي يكيل الملك به، ومكافأة من يحضره مقدار حِمْل بعير من الطعام، وقال المنادي: وأنا بحِمْل البعير من الطعام ضامن وكفيل.

قوله تعالى:{قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ} [يوسف : ٧٢]، أي:" قال المنادي ومَن بحضرته: نفقد المكيال الذي يكيل الملك به"(٣٤٨٨).

عن الزهري في قول الله: "{نفقد صواغ الملك}، قال: القدح"(٣٤٨٩).

قال الضحاك:" إناءه الذي كان يشرب فيه"(٣٤٩٠).

عن الضحاك، في قوله: "(صواع الملك) ، قال، إناء الملك الذي كان يشرب فيه"(٣٤٩١).

عن مجاهد قال: ""الصواع"، كان يشرب فيه يوسف"(٣٤٩٢).

عن يحيى بن يعمر:" أنه كان يقرأها :«صواغ الملك»، بالغين، قال: كان صيغ من ذهب أو فضة سقايته التي كان يشرب فيها"(٣٤٩٣).

عن عكرمة في قوله: "{قالوا نفقد صواع الملك}، قال: كان من فضة"(٣٤٩٤).

وقال ابن عباس:" كان من نحاس"(٣٤٩٥).

عن ابن عباس في هذا الحرف: "(صواع الملك)، قال: كهيئة المكوك. قال: وكان للعباس مثله في الجاهلية يشرب فيه"(٣٤٩٦). وفي لفظ:" عن ابن عباس في قوله: {صواع الملك}، قال، كان من فضة مثل المكوك. وكان للعباس منها واحد في الجاهلية"(٣٤٩٧).

عن سعيد بن جبير: "أنه قرأ: (صواع الملك) ، قال وكان إناءه الذي يشرب فيه، وكان إلى الطول ما هو"(٣٤٩٨).

عن سعيد بن جبير: "(صواع الملك)، قال، المكوك الفارسي"(٣٤٩٩).

قال سعيد بن جبير:" هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب فيه الأعاجم"(٣٥٠٠).

قوله تعالى:{وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} [يوسف : ٧٢]، أي:" ومكافأة من يحضره مقدار حِمْل بعير من الطعام"(٣٥٠١).

قال قتادة:" أي: وقد بعير"(٣٥٠٢).

عن مجاهد قوله: "{حمل بعير}، قال: حمل طعام وهي لغة"(٣٥٠٣).

وروي عن مجاهد أيضا، قال:" {حمل بعير}، يعني: حمار وهي لغة"(٣٥٠٤).

(٣٤٨٨) التفسير الميسر:٢٤٤.

(٣٤٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٥):ص٢١٧٣/٧.

(٣٤٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٢):ص٢١٧٣/٧.

(٣٤٩١) أخرجه الطبري(١٩٥٣١):ص١٧٧/١٦.

(٣٤٩٢) أخرجه الطبري(١٩٥٣٥):ص١٧٧/١٦.

(٣٤٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٤):ص٢١٧٣/٧.

(٣٤٩٤) أخرجه الطبري(١٩٥٢٧):ص١٧٦/١٦.

(٣٤٩٥) أخرجه الطبري(١٩٥٣٦):ص١٧٧/١٦.

(٣٤٩٦) أخرجه الطبري(١٩٥٢٥):ص١٧٦/١٦.

(٣٤٩٧) أخرجه الطبري(١٩٥٢٦):ص١٧٦/١٦.

(٣٤٩٨) أخرجه الطبري(١٩٥٢٨):ص١٧٦/١٦.

(٣٤٩٩) أخرجه الطبري(١٩٥٢٩):ص١٧٦/١٦.

(٣٥٠٠) أخرجه الطبري(١٩٥٣٠):ص١٧٦/١٦.

(٣٥٠١) التفسير الميسر:٢٤٤.

(٣٥٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٧):ص٢١٧٣/٧.

(٣٥٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٦):ص٢١٧٣/٧.

(٣٥٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٨):ص٢١٧٤/٧.

قوله تعالى:{وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف : ٧٢]، أي:" وقال المنادي: وأنا بحِمْل البعير من الطعام ضامن وكفيل"[٣٥٠٥].

قال الضحاك:" الزعيم الكفيل"[٣٥٠٦].

قال مجاهد:" الزعيم هو المؤذن الذي قال: أيتها العير"[٣٥٠٧].

وعن فضالة بن عبيد ، قال: "سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: أنا زعيم، والزعيم: الحميل"[٣٥٠٨].

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)} [يوسف : ٧٣]

التفسير:

قال إخوة يوسف: والله لقد تحققتم مما شاهدتموه منا أننا ما جئنا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها، وليس من صفاتنا أن نكون سارقين.

قال الربيع:" يقول: ما جئنا لنعصي في الأرض"[٣٥٠٩].

القرآن

{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)} [يوسف : ٧٥]

التفسير:

قال إخوة يوسف: جزاء السارق مَن وُجِد المسروق في رحله فهو جزاؤه. أي يسلَّم بسرقته إلى مَن سرق منه حتى يكون عبدًا عنده، مثل هذا الجزاء -وهو الاسترقاق- نجزي الظالمين بالسرقة، وهذا ديننا وسنتنا في أهل السرقة.

قوله تعالى:{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} [يوسف : ٧٥]، أي:" قال إخوة يوسف: جزاء السارق الذي يوجد الصاع في متاعه أن يُسترقَّ ويصبح مملوكاً لمن سَرَق منه"[٣٥١٠].

عن السدي قوله: "{قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}، قالوا: خذوه، فهو لكم"[٣٥١١]. وفي لفظ:" تأخذونه فهو لكم"[٣٥١٢].

عن ابن إسحاق:" {فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}، أي: سلم به"[٣٥١٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [يوسف : ٧٥]، أي:" كذلك نجازي من تعدَّى حدود الله بالسرقة وأمثالها"[٣٥١٤].

قال ابن إسحاق:" أي: كذلك نصنع بمن سرق منا"[٣٥١٥].

القرآن

{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)} [يوسف : ٧٦]

التفسير:

(٣٥٠٥) التفسير الميسر:٢٤٤.

(٣٥٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٠):ص٢١٧٤/٧.

(٣٥٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٢):ص٢١٧٤/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٣٥٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٩):ص٢١٧٤/٧.

(٣٥٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٣):ص٢١٧٤/٧.

(٣٥١٠) صفوة التفاسير:٥٧/٢.

(٣٥١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٥):ص٢١٧٤/٧.

(٣٥١٢) أخرجه الطبري(١٩٥٥٨):ص١٨٣/١٦.

(٣٥١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٦):ص٢١٧٤/٧-٢١٧٥.

(٣٥١٤) صفوة التفاسير:٥٧/٢.

(٣٥١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٨١٧):ص٢١٧٥/٧.

ورجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه; إحكامًا لما دبَّره لاستبقاء أخيه معه، ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإناء منه، كذلك يسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه، وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم مَلِك «مصر» ; لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برقِّ السارق. نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علمٍ من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

قله تعالى:{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ } [يوسف : ٧٦]، أي:" رجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه"(٣٥١٦).

قال قتادة:" كان لا ينظر في وعاء رجل منهم إلا استغفر، تأثما مما قذفهم به حتى إذا بقي أخوه وهو أصغر القوم: ما أرى هذا أخذ شيئا، قالوا: بلى فاستبرءه، إلا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم، ثم استخرجها من وعاء أخيه"(٣٥١٧).

قال محمد بن إسحاق:" قال لهم الرسول: لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم، وأعذر في طلبها قالوا: ما نعلمها فينا، ولا معنا فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء، يفتشها وينظر ما فيها، حتى مر على أخيه ففتش فاستخرجها منه فأخذ برقبته فانصرف به إلى يوسف"(٣٥١٨).

وقرأ الحسن: «وعاء أخيه»، بضم الواو، وهي لغة. وقرأ سعيد ابن جبير: «إعاء أخيه»، بقلب الواو همزة(٣٥١٩).

قله تعالى:{ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ} [يوسف : ٧٦]، أي:" ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإناء منه"(٣٥٢٠).

قال السدي:" فلما بقي رحل الغلام، قال: ما كان هذا الغلام ليأخذها، قالوا والله لا ترك حتى تنظر في رحله، وتذهب وقد طابت نفسك فأدخل يده في رحله فاستخرجها من رحل أخيه، يقول الله تعالى: {كذلك كدنا ليوسف}"(٣٥٢١).

قله تعالى:{كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} [يوسف : ٧٦]، أي:" كذلك يسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه"(٣٥٢٢).

عن السدي عن أبي مالك :قوله: "{كذلك}، يعني: هكذا"(٣٥٢٣).

قال الضحاك(٣٥٢٤)، والسدي(٣٥٢٥)، وابن جريج(٣٥٢٦): "كذلك صنعنا ليوسف".

قله تعالى:{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [يوسف : ٧٦]، أي:" وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم مَلِك «مصر» ; لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برقِّ السارق"(٣٥٢٧).

عن مجاهد قوله: "{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك} ، إلا فعلة كادها الله له، فاعتلّ بها يوسف"(٣٥٢٨). وفي لفظ:" إلا بعلة كادَها الله، فاعتلَّ بها يوسف"(٣٥٢٩).

وعن السدي: "{إلا أن يشاء الله}، ولكن صنعنا له، بأنهم قالوا: {فهو جزاؤه}"(٣٥٣٠).

(٣٥١٦) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٨):ص٢١٧٥/٧.
(٣٥١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٩):ص٢١٧٥/٧.
(٣٥١٩) انظر: الكشاف:٤٩١/٢.
(٣٥٢٠) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٠):ص٢١٧٥/٧.
(٣٥٢٢) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢١):ص٢١٧٥/٧.
(٣٥٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٢):ص٢١٧٦/٧، والطبري(١٩٥٦٩):ص١٨٨/١٦.
(٣٥٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٦٨):ص١٨٨/١٦.
(٣٥٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٦٧):ص١٨٧/١٦.
(٣٥٢٧) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٢٨) أخرجه الطبري(١٩٥٦٤):ص١٨٧/١٦.
(٣٥٢٩) أخرجه الطبري(١٩٥٨٠):ص١٩٠/١٦.

عن ابن إسحاق: "{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}، أي: بظلم، ولكن الله كاد ليوسف ليضمّ إليه أخاه"[٣٥٣١].

وفي قله تعالى:{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} [يوسف : ٧٦]، وجهان:

أحدهما : في سلطان الملك ، قاله الضحاك[٣٥٣٢].

الثاني : في قضاء الملك وحكمه، أن يستعبد رجلا بسرقة. قاله قتادة[٣٥٣٣].

وقال محمد بن كعب القرظي : "في قضاء الملك"[٣٥٣٤].

وقال السدي: "في حكم الملك"[٣٥٣٥].

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها في معنى"دين الملك"، فمتقاربة المعاني، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله، فبرضاه أخذه إذًا لا بغيره، وذلك منه حكم عليه، وحكمه عليه قضاؤه، وأصل"الدين"، الطاعة[٣٥٣٦].

قال الضحاك:" كان في دين ملكهم، إذا أخذت السرقة من السارق، أخذت منه ومثلها من ماله، فدفعت للمسروق"[٣٥٣٧].

قله تعالى:{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} [يوسف : ٧٦]، أي:" نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف"[٣٥٣٨].

عن ابن جريج قوله: "{نرفع درجات من نشاء}، يوسف وإخوته، أوتوا علمًا، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم"[٣٥٣٩].

قله تعالى:{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف : ٧٦]، أي:" فوق كل عالمٍ من هو أعلم منه حتى ينتهي إلى ذي العلم البالغ وهو ربُّ العالمين"[٣٥٤٠].

عن عكرمة في قوله: "{وفوق كل ذي علم عليم}، قال: علم الله فوق كل أحد"[٣٥٤١].

عن سعيد بن جبير: "{وفوق كل ذي علم عليم}، قال: الله أعلم من كل أحد"[٣٥٤٢].

قال الحسن:" ليس عالمٌ إلا فوقه عالم، حتى ينتهي العلم إلى الله"[٣٥٤٣].

عن بشير الهجيمي قال: "سمعت الحسن قرأ هذه الآية يومًا: {وفوق كل ذي علم عليم} ، ثم وقف فقال: إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه، حتى يعود العلم إلى الذي علَّمه"[٣٥٤٤].

عن قتادة، قوله:"{وفوق كل ذي علم عليم}، حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بدئ، وتعلَّمت العلماء، وإليه يعود. في قراءة عبد الله:«وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ»"[٣٥٤٥].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، "أنه حدّث بحديث، فقال رجل عنده: {وفوق كل ذي علم عليم}، فقال ابن عباس: بئسما قلت! إن الله هو عليم، وهو فوق كل عالم"[٣٥٤٦].

(٣٥٣٠) أخرجه الطبري(١٩٥٧٩):ص١٩٠/١٦.

(٣٥٣١) أخرجه الطبري(١٩٥٧٧):ص١٨٩/١٦.

(٣٥٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧١):ص١٨٨/١٦.

(٣٥٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧٢)، و(١٩٥٧٣):ص١٨٨/١٦-١٨٩.

(٣٥٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧٤):ص١٨٩/١٦.

(٣٥٣٥)أخرجه الطبري(١٩٥٧٦):ص١٨٩/١٦ .

(٣٥٣٦) تفسير الطبري:١٩٠/١٦.

(٣٥٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٦):ص٢١٧٦/٧.

(٣٥٣٨) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٥٣٩) أخرجه الطبري(١٩٥٨١):ص١٩١/١٦.

(٣٥٤٠) صفوة التفاسير:٥٧/٢.

(٣٥٤١) أخرجه الطبري(١٩٥٨٩):ص١٩٢/١٦.

(٣٥٤٢) أخرجه الطبري(١٩٥٩١):ص١٩٣/١٦.

(٣٥٤٣) أخرجه الطبري(١٩٥٩٢):ص١٩٣/١٦.

(٣٥٤٤) أخرجه الطبري(١٩٥٩٣):ص١٩٣/١٦.

(٣٥٤٥) أخرجه الطبري(١٩٥٩٥):ص١٩٣/١٦.

(٣٥٤٦) أخرجه الطبري(١٩٥٨٢):ص١٩١/١٦.

عن محمد بن كعب قال:" سأل رجل عليًّا عن مسألة، فقال فيها، فقال الرجل: ليس هكذا ولكن كذا وكذا. قال عليٌّ: أصبتَ وأخطأتُ، {وفوق كل ذي علم عليم}"[٣٥٤٧].

القرآن

{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)} [يوسف : ٧٧]

التفسير:

قال إخوة يوسف: إنْ سرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل (يقصدون يوسف عليه السلام) فأخفى يوسف في نفسه ما سمعه، وحدَّث نفسه قائلا أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبَّرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} [يوسف : ٧٧]، أي:" قال إخوة يوسف: إنْ سرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل"[٣٥٤٨].

عن مجاهد، قوله: "{إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل} ، ليوسف"[٣٥٤٩].

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها، أقوال:

أحدها: أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير[٣٥٥٠]، وقتادة[٣٥٥١].

قال قتادة:" أرادوا بذلك عيبَ نبيّ الله يوسف. وسرقته التي عابوه بها، صنم كان لجده أبي أمه، فأخذه، إنما أراد نبيُّ الله بذلك الخير، فعابوه"[٣٥٥٢].

وقال ابن جريج:" كانت أمّ يوسف أمرت يوسف يسرق صنمًا لخاله يعبده، وكانت مسلمةً"[٣٥٥٣].

وقال زيد بن أسلم:" كان يوسف مع أمه عند خال له قال: وكان غلاما، يلعب مع الغلمان، فدخلوا كنيسة لهم فوجد تمثالا لهم صغيرا من ذهب فأخذه فذلك قول إخوته: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"[٣٥٥٤].

الثاني: كان بنو يعقوب على طعام، إذْ نظرَ يوسف إلى عَرْق فخبأه أو اجتره، فعيّروه بذلك، وهذا قول إدريس[٣٥٥٥]، وعطية العوفي[٣٥٥٦].

الثالث : أن عمته بنت إسحاق وكانت كبرى ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من أختانها من وليها، كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته عمته فكان معها وإليها، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال: يا أخية، أسلمي إلي يوسف فو الله ما أقدر أن يغيب عني ساعة قال: وأنا والله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قال: فو الله ما أنا بتاركه قالت: دعه عندي أياما حتى أنظر إليه، وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه، أو كما قالت، فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف تحت ثيابها ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست، ثم قالت: كشفوا أهل البيت فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه المسلم ما أصنع؟ أصنع فيه ما شئت، قال: وأتاها يعقوب، فأخبرته الخبر، فقال: أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه:

(٣٥٤٧) أخرجه الطبري(١٩٥٨٨):ص١٩٢/١٦.
(٣٥٤٨) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٤٩) أخرجه تفسير الطبري (١٩٥٩٦):ص١٩٤/١٦.
(٣٥٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٠):ص١٩٥/١٦.
(٣٥٥١) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠١):ص١٩٥/١٦.
(٣٥٥٢) أخرجه الطبري(١٩٦٠٢):ص١٩٥/١٦.
(٣٥٥٣) أخرجه الطبري(١٩٦٠٣):ص١٩٥/١٦.
(٣٥٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٣٥):ص٢١٧٨/٧.
(٣٥٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٤):ص١٩٦/١٦.
(٣٥٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٣٦):ص٢١٧٨/٧.

{إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم}، إلى قوله: {والله أعلم بما تصفون}. قاله مجاهد[٣٥٥٧].

الرابع : أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قاله الحسن[٣٥٥٨].

قوله تعالى:{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} [يوسف : ٧٧]، أي:" فأخفى يوسف تلك القولة في نفسه وكتمها ولم يُظهرها لإخوته تلطفاً معهم"[٣٥٥٩].

قال قتادة:" أما الذي أسر في نفسه فقوله: {أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون}"[٣٥٦٠].

قال ابن إسحاق:" فلما سمعها يوسف قال أنتم شر مكانا سرا في نفسه ولم يبدها لهم"[٣٥٦١].

قوله تعالى:{قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا} [يوسف : ٧٧]، أي:" وحدَّث نفسه قائلا أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبَّرتم لي ما كان منكم"[٣٥٦٢].

عن مجاهد قوله: {أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون}، يقولون: يوسف يقوله"[٣٥٦٣].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف : ٧٧]، أي:" والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء"[٣٥٦٤].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف : ٧٧]، وجهان:

أحدهما : بما تقولون ، قاله مجاهد[٣٥٦٥].

الثاني : بما تكذبون ، قاله قتادة[٣٥٦٦].

قال السدي:" فلما استخرجها يعني: من الوعاء، انقطعت ظهورهم، وهلكوا وقالوا: ما يزال لنا منكم بلاء يا بني راحيل، متى أخذت هذا الصواع؟ قال، بنيامين بنو راحيل الذي لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية وما وضع هذا الصواع في رحلي إلا الذي وضع الدراهم في رحالكم قال: لا تذكر الدراهم، فتؤخذ بها فوقعوا فيه وشتموه فلما أدخلوهم على يوسف دعا الصواع ثم نقر فيه ثم أدناه من أذنه، ثم قال: إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثنى عشر أخا، وإنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف، وقال: أيها الملك سل صواعك هذا، أحي ذلك أم لا؟ فنقره يوسف، ثم قال: نعم هو حي وسوف تراه، قال: اصنع بي ما شئت فإنه إن علم بي استنقذني، فدخل يوسف فبكى ثم توضأ فنقر فيه، فقال بنيامين: أيها الملك إني أراك تضرب بصواعك فيخبرك الحق، فسله من صاحبه؟ فنقر فيه، ثم قال: إن صواعي هذا غضبان، يقول كيف تسألني من صاحبي وقد رأيت مع من كنت وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل، فقام فقال: يا أيها الملك: والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة لا تبقى امرأة حامل بمصر إلا طرحت ما في بطنها، وقامت كل شعرة من جسد روبيل تخرج من ثيابه فقال يوسف لابنه: مر إلي جنب روبيل فمسه وكان بنوا يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فمر الغلام إلى جانبه فمسه فذهب غضبه، فقال: من هذا؟ إن في هذا البلاد لبزرا من بزر يعقوب، قال يوسف: ومن يعقوب؟ فغضب روبيل فقال: يا أيها الملك: لا تذكرن يعقوب فإنه سري الله بن ذبيح الله بن خليل الله فقال يوسف أنت إذا إن كنت صادقا"[٣٥٦٧].

القرآن

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)} [يوسف : ٧٨]

التفسير:

(٣٥٥٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٣٧):صص٢١٧٨/٧، وتفسير الطبري(١٩٦٠٥):ص١٩٦/١٦-١٩٧.

(٣٥٥٨) انظر: النكت والعيون:٦٥/٣.

(٣٥٥٩) صفوة التفاسير:٥٧/٢.

(٣٥٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٦):ص١٩٩/١٦.

(٣٥٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤١):ص٢١٨٠/٧.

(٣٥٦٢) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٥٦٣) أخرجه الطبري(١٩٦٠٩):ص٢٠٠/١٦.

(٣٥٦٤) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٥٦٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤٢):ص٢١٨٠/٧.

(٣٥٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤٣):ص٢١٨٠/٧.

(٣٥٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٨٣٨):ص٢١٧٩/٧.

قالوا مستعطفين ليوفوا بعهد أبيهم: يا أيها العزيز إن له والدًا كبيرًا في السن يحبه ولا يطيق بُعده، فخُذْ أحدنا بدلا من «بنيامين» ، إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا.

قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٧٨]، أي:" إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا"(٣٥٦٨).

عن ابن إسحاق: "{إنا نراك من المحسنين} ، إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلتَ"(٣٥٦٩).

القرآن

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩)} [يوسف : ٧٩]

التفسير:

قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده -كما حكمتم أنتم-، فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين.

قوله تعالى:{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ} [يوسف : ٧٩]، أي:" قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده -كما حكمتم أنتم-"(٣٥٧٠).

قال محمد بن إسحاق:" يقول: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده إنَّا إذًا نفعل ما ليس لنا فعله ونجور على الناس"(٣٥٧١).

قوله تعالى:{إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ} [يوسف : ٧٩]، أي:" فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين"(٣٥٧٢).

عن السدي: "{قالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذًا لظالمون}، قال يوسف: إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلمَ أنّ في أرض مصر صدِّيقين مثله"(٣٥٧٣).

القرآن

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)} [يوسف : ٨٠]

التفسير:

فلما يئسوا من إجابته إياهم لِمَا طلبوه انفردوا عن الناس، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم، قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُّنَّ أخاكم إلا أن تُغلبوا، ومن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغدركم به; لذلك لن أفارق أرض «مصر» حتى يأذن لي أبي في مفارقتها، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمكن مِن أَخْذِ أخي، والله خيرُ مَن حَكَمَ، وأعدل مَن فَصَلَ بين الناس.

قوله تعالى:{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ} [يوسف : ٨٠]، أي:" فلما يئسوا من إجابته إياهم لِمَا طلبوه انفردوا عن الناس"(٣٥٧٤).

قال ابن إسحاق:" يئسوا منه، ورأوا شدّته في أمره"(٣٥٧٥).

قوله تعالى:{ خَلَصُوا نَجِيًّا} [يوسف : ٨٠]، أي:" أخذوا يتشاورون فيما بينهم"(٣٥٧٦).

(٣٥٦٨) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٦٩) أخرجه الطبري(١٩٦١٤):ص٢٠٢/١٦.
(٣٥٧٠) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٧١) أخرجه الطبري(١٩٦١٥):ص٢٠٣/١٦.
(٣٥٧٢) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٧٣) أخرجه الطبري(١٩٦١٦):ص٢٠٣/١٦.
(٣٥٧٤) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٧٥) أخرجه الطبري(١٩٦١٧):ص٢٠٤/١٦.
(٣٥٧٦) التفسير الميسر:٢٤٥.

قال قتادة:" خلصوا وحدهم نجيًّا"[٣٥٧٧].

قال ابن إسحاق: "أي: خلا بعضهم ببعض، ثم قالوا: ماذا ترون؟"[٣٥٧٨]، " فقال روبيل كما ذكر لي، وكان كبير القوم: {ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ومن قبل ما فرطتم في يوسف} ،الآية"[٣٥٧٩].

قال السدي:" وأخلص لهم شمعون، وقد كان ارتهنه، خَلَوْا بينهم نجيًّا، يتناجون بينهم"[٣٥٨٠].

قوله تعالى:{قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} [يوسف : ٨٠]، أي:" قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُنَّ أخاكم إلا أن تُغلبوا"[٣٥٨١].

واختلف في المعني بقوله تعالى:{قَالَ كَبِيرُهُمْ} [يوسف : ٨٠]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم، وفيه قولان:

أحدهما: أنه شمعون الذي كان قد ارتهن يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم، وأما كبيرهم في الميلاد: روبيل. قاله مجاهد[٣٥٨٢].

والثاني: أنه روبيل، كان كبيرهم في العلم، ولم يكن بأكبرهم سنا. وهذا قول السدي[٣٥٨٣].

وروي عن السدي: "{قال كبيرهم} في العلم {إن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض}، الآية، فأقام روبيل بمصر، وأقبل التسعة إلى يعقوب، فأخبروه الخبرَ، فبكى وقال: يا بنيّ ما تذهبون مرَّة إلا نقصتم واحدًا! ذهبتم مرة فنقصتم يوسف، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، وذهبتم الآن فنقصتُم روبيل!"[٣٥٨٤].

القول الثاني : أنه عنى كبيرهم في السن، وهو روبيل ابن خالة يوسف، وهو الذي نهاهم عن قتله. قاله قتادة[٣٥٨٥]، وابن إسحاق[٣٥٨٦].

القول الثالث : أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا. قاله مجاهد-أيضا-[٣٥٨٧].

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله: {قال كبيرهم}: روبيل، لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنًّا. ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم:"فلان كبير القوم"، مطلقا بغير وصل، إلا أحد معنيين: إما في الرياسة عليهم والسؤدد، وإما في السن. فأما في العقل، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصَلوه، فقالوا:"هو كبيرهم في العقل". فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك، فلا يفهم إلا ما ذكرت.

وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعونوإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به على إخوته رياسةٌ وسؤدد، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله: {قال كبيرهم} فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر، وهو الكبر في السن، وقد قال الذين ذكرنا جميعًا: «روبيل كان أكبر القوم سنًّا»، فصح بذلك القول الذي اخترناه "[٣٥٨٨].

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي} [يوسف : ٨٠]، أي:" ومن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغدركم به، لذلك لن أفارق أرض «مصر» حتى يأذن لي أبي في مفارقتها"[٣٥٨٩].

قال ابن إسحاق:" {لن أبرح الأرض} التي أنا بها {حتى يأذن لي أبي}، أي: بالخروج"[٣٥٩٠].

(٣٥٧٧) أخرجه الطبري(١٩٦١٩):ص٢٠٥/١٦.
(٣٥٧٨) أخرجه الطبري(١٩٦٢٠):ص٢٠٥/١٦.
(٣٥٧٩) أخرجه الطبري(١٩٦٢٨):ص٢٠٧/١٦.
(٣٥٨٠) أخرجه الطبري(١٩٦١٨):ص٢٠٥/١٦.
(٣٥٨١) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢١)-(١٩٦٢٤):ص٢٠٦/١٦.
(٣٥٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٥٤):ص٢١٨١/٧.
(٣٥٨٤) أخرجه الطبري(١٩٦٢٧):ص٢٠٧/١٦.
(٣٥٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢٥):ص٢٠٦/١٦.
(٣٥٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢٨):ص٢٠٧/١٦.
(٣٥٨٧) النكت والعيون:٦٧/٣.
(٣٥٨٨) تفسير الطبري:٢٠٧/١٦-٢٠٨.
(٣٥٨٩) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٥٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٥٦):ص٢١٨٢/٧.

قال السدي:" فأقام روبيل بمصر، وأقبل التسعة إلى يعقوب، فأخبروه الخبر، فبكى وقال: يا بني ما تذهبون مرة إلا نقصتم واحدا! ذهبتم مرة فنقصتم يوسف، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، وذهبتم الآن فنقصتم روبيل!"[٣٥٩١].

قوله تعالى:{أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } [يوسف : ٨٠]، أي:" أو يقضي لي ربي بالخروج منها وأتمكن مِن أَخْذِ أخي، والله خيرُ مَن حَكَمَ، وأعدل مَن فَصَلَ بين الناس"[٣٥٩٢].

عن أبي صالح: "{أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي }، قال: بالسيف"[٣٥٩٣].

القرآن

{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)} [يوسف : ٨١]

التفسير:

ارجعوا أنتم إلى أبيكم، وأخبروه بما جرى، وقولوا له: إن ابنك «بنيامين» قد سرق، وما شهدنا بذلك إلا بعد أن تَيَقَّنَّا، فقد رأينا المكيال في رحله، وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على ردِّه.

قوله تعالى:{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} [يوسف : ٨١]، أي:" ارجعوا إلى أبيكم فأخبروه بحقيقة ما جرى وقولوا له إن ابنك بنيامين سَرَق"[٣٥٩٤].

عن ابن إسحاق: {ارجعوا إلى أبيكم}، فإني ما كنت راجعًا حتى يأتيني أمرُه، {فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق...}"[٣٥٩٥].

قوله تعالى:{وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا} [يوسف : ٨١]، أي:" ولسنا نشهد إلا بما تيقنا وعلمنا فقد رأينا الصاع في رَحْله"[٣٥٩٦].

عن إبراهيم:" أنه كره أن يكتب الرجل شهادته، فإذا استشهد شهد، ويقول: {ما شهدنا إلا بما علمنا}"[٣٥٩٧].

قال ابن إسحاق: " أي: قد وجدت السرقة في رحله، ونحن ننظر"[٣٥٩٨].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ} [يوسف : ٨١]، أي:" وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على ردِّه"[٣٥٩٩].

قال ابن إسحاق: " لا علم لنا بالغيب"[٣٦٠٠].

عن عكرمة: "{وما كنا للغيب حافظين}، قال: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق"[٣٦٠١].

قال قتادة:" ما كنا نرى أنه سيسرق"[٣٦٠٢].

قال مجاهد:" لم نشعر أنه سيسرق"[٣٦٠٣].

القرآن

{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)} [يوسف : ٨٢]

التفسير:

(٣٥٩١) أخرجه الطبري(١٩٦٢٧):ص٢٠٧:١٦، وابن ابي حاتم(١١٨٥٧):ص٢١٨٢/٧.[مختصرا]

(٣٥٩٢) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٥٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٥٨):ص٢١٨٢/٧.

(٣٥٩٤) صفوة التفاسير:٥٨/٢.

(٣٥٩٥) أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.

(٣٥٩٦) صفوة التفاسير:٥٨/٢.

(٣٥٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٨٦٠):ص٢١٨٢/٧.

(٣٥٩٨) أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.

(٣٥٩٩) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٦٠٠) أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.

(٣٦٠١) أخرجه الطبري(١٩٦٣٤):ص٢١١/١٦.

(٣٦٠٢) أخرجه الطبري(١٩٦٣٩):ص٢١٢/١٦.

(٣٦٠٣) أخرجه الطبري(١٩٦٣٥):ص٢١١/١٦.

ولما رجعوا وأخبروا أباهم بما حدث، وطلبوا منه أن يتوثق مما أخبروه قائلين: واسأل -يا أبانا- أهل «مصر» ، ومَن كان معنا في القافلة التي كنا فيها، وإنا صادقون فيما أخبرناك به.

قوله تعالى:{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} [يوسف : ٨٢]، أي:" واسأل أهل مصر عن حقيقة ما حدث"(٣٦٠٤).

قال ابن إسحاق:"قد عرف رُوبيل في رَجْع قوله لإخوته، أنهم أهلُ تُهمةٍ عند أبيهم، لما كانوا صنعوا في يوسف. وقولهم له: {اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها}، فقد علموا ما علمنا وشهدوا ما شهدنا، إن كنت لا تصدقنا، {وإنا لصادقون}"(٣٦٠٥).

قوله تعالى:{وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} [يوسف : ٨٢]، أي:" واسأل أيضاً القافلة التي جئنا معهم"(٣٦٠٦).

عن مجاهد:" {والعير}، قال: هي حمير"(٣٦٠٧).

القرآن

{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)} [يوسف : ٨٣]

التفسير:

قال لهم: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مكيدة دبَّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف، فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه، عسى الله أن يردَّ إليَّ أبنائي الثلاثة -وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه- إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف : ٨٣]، أي:" قال لهم: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مكيدة دبَّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف"(٣٦٠٨).

عن قتادة، قوله: "{بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل}، يقول: زينت"(٣٦٠٩).

قال ابن إسحاق:" لما جاءوا بذلك إلى يعقوب، يعني: بقول روبيل لهم، اتَّهمهم وظن أن ذلك كفعلتهم بيوسف، ثم قال: {بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا}، أي: بيوسف وأخيه وروبيل"(٣٦١٠).

قوله تعالى:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف : ٨٣]، أي:" فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه"(٣٦١١).

قال مجاهد:" صبر ليس فيه جزع"(٣٦١٢).

عن الحسن، قال: "الصبر الجميل: الذي ليس فوقه جزع إلا إلى الله"(٣٦١٣).

قوله تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} [يوسف : ٨٣]، أي:" عسى الله أن يردَّ إليَّ أبنائي الثلاثة -وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه-"(٣٦١٤).

قال قتادة وابن إسحاق:" أي: يوسف وأخيه وروبيل "(٣٦١٥).

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف : ٨٣]، أي:" إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره"(٣٦١٦).

(٣٦٠٤) صفوة التفاسير:٥٨/٢.
(٣٦٠٥) أخرجه الطبري(١٩٦٤٣):ص٢١٣/١٦.
(٣٦٠٦) صفوة التفاسير:٥٨/٢.
(٣٦٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٦٨):ص٢١٨٣/٧.
(٣٦٠٨) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٦٠٩) أخرجه الطبري(١٩٦٤٤):ص٢١٤/١٦.
(٣٦١٠) أخرجه الطبري(١٩٦٤٥):ص٢١٤/١٦.
(٣٦١١) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٦١٢) تفسير مجاهد: ٣٩٣.
(٣٦١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٩٩):ص٢١١٢/٧.
(٣٦١٤) التفسير الميسر:٢٤٥.
(٣٦١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٧٣)، و(١١٨٧٤):ص٢١٨٤/٧,
(٣٦١٦) التفسير الميسر:٢٤٥.

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٣٦١٧]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٣٦١٨].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٣٦١٩].

القرآن

{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)} [يوسف : ٨٤]

التفسير:

وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وابيضَّتْ عيناه، بذهاب سوادهما مِن شدة الحزن فهو ممتلئ القلب حزنًا، ولكنه شديد الكتمان له.

قوله تعالى:{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه"[٣٦٢٠].

قال ابن إسحاق:" أي: أعرض عنهم، وتتام حزنه وبلغ جهوده حين لحق بيوسف أخوه، وهيج عليه حزنه على يوسف"[٣٦٢١].

عن أبي روق، قال: لما احتبس يوسف أخاه بسبب السرقة، قال: كتب إليه يعقوب: من يعقوب بن إسحاق، بن إبراهيم خليل الله إلى يوسف عزيز فرعون، أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، إن أبي إبراهيم ألقي في النار فصبر فجعلها الله عليه بردا وسلاما، وإن أبي إسحاق قرب للذبح في الله فصبر، ففداه الله بذبح عظيم، وإن الله كان قد وهب لي قرة عين فسلبنيه لحمي على عظمي، فلا ليلي ليل ولا نهاري نهار والأسير الذي في يديك بما ادعى عليه من السرق أخوه لأمه فكنت إذا ذكرت أسفي عليه قربته مني فسلا عني بعض ما كنت أجد، وقد بلغني أنك حبسته بسبب سرقة فخل سبيله فإني لم ألد سارقا، وليس بسارق، السلام"[٣٦٢٢].

قوله تعالى:{وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وقال: يا حسرتا على يوسف"[٣٦٢٣].

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف : ٨٤]، وجوه:

أحدهما : معناه: يا جزعا على يوسف. قاله مجاهد[٣٦٢٤]، ومنه قول كثير :

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه ... وللنفس لما سليت فتسلّتِ

الثاني : يا حزنا على يوسف. قاله مجاهد[٣٦٢٥]، والضحاك[٣٦٢٦]، وقتادة[٣٦٢٧].

الثالث: معناه: يا جزعاه ، قاله مجاهد-أيضا-[٣٦٢٨].

وروي عن مجاهد:" يا جَزَعاه حزنًا"[٣٦٢٩].

ومنه قول حسان بن ثابت يرثي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[٣٦٣٠]:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت ... عليه وما تحت السلام المنضد

قال سعيد بن جبير:" ما أعطيت أمة مثل ما أعطيت هذه الأمة الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ألم تسمع إلى قول يعقوب: يا أسفى على يوسف ولو أعطيها أحد أعطيها يعقوب"[٣٦٣١].

(٣٦١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٣٦١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

(٣٦١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

(٣٦٢٠) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٦٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٧٦):ص٢١٨٤/٧-٢١٨٥.

(٣٦٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٧٧):ص٢١٨٥/٧.

(٣٦٢٣) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٦٢٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٧٩):ص٢١٨٥/٧.

(٣٦٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٤٨):ص٢١٥/١٦.

(٣٦٢٦) .انظر: تفسير الطبري(١٩٦٥٥):ص٢١٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٦٢٧) .انظر: تفسير الطبري(١٩٦٥١):ص٢١٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٦٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٤٨):ص٢١٥/١٦. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٣٦٢٩) أخرجه الطبري(١٩٦٤٩):ص٢١٦/١٦.

(٣٦٣٠) انظر: النكت والعيون:٦٩/٣.

قوله تعالى:{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وابيضَّتْ عيناه، بذهاب سوادهما مِن شدة الحزن"[٣٦٣٢].

روي عن مجاهد، قال:"ذهب بصره، وقال: له أجر سبعين شهيدا"[٣٦٣٣].

قوله تعالى:{فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف : ٨٤]، أي:" فهو ممتلئ القلب حزنًا، ولكنه شديد الكتمان له"[٣٦٣٤].

وفي قوله تعالى:{فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف : ٨٤]، وجوه:

أحدها : أنه الكمد، قاله الضحاك[٣٦٣٥]، ومجاهد-في إحدى الروايات- [٣٦٣٦].

الثاني : أنه مكروب. قاله عطاء الخراساني[٣٦٣٧].

الثالث : أنه المخفي لحزنه، قاله مجاهد[٣٦٣٨]، وقتادة [٣٦٣٩]، والسدي[٣٦٤٠]، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه.

قال قتادة:" أي: سكت، يكظم حزنه ويردده في جوفه"[٣٦٤١].

ومنه قول الشاعر[٣٦٤٢]:

فَحَضَضْتُ قومي واحتَسَبْتُ قتالهم ... والقومُ من خوفِ المَنايا كُظَّمُ

عن ليث بن أبي سليم:" أن جبريل دخل على يوسف في السجن فعرفه فقال له: أيها الملك الكريم على ربه هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم قال: ما فعل؟ قال: ابيضت عيناه من الحزن عليك، قال: فما بلغ من حزنه؟ قال حزن سبعين، قال: هل له على ذلك من أجر؟ قال نعم، أجر مائة شهيد"[٣٦٤٣].

عن عبيد بن عمير؛ قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ: {وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم}، بكى حتى انقطع، فركع"[٣٦٤٤].

وفي رواية: "لما انتهى إلى قوله: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}، بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف"[٣٦٤٥].

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)} [يوسف : ٨٥]

(٣٦٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨١):ص٢١٨٥/٧.

(٣٦٣٢) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٦٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٦):ص٢١٨٦/٧.

(٣٦٣٤) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٣٦٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٦)-(١٩٦٦٨):ص٢١٨/١٦.

(٣٦٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٤):ص٢١٧/١٦-٢١٨.

(٣٦٣٧) أخرجه الطبري(١٩٦٧٢):ص٢١٨/١٦.

(٣٦٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٠)-(١٩٦٦٣):ص٢١٧/١٦.

(٣٦٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٩)-(١٩٦٧١):ص٢١٧/١٦-٢١٨.

(٣٦٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٧/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٦٤١)أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٠):ص٢١٨٧/٧ .

(٣٦٤٢) انظر: البيت لعبد المطلب بن هاشم في الكشف والبيان:١٦٦/٣، البحر المحيط في التفسير:٢٤٩/٩، وغير منسوب في النكت والعيون:٧٠/٣، وتفسير القرطبي:٢٤٩/٩،

(٣٦٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٤):ص٢١٨٦/٧.

(٣٦٤٤)أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص١٣٧) من طريق النضر بن إسماعيل، عن ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، به. وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو صدوق، إلا أنه سيء الحفظ جدا كما في "التقريب" (٦١٢١).

وذكر ابن حجر في "فتح الباري" (٢/ ٢٠٦) أن ابن المنذر أخرجه من طريق عبيد بن عمير.

ولم ينفرد به ابن أبي ليلى.

فقد أخرجه أبو عبيد في الموضع السابق من طريق ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن علقمة بن وقاص، عن عمر مثله، إلا أنه ذكر صلاة العتمة بدل الفجر.

وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ثقة فقيه فاضل، إلا أنه كان يدلس كما في "التقريب" (٤٢٢١)، ولم يصرح بالسماع.

(٣٦٤٥) أخرجها عبد الرزاق في "المصنف" (٢٧١٦)، وسعيد بن منصور في "سننه" (١١٣٨ / التفسير)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٥٥١٦)، جميعهم من طريق عبد الله بن شداد بن الهاد؛ قال: "سمعت نشيج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني لفي آخر الصفوف: {قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}". وسنده صحيح.

التفسير:
قال بنوه: تالله ما تزال تتذكر يوسف، ويشتدُّ حزنك عليه حتى تُشْرِف على الهلاك أو تهلك فعلا فخفف عن نفسك.

قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ} [يوسف : ٨٥]، أي:" قال بنوه: تالله ما تزال تتذكر يوسف وتتفجع عليه"[٣٦٤٦].

قال السدي:" أما «تفتؤ»: فتزال"[٣٦٤٧].

قوله تعالى:{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} [يوسف : ٨٥]، أي:" حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك"[٣٦٤٨].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} [يوسف : ٨٥]، وجوه:

أحدها : يعني هرماً ، قاله الحسن[٣٦٤٩].

الثاني : دنفاً من المرض ، وهو ما دون الموت ، قاله مجاهد[٣٦٥٠]، والسدي[٣٦٥١].

الثالث : أنه الفاسد العقل، قاله محمد بن إسحاق[٣٦٥٢].

قال أبو الصخر:" أما «الحرض»، فيقولون: لا يعقل ولا ينتفع به"[٣٦٥٣].

وقال الضحاك:" «الحرض»: الشيء البالي"[٣٦٥٤].

قوله تعالى:{أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف : ٨٥]، أي:" أو تهلك أسىً وحسرة وتموت"[٣٦٥٥].

عن مجاهد[٣٦٥٦]، والحسن[٣٦٥٧]، والضحاك[٣٦٥٨]، والربيع بن أنس[٣٦٥٩]، وقتادة[٣٦٦٠]، والسدي[٣٦٦١]، في قوله:" {أو تكون من الهالكين}، قالوا: "من الميتين"[٣٦٦٢].

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)} [يوسف : ٨٦]

التفسير:
قال يعقوب مجيبًا لهم: لا أظهر همِّي وحزني إلا لله وحده، فهو كاشف الضرِّ والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمونه.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف : ٨٦]، أي:" قال لهم يعقوب: لستُ أشكو غميّ وحزني إليكم وإنما أشكو ذلك إلى الله فهو الذي تنفع الشكوى إليه"[٣٦٦٣].

عن الحسن: "{إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}، قال: حاجتي وحزني إلى الله"[٣٦٦٤].

(٣٦٤٦) انظر: التفسير الميسر: ٢٤٥، وصفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٣):ص٢١٨٧/٧.
(٣٦٤٨) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٤٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٦):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٨٤):ص٢٢٢/١٦.
(٣٦٥١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٥):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٥٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٩):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٧):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٨):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٥٥) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠١):ص٢٢٤/١٦.
(٣٦٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٥):ص٢٢٤/١٦.
(٣٦٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٣)، و(١٩٧٠٤):ص٢٢٤/١٦-٢٢٥.
(٣٦٥٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢١٨٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٦٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٦):ص٢٢٤/١٦.
(٣٦٦١) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٨):ص٢٢٤/١٦.
(٣٦٦٢) تفسير ابن ابي حاتم(١١٩٠٠):ص٢١٨٨/٧.
(٣٦٦٣) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٦٤) أخرجه الطبري(١٩٧١١):ص٢٢٦/١٦.

قال ابن إسحاق:" قال يعقوب عَنْ عِلْمٍ بالله: {إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}، لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لَفْظهم له: لم أشك ذلك إليكم، {وأعلم من الله ما لا تعلمون}"[٣٦٦٥].

قوله تعالى:{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف : ٨٦]، أي:" أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون أنتم"[٣٦٦٦].

قال السدي:" لما أخبروه بدعاء الملك، أحسَّت نفسُ يعقوب، وقال: ما يكون في الأرض صِدِّيق إلا نبيّ! فطمع قال: لعله يوسف"[٣٦٦٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنَ ظنّه بالله من ورائه"[٣٦٦٨].

قال الحسن:" قيل: ما بلغ وجدُ يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثكلى! . قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيدٍ. قال: وما ساء ظنه بالله ساعةً من ليل ولا نهار"[٣٦٦٩].

عن طلحة بن مصرِّف الإيامي قال:"ثلاثة لا تذْكُرْهنّ واجتنب ذكرهُنّ: لا تشك مَرَضَك، ولا تَشكُّ مصيبتك، ولا تزكِّ نفسك. قال: وأنبئت أنّ يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له، فقال له: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيتَ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هَشَمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره! فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتُها، فاغفرها لي! قال: فإني قد غفرت لك. وكان بعد ذلك إذا سئل قال، {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}"[٣٦٧٠].

عن حبيب بن أبي ثابت، قال:" بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجبَاه على وجنتيه، فكان يرفعهما بخِرْقَة، فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ قال: خطيئة فاغفرها"[٣٦٧١].

قال ثور بن يزيد: "دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجبَاه على عينيه، فقال: ما بلغ بك هذا يا إبراهيم؟ فقالوا: إنّه يعقوب، فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فقال الله: يا يعقوب أتشكوني؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي"[٣٦٧٢].

قال مجاهد:" حُدّثت أن جبريل أتى يوسف صلى الله عليه وسلم وهو بمصر في صورة رجل، فلما رآه يوسف عرَفه، فقام إليه: فقال: أيها الملك الطيبُ ريحه، الطاهرُ ثيابه، الكريم على ربه، هل لك بيعقوب من علم؟ قال: نعم! قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فكيف هو؟ قال: ذهب بصره. قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، وما الذي أذهب بصره؟ قال: الحزنُ عليك. قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فما أعطي على ذلك؟ قال: أجر سبعين شهيدًا"[٣٦٧٣].

قال أبو شريح: "سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبريل: ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره؟ قال: أجر سبعين شهيدًا"[٣٦٧٤].

عن عبيد الله بن أبي جعفر قال:" دخل جبريل على يوسف في البئر أو في السجن، فقال له يوسف: يا جبريل، ما بلغ حزن أبي؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قال: أجر مئة شهيدٍ"[٣٦٧٥].

وهب بن منبه يقول: أتى جبريل يوسف بالبشرى وهو في السجن. فقال: هل تعرفني أيها الصِّدِّيق؟ قال: أرى صورة طاهرة ورُوحًا طيبة لا تشبه أرواح الخاطئين. قال: فإني رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين. قال: فما الذي أدخلك على مُدْخَل المذنبين، وأنت أطيب الطيبين، ورأس المقربين، وأمين رب

(٣٦٦٥) أخرجه الطبري(١٩٧١٠):ص٢٢٦/١٦.
(٣٦٦٦) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٦٧) أخرجه الطبري(١٩٧١٦):ص٢٢٧/١٦.
(٣٦٦٨) أخرجه الطبري(١٩٧١٧):ص٢٢٧/١٦.
(٣٦٦٩) أخرجه الطبري(١٩٧١٨):ص٢٢٧/١٦.
(٣٦٧٠) أخرجه الطبري(١٩٧١٩):ص٢٢٧/١٦-٢٢٨.
(٣٦٧١) أخرجه الطبري(١٩٧٢٠):ص٢٢٨/١٦.
(٣٦٧٢) أخرجه الطبري(١٩٧٢١):ص٢٢٨/١٦.
(٣٦٧٣) أخرجه الطبري(١٩٧٢٤):ص٢٢٩/١٦.
(٣٦٧٤) أخرجه الطبري(١٩٧٢٥):ص٢٢٩/١٦.
(٣٦٧٥) أخرجه الطبري(١٩٧٢٦):ص٢٢٩/١٦.

العالمين؟ قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله يطّهر البيوت بطُهْر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرَضِين، وأن الله قد طهَّر بك السجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن المطهَّرين؟ إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلَصِين! قال: كيف لي باسم الصّدِّيقين، وتعدُّني من المخلصين، وقد أدخلت مُدْخَل المذنبين، وسميت في الضالين المفسدين؟ قال: لم يُفْتَتَنْ قلبُك، ولم تطع سيدتك في معصية ربك، ولذلك سمَّاك الله في الصديقين، وعدّك من المخلَصين، وألحقك بآبائك الصالحين. قال: لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك، فهو كظيم. قال: فما قَدْرُ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: قدر مئة شهيدٍ"[٣٦٧٦].

قال السدي:" أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلّم عليه، وجاءه في صورة رجلٍ حسن الوجه طيّب الريح نقيّ الثياب، فقال له يوسف: أيها المَلَك الحسن وجهه، الكريم على ربه، الطيب ريحه، حدثني كيف يعقوب؟ قال: حزن عليك حزنًا شديدًا. قال: وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة. قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر سبعين أو مئة شهيدٍ. قال يوسف: فإلى من أوَى بعدي؟ قال: إلى أخيك بنيامين. قال: فتراني ألقاه أبدًا؟ قال: نعم. فبكى يوسف لما لقي أبوه بعده، ثم قال: ما أبالي ما لقيت إن اللهُ أرانيه"[٣٦٧٧].

عن الحسن، قال:" "كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه، يبكي حتى ذهبَ بصره. قال الحسن: والله ما على الأرض يومئذ خليقةٌ أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم"[٣٦٧٨].

عن عبد الرحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من بثَّ لم يصبر، ثم قرأ: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}"[٣٦٧٩].

القرآن

{يَا بَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)} [يوسف : ٨٧]

التفسير:

قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله، إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.

قوله تعالى:{يَا بَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} [يوسف : ٨٧]، أي:" قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه"[٣٦٨٠].

عن السدي: "{يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه}، بمصر"[٣٦٨١].

قال ابن إسحاق:" ثم إن يعقوب قال لبنيه، وهو على حسن ظنه بربه مع الذي هو فيه من الحزن: {يا بني اذهبوا} إلى البلاد التي منها جئت{ فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله}، أي من فرجه{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}"[٣٦٨٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} [يوسف : ٨٧]، أي:" ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله"[٣٦٨٣].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} [يوسف : ٨٧]، وجهان:

أحدهما : من فرج الله ، قاله ابن زيد[٣٦٨٤]، ومحمد بن إسحاق[٣٦٨٥].

(٣٦٧٦) أخرجه الطبري(١٩٧٢٧):ص١٦/٢٢٩-٢٣٠.
(٣٦٧٧) أخرجه الطبري(١٩٧٢٩):ص١٦/٢٣٠-٢٣١.
(٣٦٧٨) أخرجه الطبري(١٩٧٣٣):ص١٦/٢٣١-٢٣٢.
(٣٦٧٩) أخرجه الطبري(١٩٧٣٢):ص١٦/٢٣١.
(٣٦٨٠) التفسير الميسر:٢٤٦.
(٣٦٨١) أخرجه الطبري(١٩٧٣٤):ص١٦/٢٣٣.
(٣٦٨٢) أخرجه الطبري(١٩٧٣٧):ص١٦/٢٢٣.
(٣٦٨٣) التفسير الميسر:٢٤٦.
(٣٦٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٣٩):ص١٦/٢٣٣.
(٣٦٨٥) انظر: تفسير الطبري(١١٩١٢):ص٧/٢١٩٠.

الثاني : من رحمة الله ، قاله الضحاك[٣٦٨٦]، وقتادة[٣٦٨٧].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف : ٨٧]، أي:" إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به"[٣٦٨٨].
قال ابن إسحاق:" أي: من فرجة الله إلا القوم الكافرون"[٣٦٨٩].

القرآن
{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)} [يوسف : ٨٨]
التفسير:
فذهبوا إلى «مصر» ، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجدب، وجئناك بثمن رديء قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، وتصدَّقْ علينا بقبض هذه الدراهم الرديئة القليلة وتسامح معنا فيها، إن الله تعالى يثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم.
قوله تعالى:{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ} [يوسف : ٨٨]، أي:" فخرجوا راجعين إلى مصر فدخلوا على يوسف فلما دخلوا قالوا يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الشدة من الجدب والقحط، وجئنا ببضاعة رديئة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا"[٣٦٩٠].
وفي بضاعتهم هذه خمسة أقوال:
أحدها : أنها كانت دراهم ، قاله مجاهد[٣٦٩١]، عكرمة[٣٦٩٢]، وعطية[٣٦٩٣]،والسدي[٣٦٩٤].
قال مجاهد: "الدراهم الرُّذال، التي لا تجوز إلا بنقصان"[٣٦٩٥].
وقال عكرمة: "دراهم فُسُول"[٣٦٩٦].
وقال عطية:" دراهم ليست بطائل"[٣٦٩٧].
قال السدي: "دراهم فيها جَواز"[٣٦٩٨].
الثاني : متاع الأعراب، صوف وسمن ، قاله عبدالله بن الحارث[٣٦٩٩].
الثالث : الصنوبر والحبة الخضراء، قاله أبو صالح[٣٧٠٠].
الرابع : سويق المقل . قاله الضحاك[٣٧٠١].
وفي «المزجاة»، وجوه من التفسير:
أحدها : أنها الرديئة ، قاله سعيد بن جبير[٣٧٠٢]، وعكرمة[٣٧٠٣].
عن مجاهد قال: "الدراهم الرُّذال، التي لا تجوز إلا بنقصان"[٣٧٠٤].

(٣٦٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٣٨):ص٢٣٣/١٦.
(٣٦٨٧) انظر: تفسير الطبري(١١٩١١):ص٢١٩٠/٧.
(٣٦٨٨) التفسير الميسر:٢٤٦.
(٣٦٨٩)أخرجه ابن أبي حاتم(١١٩١٣):ص٢١٩٠/٧ .
(٣٦٩٠) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٦٩١) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.
(٣٦٩٢)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٨):ص٢٣٦/١٦.
(٣٦٩٣)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٩):ص٢٣٨/١٦.
(٣٦٩٤)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
(٣٦٩٥) أخرجه الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.
(٣٦٩٦) أخرجه الطبري(١٩٧٤٨):ص٢٣٦/١٦. «فسول»: جمع" فسل" (بفتح فسكون) : وهو الردئ الرذل من كل شيء. يقال:" دراهم فسول"، أي: زيوف
(٣٦٩٧) أخرجه الطبري(١٩٧٥٩):ص٢٣٨/١٦.
(٣٦٩٨) أخرجه الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
(٣٦٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥١)، و(١٩٧٥٢):ص٢٣٧/١٦.
(٣٧٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٣):ص٢٣٧/١٦.
(٣٧٠١) انظر: النكت والعيون:٧٣/٣.
(٣٧٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٧):ص٢٣٨/١٦.
(٣٧٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٠):ص٢٣٧/١٦.

عن السدي قال: "دراهم فيها جَوازٌ"[٣٧٠٥].
الثاني : الكاسدة ، قاله الضحاك[٣٧٠٦].
الثالث :الناقصة. قاله سعيد بن جبير[٣٧٠٧]، وعكرمة[٣٧٠٨].
وروي عن سعيد بن جبير قال:"فسول"[٣٧٠٩].
الرابع: القليلة ، قاله الحسن[٣٧١٠]، مجاهد[٣٧١١]، وقتادة[٣٧١٢]، وإبراهيم[٣٧١٣]، وابن إسحاق[٣٧١٤].
قال ابن إسحاق : "أي: قليلة، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به، إلا أن يتجاوز لهم فيها، وقد رأوا ما نزل بأبيهم، وتتابعَ البلاء عليه في ولده وبصره، حتى قدموا على يوسف"[٣٧١٥].
وفي رواية اخرى لابن اسحاق:" أي: قليلة لا تبلغ ما كنا نشتري به منك، إلا أن تتجاوز لنا فيها"[٣٧١٦].
قوله تعالى:{فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} [يوسف : ٨٨]، أي:" أتمم لنا الكيل ولا تنقصْه لرداءة بضاعتنا"[٣٧١٧].
وفي قوله تعالى:{فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} [يوسف : ٨٨]، وجهان:
أحدهما : الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم ، وهو قول ابن جريج[٣٧١٨].
الثاني : مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل ، قاله السدي[٣٧١٩]، وابن إسحاق[٣٧٢٠].
قال السدي:" كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد"[٣٧٢١].
قال ابن إسحاق:" أي: أعطنا ما كنت تعطينا قَبْلُ، فإن بضاعتنا مزجاة"[٣٧٢٢].
قوله تعالى:{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف : ٨٨]، أي:" وتسامح معنا فيها"[٣٧٢٣].
وفي قوله تعالى:{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف : ٨٨]، أقوال:
أحدها: معناه: تفضل علينا بما بين الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير[٣٧٢٤]، والسدي[٣٧٢٥]، والحسن[٣٧٢٦]، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء.
عن عثمان بن الأسود، قال: "سمعت مجاهدًا، وسئل: هل يُكْرَهُ أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدّق عليّ؟ فقال: نعم، إنما الصَّدقة لمن يبغي الثوابَ"[٣٧٢٧].
الثاني : تصدق علينا بالزيادة على حقنا، وهذا معنى قول مجاهد[٣٧٢٨].

(٣٧٠٤) أخرجه الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.
(٣٧٠٥) أخرجه الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
(٣٧٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٩)-(١٩٧٧٢):ص٢٣٩/١٦.
(٣٧٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٨)، و(١٩٧٧٣):ص٢٣٦/١٦، ٢٣٩.
(٣٧٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٧):ص٢٣٩/١٦.
(٣٧٠٩) أخرجه الطبري(١٩٧٦٧):ص٢٣٩/١٦.
(٣٧١٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٧):ص٢٣٨/١٦.
(٣٧١١) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٠):ص٢٣٨/١٦.
(٣٧١٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٧):ص٢٤٠/١٦.
(٣٧١٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٤):ص٢٣٧/١٦.
(٣٧١٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٠):ص٢٣٤/١٦.
(٣٧١٥) أخرجه الطبري(١٩٧٤٠):ص٢٣٤/١٦.
(٣٧١٦)أخرجه الطبري(١٩٧٨٠):ص٢٤٠/١٦ .
(٣٧١٧) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٣٧١٨) انظر: النكت والعيون:٧٣/٣.
(٣٧١٩) أخرجه الطبري(١٩٧٨٢):ص٢٤١/١٦.
(٣٧٢٠) أخرجه الطبري(١٩٧٨١):ص٢٤١/١٦.
(٣٧٢١) أخرجه الطبري(١٩٧٨٢):ص٢٤١/١٦.
(٣٧٢٢) أخرجه الطبري(١٩٧٨١):ص٢٤١/١٦.
(٣٧٢٣) التفسير الميسر:٢٤٦.
(٣٧٢٤)انظر: انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٩٣٣):ص٢١٩٣/٧ ، وتفسير الطبري(١٩٧٨٤):ص٢٤١/١٦ .
(٣٧٢٥)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٨٣):ص٢٤١/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٩٣٣):ص٢١٩٣/٧ .
(٣٧٢٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٩٣٢):ص٢١٩٣/٧.
(٣٧٢٧) أخرجه الطبري(١٩٧٨٨):ص٢٤٣/١٦.
(٣٧٢٨) انظر: النكت والعيون:٧٣/٣، وتفسير القرطبي:٢٥٤/٩.

قال مجاهد : "ولم تحرم الصدقة إلا على محمد - صلى الله عليه وسلم – وحده"[٣٧٢٩].
الثالث: تصدق علينا برد أخينا إلينا ، قاله ابن جريج[٣٧٣٠]، وكره للرجل أن يقول في دعائه : اللهم تصدّق عَليّ ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب .
الرابع : معناه: لا تنقصنا من السعر من أجل رديّ دراهمنا. قاله سعيد بن جبير"[٣٧٣١].
وقال سعيد بن جبير:" ما سأل نبيٌّ قطُّ الصَّدقَة، ولكنهم قالوا:{جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا}، لا تنقصنا من السعر"[٣٧٣٢].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف : ٨٨]، أي:" إن الله تعالى يثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم"[٣٧٣٣].
قال الشافعي رحمه الله: "وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان، فسلم؛ ثم قال: أي - رحمك الله -؛ إنه مرت بنا سنون ثلاث، فأما إحداها: فأكلت المواشي؛ وأما الثانية: فانضت اللحم؛ وأما الثالثة: فخلصت إلى العظم، فإن يك عندك مال الله؛ فأعطه عباد الله، وإن يك لك: فتصدق علينا {إن الله يجزي المتصدقين} الآية، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا، ما حرمنا أحدا"[٣٧٣٤].

القرآن
{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)} [يوسف : ٨٩]
التفسير:
فلما سمع مقالتهم رقَّ لهم، وعرَّفهم بنفسه وقال: هل تذكرون الذي فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى في حال جَهْلكم بعاقبة ما تفعلون؟
عن ابن إسحاق، قال:" ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه، فارفض دمعه باكيا، ثم باح لهم بالذي يكتم منهم، فقال: {هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون}؟ ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه، إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا"[٣٧٣٥].
عن السدي: "{فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر}، الآية، قال: فرحمهم عند ذلك، فقال لهم: {هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون}؟"[٣٧٣٦].

القرآن
{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)} [يوسف : ٩٠]
التفسير:
قالوا: أإنَّك لأنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف، وهذا شقيقي، قد تفضَّل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفرقة، إنه من يتق الله، ويصبر على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء.
قوله تعالى:{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ} [يوسف : ٩٠]، أي:" قالوا: أإنَّك لأنت يوسف؟"[٣٧٣٧].
عن ابن إسحاق، قال:" لما قال لهم ذلك- يعني قوله: {هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون} - كشف الغطاء فعرفوه، فقالوا: {أإنك لأنت يوسف}، الآية"[٣٧٣٨].

(٣٧٢٩) انظر: النكت والعيون:٣/٧٣، وتفسير القرطبي:٩/٢٥٤.
(٣٧٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٨٧):ص١٦/٢٤٢.
(٣٧٣١) أخرجه الطبري(١٩٧٨٤):ص١٦/٢٤١ .
(٣٧٣٢) أخرجه الطبري(١٩٧٨٥):ص١٦/٢٤١-٢٤٢.
(٣٧٣٣) التفسير الميسر:٢٤٦.
(٣٧٣٤) تفسير الإمام الشافعي:٢/٩٨٣.
(٣٧٣٥) أخرجه الطبري(١٩٧٨٩):ص١٦/٢٤٣.
(٣٧٣٦) أخرجه الطبري(١٩٧٩٠):ص١٦/٢٤٤.
(٣٧٣٧) التفسير الميسر:٢/٥٩.
(٣٧٣٨) أخرجه الطبري(١٩٧٩١):ص١٦/٢٤٥.

قوله تعالى:{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٩٠]، أي:" إنه من يتق الله، ويصبر على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء"[٣٧٣٩].

عن مجاهد، قوله: "{إنه من يتق ويصبر}، يقول: من يتق معصية الله، ويصبر على السجن"[٣٧٤٠].

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)} [يوسف : ٩١]

التفسير:

قالوا: تالله لقد فَضَّلك الله علينا وأعزَّك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمدًا بك وبأخيك.

قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف : ٩١]، أي:" قالوا: تالله لقد فَضَّلك الله علينا وأعزَّك بالعلم والحلم والفضل"[٣٧٤١].

عن ابن إسحاق: "{آثرك الله علينا}، أي: فضلك الله علينا"[٣٧٤٢].

عن قتادة قوله: "{قالوا تالله لقد آثرك الله علينا}، وذلك بعد ما عرفهم نفسه، لقوا رجلا حليما"[٣٧٤٣].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} [يوسف : ٩١]، أي:" وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمدًا بك"[٣٧٤٤].

عن ابن إسحاق: "{وإن كنا لخاطئين}، أي: فيما صنعنا بك"[٣٧٤٥].

القرآن

{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)} [يوسف : ٩٢]

التفسير:

قال لهم يوسف: لا تأنيب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته.

قوله تعالى:{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [يوسف : ٩٢]، أي:" قال لهم يوسف: لا تأنيب عليكم اليوم"[٣٧٤٦].

قال عطاء الخراساني:" طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف: لا تثريب عليكم اليوم. وقال يعقوب سوف أستغفر لكم ربي"[٣٧٤٧].

قال قتادة:" لقوا رجلا حليما لم يبث ولم يثرب عليهم أعمالهم"[٣٧٤٨].

عن مجاهد: "{لا تثريب عليكم اليوم}، قال: لا أباء"[٣٧٤٩].

قال ابن إسحاق:" أي: لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم"[٣٧٥٠].

عن قتادة قوله: "{لا تثريب عليكم} ، لم يثرِّب عليهم أعمالهم"[٣٧٥١].

قال السدي:" اعتذروا إلى يوسف فقال: {لا تثريب عليكم اليوم}، يقول: لا أذكر لكم ذنبكم"[٣٧٥٢].

قوله تعالى:{يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٩٢]، أي:" وأرجو الله- تعالى- أن يغفر لكم ما فرط منكم من ذنوب، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته"[٣٧٥٣].

(٣٧٣٩) التفسير الميسر:٢/٥٩.
(٣٧٤٠) أخرجه الطبري(١٩٧٩٢):ص١٦/٢٤٥.
(٣٧٤١) التفسير الميسر:٢/٥٩.
(٣٧٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٤):ص٧/٢١٩٤.
(٣٧٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٣):ص٧/٢١٩٤.
(٣٧٤٤) التفسير الميسر:٢/٥٩.
(٣٧٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٥):ص٧/٢١٩٤.
(٣٧٤٦) التفسير الميسر:٢/٥٩.
(٣٧٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٠):ص٧/٢١٩٥.
(٣٧٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٧):ص٧/٢١٩٥.
(٣٧٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٦):ص٧/٢١٩٥.
(٣٧٥٠) أخرجه الطبري(١٩٧٩٧):ص١٦/٢٤٧.
(٣٧٥١) أخرجه الطبري(١٩٧٩٥):ص١٦/٢٤٧.
(٣٧٥٢) أخرجه الطبري(١٩٧٩٨):ص١٦/٢٤٧.
(٣٧٥٣) التفسير الوسيط للطنطاوي:٧/٤١٣.

عن ابن إسحاق: "{يغفر الله وهو أرحم الراحمين}، حين اعترفوا بذنبهم"[٣٧٥٤].

قال جعفر: "سمعت ابنا عمران الجوني، يقولان: أما والله ما سمعنا بعفو قط مثل عفو يوسف، قال: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين}"[٣٧٥٥].

قال مالك بن دينار: "أرسل رجل إلى عشرة من أهل البصرة أنا فيهم والحسن، فسلمنا عليه ثم إن الحسن حمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله أن يذكر، حتى أتى على ذكر يوسف وما ارتكب منه إخوته فعرفهم نفسه، ثم استقبلهم بالعفو عنهم، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم. فرضي الله به منه عملا وأثبته في كتابه، ليؤخذ به من بعده، فقال الأمير: لو صار أن أجللكم ببردي هذا ما أصابكم شيء أبدا"[٣٧٥٦].

القرآن

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)} [يوسف : ٩٣]

التفسير:

ولما سألهم عن أبيه أخبروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطرحوه على وجه أبي يَعُدْ إليه بصره، ثم أحضروا إليَّ جميع أهلكم.

قوله تعالى:{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} [يوسف : ٩٣]، أي:" فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطرحوه على وجه أبي يَعُدْ إليه بصره"[٣٧٥٧].

قال عامر:" كان في قميص يوسف ثلاث آيات، حين قد قميصه من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا"[٣٧٥٨].

قال السدي:" ثم قال لهم ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين. وقال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص إلى يعقوب وهو متلطخ بالدماء وقلت إن يوسف قد أكله الذئب، أنا اليوم أذهب إليه بالقميص وأخبره أن يوسف حي، فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير"[٣٧٥٩].

قال المطلب بن عبد الله بن حنطب: "لما ألقي إبراهيم في النار كساه الله قميصا من قمص الجنة وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكساه يعقوب يوسف، فطواه وجعله في قصبة فضة فجعله في عنقه، وكان في عنقه حين ألقي في الجب وحين سجن وحين دخل عليه إخوته، وأخرج القميص من القصبة فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا فشم يعقوب ريح الجنة وهو بأرض كنعان بفلسطين فقال :{إني لأجد ريح يوسف}"[٣٧٦٠].

قوله تعالى:{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} [يوسف : ٩٣]، أي:" ثم أحضروا إليَّ جميع أهلكم"[٣٧٦١].

قال مسروق:" دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مائة وتسعون من بين رجل وامرأة"[٣٧٦٢].

قال جعفر بن سليمان: سمعت فرقدا يقول: "لما بعث يوسف بالقميص إلى يعقوب، أخذه فشمه ثم وضعه على بصره فرد الله عليه بصره، ثم حملوه إليه فلما دخلوا- ويعقوب متكئ على ابن له يقال له- يهوذا استقبله يوسف في الجنود والناس، فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا يا أبت، ولكن هذا ابنك يوسف قيل له إنك قادم فتلقاك في أهل مملكته والناس، قال: فلما لقيه ذهب يوسف ليبدأه بالسلام فمنع ذلك، ليعلم أن يعقوب أكرم على الله منه فاعتنقه وقبله وقال: السلام عليك أيها الذاهب الأحزان"[٣٧٦٣].

(٣٧٥٤) أخرجه الطبري(١٩٧٩٩):ص٢٤٧/١٦.
(٣٧٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥١):ص٢١٩٥/٧.
(٣٧٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٢):ص٢١٩٥/٧.
(٣٧٥٧) التفسير الميسر:٥٩/٢.
(٣٧٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٤):ص٢١٩٦/٧.
(٣٧٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٥):ص٢١٩٦/٧.
(٣٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٦):ص٢١٩٦/٧.
(٣٧٦١) التفسير الميسر: ٢٤٦.
(٣٧٦٢) أخرجه الطبري(١٩٩٣٨):ص٢٧٦/١٦.
(٣٧٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٨):ص٢١٩٦/٧-٢١٩٧.

القرآن

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)} [يوسف : ٩٤]

التفسير:

ولما خرجت القافلة من أرض «مصر» ، ومعهم القميص قال يعقوب لمن حضره: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسفهوني وتسخروا مني، وتزعموا أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور.

قوله تعالى:{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ} [يوسف : ٩٤]، أي:" ولما خرجت القافلة من أرض «مصر» ومعهم القميص"[٣٧٦٤].

عن السدي قال: "{ولما فصلت العير}. من مصر منطلقة إلى الشام"[٣٧٦٥].

قوله تعالى:{قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ} [يوسف : ٩٤]، أي:" قال يعقوب لمن حضره: إني لأشمّ رائحة يوسف"[٣٧٦٦].

عن ابن أبي الهذيل قال: "سئل ابن عباس وأنا إلى جنبه، من كم وجد يعقوب ريح القميص؟، عن قول الله :{إني لأجد ريح يوسف}، قال: وجده من مسيرة ثمانين فرسخا، قال ابن أبي الهذيل: وهو ما بين البصرة والكوفة"[٣٧٦٧].

قال السدي:" فلما فصلت العير من مصر منطلقة إلى الشام وجد يعقوب ريح يوسف وهو قوله: قال أبوهم لبني بنيه {إني لأجد ريح يوسف}"[٣٧٦٨].

قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} [يوسف : ٩٤]، أي:" لولا أن تسفهوني وتنسبوني إلى الخَرَف"[٣٧٦٩].

وفي قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} [يوسف : ٩٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : لولا أن تسفهون، قاله مجاهد-في إحدى الروايات-[٣٧٧٠]، وعطاء[٣٧٧١]، وقتادة[٣٧٧٢]، ومنه قول النابغة الذبياني[٣٧٧٣]:

إلا سليمان إذ قال المليكُ له ... قم في البرية فا جددها عن الفنَد

أي أمنعها من الفساد[٣٧٧٤].

الثاني : معناه لولا أن تكذبون ، قاله سعيد بن جبير[٣٧٧٥]، ومجاهد[٣٧٧٦]، والضحاك[٣٧٧٧]، ومنه قول الشاعر :

هل في افتخار الكريم من أود ... أم هل لقول الصديق من فند

أي: من كذب.

وقال عطاء:" تسفهون أو تكذبون"[٣٧٧٨].

الثالث : لولا أن تهرِّمون. قاله الحسن[٣٧٧٩]، ومجاهد[٣٧٨٠].

(٣٧٦٤) التفسير الميسر: ٢٤٦.

(٣٧٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٦٠):ص٢١٩٧/٧.

(٣٧٦٦) انظر: التفسير الميسر:٢٤٦، وصفوة التفاسير:٦١/٢.

(٣٧٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٦٤):ص٢١٩٧/٧.

(٣٧٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٦٥):ص٢١٩٧/٧-٢١٩٨.

(٣٧٦٩) انظر: التفسير الميسر:٢٤٦، وصفوة التفاسير:٦١/٢.

(٣٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٢٠):ص٢٥٣/١٦.

(٣٧٧١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١٩٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٧٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٢٧):ص٢٥٣/١٦.

(٣٧٧٣)ديوانه: ٢٩، من قصيدته التي قالها يذكر النعمان ويعتذر إليه، وقبل البيت:

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ... ولا أحاشي من الأقوام من أحد

حَدَدْتُ فلانا عن الشر: منعته وحبسته. والفند: الخطأ في الرأى وفي القول.

(٣٧٧٤) انظر: الكشف والبيان:٢٥٥/٥-٢٥٦..

(٣٧٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٣٧):ص٢٥٤/١٦.

(٣٧٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٣٩):ص٢٥٥/١٦.

(٣٧٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٤٠):ص٢٥٥/١٦.

(٣٧٧٨) أخرجه الطبري(١٩٨٤٢):ص٢٥٥/١٦.

(٣٧٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٤٦):ص٢٥٥/١٦.

(٣٧٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٤٤):ص٢٥٥/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٩٦٨):ص٢١٩٨/٧.

الرابع: لولا أن تضعّفون ، قاله ابن إسحاق[٣٧٨١].
الخامس : يعني: لولا أن تجهلون. قاله مجاهد –أيضا-[٣٧٨٢].
وأصل«التفنيد»: الإفساد. وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد، لأن أصل ذلك كله الفساد والفساد في الجسم: الهرمُ وذهاب العقل والضعف،وفي الفعل: الكذب واللوم بالباطل، ولذلك قال جرير بن عطية[٣٧٨٣]:
يا عَاذِلِيَّ دَعَا المَلامَ وأقْصِرَا ... طَالَ الهَوَى وأطَلْتُما التَّفْنيدا
يعني: الملامة فقد تبيّن، إذ كان الأمر على ما وصفنا، أنّ الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله: {لولا أن تفندون} على اختلاف عباراتهم عن تأويله، متقاربةُ المعاني، محتملٌ جميعَها ظاهرُ التنزيل، إذ لم يكن في الآية دليلٌ على أنه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض[٣٧٨٤].

القرآن
{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)} [يوسف : ٩٥]
التفسير:
قال الحاضرون عنده: تالله إنك لا تزال في خطئك القديم مِن حب يوسف، وأنك لا تنساه.
قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} [يوسف : ٩٥]، أي:"قال الحاضرون عنده: والله إنك لفي خطأ وذهاب عن طريق الصواب قديم، بإفراطك في محبة يوسف، ولهجك بذكره، ورجائك للقائه"[٣٧٨٥].
وفي قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} [يوسف : ٩٥]، وجوه من التفسير:
أحدها : في جنونك القديم ، قاله سعيد بن جبير[٣٧٨٦].
الثاني : في محبتك القديمة، قاله قتادة[٣٧٨٧]، وسفيان[٣٧٨٨]، وابن جريج[٣٧٨٩].
الثالث : أي: إنك لمن ذكر يوسف في الباطل الذي أنت عليه. قاله محمد بن إسحاق[٣٧٩٠].
وقال قتادة:" أي: من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمةً غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم"[٣٧٩١].
وعن الحسن، في قول الله :"{تالله إنك لفي ضلالك القديم}. قال: عقوقا"[٣٧٩٢]. أي: أن قولهم هذا عقوق.

القرآن
{فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)} [يوسف : ٩٦]
التفسير:
فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ، وطرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا، وعمَّه السرور فقال لمن عنده: ألَمْ أخبركم أني أعلم من الله ما لا تعلمونه من فضل الله ورحمته وكرمه؟

(٣٧٨١) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٣٥):ص٢٥٣/١٦.
(٣٧٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٢١):ص٢٥٣/١٦.
(٣٧٨٣)ديوانه: ١٦٩، من قصيدة له طويلة، ورواية البيت خطأ في الديوان، صوابه ما ههنا،" وأقصرا"، بالراء، من" الإقصار"، وهو الكف عن فعل الشيء.
(٣٧٨٤) تفسير الطبري:٢٥٦/١٦.
(٣٧٨٥) انظر: التفسير الميسر:٢٤٦، وصفوة التفاسير:٦١/٢.
(٣٧٨٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٩٧١):ص٢١٩٨/٧.
(٣٧٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٥٠):ص٢٥٧/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٩٧٣):ص٢١٩٨/٧-٢١٩٩.
(٣٧٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٥٣):ص٢٥٧/١٦.
(٣٧٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٥٤):ص٢٥٧/١٦.
(٣٧٩٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٩٧٦):ص٢١٩٩/٧.
(٣٧٩١) أخرجه الطبري(١٩٨٥٠):ص٢٥٧/١٦.
(٣٧٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٧٢):ص٢١٩٨/٧.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ} [يوسف : ٩٦]، أي:" فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ"[٣٧٩٣].

عن الضحاك: "{فلما أن جاء البشير}، قال: البريد"[٣٧٩٤]. "هو يهوذا بن يعقوب"[٣٧٩٥].

قال مجاهد:" وهو يهوذا بن يعقوب"[٣٧٩٦].

قال السدي:" قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص، ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته. فهو كان البشير"[٣٧٩٧].

قوله تعالى:{أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} [يوسف : ٩٦]، أي:" طرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا"[٣٧٩٨].

عن ابن إسحاق: "فلما أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه"[٣٧٩٩].

وقال الحسن: "لما ورد البشير على يعقوب لم يجد عنده شيئا يثيبه به، فقال: والله ما أصبت عندنا شيئا، وما خبزنا شيئا منذ سبع ليال، ولكن هون الله عليك سكرات الموت"[٣٨٠٠].

قوله تعالى:{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف : ٩٦]، أي:" فقال لمن عنده: ألمْ أخبركم أني أعلم من الله ما لا تعلمونه من فضل الله ورحمته وكرمه؟"[٣٨٠١].

قال السدي:" {فلما أن جاء البشير} وهو يهوذا، ألقى القميص على وجهه {فارتد بصيرا}، قال يعقوب لبنيه: {ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون}"[٣٨٠٢].

القرآن

{قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧)} [يوسف : ٩٧]

التفسير:

قال بنوه: يا أبانا سل لنا ربك أن يعفو عنا ويستر علينا ذنوبنا، إنا كنا خاطئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

روى ابن وهب عن الليث بن سعد:" إن يعقوب، وإخوة يوسف أقاموا عشرين سنة يطلبون المغفرة مما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتى لقي جبريل يعقوب صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء: يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي، ويا غوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين أعني، يا حبيب التوابين تب علي، فاستجيب لهم"[٣٨٠٣].

القرآن

{قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)} [يوسف : ٩٨]

التفسير:

قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يغفر لكم ذنوبكم، إنه هو الغفور لذنوب عباده التائبين، الرحيم بهم.

قوله تعالى:{قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} [يوسف : ٩٨]، أي:" قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يغفر لكم ذنوبكم"[٣٨٠٤].

(٣٧٩٣) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٧٩٤) أخرجه الطبري(١٩٨٥٨):ص٢٥٨/١٦.

(٣٧٩٥) أخرجه الطبري(١٩٨٦٦):ص٢٥٩/١٦.

(٣٧٩٦) تفسير مجاهد: ٤٠٠، وتفسير الطبري(١٩٨٦٠)- (١٩٨٦٣):ص٢٥٨/١٦-٢٥٩.

(٣٧٩٧) أخرجه الطبري(١٩٨٦٧):ص٢٥٩/١٦.

(٣٧٩٨) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٧٩٩) أخرجه الطبري(١٩٨٦٩):ص٢٦٠/١٦.

(٣٨٠٠) تفسير القرطبي:٢٦١/٩. وقال:" وهذا الدعاء من أعظم ما يكون من الجوائز، وأفضل العطايا والذخائر. ودلت هذه الآية على جواز البذل والهبات عند البشائر".

(٣٨٠١) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٨١):ص٢١٩٩٩/٧-٢٢٠٠.

(٣٨٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٩٨٢):ص٢٢٠٠/٧.

(٣٨٠٤) التفسير الميسر:٢٤٧.

قال عطاء : " طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف: {لا تثريب عليكم اليوم}. وقال يعقوب: {سوف أستغفر لكم ربي}"[٣٨٠٥].

الثاني : أنه أخّره انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعاً لزمان الطلب .

وفي تحديد وقت الإجابة ثلاثة أقوال:

أحدها : عند صلاة الليل ، قاله عمرو بن قيس[٣٨٠٦].

الثاني : إلى السحَر، قاله إبراهيم التيميّ[٣٨٠٧]، وإبراهيم النخعي[٣٨٠٨]، وعكرمة[٣٨٠٩]، وأبو جعفر محمد بن علي[٣٨١٠]، وسعيد بن جبير[٣٨١١]، وقتادة[٣٨١٢]، والسدي[٣٨١٣]، وابن جريج[٣٨١٤]، وبه قال مقاتل[٣٨١٥].

عن محارب بن دثار، قال: "كان عمٌّ لي يأتي المسجدَ، فسمع إنسانًا يقول: «اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت، وهذا سَحَرٌ، فاغفر لي»، قال: فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود. فسأل عبد الله عن ذلك، فقال: إن يعقوب أخَّر بنيه إلى السحر بقوله: {سوف أستغفر لكم ربي}"[٣٨١٦].

الثالث : إلى ليلة الجمعة. قاله ابن عباس ورواه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرفوعاً[٣٨١٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يوسف : ٩٨]، أي:" إنه هو الغفور لذنوب عباده التائبين، الرحيم بهم"[٣٨١٨].

قال سعيد بن جبير:" {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم} يعني: رحيم بالمؤمنين"[٣٨١٩].

القرآن

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩)} [يوسف : ٩٩]

التفسير:

وخرج يعقوب وأهله إلى «مصر» قاصدين يوسف، فلما وصلوا إليه ضمَّ يوسف إليه أبويه، وقال لهم: ادخلوا «مصر» بمشيئة الله، وأنتم آمنون من الجهد والقحط، ومن كل مكروه.

قوله تعالى:{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ} [يوسف : ٩٩]، أي:" فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوهم على يوسف ضمَّ إليه أبويه واعتنقهما"[٣٨٢٠].

عن السدي:"{فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه}، وإخوته وهما أبوه وخالته "[٣٨٢١].

قتادة، قوله: " {آوى إليه أبويه} [يوسف: ٩٩] قال: أبوه وأمه ضمهما"[٣٨٢٢].

قوله تعالى:{وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [يوسف : ٩٩]، أي:" وقال لهم: ادخلوا «مصر» بمشيئة الله، وأنتم آمنون من الجهد والقحط، ومن كل مكروه"[٣٨٢٣].

قال أبو العالية:" يعني به مصر فرعون"[٣٨٢٤].

(٣٨٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٠):ص٢١٩٥/٧.

(٣٨٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٧٣):ص٢٦٢/١٦.

(٣٨٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٧٢):ص٢٦٢/١٦.

(٣٨٠٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٨٠٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٢٠٠/٧.

(٣٨١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٨١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٨١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٨١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٨١٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٧٤):ص٢٦٢/١٦.

(٣٨١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٠/٢.

(٣٨١٦) أخرجه الطبري(١٩٨٧٠):ص٢٦١/١٦.

(٣٨١٧) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٧٥):ص٢٦٢/١٦.

(٣٨١٨) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٨٥):ص٢٢٠٠/٧.

(٣٨٢٠) صفوة التفاسير:٦٢/٢.

(٣٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٨٦):ص٢٢٠٠/٧.

(٣٨٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٨٧):ص٢٢٠١/٧.

(٣٨٢٣) التفسير الميسر:٢٤٧.

وفي قوله تعالى:{إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [يوسف : ٩٩]، وجهان:
أحدهما : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر. قالوا: وذلك أن يوسف تلقَّى أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين}، بها قبل الدخول. وهذا قول السدي[٣٨٢٥].

قال السدي:" فحملوا إليه أهلهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر، كلَّم يوسف الملك الذي فوقه، فخرج هو والملوك يتلقَّونهم، فلما بلغوا مصر قال: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} {فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه}"[٣٨٢٦].

قال فرقد السبخي: "لما ألقي القميص على وجهه ارتد بصيرًا، وقال: {ائتوني بأهلكم أجمعين}، فحمل يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه، فخرج يتلقاه. قال: وركب معه أهلُ مصر، وكانوا يعظمونه. فلما دنا أحدهما من صاحبه، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا. قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس، فقال: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنك! قال: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه، فذهب يوسف يبدؤه بالسلام، فمنع من ذلك، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل، فقال: السلام عليك يا ذاهب الأحزان عني، هكذا قال:«يا ذاهب الأحزان عني»"[٣٨٢٧].

قال حجاج:" بلغني أن يوسف والملك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه"[٣٨٢٨].

الثاني : أنه راجع إلى قول يعقوب : سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم}، ويكون اللفظ مؤخراً ، وهو قول ابن جريج[٣٨٢٩].

والصواب ما قاله السدي، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقَّاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجّة واضحةٍ[٣٨٣٠].

القرآن

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)} [يوسف : ١٠٠]

التفسير:

وأجْلَسَ أباه وأمه على سرير ملكه بجانبه; إكرامًا لهما، وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريمًا، لا عبادة وخضوعًا، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، وقد حَرُم في شريعتنا; سدًا لذريعة الشرك بالله. وقال يوسف لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربي صدقًا، وقد تفضَّل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية، من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي. إن ربي لطيف التدبير لما يشاء، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} [يوسف : ١٠٠]، أي:" وأجْلَسَ أباه وأمه على سرير ملكه بجانبه; إكرامًا لهما"[٣٨٣١].

قال ابن إسحاق:" يعني: رفع اسمهما"[٣٨٣٢].

قال مجاهد[٣٨٣٣]، والضحاك[٣٨٣٤]، وقتادة[٣٨٣٥]، والسدي[٣٨٣٦] ": رفع أبويه على السرير"[٣٨٣٧].

(٣٨٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٨٩):ص٢٢٠١/٧.
(٣٨٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٧٧):ص٢٦٥/١٦.
(٣٨٢٦) أخرجه الطبري(١٩٨٧٧):ص٢٦٥/١٦.
(٣٨٢٧) أخرجه الطبري(١٩٨٧٨):ص٢٦٥/١٦.
(٣٨٢٨) أخرجه الطبري(١٩٨٧٩):ص٢٦٥/١٦.
(٣٨٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨٠):ص٢٦٦/١٦.
(٣٨٣٠) تفسير الطبري:٢٦٦/١٦.
(٣٨٣١) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٣٢) الكشف والبيان:٢٥٩/٥.

وفي أبويه قولان :

أحدهما : أنهما أبوه وخالته راحيل، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أماً، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين، قاله وهب[٣٨٣٨]، والسدي[٣٨٣٩].

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن وهب، قال:" ورفع أبويه على العرش قال: أبوه وخالته وكانت توفيت أم يوسف في نفاس أخيه بنيامين"[٣٨٤٠].

عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألت زيد بن أسلم، عن قول الله تعالى: {ورفع أبويه على العرش}، فقلت: أبلغك أنها خالته؟ قال: قال ذلك بعض أهل العلم، يقولون: إن أمّه ماتت قبل ذلك، وإن هذه خالته"[٣٨٤١].

الثاني : أنهما أبوه وأمه وكانت باقيه إلى دخول مصر ، قاله الحسن[٣٨٤٢]، وابن إسحاق[٣٨٤٣].

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق ; لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في«أبوين»، إلا أن يصح ما يقال من أنّ أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحُجة يجب التسليم لها، فيسلّم حينئذ لها"[٣٨٤٤].

قوله تعالى:{وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف : ١٠٠]، أي:" وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريمًا، لا عبادة وخضوعًا"[٣٨٤٥].

قال قتادة : كانت تحية من قبلكم، كان بها يحيِّي بعضهم بعضًا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامةً من الله تبارك وتعالى عجّلها لهم، ونعمة منه"[٣٨٤٦].

قال محمد بن إسحاق : "تحمّل - يعني يعقوب- بأهله حتى قدموا على يوسف، فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه، دخلوا على يوسف، فلما رأوه وقعوا له سجودًا، وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان، أبوه وأمه وإخوته"[٣٨٤٧].

وقال قتادة أيضا:" وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض"[٣٨٤٨].

قال ابن جريج:" كانت تلك تحيّتهم، كما تصنع ناسٌ اليوم"[٣٨٤٩].

عن عدي بن حاتم :"{وخروا له سجدا}، قال: كانت تحية من كان قبلكم، فأعطاكم الله السلام مكانها"[٣٨٥٠].

وقال الحسن : "بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا"[٣٨٥١].

قوله تعالى:{وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف : ١٠٠]، أي:" وقال يوسف لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربي صدقًا"[٣٨٥٢].

(٣٨٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨٥)-(١٩٨٩٢):ص٢٦٧/١٦-٢٦٨.
(٣٨٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨٤):ص٢٦٧/١٦.
(٣٨٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٩٤):ص٢٦٨/١٦.
(٣٨٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨٣):ص٢٦٧/١٦.
(٣٨٣٧) أخرجه الطبري(١٩٨٩٥):ص٢٦٨/١٦. وقال :" إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه".
(٣٨٣٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠١/٧.
(٣٨٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨١):ص٢٦٧/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٩٩١):ص٢٢٠١/٧
(٣٨٤٠) تفسير ابن ابي حاتم:٢٢٠١/٧. والخبر غير مرقوم بالمطبوع!
(٣٨٤١) أخرجه الطبري(١٩٨٩٨):ص٢٦٩/١٦.
(٣٨٤٢) انظر: النكت والعيون:٨٢/٣.
(٣٨٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٨٨٢):ص٢٦٧/١٦.
(٣٨٤٤) تفسير الطبري:٢٦٧/١٦.
(٣٨٤٥) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٤٦) اخرجه الطبري(١٩٩٠١):ص٢٦٩/١٦.
(٣٨٤٧) أخرجه الطبري(١٩٩٠٠):ص٢٦٩/١٦.
(٣٨٤٨) أخرجه الطبري(١٩٩٠٢):ص٢٦٩/١٦.
(٣٨٤٩) أخرجه الطبري(١٩٩٠٤):ص٢٧٠/١٦.
(٣٨٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٩٥):ص٢٢٠٢/٧.
(٣٨٥١) انظر: النكت والعيون:٨٢/٣.
(٣٨٥٢) التفسير الميسر:٢٤٧.

قال قتادة:" فأراهم الله تأويلها بعد زمان ودهر طويل"[٣٨٥٣].

واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن يعقوب-عليهما السلام-، ومدة تحقيق الرؤيا، على أقوال:

أحدها: ثمانين وسبعة أعوام. حكي ذلك عن ابن إسحاق بن يسار[٣٨٥٤].

الثاني: أنه كان بينهما ثلاث وثمانون سنة. قاله الحسن-في إحدى الروايات-[٣٨٥٥].

الثالث: أنه كان بينهما ثمانون سنة ، قاله الحسن أيضا[٣٨٥٦]، وقتادة[٣٨٥٧]، وجسر بن فرقد[٣٨٥٨]، وفضيل بن عياض[٣٨٥٩].

قال الحسن:" كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا، ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه، ودموعه تجري على خديه، وما على وجه الأرض يومئذ عبدٌ أحبَّ إلى الله من يعقوب"[٣٨٦٠].

وقال الحسن ايضا:" ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة"[٣٨٦١].

الرابع: سبعون سنة. حكي عن عبدالله بن شداد[٣٨٦٢].

الخامس: كان بينهما أربعون سنة ، قاله سليمان[٣٨٦٣]، وعثمان[٣٨٦٤]، وعبدالله بن شداد-وهو المشهور عنه-[٣٨٦٥].

قال عبد الله بن شداد: "وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة، وإليها ينتهي أقصى الرؤيا"[٣٨٦٦].

السادس : خمسة وثلاثون سنة. قاله قتادة[٣٨٦٧].

السابع: ست وثلاثون سنة ، قاله سعيد بن جبير[٣٨٦٨].

الثامن : أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة ، قاله ابن إسحاق[٣٨٦٩].

قال ابن إسحاق:" ذكر لي، والله أعلم، أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة. قال: وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها، وأنّ يعقوب بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة، ثم قبضه الله إليه"[٣٨٧٠].

قوله تعالى:{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} [يوسف : ١٠٠]، أي:" وقد تفضَّل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية"[٣٨٧١].

قال عمرو: "أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين"[٣٨٧٢].

قال قتادة:" وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان، أهل مواشٍ وبرّية"[٣٨٧٣].

قال ابن جريج:" كانوا أهل بادية وماشية"[٣٨٧٤].

(٣٨٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٠٠):ص٢٢٠٢/٧.

(٣٨٥٤) انظر: الكشف والبيان:٢٦٠/٥.

(٣٨٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٢٦):ص٢٧٤/١٦.

(٣٨٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٢٢):ص٢٧٣/١٦.

(٣٨٥٧) انظر: ال.

(٣٨٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٢٣):ص٢٧٣/١٦.

(٣٨٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٢٤):ص٢٧٤/١٦.

(٣٨٦٠) أخرجه الطبري(١٩٩٢٢):ص٢٧٣/١٦.

(٣٨٦١) أخرجه الطبري(١٩٩٢٥):ص٢٧٤/١٦.

(٣٨٦٢) انظر: الكشف والبيان:٢٥٩/٥.

(٣٨٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٩١٧)-(١٩٩٢٠):ص٢٧٣/١٦.

(٣٨٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٠٨):ص٢٧١/١٦.

(٣٨٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٩١٠):ص٢٧٢/١٦.

(٣٨٦٦) أخرجه الطبري(١٩٩١٦):ص٢٧٢/١٦.

(٣٨٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٩٩٩):ص٢٢٠٢/٧.

(٣٨٦٨) انظر: النكت والعيون:٨٢/٣.

(٣٨٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٣٠):ص٢٧٥/١٦.

(٣٨٧٠) أخرجه الطبري(١٩٩٣٠):ص٢٧٥/١٦.

(٣٨٧١) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨٧٢) أخرجه الطبري(١٩٩٣٢):ص٢٧٥/١٦.

(٣٨٧٣) أخرجه الطبري(١٩٩٣٢):ص٢٧٥/١٦.

قال ابن إسحاق:" كان منزل يعقوب وولده، فيما ذكر لي بعض أهل العلم، بالعَرَبات من أرض فلسطين، ثغور الشأم. وبعضٌ يقول بالأولاج من ناحية الشِّعْب، وكان صاحب بادية، له إبلٌ وشاء"[٣٨٧٥].

قال عبد الله بن شداد: "اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانًا، صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم. وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ست مائة ألف ونَيّف"[٣٨٧٦].

قال مسروق:" دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مائة وتسعون من بين رجل وامرأة"[٣٨٧٧].

قوله تعالى:{مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} [يوسف : ١٠٠]، أي:" من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي"[٣٨٧٨].

قال قتادة:" ونزغ من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته"[٣٨٧٩].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} [يوسف : ١٠٠]، أي:" إن ربي لطيف التدبير لما يشاء"[٣٨٨٠].

قال قتادة:" لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان، وتحريشه على إخوته"[٣٨٨١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف : ١٠٠]، أي:" إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله"[٣٨٨٢].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٣٨٨٣]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٣٨٨٤].

القرآن

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)} [يوسف : ١٠١]

التفسير:

ثم دعا يوسف ربه قائلا ربِّ قد أعطيتني من ملك «مصر» ، وعلَّمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، يا خالق السموات والأرض ومبدعهما، أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفني إليك مسلمًا، وألحقني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

قوله تعالى:{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ} [يوسف : ١٠١]، أي:" ثم دعا يوسف ربه قائلا ربِّ قد أعطيتني من ملك «مصر»"[٣٨٨٥].

عن عطاء: "أن الملك هو احتياج حساده إليه"[٣٨٨٦].

قوله تعالى:{وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ١٠١]، أي:" وعلمتني من تفسير الرؤيا"[٣٨٨٧].

قال مجاهد :" عبارة الرؤيا"[٣٨٨٨].

عن أبي الأعيس قال: "لما قال يوسف :{رب قد آتيتني من الملك}، حتى بلغ {توفني مسلما}، شكر الله له فزاده في عمره ثمانين عاما"[٣٨٨٩].

(٣٨٧٤) أخرجه الطبري(١٩٩٣٤):ص٢٧٦/١٦.
(٣٨٧٥) أخرجه الطبري(١٩٩٣١):ص٢٧٥/١٦.
(٣٨٧٦) أخرجه الطبري(١٩٩٣٥):ص٢٧٦/١٦.
(٣٨٧٧) أخرجه الطبري(١٩٩٣٨):ص٢٧٦/١٦.
(٣٨٧٨) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٠٥):ص٢٢٠٣/٧.
(٣٨٨٠) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٨١) أخرجه الطبري(١٩٩٣٩):ص٢٧٧/١٦.
(٣٨٨٢) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(٣٨٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(٣٨٨٥) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٨٨٦) انظر: النكت والعيون:٨٥/٣.
(٣٨٨٧) صفوة التفاسير:٦٢/٢.
(٣٨٨٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٠٠٨):ص٢٢٠٣/٧، وتفسير الطبري(١٩٩٤٥):ص٢٨٠/١٦.

قوله تعالى:{فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يوسف : ١٠١]، أي:" يا خالق السموات والأرض ومبدعهما"[٣٨٩٠].

قال قتادة:" خالق السموات والأرض"[٣٨٩١].

قوله تعالى:{أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا } [يوسف : ١٠١]، أي:" أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفني إليك مسلمًا"[٣٨٩٢].

وفي قوله تعالى:{تَوَفَّنِي مُسْلِمًا} [يوسف : ١٠١]، وجهان:

أحدهما : يعني: توفني على طاعتك، واغفر لي إذا توفَّيتني، قاله الضحاك[٣٨٩٣].

الثاني : على ملة الإسلام .

روي الحسن ، قال:" لما أن جاء البشير إلى يعقوب فألقى عليه القميص، قال: على أي دين خلفت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة "[٣٨٩٤].

قوله تعالى:{وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف : ١٠١]، أي:" وألحقني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار"[٣٨٩٥].

وفي قوله تعالى:{وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف : ١٠١]، وجهان:

أحدهما : يعني: أهل الجنة ، قاله عكرمة[٣٨٩٦].

الثاني : يعني: آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، قاله وهب بن منبه[٣٨٩٧]، والضحاك[٣٨٩٨].

قال قتادة:" لما قدم على يوسف أبواه وإخوته وجمع الله شمله وأقر بعينه، وهو يومئذ مغموس في بيت نعيم من الدنيا اشتاق إلى آبائه الصالحين، إبراهيم وإسحاق ويعقوب فسأل الله القبض فقال: {توفني مسلما وألحقني بالصالحين}"[٣٨٩٩].

قال قتادة:" لما جمع الله شمله وأقر بعينه وهو يومئذ مغموس في بيت نعيم من الدنيا وملكها وغضارتها، اشتاق إلى الصالحين قبله، وأنتم فاشتاقوا إلى ما اشتاق إليه الصالحون قبلكم، بارك الله فيكم"[٣٩٠٠].

قال قتادة:" ولم يتمنَّ الموت أحد قطُّ، نبي ولا غيره إلا يوسف"[٣٩٠١].

قال مجاهد:" أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم، لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته، وهو يومئذ ملك مصر، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق، فقال: {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين}"[٣٩٠٢].

قال ابن إسحاق:"قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله، وردَّه على والده، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة: {يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا} ، إلى قوله: {إنه هو العليم الحكيم} . ثم ارعوى يوسف، وذكر أنّ ما هو فيه من الدنيا

(٣٨٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٠٧):ص٢٢٠٣/٧.

(٣٨٩٠) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠١٠):ص٢٢٠٤/٧.

(٣٨٩٢) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٤٦):ص٢٨٠/١٦.تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠١٤):ص٢٢٠٤/٧

(٣٨٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٩٧٩):ص٢١٩٩/٧.

(٣٨٩٥) التفسير الميسر:٢٤٧.

(٣٨٩٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠١٥):ص٢٢٠٤/٧.

(٣٨٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٢١):ص٢٢٠٥/٧-٢٢٠٦.

(٣٨٩٨) انظر: النكت والعيون:٨٥/٣.

(٣٨٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠١٧):ص٢٢٠٥/٧.

(٣٩٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠١٦):ص٢٢٠٤/٧، والطبري(١٩٩٤٢):ص٢٨٠/١٦.

(٣٩٠١) أخرجه الطبري(١٩٩٤٣):ص٢٨٠/١٦.

(٣٩٠٢) أخرجه الطبري(١٩٩٤٤):ص٢٨٠/١٦.

بائد وذاهب، فقال: {رب قد قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفّني مسلمًا وألحقني بالصالحين}"[٣٩٠٣].

عن أبي عمران الجوني، قال: "والله لو كان قتلُ يوسف مضى لأدخلهم الله النارَ كُلَّهم، ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره، ورحمة لهم. ثم يقول: والله ما قصَّ الله نبأهم يُعيّرهم بذلك إنهم لأنبياء من أهل الجنة، ولكن الله قصَّ علينا نبأهم لئلا يقنط عبده"[٣٩٠٤].

عن سعيد بن عبد العزيز:" أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال: يا إخوتاه إني لم أنتصر من أحد ظلمني في الدنيا، وإني كنت أحب أن أظهر الحسنة وأخفي السيئة، فذاك زادي من الدنيا، يا إخوتاه: إني أشركت آبائي في أعمالهم فأشركوني معهم في قبورهم، وأخذ عليهم بالميثاق، فلم يفعلوا حتى بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم فسأل، عن قبره فلم يجد أحدا يخبره إلا امرأة يقال لها شارح بنت شير بن يعقوب، فقالت: أدلك عليه على أن أشترط عليك قال: ذلك لك، قال: أصير شابة كلما كبرت قال: ذلك لك، قالت: وأكون معك في درجتك يوم القيامة فكأنه امتنع فأمر أن يمضي لها ذلك ففعل. فدلته عليه فأخرجه قال: فكانت كلما كانت مثل بنت خمسين سنة صارت مثل ابنة ثلاثين سنة حتى عمرت نسرين: ألف وستمائة سنة أو ألف وأربعمائة وحتى أدركها سليمان بن داود عليهما السلام فتزوجها"[٣٩٠٥].

قال السدي:"لما حضر الموتُ يعقوبَ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق، فلما مات، نُفِخ فيه المُرّ وحمل إلى الشأم. قال: فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيصا أخو يعقوب فقال: غلبني على الدعوة، فوالله لا يغلبني على القبر! فأبى أن يتركهم أن يدفنوه. فلما احتبسوا، قال هشام بن دان بن يعقوب ، وكان هشامٌ أصمَّ لبعض إخوته: ما لجدّي لا يدفن! قالوا: هذا عمك يمنعه! قال: أرونيه أين هو؟ فلما رآه، رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وَجْأةً سقطت عيناه على فخذ يعقوب، فدفنا في قبر واحد"[٣٩٠٦].

القرآن

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)} [يوسف : ١٠٢]

التفسير:

ذلك المذكور من قصة يوسف هو من أخبار الغيب نخبرك به -أيها الرسول- وحيًا، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين دبَّروا له الإلقاء في البئر، واحتالوا عليه وعلى أبيه. وهذا يدل على صدقك، وأن الله يُوحِي إليك.

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} [يوسف : ١٠٢]، أي:" ذلك المذكور من قصة يوسف هو من أخبار الغيب نخبرك به -أيها الرسول- وحيًا"[٣٩٠٧].

عن أبي مالك: قوله: "{ذلك من أنباء الغيب}، يعني هذا أحاديث"[٣٩٠٨].

عن محمد بن إسحاق:" يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك}"[٣٩٠٩].

عن محمد بن إسحاق:" {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك}، ثم قد جئتهم بخبر ما غيبوا عنك مما عندهم جئتهم به دليلا علي نبوتك والحجة لك عليهم"[٣٩١٠].

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ} [يوسف : ١٠٢]، أي:" وما كنت حاضراً مع إخوة يوسف حين تآمروا على أخيهم وأجمعوا أمرهم على إلقائه في الجب"[٣٩١١].

عن قتادة: " {وما كنت لديهم} [آل عمران: ٤٤] يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم، يقول: ما كنت عندهم"[٣٩١٢]، {إذ أجمعوا أمرهم} ، أي: ألقوه في غيابة الجب "[٣٩١٣].

(٣٩٠٣) أخرجه الطبري(١٩٩٤٧):ص٢٨٠/١٦.
(٣٩٠٤) أخرجه الطبري(١٩٩٤٩):ص٢٨٢/١٦.
(٣٩٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠١٩):ص٢٢٠٥/٧.
(٣٩٠٦) أخرجه الطبري(١٩٩٥٠):ص٢٨٢/١٦.
(٣٩٠٧) التفسير الميسر:٢٤٧.
(٣٩٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٢٢):ص٢٢٠٦/٧.
(٣٩٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٢٣):ص٢٢٠٦/٧.
(٣٩١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٢٤):ص٢٢٠٦/٧.
(٣٩١١) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

قوله تعالى:{وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف : ١٠٢]، أي:" وهم يحتالون ويمكرون بيوسف وبأبيه ليرسله معهم"(٣٩١٤).

قال قتادة:" أي: بيوسف "(٣٩١٥).

قال عطاء الخراساني:" فهم بنو يعقوب إذ يمكرون بيوسف"(٣٩١٦).

القرآن

{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)} [يوسف : ١٠٣]

التفسير:

وما أكثرُ المشركين من قومك -أيها الرسول- بمصدِّقيك ولا متبعيك، ولو حَرَصْتَ على إيمانهم، فلا تحزن على ذلك.

قوله تعالى:{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف : ١٠٣]، أي:" ليس أكثر الخلق ولو حرصتَ على إيمانهم وبالغتَ في إرشادهم بمصدقين لك لتصميمهم على الكفر"(٣٩١٧).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {بمؤمنين}، قال: مصدقين "(٣٩١٨).

القرآن

{وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤)} [يوسف : ١٠٤]

التفسير:

وما تطلب من قومك أجرة على إرشادهم للإيمان، إن الذي أُرسلتَ به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون.

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [يوسف : ١٠٤]، أي:" إن الذي أُرسلتَ به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون"(٣٩١٩).

قال أبو العالية:" الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا، ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"(٣٩٢٠).

القرآن

{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)} [يوسف : ١٠٥]

التفسير:

وكثير من الدلائل الدالة على وحدانية الله وقدرته منتشرة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والجبال والأشجار، يشاهدونها وهم عنها معرضون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون.

عن قتادة: "{وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها}، وهي في مصحف عبد الله:«يَمْشُونَ عَلَيْهَا»، السماء والأرض آيتان عظيمتان"(٣٩٢١).

القرآن

(٣٩١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٢٥):ص٢٢٠٦/٧.

(٣٩١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٢٦):ص٢٢٠٦/٧.

(٣٩١٤) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٢٧):ص٢٢٠٦/٧.

(٣٩١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٢٨):ص٢٢٠٦/٧.

(٣٩١٧) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٢٩):ص٢٢٠٦/٧.

(٣٩١٩) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٣١):ص٢٢٠٧/٧.

(٣٩٢١) أخرجه الطبري(١٩٩٥٣):ص٢٨٥/١٦.

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)} [يوسف : ١٠٦]

التفسير:

وما يُقِرُّ هؤلاء المعرضون عن آيات الله بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء ومستحق للعبادة وحده إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

قوله تعالى:{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف : ١٠٦]، أي:" ولا يؤمن أكثر هؤلاء المعرضون عن آيات الله إلا إذا أشركوا مع الله غيره"(٣٩٢٢).

وفي قوله تعالى:{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف : ١٠٦]، وجوه من التفسير:

أحدها: عني به المشركون، إذ أنهم يجمعون بين الإيمان بالله، أي: بوجوده، وأنه الخالق الرزاق المحيي المميت، ثم مع ذلك يشركون في عبادته. فسرها بذلك عكرمة(٣٩٢٣)، وعامر(٣٩٢٤)، وعطاء(٣٩٢٥)، ومجاهد(٣٩٢٦)، والضحاك(٣٩٢٧)، وقتادة(٣٩٢٨).

قال مجاهد:" إيمانهم قولهم: الله خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا"(٣٩٢٩)، "فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه"(٣٩٣٠).

قال عامر وعكرمة:" يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به"(٣٩٣١).

قال عكرمة:" تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره"(٣٩٣٢).

وقال عكرمة أيضا:" فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به"(٣٩٣٣).

عن جابر، عن عكرمة، ومجاهد، وعامر: "أنهم قالوا في هذه الآية: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}، قال: ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض، فهذا إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك"(٣٩٣٤).

عن قتادة، قوله: "{وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته"(٣٩٣٥).

وقال قتادة أيضا:" لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّك؟ إلا قال: ربِّيَ الله! وهو يشرك في ذلك"(٣٩٣٦).

قال النضر بن عربي: "فمن إيمانهم أن يقال لهم من ربكم فيقولون: الله ومن يدبر السموات والأرض؟ فيقولون الله. ومن يرسل عليهم المطر فيقولون الله ومن ينبت الأرض؟ فيقولون الله، ثم هم بعد ذلك مشركون فيقولون: إن لله ولدا ويقولون: ثالث ثلاثة"(٣٩٣٧).

وقال الضحاك:"كانوا يشركون به في تلبيتهم"(٣٩٣٨).

(٣٩٢٢) انظر: صفوة التفاسير:٦٣/٢.[بتصرف]

(٣٩٢٣)انظر: تفسير الطبري(١٩٩٥٥):ص٢٨٦/١٦.

(٣٩٢٤)انظر: تفسير الطبري(١٩٩٦٦):ص٢٨٨/١٦.

(٣٩٢٥)انظر: تفسير الطبري(١٩٩٧٢):ص٢٨٩/١٦.

(٣٩٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٩٩٦٠):ص٢٨٧/١٦.

(٣٩٢٧)انظر: تفسير الطبري(١٩٩٧٠):ص٢٨٩/١٦.

(٣٩٢٨)انظر: تفسير الطبري(١٩٩٦٧):ص٢٨٨/١٦.

(٣٩٢٩) أخرجه الطبري(١٩٩٦٠):ص٢٨٧/١٦.

(٣٩٣٠) أخرجه الطبري(١٩٩٦٢):ص٢٨٧/١٦.

(٣٩٣١) أخرجه الطبري(١٩٩٥٥):ص٢٨٦/١٦.

(٣٩٣٢) أخرجه الطبري(١٩٩٥٥):ص٢٨٦/١٦.

(٣٩٣٣) أخرجه الطبري(١٩٩٥٩):ص٢٨٧/١٦.

(٣٩٣٤) أخرجه الطبري(١٩٩٦٦):ص٢٨٨/١٦.

(٣٩٣٥) أخرجه الطبري(١٩٩٦٧):ص٢٨٨/١٦.

(٣٩٣٦) أخرجه الطبري(١٩٩٦٨):ص٢٨٨/١٦.

(٣٩٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٣٧):ص٢٢٠٨/٧.

(٣٩٣٨) أخرجه الطبري(١٩٩٧٠):ص٢٨٩/١٦.

قال عطاء:" يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يشركون به"[٣٩٣٩].

الثاني: أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى، قاله الحسن[٣٩٤٠].

سئل الحسن، عن هذه الآية: {وما يؤمن أكثرهم بالله، إلا وهم مشركون}، قال: "ذاك المنافق يعمل إذا عمل رياء للناس، وهو مشرك بعمله ذاك"[٣٩٤١].

عن محمود بن لبيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخْوَف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر". قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : "الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"[٣٩٤٢].

الثالث : هو أن يشبه الله تعالى بخلقه، قاله السدي[٣٩٤٣].

الرابع : أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان ، وهذا قول أبي جعفر[٣٩٤٤].

عن زكريا بن زرارة، ثنا أبي، قال: "سألت أبا جعفر محمد بن علي، عن قوله: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}، قال أبو جعفر: شرك طاعة قول الرجل: لولا الله وفلان، لولا الله وكلب بني فلان"[٣٩٤٥].

الخامس: أنه تعليق الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

روي عن عاصم الأحول، عن عزرة، قال: "دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا، فقطعه أو انتزعه، ثم قال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}"[٣٩٤٦].

و«السّير»: من الجلد ونحوه، ما يشقّ منه مستطيلاً

عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرُّقَى والتَّمائِم والتِّوَلة شرْك"[٣٩٤٧].

عن عيسى بن عبد الرحمن قال : "دخلنا على عبد الله بن عُكَيْم وهو مريض نعوده ، فقيل له : تَعَلَّقت شيئا ؟ فقال : أتعلق شيئا! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من تَعَلَّق شيئا وُكِلَ إليه"[٣٩٤٨].

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من علَّق تميمة فقد أشرك" وفي رواية : "من تَعَّلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودَعَةً فلا ودع الله له"[٣٩٤٩].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكه" [٣٩٥٠].

وفي الحديث: "الطيَرة شرك، وما منَّا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل"[٣٩٥١].

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من ردته الطيرة عن حاجة ، فقد أشرك". قالوا : يا رسول الله ، ما كفارة ذلك ؟ قال : "أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك"[٣٩٥٢].

(٣٩٣٩) أخرجه الطبري(١٩٩٧٢):ص٢٨٩/١٦.

(٣٩٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٣٦):ص٢٢٠٧/٧-٢٢٠٨.

(٣٩٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٣٦):ص٢٢٠٧/٧-٢٢٠٨.

(٣٩٤٢)المسند (٤٢٨/٥) وحسنه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام، رواه البغوي في شرح السنة (٣٣٣/١٤) من طريق علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر به.

(٣٩٤٣) انظر: النكت والعيون:٨٧/٣.

(٣٩٤٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٣٩):ص٢٢٠٨/٧.

(٣٩٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٣٩):ص٢٢٠٨/٧.

(٣٩٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٤٠):ص٢٢٠٨/٧.

(٣٩٤٧)المسند (٣٨١/١) وسنن أبي داود برقم (٣٨٨٣) ورواه ابن ماجه في السنن برقم (٣٥٣٠).

(٣٩٤٨)المسند (٣١٠/٤) ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٠٧٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى به ، وقال الترمذي : "وحديث عبد الله بن حكيم إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن حكيم لم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "كتب إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(٣٩٤٩)المسند (١٥٦/٤) وقال المنذري في الترغيب (٣٠٧/٤) : "رجاله ثقات".

(٣٩٥٠)) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

(٣٩٥١)المسند (٣٨٩/١) وسنن أبي داود برقم (٣٩١٠).

(٣٩٥٢)المسند (٢٢٠/٢) ورواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة (ص ٢٩٣) من طريق ابن وهب ، عن ابن لهيعة به ، فصح الحديث بحمد الله.

القرآن

{أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)} [يوسف : ١٠٧]

التفسير:

فهل عندهم ما يجعلهم آمنين أن ينزل بهم عذاب من الله يعُمُّهم، أو أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون ولا يُحِسُّون بذلك.

قوله تعالى:{أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ} [يوسف : ١٠٧]، أي:" أفأمن هؤلاء المكذبون عقوبةٌ من عذاب الله تغشاهم وتشملهم؟"(٣٩٥٣).

عن قتادة، قوله: "{أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله}، أي: عقوبة من عذاب الله"(٣٩٥٤).

قال مجاهد:" يعني: عذابا يغشاهم فيهلكهم"(٣٩٥٥).

قوله تعالى:{أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف : ١٠٧]، أي:" أو تأتيهم القيامة بأهوالها فجأة من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون؟"(٣٩٥٦).

عن مجاهد قوله: {بغتة}، قال: فجأة. آمنين"(٣٩٥٧).

القرآن

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)} [يوسف : ١٠٨]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: هذه طريقتي، أدعو إلى عبادة الله وحده، على حجة من الله ويقين، أنا ومن اقتدى بي، وأنزِّه الله سبحانه وتعالى عن الشركاء، ولستُ من المشركين مع الله غيره.

قوله تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي} [يوسف : ١٠٨]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: هذه طريقتي"(٣٩٥٨).

وفي قوله تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي} [يوسف : ١٠٨]، وجهان:

قال الربيع بن أنس:" هذه دعوتي"(٣٩٥٩).

قوله تعالى:{أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف : ١٠٨]، أي:" أدعو إلى عبادة الله وحده، على حجة من الله ويقين، أنا ومن اقتدى بي"(٣٩٦٠).

قال قتادة:" أي: على هدى أنا ومن اتبعني"(٣٩٦١).

قوله تعالى:{وَسُبْحَانَ اللَّهِ} [يوسف : ١٠٨]، أي:" وأنزِّه الله سبحانه وتعالى عن الشركاء"(٣٩٦٢).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٣٩٦٣).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٣٩٦٤).

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف : ١٠٨]، أي:" ولستُ من المشركين مع الله غيره"(٣٩٦٥).

قال ابن وهب: "سمعت مالكا إذ جاءه بعض أهل الأهواء، يقول: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه، ثم قرأ: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة}الآية"(٣٩٦٦).

(٣٩٥٣) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩٥٤) أخرجه الطبري(١٩٩٧٩):ص٢٩١/١٦.

(٣٩٥٥) تفسير مجاهد:٤٠١.

(٣٩٥٦) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩٥٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٤٦):ص٢٢٠٩/٧.

(٣٩٥٨) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٥٩) انظر تفسير الطبري(١٩٩٨١):ص٢٩٢/١٦.

(٣٩٦٠) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٦١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٤٩):ص٢٢٠٩/٧

(٣٩٦٢) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٣٩٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٣٩٦٥) التفسير الميسر:٢٤٨.

قال الإمام الشاطبي:" فهذا شأن من تقدم، من عدم تمكين زائغ القلب أن يسمع كلامه"[٣٩٦٧].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩)} [يوسف : ١٠٩]

التفسير:

وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- للناس إلا رجالا منهم ننزل عليهم وحينا، وهم من أهل الحاضرة، فهم أقدر على فهم الدعوة والرسالة، يصدقهم المهتدون للحق، ويكذبهم الضالون عنه، أفلم يمشوا في الأرض، فيعاينوا كيف كان مآل المكذبين السابقين وما حلَّ بهم من الهلاك؟ ولثواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم. أفلا تتفكرون فتعتبروا؟

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف : ١٠٩]، أي:" وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً من البشر نوحي إليهم آياتنا للدعاء إلى طاعتنا من أهل المُدن والأمصار"[٣٩٦٨].

قال قتادة:" وما نعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى، لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود[٣٩٦٩]"[٣٩٧٠].

قال الحسن: "لم يبعث الله نبيا من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن"[٣٩٧١].

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [يوسف : ١٠٩]، أي:" أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فينظروا نظر تفكر وتدبر ما حلَّ بالأمم السابقين ومصارع المكذبين فيعتبرون بذلك؟"[٣٩٧٢].

قال الحسن:" فينظروا كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"[٣٩٧٣].

قوله تعالى:{وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} [يوسف : ١٠٩]، أي:" ولثواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم"[٣٩٧٤].

عن عكرمة، قوله: " {ولدار الآخرة} [يوسف: ١٠٩] يقول: الجنة"[٣٩٧٥].

القرآن

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)} [يوسف : ١١٠]

التفسير:

ولا تستعجل -أيها الرسول- النصر على مكذبيك، فإن الرسل قبلك ما كان يأتيهم النصر عاجلا لحكمة نعلمها، حتى إذا يئس الرسل من قومهم، وأيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ولا أمل في إيمانهم، جاءهم نصرنا عند شدة

(٣٩٦٦)ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (١/ ١٧٢)، ورواه الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٤٠٤)، وذكره أيضا في الإبانة الصغرى (ص١٥١)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٤)، وذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص١٢٥)، والجميع لم يذكر استشهاده بالآية سوى القاضي عياض.

(٣٩٦٧) الإعتصام:٢٢٨/١.

(٣٩٦٨) انظر: صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩٦٩)قوله" أهل العمود"، العمود (بفتح العين) : وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء، والأخبية بيوت أهل البادية، فقوله" أهل العمود"، يعني أهل البادية، كما يدل عليه السياق هنا.

(٣٩٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٥٢):ص٢٢١٠/٧.

(٣٩٧١) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٣٤٢/٢، وزاد المسير" ٤/ ٢٩٥، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٧٤، والمحرر الوجيز: ٨/ ٩٦

(٣٩٧٢) صفوة التفاسير:٦٣/٢.

(٣٩٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٥٣):ص٢٢١٠/٧.

(٣٩٧٤) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٥٦):ص٢٢١٠/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع!!

الكرب، فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم، ولا يُرَدُّ عذابنا عمَّن أجرم وتجرَّأ على الله. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ} [يوسف : ١١٠]، أي:" يئس الرسل من إيمان قومهم"(٣٩٧٦).

وفي قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ} [يوسف : ١١٠]، وجهان:

أحدها : من قومهم أن يؤمنوا، قاله سعيد بن جبير(٣٩٧٧)، وأبو الصخر(٣٩٧٨).

قال سعيد بن جبير:" من أن يسلم قومهم"(٣٩٧٩).

قال مجاهد:" يعني: "من قومهم أن يستجيبوا لهم"(٣٩٨٠).

وقال ابو الصخر: "يقول: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان ما وعدوا به، {جاءهم نصرنا} [يوسف: ١١٠] الآية"(٣٩٨١).

الثاني : أن يعذب قومهم ، قاله مجاهد(٣٩٨٢).

قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} [يوسف : ١١٠]، أي:" وأيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ولا أمل في إيمانهم"(٣٩٨٣).

قال سعيد بن جبير:" وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كَذَبُوا"(٣٩٨٤).

روي أن مسلم بن يسار، سأل سعيد بن جبير، فقال: "يا أبا عبد الله، آية بلغت مني كل مبلغ: {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا}، فهذا الموتُ، أن تظنّ الرسل أنهم قد كُذِبوا، أو نظنّ أنهم قد كَذَبوا، مخففة! قال: فقال سعيد بن جبير: يا أبا عبد الرحمن، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومُهم أن الرسل كذبتهم {جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين}. قال: فقام مسلم إلى سعيد، فاعتنقه وقال: فرّج الله عنك كما فرّجت عني"(٣٩٨٥).

وفي قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} [يوسف : ١١٠]، وجوه من القراءة والتفسير(٣٩٨٦):

الوجه الأول: {كُذِبُوا}، بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها، قرأ بها الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر، والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فيكون الظن ها هنا بمعنى «اليقين»، هذا قول الحسن(٣٩٨٧)، وعطاء(٣٩٨٨)، وقتادة(٣٩٨٩).

وفي هذه القراءة تفسيران(٣٩٩٠):

التفسير الأول: وظنوا أي أيقنوا- يعني الرسل- أن الأمم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعد إيمانه، والظن لمعنى اليقين. وهذا معنى قول قتادة(٣٩٩١).

قال قتادة:" أي: استيقنوا أنه لا خير عند قومهم، ولا إيمان"(٣٩٩٢).

عن قتادة: "{وظنوا أنهم قد كذبوا}، قال: وعلموا أنهم قد كذبوا"(٣٩٩٣).

(٣٩٧٦) صفوة التفاسير:٦٤/٢.

(٣٩٧٧) .انظر: تفسير الطبري(١٩٩٨٩):ص٢٩٧/١٦

(٣٩٧٨)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٦٤):ص٢٢١٢/٧.

(٣٩٧٩) انظر: قول ابن عباس في تفسير ابن أبي حاتم(١٢٠٥٩):ص٢٢١١/٧، ووانظر: قول سعيد بن جبير في تفسير الطبري(١٩٩٨٩):ص٢٩٧/١٦.

(٣٩٨٠) تفسير مجاهد: ٤٠٢.

(٣٩٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٦٤):ص٢٢١٢/٧.

(٣٩٨٢) انظر: النكت والعيون:٣/ ٨٩، وزاد المسير:٤٧٧/٢.

(٣٩٨٣) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٣٩٨٤) اخرجه الطبري(١٩٩٨٩):ص٢٩٧/١٦.

(٣٩٨٥) أخرجه الطبري(٢٠٠٠٩):ص٣٠١/١٦.

(٣٩٨٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٣٢/٣، والسبعة في القراءات:٣٥١-٣٥٢، والنكت والعيون:٨٩/٣، وزاد المسير:٤٧٧/٢.

(٣٩٨٧) انظر: زاد المسير:٤٧٧/٢.

(٣٩٨٨) انظر: زاد المسير:٤٧٧/٢.

(٣٩٨٩) انظر: زاد المسير:٤٧٧/٢.

(٣٩٩٠) انظر: مختصر تفسير البغوي:٤٦٨/٤.

(٣٩٩١) أخرجه الطبري(٢٠٠٣٣):ص٣٠٩/١٦.

(٣٩٩٢) أخرجه الطبري(٢٠٠٣٣):ص٣٠٩/١٦.

التفسير الثاني: معناه: حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومه أن يصدقوهم، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر.
الوجه الثاني: «كذبوا» خفيفة، قرأ بها عاصم، وحمزة، والكسائي، والمعنى: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر.
وذكروا في هذه القراءة وجهان:
الوجه الاول: أي: ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في النصر ووعيد العقاب.
الوجه الثاني: معناه: أن الرسل كانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا، قال تعالى: {حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله} [البقرة: ٢١٤]. وهذا القول منسوب إلى سعيد بن جبير[٣٩٩٤].
وهذا ينبغي ألا يصح عنه، فإنها عبارة غليظة على الأنبياء عليهم السلام، وحاشى الأنبياء من ذلك[٣٩٩٥].
يروى عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم – "لم يوعد شيئا أخلف فيه"[٣٩٩٦].
والوجه الثالث: «كذبوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، قرأ بها أبو رزين[٣٩٩٧]، ومجاهد[٣٩٩٨]، والضحاك[٣٩٩٩]، والمعنى: ظن قومهم أيضا أنهم قد كذبوا.
قال مجاهد:" استيأس الرجل أن يعذب قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا"[٤٠٠٠].
عن يحيى بن سعيد، قال: " جاء رجل إلى القاسم بن محمد، فقال: إن محمد بن كعب القرظي، يقول: هذه الآية: " {حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا}، فقال القاسم: فأخبره عني، إني سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: {حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا}، تقول: «كذبتهم أتباعهم»"[٤٠٠١].
قوله تعالى:{جَاءَهُمْ نَصْرُنَا} [يوسف : ١١٠]، أي:" جاءهم نصرنا عند شدة الكرب"[٤٠٠٢].
قال مجاهد:" جاء الرسل نصرنا"[٤٠٠٣].
قوله تعالى:{فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف : ١١٠]، أي:" فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم، ولا يُردُّ عذابنا وبطشنا عن المجرمين إذا نزل بهم"[٤٠٠٤].
عن السدي:" {المجرمون}: وهم المشركون"[٤٠٠٥].

القرآن
{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)} [يوسف : ١١١]
التفسير:
لقد كان في نبأ المرسلين الذي قصصناه عليك وما حلَّ بالمكذبين عظة لأهل العقول السليمة. ما كان هذا القرآن حديثًا مكذوبًا مختلقًا، ولكن أنزلناه مصدقًا لما سبقه من الكتب السماوية، وبيانًا لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه وغير ذلك، وإرشادًا من الضلال، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعملون بما فيه من الأوامر والنواهي.

(٣٩٩٣) أخرجه الطبري(٢٠٠٣٤):ص٣٠٩/١٦.
(٣٩٩٤) انظر: الدر المصون:٥٦٦/٦، ومختصر تفسير البغوي:٤٦٨/٤.
(٣٩٩٥) الدر المصون:٥٦٦/٦.
(٣٩٩٦)معاني القرآن:١٣٢/٣ .
(٣٩٩٧) انظر: زاد المسير:٤٧٧/٢.
(٣٩٩٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٣٥):ص٣١٠/١٦، وزاد المسير:٤٧٧/٢.
(٣٩٩٩) انظر: زاد المسير:٤٧٧/٢.
(٤٠٠٠) أخرجه الطبري(٢٠٠٣٦):ص٣١٠/١٦.
(٤٠٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٦٣):ص٢٢١١/٧.
(٤٠٠٢) التفسير الميسر:٢٤٨.
(٤٠٠٣) أخرجه الطبري(٢٠٠٣٦):ص٣١٠/١٦.
(٤٠٠٤) صفوة التفاسير:٦٤/٢.
(٤٠٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.

سبب النزول:

قال الثعلبي:" روى بن جبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، وكان فيها يخزونك من تلبي: فأجب يا الله لولا أن بكرا دونك بني غطفان وهم يلونك، ينزل الناس ويخزونك، ما زال منا غنجا يأتونك، وكانت تلبية حرمهم: خرجنا عبادك الناس طرف وهم تلادك، وهم قديما عمروا بلادك، وقد تعادوا فيك من يعادك، وكانت تلبية قريش: [اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك][٤٠٠٦] ، وكانت تلبية حمدان وغسان وقضاعة وجذام وتلقين وبهرا: نحن عبادك اليماني إنا نحج ثاني [على الطريق الناجي نحن نعادي] جئنا إليك حادي[٤٠٠٧] . فأنزل الله: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}، يعني: في التلبية.

وقال: لما سمع المشركون ما قبل هذه الآية من الآيات قالوا: فإنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء ولكنا نزعم أن له شريكا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤٠٠٨].

قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف : ١١١]، أي:" لقد كان في نبأ المرسلين الذي قصصناه عليك وما حلَّ بالمكذبين عظة لأهل العقول السليمة"[٤٠٠٩].

عن مجاهد: " {عبرة لأولي الألباب}، يعني: ليوسف وإخوته"[٤٠١٠].

قوله تعالى:{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} [يوسف : ١١١]، أي:" ما كان هذا القرآن حديثًا مكذوبًا مختلقًا"[٤٠١١].

قال قتادة:" «الفرية»: الكذب"[٤٠١٢].

وفي قوله تعالى:{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} [يوسف : ١١١]، وجهان:

أحدهما : يعني: القرآن ، قاله قتادة[٤٠١٣].

الثاني : لما كان قبله من الخبر عنه، قاله ابن إسحاق[٤٠١٤].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [يوسف : ١١١]، أي:" ولكن أنزلناه مصدقًا لما سبقه من الكتب السماوية"[٤٠١٥].

قال قتادة:" فالقرآن يصدق الكتب التي قبله ويشهد عليها "[٤٠١٦].

قوله تعالى:{وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} [يوسف : ١١١]، أي:" وبيانًا لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه وغير ذلك"[٤٠١٧].

عن قتادة، قوله: " {وتفصيل كل شيء}، حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته""[٤٠١٨].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف : ١١١]، أي:" وإرشادًا من الضلال، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعملون بما فيه من الأوامر والنواهي"[٤٠١٩].

عن أبي العالية، في قوله: " {ورحمة} [يوسف: ١١١] قال: رحمته القرآن "[٤٠٢٠].

(٤٠٠٦)يادة عن أخبار مكة للأزرقي: / ١٩٤، وتاريخ دمشق: ١٩/ ٥٠١.

(٤٠٠٧)ذكر اليعقوبي تلبية كل قبيلة من العرب مفصلا فليراجع تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٥٥ وفيها اختلاف عما ذكره المصنف هنا.

(٤٠٠٨) الكشفو البيان:٥/٢٦٢.

(٤٠٠٩) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٤٠١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧١):ص٧/٢٢١٣.

(٤٠١١) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٤٠١٢) أخرجه الطبري(٢٠٠٤٢):ص١٦/٣١٤.

(٤٠١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٧٢):ص٧/٢٢١٣.

(٤٠١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٠٧٣):ص٧/٢٢١٣.

(٤٠١٥) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٤٠١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧٢):ص٧/٢٢١٣.

(٤٠١٧) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٤٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧٥):ص٧/٢٢١٣.

(٤٠١٩) التفسير الميسر:٢٤٨.

(٤٠٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧٧):ص٧/٢٢١٤.

عن ابن إسحاق: " {وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} [الأعراف: ٢٠٣] أي: مغفرة لما ارتكبوا "[٤٠٢١].

عن محمد بن إسحاق ايضا: "{وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} [الأعراف: ٢٠٣] أي: مغفرة لما ارتكبوا فيه من الحدث ولما اختلفوا فيه من الحديث عنه، والقطيعة، ومعرفة بقدر الله ولطفه، وما خلص إلى يوسف ويعقوب من رحمته بعد البلاء الذي ابتلاهما به حتى رد كل واحد منهما إلى صاحبه، وعرف كل امرئ ممن بغى عليه ذنبه وجرمه، وإقرارا له بفضله وعلمه وتجاوزه وقلة تثريبه عليهم فيما صنعوا به"[٤٠٢٢].

«آخر تفسير سورة (يوسف)، والحمد لله وحده»

(٤٠٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧٨):ص٧/٢٢١٤.

(٤٠٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٧٩):ص٧/٢٢١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الرعد»

سورة «الرعد»: هي السورة الثالثة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «محمد»[٤٠٢٣]، وعدد آياتها (٤٧) سبع وأربعون عند الشاميين، و(٤٣)ثلاث وأربعون عند الكوفيين، و(٤٤) أربع وأربعون عند الحجازيين، و(٤٥) وخمس وأربعون عند البصريين. وكلماتها (٨٦٥) ثمان مائة وخمس وستون. وحروفها (٣٥٠٦)ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف[٤٠٢٤].

والآيات المختلف فيها خمس: « {جَدِيدٍ } [الرعد : ٥]، {النُّور} [الرعد : ١٦]، {الْبَصِيرُ} [الرعد : ١٦]، و{سُوءُ الْحِسَابِ } [الرعد : ١٨]، {مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد : ٢٣]» .

وفواصل آياتها يجمعها قولك «نقر دعبل»، منها على «العين» آية واحدة: { إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد : ٢٦]، وما على «النون» فقبل «النون» «واو»، وسائر الآيات التى على «الباء» فقبلها «ألف»؛ نحو {مَآبٍ} [الرعد : ٣٦/٢٩] ، {مَتَابِ} [الرعد : ٣٠]، سوى : {الْقُلُوبُ} [الرعد : ٢٨]؛ فقبلها «واو»[٤٠٢٥].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-[٤٠٢٦]، وابن زبير-في إحدى الروايات-[٤٠٢٧]، والحسن[٤٠٢٨]، وسعيد بن جبير[٤٠٢٩]، وعكرمة[٤٠٣٠]، وعطاء[٤٠٣١]، وجابر[٤٠٣٢]، وقتادة -في إحدى الروايات-[٤٠٣٣]، وبه قال ابن قتيبة[٤٠٣٤]، والزمخشري[٤٠٣٥]، والفيروزآبادي[٤٠٣٦]، وابن كثير[٤٠٣٧]، وغيرهم.

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، وهما:{ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد : ٣١]، وقوله: { {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد : ٤٣]. وهذا القول رواه أبو صالح عن ابن عباس[٤٠٣٨].

الثالث: أنها مدنية كلها. وهذا قول ابن عباس -في رواية عطاء الخراساني-[٤٠٣٩]، وابن الزبير[٤٠٤٠]، و جابر بن زيد[٤٠٤١]، ومقاتل[٤٠٤٢]، وبه قال السيوطي[٤٠٤٣] وعزاه القرطبي إلى الكلبي[٤٠٤٤].

(٤٠٢٣) انظر: الكشاف: ٥١١/٢.

(٤٠٢٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٦٢.

(٤٠٢٥)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤٠٢٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى النحاس، وقال ابن الجوزي: "رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس". [انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢].

(٤٠٢٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤٠٢٨) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٢٩) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٤٠٣٠) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٣١) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٣٢) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٣٣) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٤٠٣٤) انظر: غريب القرآن:٢٢٤.

(٤٠٣٥) انظر: الكشاف:٥١١/٢.

(٤٠٣٦) البصائر:٢٦٢/١.

(٤٠٣٧) انظر: تفسير ابن كثير:٤٢٨/٤.

(٤٠٣٨) انظر: الكشف والبيان:٢٦٧/٥، وزاد المسير:٤٧٩/٢.

(٤٠٣٩) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابي الشيخ وابن مردويه.

(٤٠٤٠)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٠٤١) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٤٠٤٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٧/٢.

(٤٠٤٣) انظر: الدر المنثور:٥٩٩/٤.

الرابع: أنها مدنية، إلا آية واحدة مكية، وهي قوله: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [الرعد : ٣١]. وهذا القول مروي عن قتادة[٤٠٤٥].

الخامس: أنها مدنية، إلا آيتين منها، ثم اختلفوا في المكي منها على قولين:

أحدهما: أن الآيتين اللتين نزلتا بمكة، هما: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} [الرعد : ٣١]، إلى آخر الآيتين. وهذا القول مروي عن ابن عباس[٤٠٤٦]، وقتادة[٤٠٤٧].

والثاني: أن المكي منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} [الرعد : ١٢]، وقوله تعالى:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد : ١٤]. حكاه ابن الجوزي عن بعضهم[٤٠٤٨].

قال ابن عطية:" الظاهر- عندي- أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني"[٤٠٤٩].

قال ابن عاشور:" أشبه آياتها بأن يكون مدنيا"[٤٠٥٠].

قال سيد قطب:" إن افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيراً من التوجيهات فيها.. كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية- وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات والمصاحف- وأنها نزلت في فترة اشتد فيها الإعراض والتكذيب والتحدي من المشركين"[٤٠٥١].

(٤٠٤٤) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٤٥)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤٠٤٦) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٤٧) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤٠٤٨) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٤٠٤٩) المحرر الوجيز:٢٩٠/٣.

(٤٠٥٠) التحرير والتنوير:٧٦/١٣.

(٤٠٥١) في ظلال القرآن:٢٠٦٦/٤.

القرآن

{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)} [الرعد : ١]

التفسير:

(المر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن الرفيعة القدر، وهذا القرآن المنزل عليك -أيها الرسول- هو الحق، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به مِن عند نفسك، ومع هذا فأكثر الناس لا يصدِّقون به ولا يعملون.

قوله تعالى:{المر} [الرعد : ١]، الله أعلم بمراده.

عن الحسين بن واقد، عن مطير، في قوله: "{المر}، قال: {المر}: التوراة"(٤٠٥٢).

عن مجاهد: "{المر}: فواتح يفتتح بها كلامه"(٤٠٥٣).

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} [الرعد : ١]، أي:" هذه آيات القرآن المعجز، الذي فاق كل كتاب"(٤٠٥٤).

وفي قوله تعالى:{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} [الرعد : ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : الزبور، وهو قول مطر(٤٠٥٥).

الثاني: التوراة والإنجيل والزبور. قاله قتادة(٤٠٥٦).

الثالث: التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد(٤٠٥٧).

قوله تعالى:{وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} [الرعد : ١]، أي:" والذي أوحي إليك يا محمد في هذا القرآن هو الحق الذي لا يلتبس بالباطل، ولا يحتمل الشك والتردّد"(٤٠٥٨).

عن قتادة قوله: "{والذي أنزل إليك من ربك}، هذا القرآن"(٤٠٥٩). وروي عن مجاهد نحوه(٤٠٦٠).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)} [الرعد : ٢]

التفسير:

الله تعالى هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلَّل الشمس والقمر لمنافع العباد، كلٌّ منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة. يدبِّر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته وأنه لا إله إلا هو; لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتُخْلصوا العبادة له وحده.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد : ٢]، أي:" الله تعالى هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها"(٤٠٦١).

وفي قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد : ٢]، وجهان:

أحدهما : يعني: بِعُمد لا ترونها، قاله مجاهد(٤٠٦٢).

ومن تأوَّل ذلك كذلك، قصد مذهب تقديم العرب الجحدَ من آخر الكلام إلى أوله، كقول ابن هرمة(٤٠٦٣):

(٤٠٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٨١):ص٢٢١٥/٧.

(٤٠٥٣) أخرجه الطبري(٢٠٠٤٦):ص٣٢٠/١٦.

(٤٠٥٤) صفوة التفاسير:٦٨/٢.

(٤٠٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٠٨٢):ص٢٢١٥/٧.

(٤٠٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٠٨٤):ص٢٢١٥/٧.

(٤٠٥٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٤٨):ص٣٢٠/١٦.

(٤٠٥٨) صفوة التفاسير:٦٨/٢.

(٤٠٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٨٥):ص٢٢١٥/٧.

(٤٠٦٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٤٩)"ص٣٢١/١٦.

(٤٠٦١) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤٠٦٢) انظر: تفسير مجاهد: ٤٠٣، وتفسير الطبري(٢٠٠٥٣)-(٢٠٠٥٥):ص٣٢٣/١٦-٣٢٤.

وَلا أرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً ... تُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وتَنْكَؤُهَا

يريد: أراها لا تزال ظالمة، فقدم الجحد عن موضعه من"تزال"، وكما قال الآخر(٤٠٦٤):

إذَا أعْجَبَتْكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنَ امْرِئٍ ... فَدَعْهُ وَوَاكِلْ حَالَهُ وَاللَّيَالِيَا

يَجِئْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ ... وَإِنْ كَانَ فِيما لا يَرَى النَّاسُ آلِيَا

يعني: وإن كان فيما يرى الناس لا يألو(٤٠٦٥).

الثاني : أنها مرفوعة بغير عمد، قاله قتادة(٤٠٦٦)، وإياس بن معاوية(٤٠٦٧).

قال قتادة:" رفعها بغير عمد"(٤٠٦٨).

قال إياس بن معاوية:" السماء مقببة على الأرض مثل القبة"(٤٠٦٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الرعد : ٢]، أي:" ثم علا على العرش علوا يليق بجلاله وعظمته من غير تجسيم ولا تكييف ولا تعطيل"(٤٠٧٠).

عن الحسن، قال:" استوى أمره على العرش"(٤٠٧١).

عن أبي العالية في قوله: "{ثم استوى}، يقول: ارتفع"(٤٠٧٢). وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله(٤٠٧٣).

عن قتادة: " {ثم استوى على العرش}، قال: يوم السابع "(٤٠٧٤)

عن الحكم بن أبان، قال: "سمعت عكرمة يقول إن الله بدء خلق السماوات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات، فخلق في ناحية منها الشموس كي يرغب الناس إلى ربهم في الدعاء والمسألة، وخلق في ناحية النتن الذي يسقط على ابن آدم إذا مات لكي يقبر"(٤٠٧٥).

عن كعب الأحبار، قال: " إن الله عز وجل لما خلق الخلق استوى على العرش فسبحه يعني: العرش "(٤٠٧٦).

قال الإمام ابن كثير:" وأما قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين

(٤٠٦٣)شرح شواهد المغني ٢٧٧، ٢٧٩ من تسعة أبيات، ومعاني القرآن للفراء في تفسير الآية، والأضداد لابن الأنباري: ٢٣٤.

وقد زعموا أنه قيل لابن هرمة: إن قريشًا لا تهمز، فقال: لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش، وأولها: إنَّ سُلَيْمي والله يكْلؤهَا ... ضَنَّتْ بِشَيءٍ مَا كَان يَرْزَؤُها

وعَوَّدَتْنِي فِيما تُعَوِّدُني ... أظْمَاءُ ورْدٍ ما كُنْتُ أجزَؤُهَا

ولا أرَاهَا تَزَال ظَالِمةً ... .

(٤٠٦٤) لم أتعرف على قائله، والبيت في معاني القرآن للفراء في تفسير الآية، والأضداد لابن الأنباري: ٢٣٤، وتفسير الطبري:٣٢٥/١٦، وقوله:" واكل حاله"، أي: دع أمره لليالي. من" وكل إليه الأمر"، أي: صرف أمره إليه. وقوله:" يجئن على ما كان من صالح به"، أي يقضين على صالح أمره ويذهبنه. و" الآلي"، المقصر.

(٤٠٦٥) انظر: تفسير الطبري:٣٢٤/١٦-٣٢٥.

(٤٠٦٦) انظر: تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٣١، النكت والعيون: ٩٢/٣، وعزاه في "الدر" ٤/ ٦٠١، إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤٠٦٧) انظر:تفسير الطبري(٢٠٠٥٩):ص٣٢٥/١٦، والنكت والعيون: ٩٢/٣، و"الدر المنثور" ٤/ ٨١.

وهو: إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني أبو واثلة، قاضي البصرة، تابعي ثقة فقيه يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والعقل والفطنة والفصاحة. توفي سنة ١٢٢ هـ. انظر: "حلية الأولياء" ٣/ ١٢٣، و"تهذيب التهذيب" ١/ ١٩٧.

(٤٠٦٨) أخرجه الطبري(٢٠٠٦٠):ص٣٢٥/١٦.

(٤٠٦٩) أخرجه الطبري(٢٠٠٥٩):ص٣٢٥/١٦.

(٤٠٧٠) انظر: التفسير الميسر:٢٤٩، وصفوة التفاسير:٦٨/٢.

(٤٠٧١) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.

(٤٠٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١١):ص١٩٢٥/٦، و(١٢٠٩٣):ص٢٢١٦/٧.

(٤٠٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٢٥/٦، و:٢٢١٦/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٠٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٩٤):ص٢٢١٦/٧.

(٤٠٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢١٢):ص١٩٢٥/٦. قطعة من الخبر السابق.

(٤٠٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٩٦):ص٢٢١٧/٧.

قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري - : «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر». وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى"[٤٠٧٧].

وقال أبو بكر المروذي: "سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية، والإسراء، وقصة العرش، فصححه أبو عبد الله وقال: تلقتها العلماء بالقبول، تمر الأخبار كما جاءت"[٤٠٧٨].

وقال محمد بن الحسن الشيباني ـ صاحب أبي حنيفة ـ :"اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم لم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم[٤٠٧٩] فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيئ"[٤٠٨٠].

وقال عباد بن العوام: "قدم علينا شريك بن عبد الله، فقلنا: إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث: " إن الله ينزل إلى سماء الدنيا " والرؤية وما أشبه هذه الأحاديث فقال: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنن في الصلاة، والزكاة، والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث"[٤٠٨١].

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء"[٤٠٨٢].

قال وهب بن منبه :"إن الله خلق العرش من نوره"[٤٠٨٣].

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} [الرعد : ٢]، أي:" وذلّل الشمس والقمر لمنافع العباد، كلٌّ منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة"[٤٠٨٤].

عن مجاهد: "{وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى}، قال: الدنيا"[٤٠٨٥].

قال عكرمة:" سعة الشمس سعة الأرض كلها، وزيادة ثلث، وسعة القمر سعة الأرض مرة، وإن الشمس إذا غربت دخلت تحت العرش، فسبحت لله، حتى إذا هي أصبحت استعفت ربها من الخروج، فقال لها الرب: «ولم ذاك والرب أعلم» فقالت: إني إذا خرجت عبدت، فقال لها الرب: «اخرجي فليس عليك من ذلك شيء حسبهم جهنم، أبعثها عليهم مع ثلاثة عشر ألف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها»"[٤٠٨٦].

(٤٠٧٧) تفسير ابن كثير:٣/٤٢٦-٤٢٧.

(٤٠٧٨)رواه مختصراً ابن قدامة في ذم التأويل ص٢١، ورواه بتمامه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/٥٦.

(٤٠٧٩)جهم بن صفوان من أهل خراسان ينسب إلى سمرقند وزمنه ومحتده الكوفة، وكنى أبا محرز، وكان مولى لبني راسب من الأزد، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم وكان فصيحاً، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو إليها، وكان أكثر كلامه في الإلهيات.

انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص١٠.

قال المقريزي: حدث مذهب الجهم بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً آثرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير، وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعة على أقواله التي تؤول إلى التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤا على إنكارها وتضليل أهلها، وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله، وذموا من جلس إليهم، وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهله.

الخطط ٢/٢٥٧.

(٤٠٨٠)رواه ابن قدامة في ذم التأويل ص١٣-١٤، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ((٧٤٠)) ٣/٤٣٢، والذهبي في العلو ص١١٣.

(٤٠٨١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي:٢٢٠، ولم أجده بهذا اللفظ، ورواه بلفظ مقارب الدارقطني في الصفات ص٤٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/١٨٥.

(٤٠٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٩):ص٥/١٤٩٧.

(٤٠٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٠):ص٥/١٤٩٧.

(٤٠٨٤) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤٠٨٥) أخرجه الطبري(٢٠٠٦١)كص١٦/٣٢٦.

(٤٠٨٦)أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٩٧):ص٧/٢٢١٧ .

قوله تعالى:{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} [الرعد : ٢]، أي:" يدبِّر سبحانه أمور الدنيا والآخرة"[٤٠٨٧].
عن مجاهد قوله: "{يدبر الأمر}، قال: يقبضه وحده"[٤٠٨٨].
قوله تعالى:{يُفَصِّلُ الْآيَاتِ} [الرعد : ٢]، أي:" يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته وأنه لا إله إلا هو"[٤٠٨٩].
عن السدي: " {يفصل الآيات}، أما «نفصل»: فنبين "[٤٠٩٠].
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد : ٢]، أي:" لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتُخْلصوا العبادة له وحده"[٤٠٩١].
عن قتادة: "{لعلكم بلقاء ربكم توقنون} ، وإن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه وأرسل رسله، لنؤمن بوعده، ونستيقن بلقائه"[٤٠٩٢].

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)} [الرعد : ٣]
التفسير:
وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهيأها لمعاشكم، وجعل فيها جبالا تُثبِّتُها وأنهارًا لشربكم ومنافعكم، وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين، فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته، إن في ذلك كله لعظات لقوم يتفكرون فيها، فيتعظون.
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ} [الرعد : ٣]، أي:" وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهيأها لمعاشكم"[٤٠٩٣].
عن الأوزاعي، قال: قال عبد الله بن عمرو: "الدنيا مسيرة خمسمائة عام أربع مائة خراب، ومائة عمران , في أيدي المسلمين مدة ذلك مسيرة سنة"[٤٠٩٤].
قال وهب بن منبه: "ما العمارة في الدنيا في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء"[٤٠٩٥].
قوله تعالى:{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا} [الرعد : ٣]، أي:" وجعل فيها جبالا تُثبِّتُها وأنهارًا لشربكم ومنافعكم"[٤٠٩٦].
عن قتادة، قوله: " {رواسي}، أي: جبال"[٤٠٩٧].
عن عطاء، قال: "أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس"[٤٠٩٨].
قوله تعالى:{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} [الرعد : ٣]، أي:" وجعل الليل يغطي النهار بظلمته"[٤٠٩٩].
قال قتادة:" أي: يلبس الليل النهار"[٤١٠٠].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد : ٣]، أي:" إن في ذلك كله لعظات لقوم يتفكرون فيها، فيتعظون"[٤١٠١].

(٤٠٨٧) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤٠٨٨) أخرجه الطبري(٢٠٠٦٢):ص٣٢٧/١٦، و تفسير ابن أبي حاتم(١٠٢١٦):ص١٩٢٦/٦.
(٤٠٨٩) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤٠٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٠٩٩):ص٢٢١٧/٧.
(٤٠٩١) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤٠٩٢) أخرجه الطبري(٢٠٠٦٥):ص٣٢٧/١٦.
(٤٠٩٣) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤٠٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٠٢):ص٢٢١٨/٧.
(٤٠٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٠٤):ص٢٢١٨/٧.
(٤٠٩٦) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤٠٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٠٧):ص٢٢١٩/٧.
(٤٠٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٠٦):ص٢٢١٨/٧.
(٤٠٩٩) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤١٠٠) أخرجه الطبري(٢٠٠٦٦):ص٣٢٩/١٦.
(٤١٠١) التفسير الميسر:٢٤٩.

عن سعيد بن جبير، قوله: {إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[٤١٠٢].

القرآن

{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)} [الرعد : ٤]

التفسير:

وفي الأرض قطع يجاور بعضها بعضًا، منها ما هو طيِّب يُنبتُ ما ينفع الناس، ومنها سَبِخة مِلْحة لا تُنبت شيئًا، وفي الأرض الطيبة بساتين من أعناب، وجعل فيها زروعًا مختلفة ونخيلا مجتمعًا في منبت واحد، وغير مجتمع فيه، كل ذلك في تربة واحدة، ويشرب من ماء واحد، ولكنه يختلف في الثمار والحجم والطعم وغير ذلك، فهذا حلو وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل، إن في ذلك لعلامات لمن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه.

قوله تعالى:{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ} [الرعد : ٤]، أي:" في الأرض بقاعٌ مختلفةٌ متلاصقات قريبٌ بعضها من بعض"[٤١٠٣].

عن قتادة قوله: "{متجاورات}، أي: قريب بعضها من بعض"[٤١٠٤].

وفي قوله تعالى:{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ} [الرعد : ٤]، وجهان:

قال قتادة:" قُرًى قَرُبت متجاورات بعضها من بعض"[٤١٠٥].

عن أبي عياض: "{قطع متجاورات}، قال: قرى"[٤١٠٦].

وعن الضحاك: "{قطع متجاورات}، قال: الأرض السبخة، تليها الأرض العذية"[٤١٠٧].

قال الضحاك:" يعني: الأرض السبخة والأرض العذية، متجاورات بعضها عند بعض"[٤١٠٨].

وعن مجاهد :"{وفي الأرض قطع متجاورات}، قال: ملح وعذوبة"[٤١٠٩].

عن ابن شوذب : "{وفي الأرض قطع متجاورات}، قال: عذية ومالحة"[٤١١٠].

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ} [الرعد : ٤]، أي:" وفي الأرض الطيبة بساتين من أعناب، وجعل فيها زروعًا مختلفة"[٤١١١].

عن مجاهد:"{جنات من أعناب}، قال: جنات وما معها"[٤١١٢].

قوله تعالى:{وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} [الرعد : ٤]، أي:" ونخيلا مجتمعًا في منبت واحد، وغير مجتمع فيه"[٤١١٣].

وفي قوله تعالى:{وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} [الرعد : ٤]، قولان:

أحدهما : أن «الصنوان»: المجتمع، و«غير الصنوان»: المفترّق (غير مجتمع). وهذا قول سعيد بن جبير[٤١١٤]. قال الشاعر[٤١١٥]:

العلم والحلم خُلّتا كرَمٍ ... للمرءِ زين إذا هما اجتمعا

صنوانِ لا يستتم حسنها ... إلا بجمع ذا وذاك معا

(٤١٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦، (١٢١١٠):ص٢٢١٩/٧.

(٤١٠٣) صفوة التفاسير:٦٩/٢.

(٤١٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١١٨):ص٢٢٢٠/٧.

(٤١٠٥) أخرجه الطبري(٢٠٠٧٦):ص٣٣٢/١٦

(٤١٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١١٥):ص٢٢٢٠/٧.

(٤١٠٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٧٨):ص٣٣٢/١٦.

(٤١٠٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٧٩):ص٣٣٢/١٦-٣٣٣.

(٤١٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١١٤):ص٢٢١٩/٧.

(٤١١٠) أخرجه الطبري(٢٠٠٨٢):ص٣٣٣/١٦.

(٤١١١) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤١١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢١١٩):ص٢٢٢٠/٧.

(٤١١٣) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤١١٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٠٨٣):ص٣٣٤/١٦.

(٤١١٥) البيت غير منسوب في النت والعيون:٩٣/٣، وتفسير السمعاني:٧٨/٣، وتفسير القرطبي:٢٨٢/٩.

وقال خصيف:" «الصنوان»: ما كان من الشجر متشعب"[٤١١٦].
الثاني : أن «الصنوان»: النخلات يكون أصلها واحداً ، و«غير الصنوان»: أن تكون أصولها شتى ، قاله مجاهد[٤١١٧]، والضحاك[٤١١٨]، وقتادة[٤١١٩].
قال قتادة:" أما«الصنوان»: فالنخلتان والثلاث أصولُهن واحدة وفروعهن شتى، «وغير صنوان»: النخلة الواحدة"[٤١٢٠].
عن الضحاك :"{صنوان}، قال: إذا كان الخمس والست أصلهن واحد، وفروعهن شتى، وطلعهن مختلف، {وغير صنوان}: النخلة غير المنفردة"[٤١٢١].
عن معمر، قال: حدثني رجل: "أنه كان بين عمر بن الخطاب وبين العباس قول، فأسرع إليه العباس، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألم تر عباسًا فعل بي وفعل! فأردت أن أجيبه، فذكرتُ مكانه منك فكففت: فقال: يرحمك الله، إنّ عمّ الرجل صِنْوُ أبيه"[٤١٢٢].
عن مجاهد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تؤذوني في العباس فإنه بقية آبائي، وإنّ عمّ الرجل صنو أبيه"[٤١٢٣].
قوله تعالى:{ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ} [الرعد : ٤]، أي:" يسقى كل ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل بماء واحد لا اختلاف فى طبعه"[٤١٢٤].
قال مجاهد:" ماء السماء، كمثل صالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد"[٤١٢٥].
قوله تعالى:{وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} [الرعد : ٤]، أي:" ومع وجود أسباب التشابه نفضل بمحض القدرة بعضا منها على بعض فى الثمرات شكلا وقدرا، ورائحة وطعما، وحلاوة وحموضة"[٤١٢٦].
قال سعيد بن جبير:" الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود، وبعضها أكثر حملا من بعض، وبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أفضل من بعض"[٤١٢٧].
قال الضحاك:" بعضها أفضل من بعض حملا"[٤١٢٨].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد : ٤]، أي:" إن في ذلك لعلامات لمن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه"[٤١٢٩].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد : ٤]، وجهان:
أحدهما : أن في اختلاف ذلك اعتبار يدل ذوي العقول على عظيم القدرة ، وهو معنى قول الضحاك[٤١٣٠].
عن الضحاك :"{يسقى بماء واحد} بعضها أفضل من بعض حملا، ففي ذلك آية لقوم يعقلون"[٤١٣١].
الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لبني آدم ، أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد ، قاله الحسن[٤١٣٢]، ومجاهد[٤١٣٣].

(٤١١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢١٢٣):ص٢٢٢٠/٧.
(٤١١٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٠٠):ص٣٣٧/١٦.
(٤١١٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٠٢):ص٣٣٧/١٦.
(٤١١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٠٤):ص٣٣٨/١٦.
(٤١٢٠) أخرجه الطبري(٢٠١٠٤):ص٣٣٨/١٦.
(٤١٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٢٢)، (١٢١٢٥):ص٢٢٢٠/٧، ٢٢٢١.
(٤١٢٢) أخرجه الطبري(٢٠١٠٧):ص٣٣٨/١٦
(٤١٢٣) أخرجه الطبري(٢٠١٠٩):ص٣٣٩/١٦
(٤١٢٤) تفسير المراغي:٦٨/١٣.
(٤١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢١٢٦):ص٢٢٢١/٧.
(٤١٢٦) تفسير المراغي:٦٨/١٣.
(٤١٢٧) أخرجه الطبري(٢٠٠٨٣):ص٣٣٤/١٦.
(٤١٢٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٢٨):ص٢٢٢١/٧.
(٤١٢٩) التفسير الميسر:٢٤٩.
(٤١٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢١٢٨):ص٢٢٢١/٧.
(٤١٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٢٨):ص٢٢٢١/٧.
(٤١٣٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠١١٣):ص٣٤٠/١٦.
(٤١٣٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠١١٢):ص٣٣٩/١٦-٣٤٠.

القرآن

{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)} [الرعد : ٥]

التفسير:

وإن تعجب -أيها الرسول- من عدم إيمانهم بعد هذه الأدلة فالعجب الأشدُّ من قولهم: أإذا متنا وكنا ترابا نُبعث من جديد؟ أولئك هم الجاحدون بربهم الذي أوجدهم من العدم، وأولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك يدخلون النار، ولا يخرجون منها أبدًا.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد : ٥]، أي:" وإن تعجب -أيها الرسول- من عدم إيمانهم بعد هذه الأدلة فالعجب الأشدُّ من قولهم: أإذا متنا وكنا ترابا نُبعث من جديد؟"(٤١٣٤).

قال قتادة:" إن عجبت يا محمد، {فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد}، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت"(٤١٣٥).

عن السدي: "{أإذا كنا ترابا}: فكانت اللحوم رفاتا"(٤١٣٦).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} [الرعد : ٥]، أي:" أولئك هم الجاحدون بربهم الذي أوجدهم من العدم، وأولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة"(٤١٣٧).

قال الحسين:" إن الأنكال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب، ولكنها جعلت في أعناقهم لكي إذا طفا بهم اللهب أرسبتهم في النار"(٤١٣٨).

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الرعد : ٥]، أي:" وأولئك يدخلون النار، ولا يخرجون منها أبدًا"(٤١٣٩).

عن أبي مالك قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها"(٤١٤٠).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (٤١٤١).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٤١٤٢).

القرآن

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)} [الرعد : ٦]

التفسير:

ويستعجلك المكذِّبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها قبل الإيمان الذي يرجى به الأمان والحسنات، وقد مضت عقوبات المكذبين مِن قبلهم، فكيف لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك -أيها الرسول- لذو مغفرة لذنوبِ مَن تاب مِن ذنوبه من الناس على ظلمهم، يفتح لهم باب المغفرة، ويدعوهم إليها، وهم يظلمون أنفسهم بعصيانهم ربهم، وإن ربك لشديد العقاب على مَن أصرَّ على الكفر والضلال ومعصية الله.

سبب النزول:

اختلفوا فيمن نزلت الآية على ثلاثة أقوال:

(٤١٣٤) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤١٣٥) أخرجه الطبري(٢٠١٢٨):ص٣٤٦/١٦.

(٤١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٣٣):ص٢٢٢٢/٧.

(٤١٣٧) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤١٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٣٤):ص٢٢٢٢/٧.

(٤١٣٩) التفسير الميسر:٢٤٩.

(٤١٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢١٣٥):ص٢٢٢٢/٧.

(٤١٤١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس[٤١٤٣].

والثاني: أنها نزلت: في مشركي العرب، قاله قتادة[٤١٤٤].

والثالث: أنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل[٤١٤٥].

قوله تعالى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} [الرعد : ٦]، أي:" ويستعجلك المكذِّبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها قبل الإيمان الذي يرجى به الأمان والحسنات"[٤١٤٦].

وفي قوله تعالى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} [الرعد : ٦]، وجهان:

أحدهما : يعني بالعقوبة قبل العافية ، رواه معمر عن قتادة[٤١٤٧].

قال قتادة:" هؤلاء مشركوا العرب استعجلوا بالشر قبل الخير، فقالوا: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}"[٤١٤٨].

وروي عن السدي قوله: "{ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة}، قال: حين سألوا العذاب"[٤١٤٩].

الثاني : بالشر قبل الخير، رواه سعيد عن قتادة[٤١٥٠].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} [الرعد : ٦]، أي:" وقد مضت عقوبات المكذبين مِن قبلهم، فكيف لا يعتبرون بهم؟"[٤١٥١].

عن أبي مالك قوله: "{خلت}، يعني: مضت"[٤١٥٢].

عن قتادة، قوله: "{وقد خلت من قبلهم المثلات}، وقائع الله في الأمم فيمن خلا قبلكم"[٤١٥٣].

وفي قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} [الرعد : ٦]، وجهان:

أحدهما : الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم، قاله مجاهد[٤١٥٤]، وأبو صالح[٤١٥٥].

قال مجاهد:" «المثلات»: الذي مَثَّل الله به الأممَ من العذاب الذي عذَّبهم، تولَّت المثلات من العذاب، قد خلت من قبلهم، وعرفوا ذلك، وانتهى إليهم ما مَثَّلَ الله بهم حين عصَوه وعَصوا رُسُله"[٤١٥٦].

الثاني : أنها العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية. وهو معنى قول الشعبي[٤١٥٧].

روي عن سليم قال: "سمعت الشعبي يقول في قوله: {وقد خلت من قبلهم المثلاث}، قال: القردة والخنازير هي «المثلات»"[٤١٥٨].

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} [الرعد : ٦]، أي:" وإن ربك -أيها الرسول- لَذو مغفرة لذنوبِ مَن تاب مِن ذنوبه من الناس على ظلمهم، يفتح لهم باب المغفرة، ويدعوهم إليها، وهم يظلمون أنفسهم بعصيانهم ربهم"[٤١٥٩].

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم}، ثم قال مطرف: لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله ومغفرة الله لقرت أعينهم"[٤١٦٠]. وفي رواية،

(٤١٤٣) انظر: زاد المسير:٤٨٣/٢.
(٤١٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٣٧):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٤٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦٧/٢-٣٦٨.
(٤١٤٦) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٤٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٣١):ص٣٥١/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١٢١٣٨):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٣٧):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٣٩):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٥٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٣٠):ص٣٥١/١٦.
(٤١٥١) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٤٠):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٥٣) أخرجه الطبري(٢٠١٣٠):ص٣٥١/١٦.
(٤١٥٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢١٤٢):ص٢٢٢٣/٧.
(٤١٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٢٢٣/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤١٥٦) أخرجه الطبري(٢٠١٣٥):ص٣٥١/١٦-٣٥٢.
(٤١٥٧) أخرجه الطبري(٢٠١٣٦):ص٣٥٢/١٦.
(٤١٥٨) أخرجه الطبري(٢٠١٣٦):ص٣٥٢/١٦.
(٤١٥٩) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٤٤):ص٢٢٢٤/٧.

قال: "تلا مطرف هذه الآية: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب}، ولو يعلم الناس قدر عقوبة الله ونقمة الله وبأس الله، ونكال الله ما رقى لهم دمع ولا قرت أعينهم بشيء"[٤١٦١].

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} [الرعد : ٦]، أي:" وإن ربك لشديد العقاب على مَن أصرَّ على الكفر والضلال ومعصية الله"[٤١٦٢].

قال سعيد بن المسيب: "لما نزلت هذه الآية: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا عقوبة الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد"[٤١٦٣].

القرآن

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)} [الرعد : ٧]

التفسير:

ويقول كفار «مكة» : هلا جاءته معجزة محسوسة كعصا موسى وناقة صالح، وليس ذلك بيدك -أيها الرسول- فما أنت إلا مبلِّغ لهم، ومخوِّف مِن بأس الله. ولكل أمة رسول يرشدهم إلى الله تعالى.

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ} [الرعد : ٧]، أي:" ويقول المشركون من كفار قريش هلاّ أُنزل على محمد معجزة تدل على صدقه"[٤١٦٤].

قال قتادة:" قول مشركي العرب"[٤١٦٥].

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد : ٧]، أي:" وليس ذلك بيدك -أيها الرسول- فما أنت إلا مبلِّغ لهم، ومخوِّف مِن بأس الله ، ولكل أمة رسول يرشدهم إلى الله تعالى"[٤١٦٦].

قال قتادة:" لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله"[٤١٦٧].

وفي قوله تعالى:{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد : ٧]، أقوال:

أحدها : أنه الله تعالى، فهو هادي كل قوم، قاله سعيد بن جبير[٤١٦٨]، ومجاهد[٤١٦٩]، والضحاك[٤١٧٠].

الثاني : ولكل قومٍ هادٍ، أي: نبي يهديهم إلى الله، قاله مجاهد[٤١٧١]، وقتادة[٤١٧٢].

الثالث : ولكل قوم هاد، معناه: ولكل قوم قادة وهداة ، قاله أبو صالح[٤١٧٣]، ويحيى بن رافع[٤١٧٤].

الرابع : ولكل قوم هاد ، أي: داع. قاله الحسن[٤١٧٥].

الخامس: أن «الهادي»: القائد، والقائد: الإمام، والإمام: العمل، قاله أبو العالية[٤١٧٦].

فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلقه ويتَّبع خلقُه هداه ويأتمون بأمره ونهيه، وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذي تأتمُّ به أمته، وجائز أن يكون إمامًا من الأئمة يُؤْتَمّ به، ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه، وجائزٌ أن يكون داعيًا من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ، وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال

(٤١٦١) أخره ابن ابي حاتم(١٢١٤٦):ص٢٢٢٤/٧.
(٤١٦٢) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٦٣) أخره ابن ابي حاتم(١٢١٤٥):ص٢٢٢٤/٧.
(٤١٦٤) صفوة التفاسير:٧٠/٢.
(٤١٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٤٧):ص٢٢٢٤/٧.
(٤١٦٦) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٦٧) أخرجه الطبري(٢٠١٣٨):ص٣٥٣/١٦.
(٤١٦٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٤٢)-(٢٠١٤٤):ص٣٥٤/١٦.
(٤١٦٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٤٥):ص٣٥٤/١٦.
(٤١٧٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٤٧):ص٣٥٥/١٦.
(٤١٧١) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٤٨)-(٢٠١٥٤):ص٣٥٥/١٦-٣٥٦.
(٤١٧٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٤٧):ص٣٥٥/١٦.
(٤١٧٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٥٧)، و(٢٠١٥٨):ص٣٥٦/١٦.
(٤١٧٤)انظر: تفسير الطبري(٢٠١٦٠):ص٣٥٦/١٦-٣٥٧ .
(٤١٧٥) انظر: النكت والعيون:٩٦/٣.
(٤١٧٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٥٦):ص٣٥٦/١٦.

كما قال جل ثناؤه: إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم فيتّبعونه ويأتمُّون به"[٤١٧٧].

القرآن

{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)} [الرعد : ٨]

التفسير:

الله تعالى يعلم ما تحمل كلُّ أنثى في بطنها، أذكر هو أم أنثى؟ وشقي هو أم سعيد؟ ويعلم ما تنقصه الأرحام، فيسقط أو يولد قبل تسعة أشهر، وما يزيد حمله عليها. وكل شيء مقدَّر عند الله بمقدار من النقصان أو الزيادة لا يتجاوزه.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى} [الرعد : ٨]، أي:" الله تعالى يعلم ما تحمل كلُّ أنثى في بطنها، أذكر هو أم أنثى؟ وشقي هو أم سعيد؟"[٤١٧٨].

قال سعيد بن جبير:" يعلم ذكرا هو أو أنثى"[٤١٧٩].

قال ابن جريج:" من ذكر أو أنثى"[٤١٨٠].

عن عكرمة ومجاهد :"{يعلم ما تحمل كل أنثى}، قال: حملها تسعة أشهر"[٤١٨١].

قوله تعالى:{وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} [الرعد : ٨]، أي:" وما تنقصه الأرحامُ بإلقاء الجنين قبل تمامه، وما تزداد على الأشهر التسعة"[٤١٨٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} [الرعد : ٨]، خمسة وجوه من التفسير:

أحدها : : أن "«الغيض»، السَّقْط، {وما تزداد}، فوق التسعة الأشهر". قاله قتادة[٤١٨٣].

وقال الحسن: "غيضوضتها: السقط"[٤١٨٤]. وفي رواية:" «الغيض»: ما دون التسعة الأشهر"[٤١٨٥].

الثاني : {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، {وَمَا تَزْدَادُ} بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير[٤١٨٦]، والضحاك[٤١٨٧]، وعطية العوفي[٤١٨٨].

عن الضحاك : " ولدت لسنتين، وقد نبتت ثناياي"[٤١٨٩].

قال الضحاك:" ما دون التسعة أشهر فهو غيض"[٤١٩٠]، "ما فوق التسعة فهو زيادة"[٤١٩١].

الثالث : {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} بانقطاع الحيض في الحمل، {وَمَا تَزْدَادُ} بدم النفاس بعد الوضع[٤١٩٢].

قال مكحول:"الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا وقع إلى الأرض استهل، واستهلاله استنكارا لمكانه فإذا قطعت سرته حول الله رزقه إلى ثدي أمه، فيأكله فإذا هو بلغ قال هو الموت أو القتل، قال: أنى لي بالرزق؟ فيقول مكحول: يا ويحك غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى إذا اشتددت وعقلت. قلت: هو الموت أو القتل أين

(٤١٧٧) تفسير الطبري:٣٥٨/١٦.
(٤١٧٨) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤١٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢١٥٨):ص٢٢٢٦/٧.
(٤١٨٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢١٥٩):ص٢٢٢٦/٧.
(٤١٨١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٦٠):ص٢٢٢٦/٧ .
(٤١٨٢) صفوة التفاسير:٧٠/٢.
(٤١٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٠١٩٤):ص٣٦٤/١٦.
(٤١٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٦٥):ص٢٢٢٧/٧.
(٤١٨٥) أخرجه الطبري(٢٠١٩٠):ص٣٦٣/١٦.
(٤١٨٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٦٥):ص٣٥٩/١٦.
(٤١٨٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٨٤):ص٣٦٢/١٦-٣٦٣.
(٤١٨٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٩٢):ص٣٦٤/١٦.
(٤١٨٩) اخرجه الطبري(٢٠١٩٩):ص٣٦٥/١٦.
(٤١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٦٤):ص٢٢٢٧/٧.
(٤١٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٦٧):ص٢٢٢٧/٧.
(٤١٩٢) انظر: النكت والعيون:٩٧/٣.

لي بالرزق. ثم قرأ مكحول: {يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار}"[٤١٩٣].

الرابع : {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد، {وَمَا تَزْدَادُ} في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل. قاله سعيد بن جبير[٤١٩٤]، ومجاهد[٤١٩٥]، وعكرمة[٤١٩٦].

قال سعيد بن جبير:" إذا رأت المرأة الدمَ على الحمل، فهو«الغيض» للولد. يقول: نقصانٌ في غذاء الولد، وهو زيادة في الحمل"[٤١٩٧].

قال عكرمة:" كلما غاضت بالدم، زاد ذلك في الحمل"[٤١٩٨].

وقال عكرمة:" غيض الرحم: الدم على الحمل كلما غاض الرحم من الدم يومًا زاد في الحمل يومًا حتى تستكمل وهي طاهرةٌ"[٤١٩٩].

الخامس : {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} من ولدته قبل، {وَمَا تَزْدَادُ} من تلده من بعد، حكاه السدي[٤٢٠٠]، وقتادة[٤٢٠١].

قوله تعالى:{وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد : ٨]، أي:" وكل شيء مقدَّر عند الله بمقدار من النقصان أو الزيادة لا يتجاوزه"[٤٢٠٢].

وفي قوله تعالى:{وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد : ٨]، وجهان:

أحدهما : في الرزق والأجل، قاله قتادة[٤٢٠٣].

قال قتادة:" إي والله، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم، وجعل لهم أجلا معلومًا"[٤٢٠٤].

الثاني : فيما تغيض الأرحام وما تزداد. حكاه الماوردي عن الضحاك[٤٢٠٥].

القرآن

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩)} [الرعد : ٩]

التفسير:

الله عالم بما خفي عن الأبصار، وبما هو مشاهَد، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، المتعالي على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره.

قوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الرعد : ٩]، أي:" الله عالم بما خفي عن الأبصار، وبما هو مشاهَد"[٤٢٠٦].

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٤٢٠٧].

قوله تعالى:{الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد : ٩]، أي:" العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المستعلي على كل شيء بقدرته المنزَّه عن المشابهة والمماثلة"[٤٢٠٨].

قال الحسن: "المتعالي عما يقول المشركون"[٤٢٠٩].

(٤١٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٠):ص٢٢٢٧/٧.

(٤١٩٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٩٥):ص٣٦٤/١٦.

(٤١٩٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٦٦)-(٢٠١٧٣)، و(٢٠١٧٦)-(٢٠١٧٧):ص٣٦٠/١٦-٣٦٢.

(٤١٩٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠١٧٨)-(٢٠١٨٠)، و(٢٠١٨٢)، و(٢٠١٨٣):ص٣٦٢/١٦.

(٤١٩٧) أخرجه الطبري(٢٠١٩٥):ص٣٦٤/١٦.

(٤١٩٨) أخرجه الطبري(٢٠١٧٨):ص٣٦٢/١٦.

(٤١٩٩) أخرجه الطبري(٢٠١٨٠):ص٣٦٢/١٦.

(٤٢٠٠) انظر: النكت والعيون:٣٦٥/١٦.

(٤٢٠١) انظر: النكت والعيون:٣٦٥/١٦.

(٤٢٠٢) التفسير الميسر:٢٥٠.

(٤٢٠٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٠١):ص٣٦٥/١٦.

(٤٢٠٤) أخرجه الطبري(٢٠٢٠١):ص٣٦٥/١٦.

(٤٢٠٥) انظر: النكت والعيون:٩٧/٣.

(٤٢٠٦) التفسير الميسر:٢٥٠.

(٤٢٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٤٢٠٨) صفوة التفاسير:٧٠/٢.

(٤٢٠٩) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٧/٣.

القرآن

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)} [الرعد : ١٠]

التفسير:

يستوي في علمه تعالى مَن أخفى القول منكم ومَن جهر به، ويستوي عنده مَن استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضح النهار.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: "أنزل الله تبارك وتعالى في عامر وأربد وما كانا هما به من النبي صلى الله عليه وسلم: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ}الآية"(٤٢١٠).

قوله تعالى:{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} [الرعد : ١٠]، أي:" يستوي في علمه تعالى مَن أخفى القول منكم ومَن جهر به"(٤٢١١).

قال الحسن:" يعلم من السر ما يعلم من العلانية، ويعلم من العلانية ما يعلم من السر"(٤٢١٢).

قال قتادة:" كل ذلك سواء عنده السر عنده علانية والظلمة عنده ضوء"(٤٢١٣).

قوله تعالى:{وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد : ١٠]، أي:" ويستوي عنده مَن استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضح النهار"(٤٢١٤).

عن قتادة :"{ومن هو مستخف بالليل}، أي: في ظلمة الليل"(٤٢١٥).

قال الحسن:" «السارب»: النادي بالنهار"(٤٢١٦).

وقال الحسن:" يعلم من الليل ما يعلم من النهار، ويعلم من النهار ما يعلم من الليل"(٤٢١٧).

عن مجاهد: قوله: "{ومن هو مستخف بالليل}، قال: راكب رأسه بالمعاصي"(٤٢١٨)، "{وسارب بالنهار}، قال: ظاهر بالنهار بالمعاصي"(٤٢١٩).

القرآن

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)} [الرعد : ١١]

التفسير:

لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّر نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجماعةٍ بلاءً فلا مفرَّ منه، وليس لهم مِن دون الله مِن وال يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.

سبب النزول:

قال عطاء بن يسار: "أنزل الله في عامر وأربد ما كانا هما به من النبي صلى الله عليه وسلم قوله: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}"(٤٢٢٠).

(٤٢١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٤):ص٢٢٢٨/٧.
(٤٢١١) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤٢١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٥):ص٢٢٢٨/٧.
(٤٢١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٦):ص٢٢٢٨/٧.
(٤٢١٤) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤٢١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٩):ص٢٢٢٩/٧.
(٤٢١٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٨٠):ص٢٢٢٩/٧.
(٤٢١٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٧):ص٢٢٢٨/٧.
(٤٢١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٧٨):ص٢٢٢٩/٧.
(٤٢١٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٨٢):ص٢٢٢٩/٧.
(٤٢٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٩٤):ص٢٢٣٢/٧.

قوله تعالى:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد : ١١]، أي:" لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر"(٤٢٢١).

قال أبو الجوزاء:" هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة(٤٢٢٢).

وفي «المعقبات»، قولان:

أحدهما: أنها الملائكة، تعقب بالليل والنهار تكتب عمل ابن آدم. قاله مجاهد(٤٢٢٣)، والحسن(٤٢٢٤)، وقتادة(٤٢٢٥)، وعطاء(٤٢٢٦)، وإبراهيم النخعي(٤٢٢٧)، وأبو صالح(٤٢٢٨)، وابن جريج(٤٢٢٩).

قال عطاء:" فيقال هم الكرام الكاتبون حفظة من الله على ابن آدم أمروا بذلك"(٤٢٣٠).

وحكي ابن الجوزي عن أكثر المفسرين: "هم الحفظة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر"(٤٢٣١).

عن قتادة، قوله: "{له معقبات من بين يديه ومن خلفه}، هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار. وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح، وفي قراءة أبيّ بن كعب: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرَقِيبٌ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللهِ»"(٤٢٣٢).

قال مجاهد:" ما من عبدٍ إلا له ملك موكّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءَكَ! إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه"(٤٢٣٣).

عن كنانة العدوي، قال: "دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمينٌ على الذي على الشمال، فإذا عملتَ حسنة كُتِبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: اكتب! قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب! فإذا قال ثلاثًا قال: نعم اكتب أراحنا الله منه، فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياءَه منّا! يقول الله: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [سورة ق: ١٨] ، وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله}، وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبَّرت على الله قصمك. وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصَّلاة على محمد. وملك قائم على فيك لا يدع الحيّة تدخل في فيك، وملكان على عينيك. فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدميّ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، [لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار](٤٢٣٤) فهؤلاء عشرون ملكًا على كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل"(٤٢٣٥).

(٤٢٢١) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤٢٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢١٨٥):ص٢٢٢٩/٧.
(٤٢٢٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢١٢)-(٢٠٢١٤):ص٣٧١/١٦.
(٤٢٢٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢١٠):ص٢٦٩/١٦-٢٧٠.
(٤٢٢٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٢١)، (٢٠٢٢٢):ص٣٧٢/١٦.
(٤٢٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢١٨٨):ص٢٢٣٠/٧.
(٤٢٢٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢١٨)، (٢٠٢٢٠):ص٢٧١/١٦-٢٧٢.
(٤٢٢٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٢٠):ص٣٧٢/١٦.
(٤٢٢٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٢٣):ص٣٧٢/١٦.
(٤٢٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٨٨):ص٢٢٣٠/٧.
(٤٢٣١) زاد المسير:٤٨٥/٣.
(٤٢٣٢) أخرجه الطبري(٢٠٢٢١):ص٣٧٢/١٦.
(٤٢٣٣) أخرجه الطبري(٢٠٢٢٤):ص٣٧٢/١٦-٣٧٣.
(٤٢٣٤)زيادة من ابن كثير والدر المنثور، ولا غنى عنها.
(٤٢٣٥) أخرجه الطبري(٢٠٢١١):ص٣٧٠/١٦.
الأثر: ٢٠٢١١ - هذا إسناد قد سلف مثله برقم: ١٣٨٦، ١٣٩٥. وهو إسناد مشكل منكر.
" إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري"، وسلف" التستري" وكان في ذلك الموضع في ابن كثير" القشيري"، لا ندري أيهما الصواب، ولم نجد له ذكرًا في شيء من كتب الرجال.
و" علي بن جرير"، لا يدري منه هو أيضًا، كما قلنا فيما سلف، إلا أني أزيد أن ابن أبي حاتم ترجم في الجرح والتعديل:" علي بن جرير البارودي روى عنه ... سئل أبي عن علي بن جرير البارودي، فقال: صدوق"، ولا أظنه هذا الذي في إسنادنا، كأن هذا متأخر، ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ١٧٨ وأما" عبد الحميد بن جعفر، فثقة، سلف برقم: ١٣٨٦.

والقول الثاني: أن المعقبات حراس الملوك الذين يتعاقبون الحرس، به قال عكرمة[٤٢٣٦]، والضحاك[٤٢٣٧].

قال الضحاك: "هو السلطان المحترس من الله، وهم أهل الشرك"[٤٢٣٨].

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولُ من قال:«الهاء»، في قوله: {له معقبات} من ذكر«مَنْ» التي في قوله: {ومَنْ هو مستخف بالليل}، وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه، هي حرسه وجلاوزته، كما قال ذلك من ذكرنا قوله، لأن قوله: {له معقبات} أقرب إلى قوله: {ومن هو مستخف بالليل} منه إلى عالم الغيب، فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره، وأن يكون المعنيَّ بذلك هذا، مع دلالة قول الله: {وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له} على أنهم المعنيُّون بذلك، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصيةٍ له وأهلَ ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَنْعَة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله. ثم أخبر أنّ الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءًا لم ينفعهم حَرَسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم[٤٢٣٩].

وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون، قاله عكرمة[٤٢٤٠] وهو قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله.

الثاني: أن المعنى: حفظهم له من أمر الله، قاله سعيد بن جبير[٤٢٤١]، ومجاهد[٤٢٤٢]، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به.

الثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن[٤٢٤٣]، ومجاهد[٤٢٤٤]، وقتادة[٤٢٤٥]، وعكرمة[٤٢٤٦].

قال قتادة:" وفي بعض القراءات «بِأَمْرِ اللهِ»"[٤٢٤٧].

الرابع: يحفظونه من الجن، قاله إبراهيم النخعي[٤٢٤٨].

وقال مجاهد: "ما من عبد إلا له ملك موكّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءَك إلا شيئًا يأذن الله فيصيبه"[٤٢٤٩].

وقال كعب: " لو تجلَّى لابن آدم كلّ سهلٍ وحزنٍ لرأى على كل شيء من ذلك شياطين. لولا أن الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذًا لتُخُطِّفتم"[٤٢٥٠].

وقال أبو مجلز: " جاء رجل من مُرادٍ إلى عليّ رضي الله عنه وهو يصلي، فقال: احترس، فإنّ ناسًا من مراد يريدون قتلك! فقال: إنّ مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدَرُ خلَّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّةٌ حصينة"[٤٢٥١].

والسادس: أن في الكلام تقديما وتأخيرا، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبو صالح[٤٢٥٢].

وأما" كنانة العدوي"، فهو" كنانة بن نعيم العدوي"، تابعي ثقة، لم يذكر أنه أدرك عثمان بن عفان أو روى عنه.
فهذا حديث فيه نكارة وضعف شديد، وانفرد بروايته أبو جعفر الطبري عن المثنى. انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٣، والدر المنثور ٤/ ٤٨. وقال ابن كثير: إنه حديث غريب جدًا.

(٤٢٣٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٢٨):ص٣٧٣/١٦.
(٤٢٣٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٣٠):ص٣٧٤/١٦.
(٤٢٣٨) أخرجه الطبري(٢٠٢٣٠):ص٣٧٤/١٦.
(٤٢٣٩) تفسير الطبري:٣٧٤/١٦.
(٤٢٤٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٤٣):ص٣٧٧/١٦.
(٤٢٤١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٣٢):ص٣٧٥/١٦.
(٤٢٤٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٣٣):ص٣٧٥/١٦.
(٤٢٤٣) انظر: زاد المسير: ٤٨٦/٢.
(٤٢٤٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٤١):ص٣٧٦/١٦-٣٧٧.
(٤٢٤٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٣٩):ص٣٧٦/١٦.
(٤٢٤٦) انظر: زاد المسير:٤٨٦/٢.
(٤٢٤٧) أخرجه الطبري(٢٠٢٤٠):ص٣٧٦/١٦.
(٤٢٤٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٤٤):ص٣٧٧/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢١٩٩):ص٢٢٣٢/٧.
(٤٢٤٩) أخرجه الطبري(٢٠٢٤٥):ص٣٧٧/١٦-٣٧٨.
(٤٢٥٠) أخرجه الطبري(٢٠٢٤٦):ص٣٧٨/١٦.
(٤٢٥١) أخرجه الطبري(٢٠٢٤٧):ص٣٧٨/١٦.
(٤٢٥٢) انظر: زاد المسير:٤٨٦/٢.

قال أبو صالح:" ملائكة الليل، يعقُبُون ملائكة النهار"[٤٢٥٣].
والسابع: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يسلموه إلى ما قدر له، روي نحوه عن عكرمة[٤٢٥٤].
قال عكرمة: "يحفظونه لأمر الله"[٤٢٥٥].
الثامن: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جريج[٤٢٥٦].
قال ابن جريج:" يحفظون عليه من الله"[٤٢٥٧].
عن عبد الله بن الجارود، قال: سمعت الجارود بن أبي سبرة، قال: "دخلت أنا وأبي على ابن عباس بالشام وقد خرج من مستحم له وقد اغتسل قال: وإنه مستلقى يقول: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه}، قال يا أبا سبرة: ليس هناك المعقبات ولكن له المعقبات من بين يديه ورقيب من خلفه"[٤٢٥٨].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد : ١١]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّر نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه"[٤٢٥٩].
قال قتادة:" وإنما يجيء التغيير من الناس والتيسير من الله فلا تغيروا ما بكم من نعم الله"[٤٢٦٠].
عن إبراهيم: "أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا تحول الله مما يحبون إلى ما يكرهون ثم قال: إن تصديق ذلك في كتاب الله: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}"[٤٢٦١].
قوله تعالى:{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد : ١١]، أي:" وإذا أراد الله بجماعةٍ بلاءً، فلا يقدر على ردّ ذلك أحد، وليس لهم مِن دون الله مِن وال يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم العذاب والمكروه"[٤٢٦٢].
عن السدي:" {وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}، قال: هو الذي يولاهم فينصرهم ويلجيهم إليه"[٤٢٦٣].

القرآن
{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢)} [الرعد : ١٢]
التفسير:
هو الذي يريكم من آياته البرق -وهو النور اللامع من خلال السحاب- فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر، وبقدرته سبحانه يوجد السحاب المحمَّل بالماء الكثير لمنافعكم.
قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الرعد : ١٢]، أي:" هو الذي يريكم من آياته البرق -وهو النور اللامع من خلال السحاب- فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر"[٤٢٦٤].
وفي قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الرعد : ١٢]، وجهان:
أحدهما : خوفاً للمسافر من أذيته ، وطمعاً للمقيم في بركته ، قاله قتادة[٤٢٦٥].
الثاني : خوفاً من صواعق البرق ، وطمعاً في غيثه المزيل للقحط ، قاله الحسن[٤٢٦٦].

(٤٢٥٣) أخرجه الطبري(٢٠٢٢٠):ص٢٧٢/١٦.
(٤٢٥٤) انظر: زاد المسير:٤٨٦/٢.
(٤٢٥٥) انظر: زاد المسير:٤٨٦/٢.
(٤٢٥٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٤٩):ص٣٧٨/١٦.
(٤٢٥٧) أخرجه الطبري(٢٠٢٤٩):ص٣٧٨/١٦.
(٤٢٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٩٢):ص٢٢٣٠/٧.
(٤٢٥٩)البيت للأعشى كما في "ديوانه" ص ٦٨، وفيه: "يقول القوم" سواء بصيرات .. " وهو في "الأضداد" لابن الأنباري ص ٤٣، وفيه "يقول القوم"، "الطبري" ١/ ١١١، "البحر المحيط" ١/ ٤٧، "القرطبي" ١/ ١٦٠، "الدر المصون" ١/ ١٠٧.
(٤٢٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٠٢):ص٢٢٣٣/٧.
(٤٢٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٠١):ص٢٢٣٢/٧.
(٤٢٦٢) انظر: التفسير الميسر:٢٥٠، وصفوة التفاسير:٧٠/٢.
(٤٢٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٠٤):ص٢٢٣٣/٧.
(٤٢٦٤) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤٢٦٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٥٢)، (١٠٢٥٣):ص٣٨٧/١٦.
(٤٢٦٦) انظر: النكت والعيون:١٠٠/٣.

عن الأوزاعي قال: "كان ابن أبي زكريا، يقول: من قال حين يسمع الرعد: "سبحان الله وبحمده، لم تصبه صاعقةٌ"[٤٢٦٧].

قوله تعالى:{وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} [الرعد : ١٢]، أي:" وبقدرته سبحانه يوجد السحاب المحمَّل بالماء الكثير لمنافعكم"[٤٢٦٨].

عن مجاهد، قوله: "{وينشئ السحاب الثقال}، قال: الذي فيه الماء"[٤٢٦٩].

القرآن

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)} [الرعد : ١٣]

التفسير:

ويسبِّح الرعد بحمد الله تسبيحًا يدل على خضوعه لربه، وتنزِّه الملائكة ربها مِن خوفها من الله، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها مَن يشاء من خلقه، والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث، وهو شديد الحول والقوة والبطش بمن عصاه.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في كافر من الكفّار ذكر الله -تعالى وتقدَّس- بغير ما ينبغي ذكره به، فأرسل عليه صاعقة أهلكته. قاله علي[٤٢٧٠]، و أنس بن مالك[٤٢٧١]، و عبد الرحمن بن صُحار العبدي[٤٢٧٢]، ومجاهد[٤٢٧٣].

عن عبد الرحمن بن صُحار العبدي: "أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جَبَّار يدعوه، فقال:"أرأيتم ربكم، أذهبٌ هو أم فضةٌ هو أم لؤلؤٌ هو؟ " قال: فبينما هو يجادلهم، إذ بعث الله سحابة فرعدت، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقِحْف رأسه فأنزل الله هذه الآية: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}"[٤٢٧٤].

وعن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرةً رجلا إلى رجل من فراعنة العرب، أن ادْعُه لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك! قال: اذهب إليه فادعه. قال: فأتاه فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك! فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه" قال: فأتاه فأعاد عليه وردَّ عليه مثل الجواب الأوّل. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه! قال: فرجع إليه. فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرَعَدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بِقِحْفِ رأسه، فأنزل الله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}"[٤٢٧٥].

الثاني: أنها نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عز وجل فيه: {وهم يجادلون في الله، وهو شديد المحال}. وهذا قول قتادة[٤٢٧٦].

الثالث: أنها نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل. وهذا قول ابن جريج[٤٢٧٧]، وروي عن ابن زيد نحو ذلك[٤٢٧٨].

قال ابن جريج:" نزلت- يعني قوله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء}- في أربد أخي لبيد بن ربيعة، لأنه قدم أربدُ وعامرُ بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: يا

(٤٢٦٧) أخرجه الطبري(٢٠٢٦٥):ص٣٩٠/١٦.
(٤٢٦٨) التفسير الميسر:٢٥٠.
(٤٢٦٩) أخرجه الطبري(٢٠٢٥٤):ص٣٨٨/١٦.
(٤٢٧٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٩):ص٣٩١/١٦-٣٩٢.
(٤٢٧١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٠):ص٣٩٢/١٦.
(٤٢٧٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٦):ص٣٩١/١٦.
(٤٢٧٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٧):ص٣٩١/١٦.
(٤٢٧٤) أخرجه الطبري(٢٠٢٦٦):ص٣٩١/١٦.
(٤٢٧٥) أخرجه الطبري(٢٠٢٧٠):ص٣٩٢/١٦.
(٤٢٧٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧١):ص٣٩٣/١٦.
(٤٢٧٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٢):ص٣٩٣/١٦-٣٩٣.
(٤٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٥٠):ص٣٧٩/١٦-٣٨٠.

محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا! قال: فأكون على أهل الوَبَر وأنتَ على أهل المدَر؟ قال: لا! قال: فما ذاك؟ قال:"أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها، فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعِنّة الخيل بيدي؟ أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بني عامر! قال لأربد: إمّا أن تكفينيه وأضربه بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف، قال أربد: اكفنيه وأضربه. فقال ابن الطفيل: يا محمد إن لي إليك حاجة. قال: ادْنُ! فلم يزل يدنو ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:"ادن" حتى وضع يديه على ركبتيه وحَنَى عليه، واستلّ أربد السيف، فاستلَّ منه قليلا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بَريقه تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها، فيبِسَت يدُ أربد على السيف، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته، فذلك قول أخيه:

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الحُتُوف وَلا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاك وَالأَسَدِ ... فَجَّعَنِي الْبَرْقُ والصّوَاعِقُ بال ... فَارِس يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُد"[٤٢٧٩].

قوله تعالى:{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} [الرعد : ١٣]، أي:" يسبّح الرعد له تسبيحاً مقترناً بحمده والثناء عليه"[٤٢٨٠].

عن عكرمة:" أن الرعد ملك، والصوت المسموع تسبيحه"[٤٢٨١].

عن معمر، في قوله تعالى: {يسبح الرعد بحمده} ، قال: "سألت الزهري عن الرعد ما هو؟، فقال: الله أعلم"[٤٢٨٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال} [الرعد : ١٣]، أي:" وهو تعالى شديد القوة والبطش والنكال، القادر على الانتقام ممن عصاه"[٤٢٨٣].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال} [الرعد : ١٣]، على أقوال:

أحدها : شديد الحقد، رواه عباد بن منصور عن الحسن[٤٢٨٤]، وعكرمة[٤٢٨٥].

الثاني : شديد القوة ، قاله مجاهد[٤٢٨٦].

الثالث : شديد الغضب ، قاله وهب بن منبه[٤٢٨٧].

الرابع : شديد القوة والحيلة. قاله قتادة[٤٢٨٨].

الخامس: شديد الحيلة، قاله السدي[٤٢٨٩].

السادس : شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط ، قاله الحسن أيضاً[٤٢٩٠].

السابع: أنه: ما أصاب أربد من الصاعقة. قاله عكرمة[٤٢٩١].

الثالث عشر: شديد المكر والنكال.

حكي النحاس عن الحسن:" المكر"[٤٢٩٢].

وهذه أقوال متقاربة واشبهها بالمعنى والله أعلم أنه: الإهلاك، لأن «المحل»: الشدة، فكأن المعنى: شديد العذاب والإهلاك[٤٢٩٣].

القرآن

(٤٢٧٩) أخرجه الطبري(٢٠٢٧٢):ص٣٩٣/١٦-٣٩٣.

(٤٢٨٠) صفوة التفاسير:٧١/٢.

(٤٢٨١) انظر: النكت والعيون: ١٠٠/٣.

(٤٢٨٢) تفسير عبدالرزاق(١٣٦٥):ص٢٣٣/٢.

(٤٢٨٣) صفوة التفاسير:٧١/٢.

(٤٢٨٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٣١٩/١٢، وزاد المسير:٣١٦/٤، والنكت والعيون:١٠٢/٣.

(٤٢٨٥)أخرجه أبو الشيخ عن عكرمة كما في "الدر" ٤/ ١٠٠.

(٤٢٨٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٤):ص٣٩٦/١٦.

(٤٢٨٧) انظر: النكت والعيون:١٠٢/٣.

(٤٢٨٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٥):ص٣٩٦/١٦.

(٤٢٨٩) انظر: النكت والعيون:١٠٢/٣.

(٤٢٩٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٦):ص٣٩٦/١٦.

(٤٢٩١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٧):ص٣٩٦/١٦.

(٤٢٩٢) معاني القرآن:٤٨٤/٣.

(٤٢٩٣) معاني القرآن:٤٨٤/٣.

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)} [الرعد : ١٤]

التفسير:

لله سبحانه وتعالى وحده دعوة التوحيد (لا إله إلا الله) ، فلا يُعبد ولا يُدعى إلا هو، والآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تجيب دعاء مَن دعاها، وحالهم معها كحال عطشان يمد يده إلى الماء من بعيد; ليصل إلى فمه فلا يصل إليه، وما سؤال الكافرين لها إلا غاية في البعد عن الصواب لإشراكهم بالله غيره.

قوله تعالى:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} [الرعد : ١٤]، أي:" لله تعالى تتجه الدعوةُ الحق فهو الحقيق بأن يُعبد وحده بالدعاء والالتجاء"(٤٢٩٤).

قال قتادة:" شهادة أن لا إله إلا الله"(٤٢٩٥).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد : ١٤]، أي:" والآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تجيب دعاء مَن دعاها، وحالهم معها كحال عطشان يمد يده إلى الماء من بعيد; ليصل إلى فمه فلا يصل إليه، وما سؤال الكافرين لها إلا غاية في البعد عن الصواب لإشراكهم بالله غيره"(٤٢٩٦).

قال قتادة:" هذا مثلٌ ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلهًا أنه غير نافعه، ولا يدفع عنه سوءًا حتى يموت على ذلك"(٤٢٩٧).

وفي معنى هذا المثل وجهان:

أحدهما : أن الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، لأن الماء لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد(٤٢٩٨).

الثاني: أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفيه شيء منه. وهذا معنى قول قتادة(٤٢٩٩).

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله ; أي: هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط ذارعيه إلى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشًا"(٤٣٠٠).

القرآن

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)} [الرعد : ١٥]

التفسير:

ولله وحده يسجد خاضعًا منقادًا كُلُّ مَن في السموات والأرض، فيسجد ويخضع له المؤمنون طوعًا واختيارًا، ويخضع له الكافرون رغمًا عنهم; لأنهم يستكبرون عن عبادته، وحالهم وفطرتهم تكذِّبهم في ذلك، وتنقاد لعظته ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} [الرعد : ١٥]، أي:" ولله وحده يسجد خاضعًا منقادًا كُلُّ مَن في السموات والأرض طائعين وكارهين"(٤٣٠١).

قال قتادة:" فأما المؤمن فيسجد طائعا، وأما الكافر فيسجد كارها"(٤٣٠٢).

قوله تعالى:{وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد : ١٥]، أي:" وتسجد ظلالُهم أيضاً لله في أول النار وأواخره"(٤٣٠٣).

(٤٢٩٤) صفوة التفاسير:٧١/٢.

(٤٢٩٥) تفسير عبدالرزاق(١٣٦٦):ص٢٣٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٢٨٣):ص٣٩٨/١٦.

(٤٢٩٦) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٢٩٧) أخرجه الطبري(٢٠٢٩٧):ي٤٠٢/١٦.

(٤٢٩٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٨٧):ص٤٠٠/١٦.

(٤٢٩٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٩٣):ص٤٠١/١٦.

(٤٣٠٠) أخرجه الطبري(٢٠٢٩٣):ص٤٠١/١٦.

(٤٣٠١) انظر: التفسير الميسر:٢٥١، وصفوة التفاسير:٧١/٢..

(٤٣٠٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٩٨):ص٤٠٣/١٦.

(٤٣٠٣) صفوة التفاسير:٧١/٢.

قال مجاهد:" ظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع، وظلُّ الكافر يسجد طوعًا وهو كاره"(٤٣٠٤).

عن سفيان قال: "كان ربيع بن خُثيم إذا تلا هذه الآية: {ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا}، قال: بلى يا رَبَّاه"(٤٣٠٥).

القرآن

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)} [الرعد : ١٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: مَن خالق السَّموات والأرض ومدبِّرهما؟ قل: الله هو الخالق المدبر لهما، وأنتم تقرون بذلك، ثم قل لهم ملزمًا بالحجة: أجعلتم غيره معبودين لكم، وهم لا يَقْدرون على نفع أنفسهم أو ضرها فضلا عن نفعكم أو ضركم، وتركتم عبادة مالكها؟ قل لهم -أيها الرسول-: هل يستوي عندكم الكافر -وهو كالأعمى- والمؤمن وهو كالبصير؟ أم هل يستوي عندكم الكفر -وهو كالظلمات- والإيمان -وهو كالنور؟ أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء لله يخلقون مثل خَلْقه، فتشابه عليهم خَلْق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟ قل لهم -أيها الرسول-: الله تعالى خالق كل كائن من العدم، وهو المستحق للعبادة وحده، وهو الواحد القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضرُّ ولا تنفع.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} [الرعد : ١٦]، أي:" قل -أيها الرسول- للمشركين: مَن خالق السَّموات والأرض ومدبِّرهما؟"(٤٣٠٦).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم، قل: الله هو الخالق المدبر لهما"(٤٣٠٧).

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [الرعد : ١٦]، أي:" لهم -أيها الرسول-: هل يستوي عندكم الكافر -وهو كالأعمى- والمؤمن وهو كالبصير؟"(٤٣٠٨).

قال مجاهد:" أما {الأعمى والبصير}، فالكافر والمؤمن"(٤٣٠٩).

قوله تعالى:{أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد : ١٦]، أي:" أم هل يستوي عندكم الكفر -وهو كالظلمات- والإيمان -وهو كالنور؟"(٤٣١٠).

قال مجاهد:" وأما {الظلمات والنور}، فالهدى والضلالة"(٤٣١١).

قوله تعالى:{أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} [الرعد : ١٦]، أي:" أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء لله يخلقون مثل خَلْقه، فتشابه عليهم خَلْق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟"(٤٣١٢).

عن مجاهد: "{أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه}، حملهم ذلك على أن شكُّوا في الأوثان"(٤٣١٣).

قال مجاهد: "{أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم}، ضُربت مثلا"(٤٣١٤).

القرآن

(٤٣٠٤) أخرجه الطبري(٢٠٣٠٢):ص٤٠٤/١٦.

(٤٣٠٥) اخرجه الطبري(٢٠٢٩٩):ص٤٠٣/١٦.

(٤٣٠٦) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٤٣٠٨) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣٠٩) اخرجه الطبري(٢٠٣٠٥):ص٤٠٧/١٦.

(٤٣١٠) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣١١) اخرجه الطبري(٢٠٣٠٥):ص٤٠٧/١٦.

(٤٣١٢) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣١٣) أخرجه الطبري(٢٠٣٠٦):ص٤٠٧/١٦.

(٤٣١٤) أخرجه الطبري(٢٠٣١٠):ص٤٠٨/١٦.

{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)} [الرعد : ١٧]

التفسير:

ثم ضرب الله سبحانه مثلا للحق والباطل بماء أنزله من السماء، فجَرَت به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غثاء طافيًا فوقه لا نفع فيه. وضرب مثلا آخر: هو المعادن يوقِدون عليها النار لصهرها طلبًا للزينة كما في الذهب والفضة، أو طلبًا لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس، فيخرج منها خبثها مما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء، بمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء الماء يتلاشى أو يُرْمى إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانتفاع بها، كما بيَّن لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس; ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

قوله تعالى:{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} [الرعد : ١٧]، أي:" أنزل تعالى من السماء مطراً، ففجرت مياه الأودية بمقدار سعتها كل بحَسَبه، فالكبير بمقدار كبره، والصغير بمقدار صغره"(٤٣١٥).

عن مجاهد: "{أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها}، قال: ما أطاقت ملأها"(٤٣١٦).

قوله تعالى:{فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا} [الرعد : ١٧]، أي:" حمل السيل الذي حدث من الأمطار زبداً عالياً فوقه وهو ما يحمله السيل من غثاء، ورغوة تظهر على وجه الماء"(٤٣١٧).

عن قتادة:"{رابيًا}، أي: عاليًا"(٤٣١٨).

قوله تعالى:{وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ} [الرعد : ١٧]، أي:" ومن الذي يوقد عليه الناس من المعادن كالذهب والفضة والنحاس، مما يُسبك في النار طلب الزينةِ أو الأشياء التي يُنتفع بها كالأواني زبدٌ مثل زبد السيل، لا يُنْتفع به كما لا يُنْتفع بزَبد السيل"(٤٣١٩).

قال مجاهد: " «المتاع»: الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه، {زبد مثله}، قال: خَبَثُ ذلك مثل زَبَد السيل"(٤٣٢٠).

قال قتادة:" هو الذهب إذا أدخل النار بقي صَفْوه ونُفِيَ ما كان من كَدَره، وهذا مثل ضربه الله. للحق والباطل...«المتاع»، الصُّفْر والحديد"(٤٣٢١).

قوله تعالى:{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً} [الرعد : ١٧]، أي:" فأما الزبد الذي لا خير فيه مما يطفو على وجه الماء والمعادن فإنه يرمي به السيل ويقذفه ويتفرق ويتمزّق ويذهب في جانبَي الوادي"(٤٣٢٢).

عن مجاهد: " {وأما الزبد فيذهب جفاء}، قال: فذلك مثل الحق والباطل"(٤٣٢٣).

قال قتادة:" "«الجفاء»: ما يتعلق بالشجر"(٤٣٢٤).

وفي رواية عن قتادة:" يتعلق بالشجر فلا يكون شيئًا. هذا مثل الباطل"(٤٣٢٥).

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} [الرعد : ١٧]، أي:" وأمّا ما ينتفع الناس به الماء الصافي، والمعدن الخالص فيبقى ويثبت في الأرض"(٤٣٢٦).

قال مجاهد:" يعني الماء. وهما مثلان: مثل الحق والباطل"(٤٣٢٧).

قال قتادة:" وهذا يخرج النبات. وهو مثل الحق"(٤٣٢٨).

(٤٣١٥) صفوة التفاسير:٢/٧٤.
(٤٣١٦) أخرجه الطبري(٢٠٣١٤):ص٤١١/١٦.
(٤٣١٧) صفوة التفاسير:٢/٧٤.
(٤٣١٨) أخرجه الطبري(٢٠٣١٩):ص٤١٢/١٦.
(٤٣١٩) صفوة التفاسير:٢/٧٤.
(٤٣٢٠) أخرجه الطبري(٢٠٣١٤):ص٤١١/١٦.
(٤٣٢١) أخرجه الطبري(٢٠٣٢٠):ص٤١٣/١٦.
(٤٣٢٢) صفوة التفاسير:٢/٧٤.
(٤٣٢٣) أخرجه الطبري(٢٠٣١٤):ص٤١١/١٦.
(٤٣٢٤) أخرجه الطبري(٢٠٣١٩):ص٤١٢/١٦.
(٤٣٢٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٢٠):ص٤١٣/١٦.
(٤٣٢٦) صفوة التفاسير:٢/٧٤.
(٤٣٢٧) أخرجه الطبري(٢٠٣١٥):ص٤١١/١٦.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد : ١٧]، أي:" مِثْلَ المَثَلين السابقين يبيّن الله الأمثال للحق والباطل، والهدى والضلال ليعتبر الناس ويتعظوا"(٤٣٢٩).

قال عطاء:" ضرب الله مثلا للحق والباطل، فضرب مثل الحق كمثل السيل الذي يمكث في الأرض، وضرب مثل الباطل كمثل الزبد الذي لا ينفع الناس"(٤٣٣٠).

قال عوف: "بلغني في قوله: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها} قال: إنما هو مثل ضربه الله للحق والباطل {فسالت أودية بقدرها} الصغير على قدره، والكبير على قدره، وما بينهما على قدره {فاحتمل السيل زبدًا رابيًا} يقول: عظيمًا، وحيث استقرَّ الماءُ يذهب الزبد جفاءً فتطير به الريح فلا يكون شيئًا، ويبقى صريح الماء الذي ينفع الناس، منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم {أو متاع زبد مثله}، ومثل الزبد كلّ شيء يوقد عليه في النار الذهب والفضة والنحاس والحديد، فيذهب خَبَثُه ويبقى ما ينفع في أيديهم، والخبث والزَّبد مثل الباطل، والذي ينفع الناس مما تحصَّل في أيديهم مما ينفعهم المال الذي في أيديهم"(٤٣٣١).

عن الحسن، في قوله: "{أنزل من السماء ماء فسالت أودية} إلى: {أو متاع زبد مثله}، فقال: ابتغاء حلية الذهب والفضة، أو متاع الصُّفْر والحديد. قال: كما أوقد على الذهب والفضة والصُّفْر والحديد فخلص خالصه. قال: {كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} ، كذلك بقاء الحق لأهله فانتفعوا به"(٤٣٣٢).

قال قتادة:" هذه ثلاثة أمثال ضربَها الله في مثلٍ واحد. يقول: كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جُفاءً لا ينتفع به ولا تُرْجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت هذه الأرض وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات- قوله: {ومما توقدون عليه في النار} الآية، كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله- قوله: {أو متاع زبد مثله} ، يقول: هذا الحديد والصُّفْر الذي ينتفع به فيه منافع. يقول: كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصُّفر حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي خالصهما"(٤٣٣٣).

القرآن

{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)} [الرعد : ١٨]

التفسير:

للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الجنة، والذين لم يطيعوا وكفروا به لهم النار، ولو كانوا يملكون كل ما في الأرض وضِعْفه معه لبذلوه فداء لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ولن يُتَقبل منهم، أولئك يحاسَبون على كل ما أسلفوه من عمل سيِّئ، ومسكنهم ومقامهم جهنم تكون لهم فراشًا، وبئس الفراش الذي مهدوه لأنفسهم.

قوله تعالى:{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى} [الرعد : ١٨]، أي:" للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الجنة"(٤٣٣٤).

وفي قوله تعالى:{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى} [الرعد : ١٨]، وجهان:

أحدهما : أنها الجنة، رواه أبي بن كعب عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبه قال قتادة(٤٣٣٥).

الثاني : أنها الحياة والرزق ، قاله مجاهد(٤٣٣٦).

(٤٣٢٨) أخرجه الطبري(٢٠٣٢٠):ص٤١٣/١٦.

(٤٣٢٩) صفوة التفاسير:٧٤/٢-٧٥.

(٤٣٣٠) أخرجه الطبري(٢٠٣٢٤):ص٤١٤/١٦.

(٤٣٣١) أخرجه الطبري(٢٠٣٢١):ص٤١٣/١٦.

(٤٣٣٢) أخرجه الطبري(٢٠٣١٣):ص٤١١/١٦.

(٤٣٣٣) أخرجه الطبري(٢٠٣١٩):ص٤١٢/١٦.

(٤٣٣٤) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣٣٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٢٦):ص٤١٦/١٦.

(٤٣٣٦) انظر: النكت والعيون:١٠٧/٣، وزاد المسير: ٤٩٢/٢.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ} [الرعد : ١٨]، أي:" والذين لم يطيعوا وكفروا به لهم النار، ولو كانوا يملكون كل ما في الأرض وضِعْفه معه لبذلوه فداء لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ولن يُتَقبل منهم، أولئك يحاسَبون على كل ما أسلفوه من عمل سيِّئ"[٤٣٣٧].

وفي قوله تعالى:{سُوءُ الْحِسَابِ} [الرعد : ١٨]، قولان:

أحدهما : أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يعفى لهم عن شيء منها ، قاله شهر بن حوشب[٤٣٣٨]، وإبراهيم النخعي[٤٣٣٩].

الثاني : أنه المناقشة في الأعمال ، قاله أبو الجوزاء[٤٣٤٠].

القرآن

{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩)} [الرعد : ١٩]

التفسير:

هل الذي يعلم أن ما جاءك -أيها الرسول- من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟ إنما يتعظ أصحاب العقول السليمة.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها " نزلت في أبي جهل لعنه الله وحمزة رضي الله عنه". حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس[٤٣٤١]، وذكره الواحدي[٤٣٤٢]، وابن عطية[٤٣٤٣]، والبغوي[٤٣٤٤].

الثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام. حكاه ابن عطية[٤٣٤٥]، والبغوي[٤٣٤٦].

ثم قال ابن عطية: "وهي -بعد هذا- مثال في جميع العالم"[٤٣٤٧].

قوله تعالى:{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد : ١٩]، أي:" هل الذي يعلم أن ما جاءك -أيها الرسول- من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟"[٤٣٤٨].

قال قتادة:" هؤلاء قوم انتفعُوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووَعَوْه، قال الله: {كمن هو أعمى}، قال: عن الخير فلا يبصره"[٤٣٤٩].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرعد : ١٩]، أي:" إنما يتعظ أصحاب العقول السليمة"[٤٣٥٠].

عن قتادة، قال: "{إنما يتذكر أولو الألباب}، فبين من هم، فقال: {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق}"[٤٣٥١].

القرآن

{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)} [الرعد : ٢٠]

التفسير:

(٤٣٣٧) التفسير الميسر:٢٥١.

(٤٣٣٨)انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٢٧):ص٤١٧/١٦ .

(٤٣٣٩)انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٢٨):ص٤١٧/١٦ .

(٤٣٤٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٣١):ص٤٢٠/١٦.

(٤٣٤١) انظر: زاد المسير:٤٩٢/٢.

(٤٣٤٢) الوجيز:٥٧٠.

(٤٣٤٣) انظر: المحرر الوجيز:٣٠٩/٣.

(٤٣٤٤) انظر: تفسير البغوي:٣٠٩/٤.

(٤٣٤٥) انظر: المحرر الوجيز:٣٠٩/٣.

(٤٣٤٦) انظر: تفسير البغوي:٣٠٩/٤.

(٤٣٤٧) المحرر الوجيز:٣٠٩/٣.

(٤٣٤٨) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٤٩) أخرجه الطبري(٢٠٣٢٩):ص٤١٨/١٦.

(٤٣٥٠) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٥١) أخرجه الطبري(٢٠٣٣٠).:ص٤١٩/١٦

الذين يوفون بعهد الله الذي أمرهم به، ولا ينكثون العهد المؤكد الذي عاهدوا الله عليه.
قال قتادة:" فعليكم بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدَّم فيه أشد التَّقْدمة، فذكره في بضع وعشرين موضعًا، نصيحةً لكم وتقدِمَةً إليكم، وحجة عليكم، وإنما يعظُمُ الأمر بما عظَّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظِّموا ما عظم الله. قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته:«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»"[٤٣٥٢].

القرآن
{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)} [الرعد : ٢١]
التفسير:
وهم الذين يَصِلون ما أمرهم الله بوصله كالأرحام والمحتاجين، ويراقبون ربهم، ويخشون أن يحاسبهم على كل ذنوبهم، ولا يغفر لهم منها شيئًا.
قوله تعالى:{وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} [الرعد : ٢١]، أي:" يخافون الحساب السيء المؤدي لدخول النار"[٤٣٥٣].
وفي قوله تعالى:{سُوءُ الْحِسَابِ} [الرعد : ٢١]، وجهان:
أحدهما : أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يعفى لهم عن شيء منها ، قاله شهر بن حوشب[٤٣٥٤]، وإبراهيم النخعي[٤٣٥٥].
الثاني : أنه المناقشة في الأعمال ، قاله أبو الجوزاء[٤٣٥٦].

القرآن
{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)} [الرعد : ٢٢]
التفسير:
وهم الذين صبروا على الأذى وعلى الطاعة، وعن المعصية طلبًا لرضا ربهم، وأدَّوا الصلاة على أتمِّ وجوهها، وأدَّوا من أموالهم زكاتهم المفروضة، والنفقات المستحبة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة فتمحوها، أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة في الآخرة.
قوله تعالى:{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [الرعد : ٢٢]، أي:" وأدَّوا الصلاة على أتمِّ وجوهها"[٤٣٥٧].
قال الزهري: إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٤٣٥٨].
قوله تعالى:{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} [الرعد : ٢٢]، أي:" ويدفعون بالحسنة السيئة فتمحوها"[٤٣٥٩].
قال ابن كيسان: "هو أنهم إذا أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة مَعَرّة الذنب"[٤٣٦٠].
قال السدي: "ويدفعون بالقول المعروف، والعفو الأذى والأمر القبيح"[٤٣٦١].
قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد : ٢٢]، أي:" أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة في الآخرة"[٤٣٦٢].
عن أبي عمران الجوني: : فنعم عقبى الدار} [الرعد: ٢٤]، قال:" النجاة من النار"[٤٣٦٣].

(٤٣٥٢) أخرجه الطبري(٢٠٣٣٠):ص٤١٩/١٦-٤٢٠.
(٤٣٥٣) صفوة التفاسير:٧٥/٢.
(٤٣٥٤)انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٢٧):ص٤١٧/١٦ .
(٤٣٥٥)انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٢٨):ص٤١٧/١٦ .
(٤٣٥٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٣١):ص٤٢٠/١٦.
(٤٣٥٧)التفسير الميسر:٢٥٢.
(٤٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(٤٣٥٩)التفسير الميسر:٢٥٢.
(٤٣٦٠) ذكره الواحدي في "الوسيط": ١٤/٣، و"البسيط": ٣٤٠/١٢، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٤/ ٣٢٥.
(٤٣٦١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٩٩/٢.
(٤٣٦٢)التفسير الميسر:٢٥٢.
(٤٣٦٣) تفسير عبدالرزاق(١٣٧٣):ص٢٣٥/٢.

القرآن

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)} [الرعد : ٢٣]

التفسير:

تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث، وتدخل الملائكة عليهم من كل باب; لتهنئتهم بدخول الجنة.

قوله تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} [الرعد : ٢٣]، أي:" تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث"(٤٣٦٤).

عن مجاهد، قوله: "{ومن صلح من آبائهم}، قال: من آمن في الدنيا"(٤٣٦٥).

وعن مجاهد –أيضا-:" عن مجاهد قوله: {ومن صلح من آبائهم} قال: من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم"(٤٣٦٦).

عن الحسن قال : "سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى : {ومساكن طيبة في جنات عدن}، فقالا: على الخبير سقطت! سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصرٌ في الجنة من لؤلؤ ، فيه سبعون دارًا من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء ، في كل بيت سبعون سريرًا"(٤٣٦٧).

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن(٤٣٦٨).

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك(٤٣٦٩).

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء(٤٣٧٠).

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين(٤٣٧١). ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"(٤٣٧٢).

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"(٤٣٧٣).

فيمكن القول بأن «عَدْن» هي جنةٌ متميزة عن سائر جنان الله التي خلقها الله لعباده الصالحين، فهي جنة أراد الله أن تمتاز عن غيرها من الجنان بشكل خاص رغم أن كل جنان الله هي قمة في الابداع و الجمال و مجتمعة فيها مستلزمات الراحة و الرفاهية التامة.

القرآن

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)} [الرعد : ٢٤]

التفسير:

تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، سَلِمْتم من كل سوء بسبب صبركم على طاعة الله، فنِعْمَ عاقبة الدار الجنة.

(٤٣٦٤)التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٦٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٣٨):ص٤٢٣/١٦-٤٢٤.

(٤٣٦٦) أخرجه الطبري(٢٠٣٤١):ص٤٢٣/١٦-٤٢٤.

(٤٣٦٧) أخرجه الطبري(١٦٩٤٠):ص٣٤٩/١٤.

(٤٣٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٤٣٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.

(٤٣٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.

(٤٣٧١)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(٤٣٧٢) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(٤٣٧٣) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

قوله تعالى:{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} [الرعد : ٢٤]، أي:" تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، سَلِمْتم من كل سوء بسبب صبركم على طاعة الله"[٤٣٧٤].

روي عن الضحاك، في قوله: "{جنات عدن}، قال: مدينة الجنة، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، والناسُ حولهم بعدد الجنات حوْلها"[٤٣٧٥].

روي عن أبي عمران الجوني :"أنه تلا هذه الآية: {سلام عليكم بما صبرتم}، قال: على دينكم"[٤٣٧٦].

عن ابن وهب قال: "قال ابن زيد، في قوله: {سلام عليكم بما صبرتم}، قال: حين صبروا بما يحبه الله فقدّموه. وقرأ: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} ، حتى بلغ: {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [سورة الإنسان:٢-٢٢] وصبروا عما كره الله وحرم عليهم، وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبه الله، فسلم عليهم بذلك. وقرأ: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}"[٤٣٧٧].

قوله تعالى:{فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد : ٢٤]، أي:" فنِعْمَ عاقبة الدار الجنة"[٤٣٧٨].

عن أبي عمران الجوني في قولهم :"{ فنعم عقبى الدار}، قال: الجنة من النار"[٤٣٧٩].

عن أرطاة بن المنذر قال: "سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له"أبو الحجاج"، يقول: جلست إلى أبي أمامة فقال: إن المؤمن ليكون متّكئًا على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سِمَاطان من خَدَمٍ، وعند طرف السِّماطين بابٌ مبوَّبٌ، فيقبل المَلَك يستأذن؛ فيقول أقصى الخدم للذي يليه: «ملك يستأذن»، ويقول الذي يليه للذي يليه: ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا. فيقول: أقربهم إلى المؤمن ائذنوا. ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا. فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له، فيدخل فيسلّم ثم ينصرف"[٤٣٨٠].

عن محمد بن إبراهيم، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول:«السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»، وأبو بكر وعمر وعثمان"[٤٣٨١].

أخرج البيهقي عن هاشم بن محمد العمري، قال: "أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين طلوع الفجر والشمس فكنت أمشي خلفه فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}، قال: فأجيب وعليك السلام يا أبا عبد الله، فالتفت إليَ أبي، وقال: أنت المجيب يا بنيّ، فقلت: لا. فأخذ بيدي فجعلني عن يمينه ثم أعاد السلام عليهم، ثم جعل كلما سلم عليهم يرد عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فخر أبي ساجدا شكرا لله تعالى"[٤٣٨٢].

القرآن

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)} [الرعد : ٢٥]

التفسير:

أما الأشقياء فقد وُصِفوا بضد صفات المؤمنين، فهم الذين لا يوفون بعهد الله بإفراده سبحانه بالعبادة بعد أن أكدوه على أنفسهم، وهم الذين يقطعون ما أمرهم الله بوصله مِن صلة الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بعمل المعاصي، أولئك الموصوفون بهذه الصفات القبيحة لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوءهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

قوله تعالى:{وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} [الرعد : ٢٥]، أي:" ويقطعون الرحم التي أمر الله بوصلها"[٤٣٨٣].

(٤٣٧٤)التفسير الميسر:٢٥٢.
(٤٣٧٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٣):ص٤٢٤/١٦-٤٢٥.
(٤٣٧٦) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٦):ص٤٢٧/١٦.
(٤٣٧٧) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٧):ص٤٢٧/١٦.
(٤٣٧٨)التفسير الميسر:٢٥٢.
(٤٣٧٩) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٨):ص٤٢٧/١٦.
(٤٣٨٠) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٤):ص٤٢٥/١٦-٤٢٦. في سنده نظر.
(٤٣٨١) أخرجه الطبري(٢٠٣٤٥):ص٤٢٦/١٦-٤٢٧. عن سهيل عن محمد بن إبراهيم التيمي مرسلا ، وهذا معضل.
(٤٣٨٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور(٤٢):ص٢٠٨.
(٤٣٨٣) صفوة التفاسير:٧٦/٢.

قال ابن جريج:" بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا لم تمش إلى ذي رحمك برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته»"[٤٣٨٤].

قال مصعب بن سعد: "سألت أبي عن هذه الآية: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا} [سورة الكهف:١٠٣، ١٠٤] ، أهم الحرورية؟ قال: لا ولكن الحرورية: {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار}، فكان سعدٌ يسميهم الفاسقين"[٤٣٨٥].

الفوائد:

القرآن

{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)}

[الرعد : ٢٦]

التفسير:

الله وحده يوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَن يشاء منهم، وفرح الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا، وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل يتمتع به، سُرعان ما يزول.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الرعد : ٢٦]، أي:" الله وحده يوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَن يشاء منهم"[٤٣٨٦].

عن الحسن:" {إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خير له أفقره"[٤٣٨٧].

قوله تعالى:{وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الرعد : ٢٦]، أي:" وفرح الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا"[٤٣٨٨].

قوله تعالى:{وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد : ٢٦]، أي:" وفرح الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا، وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل يتمتع به، سُرعان ما يزول"[٤٣٨٩].

وفي قوله تعالى:{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد : ٢٦]، وجهان:

أحدهما : أي قليل ذاهب ، قاله مجاهد[٤٣٩٠].

الثاني : زاد الراعي، قاله عبدالرحمن بن سابط[٤٣٩١]، والأعمش[٤٣٩٢].

وروي عن عبد الرحمن بن سابط: " {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}، قال: زاد الراعي، تزوِّده الكفّ من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن"[٤٣٩٣].

وعن قتادة: " {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}: هي متاع متروك أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله- إن استطعتم- ولا قوة إلا بالله"[٤٣٩٤].

عن المستورد أخي بني فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بم ترجع». وأشار بالسبابة"[٤٣٩٥].

(٤٣٨٤) أخرجه الطبري(٢٠٣٥٠):ص٤٢٨/١٦-٤٢٩.

(٤٣٨٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٥١):ص٤٢٩/١٦، ورواه البخاري في صحيحه من طريق محمد بن بشار، عن محمد بن جعفر، مطولا (الفتح ٨: ٣٢٣)، رواه الحاكم في المستدرك ٢: ٣٧٠، من طريق" إسحاق، عن جرير، عن منصور، عن مصعب بن سعد"، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وانظر: في الدر المنثور ٤/ ٢٥٣.

(٤٣٨٦) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٦١):ص٢٣٢٧/٧.

(٤٣٨٨) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٨٩) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٩٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٥٣)-(٢٠٣٥٥):ص٤٣٠/١٦.

(٤٣٩١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٥٦):ص٤٣١/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(٤٦١٢):ص٨٣٣/٣.

(٤٣٩٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٦١٢):ص٨٣٣/٣.

(٤٣٩٣)أخرجه الطبري (٨٣١٤): ص ٧/ ٤٥٢.

(٤٣٩٤)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦١٣): ص ٣/ ٨٣٣.

وفي الحديث الآخر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بِجَدْيٍ أسكَّ ميتٍ - والأسك الصغير الأذنين - فقال: «والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين ألقوه»"[٤٣٩٦].

القرآن

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)} [الرعد : ٢٧]

التفسير:

ويقول الكفار عنادًا: هلا أُنزل على محمد معجزة محسوسة كمعجزة موسى وعيسى. قل لهم: إن الله يضل مَن يشاء من المعاندين عن الهداية ولا تنفعه المعجزات، ويهدي إلى دينه الحق مَن رجع إليه وطلب رضوانه.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} [الرعد : ٢٧]، أي:" قل لهم: إن الله يضل مَن يشاء من المعاندين عن الهداية ولا تنفعه المعجزات، ويهدي إلى دينه الحق مَن رجع إليه وطلب رضوانه"[٤٣٩٧].

عن قتادة، قوله: "{ويهدي إليه من أناب}، أي: من تاب وأقبل"[٤٣٩٨].

القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)} [الرعد : ٢٨]

التفسير:

ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره فتطمئن، ألا بطاعة الله وذكره وثوابه تسكن القلوب وتستأنس.

قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} [الرعد : ٢٨]، أي:" ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره فتطمئن"[٤٣٩٩].

قال قتادة:" يقول: سكنت إلى ذكر الله واستأنست به"[٤٤٠٠].

وفي قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} [الرعد : ٢٨]، وجهان:

أحدهما : بذكر الله بأفواههم، وأريد به ذكر الله على الإطلاق. وهذا معنى قول قتادة[٤٤٠١].

الثاني : بالقرآن ، قاله مجاهد[٤٤٠٢].

قوله تعالى:{أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد : ٢٨]، أي:" ألا فانتبهوا فإن بذكر الله تسكن القلوب وتستأنس"[٤٤٠٣].

قال مجاهد:" قيل:" بذكر الله" أي بطاعة الله. وقيل بثواب الله. وقيل: بوعد الله"[٤٤٠٤].

وروي عن مجاهد قوله: "{ألا بذكر الله تطمئن القلوب}، لمحمد وأصحابه"[٤٤٠٥].

القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)} [الرعد : ٢٩]

التفسير:

الذين صدَّقوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم فرح وقرة عين، وحال طيبة، ومرجع حسن إلى جنة الله ورضوانه.

(٤٣٩٥)المسند (٢٢٨/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٤٣٩٦)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٥٧) من حديث جابر ، رضي الله عنه.

(٤٣٩٧) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٣٩٨) أخرجه الطبري(٢٠٣٥٧):ص٤٣٢/١٦.

(٤٣٩٩) التفسير الميسر:٢٥٢.

(٤٤٠٠) أخرجه الطبري(٢٠٣٥٨):ص٤٣٢/١٦.

(٤٤٠١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٥٨):ص٤٣٢/١٦.

(٤٤٠٢) انظر: النكت والعيون:١١١/٣. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير:٤٩٤/٢، دون نسبة.

(٤٤٠٣) انظر: التفسير الميسر:٢٥٢، وصفوة التفاسير:٧٦/٢

(٤٤٠٤) تفسير القرطبي:٣١٥/٩.

(٤٤٠٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٥٩):ص٤٣٣/١٦.

قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ} [الرعد : ٢٩]، أي:" الذين صدَّقوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم فرح وقرة عين، وحال طيبة"(٤٤٠٦).

قوله تعالى:{طُوبَى لَهُمْ} [الرعد : ٢٩]، أي:" لهم فرح وقرة عين، وحال طيبة"(٤٤٠٧).

وفي تفسير قوله تعالى:{طُوبَى لَهُمْ} [الرعد : ٢٩]، أقوال:

أحدها : أن طوبى اسم من أسماء الجنة ، قاله مجاهد(٤٤٠٨)، وعكرمة(٤٤٠٩).

الثاني: أن طوبى: اسم شجرة في الجنة. قاله شهر بن حوشب(٤٤١٠)، ومغيث بن سُمَيّ(٤٤١١)، ووهب بن منبه(٤٤١٢).

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:" أن رجلا قال له: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها"(٤٤١٣).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: "{طوبى لهم وحسن مآب}: شجرة غرسها الله بيده، ونفخ فيها من روحه، نبتتْ بالحَلْي والحُلل، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة"(٤٤١٤).

عن أبي هريرة قال: "{طوبى لهم}: شجرة في الجنة يقول لها:"تَفَتَّقي لعبدي عما شاء"! فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولُجُمها، وعن الإبل بأزمّتها، وعما شاء من الكسوة"(٤٤١٥).

قال مغيث بن سمي:"«طوبى»: شجرة في الجنة، لو أن رجلا ركب قلوصًا جَذَعا أو جَذَعَة، ثم دار بها، لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى يموت هَرمًا. وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدلٍّ عليهم، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلّى إليهم"(٤٤١٦).

قال وهب:" إن في الجنة شجرة يقال لها: «طوبى»، يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ; زهرها رِيَاط، وورقها بُرود وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووَحَلها مسك، يخرج من أصلها أنهارُ الخمر واللبن والعسل، وهي مجلسٌ لأهل الجنة. فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربِّهم، يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، وبَرَها كخَزّ المِرْعِزَّى من لينه، عليها رحالٌ ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلّموا عليه. قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش نُجُبًا من غير مَهنَة، يسير الرَّجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذُنُ راحلة منها أذُنَ صاحبتها، ولا بَرْكُ راحلة بركَ صاحبتها، حتى إن الشجرة لتتنحَّى عن طرُقهم لئلا تفرُق بين الرجل وأخيه. قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيُسْفِر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحُقَّ لك الجلال والإكرام". قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك:"أنا السلام، ومنى السلام، وعليكم حقّت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خَشُوني بغَيْبٍ وأطاعوا أمري".قال: فيقولون:"ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا بالسجود قدَّامك" قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نَصَب ولا عبادة، ولكنها دارُ مُلْك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نَصَب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم

(٤٤٠٦) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٠٧) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٠٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧٩):ص٤٣٧/١٦.

(٤٤٠٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧٨):ص٤٣٧/١٦.

(٤٤١٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٨٥):ص٤٣٨/١٦.

(٤٤١١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٨٨):ص٤٣٨/١٦-٤٣٩.

(٤٤١٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٩٠):ص٤٣٩/١٦.

(٤٤١٣)أخرجه الطبري(٢٠٣٩٥)ص: ١٦ / ٤٤٣-٤٤٤، والإمام أحمد في المسند: ٣ / ٧١، وابن حبان برقم (٢٦٢٥) ص (٦٥٢) من موارد الظمآن، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٩٠,٠٠٠ مطولا. وانظر كنز العمال: ١٤ / ٤٥٧، الدر المنثور: ٤ / ٦٤٤. والحديث من رواية "دراج" (أبو السمح) ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وهو إسناد ضعيف. ونقل الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أن دراجا: روايته منكرة.

(٤٤١٤)أخرجه الطبري في التفسير(٢٠٣٩٤)ص: ١٦ / ٤٤٣، وفيه محمد بن زياد الجريري: وهو كذاب خبيث يضع الحديث. وفرات بن أبي الفرات: قال ابن معين عنه: ليس بشيء. انظر تعليق الشيخ محمود شاكر في الموضع السابق.

(٤٤١٥)أخرجه الطبري: (٢٠٣٨٤):ص ١٦ / ٤٣٨، وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف. وعزاه السيوطي أيضا: لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٤ / ٦٤٣.

(٤٤١٦) أخرجه الطبري(٢٠٣٩٢):ص٤٤٠/١٦-٤٤١.

أمنيّته". فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنيةً ليقول: ربِّ، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا" فيقول الله: لقد قصّرت بك اليوم أمنيتُك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، وسأتحفك بمنزلتي، لأنه ليس في عطائي نكَد ولا تَصْرِيدٌ". قال: ثم يقول:"اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم، ولم يخطر لهم على بال". قال: فيعرضون عليهم حتى يَقْضُوهم أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم بَرَاذين مقرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفْرَغة، في كل قبة منها فُرُش من فُرُش الجنة مُظَاهَرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، ليس في الجنة لونٌ إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة إلا قد عَبِقتَا به، ينفذ ضوء وجوههما غِلَظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما من دُون القُبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسِّلك الأبيض من ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة، أو أفضل، ويرى هولُهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبّلانه ويعانقانه، ويقولان له:"والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك"، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنة، حتى ينتهي كل رجُل منهم إلى منزلته التي أعدّت له"[٤٤١٧].

الثالث : معنى {طوبى لهم}: حسنى لهم ، قاله قتادة[٤٤١٨].

الرابع : معناه: نِعَم مالهم ، قاله عكرمة[٤٤١٩].

الخامس : معناه: خير لهم ، قاله إبراهيم[٤٤٢٠].

السادس : معناه: غبطة لهم، قاله الضحاك[٤٤٢١].

والصحيح أنها شجرة، كما ورد في الحديث المرفوع[٤٤٢٢]، وهو صحيح على ما ذكره السهيلي[٤٤٢٣]، ذكره أبو عمر في «التمهيد»[٤٤٢٤]، ومنه نقلناه، وذكره أيضا الثعلبي في تفسيره، وذكر أيضا المهدوي والقشيري عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة»[٤٤٢٥]، ومن أراد زيادة على هذه الأخبار فليطالع الثعلبي. وقال ابن عباس:«طوبى» شجرة في الجنة أصلها في دار علي، وفي دار كل مؤمن منها غصن[٤٤٢٦]. وقال أبو جعفر محمد بن علي: «سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى:{طوبى لهم وحسن مآب}، قال:" شجرة أصلها في داري وفروعها في الجنة" ثم سئل عنها مرة أخرى فقال:" شجرة أصلها في دار علي وفروعها في الجنة". فقيل له: يا رسول الله! سئلت عنها فقلت:" أصلها في داري وفروعها في الجنة" ثم سئلت عنها فقلت:" أصلها في دار علي وفروعها في الجنة"، فقال

(٤٤١٧) أخرجه الطبري(٢٠٣٩٠):ص٤٣٩/١٦.

(٤٤١٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧٠):ص٤٣٥/١٦.

(٤٤١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٦٣)-(٢٠٣٦٥):ص٤٣٤/١٦-٤٣٥.

(٤٤٢٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧٢)، (١٠٣٧٣):ص٤٣٦/١٦.

(٤٤٢١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٦٦)-(٢٠٣٦٨):ص٤٣٥/١٦.

(٤٤٢٢) قال القرطبي في التفسير:٣١٦/٩:" ذكر عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن أبي يزيد البكالي عن عتبة ابن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر الحوض فقال: فيها فاكهة؟ قال:" نعم شجرة تدعى طوبى" قال: يا رسول الله! أي شجر أرضنا تشبه؟ قال" لا تشبه شيئا من شجر أرضك أأتيت الشام هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق ويفترش أعلاها". قال يا رسول الله! فما عظم أصلها! قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما". وذكر الحديث، وقد كتبناه بكمال في أبواب الجنة من كتاب «التذكرة»، والحمد لله".

ولم نقف على الحديث عند عبدالرزاق، واخرجه ابن ابي عاصم في السنة(٧١٦)، والطبراني في الكبير:٣١٣/١٧، وابن عبد البر في التمهيد:٣٢٠/٣-٣٢١، من طريق عبدالرزاق به، وأخرجه الإمام احمد(١٧٦٤٢) من طريق معمر به، إلا أنه قال: عامر بن زيد، وكذلك ذكره ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل:٣٢٠/٦، وابن حبان في الثقات:١٩١/٥.

(٤٤٢٣) انظر: التعريف والإعلام:٨٤.

(٤٤٢٤) التمهيد:٣٢٠/٣.

(٤٤٢٥)أخرجه الطبري في التفسير: ١٦ / ٤٤٣، وفيه محمد بن زياد الجريري وفرات بن أبي الفرات، وهما ضعيفان.

(٤٤٢٦) ذكره الطبري في مجمع البيان:١٧٣/١٣، من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس، وعزه للثعلبي.

النبي صلى الله عليه وسلم:" إن داري ودار علي غدا في الجنة واحدة في مكان واحد"»[٤٤٢٧]، وعنه صلى الله عليه وسلم:«هي شجرة أصلها في داري وما من دار من دوركم إلا مدلى فيها غصن منها»[٤٤٢٨]"[٤٤٢٩].

وفي أصل هذه الكلمة«طوبى»، ثلاثة أقوال:

الثاني : كلمة هندية، قاله الربيع بن انس[٤٤٣٠]، وسعيد بن مشجوع[٤٤٣١].

الثاني: أنها كلمة عربية، يقول الرجل: طوبى لك: أي: أصبتَ خيرًا. قاله قتادة[٤٤٣٢]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[٤٤٣٣].

قوله تعالى:{وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد : ٢٩]، أي:" ولهم ومرجع حسن إلى جنة الله ورضوانه"[٤٤٣٤].

عن الضحاك: "{وحسن مآب}، قال: حسن منقلب"[٤٤٣٥].

القرآن

{كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)} [الرعد : ٣٠]

التفسير:

كما أرسلنا المرسلين قبلك أرسلناك -أيها الرسول- في أمة قد مضت مِن قبلها أمم المرسلين; لتتلو على هذه الأمة القرآن المنزل عليك، وحال قومك الجحود بوحدانية الرحمن، قل لهم -أيها الرسول-: الرحمن الذي لم تتخذوه إلهًا واحدًا هو ربي وحده لا معبود بحق سواه، عليه اعتمدت ووثقت، وإليه مرجعي وإنابتي.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي: "قال أهل التفسير: نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم، وهكذا كانت أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"[٤٤٣٦].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الحديبية حين صالح قريشًا كتب:"هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله. فقال مشركو قريش: لئن كنت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلناك لقد ظلمناك! ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعنا يا رسول الله نقاتلهم! فقال: لا ولكن اكتبوا كما يريدون إنّي محمد بن عبد الله. فلما كتب الكاتب:«بسم الله الرحمن الرحيم»، قالت قريش: أما «الرحمن» فلا نعرفه ; وكان أهل الجاهلية يكتبون:"باسمك اللهم"، فقال أصحابه: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم! قال: لا ولكن اكتبوا كما يريدون"[٤٤٣٧].

عن مجاهد قال قوله: "{كذلك أرسلناك في أمة قد خلت} الآية، قال: هذا لمّا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا في الحديبية، كتب:"بسم الله الرحمن الرحيم"، قالوا: لا تكتب"الرحمن"، وما ندري ما"الرحمن"، ولا تكتب إلا"باسمك اللهم".قال الله: (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو) ، الآية"[٤٤٣٨].

(٤٤٢٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان:١٧٣/١٣، وهو ضعيف لارساله.

(٤٤٢٨) انظر: مجمع البيان:١٧٢/١٣.

(٤٤٢٩) تفسير القرطبي:٣١٧/٩.

(٤٤٣٠) انظر:تفسير القرطبي:٣١٦/٩.

(٤٤٣١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧٦):ص٤٣٦/١٦.

(٤٤٣٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٣٧١):ص٤٣٥/١٦.

(٤٤٣٣) انظر: النكت والعيون:١١١/٣.

(٤٤٣٤) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٣٥) أخرجه الطبري(٢٠٣٩٦):ص٤٤٤/١٦.

(٤٤٣٦) أسباب النزول:٢٧٣.

(٤٤٣٧) أخرجه الطبري(٢٠٣٩٧):ص٤٤٥/١٦-٤٤٦.

(٤٤٣٨) أخرجه الطبري(٢٠٣٩٨):ص٤٤٦/١٦.

الثاني: قال ابن عباس في رواية الضحاك: "نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - {اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ... } الآية فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: قل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته {هو ربي لا إله إلا هو}"(٤٤٣٩).

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [الرعد : ٣٠]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: الرحمن الذي لم تتخذوه إلهًا واحدًا هو ربي وحده لا معبود بحق سواه، عليه اعتمدت ووثقت"(٤٤٤٠).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٤٤٤١).

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد : ٣٠]، أي:" وإليه مرجعي وإنابتي"(٤٤٤٢).

روي عن أبي زرعة، قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"(٤٤٤٣).

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)} [الرعد : ٣١]

التفسير:

يردُّ الله -تعالى- على الكافرين الذين طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآنًا يقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها، أو تتشقق به الأرض أنهارًا، أو يحيا به الموتى وتُكَلَّم -كما طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريبًا من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

سبب النزول:

أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن عطاء، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير، قالت: "سمعت الزبير بن العوام يقول: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخرت له الريح [والجبال] ، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم. فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة [ولا يؤمن مؤمنكم] ، فاخترت باب الرحمة [وأن يؤمن مؤمنكم] وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فنزلت: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا}(٤٤٤٤)، [حتى قرأ ثلاث آيات] ، ونزلت: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى}، الآية"(٤٤٤٥).

(٤٤٣٩) حكاه الواحدي في أسباب النزول:٢٧٩، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٤٤٤٠) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٤٤٤٢) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٤٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣

(٤٤٤٤)[الإسراء : ٥٩].

(٤٤٤٥) أسباب النزول:٢٨٠، إسناده ضعيف: عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف: [تقريب ١/ ٤٦٦] و (مجروحين ٢/ ١٥٨) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وقال: رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق وقد ضعفهما الجمهور.

وفي السياق نفسه اخرج ابن وهب عن القاسم بن أبى بزة :"أن قريشا قالوا للنبي: نح عنا هذين الجبلين، وأنشر لنا موتانا وافجر لنا عيون ماء، فأنزل الله: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى}"[٤٤٤٦].

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد : ٣١]، أي:" ولو أن ثمة قرآنًا يقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها، أو تتشقق به الأرض أنهارًا، :" أو خوطبت به الموتى حتى أجابت وتكلمت بعد أن أحياها الله بتلاوته عليها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به"[٤٤٤٧].

قال الضحاك:" قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: سير لنا الجبال كما سخرت لداود، أو قطع لنا الأرض كما قطعت لسليمان، فاغتدى بها شهرا وراح بها شهرا، أو كلم لنا الموتى كما كان عيسى يكلمهم، يقول: لم أنزل بهذا كتابا، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائي ورسلي"[٤٤٤٨].

قال قتادة:" لو كان فعل ذلك بشيء من الكتاب فيما مضى لكان ذلك"[٤٤٤٩].

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد : ٣١]، أي:" أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟"[٤٤٥٠].

قال مجاهد، والحسن، وقتادة: "{ييأس}: يعلم -في لغة النخع-"[٤٤٥١].

قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [الرعد : ٣١]، أي:" ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين"[٤٤٥٢].

قال قتادة:" أي: بأعمالهم أعمال السوء"[٤٤٥٣].

عن عن سعيد بن جبير[٤٤٥٤]، ومجاهد[٤٤٥٥]، في قوله: "{ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة}، قالا: سَرِيَّة"[٤٤٥٦].

وعن مجاهد قوله: "{تصيبهم بما صنعوا قارعة}، تصاب منهم سَرِيَّة، أو تصاب منهم مصيبة"[٤٤٥٧].

قال مجاهد:" السرايا، كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم"[٤٤٥٨].

عن عكرمة، في قوله: "{ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبًا من دارهم}، قال: نزلت بالمدينة في سرايَا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، {أو تحل}، أنت يا محمد{قريبًا من دارهم}"[٤٤٥٩].

وعن قتادة: "{قارعة}، قال: وَقِيعة"[٤٤٦٠].

قوله تعالى:{أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ} [الرعد : ٣١]، أي:" أو تنزل تلك المصيبة قريبًا من دارهم"[٤٤٦١].

وفي قوله تعالى:{أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ} [الرعد : ٣١]، وجهان:
أحدهما : أو تحل القارعة قريباً من دارهم، قاله الحسن[٤٤٦٢].

(٤٤٤٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٩):ص١٤١/١.
(٤٤٤٧) التفسير الميسر:٢٥٣.
(٤٤٤٨) أخرجه الطبري(٢٠٤٠٦):ص٤٤٩/١٦.
(٤٤٤٩) تفسير مجاهد(١٣٨٠):ص٢٣٦/٢.
(٤٤٥٠) التفسير الميسر:٢٥٣.
(٤٤٥١) ذكره الواحدي في "الوسيط": ١٧/٣.
(٤٤٥٢) التفسير الميسر:٢٥٣.
(٤٤٥٣) أخرجه الطبري(٢٠٤٣١):ص٤٥٨/١٦.
(٤٤٥٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٢٩):ص٤٥٨/١٦.
(٤٤٥٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٣٣):ص٤٥٩/١٦.
(٤٤٥٦) أخرجه الطبري(٢٠٤١٨):ص٤٥٦/١٦.
(٤٤٥٧) أخرجه الطبري(٢٠٤٢٤):ص٤٥٨/١٦.
(٤٤٥٨) أخرجه الطبري(٢٠٤٣٤):ص٤٥٩/١٦.
(٤٤٥٩) أخرجه الطبري(٢٠٤٢١):ص٤٥٧/١٦.
(٤٤٦٠) أخرجه الطبري(٢٠٤٣٣):ص٤٥٨/١٦-٤٥٩.
(٤٤٦١) التفسير الميسر:٢٥٣.

الثاني : أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم، قاله سعيد بن جبير[٤٤٦٣]، ومجاهد[٤٤٦٤]، وقتادة[٤٤٦٥]، وعكرمة[٤٤٦٦]، وعبدالله بن أبي نجيح[٤٤٦٧].

قوله تعالى:{حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ} [الرعد : ٣١]، أي:" حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم"[٤٤٦٨].

قال الطبري:أي:"الذي وعدك فيهم، وذلك ظهورُك عليهم وفتحُك أرضَهمْ، وقهرُك إياهم بالسيف"[٤٤٦٩].

عن مجاهد: قوله: "{حتى يأتي وعد الله}، قال: الفتح"[٤٤٧٠].

قال قتادة:" ووعدُ الله: فتحُ مكة"[٤٤٧١].

وعن الحسن، في قوله: "{حتى يأتي وعد الله}، قال: يوم القيامة"[٤٤٧٢].

القرآن

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} [الرعد : ٣٣]

التفسير:

أفمن هو قائم على كل نفس يُحصي عليها ما تعمل، أحق أن يعبد، أم هذه المخلوقات العاجزة؟ وهم -من جهلهم- جعلوا لله شركاء مِن خَلْقه يعبدونهم، قل لهم -أيها الرسول-: اذكروا أسماءهم وصفاتهم، ولن يجدوا من صفاتهم ما يجعلهم أهلا للعبادة، أم تخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم، أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون لهم حقيقة. بل حسَّن الشيطان للكفار قولهم الباطل وصدَّهم عن سبيل الله. ومَن لم يوفِّقه الله لهدايته فليس له أحد يهديه، ويوفقه إلى الحق والرشاد.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣]، أي:" أفمن هو قائم على كل نفس يُحصي عليها ما تعمل، أحق أن يعبد، أم هذه المخلوقات العاجزة؟"[٤٤٧٣].

وفي قوله تعالى:{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم ، حكاه الماوردي عن الضحاك[٤٤٧٤].

الثاني : هو الله القائم على كل نفس بما كسبت، قاله الضحاك[٤٤٧٥]، وقتادة[٤٤٧٦]، وابن جريج[٤٤٧٧].

عن ابن جريج: "{أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}، وعلى رزقهم وعلى طعامهم، فأنا على ذلك قائم، وهم عبيدي، ثم جعلوا لي شُركاء"[٤٤٧٨].

(٤٤٦٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٣٧)، (٢٠٤٣٨):ص٤٥٩/١٦-٤٦٠

(٤٤٦٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٣٠):ص٤٥٨/١٦.

(٤٤٦٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٢٤):ص٤٥٧/١٦-٤٥٨.

(٤٤٦٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٣١):ص٤٥٨/١٦.

(٤٤٦٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٢١)-(٢٠٤٢٢):ص٤٥٧/١٦.

(٤٤٦٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٢٥):ص٤٥٨/١٦.

(٤٤٦٨) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٦٩) .

(٤٤٧٠) أخرجه الطبري(٢٠٤٢٤):ص٤٥٨/١٦.

(٤٤٧١) أخرجه الطبري(٢٠٤٣١):ص٤٥٨/١٦.

(٤٤٧٢) أخرجه الطبري(٢٠٤٣٩):ص٤٦٠/١٦.

(٤٤٧٣) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٧٤) انظر: النكت والعيون:١١٤/٣.

(٤٤٧٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٤٤):ص٤٦٤/١٦.

(٤٤٧٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٤٠)-(٢٠٤٤١):ص٤٦٣/١٦-٤٦٤.

(٤٤٧٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٤٣):ص٤٦٤/١٦.

(٤٤٧٨) أخرجه الطبري(٢٠٤٤٣):ص٤٦٤/١٦.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ} [الرعد : ٣٣]، أي:" وهم -من جهلهم- جعلوا لله شركاء مِن خَلْقه يعبدونهم، قل لهم -أيها الرسول-: اذكروا أسماءهم وصفاتهم، ولن يجدوا من صفاتهم ما يجعلهم أهلا للعبادة"(٤٤٧٩).

قال الضحاك:" ولو سمَّوْهم آلهةً لكذبَوا وقالوا في ذلك غير الحق، لأن الله واحدٌ ليس له شريك"(٤٤٨٠).

قال ابن جريج:" ولو سَمَّوهم كذبوا وقالوا في ذلك مَا لا يعلم الله، مَا من إله غير الله، فذلك قوله: {أم تنبئونه لما لا يعلم في الأرض}"(٤٤٨١).

قوله تعالى:{أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ} [الرعد : ٣٣]، أي:" أم تخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم، أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون لهم حقيقة"(٤٤٨٢).

وفي قوله تعالى:{أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ} [الرعد : ٣٣]، خمسة وجوه:

أحدها : معناه: بباطل من القول ، قاله قتادة(٤٤٨٣)، ومنه قول الشاعر(٤٤٨٤):

أعَيّرتنا ألبانها ولحومها....وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

أي: بالحل .

الثاني : بظن من القول ، وهو قول مجاهد(٤٤٨٥).

الثالث : بباطل من القول وكذب، قاله الضحاك(٤٤٨٦).

الرابع : أن الظاهر من القول هو القرآن ، قاله السدي(٤٤٨٧).

قوله تعالى:{بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ} [الرعد : ٣٣]، أي:" بل حسَّن الشيطان للكفار قولهم الباطل وصدَّهم عن سبيل الله"(٤٤٨٨).

عن مجاهد قوله: "{بل زين للذين كفروا مكرهم}، قال: قولهم"(٤٤٨٩).

القرآن

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)} [الرعد : ٣٥]

التفسير:

صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص، تلك المثوبة بالجنة عاقبة الذين خافوا الله، فاجتنبوا معاصيه وأدَّوا فرائضه، وعاقبة الكافرين بالله النار.

قوله تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الرعد : ٣٥]، أي:" صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار"(٤٤٩٠).

قال عكرمة:":صفة الجنة أن الأنهار تجري من تحتها"(٤٤٩١).

(٤٤٧٩) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٨٠) أخرجه الطبري(٢٠٤٤٥):ص٣٦٥/١٦.

(٤٤٨١) أخرجه الطبري(٢٠٤٤٧):ص٣٦٥/١٦.

(٤٤٨٢) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٨٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٥٠):ص٤٦٦/١٦.

(٤٤٨٤) البيت غير منسوب في: النكت والعيون:١١٤/٣، وباهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، للنيسابوري:٧٥٣/٢، وتفسير القرطبي:٣٢٣/٩، والبحر المحيط:٣٩٤/٦، وفتح القدير للشوكاني: ١٠٢/٣، وغيرها.

(٤٤٨٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٤٨):ص٤٦٦/١٦.

(٤٤٨٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٥١):ص٤٦٦/١٦.

(٤٤٨٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١١٥/٣.

(٤٤٨٨) التفسير الميسر:٢٥٣.

(٤٤٨٩) أخرجه الطبري(٢٠٤٥٢):ص٤٦٧/١٦.

(٤٤٩٠) التفسير الميسر:٢٥٤.

(٤٤٩١) انظر: النكت والعيون:١١٥/٣. وقال:" لأنه ليس للجنة مثل".

قوله تعالى:{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد : ٣٥]، أي:" ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص"(٤٤٩٢).

قال الحسن: "يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها، لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس"(٤٤٩٣).

قوله تعالى:{تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد : ٣٥]، أي:" تلك المثوبة بالجنة عاقبة الذين خافوا الله، فاجتنبوا معاصيه وأدَّوا فرائضه، وعاقبة الكافرين بالله النار"(٤٤٩٤).

قال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه : "عباد الله هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من عبادتكم تقبلت منكم، أو أن شيئا من خطاياكم غفرت لكم ؟ { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون : ١١٥]، والله لو عُجِّل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم ، أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم ، ولا تنافسون في جنة { أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ }"(٤٤٩٥).

القرآن

{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)} [الرعد : ٣٦]

التفسير:

والذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى مَن آمن منهم بك كعبد الله بن سلام والنجاشي، يستبشرون بالقرآن المنزل عليك لموافقته ما عندهم، ومن المتحزبين على الكفر ضدك، كالسَّيد والعاقب، أُسْقُفَي «نجران» ، وكعب بن الأشرف، مَن ينكر بعض المنزل عليك، قل لهم: إنما أمرني الله أن أعبده وحده، ولا أشرك به شيئًا، إلى عبادته أدعو الناس، وإليه مرجعي ومآبي.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} [الرعد : ٣٦]، أي:" والذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى مَن آمن منهم بك كعبد الله بن سلام والنجاشي، يستبشرون بالقرآن المنزل عليك لموافقته ما عندهم"(٤٤٩٦).

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} [الرعد : ٣٦]، وجهان:

أحدهما : أنهم أصحابُ رسول الله محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدَّقُوا به. قاله قتادة(٤٤٩٧).

الثاني : أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، قاله مجاهد(٤٤٩٨).

قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} [الرعد : ٣٦]، أي:" ومن المتحزبين على الكفر ضدك، كالسَّيد والعاقب، أُسْقُفَي «نجران» ، وكعب بن الأشرف، مَن ينكر بعض المنزل عليك"(٤٤٩٩).

قال مجاهد:" «الأحزاب»: أهل الكتب، يقرّبهم تحزُّبهم"(٤٥٠٠).

عن مجاهد: {ومن الأحزاب من ينكر بعضه}، قال: «بعض القرآن»(٤٥٠١).

قوله تعالى:{إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} [الرعد : ٣٦]، أي:" إلى عبادته أدعو الناس، وإليه مرجعي ومآبي"(٤٥٠٢).

عن قتادة: "{وإليه مآب}، وإليه مَصِيرُ كلّ عبْدٍ"(٤٥٠٣).

(٤٤٩٢) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٤٩٣) زاد المسير:٤٩٨/٢.
(٤٤٩٤) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٤٩٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦٦/٤.
(٤٤٩٦) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٤٩٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٥٤):ص٤٧٣/١٦.
(٤٤٩٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٥٧):ص٤٧٤/١٦.
(٤٤٩٩) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٥٠٠) أخرجه الطبري(٢٠٤٥٧):ص٤٧٤/١٦.
(٤٥٠١) تفسير مجاهد: ٤٠٨.
(٤٥٠٢) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٥٠٣) أخرجه الطبري(٢٠٤٥٨):ص٤٧٤/١٦.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)} [الرعد : ٣٨]

التفسير:

وإذا قالوا: ما لك -أيها الرسول- تتزوج النساء؟ فلقد بعثنا قبلك رسلا من البشر وجعلنا لهم أزواجًا وذرية، وإذا قالوا: لو كان رسولا لأتى بما طلبنا من المعجزات، فليس في وُسْع رسولٍ أن يأتي بمعجزةٍ أرادها قومه إلا بإذن الله. لكل أمر قضاه الله كتاب وأجل قد كتبه الله عنده، لا يتقدم ولا يتأخر.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: نقل الواحدي عن الكلبي، قال: "عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمره النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٤٥٠٤).

الثاني: قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بآية فقال الله- تعالى-: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ} إلى قومه..."(٤٥٠٥).

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} [الرعد : ٣٨]، أي:" لقد بعثنا قبلك رسلا من البشر، وجعلنا لهم النساء والبنين"(٤٥٠٦).

عن قتادة: "أنه نهاه بذلك عن التبتل"(٤٥٠٧).

قوله تعالى:{لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد : ٣٨]، أي:" لكل أمر قضاه الله كتاب وأجل قد كتبه الله عنده، لا يتقدم ولا يتأخر"(٤٥٠٨).

وفي قوله تعالى:{لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد : ٣٨]، أربعة وجوه:

أحدها : معناه لكل كتاب نزل من السماء أجل . وهو من المقدِّم والمؤخر ، قاله الضحاك(٤٥٠٩).

قال الضحاك:" يقول: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب"(٤٥١٠).

الثاني: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله تعالى ، قاله الحسن(٤٥١١).

القرآن

{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)} [الرعد : ٣٩]

التفسير:

يمحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُبْقي ما يشاء منها لحكمة يعلمها، وعنده أمُّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ.

سبب النزول:

عن مجاهد قول الله: "{يمحو الله ما يشاء ويثبت}، قالت قريش حين أنزل: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلا بِإِذْنِ اللهِ} [سورة الرعد:٣٨] : ما نراك، يا محمد تملك من شيء، ولقد فُرِغ من الأمر! فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدَثْنا له من أمرنا ما شئنا، ونُحْدِث في كل رمضان، فنمحو ونثبتُ ما نشاء من أرزاق الناس ومَصَائبهم، وما نعطيهم، وما نقسم لهم"(٤٥١٢).

(٤٥٠٤) أسباب النزول:٢٨٠، والكلبي متهم بالكذب.

(٤٥٠٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٢/٢.

(٤٥٠٦) التفسير الميسر:٢٥٤.

(٤٥٠٧) انظر: النكت والعيون:١١٧/٣.

(٤٥٠٨) التفسير الميسر:٢٥٤.

(٤٥٠٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٦٠):ص٤٧٦/١٦.

(٤٥١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٠٤٦٠):ص٤٧٦/١٦.

(٤٥١١) انظر: النكت والعيون:١١٧/٣.

(٤٥١٢) أخرجه الطبري(٢٠٤٩٨):ص٤٨٧/١٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن

قوله تعالى:{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد : ٣٩]، أي:" يمحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُبْقي ما يشاء منها لحكمة يعلمها"[٤٥١٣].

وفي قوله تعالى:{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد : ٣٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا إلا الحياة والموت والسعادة والشقاوة، فإنهما لا يُغَيَّران، قاله مجاهد[٤٥١٤].

قال مجاهد:" الشقاء والسعادة قد فُرغ منهما"[٤٥١٥].

روي عن منصور، قال: "سألت مجاهدًا، فقلت: أرأيت دعاءَ أحدنا يقول:«اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه واجعله في السعداء»، فقال: حَسَنٌ. ثم أتيته بعد ذلك بحَوْلٍ أو أكثر من ذلك، فسألته عن ذلك، فقال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِين فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [سورة الدخان:٣، ٤] قال: يُقْضى في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدِّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغَيَّر"[٤٥١٦].

الثاني : يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء في كتاب سوى أُم الكتاب الذي لا يُغَيَّرُ منه شيء، وهما كتابان: كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب. قاله عكرمة[٤٥١٧].

الثالث : أن الله عز وجل ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ، قاله قتادة[٤٥١٨]، وابن جريج[٤٥١٩].

الرابع : أنه يمحو مَنْ قد جاء أجلُه فذهب، ويثبت من لم يأت أجلُه إلى اجله، قاله الحسن[٤٥٢٠].

الخامس : يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفره ، قاله سعيد بن جبير[٤٥٢١].

قال سعيد:" يثبت في البطن الشَّقاء والسعادة وكلَّ شيء، فيغفر منه ما يشاء ويُؤخّر ما يشاء"[٤٥٢٢].

السادس : أن الحفظة من الملائكة يرفعون جميع أقواله وأفعاله ، فيمحو الله عز وجل منها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب ، قاله الضحاك[٤٥٢٣].

ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان مرفوعا: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[٤٥٢٤]"[٤٥٢٥].

قال قيس بن عباد: "العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه ما يشاء"[٤٥٢٦].

قوله تعالى:{وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد : ٣٩]، أي:"وعنده أمُّ الكتاب، وهو أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقاديرَ الأشياءِ كلِّها"[٤٥٢٧].

وفي قوله تعالى:{وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد : ٣٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : الحلال والحرام ، قاله الحسن[٤٥٢٨].

المنذر، وابن أبي حاتم، ونقله ابن كثير في تفسيره ٤/ ٥٣٨.

(٤٥١٣) التفسير الميسر:٢٥٤.

(٤٥١٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٦٧)-(٢٠٤٧٢):ص٤٧٩/١٦-٤٨٠.

(٤٥١٥) أخرجه الطبري(٢٠٤٧٠):ص٤٧٩/١٦.

(٤٥١٦) أخرجه الطبري(٢٠٤٧٢):ص٤٨٠/١٦.

(٤٥١٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٧٤)، (٢٠٤٧٥م):ص٤٨٠/١٦-٤٨١.

(٤٥١٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٩٠)، (٢٠٤٩١):ص٤٨٥/١٦-٤٨٦.

(٤٥١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٩٣):ص٤٨٦/١٦.

(٤٥٢٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٤٩٤)-(٢٠٤٩٧):ص٤٨٦/١٦-٤٨٧.

(٤٥٢١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٠١):ص٤٨٧/١٦.

(٤٥٢٢)أخرجه الطبري(٢٠٥٠١):ص٤٨٧/١٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤: ٦٨، ولم ينسبه لغير ابن جرير، ولفظه عنده:" ... وكل شيء هو كائن، فيقدم منه ما يشاء ... "، قال السيد محمد شاكر:"وهذا أجود مما في مخطوطتنا".

(٤٥٢٣) انظر: النكت والعيون:١١٨/٣.

(٤٥٢٤) المسند(٢٢٣٨٦)، والشطر الأول منه لم يصح، كما في الصحيحة (١٥٤).

(٤٥٢٥)التفسير (٤٦٩/ ٤).

(٤٥٢٦) أخرجه الطبري(٢٠٥٠٥):ص٤٨٩/١٦. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٦٦، ولم ينسبه إلى غير ابن جرير، ثم ذكر بعده خبرًا مطولا عن قيس بن عباد، ونسبه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب.

(٤٥٢٧) صفوة التفاسير:٨٠/٢.

الثاني : وعنده جملة الكتاب وأصله، قاله الضحاك[٤٥٢٩]، وقتادة[٤٥٣٠].
الثالث : هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق وما خَلْقُه عاملون، قاله كعب الأحبار[٤٥٣١].
وقال كعب:" فقال لعلمه: كُنْ كتابًا، فكان كتابًا"[٤٥٣٢].
الرابع : أنه الكتاب الذي لا يبدل ، قاله السدي[٤٥٣٣].
الخامس : أنه أصل الكتاب في اللوح المحفوظ ، قاله عكرمة[٤٥٣٤].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال:"وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحُو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقَّب ذلك بقوله: {وعنده أم الكتاب}، فكان بيِّنًا أن معناه. وعنده أصل المثبّت منه والمَمحوّ، وجملتُه في كتاب لديه"[٤٥٣٥].

القرآن
{وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)} [الرعد : ٤٠]
التفسير:
وإن أريناك -أيها الرسول- بعض العقاب الذي توعَّدْنا به أعداءك من الخزي والنَّكال في الدنيا فذلك المعجَّل لهم، وإن توفيناك قبل أن ترى ذلك، فما عليك إلا تبليغ الدعوة، وعلينا الحساب والجزاء.
قوله تعالى:{وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ} [الرعد : ٤٠]، أي:" وإن أريناك -أيها الرسول- بعض العقاب الذي توعَّدْنا به أعداءك من الخزي والنَّكال في الدنيا فذلك المعجَّل لهم"[٤٥٣٦].
قال مجاهد:" يعني: " من العذاب في حياتك يا محمد"[٤٥٣٧].

القرآن
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)} [الرعد : ٤١]
التفسير:
أو لم يبصر هؤلاء الكفار أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين؟ والله سبحانه يحكم لا معقِّب لحكمه وقضائه، وهو سريع الحساب، فلا يستعجلوا بالعذاب; فإن كل آت قريب.
قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد : ٤١]، أي:" أولمْ ير هؤلاء المشركون أنّا نمكّن للمؤمنين من ديارهم ونفتح للرسول الأرض بعد الأرض حتى تنقص دار الكفر وتزيد دار الإسلام؟"[٤٥٣٨].
وفي قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد : ٤١]، وجوه من التفسير:
أحدها: بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله الحسن[٤٥٣٩]، والضحاك[٤٥٤٠]، وقتادة[٤٥٤١]، وبه قال ابن جرير الطبري[٤٥٤٢]، وابن كثير[٤٥٤٣].

(٤٥٢٨) انظر: النكت والعيون:١١٨/٣.
(٤٥٢٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٠٩)، (٢٠٥١٠):ص٤٩٠/١٦.
(٤٥٣٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٠٧)، (٢٠٥٠٨):ص٤٩٠/١٦.
(٤٥٣١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٢):ص٤٩١/١٦.
(٤٥٣٢) أخرجه الطبري(٢٠٥١٢):ص٤٩١/١٦.
(٤٥٣٣) انظر: النكت والعيون:١١٨/٣.
(٤٥٣٤) انظر: النكت والعيون:١١٨/٣.
(٤٥٣٥) تفسير الطبري:٤٩١/١٦-٤٩٢.
(٤٥٣٦) التفسير الميسر:٢٥٤.
(٤٥٣٧) تفسير مجاهد: ٣٨١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٠٤٠٣):ص١٩٥٥/٦.
(٤٥٣٨) طصفوة التفاسير:٨٠/٢.
(٤٥٣٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٧):ص٤٩٤/١٦.
(٤٥٤٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٦):ص٤٩٤/١٦.
(٤٥٤١) انظر: النكت والعيون:١١٩/٣.

قال الحسن:" هو ظهور المسلمين على المشركين"[٤٥٤٤].

قال الضحاك:" يعنى: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يُنْتَقَصُ له ما حوله من الأرَضِين، ينظرون إلى ذلك فلا يعتبرون قال الله في «سورة الأنبياء»: {نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [سورة الأنبياء:٤٤] ، بل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون"[٤٥٤٥].

الثاني : بخرابها بعد العمارة، والمعنى: أولم يروا أنا نأتي الأرض فنخرِّبها، أو لا يَخَافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرِّب أرضهم؟. قاله مجاهد[٤٥٤٦]، وعكرمة[٤٥٤٧].

وقال ابن جريج:" خرابُها وهلاك الناس"[٤٥٤٨].

قال عكرمة:" نخرِّب من أطرافها"[٤٥٤٩].

الثالث : معناه: ننقص من بَرَكتها وثَمرتها وأهلِها بالموت، قاله مجاهد[٤٥٥٠]، والشعبي[٤٥٥١].

الرابع : معناه: أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها، نأخذ من أطرافهم ونواحيهم بأخذهم بالموت. قاله مجاهد[٤٥٥٢]، وعكرمة[٤٥٥٣].

قال عكرمة:" هو الموت -وفي رواية-«هو قَبْضُ الناس»[٤٥٥٤]. ثم قال: لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانًا نجلسُ فيه"[٤٥٥٥].

الخامس: أن معنى«ننقُصها من أطرافها»، اي: بموت فقهائها وخيارها ، قاله مجاهد[٤٥٥٦].

والقول الأول أولى ، وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية ، وكَفْرًا بعد كَفْر ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى } [الأحقاف : ٢٧] الآية ، وهذا اختيار ابن جرير ، رحمه الله[٤٥٥٧].

القرآن

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)} [الرعد : ٤٣]

التفسير:

ويقول الذين كفروا لنبي الله: -يا محمد- ما أرسلك الله، قل لهم: كفى بالله شهيدًا بصدقي وكذبكم، وكَفَتْ شهادة مَن عنده علم الكتاب من اليهود والنصارى ممن آمن برسالتي، وما جئتُ به من عند الله، واتبع الحق فصرَّح بتلك الشهادة، ولم يكتمها.

سبب النزول:

قال عبد الله بن سَلام: "نزلت فيَّ: { كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}"[٤٥٥٨].

(٤٥٤٢) انظر: التفسير:١٦/٤٩٧-٤٩٨.

(٤٥٤٣) انظر: التفسير:٤/٤٧٣.

(٤٥٤٤) أخرجه الطبري(٢٠٥١٧):ص١٦/٤٩٤.

(٤٥٤٥) أخرجه الطبري(٢٠٥١٨):ص١٦/٤٩٤.

(٤٥٤٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٠)، (٢٠٥٢١):ص١٦/٤٩٥.

(٤٥٤٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٢):ص١٦/٤٩٥.

(٤٥٤٨) أخرجه الطبري(٢٠٥٢١):ص١٦/٤٩٥.

(٤٥٤٩) أخرجه الطبري(٢٠٥٢٢):ص١٦/٤٩٥.

(٤٥٥٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٤):ص١٦/٤٩٥.

(٤٥٥١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٥):ص١٦/٤٩٦.

(٤٥٥٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٦)، (٢٠٥٢٧):ص١٦/٤٩٦.

(٤٥٥٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٧)-(٢٠٥٣٢):ص١٦/٤٩٦-٤٩٧.

(٤٥٥٤) أخرجه الطبري(٢٠٥٢٩):ص١٦/٤٩٦.

(٤٥٥٥) اخرجه الطبري(٢٠٥٢٧):ص١٦/٤٩٦.

(٤٥٥٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٤):ص١٦/٤٩٧.

(٤٥٥٧) تفسير ابن كثير:٤/٤٧٣.

(٤٥٥٨) أخرجه الطبري(٢٠٥٣٥):ص١٦/٥٠١. وانظر: (٢٠٥٣٦):ص١٦/٥٠١. وعبد الله بن سلام، هو الصحابي الجليل، كان أعلم بني إسرائيل، فأسلم.

قوله تعالى:{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد : ٤٣]، أي:" قل لهم: كفى بالله شهيدًا بصدقي وكذبكم، وكَفَتْ شهادة مَن عنده علم الكتاب من اليهود والنصارى ممن آمن برسالتي، وما جئتُ به من عند الله"(٤٥٥٩).

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد : ٤٣]، وجوه:

أحدها : أنهم "أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحقّ ويقرُّون به، ويعلمون أن محمدًا رسول الله، كما يُحدَّث أن منهم عبد الله بن سَلام. قاله قتادة(٤٥٦٠).

الثاني : أنه عبدالله بن سلام. قاله مجاهد(٤٥٦١)، وقتادة(٤٥٦٢).

الثالث: كان منهم: عبدُ الله بن سَلام، وسَلْمَان الفارسي، وتميمٌ الدَّاريّ، قاله قتادة(٤٥٦٣).

الرابع : أنه جبريل ، قاله سعيد بن جبير(٤٥٦٤).

الخامس: أنه رجل من الإنس، ولم يُسمّه. قاله أبو صالح(٤٥٦٥).

السادس: هو الله تعالى ، قاله الحسن(٤٥٦٦)، وسعيد بن جبير(٤٥٦٧)، ومجاهد(٤٥٦٨)، والضحاك(٤٥٦٩)، وهارون(٤٥٧٠).

عن أبي بشر، قال: "قلت لسعيد بن جبير:«وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ»، أهو عبد الله بن سَلام؟ قال: هذه السورة مكية، فكيف يكون عبد الله بن سلام! قال: وكان يقرؤها: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ»، يقول: مِنْ عند الله"(٤٥٧١).

والظاهر-والله اعلم- أن قوله: {ومن عنده علم الكتاب} شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فإخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة، وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم(٤٥٧٢).

«آخر تفسير سورة (الرعد)، والحمد لله وحده»

(٤٥٥٩) التفسير الميسر:٢٥٥.
(٤٥٦٠) أخرجه الطبري(٢٠٥٤٢):ص٥٠٣/١٦.
(٤٥٦١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٨)، (٢٠٥٤٠):ص٥٠٢/١٦.
(٤٥٦٢)انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٤٤):ص٥٠٣/١٦ .
(٤٥٦٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٤٣):ص٥٠٣/١٦.
(٤٥٦٤) انظر: النكت والعيون:١١٩/٣.
(٤٥٦٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٩):ص٥٠٢/١٦.
(٤٥٦٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٤٨)-(٢٠٥٥٣):ص٥٠٤/١٦-٥٠٥.
(٤٥٦٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٥٥):ص٥٠٥/١٦-٥٠٦.
(٤٥٦٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٤٦):ص٥٠٤/١٦.
(٤٥٦٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٥٧):ص٥٠٦/١٦.
(٤٥٧٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٥٤):ص٥٠٥/١٦.
(٤٥٧١) أخرجه الطبري(٢٠٥٥٥):ص٥٠٥/١٦-٥٠٦.
(٤٥٧٢) تفسير السعدي:٤٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «إبراهيم»

سورة «إبراهيم»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «نوح»[٤٥٧٣]، وقيل: "بعد سورة «الشورى»، وقبل سورة «الأنبياء»"[٤٥٧٤]، وعدد آياتها (٥٥) خمس وخمسون عند الشاميين، و(٥٢) اثنتان وخمسون عند الكوفيين، و(٥٤) أربع وخمسون عند الحجازيين، و(٥١) وإحدى وخمسون عند البصريين. وكلماتها (٨٣١) ثمان مائة وإحدى وثلاثون. وحروفها (٦٤٣٤) ستة آلاف وأربعمائة وأربع وثلاثون[٤٥٧٥].

والآيات المختلف فيها سبع: « {إِلَى النُّورِ} [إبراهيم : ١]، {وَعَادٍ } [إبراهيم : ٩]، {وَثَمُودَ } [إبراهيم : ٩]، {بِخَلْقٍ جَدِيد} [إبراهيم : ١٩]، {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم : ٢٤]، {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم : ٣٣]، {عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُون} [إبراهيم : ٤٢]»، ومجموع فواصلها:«آدم نظر، صب ذل»[٤٥٧٦].

▪مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٤٥٧٧]، والزبير[٤٥٧٨]، والحسن[٤٥٧٩]، وعكرمة[٤٥٨٠]، وجابر[٤٥٨١]، ومقاتل[٤٥٨٢]، وبه قال ابن قتيبة[٤٥٨٣]، وابن كثير[٤٥٨٤]، وابن الجوزي[٤٥٨٥]، والبيضاوي[٤٥٨٦]، وحكاه ابن عاشور عن الجمهور[٤٥٨٧].

الثاني: أنها مكية إجماعا غير آية واحدة، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨]. به قال الفيروزآبادي[٤٥٨٨].

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، نزلتا في قتلى بدر من المشركين، وهما: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)} [إبراهيم : ٢٨ - ٢٩]. قاله ابن عباس أيضا[٤٥٨٩]، وقتادة[٤٥٩٠]، وبه قال الثعلبي[٤٥٩١]، وابن عطية[٤٥٩٢]، والزمخشري[٤٥٩٣]، والبغوي[٤٥٩٤]، والفخر الرازي[٤٥٩٥].

(٤٥٧٣) انظر: الكشاف: ٥٣٧/٢، ومفاتيح الغيب:٥٦/١٩.

(٤٥٧٤) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.

(٤٥٧٥)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٦٨.

(٤٥٧٦)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤٥٧٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٤٥٧٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٤٥٧٩) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.

(٤٥٨٠) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.

(٤٥٨١) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.

(٤٥٨٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٧/٢.

(٤٥٨٣) انظر: غريب القرآن:٢٣٠.

(٤٥٨٤) انظر: التفسير:٤٧٦/٤.

(٤٥٨٥) انظر: زاد المسير:٥٠٣/٢.

(٤٥٨٦) انظر: التفسير:١٩٢/٣.

(٤٥٨٧) انظر: التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.

(٤٥٨٨) البصائر:٢٦٨/١.

(٤٥٨٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه للنحاس في تاريخه، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره:٣٣٨/٩.

(٤٥٩٠) انظر: زاد المسير: ٥٠٣/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره:٣٣٨/٩.

(٤٥٩١) انظر: الكشف والبيان:٣٠٤/٥.

(٤٥٩٢) انظر: المحرر الوجيز:٣٢١/٣. وقال:" ذكره مكي والنقاش".

(٤٥٩٣) انظر: الكشاف:٥٣٧/٢.

(٤٥٩٤) انظر: التفسير:٣٢٩/٤.

(٤٥٩٥) انظر: مفاتيح الغيب:٥٦/١٩.

الثالث: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)} [إبراهيم : ٢٨ - ٣٠]. حكاه ابن عاشور، وقال: قيل:" نزل ذلك في المشركين في قضية بدر، وليس ذلك إلا توهما"[٤٥٩٦].

(٤٥٩٦) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.

القرآن

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)} [إبراهيم : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة «البقرة».

هذا القرآن كتاب أوحيناه إليك -أيها الرسول- لتُخرج به البشر من الضلال والغيِّ إلى الهدى والنور -بإذن ربهم وتوفيقه إياهم- إلى الإسلام الذي هو طريق الله الغالب المحمود في كل حال.

قوله تعالى:{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [إبراهيم : ١]، أي:" هذا القرآن كتاب أوحيناه إليك -أيها الرسول- لتُخرج به البشر من الضلال والغيِّ إلى الهدى والنور، بإذن ربهم وتوفيقه إياهم"(٤٥٩٧).

عن قتادة:"{ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، أي: من الضلالة إلى الهدى"(٤٥٩٨).

قوله تعالى:{إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم : ١]، أي:" لتهديهم إلى طريق الله الغالب المحمود في كل حال"(٤٥٩٩).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"(٤٦٠٠).

عن ابن العالية:" {عزيز}: عزيز في نقمته إذا انتقم"(٤٦٠١).

القرآن

{اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)} [إبراهيم : ٢]

التفسير:

الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، خلقًا وملكًا وتصرُّفًا، فهو الذي يجب أن تكون العبادة له وحده. وسوف يصيب الذين لم يؤمنوا بالله ولم يتبعوا رسله يوم القيامة هلاك وعذاب شديد.

قوله تعالى:{اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [إبراهيم : ٢]، أي:" الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، خلقًا وملكًا وتصرُّفًا"(٤٦٠٢).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٤٦٠٣).

قوله تعالى:{وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [إبراهيم : ٢]، أي:" وسوف يصيب الذين لم يؤمنوا بالله ولم يتبعوا رسله يوم القيامة هلاك وعذاب شديد"(٤٦٠٤).

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض(٤٦٠٥)، وشقيق(٤٦٠٦).

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان(٤٦٠٧).

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر(٤٦٠٨):

(٤٥٩٧) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٥٩٨) أخرجه الطبري(٢٠٥٥٩):ص٥١٢/١٦.

(٤٥٩٩) انظر: التفسير الميسر:٢٥٥، وصفوة التفاسير:٨٤/٢.

(٤٦٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.

(٤٦٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٤٦٠٢) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٤٦٠٤) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٠٥)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٤٦٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٤٦٠٧) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل
الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٤٦٠٩].
الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٤٦١٠].
وقال الحسن والأصم: "«الويل»: هو نداء كل مكروب وملهوف من شدة البلاء"[٤٦١١].

القرآن
{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)} [إبراهيم : ٣]
التفسير:
وهؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويتركون الآخرة الباقية، ويمنعون الناس عن اتباع دين الله، ويريدونه طريقًا معوجًا ليوافق أهواءهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات في ضلال عن الحق بعيد عن كل أسباب الهداية.
قوله تعالى:{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [إبراهيم : ٣]، أي:" وهؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويتركون الآخرة الباقية"[٤٦١٢].
عن أبي مالك:" يختارونها على الآخرة"[٤٦١٣].
قوله تعالى:{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [إبراهيم : ٣]، أي:" ويمنعون الناس عن اتباع دين"[٤٦١٤].
عن السدي قوله: "{الذين يصدون عن سبيل الله }، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم صدت قريش، عنه الناس"[٤٦١٥].
وقرأ الحسن:«ويصدون»، بضم الياء وكسر الصاد[٤٦١٦].
قوله تعالى:{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [إبراهيم : ٣]، أي:" ويطلبون أن تكون دين الله معوجَّة لتوافق أهواءهم"[٤٦١٧].
عن ابي مالك، قوله: "{ويبغونها عوجا}، يعني: يرجون بمكة غير الإسلام دينا"[٤٦١٨].
عن السدي: "{يبغونها عوجا}: كانوا إذا سألهم أحد هل تجدون محمدا: قالوا لا فصدوا، عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا"[٤٦١٩].

القرآن
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)} [إبراهيم : ٤]
التفسير:
وما أرسلنا مِن رسولٍ قبلك -أيها النبي- إلا بلُغة قومه; ليوضِّح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وَفْق الحكمة.

(٤٦٠٨) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.
(٤٦٠٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.
(٤٦١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.
(٤٦١١) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٦٠/٦.
(٤٦١٢) التفسير الميسر:٢٥٥.
(٤٦١٣) انظر: النكت والعيون:١٢١/٣.
(٤٦١٤) التفسير الميسر:٢٥٥.
(٤٦١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٢):ص٢٠١٧/٦.
(٤٦١٦) انظر: الكشاف:٥٣٨/٢.
(٤٦١٧) صفوة التفاسير:٨٤/٢.
(٤٦١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٤):ص٢٠١٧/٦.
(٤٦١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٨٥):ص٢٠١٧/٦.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم : ٤]، أي:" وما أرسلنا مِن رسولٍ قبلك -أيها النبي- إلا بلُغة قومه، ليوضِّح لهم شريعة الله"(٤٦٢٠).

قال مجاهد: عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم يبعث الله ، عز وجل ، نبيا إلا بلغة قومه"(٤٦٢١).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم : ٤]، أي:" وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وَفْق الحكمة"(٤٦٢٢).

عن محمد بن جعفر بن الزبير، قوله: "{حكيم}، قال: الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(٤٦٢٣).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٤٦٢٤)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٤٦٢٥).

عن ابن العالية:" {إن الله عزيز حكيم}، يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"(٤٦٢٦). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٤٦٢٧).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)} [إبراهيم : ٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأمرناه بأن يدعوهم إلى الإيمان؛ ليخرجهم من الضلال إلى الهدى، ويذكِّرهم بنعم الله ونقمه في أيامه، إن في هذا التذكير بها لدلالات لكل صبَّار على طاعة الله، وعن محارمه، وعلى أقداره، شكور قائم بحقوق الله، يشكر الله على نعمه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} [إبراهيم : ٥]، أي:" ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه"(٤٦٢٨).

قال مجاهد: "يعني: «بالبينات التسع: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا ويده والسنين ونقص من الثمرات»"(٤٦٢٩).

وقال ابن جريج: «الآيات التسع هي البينات»(٤٦٣٠).

قوله تعالى:{أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [إبراهيم : ٥]، أي:" وأمرناه بأن يدعوهم إلى الإيمان؛ ليخرجهم من الضلال إلى الهدى"(٤٦٣١).

قال قتادة:" من الضلالة إلى الهدى"(٤٦٣٢).

قوله تعالى:{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ} [إبراهيم : ٥]، أي:" ويذكِّرهم بنعم الله ونقمه في أيام"(٤٦٣٣).

وفي قوله تعالى:{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ} [إبراهيم : ٥]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: وعظهم بما سلف من الأيام الماضية لهم ، قاله مجاهد(٤٦٣٤).

(٤٦٢٠) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٢١)المسند (١٥٨/٥) ومجاهد لم يسمع من أبي ذر.

(٤٦٢٢) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٤٦٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٤٦٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٤٦٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٤٦٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٤٦٢٨) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢١٠):ص٢٢٣٥/٧، وانظر: تفسير مجاهد: ٤١٠. وفيه" بالبينات".

(٤٦٣٠) تفسير مجاهد: ٤١٠.

(٤٦٣١) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٣٢) أخرجه الطبري(٢٠٥٦٦):ص٥١٨/١٦.

(٤٦٣٣) التفسير الميسر:٢٥٥.

(٤٦٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢١٢):ص٢٢٣٥/٧.

عن مجاهد: "لما نزلت: {وذكرهم بأيام الله}، قال: وعظهم"[٤٦٣٥].
الثاني : بوقائع الله في القرون الأولى، قاله الربيع[٤٦٣٦].
الثالث : أن معنى «أيام الله» نعم الله عليهم، قاله سعيد بن جبير[٤٦٣٧]، ومجاهد[٤٦٣٨]، وقتادة[٤٦٣٩]، وقد رواه أبيّ بن كعب مرفوعاً[٤٦٤٠]. وقد تسمَّى النعم بالأيام ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :
وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ ... عصينا الملْك فيها أن نَدِينا
قال قتادة:" ذكرهم بنعم الله عليهم"[٤٦٤١].
عن مجاهد: " بأنعم الله"[٤٦٤٢]. وفي لفظ:" بنعم الله"[٤٦٤٣].
وقال مجاهد:" بالنعم التي أنعم بها عليهم، أنجاهم من آل فرعون، وفلق لهم البحر، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى"[٤٦٤٤].
والقول الثالث أشبه بتفسير الآية، -والله أعلم-.
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم : ٥]، أي:" إن في هذا التذكير بها لدلالات لكل صبَّار على طاعة الله، وعن محارمه، وعلى أقداره، شكور قائم بحقوق الله، يشكر الله على نعمه"[٤٦٤٥].
قيل: أن الحسن:" توارى عن الحجاج تسع سنين، فلما بلغه موته قال : "اللهم قد أمته فأمت سنته وسجد شكراً وقرأ :{إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور}"[٤٦٤٦].

القرآن
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)} [إبراهيم : ٦]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من فرعون وأتباعه يذيقونكم أشد العذاب، ويذبِّحون أبناءكم الذكور، حتى لا يأتي منهم من يستولي على مُلك فرعون، ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان، وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم.
قوله تعالى:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ } [إبراهيم : ٦]، أي:" واذكر -أيها الرسول- لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من فرعون وأتباعه"[٤٦٤٧].
قال مجاهد:" فنعمة الله التي أنعم بها على بني إسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك، فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى وأنجاهم من عبودية آل فرعون"[٤٦٤٨].
قوله تعالى:{يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [إبراهيم : ٦]، أي:" يذيقونكم أشد العذاب"[٤٦٤٩].
واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [إبراهيم : ٦]، على وجهين:

(٤٦٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢١٢):ص٢٢٣٥/٧.
(٤٦٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢١٣):ص٢٢٣٥/٧.
(٤٦٣٧) أخرجه الطبري(٢٠٥٧٥):ص٥٢١/١٦.
(٤٦٣٨) أخرجه الطبري(٢٠٥٦٧):ص٥٢٠/١٦.
(٤٦٣٩) أخرجه الطبري(٢٠٥٧٥):ص٥٢١/١٦.
(٤٦٤٠) أخرجه الطبري(٢٠٥٧٩):ص٥٢٢/١٦. في سنده: " محمد بن أبان الجعفي "، وقد قيل في سوء حفظه وضعفه ما قيل.
(٤٦٤١) أخرجه الطبري(٢٠٥٧٦):ص٥٢١/١٦.
(٤٦٤٢) أخرجه الطبري(٢٠٥٦٧):ص٥٢٠/١٦.
(٤٦٤٣) أخرجه الطبري(٢٠٥٦٨):ص٥٢٠/١٦.
(٤٦٤٤) أخرجه الطبري(٢٠٥٧٤):ص٥٢٠/١٦.
(٤٦٤٥) التفسير الميسر:٢٥٥.
(٤٦٤٦) النكت والعيون:١٢٢/٣.
(٤٦٤٧) التفسير الميسر:٢٥٦.
(٤٦٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٦):ص٩٥/١.
(٤٦٤٩) التفسير الميسر:٢٥٦.

أحدهما: أن فرعون كان يعذبهم بجعلهم خدما وخولا، واستخدم بعضهم في أعماله، ومن لم يكن منهم في صنعة، فعليه الجزية. قاله ابن إسحاق[٤٦٥٠].

الثاني: وقيل: أن فرعون:"جعلهم في الأعمال القذرة، وجعل يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم". قاله السدي[٤٦٥١].

قوله تعالى:{وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ} [إبراهيم : ٦]، أي:" ويذبِّحون أبناءكم الذكور"[٤٦٥٢].

قال أبو العالية: " إن فرعون ملكهم أربعمائة سنة فقالت له الكهنة. سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فبعث في أهل مصر نساء قوابل فإذا ولدت امرأة غلاما أتى به فرعون فقتله ويستحيي الجواري"[٤٦٥٣]. وروي عن الربيع بن أنس[٤٦٥٤] نحوه.

قال السدي:" كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة- وأما القافة: فهم العافة. وأما الحازة: فهم الذين يزجرون الطير- فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه يعني بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر بني إسرائيل أن لا يولد غلام إلا ذبحوه ولا يولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة. فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم. فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، فلا يكبر الصغير، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت فأسرع فيهم، فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه فقالوا: إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا بذبح أبنائهم فلا يبلغ الصغار فيفنى الكبار، فلو أنك كنت تبقي من أولادهم؟ فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة"[٤٦٥٥].

قال مجاهد:" لقد ذكر [لي] أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بالحبالى من بني إسرائيل فيوقفهن عليه فيحز أقدامهن. حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع من بين رجليها، فتظل تطؤه تتقي به حد القصب عن رجلها، لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك وكاد يفنيهم، فقيل له: أفنيت الناس وقطعت النسل! وإنهم خولك وعمالك! فأمر أن يقتل الغلمان عاما ويستحيوا عاما. فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان، وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون"[٤٦٥٦].

قال ابن إسحاق:" ذكر لي أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته إليه، فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك من أرضك، ويبدل دينك. فلما قالوا له ذلك، أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان، وأمر بالنساء يستحيين. فجمع القوابل من نساء [أهل] مملكته، فقال لهن: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتنه. فكن يفعلن ذلك، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان، ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن"[٤٦٥٧].

قوله تعالى:{وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [إبراهيم : ٦]، أي:" ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان"[٤٦٥٨].

وقال ابن جريج:" يسترقون نساءكم"[٤٦٥٩].

(٤٦٥٠) أنظر: تفسير الطبري(٨٨٩):ص٢/٤٠.

(٤٦٥١) أنظر: تفسير الطبري(٨٩٠):ص٢/٤١.

(٤٦٥٢) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٥):ص١/١٠٦، و(٨٩١٥):ص٥/١٥٥٥، والطبري(٨٩٣):ص٢/٤٣.

(٤٦٥٤) أنظر: تفسير الطبري(٨٩٤):ص٢/٤٣.

(٤٦٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٠٦):ص١/١-٦، والطبري(٨٩٥):ص٢/٤٣-٤٤.

(٤٦٥٦) أنظر: تفسير الطبري(٨٩٧):ص٢/٤٤-٤٥.

(٤٦٥٧) أنظر: تفسير الطبري(٨٩٦):ص٢/٤٤.

(٤٦٥٨) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٥٩) أخرجه الطبري(٨٩٨):ص٢/٤٦. وضعّفه الطبري قائلا:" ذلك تأويل غير موجود في لغة عربية ولا أعجمية، وذلك أن الاستحياء إنما هو استفعال من الحياة نظير " الاستبقاء " من " البقاء " ، و " الاستسقاء " من " السقي " . وهو من معنى الاسترقاق بمعزل".[تفسير الطبري:٢/٤٧]

قوله تعالى:{وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [إبراهيم : ٦]، أي:" وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم"(٤٦٦٠).

وفي قوله تعالى: {وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [إبراهيم : ٦]، وجهان:

أحدهما: أن معناه: اختبار والامتحان.وهو قول جمهور أهل التفسير(٤٦٦١).

الثاني: أن معناه: نعمة، أي: نعمة من ربكم عظيمة. روي ذلك عن الحسن(٤٦٦٢)، وأبي مالك(٤٦٦٣)، والسدي(٤٦٦٤)، ومجاهد(٤٦٦٥)، وابن جريج(٤٦٦٦).

قال السدي:" أما البلاء: فالنعمة"(٤٦٦٧). وروي عن أبي مالك(٤٦٦٨)، ومجاهد(٤٦٦٩)، وابن جريج(٤٦٧٠). نحوه.

قال مجاهد:" نعمة من ربكم عظيمة"(٤٦٧١).

قال ابن جريج:" نعمة عظيمة"(٤٦٧٢).

والظاهر- والله أعلم- أن كلا القولين صحيح، لأن "{وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ}، راجع إلى الأمرين: إلى المنحة التي هي الإنجاء من آل فرعون المقتضية للشكر ، وإلى المحنة التي هي ذبحهم واستحياؤهم للنساء المقتضية للصبر"(٤٦٧٣).

القرآن

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)} [إبراهيم : ٧]

التفسير:

وقال لهم موسى: واذكروا حين أعلم ربكم إعلامًا مؤكَّدًا: لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله، ولئن جحدتم نعمة الله ليعذبنَّكم عذابًا شديدًا.

قوله تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم : ٧]، أي:" وقال لهم موسى: واذكروا حين أعلم ربكم إعلامًا مؤكَّدًا: لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله"(٤٦٧٤).

قال الربيع:" أخبرهم موسى عليه السلام عن ربه عز وجل، أنهم إن شكروا النعمة، زادهم من فضله وأوسع لهم في الرزق، وأظهرهم على العالمين(٤٦٧٥).

قال قتادة:" حق على الله إن يعطي من سأله ويزيد من شكره، والله منعم يحب الشاكرين، فاشكروا لله نعمه"(٤٦٧٦).

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ} [إبراهيم : ٧]، أقوال:

أحدها : معناه: وإذ سمع ربكم ، قاله الضحاك(٤٦٧٧).

الثاني : وإذ قال ربكم ، قاله أبو مالك(٤٦٧٨).

(٤٦٦٠) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٦١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢.

(٤٦٦٢) انظر: النكت والعيون:١٢٣/٣.

(٤٦٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٠٦/١. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٦٦٤) أنظر: تفسير الطبري(٩٠٠):ص٤٨/٢.

(٤٦٦٥) أنظر: تفسير الطبري(٩٠١)، و(٩٠٢):ص٤٨/٢-٤٩.

(٤٦٦٦) أنظر: تفسير الطبري(٩٠٣):ص٤٩/٢.

(٤٦٦٧) أنظر: تفسير الطبري(٩٠٠):ص٤٨/٢.

(٤٦٦٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٠٦/١. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٦٦٩) أنظر: تفسير الطبري(٩٠١)، و(٩٠٢):ص٤٨/٢-٤٩.

(٤٦٧٠) أنظر: تفسير الطبري(٩٠٣):ص٤٩/٢.

(٤٦٧١) أنظر: تفسير الطبري(٩٠١)، و(٩٠٢):ص٤٨/٢-٤٩.

(٤٦٧٢) أنظر: تفسير الطبري(٩٠٣):ص٤٩/٢.

(٤٦٧٣) تفسير الرابغ الأصفهاني:١٨٦/١.

(٤٦٧٤) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢١٦):ص٢٢٣٥/٧-٢٢٣٦.

(٤٦٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢١٧):ص٢٢٣٦/٧.

(٤٦٧٧) انظر: النكت والعيون:١٢٣/٣.

الثالث : معناه: وإذ أعلمكم ربكم. قاله الحسن[٤٦٧٩]. وهو من: آذنتك بالأمر، ومنه «الأذان»، لأنه إعلام، قال الشاعر[٤٦٨٠]:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى ... سَمِعْنا في مجالِسنا الأذينا

وفي قوله تعالى:{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم : ٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي ، قاله الربيع[٤٦٨١].

الثاني : لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي ، قاله الحسن[٤٦٨٢]، وأبو صالح[٤٦٨٣].

القرآن

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)} [إبراهيم : ٩]

التفسير:

ألم يأتكم -يا أمَّة محمد- خبر الأمم التي سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات، فعضُّوا أيديهم غيظًا واستنكافًا عن قَبول الإيمان، وقالوا لرسلهم: إنا لا نصدِّق بما جئتمونا به، وإنا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد موجب للريبة.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} [إبراهيم : ٩]، أي:" ألم يأتكم -يا أمَّة محمد- خبر الأمم التي سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله"[٤٦٨٤].

عن عمرو بن ميمون: "{وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله} ، قال: كذّب النسَّابون"[٤٦٨٥].

قوله تعالى:{جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [إبراهيم : ٩]، أي:" جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات"[٤٦٨٦].

وفي قوله تعالى:{فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [إبراهيم : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم إني رسول الله إليكم ، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن اسكت تكذيباً له وردا لقوله ، قاله أبو صالح[٤٦٨٧].

وأخرج ابن ابي حاتم عن محمد بن كعب القرظي:"{فردوا أيديهم في أفواههم}، قال: هو التكذيب"[٤٦٨٨].

الثاني : معناه: أنهم كذبوهم بأفواههم، أي: ردوا عليهم قولهم وكذَّبوهم، قاله مجاهد[٤٦٨٩]، وقتادة[٤٦٩٠].

(٤٦٧٨) انظر: النكت والعيون:١٢٣/٣.

(٤٦٧٩) انظر: التفسير:٣٤٣/٩.

(٤٦٨٠) انظر: النكت والعيون:١٢٣/٣، وتفسير القرطبي:٣٤٣/١١

(٤٦٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٢١٦):ص٢٢٣٥/٧-٢٢٣٦.

(٤٦٨٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٨٨):ص٥٢٧/١٦.

(٤٦٨٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٨٥)، (٢٠٥٨٦):ص٥٢٧/١٦، قال الطبري:" ولا وجهَ لهذا القول يُفْهَم، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكرٌ فيقال: إن شكرتموني عليها زدتكم منها، وإنما جَرَى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} ، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم. فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا مما لم يجر له ذكر من "الطاعة"، إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهًا".[تفسير الطبري:٥٢٧/١٦]

(٤٦٨٤) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٨٥) أخرجه الطبري(٢٠٥٩٠):ص٥٢٩/١٦.

(٤٦٨٦) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٨٧) انظر: النكت والعيون:١٢٤/٣.

(٤٦٨٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٢٢٥):ص٢٢٣٧/٧.

(٤٦٨٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٠٦)-(٢٠٦٠٨):ص٥٣٣/١٦-٥٣٤.

قال قتادة:" يقول: قومُهم كذّبوا رسلهم وردُّوا عليهم ما جاءوا به من البينات، وردُّوا عليهم بأفواههم، وقالوا: إنا لفي شك مما تَدعوننا إليه مُريب"[٤٦٩١].

وقال قتادة:" ردوا على الرسل ما جاءت به"[٤٦٩٢].

الثالث: أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم، قاله الحسن[٤٦٩٣].

القرآن

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)} [إبراهيم : ١٠]

التفسير:

قالت لهم رسلهم: أفي الله وعبادته -وحده- ريب، وهو خالق السموات والأرض، ومنشئهما من العدم على غير مثال سابق، وهو يدعوكم إلى الإيمان; ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك، ويدفع عنكم عذاب الاستئصال، فيؤخر بقاءكم في الدنيا إلى أجل قدَّره، وهو نهاية آجالكم، فلا يعذبكم في الدنيا؟ فقالوا لرسلهم: ما نراكم إلا بشرًا صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلا. تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبده آباونا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون.

قوله تعالى:{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم : ١٠]، أي:" قالت لهم رسلهم: أفي الله وعبادته -وحده- ريب، وهو خالق السموات والأرض، ومنشئهما من العدم على غير مثال سابق"[٤٦٩٤].

عن قتادة:" :{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ}: أفي توحيد الله شك؟"[٤٦٩٥].

قال قتادة:" كذبوا رسلهم بما جاءوهم من البينات، فردوه عليهم بأفواههم وقالوا: {إنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب}، وكذبوا ما في الله عز وجل شك، أفي من فطر السموات والأرض؟ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وأظهر لكم من النعم والآلاء الظاهرة ما لا يشك في الله عز وجل"[٤٦٩٦].

قوله تعالى:{يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [إبراهيم : ١٠]، أي:" هو يدعوكم إلى الإيمان; ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك"[٤٦٩٧].

عن ابن جريج في قوله: "{يغفر لكم من ذنوبكم}، قال: الشرك"[٤٦٩٨].

قوله تعالى:{وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [إبراهيم : ١٠]، أي:" فيؤخر بقاءكم في الدنيا إلى أجل قدَّره، وهو نهاية آجالكم، فلا يعذبكم في الدنيا؟"[٤٦٩٩].

قال مجاهد:" ما قد خط من الأجل، فإذا جاء الأجل من الله لم يؤخر"[٤٧٠٠].

قوله تعالى:{فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [إبراهيم : ١٠]، أي:" فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون"[٤٧٠١].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٤٧٠٢].

(٤٦٩٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٠٩)، و(٢٠٦١٠):ص٥٣٤/١٦.

(٤٦٩١) أخرجه الطبري(٢٠٦٠٩):ص٥٣٤/١٦.

(٤٦٩٢) أخرجه الطبري(٢٠٦١٠):ص٥٣٤/١٦.

(٤٦٩٣) انظر: النكت والعيون:١٢٥/٣. وذكره الطبري في تفسيره:٥٣٥/١٦ عن آخرين دون نسبة.

(٤٦٩٤) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٩٥) انظر: النكت والعيون:١٢٥/٣.

(٤٦٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٢٢):ص٢٢٣٦/٧.

(٤٦٩٧) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٦٩٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور:٢٨٩/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤٦٩٩) التفسير الميسر:٢٥٦.

(٤٧٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٢٦):ص٢٢٣٧/٧.

(٤٧٠١) التفسير الميسر:٢٥٦.

القرآن

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)} [إبراهيم : ١١]

التفسير:

ولما سمع الرسل ما قاله أقوامهم قالوا لهم: حقًا ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم، ولكن الله يتفضل بإنعامه على مَن يشاء من عباده فيصطفيهم لرسالته، وما طلبتم من البرهان المبين، فلا يمكن لنا ولا نستطيع أن نأتيكم به إلا بإذن الله وتوفيقه، وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [إبراهيم : ١١]، أي:" وما طلبتم من البرهان المبين، فلا يمكن لنا ولا نستطيع أن نأتيكم به إلا بإذن الله وتوفيقه"(٤٧٠٣).

قال مجاهد:" «السلطان المبين»، البرهان والبينة، وقوله: {مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا} [سورة آل عمران: ١٥١ / سورة الأعراف: ٧ / سورة الحج: ٧١] ، قال: بينَةٌ وبرهانًا"(٤٧٠٤).

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [إبراهيم : ١١]، أي:" وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم"(٤٧٠٥).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٤٧٠٦).

القرآن

{وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)} [إبراهيم : ١٢]

التفسير:

وكيف لا نعتمد على الله، وهو الذي أرشدنا إلى طريق النجاة من عذابه باتباع أحكام دينه؟ ولنصبرنَّ على إيذائكم لنا بالكلام السيئ وغيره، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في نصرهم، وهزيمة أعدائهم.

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [إبراهيم : ١٢]، أي:" وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في نصرهم، وهزيمة أعدائهم"(٤٧٠٧).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٤٧٠٨).

القرآن

{وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)} [إبراهيم : ١٤]

التفسير:

ولنجعلن العاقبة الحسنة للرسل وأتباعهم بإسكانهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم، ذلك الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم أمر مؤكد لمن خاف مقامه بين يديَّ يوم القيامة، وخشي وعيدي وعذابي.

قوله تعالى:{وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [إبراهيم : ١٤]، أي:" ولنجعلن العاقبة الحسنة للرسل وأتباعهم بإسكانهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم"(٤٧٠٩).

قال قتادة:" وعدهم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. فبين الله تعالى من يسكنها من عباده، فقال: ولمن خاف مقام ربه جنتان وإن لله مقاما هو قائمه، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام فنصبوا، ودأبوا الليل والنهار"(٤٧١٠).

(٤٧٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

(٤٧٠٣) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧٠٤) أخرجه الطبري(٢٠٦١٠م):ص٥٣٨/١٦.

(٤٧٠٥) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٤٧٠٧) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٤٧٠٩) التفسير الميسر:٢٥٧.

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم : ١٤]، أي:" ذلك الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم أمر مؤكد لمن خاف مقامه بين يديَّ يوم القيامة، وخشي وعيدي وعذابي"(٤٧١١).

عن عبد العزيز بن أبي أرواد- رضي الله عنه- قال: "بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}(٤٧١٢)، ولفظ الحكيم: لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية، تلاها على أصحابه -وفيهم شيخ- ولفظ الحكيم: فتى. فقال: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا». فوقع مغشيا عليه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو حي، فناداه فقال: قل لا إله إلا الله. فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال: نعم يقول الله عز وجل: {ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد}"(٤٧١٣).

القرآن

{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)} [إبراهيم : ١٥]

التفسير:

ولجأ الرسل إلى ربهم وسألوه النصر على أعدائهم والحكم بينهم، فاستجاب لهم، وهلك كل متكبر لا يقبل الحق ولا يُذْعن له، ولا يقر بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

قوله تعالى:{وَاسْتَفْتَحُوا} [إبراهيم : ١٥]، أي:" ولجأ الرسل إلى ربهم وسألوه النصر على أعدائهم والحكم بينهم"(٤٧١٤).

عن مجاهد: "{واستفتحوا} ، قال: الرسل كلها. يقول: استنصروا"(٤٧١٥).

قال قتادة:" يقول: استنصرت الرسل على قومها"(٤٧١٦).

قال ابن جريج: "استفتحوا على قومهم"(٤٧١٧).

قوله تعالى:{وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم : ١٥]، أي:" فاستجاب لهم، وهلك كل متكبر لا يقبل الحق ولا يُذْعن له، ولا يقر بتوحيد الله وإخلاص العبادة له"(٤٧١٨).

عن مجاهد: " {عنيد}، قال: معاند للحق مجانبه"(٤٧١٩).

قال قتادة:" «الجبار العنيد»: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله"(٤٧٢٠).

وعن قتادة ايضا:" يقول: عَنِيد عن الحق، مُعْرِض عنه"(٤٧٢١).

عن إبراهيم، في قوله: "{وخاب كل جبار عنيد}، قال: هو النَّاكب عن الحق"(٤٧٢٢).

عن كعب- رضي الله عنه- قال: "يجمع الله الخلق في صعيد واحد يوم القيامة: الجن والإنس والدواب والهوام، فيخرج عنق من النار فيقول: وكلت بالعزيز الكريم والجبار العنيد، الذي جعل مع الله إلها آخر. قال: فيلقطهم كما يلقط الطير الحب فيحتوي عليهم، ثم يذهب بهم إلى مدينة من النار، يقال لها: كيت وكيت، فيثوون فيها ثلاثمائة عام قبل القضاء"(٤٧٢٣).

(٤٧١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٢٨):ص٢٢٣٧/٧.

(٤٧١١) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧١٢)[التحريم : ٦].

(٤٧١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٢٩):ص٢٢٣٧/٧-٢٢٣٨.

(٤٧١٤) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧١٥) أخرجه الطبري(٢٠٦١٥):ص٥٤٤/١٦.

(٤٧١٦) أخرجه الطبري(٢٠٦٢٠):ص٥٤٥/١٦.

(٤٧١٧) أخرجه الطبري(٢٠٦١٥):ص٥٤٤/١٦.

(٤٧١٨) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧١٩) أخرجه الطبري(٢٠٦١٢):ص٥٤٣/١٦.

(٤٧٢٠) أخرجه الطبري(٢٠٦٢٠):ص٥٤٥/١٦.

(٤٧٢١) أخرجه الطبري(٢٠٦٢١):ص٥٤٥/١٦.

(٤٧٢٢) أخرجه الطبري(٢٠٦١٨):ص٥٤٤/١٦.

(٤٧٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٣٢):ص٢٢٣٨/٧.

القرآن

{مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦)} [إبراهيم : ١٦]

التفسير:

ومِن أمام هذا الكافر جهنم يَلْقى عذابها; ويُسقى فيها من القيح والدم الذي يَخْرج من أجسام أهل النار.

قوله تعالى:{وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ} [إبراهيم : ١٦]، أي:" ويُسقى فيها من القيح والدم الذي يَخْرج من أجسام أهل النار"[٤٧٢٤].

عن مجاهد، في قوله: "{من ماء صديد}، قال: قيحٌ ودم"[٤٧٢٥]. وروي عن عكرمة مثله[٤٧٢٦].

قال قتادة:"و«الصديد»: ما يسيل من لحمه وجلدِه"[٤٧٢٧].

قال الضحاك:" يعني بالصديد: ما يخرج من جوف الكافر، قد خالط القَيْح والدم"[٤٧٢٨].

عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت، : "قلت : يا رسول الله ، ما طينة الخبال ؟ قال : "صديد أهل النار"[٤٧٢٩]، وفي رواية : "عُصَارة أهل النار"[٤٧٣٠].

القرآن

{يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)} [إبراهيم : ١٧]

التفسير:

يحاول المتكبر ابتلاع القيح والدم وغير ذلك مما يسيل من أهل النار مرة بعد مرة، فلا يستطيع أن يبتلعه; لقذارته وحرارته، ومرارته، ويأتيه العذاب الشديد من كل نوع ومن كل عضو من جسده، وما هو بميت فيستريح، وله من بعد هذا العذاب عذاب آخر مؤلم.

قوله تعالى:{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [إبراهيم : ١٧]، أي:" يأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان، ولكنَّه لا يموت ليستكمل عذابه"[٤٧٣١].

قال مجاهد:" تعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه، فيجد لذلك راحة، فتنفعه الحياة"[٤٧٣٢].

وفي قوله تعالى:{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} [إبراهيم : ١٧]، وجهان:

أحدهما : من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، قاله إبراهيم التيمي[٤٧٣٣].

الثاني : من كل عظم وعرق وعصب. قاله ميمون بن مهران[٤٧٣٤].

قوله تعالى:{وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم : ١٧]، أي:" ومن بين يديه عذابٌ أشدُّ مما قبله وأغلظ"[٤٧٣٥].

عن إبراهيم التيمي:" {ومن ورائه عذاب غليظ}، قال: الخلود"[٤٧٣٦].

القرآن

(٤٧٢٤) التفسير الميسر:٢٥٧.

(٤٧٢٥) أخرجه الطبري(٢٠٦٢٦):ص٥٤٨/١٦.

(٤٧٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٢٣٤):ص٢٢٣٩/٧.

(٤٧٢٧) أخرجه الطبري(٢٠٦٢٨):ص٥٤٨/١٦.

(٤٧٢٨) أخرجه الطبري(٢٠٦٣٠):ص٥٤٨/١٦.

(٤٧٢٩)رواه أحمد في المسند (٤٦٠/٦).

(٤٧٣٠)وهي رواية أبي ذر ، رضي الله عنه ، رواها أحمد في المسند (١٧١/٥).

(٤٧٣١) صفوة التفاسير:٨٦/٢.

(٤٧٣٢) أخرجه الطبري(٢٠٦٣٤):ص٥٥٠/١٦.

(٤٧٣٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٣٥):ص٥٥٠/١٦.

(٤٧٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٢٣٨):ص٢٢٣٩/٧.

(٤٧٣٥) صفوة التفاسير:٨٦/٢.

(٤٧٣٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٣٩):ص٢٢٣٩/٧.

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)} [إبراهيم : ١٨]

التفسير:

صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبر وصلة الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثرًا، فكذلك أعمالهم لا يجدون منها ما ينفعهم عند الله، فقد أذهبها الكفر كما أذهبت الريح الرماد، ذلك السعي والعمل على غير أساس، هو الضلال البعيد عن الطريق المستقيم.

عن السدي، في الآية، قال:" مثل أعمال الكفار كرماد ضربته الريح فلم ير منه شيء، فكما لم ير ذلك الرماد ولم يقدر منه على شيء، كذلك الكفار لم يقدروا من أعمالهم على شيء"(٤٧٣٧).

القرآن

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١)} [إبراهيم : ٢١]

التفسير:

وخرجت الخلائق من قبورهم، وظهروا كلهم يوم القيامة لله الواحد القهار; ليحكم بينهم، فيقول الأتباع لقادتهم: إنَّا كنَّا لكم في الدنيا أتباعًا، نأتمر بأمركم، فهل أنتم -اليوم- دافعون عنا من عذاب الله شيئًا كما كنتم تَعِدوننا؟ فيقول الرؤساء: لو هدانا الله إلى الإيمان لأرشدناكم إليه، ولكنه لم يوفقنا، فضللنا وأضللناكم، يستوي علينا وعليكم الجَزَع والصبر عليه، فليس لنا مهرب من العذاب ولا منجى.

قوله تعالى:{فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} [إبراهيم : ٢١]، أي:" فيقول الأتباع لقادتهم: إنَّا كنَّا لكم في الدنيا أتباعًا، نأتمر بأمركم"(٤٧٣٨).

عن ابن جريج، قوله: "{وقال الضعفاء}، قال: الأتباع، {للذين استكبروا}، قال: للقادة"(٤٧٣٩).

قوله تعالى:{سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم : ٢١]، أي:" يستوي علينا وعليكم الجَزَع والصبر عليه، فليس لنا مهرب من العذاب ولا منجى "(٤٧٤٠).

قال محمد بن كعب القرظي: "بلغني، أو ذُكِر لي أن أهل النار قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون، فهلمَّ فلنصبر، فلعل الصَّبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا. قال: فيُجْمعون رأيهم على الصَّبر. قال، فصبروا، فطال صبرهم، ثم جزعوا فنادوا: {سواءٌ علينا أجزعْنَا أم صبرنَا ما لنا من محيص} ، أي من منجًى"(٤٧٤١).

القرآن

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)} [إبراهيم : ٢٢]

التفسير:

وقال الشيطان -بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خَلْقه، ودخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النارِ النارَ-: إن الله وعدكم وعدًا حقًا بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعدًا باطلا أنه لا بَعْثَ ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها على اتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثيَّ من عذاب الله، إني تبرَّأت مِن جَعْلِكم لي شريكًا مع الله في طاعته في الدنيا. إن الظالمين -في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل- لهم عذاب مؤلم موجع.

(٤٧٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٤١):ص٧/٢٢٤٠.

(٤٧٣٨) التفسير الميسر:٢٥٨.

(٤٧٣٩) أخرجه الطبري(٢٠٦٣٨):ص١٦/٥٥٨.

(٤٧٤٠) التفسير الميسر:٢٥٨.

(٤٧٤١) أخرجه الطبري(٢٠٦٣٩):ص١٦/٥٥٨-٥٥٩.

قوله تعالى:{مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} [إبراهيم : ٢٢]، أي:" ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثيَّ من عذاب الله"(٤٧٤٢).

وفي قوله تعالى:{مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} [إبراهيم : ٢٢]، وجوه:

أحدها : معناه: ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيَّ ، قاله الربيع بن أنس(٤٧٤٣).

الثاني : ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي، قاله مجاهد(٤٧٤٤)، وقتادة(٤٧٤٥).

و«المصرخ»: المغيث . والصارخ : المستغيث . ومنه قول الشاعر(٤٧٤٦):

فَلاَ تَجْزَعُوْا إنِّي لَكُمْ غَيْرَ مُصْرِخ ... وَلَيْسَ لَكُمْ عَنِّي غَنَاءٌ وَلاَ نَصْرُ

قال سلامة بن جندل(٤٧٤٧):

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيْبِ

الثالث: ما أنتم بنافعيّ وما أنا بنافعكم. وهو مروي عن مجاهد –أيضا-(٤٧٤٨).

الرابع: ما أنا بناصركم، وما انتم بناصريّ. قاله الحسن(٤٧٤٩).

الخامس: ما أنا بمغنٍ عنكم شيئًا. قاله محمد بن كعب القرظي(٤٧٥٠).

قوله تعالى:{إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُون مِنْ قَبْلُ} [إبراهيم : ٢٢]، أي:" إني تبرَّأت مِن جَعْلِكم لي شريكًا مع الله في طاعته في الدنيا"(٤٧٥١).

قال قتادة:" يقول: عصيت الله قبلكم"(٤٧٥٢).

قال محمد بن كعب القرظي:" فلما سمعوا مقالته مَقَتُوا أنفسهم، قالا فنودوا: (لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) ، الآية [سورة غافر: ١٠]" (٤٧٥٣).

قال الحسن:" إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيبًا على منبر من نار، فقال: {إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم} ، إلى قوله: {وما أنتم بمصرخيّ}، قال: بناصريَّ {إني كفرت بما أشركتمون من قبل}، قال: بطاعتكم إياي في الدنيا"(٤٧٥٤).

عن عامر، في هذه الآية: "{ما أنا بمُصْرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل}، قال: خطيبان يقومان يومَ القيامة، إبليسُ وعيسى ابن مريم. فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول. وأما عيسى عليه السلام فيقول: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[سورة المائدة: ١١٧]"(٤٧٥٥).

القرآن

{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)} [إبراهيم : ٢٣]

(٤٧٤٢) التفسير الميسر:٢٥٨.

(٤٧٤٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٥٤):ص٥٦٤/١٦.

(٤٧٤٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٥٠):ص٥٦٤/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١٢٢٤٨):ص٢٢٤١/٧

(٤٧٤٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٤٨):ص٥٦٤/١٦.

(٤٧٤٦) البيت لأمية بن أبي الصلت في النكت والعيون:١٣١/٣- وتفسير القرطبي: ٣٥٧/٩، وفتح القدير:١٢٤/٣-١٢٥، وغيرها، والبيت غير منسوب في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:٣٧٣١/٦ ، والبحر المحيط في التفسير: ٤٢١/٦، والدر المصون:٩٥/٧، وغيرها.

(٤٧٤٧)من مفضليته التي مطلعها:

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب ... أودى، وذلك شأو غير مطلوب

وهو في ديوانه ص ١٢٣، والمفضليات ص ١٢٤.

(٤٧٤٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٢٤٧):ص٢٢٤١/٧.

(٤٧٤٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٤٦):ص٥٦٣/١٦.

(٤٧٥٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٤٧):ص٥٦٣/١٦.

(٤٧٥١) التفسير الميسر:٢٥٨.

(٤٧٥٢) أخرجه الطبري(٢٠٦٤٨):ص٥٦٤/٦.

(٤٧٥٣) أخرجه الطبري(٢٠٦٤٧):ص٥٦٣/١٦-٥٦٤.

(٤٧٥٤) أخرجه الطبري(٢٠٦٤٦):ص٥٦٣/١٦.

(٤٧٥٥) أخرجه الطبري(٢٠٦٤١):ص٥٦١/١٦.

التفسير:
وأدخل الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لا يخرجون منها أبدًا -بإذن ربهم وحوله وقوته- يُحَيَّوْن فيها بسلام من الله وملائكته والمؤمنين.

قوله تعالى:{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [إبراهيم : ٢٣]، أي:" وأدخل الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار"(٤٧٥٦).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٤٧٥٧).

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٤٧٥٨).

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: «وأدخل الذين آمنوا»، على فعل المتكلم، بمعنى: وأدخل أنا. وهذا دليل على أنه من قول الله(٤٧٥٩).

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [إبراهيم : ٢٣]، أي:" لا يخرجون منها أبدًا -بإذن ربهم وحوله وقوته-"(٤٧٦٠).

قال سعيد بن جبير:" يعني: لا يموتون"(٤٧٦١).

قوله تعالى:{تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم : ٢٣]، أي:" يُحَيَّوْن فيها بسلام من الله وملائكته والمؤمنين"(٤٧٦٢).

عن الحسن:" إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم"(٤٧٦٣).

قال قتادة:" تحية أهل الجنة السلام"(٤٧٦٤).

قال ابن جريج:" الملائكة يسلمون عليهم في الجنة"(٤٧٦٥).

القرآن

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)} [إبراهيم : ٢٤]

التفسير:

ألم تعلم -أيها الرسول- كيف ضرب الله مثلا لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بشجرة عظيمة، وهي النخلة، أصلها متمكن في الأرض، وأعلاها مرتفع علوًّا نحو السماء؟

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم : ٢٤]، أي:" ألم تعلم -أيها الرسول- كيف ضرب الله مثلا لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بشجرة عظيمة"(٤٧٦٦).

عن مجاهد: "{..كشجرة طيبة}، قال: كنخلة"(٤٧٦٧).

عن مسروق: "{كشجرة طيبة}، قال: النخلة"(٤٧٦٨).

قال قتادة:" كنا نحدث أنها النخلة"(٤٧٦٩).

(٤٧٥٦) التفسير الميسر:٢٥٨.
(٤٧٥٧) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٤٧٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٤٧٥٩) انظر: الكشاف:٥٥٢/٢.
(٤٧٦٠) التفسير الميسر:٢٥٨.
(٤٧٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٤٧٦٢) التفسير الميسر:٢٥٨.
(٤٧٦٣) ذكره الواحدي في "البسيط": ١٦٨/١١.
(٤٧٦٤) تفسير عبدالرزاق(٢٣٥٦):ص٤٣/٣.
(٤٧٦٥) أخرجه الطبري(٢٠٦٥٧):ص٥٦٦/١٦.
(٤٧٦٦) التفسير الميسر:٢٥٨.
(٤٧٦٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٧٠):ص٥٦٨/١٦.
(٤٧٦٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٨٣):ص٥٧١/١٦.
(٤٧٦٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٨٩):ص٥٧٢/١٦.

عن عكرمة، قوله: "{كشجرة طيبة}، قال: هي النخلة، لا تزال فيها منفعة"[٤٧٧٠].

قال الضحاك:" ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة {تؤتي أكلها كل حين}"[٤٧٧١].

في قوله تعالى:{كَلِمَةً طَيِّبَةً} [إبراهيم : ٢٤]، قولان:

أحدهما: أنها الإيمان. ومجاهد[٤٧٧٢]، وابن جريج[٤٧٧٣].

الثاني : أنه عنى بها المؤمن نفسه، به قال قال عطية العوفي[٤٧٧٤]، والربيع بن أنس[٤٧٧٥].

قوله تعالى:{أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم : ٢٤]، أي:" أصلها متمكن في الأرض، وأعلاها مرتفع علوًّا نحو السماء"[٤٧٧٦].

عن الربيع بن أنس: "{كلمة طيبة}، قال: هذا مَثَلُ الإيمان، فالإيمان الشَّجرة الطيبة، وأصله الثابت الذي لا يزول الإخلاصُ لله، وفرعُه في السماء، فَرْعُه خشْية الله"[٤٧٧٧].

حكي ابن جريج عن آخرين :"«الكلمة الطيبة»، أصلها ثابت، هي ذات أصل في القلب ، {وفرعها في السماء}، تَعْرُجُ فلا تُحْجَب حتى تنتهي إلى الله"[٤٧٧٨].

القرآن

{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)} [إبراهيم : ٢٥]

التفسير:

تعطي ثمارها كل وقت بإذن ربها، وكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علمًا واعتقادًا، وفرعها من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية يُرفع إلى الله وينال ثوابه في كل وقت. ويضرب الله الأمثال للناس; ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا.

قوله تعالى:{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم : ٢٥]، أي:" تعطي ثمرها كلَّ وقت بتيسير الخالق وتكوينه، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعملُه يصعد إلى السماء وينالُه بركته وثوابه في كل وقت"[٤٧٧٩].

قال قتادة:" يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف"[٤٧٨٠].

عن الربيع بن أنس: "{تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها}، يصعد عملُه، يعني عَمل المؤمن مِن أوّل النهار وآخره"[٤٧٨١].

وفي «الحين» -ها هنا- وجوه من التفسير[٤٧٨٢]:

أحدها: يعني كل سنة، لأنها تحمل كل سنة. قاله مجاهد[٤٧٨٣]، وحماد[٤٧٨٤]، والحكم[٤٧٨٥].

عن عكرمة قال:" أرسل إليّ عمر بن عبد العزيز، فقال: يا مولى ابن عباس، إني حلفت أن لا أفعل كذا وكذا، حينًا، فما الحين الذي تعرف به؟ قلت: إنّ من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حينٌ يُدرك، فأما الحين الذي لا يُدرك فقول الله: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [سورة الإنسان:

(٤٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٨٧):ص٥٧٢/١٦.

(٤٧٧١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٨٨):ص٥٧٢/١٦.

(٤٧٧٢) انظر: النكت والعيون:١٣٢/٣، وتفسير القرطبي:٣٥٩/٩.

(٤٧٧٣) انظر: النكت والعيون:١٣٢/٣، وتفسير القرطبي:٣٥٩/٩.

(٤٧٧٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٧٢):ص٥٦٨/١٦.

(٤٧٧٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٦٧٣):ص٥٦٨/١٦-٥٦٩.

(٤٧٧٦) التفسير الميسر:٢٥٨.

(٤٧٧٧) أخرجه الطبري(٢٠٦٥٩):ص٥٦٨/١٦.

(٤٧٧٨) أخرجه الطبري(٢٠٦٧٠):ص٥٦٨/١٦.

(٤٧٧٩) صفوة التفاسير:٨٩/٢.

(٤٧٨٠) أخرجه الطبري(٢٠٧٣٤):ص٥٨٢/١٦.

(٤٧٨١) أخرجه الطبري(٢٠٧٣٦):ص٥٨٢/١٦.

(٤٧٨٢) انزر: النكت والعيون:١٣٢/٣-١٣٣.

(٤٧٨٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٢٨):ص٥٨٠/١٦.

(٤٧٨٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٢٧):ص٥٨٠/١٦.

(٤٧٨٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٢٧):ص٥٨٠/١٦.

١] ، والله ما يدري كم أتَى له إلى أن خُلِق، وأما الذي يُدرك فقوله: {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها}، فهو ما بين العام إلى العام المُقْبِل. فقال: أصبت يا مولى ابن عباس، ما أحسن ما قلت"[٤٧٨٦].

الثاني : كل ستة أشهر ، قاله الحسن[٤٧٨٧]، وسعيد بن جبير[٤٧٨٨]، وعكرمة[٤٧٨٩]، وسعيد بن المسيب[٤٧٩٠].

الثالث : أن «الحين»: ما بين الستة الأشهر والسبعة. قاله الحسن أيضا[٤٧٩١].

الرابع: كل أربعة أشهر ، قاله سعيد بن المسيب[٤٧٩٢]. لأنها مدة يرونها من طلعها إلى جذاذها .

الخامس : كل شهرين، لأنها مدة صلاحها إلى جفافها. وهذا قول سعيد بن المسيب[٤٧٩٣].

السادس : كل غدوة وعشية ، لأنه وقت اجتنائها ، قاله الربيع بن أنس[٤٧٩٤].

وقال الضحاك:" المؤمن يطيع الله بالليل والنهار وفي كل حينٍ"[٤٧٩٥].

وقال الضحاك أيضا:" هذا مثلُ المؤمن يعمل كل حين، كل ساعة مِن النهار، وكل ساعة من الليل، وبالشتاء والصيف، بطاعة الله"[٤٧٩٦].

وقال الربيع بن انس:" يصعَدُ عمله أولَ النهار وآخره"[٤٧٩٧].

وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال: عنى بالحين، في هذا الموضع، غدوةً وعشيةً، وكلَّ ساعة، لأن الله تعالى ذكره ضَرَب ما تؤتي هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلا ولا شك أن المؤمن يُرفع لهُ إلى الله في كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين. فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المَثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى. وإذا كان ذلك كذلك، كان بَيّنًا صحةُ ما قلنا.

فإن قال قائل: فأيُّ نخلة تؤتي في كل وقت أكلا صيفًا وشتاء؟ قيل: أما في الشتاء، فإن الطَّلْع من أكْلها، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ، وذلك كله من أكلها"[٤٧٩٨].

قوله تعالى:{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم : ٢٥]، أي:" ويضرب الله الأمثال للناس; ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا"[٤٧٩٩].

قال قتادة:" اعقلوا عن الله الأمثال"[٤٨٠٠].

القرآن

{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)} [إبراهيم : ٢٦]

التفسير:

ومثل كلمة خبيثة -وهي كلمة الكفر- كشجرة خبيثة المأكل والمطعم، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أعلى الأرض؛ لأن عروقها قريبة من سطح الأرض ما لها أصل ثابت، ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لا ثبات له ولا خير فيه، ولا يُرْفَع له عمل صالح إلى الله.

قوله تعالى:{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} [إبراهيم : ٢٦]، أي:" ومثل كلمة خبيثة -وهي كلمة الكفر- كشجرة خبيثة المأكل والمطعم"[٤٨٠١].

(٤٧٨٦) أخرجه الطبري(٢٠٧٣١):ص٥٨١/١٦.

(٤٧٨٧) انزر: النكت والعيون:١٣٢/٣-١٣٣.

(٤٧٨٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٢٢):ص٥٧٩/١٦.

(٤٧٨٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧١٧):ص٥٧٨/١٦.

(٤٧٩٠) انظر: تفسير التستري:٨٦. حكاه عنه سهل بن عبدالله التستري.

(٤٧٩١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٢٤):ص٥٧٩/١٦.

(٤٧٩٢) انزر: النكت والعيون:١٣٢/٣-١٣٣.

(٤٧٩٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٣٣):ص٥٨١/١٦.

(٤٧٩٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧١٣):ص٥٧٧/١٦.

(٤٧٩٥) أخرجه الطبري(٢٠٧١١):ص٥٧٧/١٦.

(٤٧٩٦) أخرجه الطبري(٢٠٧١٤):ص٥٧٧/١٦.

(٤٧٩٧) أخرجه الطبري(٢٠٧١٢):ص٥٧٧/١٦.

(٤٧٩٨) تفسير الطبري:٥٨٢/١٦.

(٤٧٩٩) التفسير الميسر:٢٥٩.

(٤٨٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٦٥):ص٢٢٤٤/٧.

وفي قوله تعالى:{ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} [إبراهيم : ٢٦]، قولان:
أحدهما : أنها شجرة الحنظل ، قاله مجاهد[٤٨٠٢].
عن مجاهد: "{كشجرة خبيثة}، الحنظلة"[٤٨٠٣].
الثاني : أنها التي تجعل في المسكر. قاله أبو صخر، حميد بن زياد الخراط[٤٨٠٤].
قوله تعالى:{اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ} [إبراهيم : ٢٦]، أي:" استؤصلت من جذورها واقتعلت من الأرض لعدم ثبات أصلها"[٤٨٠٥].
قال قتادة:" استؤصلت من فوق الأرض"[٤٨٠٦].
قوله تعالى:{مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} [إبراهيم : ٢٦]، أي:" ليس لها استقرارٌ وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة"[٤٨٠٧].
قال قتادة:" إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال: ما تقول في" الكلمة الخبيثة"، فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقرًّا، ولا في السماء مَصْعَدًا، إلا أن تَلْزَم عُنُقَ صاحبها، حتى يوافي بها القِيامة"[٤٨٠٨].
عن الربيع بن أنس: "{ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة} ، قال: هذا الكافر ليس له عمل في الأرض، ولا ذكرٌ في السماء، {اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار}، قال: لا يصعد عمله إلى السماء، ولا يقوم على الأرض. فقيل: فأين تكون أعمالهم؟ قال: يَحْمِلون أوزارهم على ظُهورهم"[٤٨٠٩].
قال الضحاك:" ضربَ الله مثلَ الكافر: {كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار}، يقول: ليس لها أصلٌ ولا فرع، وليست لها ثمرة، وليس فيها منفعة، كذلك الكافر ليس يعمل خيرًا ولا يقوله، ولم يجعل الله فيه بركةً ولا منفعة"[٤٨١٠].
عن عطية العوفي: "{ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض}، قال: مثل الكافر، لا يصعَد له قولٌ طيب ولا عملٌ صالح"[٤٨١١].

القرآن
{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)} [إبراهيم : ٢٧]
التفسير:
يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين بهدايتهم إلى الجواب الصحيح، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، ويفعل الله ما يشاء من توفيق أهل الإيمان وخِذْلان أهل الكفر والطغيان.
سبب النزول:
عن خيثمة، عن البراء، قال:"{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]، قال: نزلت في عذاب القبر"[٤٨١٢].[صحيح]

(٤٨٠١) التفسير الميسر:٢٥٩.
(٤٨٠٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٤٦):ص٥٨٤/١٦-٥٨٥.
(٤٨٠٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٤٦):ص٥٨٤/١٦-٥٨٥.
(٤٨٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٢٦٣):ص٢٢٤٤/٧.
(٤٨٠٥) صفوة التفاسير:٨٩/٢.
(٤٨٠٦) أخرجه الطبري(٢٠٧٤٩):ص٥٨٦/١٦.
(٤٨٠٧) صفوة التفاسير:٨٩/٢.
(٤٨٠٨) أخرجه الطبري(٢٠٧٥١):ص٥٨٧/١٦.
(٤٨٠٩) أخرجه الطبري(٢٠٧٥٣):ص٥٨٧/١٦.
(٤٨١٠) أخرجه الطبري(٢٠٧٥٧):ص٥٨٨/١٦.
(٤٨١١) أخرجه الطبري(٢٠٧٥٤):ص٥٨٨/١٦.
(٤٨١٢) أخرجه النسائي(٢٠٥٦):ص١٠١/٤. حكم الألباني«صحيح».

عن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم: ٢٧] ، قال: " نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]"(٤٨١٣). [صحيح]

قوله تعالى:{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم : ٢٧]، أي:" يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين بهدايتهم إلى الجواب الصحيح"(٤٨١٤).

وفي قوله تعالى:{فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم : ٢٧]، وجهان:

أحدهما : أن المراد بـ«الحياة الدنيا»: زمان حياته فيها، ومعنى ذلك: يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا، وبـ«الآخرة»: المساءلة في القبر، قاله طاووس(٤٨١٥)، وقتادة(٤٨١٦).

عن طاوس :"{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا}: قال: لا إله إلا الله، {وفي الآخرة قال: المسألة في القبر}"(٤٨١٧).

الثاني : أن المراد بـ«الحياة الدنيا»: المساءلة في القبر إذا أتاه المَلَكان في القبر فقالا له: مَن ربك؟ فقال: ربّي الله. فقالا له: ما دينك؟ قال: دينيَ الإسلام. فقالا له: مَن نبيك؟ قال: نبيِّي محمدٌ صلى الله عليه وسلم. فذلك التثبيت في الحياة الدنيا. قاله طاووس-أيضا-(٤٨١٨)، والمسيب بن رافع(٤٨١٩)، ومجاهد(٤٨٢٠).

عن أبي سعيد قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال: يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى في قُبورها، فإذا الإنسان دُفِن وتفرَّق عنه أصحابه، جاءه ملَك بيده مِطْراقٌ فأقعده فقال: ما تقولُ في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله. فيقول له: صدقْتَ. فيفتح له بابٌ إلى النار فيقال: هذا منزلك لو كفرتَ بربّك، فأما إذْ آمنت به، فإن الله أبدَلك به هذا. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة، فيريد أن ينْهَضَ له، فيقال له: اسكُنْ. ثم يُفْسَح له في قبره. وأما الكافِر أو المنافق فيقال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما أدري! فيقال له: لا دَرَيْتَ ولا تَدَرّيتَ ولا اهتديتَا! ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: هذا كان منزلك لو آمنت بربك، فأما إذْ كفرت، فإن الله أبدَلك هذا. ثم يفتح له بابٌ إلى النار، ثم يَقْمَعُه المَلَكُ بالمطراق قَمْعَةً يسمعه خَلْقُ الله كُلهم إلا الثقلين. قال، بعضُ أصحابه، يا رسولَ الله، ما مِنَّا أحدٌ يقوم على رأسه مَلَكٌ بيده مِطْراق إلا هِيلَ عند ذلك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثَّابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضِلُّ الله الظالمين ويفعلُ الله ما يشاء}"(٤٨٢١).

والصواب من القول في ذلك ما ثبتَ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهو أنّ معناه: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا}، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، {وفي الآخرة} بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسْألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم"(٤٨٢٢).

وقال قتادة : "ذكر لنا أنّ عذاب القبر من ثلاثة : ثلثٌ من البول . وثلثٌ من الغيبة ، وثلثٌ من النميمة"(٤٨٢٣).

القرآن

(٤٨١٣) أخرجه ابن ماجة(٤٢٦٩):ص١٤٢٧/٢، والنسائي(٢٠٥٧):ص١٠١/٤. حكم الألباني«صحيح».
(٤٨١٤) التفسير الميسر:٢٥٩.
(٤٨١٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٨٤):ص٦٠٢/١٦.
(٤٨١٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٨٥):ص٦٠٢/١٦.
(٤٨١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٢٧٠):ص٢٢٤٦/٧.
(٤٨١٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٧٥):ص٦٠٠/١٦.
(٤٨١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٧٧):ص٦٠٠/١٦.
(٤٨٢٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٧٨٣):ص٦٠١/١٦-٦٠٢.
(٤٨٢١) أخرجه الطبري(٢٠٧٦٢):ص٥٩١/١٦-٥٩٢.
(٤٨٢٢) تفسير الطبري:٦٠٢/١٦.
(٤٨٢٣) النكت والعيون:١٣٣/٣.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)} [إبراهيم : ٢٨]

التفسير:

ألم تنظر أيها المخاطب -والمراد العموم- إلى حال المكذبين من كفار قريش الذين استبدلوا الكفر بالله بدلا عن شكره على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيهم؟ وقد أنزلوا أتباعهم دار الهلاك حين تَسببوا بإخراجهم إلى «بدر» فقُتِلوا وصار مصيرهم دار البوار.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا} [إبراهيم : ٢٨]، أي:" تنظر أيها المخاطب - والمراد العموم- إلى حال المكذبين من كفار قريش الذين استبدلوا الكفر بالله بدلا عن شكره على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيهم؟"(٤٨٢٤).

اختلف أهل العلم في في المشار إليهم في الآية الكريمة، على أقوال:

أحدها : أنهم كفار قريش بدلوا نعمة الله عليهم لما بعث رسوله منهم، كفراً به وجحوداً له ، قاله سعيد بن جبير(٤٨٢٥)، ومجاهد(٤٨٢٦).

عن مجاهد :"{بدلوا نعمة الله كفرا}، قال: كفار قريش"(٤٨٢٧).

قال سعيد بن جبير:" هم كفار قريش"(٤٨٢٨).

الثاني : أنهم قتلى المشركين يوم بدر، قاله أبو مالك(٤٨٢٩)، وسعيد بن جبير(٤٨٣٠)، والضحاك(٤٨٣١).

عن أبي مالك، وسعيد بن جبير، قالا:" هم قتلى بدر من المشركين"(٤٨٣٢).

قال سعيد بن جبير:" قتلى يوم بدر"(٤٨٣٣).

قال قتادة:" كنا نحدّث أنهم أهل مكة: أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر"(٤٨٣٤).

وقال مجاهد: أنهم "المشركون من أهل بدر"(٤٨٣٥).

الرابع: أنهم القادة من المشركين يوم بدر. قاله أبو مالك(٤٨٣٦)، وقتادة(٤٨٣٧).

الخامس: أنهم أهل مكة، به قال الضحاك (٤٨٣٨).

السادس: أنها عامة في جميع المشركين ، قاله الحسن(٤٨٣٩).

قوله تعالى:{وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨]، أي:" وأنزلوا قومهم دار الهلاك بكفرهم وطغيانهم"(٤٨٤٠).

قال الضحاك:" أحلوا من أطاعهم من قومهم"(٤٨٤١).

عن مجاهد:" أنها يوم بدر"(٤٨٤٢).

عن سعيد بن جبير:" {أحلوا من أطاعهم من قومهم دار البوار}، قال: قتلى يوم بدر"(٤٨٤٣).

(٤٨٢٤) التفسير الميسر:٢٥٩.
(٤٨٢٥) انظر: تفسير الطبري:٩/١٧.
(٤٨٢٦) انظر: تفسير الطبري:٨/١٧.
(٤٨٢٧) أخرجه الطبري:٨/١٧.
(٤٨٢٨) أخرجه الطبري:٩/١٧.
(٤٨٢٩) انظر: تفسير الطبري:٩/١٦.
(٤٨٣٠) انظر: تفسير الطبري:٩/١٦.
(٤٨٣١) انظر: تفسير الطبري:٩/١٧.
(٤٨٣٢) أخرجه الطبري:٩/١٧.
(٤٨٣٣) أخرجه الطبري:٨/١٧-٩.
(٤٨٣٤) تفسير الطبري:١٠/١٧.
(٤٨٣٥)زاد المسير:٥١٣/٢.
(٤٨٣٦) انظر: تفسير الطبري:٩/١٧.
(٤٨٣٧) انظر: تفسير الطبري:١٠/١٧.
(٤٨٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٩/١٧-١٠، وزاد المسير:٥١٣/٢.
(٤٨٣٩) انظر: النكت والعيون:١٣٦/٣، وزاد المسير:٥١٣/٢، وتفسير القرطبي:٣٦٥/٩.
(٤٨٤٠) صفوة التفاسير:٩٠/٢.
(٤٨٤١) تفسير الطبري:١٠/١٧.
(٤٨٤٢)انظر: النكت والعيون:١٣٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٦٥/٩.
(٤٨٤٣) انظر: تفسير الطبري:٨/١٧-٩.

القرآن

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)} [إبراهيم : ٢٩]

التفسير:

وهي جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، وقَبُحَ المستقر مستقرهم.

قوله تعالى:{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} [إبراهيم : ٢٩]، أي:" أحلوهم في جهنم يذوقون سعيرها"(٤٨٤٤).

قال قتادة:" هي دارهم في الآخرة"(٤٨٤٥).

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إبراهيم : ٢٩]، أي:" وبئست جهنم مستقرا"(٤٨٤٦).

القرآن

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)} [إبراهيم : ٣٠]

التفسير:

وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء عبدوهم معه; ليُبْعدوا الناس عن دينه. قل لهم -أيها الرسول-: استمتعوا في الحياة الدنيا; فإنها سريعة الزوال، وإن مردَّكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} [إبراهيم : ٣٠]، أي:" وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء عبدوهم معه; ليُبْعدوا الناس عن دينه"(٤٨٤٧).

عن قتادة، قوله :"وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا}، «والأنداد»: الشركاء"(٤٨٤٨).

القرآن

{قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)} [إبراهيم : ٣١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيناهم من المال في وجوه الخير الواجبة والمستحبة مسرِّين ذلك ومعلنين، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة.

قوله تعالى:{قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ} [إبراهيم : ٣١]، أي:" قل -أيها الرسول- لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها"(٤٨٤٩).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٤٨٥٠).

قوله تعالى:{وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [إبراهيم : ٣١]، أي:" ويخرجوا بعض ما أعطيناهم من المال في وجوه الخير الواجبة والمستحبة مسرِّين ذلك ومعلنين، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة"(٤٨٥١).

قال قتادة:" إن الله تعالى قد علم إن في الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها في الدنيا، فلينظر رجل من يخالل، وعلام يصاحب، فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فليعلم إن كل خلة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة، إلا خلة المتقين"(٤٨٥٢).

(٤٨٤٤) صفوة التفاسير:٢/٩٠.

(٤٨٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٨١):ص٧/٢٢٤٨.

(٤٨٤٦) صفوة التفاسير:٢/٩٠.

(٤٨٤٧) التفسير الميسر:٢٥٩.

(٤٨٤٨) تفسير الطبري:١٧/١١.

(٤٨٤٩) التفسير الميسر:٢٥٩.

(٤٨٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س٣/١٠٠٤.

(٤٨٥١) التفسير الميسر:٢٥٩.

(٤٨٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٨٣):ص٧/٢٢٤٨.

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢)} [إبراهيم : ٣٢]

التفسير:

الله تعالى الذي خلق السموات والأرض وأوجدهما من العدم، وأنزل المطر من السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج لكم منها أرزاقكم، وذلَّل لكم السفن; لتسير في البحر بأمره لمنافعكم، وذلَّل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم.

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} [إبراهيم : ٣٢]، أي:" وذلَّل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم"(٤٨٥٣).

عن مجاهد:" {وسخر لكم الأنهار}، قال: بكل بلدة"(٤٨٥٤).

القرآن

{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)} [إبراهيم : ٣٤]

التفسير:

وأعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدُّوا نِعَم الله عليكم لا تطيقوا عدها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها; لكثرتها وتنوُّعها. إن الإنسان لكثير الظلم لنفسه، كثير الجحود لنعم ربه.

قوله تعالى:{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [إبراهيم : ٣٤]، أي:" وأعطاكم من كل ما طلبتموه"(٤٨٥٥).

قال عكرمة:" من كل شيء رغبتم إليه فيه"(٤٨٥٦).

القرآن

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)} [إبراهيم : ٣٥]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين قال إبراهيم داعيًا ربه -بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه «هاجَر» وادي «مكة» -: رب اجعل «مكة» بلدَ أمنٍ يأمن كل مَن فيها، وأبعِدني وأبنائي عن عبادة الأصنام.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم : ٣٥]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين قال إبراهيم داعيًا ربه -بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه «هاجَر» وادي «مكة» -: رب اجعل «مكة» بلدَ أمنٍ يأمن كل مَن فيها"(٤٨٥٧).

قال الحسن: " هذا دعاء، دعا به إبراهيم فاستجاب له دعاءه فجعله بلدا آمنا"(٤٨٥٨).

قال قتادة : "ذكر لنا أن الحرم حُرِّم بحياله إلى العرش، وذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط. قال الله له : أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين ، حتى إذا كان زمان الطوفان - حين أغرق الله قوم نوح - رفعه وطهره ، ولم تصبه عقوبة أهل الأرض. فتتبع منه إبراهيم أثرا ، فبناه على أساس قديم كان قبله"(٤٨٥٩).

عن شريح الخزاعي، قال:" لما افتتحت مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : " يا أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ، أو يعضد بها شجرا. ألا وإنها لا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا هذه الساعة ، غضبا علي أهلها. ألا فهي قد رجعت على حالها بالأمس. ألا

(٤٨٥٣) التفسير الميسر:٢٥٩.

(٤٨٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٢٨٤):ص٢٢٤٨/٧.

(٤٨٥٥) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٨٦):ص٢٢٤٩/٧.

(٤٨٥٧) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٥٨)أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٨): ص ١/ ٢٢٩.

(٤٨٥٩) تفسير الطبري(٢٠٢٦):ص ٤٥/٢.

ليبلغ الشاهد الغائب ، فمن قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها! فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يُحِلَّها لك "[٤٨٦٠].

قوله تعالى:{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم : ٣٥]، أي:" وأبعِدني وأبنائي عن عبادة الأصنام"[٤٨٦١].

قال إبراهيم التيمي:" من يأمن البلاء بعد قول إبراهيم: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ}؟"[٤٨٦٢].

القرآن

{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)} [إبراهيم : ٣٦]

التفسير:

ربِّ إن الأصنام تسبَّبتْ في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق، فمن اقتدى بي في التوحيد فهو على ديني وسُنَّتي، ومَن خالفني فيما دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين -بفضلك- رحيم بهم، تعفو عمن تشاء منهم.

قوله تعالى:{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ} [إبراهيم : ٣٦]، أي:" ربِّ إن الأصنام تسبَّبتْ في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق"[٤٨٦٣].

عن قتادة، قوله "{إنهن أضللن كثيرا من الناس}، يعني: الأوثان"[٤٨٦٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [إبراهيم : ٣٦]، أي:" ومَن خالفني فيما دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين -بفضلك- رحيم بهم، تعفو عمن تشاء منهم"[٤٨٦٥].

قال السدي: "معناه: ومن عصاني فتاب"[٤٨٦٦].

قال قتادة:" اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا طعانين ولا لعانين، وكان يقال: إن من أشر عباد الله كل طعان لعان، قال نبي الله ابن مريم عليه السلام {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}"[٤٨٦٧].

القرآن

{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)} [إبراهيم : ٣٧]

التفسير:

ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك; لكي يؤدوا الصلاة بحدودها، فاجعل قلوب بعض خلقك تَنزع إليهم وتحنُّ، وارزقهم في هذا المكان من أنواع الثمار; لكي يشكروا لك على عظيم نعمك.

(٤٨٦٠) تفسير الطبري(٢٠٢٧):ص٤٤/٢، وهذا مختصر من حديث صحيح مطول : فرواه أحمد في المسند : ١٦٤٤٨ (ج ٤ ص ٣٢ حلبي) ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، بهذا الإسناد . ورواية ابن إسحاق ثابتة أيضًا - مطولة - في سيرة ابن هشام ٤ : ٥٧ - ٥٨ (حلبي) ، و ٨٢٣ - ٨٢٤ أوربة ، ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨ (من الروض الأنف) . ورواه أيضًا ، بنحوه ، أحمد : ١٦٤٤٤ (ج ٤ ص ٣١) ، والبخاري ١ : ١٧٦ - ١٧٧ ، و ٤ : ٣٥ - ٣٩ (فتح) ، ومسلم ١ : ٣٨٣ - ٣٨٤ كلهم من طريق الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح . وقوله في الحديث : " أو يعضد بها شجرا " ، أي يقطعه ، يقال " عضد الشجر " ، من باب " ضرب " قطعه . وقوله : " غضبا على أهلها " : هذا هو الصحيح الثابت في رواية ابن إسحاق ، في المسند ، وسيرة ابن هشام ، وفي المطبوعة : " عصى على أهلها " . وهو تصحيف .(تفسير الطبري: ٤٥/٢-٤٦).

(٤٨٦١) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٨٧):ص٢٢٤٩/٧.

(٤٨٦٣) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٦٤) أخرجه الطبري:١٨/١٧.

(٤٨٦٥) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٦٦) الكشف والبيان:٣٢١/٥.

(٤٨٦٧) أخرجه الطبري:١٨/١٧.

قوله تعالى:{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} [إبراهيم : ٣٧]، أي:" ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا لكي يعبدوك ويقيموا الصلاة أسكنتهم بهذا الوادي"(٤٨٦٨).

عن قتادة :"{بواد غير ذي زرع}، قال: مكة. لم يكن بها زرع يومئذ"(٤٨٦٩).

وقال قتادة:" وأنه بيت طهره الله من السوء وجعله قبلة وجعله حرمه، اختاره نبي الله إبراهيم عليه السلام لولده"(٤٨٧٠).

قوله تعالى:{فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم : ٣٧]، أي:" فاجعل قلوب بعض خلقك تَنزع إليهم وتحنُّ"(٤٨٧١).

قال السدي :"يقول: خذ بقلوب الناس إليهم، فإنه حيث يهوى القلب يذهب الجسد، فلذلك ليس من مؤمن إلا وقلبه معلق بحب الكعبة"(٤٨٧٢).

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)} [إبراهيم : ٣٩]

التفسير:

يُثني إبراهيم على الله تعالى، فيقول: الحمد لله الذي رزقني على كِبَر سني ولديَّ إسماعيل وإسحاق بعد دعائي أن يهب لي من الصالحين، إن ربي لسميع الدعاء ممن دعاه، وقد دعوته ولم يخيِّب رجائي.

قال سعيد بن جبير: "بشر إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة"(٤٨٧٣).

قال الشعبي: "ما يسرني بنصيبي من دعوة نوح وإبراهيم للمؤمنين والمؤمنات حمر النعم"(٤٨٧٤).

القرآن

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)} [إبراهيم : ٤٠]

التفسير:

رب اجعلني مداومًا على أداء الصلاة على أتم وجوهها، واجعل من ذريتي مَن يحافظ عليها، ربنا واستجب دعائي وتقبَّل عبادتي.

قوله تعالى:{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} [إبراهيم : ٤٠]، أي:" رب اجعلني مداومًا على أداء الصلاة على أتم وجوهها، رب واجعل من ذريتي مَن يحافظ على الصلاة"(٤٨٧٥).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٤٨٧٦).

القرآن

{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)} [إبراهيم : ٤١]

التفسير:

ربنا اغفر لي ما وقع مني مما لا يسلم منه البشر واغفر لوالديَّ، (وهذا قبل أن يتبيَّن له أن والده عدو لله) واغفر للمؤمنين جميعًا يوم يقوم الناس للحساب والجزاء.

قال الحسن:" دعا لأبيه أن يحوله الله من الكفر إلى الإيمان، ولم يغفر له؛ فلما مات كافرا تبرأ منه، وعرف أنه قد هلك"(٤٨٧٧).

(٤٨٦٨) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٩٣):ص٢٢٥٠/٧.

(٤٨٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٩٣):ص٢٢٥٠/٧.

(٤٨٧١) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٩٥):ص٢٢٥٠/٧.

(٤٨٧٣) أخرجه الطبري:٢٧/١٧.

(٤٨٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٢٩٨):ص٢٢٥٠/٧.

(٤٨٧٥) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

قال مجاهد:" قد استجاب الله له فيما سأل، فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته، وجعل البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات. وجعله إماما، وجعل في ذريته من يقيم الصلاة، وأراه مناسكه، وتاب عليه"[٤٨٧٨].

القرآن

{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)} [إبراهيم : ٤٢]

التفسير:

ولا تحسبن -أيها الرسول- أن الله غافل عما يعمله الظالمون: من التكذيب بك وبغيرك من الرسل، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك من المعاصي، إنما يؤخِّرُ عقابهم ليوم شديد ترتفع فيه عيونهم ولا تَغْمَض; مِن هول ما تراه.

قوله تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم : ٤٢]، أي:" ولا تحسبن -أيها الرسول- أن الله غافل عما يعمله الظالمون: من التكذيب بك وبغيرك من الرسل، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك من المعاصي"[٤٨٧٩].

قال ميمون بن مهران:" هي وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم"[٤٨٨٠].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم : ٤٢]، أي:" إنما يؤخِّرُ عقابهم ليوم شديد ترتفع فيه عيونهم ولا تَغْمَض; مِن هول ما تراه"[٤٨٨١].

قال قتادة:" شخصت فيه والله أبصارهم، فلا ترتد إليهم"[٤٨٨٢].

القرآن

{مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)} [إبراهيم : ٤٣]

التفسير:

يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي رافعي رؤوسهم لا يبصرون شيئًا لهول الموقف، وقلوبهم خالية ليس فيها شيء; لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى.

قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} [إبراهيم : ٤٣]، أي:" يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لا يلتفتون إلى شيء رافعين رءوسهم مع إدامة النظر"[٤٨٨٣].

واختلف في قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ} [إبراهيم : ٤٣]، على وجهين:

أحدهما : معناه: مسرعين. قاله سعيد بن جبير[٤٨٨٤]، والحسن[٤٨٨٥]، وقتادة[٤٨٨٦]،مأخوذ من: أهطع يهطع إهطاعاً، إذا أسرع ، ومنه قوله تعالى: {مُهْطِعِينَ إِلى الدَّاعِ} [القمر : ٨]، أي: مسرعين . قال يزيد بن مفرّغ الحميريّ[٤٨٨٧]:

بِدِجْلَةَ أَهْلُهَا ولَقَد أراهُمْ... بِدِجْلَة مُهْطِعِينَ إلى السّمَاع

وقال الآخر[٤٨٨٨]:

(٤٨٧٧) ذكره ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣٧٣/٢.

(٤٨٧٨) الكشاف:٥٦٢/٢.

(٤٨٧٩) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٨٠) أخرجه الطبري:٢٩/١٧.

(٤٨٨١) التفسير الميسر:٢٦٠.

(٤٨٨٢) أخرجه الطبري:٢٩/١٧.

(٤٨٨٣) انظر: التفسير الميسر:٢٦١، وصفوة التفاسير:٩٣/٢.

(٤٨٨٤) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٨٨٥) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٣.

(٤٨٨٦) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٨٨٧) ديوانه" ص ١٦٧، وورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣٤٣، و"الوقف والابتداء" لابن الأنباري ١/ ٦٧، و"والمحرر الوجيز" ٨/ ٢٥٩، وفيها (دارُهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٦٦، و"تهذيب اللغة" (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، و"الفريد في إعراب القرآن" ٣/ ١٧٣، و"تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، و"اللسان" (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، و"الدر المصون" ٧/ ١٢٠، و"عمدة الحفاظ" ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي أنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.

(٤٨٨٨) انظر: مجاز القرآن:٣٤٢/١.

بمهطع سرح كأنّ زمامه ... في رأس جذع من أول مشذّب
وقال الشاعر[٤٨٨٩]:
بمستهطع رسل كأنّ جديله ... بقيدوم رعن من صؤام ممنّع
الثاني : أنه الدائم النظر لا يطرف، قاله الضحاك[٤٨٩٠]، وأبو الضحى[٤٨٩١].
وقال مجاهد:" مديمي النظر"[٤٨٩٢].
وفي قوله تعالى:{مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} [إبراهيم : ٤٣]، وجهان:
أحدهما : رافعي رؤوسهم ، وإقناع الرأس رفْعُه ، قاله سعيد بن جبير[٤٨٩٣]، ومجاهد[٤٨٩٤]، وقتادة[٤٨٩٥]، والضحاك[٤٨٩٦].
ومنه قول الشاعر[٤٨٩٧]:
أنغض رأسه نحوي وأقنعا ... كأنما أبصَرَ شيئاً أطمعَا
وقول الشّمّاخ [٤٨٩٨]:
يباكرن العضاه بمقنعات ... نواجذهن كالحدأ الوقيع
يصف إبلاً ترعى الشجر وأن أسنانها مرتفعة كالفؤوس.
قال قتادة:" «المقنع»: الذي يرفع رأسه شاخصا بصره لا يطرف"[٤٨٩٩].
قال الحسن:" وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد"[٤٩٠٠].
الثاني : ناكسي رؤوسهم بلغة قريش ، قاله مؤرج السدوسي[٤٩٠١]، وقتادة[٤٩٠٢].
قوله تعالى:{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم : ٤٣]، أي:" وقلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع"[٤٩٠٣].
وفي قوله تعالى:{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم : ٤٣]، وجوه:
أحدها : أنها تتردد في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه فكأنها تهوي ، قاله سعيد بن جبير[٤٩٠٤]، ومجاهد[٤٩٠٥]. قال الشاعر[٤٩٠٦]:
كأن الرحل منها فوق صعل. . . من الظلمان جؤجؤه هواه
الثاني : أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر ، فلا تنفصل ولا تعود ، قاله قتادة[٤٩٠٧].
الثالث : أنها المتخرقة التي لا تعي شيئاً، قاله مُرّة [٤٩٠٨].
الرابع : أنها خالية من الخير، وما كان خالياً فهو هواء، فهي كالخربة. قاله مجاهد[٤٩٠٩]، وأبو صالح[٤٩١٠].

(٤٨٨٩) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٣/١، والأساس (هطع) واللسان والتاج (قيدوم).
(٤٨٩٠) انظر: تفسير الطبري:٣٠/١٧.
(٤٨٩١) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.
(٤٨٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٠١):ص٢٢٥١/٧.
(٤٨٩٣) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٧.
(٤٨٩٤) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٧.
(٤٨٩٥) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٧.
(٤٨٩٦) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٧.
(٤٨٩٧) انظر: النكت والعيون:١٤١/٣.
(٤٨٩٨)ديوانه ٥٦.، ومجاز القرآن:٣٤٣/١، و تفسير الطبري ١٣/ ١٤٢ واللسان والتاج (حدأ).
(٤٨٩٩) أخرجه الطبري:٣٢/١٧.
(٤٩٠٠) أخرجه الطبري:٣٢/١٧.
(٤٩٠١) انظر: النكت والعيون:١٤٠/٣.
(٤٩٠٢) انظر: النكت والعيون:١٤٠/٣.
(٤٩٠٣) صفوة التفاسير:٩٣/٢.
(٤٩٠٤) انظر: تفسير الطبري:٣٤/١٧.
(٤٩٠٥) انظر النت والعيون:١٤١/٣.
(٤٩٠٦) انظر: معاني القرآن للزجاج:١٦٦/٣.
(٤٩٠٧) انظر: تفسير الطبري:٣٤/١٧.
(٤٩٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٠٢):ص٢٢٥١/٧، وتفسير الطبري:٣٣/١٧.
(٤٩٠٩) انظر: تفسير الطبري:٣٤/١٧.
(٤٩١٠) انظر: تفسير الطبري:٣٤/١٧.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: أنها خالية ليس فيها شيء من الخير، ولا تعقل شيئا، وذلك أن العرب تسمي كل أجوف خاو: هواء[٤٩١١].

القرآن

{وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤)} [إبراهيم : ٤٤]

التفسير:

وأنذر -أيها الرسول- الناس الذين أرسلتُكَ إليهم عذاب الله يوم القيامة، وعند ذلك يقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمْهِلْنا إلى وقت قريب نؤمن بك ونصدق رسلك. فيقال لهم توبيخًا: ألم تقسموا في حياتكم أنه لا زوال لكم عن الحياة الدنيا إلى الآخرة، فلم تصدِّقوا بهذا البعث؟

قوله تعالى:{وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ}[إبراهيم : ٤٤]، أي:" وأنذر -أيها الرسول- الناس الذين أرسلتُكَ إليهم عذاب الله يوم القيامة"[٤٩١٢].

قال قتادة:" يقول: أنذرهم في الدنيا قبل أن يأتيهم العذاب"[٤٩١٣].

قوله تعالى:{فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ}[إبراهيم : ٤٤]، أي:" وعند ذلك يقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمْهِلْنا إلى وقت قريب، نجب دعوتك لنا إلى الإيمان ونتّبع رسلك فيما جاءونا به"[٤٩١٤].

عن مجاهد:" {فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب}، قال: مدة يعملون فيها من الدنيا"[٤٩١٥].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم : ٤٤]، أي:" ألم تحلفوا أنكم باقون في الدنيا لا تنتقلون إلى دار أخرى؟"[٤٩١٦].

وفي قوله تعالى:{أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم : ٤٤]، وجهان:

أحدهما : ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، قاله مجاهد[٤٩١٧].

الثاني : ما لكم من زوال عن العذاب ، قاله الحسن[٤٩١٨].

القرآن

{وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)} [إبراهيم : ٤٥]

التفسير:

وحللتم في مساكن الكافرين السابقين الذين ظلموا أنفسهم كقوم هود وصالح، وعلمتم -بما رأيتم وأُخبرتم- ما أنزلناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في القرآن، فلم تعتبروا؟

قوله تعالى:{وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [إبراهيم : ٤٥]، أي:" وحللتم في مساكن الكافرين السابقين الذين ظلموا أنفسهم كقوم هود وصالح"[٤٩١٩].

قال قتادة:" سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود. وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأمم"[٤٩٢٠].

(٤٩١١) تفسير الطبر:١٧/٣٤-٣٥.

(٤٩١٢) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩١٣) أخرجه الطبري:١٧/٣٦.

(٤٩١٤) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩١٥) أخرجه الطبري:١٧/٣٦.

(٤٩١٦) صفوة التفاسير:٢/٩٣.

(٤٩١٧) أخرجه الطبري:١٧/٣٧.

(٤٩١٨) انظر: النكت والعيون:٣/١٤٢.

(٤٩١٩) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٠٦):ص٧/٢٢٥٢.

قوله تعالى:{وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ} [إبراهيم : ٤٥]، أي:" وعلمتم -بما رأيتم وأُخبرتم- ما أنزلناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في القرآن، فلم تعتبروا؟"[٤٩٢١].

قال قتادة: "قد والله بعث الله رسله وأنزل كتبه وضرب لكم الأمثال، فلا يصم فيها إلا الأصم، ولا يخيب فيها إلا الخائب فاعقلوا عن الله أمره"[٤٩٢٢].

القرآن

{وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)} [إبراهيم : ٤٦]

التفسير:

وقد دبَّر المشركون الشرَّ للرسول صلى الله عليه وسلم بقتله، وعند الله مكرهم فهو محيط به، وقد عاد مكرهم عليهم، وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ولا غيرها لضعفه ووَهَنه، ولم يضرُّوا الله شيئًا، وإنما ضرُّوا أنفسهم.

قوله تعالى:{وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} [إبراهيم : ٤٦]، أي:" مكر المشركون بالرسول وبالمؤمنين حين أرادوا قتله"[٤٩٢٣].

وفي قوله تعالى:{وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} [إبراهيم : ٤٦]، قولان:

أحدهما : أنه عنى بالمكر الشرك ، به قال قتادة[٤٩٢٤]، والضحاك[٤٩٢٥].

قال قتادة:" ذلك حين دعوا لله ولدا. وقال في آية أخرى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}"[٤٩٢٦].

الثاني : أنه عنى به العتو والتجبّر ، وهي فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسرين في الهواء ، قاله سعيد بن جبير[٤٩٢٧]، ومجاهد[٤٩٢٨].

قال سعيد بن جبير:" نمرود صاحب النسور، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا ثم أمر بالنسور فاحتمل، فلما صعد قال لصاحبه: أي شيء ترى؟ قال: أرى الماء وجزيرة -يعني الدنيا- ثم صعد فقال لصاحبه: أي شيء ترى؟ قال: ما نزداد من السماء إلا بعدا، قال: اهبط -وقال غيره: نودي- أيها الطاغية أين تريد؟ قال: فسمعت الجبال حفيف النسور، فكانت ترى أنها أمر من السماء، فكادت تزول، فهو قوله: {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبال}"[٤٩٢٩].

وقال مجاهد:" مكر فارس. وزعم أن بختنصر خرج بنسور، وجعل له تابوتا يدخله، وجعل رماحا في أطرافها واللحم فوقها. أراه قال: فعلت تذهب نحو اللحم حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها، فنودي: أيها الطاغية أين تريد؟ ففرق: ثم سمع الصوت فوقه، فصوّب الرماح، فتصوّبت النسور، ففزعت الجبال من هدّتها، وكادت الجبال أن تزول منه من حسّ ذلك، فذلك قوله: {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ}"[٤٩٣٠].

وعن أبي مالك، في قوله: "{وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال}، قال: انطلق ناس وأخذوا هذه النسور فعلقوا عليها كهيئة التوابيت ثم أرسلوها في السماء، فرأتها الجبال فظنت أنه شيء نزل من السماء فتحركت لذلك"[٤٩٣١].

وقال السدي:" أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم، فأخرج من مدينته فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فآمن به وقال: إني مهاجر إلى ربي. وحلف نمرود إن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة فراخ من فراخ النسور، فرباهن بالخبز واللحم ... حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن قرنهن بتابوت

(٤٩٢١) التفسير الميسر:٢٦١.
(٤٩٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٠٦):ص٢٢٥٢/٧.
(٤٩٢٣) صفوة التفاسير:٩٣/٢.
(٤٩٢٤) انظر: تفسير الطبري:٤١/١٧.
(٤٩٢٥) انظر: تفسير الطبري:٤١/١٧.
(٤٩٢٦)أخرجه الطبري:٤١/١٧ .
(٤٩٢٧) أخرجه الطبري:٤٠/١٧-٤١.
(٤٩٢٨) أخرجه الطبري:٣٩/١٧.
(٤٩٢٩) أخرجه الطبري:٤٠/١٧-٤١.
(٤٩٣٠) أخرجه الطبري:٣٩/١٧.
(٤٩٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٠٩):ص٢٢٥٣/٧.

وقعد في ذلك التابوت، ثم رفع رجلا من لحم لهن، فطرن حتى إذا دهم في السماء أشرف فنظر إلى الأرض وإلى الجبال تدب كدبيب النمل، ثم رفع لهن اللحم ثم نظر، فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء، ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته، فألقي اللحم فأتبعته منقضات، فلما نظرت الجبال إليهن قد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن، فزعت الجبال وكادت إن تزول من أمكنتها، ولم يفعلن. فذلك قوله: وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «وإن كاد مكرهم» فكان طيورهن به من بيت المقدس، ووقوعهن في جبال الدخان. فلما رأى أنه لا يطيق شيئا، أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى أسنده إلى السماء، ارتقى فوقه ينظر يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث ولم يكن يحدث، وأخذ الله بنيانه {مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل : ٢٦]، يقول: من مأمنهم وأخذهم من أساس الصرح، فانتقض بهم ... وسقط، فتبلبلت ألسنة الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سمت بابل وكان قبل ذلك بالسريانية"[٤٩٣٢].

قوله تعالى:{وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ} [إبراهيم : ٤٦]، أي:" وعند الله جزاء هذا المكر فإنه محيط بهم وبمكرهم"[٤٩٣٣].

عن الحسن، وقتادة:" وعند الله مكرهم محفوظاً عليهم حتى يجازيهم عليه"[٤٩٣٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم : ٤٦]، أي:" وإن كان مكرهم من القوة والتأثير حتى ليؤدي إلى زوال الجبال ولكنَّ الله عصَم ووقى منه"[٤٩٣٥].

وقال الحسن:" وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال"[٤٩٣٦].

وقال الحسن:" أربع في القرآن: {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}، ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقوله {لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} ما كنا فاعلين، وقوله {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} ما كان للرحمن ولد، وقوله {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ} ما مكناكم فيه. قال هارون: وحدثني بهنّ عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهنّ واحدة {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ} ما كنت في شكّ {مِمَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ}"[٤٩٣٧].

القرآن

{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧)} [إبراهيم : ٤٧]

التفسير:

فلا تحسبن -أيها الرسول- أن الله يخلف رسله ما وعدهم به من النصر وإهلاك مكذبيهم. إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء، منتقم من أعدائه أشد انتقام.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم : ٤٧]، أي:" إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء، منتقم من أعدائه أشد انتقام"[٤٩٣٨].

قال قتادة:" عزيز والله في أمره يملي وكيده متين، ثم إذا انتقم انتقم بقدره"[٤٩٣٩].

القرآن

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)} [إبراهيم : ٤٨]

التفسير:

وانتقام الله تعالى مِن أعدائه في يوم القيامة يوم تُبَدَّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقيَّة كالفضة، وكذلك تُبَدَّل السموات بغيرها، وتخرج الخلائق من قبورها أحياء ظاهرين للقاء الله الواحد القهار، المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقهره لكل شيء.

(٤٩٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣١٠):ص٢٢٥٣/٧.

(٤٩٣٣) صفوة التفاسير:٩٣/٢.

(٤٩٣٤) انظر: النكت والعيون:١٤٣/٣.

(٤٩٣٥) صفوة التفاسير:٩٣/٢.

(٤٩٣٦) أخرجه الطبري:٤٣/١٧.

(٤٩٣٧) أخرجه الطبري:٤٣/١٧.

(٤٩٣٨) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣١١):ص٢٢٥٣/٧.

قوله تعالى:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم : ٤٨]، أي:" وانتقام الله تعالى مِن أعدائه في يوم القيامة يوم تُبَدَّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقيَّة كالفضة، وكذلك تُبَدَّل السموات بغيرها"[٤٩٤٠].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} [إبراهيم : ٤٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة، لم تعمل عليها خطيئة ، قاله مجاهد[٤٩٤١].

الثاني: يبدلها خبزة. وهذا قول سعيد بن جبير[٤٩٤٢]، وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي[٤٩٤٣]، أو عن محمد بن قيس-شكّ الراوي-[٤٩٤٤].

قال سعيد بن جبير:" تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه"[٤٩٤٥].

الثالث: أنها تبدل غير الأرض، ويصير مكان البحر النار. قاله كعب[٤٩٤٦].

وقال الحسن :"أنها هي هذه الأرض، وإنما تبدل صورتها ويطهر دنسها"[٤٩٤٧].

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها، وذلك حين يطوي السماوات كطي السجل للكتاب، ثم يدحو بهما، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات"[٤٩٤٨].

قال عمرو بن ميمون الأودي: "يجمع الناس يوم القيامة في أرض بيضاء، لم يعمل فيها خطيئة مقدار أربعين سنة يلجمهم العرق"[٤٩٤٩].

والصواب، أن المعنى: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها، كما قال جل ثناؤه، وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارا وجائز أن تكون خبزا، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل[٤٩٥٠].

وفي قوله تعالى:{ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم : ٤٨]، وجهان:

أحدهما : أن السموات تبدل بغيرها كالأرض فتجعل السماء من ذهب، والأرض من فضة ، قاله مجاهد[٤٩٥١].

الثاني : أن السموات تبدل بغيرها كالأرض، فتصير السموات جناناً والبحار نيراناً وتبدل الأرض بغيرها ، قاله كعب الأحبار[٤٩٥٢].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود : "لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر ، فإن تحت البحر نارا، و تحت النار بحرا"[٤٩٥٣].

القرآن

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩)} [إبراهيم : ٤٩]

(٤٩٤٠) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩٤١) انظر: تفسير الطبري:٤٧/١٧.

(٤٩٤٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٧.

(٤٩٤٣) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٧.

(٤٩٤٤) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٧.

(٤٩٤٥) أخرجه الطبري:٤٩/١٧.

(٤٩٤٦) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٧.

(٤٩٤٧) انظر: النكت والعيون:١٤٣/٣.

(٤٩٤٨) أخرجه الطبري: ٤٩/١٧-٥٠.

(٤٩٤٩) أخرجه الطبري:٥٠/١٧.

(٤٩٥٠) تفسير الطبري:٥٢/١٧.

(٤٩٥١) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٧.

(٤٩٥٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٤٤/٣، وابن كثير في تفسيره:٥٢١/٤

(٤٩٥٣)سنن أبي داود برقم (٢٤٨٩)، رواه من طريق بشر أبي عبد الله ، عن بشير بن مسلم ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ، وقد ضعف هذا الحديث جماعة من الأئمة. انظر أقوالهم في : السلسلة الضعيفة برقم (٤٧٨).

التفسير:
وتُبْصِرُ -أيها الرسول- المجرمين يوم القيامة مقيدين بالقيود، قد قُرنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وهم في ذُلٍّ وهوان.

عن قتادة :"{مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفَادِ}، قال: مقرّنين في القيود والأغلال"(٤٩٥٤).

عن الضحاك، قال: "«الأصفاد»: السلاسل"(٤٩٥٥).

عن الأعمش: {الأصْفَادِ} القيود"(٤٩٥٦).

القرآن

{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)} [إبراهيم : ٥٠]

التفسير:

ثيابهم من القَطِران الشديد الاشتعال، وتلفح وجوههم النار فتحرقها.

قوله تعالى:{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ} [إبراهيم : ٥٠]، أي:" ثيابهم من القَطِران الشديد الاشتعال"(٤٩٥٧).

وفي «القطران» -ها هنا- قولان :

أحدهما : أنه القطران الذي تهنأ به الجمال، قاله الحسن(٤٩٥٨)، وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها .

الثاني : أنه النحاس الحامي، قاله سعيد بن جبير(٤٩٥٩)، ومجاهد(٤٩٦٠)، وقتادة(٤٩٦١).

عن قتادة " :«مِنْ قَطْرٍ آنٍ»، يعني: الصِّفر المذاب"(٤٩٦٢).

وعن قتادة أنه كان يقرأ " «مِنْ قَطْرٍ آنٍ»، قال: من صفر قد انتهى حرّه"(٤٩٦٣).

عن سعيد بن جبير، في قوله "{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ}، قال: قطر، والآن: الذي قد انتهى حرّه"(٤٩٦٤).

قال الحسن:" كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حرّه: قد أنى حرّ هذا، قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرّها"(٤٩٦٥).

قال الربيع بن أنس:" القطر: النحاس، والآن: يقول: قد أنى حرّه، وذلك أنه يقول: حميمٌ آن"(٤٩٦٦).

عن عكرمة، عن ابن عباس، في هذه الآية "{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ}، قال: من نحاس، قال: آن أنى لهم أن يعذّبوا به"(٤٩٦٧).

قال عكرمة:" الآني: الذي قد انتهى حرّه"(٤٩٦٨).

وكان الحسن يقرؤها :«مِنْ قَطْرٍ آنٍ»"(٤٩٦٩).

القرآن

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١)} [إبراهيم : ٥١]

(٤٩٥٤) أخرجه الطبري:٥٣/١٧.

(٤٩٥٥) أخرجه الطبري:٥٣/١٧.

(٤٩٥٦) أخرجه الطبري:٥٤/١٧.

(٤٩٥٧) التفسير الميسر:٢٦١.

(٤٩٥٨) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٧.

(٤٩٥٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٧-٥٦.

(٤٩٦٠) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٧.

(٤٩٦١) انظر: تفسير الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٢) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٣) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٤) أخرجه الطبري:٥٥/١٧.

(٤٩٦٥) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٦) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٧) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٨) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

(٤٩٦٩) أخرجه الطبري:٥٦/١٧.

التفسير:
فَعَل الله ذلك بهم; جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، والله يجازي كل إنسان بما عمل مِن خير أو شر، إن الله سريع الحساب.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [إبراهيم : ٥١]، أي:" إن الله لا يشغله شأن عن شأن، يحاسب جميع الخلق في أعجل ما يكون من الزمان"(٤٩٧٠).

عن مجاهد : "{سَرِيعُ الْحِسَابِ}: إحصاؤه عليهم"(٤٩٧١). وفي لفظ:" إحصاؤه"(٤٩٧٢).

القرآن

{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم : ٥٢]

التفسير:
هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بلاغ وإعلام للناس; لنصحهم وتخويفهم، ولكي يوقنوا أن الله هو الإله الواحد، فيعبدوه وحده لا شريك له، وليتعظ به أصحاب العقول السليمة.

سبب النزول:

روى يمان بن رئاب:" أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه"(٤٩٧٣).

قوله تعالى:{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ} [إبراهيم : ٥٢]، أي:" هذا القرآن بلاغٌ لجميع الخلق من إنس وجان، أنزل لتبليغهم بما فيه من فنون العبر والعظات"(٤٩٧٤).

قال محمد بن كعب:" من بلغه القرآن، فكأنما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكلمه"(٤٩٧٥).

«آخر تفسير سورة (إبراهيم)، والحمد لله وحده»

(٤٩٧٠) صفوة التفاسير:٢/٩٤.
(٤٩٧١) أخرجه الطبري(٦٧٧١):ص٦/٢٧٩.
(٤٩٧٢) أخرجه الطبري(٦٧٧٢):ص٦/٢٧٩.
(٤٩٧٣) النكت والعيون:٣/١٤٦.
(٤٩٧٤) صفوة التفاسير:٢/٩٤.
(٤٩٧٥)تفسير ابن أبي حاتم (رقم ٧١٦٥)، وابن جرير (رقم ١٣١٢٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « الحِجْر»

سورة «الحِجْر»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «يوسف»[٤٩٧٦]، وعدد آياتها (٩٩) تسع وتسعون بلاخلاف على عدد الأسماء الحسنى، وكلماتها (٦٥٤) ستمائة وأربع وخمسون. وحروفها (٢٧٦٠) ألفان وسبعمائة وستون [٤٩٧٧].

ومجموع فواصل آياتها يجمعها:« ملن»، على اللام منها آيتان: {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيل} [الحجر : ٧٤]، {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل} [الحجر : ٨٥][٤٩٧٨].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٤٩٧٩]، وابن زبير[٤٩٨٠]، ومقاتل[٤٩٨١]، وبه قال ابن قتيبة[٤٩٨٢]، والثعلبي[٤٩٨٣]، وأبو الليث السمرقندي[٤٩٨٤]، وابن ابي زمنين[٤٩٨٥]، والسمعاني[٤٩٨٦]، وابن عطية[٤٩٨٧]، والبيضاوي[٤٩٨٨]، والنسفي[٤٩٨٩]، والثعالبي[٤٩٩٠]، والفيروزآبادي[٤٩٩١]، وابن كثير[٤٩٩٢]، والسيوطي[٤٩٩٣]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها من غير خلاف نعلمه"[٤٩٩٤].

قال العز بن عبدالسلام:"سورة الحجر مكية اتفاقا"[٤٩٩٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[٤٩٩٦].

قال ابن عاشور:" وهي مكية كلها وحكي الاتفاق عليه"[٤٩٩٧].

والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، هي: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} [الحجر : ٨٧]. قاله الحسن[٤٩٩٨]، وبه قال الزمخشري[٤٩٩٩]، والفخر الرازي[٥٠٠٠]، وأبو السعود[٥٠٠١].

(٤٩٧٦) انظر: الكشاف: ٥٦٩/٢.

(٤٩٧٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٧٢، وتفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٣/٢.

(٤٩٧٨)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤٩٧٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٤٩٨٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩٨١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٣/٢.

(٤٩٨٢) انظر: غريب القرآن:٢٣٥.

(٤٩٨٣) انظر: الكشف والبيان:٢٣٠/٥.

(٤٩٨٤) انظر: بحر العلوم:٢٥٠/٢.

(٤٩٨٥) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٣٧٩/٢.

(٤٩٨٦) انظر: تفسير السمعاني:١٢٨/٣.

(٤٩٨٧) انظر: المحرر الوجيز:٣٤٩/٣.

(٤٩٨٨) انظر: تفسير البيضاوي:٢٠٦/٣.

(٤٩٨٩) انظر: تفسير النسفي:١٨٢/٢.

(٤٩٩٠) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٣٩٣/٣.

(٤٩٩١) البصائر:٢٧٢/١.

(٤٩٩٢) انظر: تفسير ابن كثير:٥٢٤/٤.

(٤٩٩٣) انظر: الدر المنثور:٦١/٥.

(٤٩٩٤) زاد المسير:٥٢٢/٢.

(٤٩٩٥) تفسير العز بن عبدالسلام:١٧٠/٢.

(٤٩٩٦) البصائر:٢٧٢/١.

(٤٩٩٧) التحرير والتنوير:٥/١٤.

(٤٩٩٨) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٤.

(٤٩٩٩) انظر: الكشاف:٥٦٩/٢.

(٥٠٠٠) انظر: مفاتيح الغيب:١١٦/١٩.

(٥٠٠١) انظر: تفسير أبي السعود:٦٣/٥.

قال ابن عاشور: وذلك" بناء على أن سبعا من المثاني هي سورة الفاتحة وعلى أنها مدنية. وهذا لا يصح، لأن الأصح أن الفاتحة مكية"[٥٠٠٢].

الثالث: أنها مكية إلا آيتين منها، وهما: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١]. ذكره ابن عاشور[٥٠٠٣].

قال ابن عاشور:" واستثناء قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١] بناء على تفسيرهم «المقتسمين» بأهل الكتاب وهو صحيح، وتفسير «جعلوا القرآن عضين» أنهم قالوا: ما وافق منه كتابنا فهو صدق وما خالف كتابنا فهو كذب. ولم يقل ذلك إلا يهود المدينة، وهذا لا نصححه"[٥٠٠٤].

(٥٠٠٢) التحرير والتنوير:١٤/٥.
(٥٠٠٣) انظر: التحرير والتنوير:١٤/٥.
(٥٠٠٤) التحرير والتنوير:١٤/٥.

القرآن

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١)} [الحجر : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

تلك الآيات العظيمة هي آيات الكتاب العزيز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آيات قرآن موضِّح للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدلّه على المقصود.

قوله تعالى:{الر} [الحجر : ١]، الله تعالى أعلم بمراده بذلك.

عن مجاهد:" {الر}، فواتح يفتتح بها كلامه"(٥٠٠٥).

عن قتادة قال: "{الر}: اسم من أسماء القرآن"(٥٠٠٦)

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} [الحجر : ١]، أي:" تلك الآيات العظيمة هي آيات الكتاب العزيز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٠٠٧).

عن مجاهد:" { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ}، قال: التوراة والإنجيل"(٥٠٠٨).

عن قتادة، قوله :"{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ}، قال: الكتُب التي كانت قبل القرآن"(٥٠٠٩).

قوله تعالى:{وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} [الحجر : ١]، أي:" وهي آيات قرآن موضِّح للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدلّه على المقصود"(٥٠١٠).

عن قتادة :"{وَقُرْآنٍ مُبِينٍ}، قال: تبين والله هداه ورشده وخيره"(٥٠١١).

القرآن

{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)} [الحجر : ٢]

التفسير:

سيتمنى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.

قال أبو العالية:" نزلت في الذين يخرجون من النار"(٥٠١٢).

قال مجاهد:" إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه، قال: من كان مسلما فليدخل الجنة، فعند ذلك"(٥٠١٣).

قال قتادة:" وذلك والله يوم القيامة، ودّوا لو كانوا في الدنيا مسلمين"(٥٠١٤).

عن هشام بن حماد، قال: "سألت إبراهيم عن هذه الآية: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين}؛ قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، قال: فيغضب الله لهم فيقول الملائكة والنبيين: أشفعوا، قال: فيشفعون لهم فيخرجون حتى إن إبليس يتطاول ورجاء أن يخرج معهم، فعند ذلك {يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين}"(٥٠١٥).

عن الضحاك في قوله:" {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}، قال: فيها وجهان اثنان، يقولون: إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما. ويقول آخرون: بل يعذّب الله ناسا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم، فيعرفهم المشركون فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم، وقد ألقاكم في النار، فيغضب لهم فيخرجهم، فيقول :{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}"(٥٠١٦).

(٥٠٠٥) أخرجه الطبري:٥٩/١٧.

(٥٠٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٨٧):ص١٩٢١/٦.

(٥٠٠٧) التفسير الميسر:٢٦٢.

(٥٠٠٨) أخرجه الطبري:٥٩/١٧.

(٥٠٠٩) أخرجه الطبري:٥٩/١٧.

(٥٠١٠) التفسير الميسر:٢٦٢.

(٥٠١١) أخرجه الطبري:٥٩/١٧.

(٥٠١٢) أخرجه الطبري:٦٤/١٧.

(٥٠١٣) أخرجه الطبري:٦٣/١٧.

(٥٠١٤) أخرجه الطبري:٦٤/١٧.

(٥٠١٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٦٤):ص٣١/١.

(٥٠١٦) أخرجه الطبري:٦٤/١٧.

القرآن

{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)} [الحجر : ٣]

التفسير:

اترك -أيها الرسول- الكفار يأكلوا، ويستمتعوا بدنياهم، ويشغلهم الطمع فيها عن طاعة الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم الخاسرة في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ} [الحجر : ٣]، أي:" اترك -أيها الرسول- الكفار يأكلوا، ويستمتعوا بدنياهم، ويشغلهم الطمع فيها عن طاعة الله"(٥٠١٧).

عن أبي مالك، قوله: "{ذرهم}، قال: خل عنهم"(٥٠١٨).

القرآن

{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)} [الحجر : ٤]

التفسير:

وإذا طلبوا نزول العذاب بهم تكذيبًا لك -أيها الرسول- فإنا لا نُهْلك قرية إلا ولإهلاكها أجل مقدَّر، لا نُهْلكهم حتى يبلغوه، مثل مَن سبقهم.

عن مجاهد:" {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ }، قال: أجل معلوم"(٥٠١٩).

القرآن

{مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)} [الحجر : ٥]

التفسير:

لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فتنقص منه.

عن مجاهد:" {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} [الحجر : ٥]، قال: لا مستأجر بعده"(٥٠٢٠).

عن الزهري، في قوله "{مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ}، قال: نرى أنه إذا حضر أجله، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدّم. وأما ما لم يحضر أجله، فإن الله يؤخر ما شاء ويقدّم ما شاء"(٥٠٢١).

القرآن

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)} [الحجر : ٦]

التفسير:

وقال المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم استهزاءً: يا أيها الذي نُزِّل عليه القرآن إنك لذاهب العقل.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث هو ابن علقمة من بني عبد الدار بن قصي ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش والوليد بن المغيرة، قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إنك لمجنون"(٥٠٢٢).

قوله تعالى:{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ} [الحجر : ٦]، أي:" وقال المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم استهزاءً: يا أيها الذي نُزِّل عليه القرآن"(٥٠٢٣).

عن الضحاك: "{نزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ}، قال: القرآن"(٥٠٢٤).

(٥٠١٧) التفسيرالميسر:٢٦٢.

(٥٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٣٢):ص٢٢٥٧/٧.

(٥٠١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٣٣):ص٢٢٥٧/٧.

(٥٠٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٣٣):ص٢٢٥٧/٧.

(٥٠٢١) أخرجه الطبر:٦٦/١٧.

(٥٠٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٥/٢.

(٥٠٢٣) التفسير الميسر:٢٦٢.

(٥٠٢٤) أخرجه الطبري:٦٦/١٧.

قرأ الأعمش: «يا أيها الذي ألقى عليه الذكر»[٥٠٢٥].

القرآن

{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (٨)} [الحجر : ٨]

التفسير:

وردَّ الله عليهم: إننا لا ننزل الملائكة إلا بالعذاب الذي لا إمهال فيه لمن لم يؤمن، وما كانوا حين تنزل الملائكة بالعذاب بمُمْهلين.

قوله تعالى:{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الحجر : ٨]، أي:" إننا لا ننزل الملائكة إلا بالعذاب الذي لا إمهال فيه لمن لم يؤمن"[٥٠٢٦].

عن مجاهد، قوله: "{مَا نُنزلُ الْمَلائِكَة إلا بِالْحَقِّ}، قال: بالرسالة والعذاب"[٥٠٢٧].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ} [الحجر : ٨]، أي:" وما كانوا حين تنزل الملائكة بالعذاب بمُمْهلين"[٥٠٢٨].

قال السدي:" وما كانوا لو تنزلت الملائكة بمنظرين من ان يعذبوا"[٥٠٢٩].

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)} [الحجر : ٩]

التفسير:

إنَّا نحن نزَّلنا القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنَّا نتعهد بحفظه مِن أن يُزاد فيه أو يُنْقَص منه، أو يضيع منه شيء.

عن قتادة، قوله :"{إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ، قال في آية أخرى {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ}، والباطل: إبليس {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ}، فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا، حفظه الله من ذلك"[٥٠٣٠].

وقال قتادة:" وقيل: الهاء في قوله {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه"[٥٠٣١].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠)} [الحجر : ١٠]

التفسير:

ولقد أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- رسلا في فِرَق الأولين.

عن قتادة، قوله :"{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ}، قال: في الأمم"[٥٠٣٢].

القرآن

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)} [الحجر : ١٢]

التفسير:

كما أدخلنا الكفر في قلوب الأمم السابقة بالاستهزاء بالرسل وتكذيبهم، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله وتكذيب رسوله.

(٥٠٢٥) انظر: الكشاف:٥٧١/٢.
(٥٠٢٦) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٢٧) أخرجه الطبري:٦٨/١٧.
(٥٠٢٨) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٣٥):ص٣٣٨٥/٧.
(٥٠٣٠) أخرجه الطبري:٦٨/١٧.
(٥٠٣١) أخرجه الطبري:٦٨/١٧-٦٩.
(٥٠٣٢) أخرجه الطبري:٦٩/١٧.

عن الحسن، قوله: "{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، قال: الشرك"[٥٠٣٣].
عن ابن جريج :"{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، قال: التكذيب"[٥٠٣٤].
عن قتادة :"{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، لا يؤمنون به، قال: إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به"[٥٠٣٥].
عن حميد، قال: "قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة، ففسره أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله :{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، قال: أعمال سيعملونها لم يعملوها"[٥٠٣٦].
وعن حميد الطويل، قال: "قرأت القرآن كله على الحسن، فما كان يفسره إلا على الإثبات، قال: وقفته على نسلكه، قال: الشرك"[٥٠٣٧].
قال: ابن المبارك: "سمعت سفيان في قوله {نَسْلُكُهُ}، قال: نجعله"[٥٠٣٨].

القرآن
{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)} [الحجر : ١٣]
التفسير:
لا يُصَدِّقون بالذكر الذي أُنزل إليك، وقد مضت سنَّة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مِثْلهم، سَيُهْلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب.
قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} [الحجر : ١٣]، أي:" وقد مضت سنَّة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مِثْلهم، سَيُهْلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب"[٥٠٣٩].
قال قتادة:" وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم"[٥٠٤٠].

القرآن
{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)} [الحجر : ١٤]
التفسير:
ولو فتحنا على كفار «مكة» بابًا من السماء فاستمروا صاعدين فيه حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب ملكوت الله.
قوله تعالى:{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ} [الحجر : ١٤]، أي:" ولو فتحنا على كفار «مكة» بابًا من السماء"[٥٠٤١].
قوله تعالى:{فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} [الحجر : ١٤]، أي:" فاستمروا صاعدين فيه حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب ملكوت الله"[٥٠٤٢].
وفي قوله تعالى:{فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} [الحجر : ١٤]، وجهان:
أحدهما : فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه ، قاله الحسن[٥٠٤٣]، وقتادة[٥٠٤٤].
قال الحسن:" لو فعل هذا ببني آدم فظلوا فيه يعرجون أي يختلفون"[٥٠٤٥].
الثاني : فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم ، قاله الضحاك[٥٠٤٦].

(٥٠٣٣) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٤) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٥) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٦) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٧) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٨) أخرجه الطبري:٧٠/١٧.
(٥٠٣٩) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٤٠) أخرجه الطبري:٧١/١٧.
(٥٠٤١) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٤٢) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٤٣) انظر: تفسير الطبري:٧٣/١٧.
(٥٠٤٤) انظر: النكت والعيون:١٥١/٣.
(٥٠٤٥) أخرجه الطبري:٧٣/١٧.

والمعنى على هذا القول: "لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك"[٥٠٤٧].
قال الضحاك:" يعني: الملائكة: يقول: لو فتحتُ على المشركين بابا من السماء، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض"[٥٠٤٨].

القرآن
{لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)} [الحجر : ١٥]
التفسير:
لقالوا: سُحِرَتْ أبصارنا، حتى رأينا ما لم نرَ، وما نحن إلا مسحورون في عقولنا من محمد.
قوله تعالى:{لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} [الحجر : ١٥]، أي:" لقالوا: سُحِرَتْ أبصارنا، حتى رأينا ما لم نرَ"[٥٠٤٩].
وفي قوله تعالى:{لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} [الحجر : ١٥]، وجهان:
أحدها : سُدّت أَبْصَارُنَا، قاله مجاهد[٥٠٥٠]، والضحاك[٥٠٥١]، ورواه ابن جريج عن ابن كثير[٥٠٥٢].
الثاني : أخذت أَبْصَارُنَا، قاله قتادة[٥٠٥٣].
الثالث : خدعت ، قاله جويبر[٥٠٥٤].
الرابع: معناه حبست ، قاله مجاهد [٥٠٥٥]، ومنه قول أوس بن حجر[٥٠٥٦]:
تُزَادُ لَيَالِيَّ في طُولِهَا ... فلَيْسَتْ بِطَلْقٍ ولا ساكِرِهْ
الخامس : أن «سُكِرَتْ» مخففة، يعني: سحرت، و{سُكِّرَتْ} مشددة: يعني: سدّت. قاله قتادة[٥٠٥٧].
وأولى هذه الأقوال بالصواب: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدّ إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحارّ إذا ذهبت فورته، وسكن حدّ حرّه، قد سكر يسكر، قال المثنى بن جندل الطُّهوي[٥٠٥٨]:
جاءَ الشِّتاءُ واجْثَأَلَّ القُبَّرُ ... واستَخْفَتِ الأفْعَى وكانت تَظْهَرُ
وجَعَلَتْ عينُ الحَرُور تَسْكُرُ
أي: تسكن وتذهب وتنطفئ، وقال ذو الرّمَّة[٥٠٥٩]:

(٥٠٤٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٢-٧٣.
(٥٠٤٧) الكشاف:٢/٥٧٣.
(٥٠٤٨) أخرجه الطبري:١٧/٧٣.
(٥٠٤٩) التفسير الميسر:٢٦٢.
(٥٠٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٤٤):ص٧/٢٢٥٩، وتفسير الطبري:١٧/٧٤.
(٥٠٥١) تفسير الطبري:١٧/٧٤.
(٥٠٥٢) تفسير الطبري:١٧/٧٤.
(٥٠٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٥.
(٥٠٥٤)النكت والعيون:٣/١٥١.
(٥٠٥٥)النكت والعيون:٣/١٥١.
(٥٠٥٦)ديوان أوس: ٣٤، ورد في "تهذيب اللغة" (سكر) ٢/ ١٧١٩، "تفسير الماوردي" ٣/ ١٥١ بدايته "فصرن"، "الاقتضاب" ص ٤١٢، "شرح الجواليقي" ص ٢٣٩ ورد فيهما برواية الديوان، "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ١٦٧، "تفسير القرطبي" ١٠/ ٨ بدايته (فصرت)، "اللسان" (سكر) ٤/ ٢٠٤٨.
يقول: خذلت على أن ليلتي ساهرة؛ أي ساهر صاحبها؛ كما تقول نهاره: صائم؛ أي يصوم فيه، والطلق: اليوم الطيب الذي لا حرّ فيه ولا برد، واستطال الليلة لما لقي فيها من الألم والشدة، وذلك أن أوس بن حجر انطلق مسافراً حتى إذا كان بأرض بني أسد بين مكانين يقال لأحدهما شرج، وللآخر ناظره، جالت به ناقته فصرعته فانكسرت فخده.
(٥٠٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٥.
(٥٠٥٨)هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوي، واجثأل: اجتمع وتقبض، والقبر كالقنبر: ضرب من الطير كالعصافير، واحده قبرة وقنبرة، والحرور: الحر. ويقال سكرت عينه تسكر: إذا تحيرت وسكنت عن النظر وسكر الحر يسكر: سكن وخبأ، وقد استشهد بها أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٣٧، ٣٣٨) عند قوله تعالى " سكرت أبصارنا " قال: أي غشيت سمادير، فذهبت وخبا نظرها، قال: جاء الشتاء، الخ وزاد فيها بيتا قبل الآخر، وهو: " وطلعت شمس عليها مغفر ". وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله: أي يذهب حرها ويخبو. وقال أبو عمرو بن العلاء: " سكرت أبصارنا ": مأخوذ عن سكر الشراب، كأن العين لحقها ما يلحق شارب المسكر إذا سكر، وقال الفراء، معناه: حبست ومنعت عن النظر .

قَبْلَ انْصِداعِ الفَجْرِ والتَّهَجْرِ ... وخَوْضُهُنَّ اللَّيلَ حينَ يَسْكُرُ

يعني: حين تسكن فورته. وذُكر عن قيس أنها تقول: سكرت الريح تسكر سكورا، بمعنى: سكنت، وإن كان ذلك عنها صحيحا، فإن معنى سُكِرَت وسُكِّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان"[٥٠٦٠].

قوله تعالى:{بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} [الحجر : ١٥]، أي:" وما نحن إلا مسحورون في عقولنا من محمد"[٥٠٦١].

قال الضحاك:" لقال المشركون: {نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ}، سحرنا وليس هذا بالحقّ. ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية: {لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}"[٥٠٦٢].

القرآن

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦)} [الحجر : ١٦]

التفسير:

ومن أدلة قدرتنا: أنا جعلنا في السماء الدنيا منازل للكواكب تنزل فيها، ويستدل بذلك على الطرقات والأوقات والخِصْب والجَدْب، وزَيَّنَّا هذه السماء بالنجوم لمن ينظرون إليها، ويتأملون فيعتبرون.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الحجر : ١٦]، أي:" ومن أدلة قدرتنا: أنا جعلنا في السماء الدنيا منازل للكواكب تنزل فيها، ويستدل بذلك على الطرقات والأوقات والخِصْب والجَدْب"[٥٠٦٣].

قال مجاهد: يعني: «الكواكب»[٥٠٦٤]. وروي عن قتادة مثله[٥٠٦٥].

وفي رواية عن قتادة، قال: "نجوما"[٥٠٦٦].

وقال أبو صالح:" الكواكب العظام"[٥٠٦٧].

وقال قتادة:" وبروجها: نجومها"[٥٠٦٨]. وقال: "سُميت بروجاً، لظهورها"[٥٠٦٩].

وعن عطية:"{ولقد جعلنا في السماء بروجا}، قال: قصورا في السماء فيها الحرس"[٥٠٧٠].

وقال ابن قتيبة: "أصل البرج: القصر والحِصْن"[٥٠٧١].

القرآن

{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧)} [الحجر : ١٧]

التفسير:

وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم مطرود من رحمة الله; كي لا يصل إليها.

قال قتادة:" «الرجيم»، الملعون"[٥٠٧٢]. وروي عن ابن جريج مثله[٥٠٧٣].

(٥٠٥٩)البيت في ديوان ذي الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩) ص ٢٠٢ وقبله: أَتَتْكَ بالقَوْمِ مَهارٍ ضُمَّرُ ... خُوصٌ بَرَى أَشْرافَها التَّبَكُّرُ

خوص: غائرات العيون، وأشرافها: أسنمَها، والتبكر: سير البكرة، والتهجو: سير الهاجرة، ويسكر: يتسكر الأبصار بظلامه، قوله: والتهجر، بالرفع: معطوف على قوله التبكر، في البيت السابق عليه.

(٥٠٦٠) تفسير الطبري:١٧/٧٥-٧٦.

(٥٠٦١) التفسير الميسر:٢٦٢.

(٥٠٦٢) أخرجه الطبري:١٧/٧٣.

(٥٠٦٣) التفسير الميسر:٢٦٢.

(٥٠٦٤) تفسير مجاهد: ٤١٥.

(٥٠٦٥) تفسير عبدالرزاق(١٤٣٤):ص٢/٢٥٣.

(٥٠٦٦) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١/٤٨٨.

(٥٠٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٦):ص٧/٢٢٥٩.

(٥٠٦٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٧٧.

(٥٠٦٩) نقلا عن: زاد المسير: ٢/٥٢٦.

(٥٠٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٧/٢٢٥٩.

(٥٠٧١) غريب القرآن: ٢٣٦.

(٥٠٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٧/٢٢٥٩.

(٥٠٧٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٨-٧٩.

القرآن
{إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨)} [الحجر : ١٨]
التفسير:
إلا من اختلس السمع مِن كلام أهل الملأ الأعلى في بعض الأوقات، فأدركه ولحقه كوكب مضيء يحرقه.
قوله تعالى:{إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ} [الحجر : ١٨]، أي:" إلا من اختلس السمع مِن كلام أهل الملأ الأعلى في بعض الأوقات"(٥٠٧٤).
عن الضحاك: "{إلا من استرق السمع}، قال: هو كقوله: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ}(٥٠٧٥)"(٥٠٧٦).
قوله تعالى:{فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر : ١٨]، أي:" فأدركه ولحقه كوكب مضيء يحرقه"(٥٠٧٧).
قال الضحاك:" فأتبعه شهاب ثاقب [مبين]"(٥٠٧٨).
وعن نافع بن جبير، ومحمد بن كعب: "أمسكت في أيام الفترة، فلما بُعِث نبيّنا عاد الأمر كهيئته"(٥٠٧٩).

قال وهب بن منبه: "إن لجبرئيل -عليه السلام- بين يدي الله سبحانه مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة والفضيلة، وإن جبرئيل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرئيل ثم لقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات، فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لعنه الله لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث ما أراد، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السموات حتى رفع الله سبحانه عيسى ابن مريم فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله تعالى محمدا -عليه السلام- حجب من الثلاث الباقية، فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات إلى يوم القيامة {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين}.

قال: فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله سبحانه وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال: يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم، لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك، فقال الله سبحانه وتعالى له: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانقض عدو الله حتى وقع إلى الأرض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم وقال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب، وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال.

قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من النار وأحرقت كل شيء آتي عليه، قال له إبليس: فات الإبل ورعاها فانطلق يؤم الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها ويثبتفي مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ينفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق، فلم يزل يحرقها ورعاها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها يراعها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعائها؟ قال أيوب: انها ماله أعارنيه وهو أولى به إذا شاء نزعه، وقديما وطنت مالي ونفسي على الفناء.

قال إبليس: فإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاؤها كلها، فتركت الناس مبهوتين وقفا عليها يتعجبون منها، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور، ومنهم من قال: لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه.

(٥٠٧٤) التفسير الميسر:٢٢٥٩/٧.
(٥٠٧٥)[الصافات : ١٠].
(٥٠٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٩):ص٢٢٥٩/٧.
(٥٠٧٧) التفسير الميسر:٢٢٥٩/٧.
(٥٠٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٩):ص٢٢٥٩/٧.
(٥٠٧٩)ذكره عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر:١٠٥٠/٣، وذكره القرطبي (١٩/ ١٤) عن نافع بن جبير وأبيّ بن كعب، كما أورده الشوكاني في "فتح القدير" (٥/ ٤٣٨) عن نافع.

قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود في التراب، وعريانا أحشر إلى الله سبحانه، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لتقبل روحك مع تلك الأرواح فآجر لي فيك وصرت شهيدا، ولكنه علم منك شرا فاخرك، وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص.

فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه، قال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة اما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فأت الغنم ورعاها فانطلق يأتي الغنم ورعاها حتى إذا توسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها، ومات رعاؤها، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرعاء حتى إذا جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له القول الأول ورد عليه أيوب الرد الأول.

ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه فقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب، فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقي شيئا، قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمهم وذلك حين قرنوا الفدادين وأنسؤوا في الحرث، وأولادها رتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول ورد عليه أيوب مثل رده الأول، فجعل إبليس يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره، كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطن نفسه للصبر على البلاء حتى لم يبق له مال.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف الموقف الذي كان يقفه فقال: إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم قال الله سبحانه: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقض عدو الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين، وانطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، فأخبره بذلك وقال: يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأشفارهم وأجوافهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فبدروا إبليس إلى الله سبحانه وهو أعلم، فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال: يا إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد إنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده، فأنى لك زعم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدنك نعمتك.

فقال الله سبحانه: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله، وكان الله تعالى هو أعلم به، لم سلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب.

وانقض عدو الله إبليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه «١» فأتاه من قبل الأرض في موضع وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم وقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل حكها حتى نفل لحمه وتقطع وتغير وأنتن.

فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهي رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: اليفر ويلدد وصافر ما ابتلاه الله سبحانه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله سبحانه من الذنب الذي عوقبت به، قال: وحضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام

لأسنانكم(٥٠٨٠)، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لا يؤت عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، ثم لم تعلموا أو لم يطلعكم الله على أنه قد سخط شيئا من أمره منذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أن أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، وإن كان البلاء هو الذي أزري به عندكم ووضعه في أنفسكم، فقد علمتم أن الله سبحانه يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم، ولا هو انه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله تعالى بهذه المنزلة إلا أنه أخ اجتبيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم، وهو مكروب جرين، ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن بحزنه ويدله على مراشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم.

ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشية من غير عي ولا بكم، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وبأيامه، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاما لله وإعزازا وإجلالا، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأنزاه برآء، ويعدون أنفسهم مع المقصرين المفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل، ولا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون.

فقال أيوب: إن الله سبحانه يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى ثبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة، ولئن جعل الله تعالى العبد حكيما في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة.

ثم أقبل أيوب على الثلاثة فقال: أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم! لعل الله أن يخلصني، أو قربوا عني قربانا لعل الله يتقبله ويرضى عني، وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوقبتم بإحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التي ألبسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي، معروف حقي، منصف من خصمي، فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فإنكم كنتم على أشد من مصيبتي.

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستعينا به متضرعا إليه فقال: رب لأي شيء خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي، أو يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل لي، ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما؟

الهي أنا عبد ذليل، إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي، إلهي تقطعت أصابعي فإني لأرفع الأكلة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ولحم رأسي، فما بين أذني من سداد حتى أن إحداهما ترى من الأخرى، وإن دماغي يسيل من فمي. تساقط شعر عيني فكأنما حرق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدليتان على خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل منه طعاما إلا غصني، ورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني، تقطعت أمعائي في بطني فإني لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجلي فكأنهما قربتا ماء أطيق حملهما، ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها علي ويعيرني، هلك أولادي ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني، قد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنايعي، أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني، ودعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري

(٥٠٨٠) قال المحقق:" كذا في المخطوط، وفي تفسير الطبري: وأولى به مني لحق أسنانكم، والأصح: لسنكم".

وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه، لرجوت أنيعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلى فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني، فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي منه: يا أيوب إن الله يقول: ها أنا دنوت منك ولم أزل منك قريبا، فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإني لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمار، في فم الأسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم التنين، ويكتال مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه، تذكرت أى مرام رامت بك أردت أن تخاصمني بفيك أم أن تحاجني بخطابك أم أردت ان تكابرني بضعفك؟ أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي تمد بأطرافها، أم تعلم ما بعد زواياها أم على أى شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض، أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق سيبت ولا يحملها دعم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم سخرت البحار ونبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع يطيق حملها أم هل تدري كم من مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود أم من أى شيء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر، أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات، أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد، أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل، وأين طريق النور، وبأى لغة تتكلم الأشجار، وأين خزانة الريح؟ وكيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في الرجال؟ ومن شق الأسماع؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته؟ من قسم للأسد رزقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها؟ من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية، لا تستأنس بالأصوات ولا تهاب المسلطين، أم حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها، أم من حكمتك تبصر العقاب الصيد البصر البعيد وأصبح في أماكن القتلى؟ أين أنت مني يوم خلقت يهموت مكانه في مقطع التراب والوثبان يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال، ورؤسهما كأنها كوم الجبال، وعروق أفخاذها كأنها عمد النحاس، أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا؟ هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي غلبتها يدان؟ هل تبلغ من قوتك أن تضع يدك على رؤوسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت للتنين رزقه في البحر ومسكنه في السحاب؟ عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه تلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه أصوات الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، وتمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء، ليس فيه مفصل الحديد، عنده مثل الطين، والنحاس، عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به، هل أنت آخذه بأحبولتك أو واضع اللجام في شدقه؟ هل تحصي عمره أم هل تعرف تقوت رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ وماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى.

فقال أيوب: قصرت عن هذا الأمر الذي يعرض على ليت الأرض انشقت فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع على البلاء إلهي فجعلتني مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا، ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو نظر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

فقال الله سبحانه: يا أيوب فقد نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك آية، ويكون عبرة لأهل البلاء وغزاء للصابرين ف اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فيه شفاؤك، وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك.

فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها، فاغتسل فأذهب الله عنه كلما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواله مترددة متحيرة ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه؟ فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بمضحكه فاعتنقته.

قال ابن عباس: فو الذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد، فذلك قوله: {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر}"[٥٠٨١].

القرآن

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)} [الحجر : ١٩]

التفسير:

والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبالا تثبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدَّر معلوم مما يحتاج إليه العباد.

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} [الحجر : ١٩]، أي:" والأرض مددناها متسعة"[٥٠٨٢].

عن قتادة، قوله :"{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا}،وقال في آية أخرى {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، وذُكر لنا أن أمّ القرى مكة، منها دُحيت الأرض"[٥٠٨٣].

قوله تعالى:{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} [الحجر : ١٩]، أي:" وألقينا فيها جبالا تثبتها"[٥٠٨٤].

قال قتادة:" رواسيها: جبالها"[٥٠٨٥].

قوله تعالى:{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر : ١٩]، أي:" وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدَّر معلوم مما يحتاج إليه العباد"[٥٠٨٦].

وفي قوله تعالى:{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر : ١٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني مقدر معلوم، قاله سعيد بن جبير[٥٠٨٧]، وقتادة[٥٠٨٨]، والضحاك[٥٠٨٩]، وإنما قيل: «موزون»، لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء . قاله الشاعر[٥٠٩٠] :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقائِكُمْ ذَا مِرَّة ... عِنْدِي لِكُلِّ مُخاصِمٍ مِيزَانُهُ

الثاني : معناه: بقدْر. قاله أبو مالك[٥٠٩١]، وأبو صالح[٥٠٩٢]، وعكرمة[٥٠٩٣].

وقال مجاهد:" مقدور بقدْر"[٥٠٩٤].

وقال أبو مخزوم والحسن:" من كلّ شيء مقدور"[٥٠٩٥].

(٥٠٨١) الكشف والبيان:٦/٢٨٨-٢٩٤. وانظر: تفسير الطبري: ١٨/ ٤٨٣ - ٥٠١.

(٥٠٨٢) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥٠٨٣) أخرجه الطبري:١٧/٧٩.

(٥٠٨٤) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥٠٨٥) أخرجه الطبري:١٧/٧٩.

(٥٠٨٦) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥٠٨٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٨٠.

(٥٠٨٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/٨١.

(٥٠٨٩) انظر: تفسير الطبري:١٧/٨١.

(٥٠٩٠) انظر: ورد بلا نسبة في "معاني القرآن" للفراء:٣/٢٨٧، و"تفسير الماوردي" ٣/ ١٥٤، "تفسير القرطبي" ١٥/ ١٣، "اللسان" (وزن) ٨/ ٤٨٢٩، "تفسير الشوكاني" ٣/ ١٨٠.

(٥٠٩١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٩.

(٥٠٩٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٨٠.

(٥٠٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٧٩-٨٠.

(٥٠٩٤) أخرجه الطبري:١٧/٨٠.

الثالث: يعني به: الأشياء التي توزن، قاله الحسن[٥٠٩٦].
الرابع : ما أنبتت الجبال مثل الكحل وشبهه. قاله عكرمة[٥٠٩٧].
الخامس : معناه مقسوم ، قاله قتادة[٥٠٩٨].
السادس : معناه: معدود ، قاله مجاهد[٥٠٩٩].
والصواب هو" القول الأوّل، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه"[٥١٠٠]، ويؤخذ من الآية فيمن حلف أن لا يستقر في أرض أنه يستقر على الجبال ولا يحنث؛ لدلالة الآية على أنها ليست من الأرض؛ اعتبارا بمجرد اللفظ دون اعتبار العرف العادي[٥١٠١].

القرآن
{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)} [الحجر : ٢٠]
التفسير:
وجعلنا لكم فيها ما به تعيشون من الحَرْث، ومن الماشية، ومن أنواع المكاسب وغيرها، وخلقنا لكم من الذرية والخدم والدوابِّ ما تنتفعون به، وليس رزقهم عليكم، وإنما هو على الله رب العالمين تفضلا منه وتكرمًا.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} [الحجر : ٢٠]، أي:" وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من المطاعم والمشارب"[٥١٠٢].
عن الحسن: :أنها الملابس"[٥١٠٣].
قوله تعالى:{وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} [الحجر : ٢٠]، أي:" وجعلنا لكم من العيال والمماليك والأنعام من لستم له برازقين، لأننا نخلق طعامهم وشرابهم لا أنتم"[٥١٠٤].
وفي قوله تعالى:{وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} [الحجر : ٢٠]، وجهان:
أحدهما : أنها الدواب والأنعام ، قاله مجاهد[٥١٠٥].
الثاني : أنها الوحوش ، قاله منصور[٥١٠٦].
والقصد أنه، تعالى، يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها ، والعبيد والإماء التي يستخدمونها ، ورزْقهم على خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة ، والرزق على الله تعالى[٥١٠٧].

القرآن
{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)} [الحجر : ٢١]
التفسير:
وما من شيء من منافع العباد إلا عندنا خزائنه من جميع الصنوف، وما ننزله إلا بمقدار محدد كما نشاء وكما نريد، فالخزائن بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب رحمته الواسعة، وحكمته البالغة.
قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} [الحجر : ٢١]، أي:" ما من شيء من أزراق الخلق والعباد ومنافعهم إلا عندنا خزائنه ومستودعاته"[٥١٠٨].

(٥٠٩٥) أخرجه الطبري:٨٠/١٧.
(٥٠٩٦) انظر: النكت والعيون:١٥٤/٣.
(٥٠٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٥٢):ص٢٢٦٠/٧.
(٥٠٩٨) انظر: النكت والعيون:١٥٤/٣.
(٥٠٩٩) انظر: النكت والعيون:١٥٤/٣.
(٥١٠٠)تفسير الطبري:٨٢/١٧ .
(٥١٠١) تفسير ابن عرفة:٥٥/٤.
(٥١٠٢) انظر: صفوة التفاسير:١٠٠/٢.
(٥١٠٣) انظر: النكت والعيون:١٥٤/٣.
(٥١٠٤) صفوة التفاسير:١٠٠/٢.
(٥١٠٥) انظر: تفسير الطبري:٨١/١٧-٨٢.
(٥١٠٦)انظر: تفسير الطبري:٨٢/١٧ .
(٥١٠٧) تفسير ابن كثير:٥٢٩/٤.

قال مجاهد:" يعني: «الأنعام والدواب»"[٥١٠٩].

قوله تعالى:{وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر : ٢١]، أي:" ولكن لا ننزله إلا على حسب حاجة الخلق إليه، وعلى حسب المصالح، كما نشاء ونريد"[٥١١٠].

قال الحكم بن عتيبة:" ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل، ولكنه يمطر قوم، ويُحرم آخرون، وربما كان في البحر، قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كلّ قطرة حيث تقع وما تُنبت"[٥١١١].

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أنه قال: «في العرش مثال كل شيء خلقه الله في البر والبحر. وهو تأويل قوله تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه}»[٥١١٢].

روي عن الليث بن سعد، أن عبيد الله بن عمر، قال: "كنا نجالس يحيى بن سعيد، فيسرد كلاما مثل اللؤلؤ، فإذا طلع ربيعة قطع يحيى الحديث، إعظاما لربيعة، وبينا نحن يوما يحدثنا، تلا هذه الآية: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم}، فقال له جميل بن نباتة العراقي، وهو جالس معنا: يا أبا محمد, أرأيت السحر من تلك الخزائن؟، فقال يحيى: سبحان الله، ما هذا من مسائل المسلمين، فقال عبد الله بن أبي حبيبة: إن أبا محمد ليس بصاحب خصومة، ولكن علي, فأقبل، أما أنا فأقول: السحر لا يضر إلا بإذن الله، أفتقول أنت ذاك؟، فسكت، فكأنما سقط عنا جبل "[٥١١٣].

القرآن

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)} [الحجر : ٢٢]

التفسير:

وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلَقِّح السحاب، فيدر بالماء ويمطر، وتلقح الشجر فيتفتح عن أوراقه وأكمامه، وتحمل المطر والخير والنفع، فأنزلنا من السحاب ماء أعددناه لشرابكم وأرضكم ومواشيكم، وما أنتم بقادرين على خزنه وادِّخاره، ولكن نحفظه لكم رحمة بكم، وإحسانًا إليكم.

قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} [الحجر : ٢٢]، أي:" وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلَقِّح السحاب، فيدر بالماء ويمطر، وتلقح الشجر فيتفتح عن أوراقه وأكمامه، وتحمل المطر والخير والنفع"[٥١١٤].

وفي في وجه وصف «الرياح»: باللقح في قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} [الحجر : ٢٢]، وجهان:

أحدها : لواقح السحاب حتى يمطر، قاله الحسن[٥١١٥] وقتادة[٥١١٦]، والضحاك[٥١١٧]، وعبيد بن عمير[٥١١٨]، وإبراهيم النخعي[٥١١٩].

قال إبراهيم:" تلقح السحاب تجمعه"[٥١٢٠].

قال الضحاك:" الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء"[٥١٢١].

قال قتادة:" تلقح الماء في السحاب"[٥١٢٢].

(٥١٠٨) صفوة التفاسير:١٠٠/٢.

(٥١٠٩) تفسير مجاهد: ٤١٦.

(٥١١٠) صفوة التفاسير:١٠٠/٢.

(٥١١١) أخرجه الطبري:٨٤/١٧، وانظر: الكشف والبيان:٣٣٦/٥.

(٥١١٢) الكشف والبيان:٣٣٦/٥.

(٥١١٣) أخرجه الفريابي في القدر(٣٩٠):ص٢١٩-٢٢٠.

(٥١١٤) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥١١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٥٧):ص٢٢٦١/٧.

(٥١١٦) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٧.

(٥١١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٥٨):ص٢٢٦١/٧.

(٥١١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٥٩):ص٢٢٦١/٧.

(٥١١٩) انظر: تفسير ابن كثير:٥٣٠/٤.

(٥١٢٠) تفسير سفيان الثوري(٤٧٠: ٢: ٥):ص١٥٩.

(٥١٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٥٨):ص٢٢٦١/٧.

(٥١٢٢) تفسير عبدالرزاق(١٤٣٦):ص٢٥٤/٢.

عن قتادة، قوله :"{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}، يقول: لواقح السحاب، وإن من الريح عذابا، وإن منها رحمة"[٥١٢٣].

قال عبيد ابن عمير: "يبعث الله المبشرة، فتعم الأرض بماء، ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب فـ {يَجْعَلُهُ كِسَفًا}[٥١٢٤]، ثم يبعث المؤلفة فتؤلف بينه فـ {يَجْعَلُهُ رُكَامًا}[٥١٢٥]، ثم يبعث اللواقح فتلقحه فتمطر"[٥١٢٦].

أخرج البيهقي عن عبد الله مرفوعا: "ما عام بأمطر من عام، ولا هبت جنوب إلا سال وادي"[٥١٢٧].

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الرّيحُ الجَنُوبُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهِيَ الرّيحُ اللَّوَاقِحُ، وَهِيَ التي ذَكَرَ اللهُ تَعالى فِي كِتابِهِ وَفِيها مَنافِعُ للنَّاس"[٥١٢٨].

عن أبي ذر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح بسبع سنين، وإن من دونها بابا مغلقا ، وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب ، ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شيء ، وهي عند الله الأزَيبُ ، وهي فيكم الجنوب"[٥١٢٩].

الثاني: لواقح الشجر والسحاب حتى تمطرهن. وهو مروي عن الحسن[٥١٣٠].

عن أبي رجاء، قال: "قلت للحسن -رضي الله عنه- :{وأرسلنا الرياح لواقح}، قال: لواقح للشجر قلت: أو للسحاب؟ قال: وللسحاب، تمر به حتى تمطر"[٥١٣١].

قال أبو بكر بن عياش: "لا يقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه: فالصبا تهيجه، والدبور تلقحه، والجنوب تدره، والشمال تفرقه"[٥١٣٢].

القرآن

{وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)} [الحجر : ٢٤]

التفسير:

ولقد علمنا مَن هلك منكم مِن لدن آدم، ومَن هو حيٌّ، ومَن سيأتي إلى يوم القيامة.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله [في شأنها][٥١٣٣]:{ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين}"[٥١٣٤].

وفي رواية:" فإذا سجدوا، نظروا إليها من تحت أيديهم"[٥١٣٥].

وقال مروان بن الحكم: "كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء، قال: فأنزل الله "{وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}"[٥١٣٦].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)} [الحجر : ٢٤]، على وجوه:

أحدها : أن «المستقدمين»: من خلق ومن خلا من الأمم، و«المستأخرين»: من لم يخلق، قاله عكرمة[٥١٣٧].

(٥١٢٣) أخرجه الطبري:٨٨/١٧.

(٥١٢٤)[الروم : ٤٨].

(٥١٢٥)[النور : ٤٣].

(٥١٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٥٩):ص٢٢٦١/٧.

(٥١٢٧)السنن: ٣ / ٣٦٣ . وقال: كذا روي مرفوعا، والصحيح أنه موقوف.

(٥١٢٨) أخرجه الطبري:٨٨/١٧. قال ابن كثير في تفسيره:٥٣١/٤:" وهذا إسناد ضعيف ".

(٥١٢٩)مسند الحميدي (٧١/١) وفي إسناده يزيد بن جعدبة كذبه مالك وغيره.

(٥١٣٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٥٧):ص٢٢٦١/٧، وأبو الشيخ في "العظمة": ١٣٤١/٤.

(٥١٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٥٧):ص٢٢٦١/٧.

(٥١٣٢) الكشف والبيان:٣٣٧/٥.

(٥١٣٣) زيادة في الطبري:٩٤/١٧.

(٥١٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٦١).:ص٢٢٦١/٧، والطبري:٩٣/١٧-٩٤.

(٥١٣٥) تفسير الطبري:٩٣/١٧.

(٥١٣٦) أخرجه الطبري:٩٣/١٧.

الثاني : «المستقدمين»: الذين ماتوا، و«المستأخرين»: الذين هم أحياء لم يموتوا ، قاله الضحاك[٥١٣٨].
قال الضحاك:" يقول: علمنا من مات ومن بقي"[٥١٣٩].
الثالث : «المستقدمين»:آدم عليه السلام ومن مضى من ذريته. و«المستأخرين»: من يقي في أصلاب الرجال. قاله مجاهد[٥١٤٠]، وعكرمة[٥١٤١]، وقتادة[٥١٤٢].
وقال عكرمة:" إن الله خلق الخلق ففرغ منهم، فالمستقدمون: من خرج من الخلق، والمستأخرون: من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج"[٥١٤٣].
الرابع: «المستقدمين»: آدم ومن بعده، حتى نزول هذه الآية، و«المستأخرين»:: كلّ من كان من ذرّيته. قاله قتادة ايضا[٥١٤٤].
الخامس: «المستقدمين»: أول الخلق ، و«المستأخرين»: آخر الخلق ، قاله الشعبي[٥١٤٥].
السادس: «المستقدمين»: ما مضى من الأمم. و«المستأخرين»: أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قاله مجاهد[٥١٤٦].
السابع: أن «المستقدمين»: في الخير، و«المستأخرين»: في الشر ، قاله الحسن[٥١٤٧].
قال الحسن:"المتقدمون في طاعة الله، والمستأخرون في معصية الله"[٥١٤٨].
وفي رواية عن الحسن:" «المستقدمين» في الخير، و«المستأخرين»: يقول: المبطئين عنه"[٥١٤٩].
الثامن: «المستقدمين»: في صفوف الحرب ، و«المستأخرين»: فيها ، قاله سعيد بن المسيب[٥١٥٠].
التاسع : «المستقدمين»: الميت والمقتول، و«المستأخرين»: من يلحق بهم من بعد. قاله محمد بن كعب القرظي[٥١٥١].
عن أبي معشر، قال: "سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قول الله {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}، فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: خير صفوف الرجال المقدّم، وشرّ صفوف الرجال المؤخَّر، وخير صفوف النساء المؤخَّر، وشرّ صفوف النساء المقدّم، فقال محمد بن كعب: ليس هكذا، ولقد علمنا المستقدمين منكم: الميت والمقتول، والمستأخرين: من يلحق بهم مِن بعدُ، وإن ربك هو يحشرهم، إنه حكيم عليم، فقال عون بن عبد الله: وفقك الله وجزاك خيرا"[٥١٥٢].
العاشر : «المستقدمين»: في صفوف الصلاة ، و«المستأخرين» فيها. قاله مروان بن الحكم[٥١٥٣]، وأبو الجوزاء[٥١٥٤].
وأولى الأقوال بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ}، وما بعده وهو قوله {وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(٥١٣٧) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٧.
(٥١٣٨) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٧.
(٥١٣٩) أخرجه الطبري:٩١/١٧.
(٥١٤٠) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٧.
(٥١٤١) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٧-٩١.
(٥١٤٢) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٧.
(٥١٤٣) أخرجه الطبري:٩٠/١٧.
(٥١٤٤) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٧.
(٥١٤٥) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٧.
(٥١٤٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٦٧).:ص٢٢٦٢/٧، وتفسير الطبري:٩٢/١٧.
(٥١٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٦٣):ص٢٢٦٢/٧، وتفسير الطبري:٩٣/١٧.
(٥١٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٦٣):ص٢٢٦٢/٧.
(٥١٤٩) أخرجه الطبري:٩٣/١٧.
(٥١٥٠) انظر: النكت والعيون:١٥٧/٣.
(٥١٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٦٦):ص٢٢٦٢/٧، وتفسير الطبري:٩٠/١٧
(٥١٥٢) أخرجه الطبري:٩٠/١٧.
(٥١٥٣) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٧.
(٥١٥٤) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٧.

يَحْشُرُهُمْ}، على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه، ولا جاء بعد. وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصفّ لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حيّ منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلا بأعماله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا. فيكون ذلك تهديدًا ووعيدًا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكلّ من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعدا لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها[٥١٥٥].

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)} [الحجر : ٢٥]

التفسير:

وإن ربك هو يحشرهم للحساب والجزاء، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ} [الحجر : ٢٥]، أي:" وإن ربك هو يحشرهم للحساب والجزاء"[٥١٥٦].

عن قتادة:"{ وإن ربك هو يحشرهم}، قال: الأول والآخر"[٥١٥٧].

قال عكرمة:" يحشر هؤلاء وهؤلاء"[٥١٥٨].

قال السدي:" يحشر المستقدمين والمستأخرين"[٥١٥٩].

قوله تعالى:{إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الحجر : ٢٥]، أي:" إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء"[٥١٦٠].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٥١٦١]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٥١٦٢].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥١٦٣].

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦)} [الحجر : ٢٦]

التفسير:

ولقد خلقنا آدم مِن طين يابس إذا نُقِر عليه سُمع له صوت، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغيِّر لونه وريحه; مِن طول مكثه.

وفي معنى «صَلْصَالٍ»، أقوال:

أحدها : أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، قاله قتادة[٥١٦٤]، ومنه قول الشاعر[٥١٦٥]:

وقاعٍ ترى الصَّلْصال فيه ودونه ... بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

وقال الضحاك:" طين صُلْب يخالطه الكثيب"[٥١٦٦].

(٥١٥٥) تفسير الطبري:٩٤/١٧.

(٥١٥٦) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥١٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٦٨):ص٢٢٦٢/٧.

(٥١٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٦٩):ص٢٢٦٢/٧.

(٥١٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٧٠):ص٢٢٦٢/٧.

(٥١٦٠) التفسير الميسر:٢٦٣.

(٥١٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٥١٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

(٥١٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

(٥١٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٣٧٥):ص٢٢٦٣/٧، وتفسير الطبري:٩٦/١٧.

(٥١٦٥) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وتفسير السمعاني:١٣٧/٣.

(٥١٦٦) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.

وقال مجاهد:" التراب اليابس"[٥١٦٧].. وقال "الصلصال: الذي يصلصل، مثل الخَزَف من الطين الطيب"[٥١٦٨].

الثاني : أنه طين خلط برمل، قاله عكرمة[٥١٦٩].

الثالث : أنه الطين المنتن، قاله مجاهد[٥١٧٠]، مأخوذ من قولهم : «صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ»، إذا أنتن ، قال الشاعر[٥١٧١]:

ذَاكَ فَتًى يَبْذُلُ ذَا قِدْرِهِ ... لَا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولُ

والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخَّار في يُبسه. ولو كان معناه في ذلك المُنتِن لم يشبهه بالفخارِّ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبَّه به في النتن غيره[٥١٧٢].

و«الحمأ»: "جمع حَمْأة، وهو الطين المتَغيِّر إلى السواد""[٥١٧٣].

وفي «مَسْنُونٍ»، قولان:

أحدهما : أن «المسنون»: المنتن المتغير، من قولهم قد أسن الماء إذا تغير ، قاله مجاهد[٥١٧٤]، وقتادة[٥١٧٥]، والضحاك[٥١٧٦]، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت :

سَقَتْ صدايَ رضاباً غير ذي أَسَنٍ ... كالمسكِ فُتَّ على ماءٍ العناقيد

الثاني : أنه الرطب ، قاله ابن عباس أيضا[٥١٧٧]، وابن أبي طلحة[٥١٧٨].

القرآن

{وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)} [الحجر : ٢٧]

التفسير:

وخلقنا أبا الجن، وهو إبليس مِن قَبْل خلق آدم من نار شديدة الحرارة لا دخان لها.

قال الضحاك:" من لهب من نار السموم"[٥١٧٩].

عن الحسن:" {وَالْجَانَّ}: أنه إبليس، خُلق قبل آدم" [٥١٨٠].

قال قتادة:" وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة، فقال: أنا ناريّ، وهذا طينيّ، فكانت السجدة لآدم، والطاعة لله تعالى ذكره، فقال {اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}"[٥١٨١].

عن وهب بن منبه:" وسئل عن الجنّ ما هم، وهل يأكلون أو يشربون، أو يموتون، أو يتناكحون؟ قال: هم أجناس، فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون، وهي هذه التي منها السعالِي والغُول وأشباه ذلك"[٥١٨٢].

(٥١٦٧) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.

(٥١٦٨) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.

(٥١٦٩) انظر: النكت والعيون:١٥٧/٣.

(٥١٧٠) انظر:تفسير الطبري:٩٧/١٧.

(٥١٧١) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وللحطيئة في تفسير القرطبي: ٢١/١٠، وفتح القدير للشوكاني: ١٥٥/٣.

(٥١٧٢) تفسير الطبري:٩٧/١٧.

(٥١٧٣) تفسير الطبري:٩٧/١٧.

(٥١٧٤) انظر: تفسير الطبري:٩٨/١٧.

(٥١٧٥) انظر: تفسير الطبري:٩٨/١٧.

(٥١٧٦) انظر: تفسير الطبري:٩٨/١٧.

(٥١٧٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٧):ص٢٢٦٣/٧، وتفسير الطبري:٩٩/١٧.

(٥١٧٨) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٣.

(٥١٧٩) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.

(٥١٨٠) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٣.

(٥١٨١) أخرجه الطبري:٩٩/١٧.

(٥١٨٢) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.

وفي قوله تعالى:{ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر : ٢٧]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: من لهب النار ، قاله الضحاك[٥١٨٣].
قال الضحاك:" من لهب من نار السموم"[٥١٨٤].
الثاني: يعني: من نار الشمس، إذ خلق الجان والشياطين منها . قاله عمرو بن دينار[٥١٨٥].

القرآن
{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨)} [الحجر : ٢٨]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- حين قال ربك للملائكة: إني خالق إنسانًا من طين يابس، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغيِّر اللون.
قال قتادة:" الصلصال: الطين اليابس يسمع له صلصلة , ثم يكون حمأ مسنونا قد أسن " قال: منتنة"[٥١٨٦].
قال الضحاك:" الصلصال: طين صلب يخالطه الكثيب"[٥١٨٧].
عن مجاهد :"{من صلصال}، قال: التراب اليابس"[٥١٨٨]. وفي رواية أخرى قال:" الصلصال: المنتن"[٥١٨٩].

القرآن
{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)} [الحجر : ٢٩]
التفسير:
فإذا سوَّيته وأكملت صورته ونفخت فيه الروح، فخُرُّوا له ساجدين سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.
قوله تعالى:{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر : ٢٩]، أي:" فإذا سوَّيته وأكملت صورته، ونفخت فيه الروح"[٥١٩٠].
عن الضحاك: "{ونفخت فيه من روحي}، قال: من قدرتي"[٥١٩١].
قوله تعالى:{فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر : ٢٩]، أي:" فخُرُّوا له ساجدين سجود تحية وتكريم"[٥١٩٢].
عن الضحاك: "{فقعوا له ساجدين}، يقول: فاسجدوا له وخروا له سجدا"[٥١٩٣].
قال قتادة:" فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٥١٩٤].

القرآن
{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)} [الحجر : ٣٠ - ٣١]
التفسير:
فسجد الملائكة كلهم أجمعون كما أمرهم ربهم لم يمتنع منهم أحد، لكن إبليس امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة الساجدين.

(٥١٨٣) انظر: تفسير الطبري:١٠٠/١٧.
(٥١٨٤) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.
(٥١٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٨٣):ص٢٢٦٤/٧.
(٥١٨٦) تفسير عبدالرزاق(١٤٤٨):ص٢٥٨/٢.
(٥١٨٧) أخرجه الطبري: ٩٦/١٧.
(٥١٨٨) أخرجه الطبري: ٩٦/١٧.
(٥١٨٩) أخرجه الطبري: ٩٧/١٧.
(٥١٩٠) التفسير الميسر:٢٦٣.
(٥١٩١) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢١.
(٥١٩٢) التفسير الميسر:٢٦٣.
(٥١٩٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢١.
(٥١٩٤) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.

قال قتادة :" حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني. فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم"(٥١٩٥).

عن السُّدّيّ ، قال : كان اسم إبليس (الحارث)، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"(٥١٩٦).

وقد اختلف العلماء هل «إبليس» من الجن أم من الملائكة، على قولين:

القول الأول: أنه كان من الملائكة: ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة، وقال به من العلماء: قتادة(٥١٩٧)، ومحمد بن إسحاق(٥١٩٨)، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب(٥١٩٩)، وهو قول الجمهور(٥٢٠٠).

القول الثاني: أنه من الجن. قاله ولحسن البصري"(٥٢٠١)- صححه عنه ابن كثير- وسعد بن مسعود(٥٢٠٢) و شَهر بن حَوْشب(٥٢٠٣).

قال الحسن البصري -رحمه الله-:" ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس"(٥٢٠٤).

والراجح-والله أعلم- : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم، إذ ذهب عامة أهل العلم إلى أن إبليس وذريته لم يكونوا قط من الملائكة(٥٢٠٥).

(٥١٩٥) تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٤):ص٨٤/١.
(٥١٩٦)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(٥١٩٧) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.
(٥١٩٨) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.
(٥١٩٩) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٢):ص٥٠٤/١.
(٥٢٠٠)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف .مع كتاب الدر المنثور للسيوطي : ٩/ ٥٦٥.
(٥٢٠١) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.
(٥٢٠٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٩):ص٥٠٧/١.
(٥٢٠٣) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص٥٠٦/١-٥٠٧.
(٥٢٠٤) أخرجه الطبري(٦٩٦):ص٥٠٦/١.
(٥٢٠٥)ويدل على ذلك عدة أدلة:

١- قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، فبين الله أن سبب فسقه كونه من الجن،أي أنه من عنصر أو من جنس آخر غير الملائكة، أما الاستثناء في قوله تعلى:(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)، فإنه استثناء منقطع أي أن (إلا) هنا بمعنى (لكن)، وهو كقوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)} [النبأ : ٢٤ - ٢٥]، هذا الاستثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليس من البرد والشراب والمعنى: لكن يطعمون الحميم والغساق.

٢- وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠].

وهنا نص الله أن له ذرية يعني: «نسل» وهم الجن، والملائكة لانسل لهم .فلو كان ملكا لم يكن له نسل.

٣- أن إبليس مخلوق من نار كما قال تعالى حاكيا عن إبليس: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، والملائكة مخلوقة من نور لما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"(٥٢٠٥). ففرق الرسول صلى الله عليه وسلم بين خلق الملائكة وخلق الجن.

٤- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]. فلو كان إبليس ملكا ماعصى الله.

٥- أن الجن الذين هم ذرية إبليس، لهم شهوة للطعام والشراب وغيره، وليس للملائكة شهوة دل على ذلك عدة نصوص منها:

أ- أن الجن سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم لما اجتمعو به عن طعامهم فقال: "كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم..فلاتستنجو بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن "(٥٢٠٥).

ب- قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، والذرية لابد لها من شهوة.

ت- قوله تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]

ث- حديث: "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله"(٥٢٠٥).

فالملائكة من صفتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسبحون الليل ولا يفترون، وما فعله إبليس يعد معصية ولا يتناسب مع صفات الملائكة.

القرآن

{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣)} [الحجر : ٣٢ - ٣٣]

التفسير:

قال الله لإبليس: ما لك ألا تسجد مع الملائكة؟ قال إبليس مظهرًا كبره وحسده: لا يليق بي أن أسجد لإنسان أوجدْتَهُ من طين يابس كان طينًا أسود متغيرًا.

قال ابن سيرين:" أوّل من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"(٥٢٠٦). وروي عن الحسن نحو ذلك"(٥٢٠٧).

القرآن

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤)} [الحجر : ٣٤]

التفسير:

قال الله تعالى له: فاخرج من الجنة، فإنك مطرود من كل خير.

قوله تعالى:{فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [الحجر : ٣٤]، أي:" فإنك مطرود من كل خير"(٥٢٠٨).

قال قتادة:" «الرجيم»: الملعون"(٥٢٠٩).

عن ابن جريج: "{فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}، قال: ملعون. والرجم في القرآن: الشتم"(٥٢١٠).

قال سعيد بن جبير: "لما لعن الله إبليس ، تغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورن رنةً ، فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها"(٥٢١١).

القرآن

{قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)} [الحجر : ٣٦ - ٣٨]

التفسير:

قال إبليس: رب أخِّرني في الدنيا إلى اليوم الذي تَبْعَث فيه عبادك، وهو يوم القيامة، قال الله له: فإنك ممن أخَّرْتُ هلاكهم إلى اليوم الذي يموت فيه كل الخلق بعد النفخة الأولى.

قال السدي:" فلم ينظره إلى يوم البعث، ولكن أنظره إلى الوقت المعلوم"(٥٢١٢).

القرآن

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩)} [الحجر : ٣٩]

التفسير:

قال إبليس: ربِّ بسبب ما أغويتني وأضللتني لأحسِّنَنَّ لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلنهم أجمعين عن طريق الهدى.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر : ٣٩]، أي:" قال إبليس: ربِّ بسبب ما أغويتني وأضللتني"(٥٢١٣).

عن الحسن: "معناه: عذبتني، كقوله تعالى:{فَسَوْفَ يَلْقَونَ غَيّاً} [مريم : ٥٩]، أي: عذاباً(٥٢١٤).

(٥٢٠٦) أخرجه الطبري(١٤٣٥٥):ص٣٢٧/١٢.

(٥٢٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٦):ص٣٢٧/١٢.

(٥٢٠٨) التفسير الميسر:٢٦٤.

(٥٢٠٩) أخرجه الطبري:١٠٢/١٧.

(٥٢١٠) أخرجه الطبري:١٠٢/١٧.

(٥٢١١) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥٣٤/٤-٥٣٥.

(٥٢١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٨٥):ص٢٢٦٤/٧.

(٥٢١٣) التفسير الميسر:٢٦٤.

قال محمد بن كعب القرظي: "قاتل الله القدريّة، لإبليس أعلمُ بالله منهم!"[٥٢١٥].
والرابع : معناه: أهلكتني بلعنك لي[٥٢١٦].

القرآن
{إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)} [الحجر : ٤٠]
التفسير:
إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك.
عن الضحاك :{إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}، يعني: المؤمنين"[٥٢١٧].
عن قتادة :"{إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}، قال قتادة: هذه ثُنِيَّة الله تعالى ذكره"[٥٢١٨].

القرآن
{قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١)} [الحجر : ٤١]
التفسير:
قال الله: هذا طريق مستقيم معتدل موصل إليَّ وإلى دار كرامتي.
وفي قوله تعالى: {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} [الحجر : ٤١]، وجهان من التفسير:
أحدهما : هذا صراط إليَّ مستقيم ، قاله الحسن[٥٢١٩]، فتكون «عليَّ» بمعنى: «إليَّ».
الثاني : أنه وعيد وتهديد، ومعناه: أن طريقه إليَّ ومرجعه عليَّ، كقول القائل لمن يهدده ويوعده : عليَّ طريقك ، وهذا معنى قول مجاهد[٥٢٢٠].
قال مجاهد:" الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه لا يعرج على شيء"[٥٢٢١].
وقرأ الحسن[٥٢٢٢]، ومجاهد[٥٢٢٣]، وابن سيرين[٥٢٢٤]، والنخعي[٥٢٢٥]، وقتادة[٥٢٢٦]،وحميد[٥٢٢٧]، ويعقوب[٥٢٢٨]: «عليٌّ مستقيم» برفع الياء وتنوينها، ومعناه: رفيع مستقيم، أي: رفيع أن ينال ، مستقيم أن يمال[٥٢٢٩].

القرآن

(٥٢١٤) انظر: النكت والعيون:٢٠٦/٢.
(٥٢١٥) أخرجه الطبري(١٤٣٦٣):ص٣٣٤/١٢. ذكر الطبري في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر : ٣٩]، أنه على معنى القسم، وتقديره : فبإغوائك لي {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}، ثم قال:" وكأن قوله {بِمَا أَغْوَيْتَنِي}، خرّج مخرج القسم، كما يقال: بالله، أو بعزّة الله لأغوينهم، وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية، من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسبابَ ذلك إليه، وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان، هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر. وذلك أنّ ذلك لو كان كما قالوا: لكان الخبيث قد قال بقوله: {فبما أغويتني} ،فبما أصلحتني، إذ كان سبب«الإغواء» هو سبب«الإصلاح»، وكان في إخباره عن الإغواء إخبارٌ عن الإصلاح، ولكن لما كان سبباهما مختلفين، وكان السبب الذي به غوَى وهلك من عند الله. أضاف ذلك إليه فقال: {فبما أغويتني}.[تفسير الطبري:٣٣٤/١٢]
(٥٢١٦) انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢، وتفسير القرطبي:١٧٤/٧.
(٥٢١٧) أخرجه الطبري:١٠٣/١٧.
(٥٢١٨) أخرجه الطبري:١٠٣/١٧.
(٥٢١٩) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٧.
(٥٢٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٧-١٠٤.
(٥٢٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٨٦):ص٢٢٦٤/٧.
(٥٢٢٢) انظر: النكت والعيون:١٦١/٣.
(٥٢٢٣) انظر: النكت والعيون:١٦١/٣.
(٥٢٢٤) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٧.
(٥٢٢٥) انظر: النكت والعيون:١٦١/٣.
(٥٢٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٣٨٧):ص٢٢٦٤/٧.
(٥٢٢٧) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٣٤١/٥.
(٥٢٢٨) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٣٤١/٥.
(٥٢٢٩) انظر: معاني القرآن للفراء:٨٩/٢، والنكت والعيون:١٦١/٣، والمبسوط في القراءات العشر:٢٦٠.

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)} [الحجر : ٤٢]

التفسير:

إن عبادي الذين أخلصوا لي لا أجعل لك سلطانًا على قلوبهم تضلُّهم به عن الصراط المستقيم، لكن سلطانك على مَن اتبعك مِنَ الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلا من طاعتي.

عن يزيد بن قسيط، قال: "كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قُراهم، فإذا أراد النبيّ أن يستنبئ ربه عن شيء، خرج إلى مسجده، فصلى ما كتب الله له، ثم سأل ما بدا له، فبينما نبيّ في مسجده، إذا جاء عدوّ الله حتى جلس بينه وبين القبلة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، فقال عدوّ الله: أرأيت الذي تعوَّذ منه فهو هو، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أعُوذُ باللَّهِ مِن الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ فردّد ذلك ثلاث مرّات، فقال عدوّ اللَّه: أخبرني بأيّ شيء تنجو مني، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: بَلْ أخْبِرْني بأيّ شيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ، مرّتين، فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُهُ يقُولُ: {إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}، قال عدوّ اللَّه: قد سمعت هذا قبل أن تولد، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: ويقول اللَّهُ تَعالى ذِكْرُهُ: {وَإمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ باللَّهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وإنّي والله ما أحْسَسْتُ بِكَ قَطُّ إلا اسْتَعَذْتُ بالله مِنْكَ، فقال عدوّ الله: صدقت بهذا تنجو مني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأخْبِرْنِي بأيّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ؟ قال: آخذه عند الغضب، وعند الهوى"[٥٢٣٠].

القرآن

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣)} [الحجر : ٤٣]

التفسير:

وإن النار الشديدة لموعدُ إبليس وأتباعه أجمعين.

القرآن

{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)} [الحجر : ٤٤]

التفسير:

لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر، لكل بابٍ مِن أتباع إبليس قسم ونصيب بحسب أعمالهم.

قوله تعالى:{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} [الحجر : ٤٤]، أي:" لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم"[٥٢٣١].

عن عكرمة: قوله "{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ}، قال: لها سبعة أطباق"[٥٢٣٢].

عن ابن جريج، قوله "{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ}، قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، والجحيم فيها أبو جهل"[٥٢٣٣].

عن هبيرة، عن عليّ، قال: "أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها"[٥٢٣٤].

عن حطان بن عبد الله، قال: "قال عليّ: تدرون كيف أبواب النار؟ قلنا: نعم كنحو هذه الأبواب، فقال: لا ولكنها هكذا، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض، وفعل ذلك أبو بشر"[٥٢٣٥].

وعن حِطان، قال: سمعت عليا وهو يخطب، قال: "إن أبواب جهنم هكذا، ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى"[٥٢٣٦].

عن قتادة، قوله "{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}، وهي والله منازل بأعمالهم"[٥٢٣٧].

(٥٢٣٠) أخرجه الطبري:١٠٥/١٧.
(٥٢٣١) صفوة التفاسير:١٠١/٢.
(٥٢٣٢) أخرجه الطبري:١٠٦/١٧.
(٥٢٣٣) أخرجه الطبري:١٠٧/١٧.
(٥٢٣٤) أخرجه الطبري:١٠٦/١٧.
(٥٢٣٥) أخرجه الطبري:١٠٦/١٧.
(٥٢٣٦) أخرجه الطبري:١٠٦/١٧.
(٥٢٣٧) أخرجه الطبري:١٠٧/١٧.

وقال جويبر ، عن الضحاك : "{ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } قال : باب لليهود ، وباب للنصارى ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا - وهم كفار العرب - وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يُرجى لهم ولا يُرجى لأولئك أبدًا"(٥٢٣٨).

وفي رواية الثعلبي عن أبي سنان عن الضحاك في قول الله: "{لكل باب منهم جزء مقسوم}، قال: للنار سبعة أبواب هي سبعة أدراك بعضها على بعض: فأولها: أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون.والثاني: فيه اليهود.والثالثة: فيه النصارى.والرابع: فيه الصابئون.والخامسة: فيه المجوس.والسادس: فيه مشركوا العرب.والسابع: فيه المنافقون. فذلك قوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء : ١٤٥] الآية"(٥٢٣٩).

وعن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سلَّ السيف على أمتي - أو قال : على أمة محمد"(٥٢٤٠).

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥)} [الحجر : ٤٥]

التفسير:

إن الذين اتقوا الله بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية.

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(٥٢٤١).

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"(٥٢٤٢).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٥٢٤٣).

القرآن

{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦)} [الحجر : ٤٦]

التفسير:

يقال لهم: ادخلوا هذه الجنات سالمين من كل سوء آمنين من كل عذاب.

قال قتادة:" سلموا من عذاب الله وسلم الله عليهم"(٥٢٤٤).

القرآن

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)} [الحجر : ٤٧]

التفسير:

ونزعنا ما في قلوبهم من حقد وعداوة، يعيشون في الجنة إخوانًا متحابين، يجلسون على أسرَّة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلا وتحاببًا.

سبب النزول:

قال علي بن أبي طالب: "فينا والله نزلت أهل بدر: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ}"(٥٢٤٥).

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: "{ونزعنا ما في صدورهم من غل} الآية، قال: نزلت في علي وطلحة والزبير"(٥٢٤٦).

(٥٢٣٨) تفسير ابن كثير:٥٣٦/٤-٥٣٧، وانظر: الكشف والبيان:٣٤٢/٥.

(٥٢٣٩) الكشف والبيان:٣٤٢/٥، وتفسير ابن كثير:٥٣٦/٤

(٥٢٤٠)سنن الترمذي برقم (٣١٢٣) وقال : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول".

(٥٢٤١) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٥٢٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٥٢٤٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٥٢٤٤) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦١):ص٢٣٢/٣.

(٥٢٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٦٦):ص١٤٧٨/٥.

(٥٢٤٦) الدر المنثور:٨٥/٥.

وأخرج الشيرازي في الألقاب وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس :"{ونزعنا ما في صدورهم من غل} قال: نزلت في عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود"[٥٢٤٧].

وعن سفيان عن الكلبي عن أبي صلح في :"قوله :{إخوانا على} يقول: {علي سرر متقابلين}، قال عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ملك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود"[٥٢٤٨].

قوله تعالى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الحجر : ٤٧]، أي:" أزلنا ما في قلوب أهل الجنة من الحقد والبغضاء والشحناء"[٥٢٤٩].

عن الضحاك: "{ونزعنا ما في صدورهم من غل}، قال: العداوة"[٥٢٥٠].

وروي عن الحسن:": أنه غل الجاهلية"[٥٢٥١].

قال السدي:" إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل، فهو «الشراب الطهور»، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم"نضرة النعيم"، فلم يشعثوا ولم يتسخوابعدها أبدا"[٥٢٥٢].

قال الحسن:" بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلامتهم في الدنيا، فيدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل"[٥٢٥٣].

عن أبي نضرة قال:" يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه. ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه"[٥٢٥٤].

قوله تعالى:{إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر : ٤٧]، أي:" حال كونهم إخوةً متحابين لا يكدّر صفوهم شيء، على سررٍ متقابلين وجهاً لوجه"[٥٢٥٥].

وفي قوله تعالى:{مُتَقَابِلِينَ} [الحجر : ٤٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : متقابلين بالوجوه يرى بعضهم بعضاً فلا يصرف طرفه عنه تواصلاً وتحابياً، قاله مجاهد[٥٢٥٦].

قال مجاهد:" لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه"[٥٢٥٧].

الثاني : متقابلين في الزيارة والتواصل ، قاله قتادة[٥٢٥٨].

أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر عن كثير النواء، قال: "قلت لأبي جعفر: إن فلانا حدثني عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي: {ونزعنا ما في صدورهم من غل} قال: والله إنها لفيهم أنزلت وفيمن تنزل إلا فيهم، قلت: وأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تيم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا وأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكوي بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية"[٥٢٥٩].

(٥٢٤٧) الدر المنثور:٥/٨٥.
(٥٢٤٨) تفسير سفيان الثوري(٤٧٤: ٦: ٩):ص١٦٠.
(٥٢٤٩) صفوة التفاسير:٢/١٠٤.
(٥٢٥٠) أخرجه الطبري: ١٧/١٠٨.
(٥٢٥١) انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٤.
(٥٢٥٢) أخرجه الطبري(١٤٦٦٣):ص١٢/٤٣٨-٤٣٩.
(٥٢٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٦٨):ص٥/١٤٧٨.
(٥٢٥٤) أخرجه الطبري(١٤٦٦٤):ص١٢/٤٣٩.
(٥٢٥٥) صفوة التفاسير:٢/١٠٤.
(٥٢٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/١١٠.
(٥٢٥٧) أخرجه الطبري:١٧/١١٠.
(٥٢٥٨) انظر: النكت والعيون:٣/١٦٢.
(٥٢٥٩) الدر المنثور:٥/٨٥.

عن إبراهيم، قال: "جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على عليّ، فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له: أما أهل البلاء فتجفوهم، قال عليّ: بفيك التراب، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله :{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}"[٥٢٦٠].

عن أبي حبيبة مولى لطلحة، قال: "دخل عمران بن طلحة على عليّ بعد ما فرغ من أصحاب الجمل، فرحَّب به وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} ، ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا الله: أعدل من ذلك، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا؟ فقال: عليّ: قوما أبعد أرض وأسحقها. فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة؟"[٥٢٦١].

القرآن

{لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)} [الحجر : ٤٨]

التفسير:

لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء، وهم باقون فيها أبدًا.

قوله تعالى:{لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ} [الحجر : ٤٨]، أي:" لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء"[٥٢٦٢].

عن السدي في قوله: "{لا يمسهم فيها نصب}، قال: المشقة والأذى"[٥٢٦٣].

القرآن

{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)} [الحجر : ٤٩ - ٥٠]

التفسير:

أخبر -أيها الرسول- عبادي أني أنا الغفور للمؤمنين التائبين، الرحيم بهم، وأن عذابي هو العذاب المؤلم الموجع لغير التائبين.

سبب نزول الآيتين[٤٩، ٥٠]:

عن مصعب بن ثابت قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون، فقال: «اذكروا الجنة واذكروا النار»، فنزلت: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}"[٥٢٦٤].

قوله تعالى:{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الحجر : ٤٩]، أي:" أخبر -أيها الرسول- عبادي أني أنا الغفور للمؤمنين التائبين، الرحيم بهم"[٥٢٦٥].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٥٢٦٦]، "{رحيما}، بعباده"[٥٢٦٧].

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"[٥٢٦٨].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"[٥٢٦٩].

قوله تعالى: {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر : ٥٠]، أي:" وأن عذابي هو العذاب المؤلم الموجع لغير التائبين"[٥٢٧٠].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٥٢٧١]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٥٢٧٢].

(٥٢٦٠) أخرجه الطبري:١٠٨/١٧، وابن ابي حاتم(٨٤٦٧):ص١٤٧٨/٥ مختصرا.
(٥٢٦١) أخرجه الطبري:١٠٨/١٧-١٠٩.
(٥٢٦٢) التفسير الميسر:٢٦٤.
(٥٢٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٠٦):ص٢٢٦٨/٧.
(٥٢٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٠٥):ص٢٢٦٧/٧.
(٥٢٦٥) التفسير الميسر:٢٦٤.
(٥٢٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(٥٢٦٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٥٢٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.
(٥٢٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.
(٥٢٧٠) التفسير الميسر:٢٦٤.
(٥٢٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

قال قتادة في الآيتين:" بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله، لما تورع من حرام. ولو يعلم قدر عذابه، لجمع نفسه»"(٥٢٧٣).

عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:" طَلَع عَلَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال: ألا أرَاكُمْ تَضْحَكُونَ؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى، فقال: إنّي لمَّا خَرَجْتُ جاءَ جَبْرَئِيل صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يا مُحَمَّد إنَّ الله يَقُولُ: لِمَ تُقَنِّطُ عبادِي؟ {نبِّئ عبادِي أنّي أنا الغَفُورُ الرَّحيمُ وأنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأليمُ}"(٥٢٧٤).

القرآن

{وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢)} [الحجر : ٥١ - ٥٢]

التفسير:

وأخبرهم -أيها الرسول- عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين بشَّروه بالولد، وبهلاك قوم لوط، حين دخلوا عليه فقالوا: سلامًا، فرد عليهم السلام، ثم قدَّم لهم الطعام فلم يأكلوا، قال: إنا منكم فزعون.

روي عن نوح بن قيس، عن عثمان بن مِحْصن -في ضيف إبراهيم- قال : "كانوا أربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل، ورفائيل. قال نوح بن قيس : فزعم نوح بن أبي شداد أنهم لما دخلوا على إبراهيم ، فقرب إليهم العجل ، مسحه جبريل بجناحه ، فقام يدرج حتى لحق بأمه ، وأم العجل في الدار"(٥٢٧٥).

قال السدّي : "لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صُور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم إبراهيم أجَلَّهم ،{ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } فذبحه ثم شواه في الرضف ، فهو الحنيذ حين شواه، وأتاهم به فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول : «وامرأته قائمة وهو جالس» في قراءة ابن مسعود : "فلما قَربه إليهم قال ألا تأكلون قالوا : يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن. قال فإن لهذا ثمنا. قالوا: وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال : حُق لهذا أن يتخذه ربه خليلا" ، { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } يقول : فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ، ضحكت وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا"(٥٢٧٦).

القرآن

{قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)} [الحجر : ٥٣]

التفسير:

قالت الملائكة له: لا تفزع إنَّا جئنا نبشرك بولد كثير العلم بالدين، هو إسحاق.

قوله تعالى:{قَالُوا لَا تَوْجَلْ} [الحجر : ٥٣]، أي:" قالت الملائكة له: لا تفزع"(٥٢٧٧).

قال عكرمة:" قالوا: لا تخف"(٥٢٧٨).

قرأ الحسن: «لا توجل»، بضم التاء من: أوجله يوجله إذا أخافه. وقرئ: «لا تأجل». و«لا تواجل»، من :واجله، بمعنى: أوجله(٥٢٧٩).

قوله تعالى:{إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الحجر : ٥٣]، أي:" جئنا نبشرك بولد كثير العلم بالدين، هو إسحاق"(٥٢٨٠).

(٥٢٧٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٥٢٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٠٧):ص٢٢٦٨/٧.
(٥٢٧٤) أخرجه الطبري:١١١/١٧.
(٥٢٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.
(٥٢٧٦) تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.
(٥٢٧٧) التفسير الميسر:٢٦٥.
(٥٢٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٠٨):ص٢٢٦٨/٧.
(٥٢٧٩) انظر: الكشاف:٥٨٠/٢.
(٥٢٨٠) التفسير الميسر:٢٦٥.

قال مجاهد:" يعني: إسماعيل"[٥٢٨١].

القرآن
{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤)} [الحجر : ٥٤]
التفسير:
قال إبراهيم متعجبًا: أبشَّرتموني بالولد، وأنا كبير وزوجتي كذلك، فبأي أعجوبة تبشِّرونني؟
قوله تعالى:{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ} [الحجر : ٥٤]، أي:" قال إبراهيم أبشرتموني بالولد على حالة الكبر والهرم"[٥٢٨٢].
عن مجاهد: "{عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ}، ومعناه: لأن مسني الكبر وبأن مسني الكبر"[٥٢٨٣].
قوله تعالى:{فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر : ٥٤]، أي:" فبأي شيء تبشروني؟"[٥٢٨٤].
قال مجاهد:" عجب من كبره، وكبر امرأته"[٥٢٨٥].

القرآن
{قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥)} [الحجر : ٥٥]
التفسير:
قالوا: بشَّرناك بالحق الذي أعلمَنا به الله، فلا تكن من اليائسين أن يولد لك.
قوله تعالى:{فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ} [الحجر : ٥٥]، أي:" فلا تكن من اليائسين أن يولد لك"[٥٢٨٦].
عن السدي :"{من القانطين}، قال: الآيسين"[٥٢٨٧].

القرآن
{قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)} [الحجر : ٥٦]
التفسير:
قال: لا ييئس من رحمة ربه إلا الخاطئون المنصرفون عن طريق الحق.
عن السدي :"{ومن يقنط من رحمة ربه}، قال: من ييأس من رحمة ربه"[٥٢٨٨].
عن موسى بن علي، عن أبيه، قال: بلغني إن نوحا عليه السلام قال لابنه سام: يا بني، لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الشرك بالله فإنه من يأت الله عز وجل مشركا فلا حجة له. ويا بني، لا تدخل القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الكبر فإن الكبر رداء الله، فمن ينازع الله رداءه يغضب الله عليه. ويا بني، لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من القنوط فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا ضال"[٥٢٨٩].

القرآن
{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧)} [الحجر : ٥٧]
التفسير:
قال: قال إبراهيم ما شأنكم وما أمركم الذي جئتم من أجله -أيها المرسلون- من عند الله؟
قال السدي:" قال: ما خطبُكم أيها المرسلون؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط قال، أرأيتم إن كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا! فلم يزل يحُطَّ حتى بلغ عشرة من المسلمين، فقالوا:

(٥٢٨١) تفسير مجاهد: ٦١٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٦٠):ص٣٣١٢/١٠.
(٥٢٨٢) صفوة التفاسير:١٠٤/٢.
(٥٢٨٣) أخرجه الطبري:١١٣/١٧.
(٥٢٨٤) صفوة التفاسير:١٠٤/٢.
(٥٢٨٥) أخرجه الطبري:١١٢/١٧-١١٣.
(٥٢٨٦) التفسير الميسر:٢٦٥.
(٥٢٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤١٠):ص٢٢٦٨/٧.
(٥٢٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤١٢):ص٢٢٦٨/٧.
(٥٢٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤١٣):ص٢٢٦٨/٧-٢٢٦٩.

لا نعذبهم، إن كان فيهم عشرة من المسلمين، ثم قالوا: "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين " هو لوط وأهل بيته، وهو قول الله تعالى ذكره: {يجادلنا في قوم لوط}. فقالت الملائكة: {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"[٥٢٩٠].

عن أبي المثني، ومسلم أبو الحبيل الأشجعي قالا: "... قال إبراهيم: أتعذب عالمًا من عالمك كثيرًا، فيهم مائة رجل؟ قال: لا وعزتي، ولا خمسين! قال: فأربعين؟ فثلاثين؟ حتى انتهى إلى خمسة. قال: لا! وعزتي لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني! قال الله عز وجل: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [سورة الذاريات:٣٦] ، أي لوطًا وابنتيه، قال: فحلّ بهم من العذاب، قال الله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [سورة الذاريات:٣٧] ، وقال: {فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط}"[٥٢٩١].

القرآن

{قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) {إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) {إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ(٦٠)} [الحجر : ٥٨-٦٠]

التفسير:

قالوا: إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط المشركين الضالين إلا لوطًا وأهله المؤمنين به، فلن نهلكهم وسننجيهم أجمعين، لكن زوجته الكافرة قضينا بأمر الله بإهلاكها مع الباقين في العذاب.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ} [الحجر : ٥٨]، أي:" قالوا: إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط المشركين الضالين لإهلاكهم"[٥٢٩٢].

عن السدي:" {المجرمون}: وهم المشركون"[٥٢٩٣].

قوله تعالى: {إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} [الحجر : ٥٩] ، أي: إلا لوطًا وأهله المؤمنين به، فلن نهلكهم وسننجيهم أجمعين، لكن زوجته الكافرة قضينا بأمر الله بإهلاكها مع الباقين في العذاب"[٥٢٩٤].

عن إبراهيم النخعي:" {قَدَّرْنَا}، معناه: قضينا"[٥٢٩٥].

عن قتادة: {إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ}،، قال: «ممن غبر فهلك»"[٥٢٩٦].

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢)} [الحجر : ٦١ - ٦٢]

التفسير:

فلما وصل الملائكة المرسلون إلى لوط، قال لهم: إنكم قوم غير معروفين لي.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الحجر : ٦٢]، أي:" قال لهم: إنكم قوم غير معروفين لي"[٥٢٩٧].

قال مجاهد:" أنكرهم لوط"[٥٢٩٨].

القرآن

{قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣)} [الحجر : ٦٣]

التفسير:

(٥٢٩٠) أخرجه الطبري(١٨٣٤٥):ص٤٠٤/١٥.

(٥٢٩١) أخرجه الطبري(١٨٣٤٨):ص٤٠٥/١٥.

(٥٢٩٢) التفسير الميسر:٢٦٥.

(٥٢٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.

(٥٢٩٤) التفسير الميسر:٢٦٥.

(٥٢٩٥) انظر: النكت والعيون:١٦٤/٣.

(٥٢٩٦) تفسير عبدالرزاق(١٤٥٠):ص٢٥٨/٢.

(٥٢٩٧) التفسير الميسر:٢٦٥.

(٥٢٩٨) أخرجه الطبري:١١٥/١٧.

قالوا: لا تَخَفْ، فإنَّا جئنا بالعذاب الذي كان يشك فيه قومك ولا يُصَدِّقون.
عن مجاهد:"{بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ}، قال. بعذاب قوم لوط"[٥٢٩٩].

القرآن
{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)} [الحجر : ٦٥]
التفسير:
فاخرج مِن بينهم ومعك أهلك المؤمنون، بعد مرور جزء من الليل، وسر أنت وراءهم; لئلا يتخلف منهم أحد فينالَه العذاب، واحذروا أن يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه كذلك، وأسرعوا إلى حيث أمركم الله; لتكونوا في مكان أمين.
قوله تعالى:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} [الحجر : ٦٥]، أي:" سرْ بأهلك في طائفةٍ من الليل"[٥٣٠٠].
وفي قوله تعالى:{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} [الحجر : ٦٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما : بسواد من الليل. حكاه الماوردي عن قتادة[٥٣٠١].
الثاني : بالسحر الأول. قاله أبو صخر[٥٣٠٢].
الثالث : بطائفة من الليل. قاله قتادة-أيضا-[٥٣٠٣].
الرابع: ببقية من الليل. قاله الضحاك[٥٣٠٤].
الخامس: بعد مضي صدر من الليل. قاله قتادة[٥٣٠٥].
قوله تعالى:{وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ} [الحجر : ٦٥]، أي:" كنْ من ورائهم وسرْ خلفهم لتطمئنَّ عليهم"[٥٣٠٦].
قال قتادة:" أُمِر أن يكون خلف أهله، يتبع أدبارهم في آخرهم إذا مشوا"[٥٣٠٧].
قوله تعالى:{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} [الحجر : ٦٥]، أي:" لا يتلفتْ أحد منكم وراءه لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم فيرتاع"[٥٣٠٨].
قال مجاهد:" لا ينظر وراءه أحد"[٥٣٠٩]. وفي رواية:" لا يلتفت وراءه أحد، ولا يُعَرِّج"[٥٣١٠].
قوله تعالى:{وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر : ٦٥]، أي:" سيروا حيث يأمركم الله عَزَّ وَجَلَّ"[٥٣١١].
قال السدي:" أخرجهم الله إلى الشام"[٥٣١٢].

القرآن
{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦)} [الحجر : ٦٦]
التفسير:
وأوحينا إلى لوط أن قومك مستأصَلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح.
قوله تعالى:{أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} [الحجر : ٦٦]، أي:" أن قومك مستأصَلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح"[٥٣١٣].

(٥٢٩٩) أخرجه الطبري:١١٥/١٧.
(٥٣٠٠) صفوة التفاسير:١٠٥/٢.
(٥٣٠١) انظر: النكت والعيون:٤٩١/٢.
(٥٣٠٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٨٥):ص٢٠٦٥/٦.
(٥٣٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٨٤):ص٢٠٦٥/٦.
(٥٣٠٤) انظر: تفسير القرطبي:٧٩/٩.
(٥٣٠٥) انظر: تفسير القرطبي:٧٩/٩.
(٥٣٠٦) صفوة التفاسير:١٠٥/٢.
(٥٣٠٧) اخرجه الطبري:١١٦/١٧.
(٥٣٠٨) صفوة التفاسير:١٠٥/٢.
(٥٣٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٨٧):ص٢٠٦٦/٦.
(٥٣١٠) أخرجه الطبري:١١٦/١٧.
(٥٣١١) صفوة التفاسير:١٠٥/٢.
(٥٣١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤١٦):ص٢٢٦٩/٧.

قال السدي:" استؤصلوا"[٥٣١٤].
عن أبي مالك، قوله: {دابر}، يعني: أصل"[٥٣١٥].
وقرأ الأعمش: «إن»، بالكسر على الاستئناف، كأن قائلا قال: أخبرنا عن ذلك الأمر، فقال: إن دابر هؤلاء. وفي قراءة ابن مسعود: «وقلنا إن دابر هؤلاء»[٥٣١٦].

القرآن
{وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)} [الحجر : ٦٧]
التفسير:
وجاء أهل مدينة لوط إلى لوط حين علموا بمن عنده من الضيوف، وهم فرحون يستبشرون بضيوفه; ليأخذوهم ويفعلوا بهم الفاحشة.
قال قتادة:" استبشروا بأضياف نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لوط، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر"[٥٣١٧].

القرآن
{قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩)} [الحجر : ٦٨ - ٦٩]
التفسير:
قال: هؤلاء ضيوفي فلا تقصدوهم بسوء فتُلحقوا بي العار وتفضحوني أمامهم، خافوا الله أن يحلَّ بكم عقابه، ولا تهينوني بالتعرض لهم بالمكروه.
قال وهب بن منبه: "فدخلوا على لوط –يعني: الملائكة- فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قوم لم نر قوما أحسن منهم ولا أجمل، فتسامعوا بذلك، فغشوا دار لوط من كل ناحية تسوروا عليهم الجدران، فلقيهم لوط، فقال: يا قوم لا تفضحوني في ضيفي، وإني أزوجكم بناتي، فـ {هن أطهر لكم}، فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهم، ولكن لا بد لنا من هؤلاء القوم الذين نزلوا بك، خل بيننا وبينهم"[٥٣١٨].

القرآن
{قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)} [الحجر : ٧٠]
التفسير:
قالوا ألم نمنعك عن ضيافة أحد؟
قال قتادة:" ألم ننهك أن تضيف أحدا؟"[٥٣١٩].

القرآن
{قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١)} [الحجر : ٧١]
التفسير:
قال لوط لهم: هؤلاء نساؤكم بناتي فتزوَّجوهن إن كنتم تريدون قضاء وطركم.
قال قتادة:" أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته"[٥٣٢٠].
وقوله تعالى:{ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي}[الحجر : ٧١]، فيهن قولان:

(٥٣١٣) التفسير الميسر:٢٦٥.
(٥٣١٤) أخرجه الطبري(١٣٢٤٣):ص٣٦٤/١١.
(٥٣١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٢):ص١٦٦٢/٥.
(٥٣١٦) انظر: الكشاف:٥٨٤/٢-٥٨٥.
(٥٣١٧) أخرجه الطبري:١١٧/١٧.
(٥٣١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٧٠):ص٢٠٦٣/٦.
(٥٣١٩) أخرجه الطبري:١١٧/١٧.
(٥٣٢٠) أخرجه الطبري:١١٨/١٧.

أحدهما : أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه. قاله مجاهد[٥٣٢١].
قال مجاهد:" لم يكن بناته ولكن كن من أمته، وكل نبي أبو أمته"[٥٣٢٢].
وقال سعيد بن جبير :" إنما دعاهم إلى نسائهم، قال: وكل نبي هو أبو أمته، وكان في بعض القراءة :«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»"[٥٣٢٣].
الثاني : أنه أراد بنات نفسه وأولاد صلبه لأن أمره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن ، وهو معنى كعب[٥٣٢٤].
عن كعب :" {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم}[٥٣٢٥]، قال: تزوجوهن"[٥٣٢٦].
فإن قيل : كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته ؟
قيل عن هذا جوابان :
أحدهما : أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة ، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ ، قاله الحسن[٥٣٢٧].
الثاني : أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا بخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح[٥٣٢٨].

القرآن
{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)} [الحجر : ٧٢]
التفسير:
وحياتك يا محمد، إن قوم لوط لفي ضلالهم وجهلهم يتخبطون ويترددون.
عن قتادة، قوله :" {لَعَمْرُكَ}: هي كلمة من كلام العرب، {لَفِي سَكْرَتِهِمْ}، أي: في ضلالتهم، {يَعْمَهُونَ}: أي يلعبون"[٥٣٢٩].
قال الأعمش:" لفي غفلتهم يتردّدون"[٥٣٣٠].
عن مجاهد:{يَعْمَهُونَ}، قال: يتردّدون"[٥٣٣١].
قال إبراهيم: "كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري، يرونه كقوله: وَحَيَاتِي"[٥٣٣٢].

القرآن
{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣)} [الحجر : ٧٣]
التفسير:
فأخذتهم صيحةُ العذاب المهلكة المدمرة وقت شروق الشمس.
قال الحسن: "الصيحة: العذاب"[٥٣٣٣].
قال السدي:" صيحة جبريل {مشرقين} حين أشرقت الشمس"[٥٣٣٤].
قال ابن جريج:" حين أشرقت الشمس ذلك: {مشرقين}"[٥٣٣٥].

(٥٣٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٦٦):ص٢٠٦٢/٦.
(٥٣٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٦):ص٢٠٦٢/٦.
(٥٣٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٧):ص٢٠٦٢/٦. والآية في [سورة الأحزاب : ٦].
(٥٣٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٥):ص٢٠٦٢/٦.
(٥٣٢٥)[هود : ٧٨].
(٥٣٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٥):ص٢٠٦٢/٦.
(٥٣٢٧) انظر: النكت والعيون:٤٨٨/٢.
(٥٣٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٦٨):ص٢٠٦٣/٦.
(٥٣٢٩) أخرجه الطبري:١١٨/١٧.
(٥٣٣٠) أخرجه الطبري:١١٨/١٧.
(٥٣٣١) أخرجه الطبري:١١٩/١٧.
(٥٣٣٢) أخرجه الطبري:١١٩/١٧.
(٥٣٣٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٤٠١/١، وابن أبي زمنين في "التفسير": ٢٠٠/٣.
(٥٣٣٤) ذكره ابن أبي زمنين: ٣٨٩/٢.
(٥٣٣٥) أخرجه الطبري:١١٩/١٧.

القرآن

{فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)} [الحجر : ٧٤]

التفسير:

فقلبنا قُراهم فجعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين.

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} [الحجر : ٧٤]، أي:" فقلبنا قُراهم فجعلنا عاليها سافلها"(٥٣٣٦).

قال مجاهد: "أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وامتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم"(٥٣٣٧).

قال قتادة:" بلغنا أن جبريل عليه السلام أخذ بعُرْوة القرية الوُسْطى، ثم ألوَى بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء ضَواغِي كلابهم، ثم دمَّر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم الحجارة، قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف"(٥٣٣٨).

عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم، فاحتملها بجناحه، ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله: {جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل}، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات، وكنّ خمس قريات، "صنعة" و"صعوة" "وعثرة"، و"دوما" و"سدوم" -وسدوم هي القرية العظمى -ونجى الله لوطًا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك"(٥٣٣٩).

قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [الحجر : ٧٤]، أي:" وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين"(٥٣٤٠).

وفي قوله تعالى:{ مِنْ سِجِّيلٍ}[الحجر : ٧٤]، قولان:

أحدهما : أنه فارسي معرب، وهو: «سنك وكيل»، فالسنك : الحجر ، و«الكيل» الطين، قاله مجاهد(٥٣٤١)، وسعيد بن جبير(٥٣٤٢)، وعكرمة(٥٣٤٣)، ووهب(٥٣٤٤).

الثاني : فارسية ونبطية: «سج»، «إيل». قاله سعيد بن جبير(٥٣٤٥).

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤](٥٣٤٦).

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)} [الحجر : ٧٥]

التفسير:

إن فيما أصابهم لعظاتٍ للناظرين المعتبرين.

وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} [الحجر : ٧٥]، وجوه:

(٥٣٣٦) التفسير الميسر:٢٦٦.

(٥٣٣٧) أخرجه الطبري(١٨٤٥٨):ص٤٤٠/١٥.

(٥٣٣٨) أخرجه الطبري(١٨٤٦٢):ص٤٤١/١٥.

(٥٣٣٩) أخرجه الطبري(١٨٤٦٦):ص٤٤٢/١٥-٤٤٣.

(٥٣٤٠) التفسير الميسر:٢٦٦.

(٥٣٤١) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٤)-(١٨٤٢٧):ص٤٣٣/١٥.

(٥٣٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٨):ص٤٣٣/١٥.

(٥٣٤٣) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٧.

(٥٣٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣١):ص٤٣٣/١٥.

(٥٣٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٥):ص٤٣٦/١٥. قال الطبري:" فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية "جل " لا "إيل"، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان "سِجْل " لا "سجيل"، لأن الحجر بالفارسية يدعى "سج "والطين "جل"، فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية".[تفسير الطبري:٤٣٦/١٥].

(٥٣٤٦) تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

أحدها : للمتفرّسين، قاله مجاهد [٥٣٤٧].
قال أعل العمل: "حقيقته في اللغة المتوسمون النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء، تقول: توسمت في فلان كذا وكذا، أي: عرفت وسم ذلك فيه"[٥٣٤٨].
وروي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"[٥٣٤٩]، ثم تلا هذه الآية.
وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم "[٥٣٥٠].
الثاني : للناظرين. قاله الضحاك[٥٣٥١]. قال زهير بن أبي سلمى[٥٣٥٢]:
وفيهنّ مَلْهًى للَّطِيفِ ومنظَرٌ ... أنيقٌ لعَيْنِ النَّاظرِ المُتَوسِّمِ
الثالث: للمعتبرين ، قاله قتادة[٥٣٥٣].
الرابع: وهو قول الحسن -:"هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار "[٥٣٥٤].
فيمكن القول بأن أصل «التوسم»: تفعل، من «الوسم»، وهو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسمه فيه، أي علامته التي تدل عليه... وللعلماء فيه أقوال متقاربة يرجع معناها كلها إلى شيء واحد[٥٣٥٥].

القرآن
{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦)} [الحجر : ٧٦]
التفسير:
وإن قراهم لفي طريق ثابت يراها المسافرون المارُّون بها.
وفي قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ} [الحجر : ٧٦]، وجهان:
أحدهما: لبطريق واضح، قاله مجاهد[٥٣٥٦]، وقتادة[٥٣٥٧]، وبه قال الزجاج[٥٣٥٨].
الثاني: لبطريق معلم. قاله مجاهد-أيضا-[٥٣٥٩]، والضحاك[٥٣٦٠].

(٥٣٤٧) انظر: تفسير الطبري:١٢٠/١٧.
(٥٣٤٨) معاني القرآن:١٨٤/٣.
(٥٣٤٩)حديث أبى سعيد: أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٣٥٤/٧) ، والترمذى (٢٩٨/٥، رقم ٣١٢٧) ، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم فى الحلية (٢٨١/١٠) . وأخرجه أيضا: الطبرى (٤٦/١٤) .
حديث أبى أمامة: أخرجه الطبرانى (١٠٢/٨ رقم ٧٤٩٧) قال الهيثمى (٢٦٨/١٠) : إسناده حسن. والحكيم (٨٦/٣) ، وابن عدى (٢٠٦/٤، ترجمة ١٠١٥ عبد الله بن صالح) ، والخطيب (٩٩/٥) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الأوسط (٣١٢/٣، رقم ٣٢٥٤) ، والقضاعى (٣٨٧/١، رقم ٦٦٣) .
حديث ابن عمر: أخرجه الطبرى (٤٦/١٤) .
ومن غريب الحديث: "اتقوا فراسة المؤمن": هى ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والتخمين.
(٥٣٥٠) أخرجه الطبري:١٢١/١٧.
(٥٣٥١) انظر: تفسير الطبري:١٢٢/١٧.
(٥٣٥٢)شرح ديوان زهير" ص ٣٧، وورد في: "شرح القصائد السبع الطوال" ص ٢٥٢، وورد برواية: (للصديق) بدل (للطيف) في "تفسير الماوردي" ٣/ ١٦٧، و"أشعار الشعراء الستة الجاهليين" ١/ ٢٨٠، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ٤٣. (ملهى) اللهو أو موضعه، (اللطيف) يعني نفسه، يتلطف في الوصول إليهن، (أنيق) المعجِب، (المتوسم) المتثبت، وقيل: الناظر الذي يتفرّس في نظره، كأنه يطلب شيئًا من سِمته، يعرفها به، والوسامة: الحُسن.
(٥٣٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٢١/١٧.
(٥٣٥٤) النكت والعيون:١٦٧/٣-١٦٨.
(٥٣٥٥) أضواء البيان:٢٨٦/٢.
(٥٣٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٢٩):ص٢٢٧٠/٧.
(٥٣٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٢٢/١٧.
(٥٣٥٨) انظر: معاني القرآ،:١٨٥/٣.
(٥٣٥٩) انظر: تفسير الطبري:١٢٢/١٧.
(٥٣٦٠) انظر: تفسير الطبري:١٢٣/١٧.

القرآن
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)} [الحجر : ٧٧]
التفسير:
إن في إهلاكنا لهم لدلالةً بيِّنةً للمصدقين العاملين بشرع الله.
عن سعيد بن جبير، في قوله :"{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}، قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"(٥٣٦١).

القرآن
{وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨)} [الحجر : ٧٨]
التفسير:
وقد كان أصحاب المدينة الملتفة الشجر -وهم قوم شعيب- ظالمين لأنفسهم لكفرهم بالله ورسولهم الكريم.
قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة، وكان عامة شجرهم هذا الدوم، وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى. أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة. وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوش. ذكر لنا أنه سلط عليهم الحر سبعة أيام لا يظلهم منه ظل ولا يمنعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة فجعلوا يلتمسون الروح منها، فجعلها الله عليهم عذابا، بعث عليهم نارا فاضطرمت عليه فأكلتهم. فذلك : {عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الشعراء : ١٨٩] "(٥٣٦٢).
عن خصيف، قال، قوله "{أصحاب الأيكة}، قال: الشجر، وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة، وفي الشتاء اليابسة"(٥٣٦٣).
قال محمد بن كعب القرظي: "إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب: أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد، ففرقوا إن يدخلوا البيوت إن تسقط عليهم، فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال: ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد! ... هلموا أيها الناس. فدخلوا جميعا تحت الظلة، فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا"(٥٣٦٤).
وفي معنى: «الْأَيْكَةِ»، قولان:
أحدهما : أنها الغَيْضَة(٥٣٦٥)، قاله سعيد بن جبير(٥٣٦٦)، ومجاهد(٥٣٦٧)، والضحاك(٥٣٦٨)، والسدي(٥٣٦٩).
قال مقاتل:" وكان أكثر الشجر: الدوم وهو المقل"(٥٣٧٠).
الثاني : أنه االشجر الملتف المجتمع، وهذا قول قتادة(٥٣٧١). ومنه قول أمية(٥٣٧٢):
كَبُكا الحَمامِ عَلى فُرُو ... عِ الأيْكِ في الغُصُنِ الجَوَانِحْ

(٥٣٦١) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٥٣٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٣٠):ص٢٢٧٠/٧-٢٢٧١.
(٥٣٦٣) أخرجه الطبري:١٢٤/١٧.
(٥٣٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٣٣):ص٢٢٧٠/٧-٢٢٧١.
(٥٣٦٥)أي الأجَمَة: وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء. انظر: "جمهرة اللغة" ٢/ ٩٥٧، "الصحاح" (غيض) ٣/ ١٠٩٧.
(٥٣٦٦) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٧.
(٥٣٦٧) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٣.
(٥٣٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٢٥/١٧.
(٥٣٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٥.
(٥٣٧٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣٤/٢.
(٥٣٧١) انظر: تفسير الطبري:١٢٥/١٧.
(٥٣٧٢)البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي، ولم أجده في ديوانه، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣: ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتلى بدر وأولها ألا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام ... البيت. والأيك: الشجر الملتف، واحدته أيكة، والجوانح: الموائل. يقول: جنح: إذا مال. وفي (اللسان أيك) : الأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السد والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وخص بعضهم به منت الأثل ومجتمعه.

ومنه قول النابغة الذبياني[٥٣٧٣]:
تَجْلُو بِقادمَتَيْ حَمَامَةِ أيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفّ لِثاثُهُ بالإثْمِد
قال أهل العلم:{ الأيكة}، " أي: أصحاب الشجر، و«الأيك» الشجر، وهؤلاء أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم الله منهم بكفرهم، قيل إنه أخذهم الحر أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم"[٥٣٧٤].

القرآن
{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩)} [الحجر : ٧٩]
التفسير:
فانتقمنا منهم بالرجفة وعذاب يوم الظلة، وإن مساكن قوم لوط وشعيب لفي طريق واضح يمرُّ بهما الناس في سفرهم فيعتبرون.
قوله تعالى:{وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ} [الحجر : ٧٩]، أي:" وإن مساكن قوم لوط وشعيب لفي طريق واضح يمرُّ بهما الناس في سفرهم فيعتبرون"[٥٣٧٥].
وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ} [الحجر : ٧٩]، ثلاثة وجوه:
أحدها : بطريق معلم. قاله مجاهد[٥٣٧٦].
الثاني: لبطريق واضح. قاله قتادة[٥٣٧٧].
الثالث: بطريق مستبين. قاله الضحاك[٥٣٧٨]، والسدي[٥٣٧٩].

القرآن
{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠)} [الحجر : ٨٠]
التفسير:
ولقد كذَّب سكان «وادي الحِجْر» صالحًا عليه السلام، وهم ثمود فكانوا بذلك مكذبين لكل المرسلين.
قال قتادة:" كان أصحاب الحجر ثمود، قوم صالح"[٥٣٨٠].
اختلف أهل التفسير في معنى«الْحِجْرِ»، على أقوال:
أحدها : أنه الوادي، قاله قتادة[٥٣٨١].
الثاني : أنها مدينة ثمود ، قاله ابن شهاب[٥٣٨٢].
عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال -وهو بالحجر-: "هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال"[٥٣٨٣].

(٥٣٧٣)البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٨٥) قال شارحه: تجلو: تكشف. والقوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. ويكون شديد السواد. شبه سواد شفتيها بالقوادم؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد. واللثاث: مغارز الأسنان، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد، ليبين بياض الأسنان. اهـ. والأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه. وقال أبو حنيفة الدينوري: قد تكون الأيكة: الجماعة من الشجر، حتى من النخل. قال: والأول أعرف. والجمع أيك.
(٥٣٧٤) معاني القرآن:١٥٨/٣.
(٥٣٧٥) التفسير الميسر:٢٦٦.
(٥٣٧٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٣٥):ص٢٢٧١/٧.
(٥٣٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٣٦):ص٢٢٧١/٧.
(٥٣٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٣٧):ص٢٢٧١/٧.
(٥٣٧٩) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٣.
(٥٣٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٣٩):ص٢٢٧١/٧.
(٥٣٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٣٨):ص٢٢٧١/٧.
(٥٣٨٢) انظر: تفسير الطبري:١٢٦/١٧.
(٥٣٨٣) أخرجه الطبري:١٢٦/١٧.

القرآن

{وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢)} [الحجر : ٨٢]

التفسير:

وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتًا، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب.

عن أبي صالح: {وتنحتون الجبال بيوتا}، قال: حاذقين بنحتها"[٥٣٨٤].

قال السدي:" كانوا ينقبون في الجبال البيوت"[٥٣٨٥].

القرآن

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣)} [الحجر : ٨٣]

التفسير:

فأخذتهم صاعقة العذاب وقت الصباح مبكرين.

عن الحسن:" الصيحة: العذاب"[٥٣٨٦].

قال السدي:" صيحة جبريل {مشرقين} حين أشرقت الشمس"[٥٣٨٧].

القرآن

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)} [الحجر : ٨٥]

التفسير:

وما خلقْنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق دالتين على كمال خالقهما واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لآتية لا محالة; لتوفَّى كل نفس بما عملت، فاعف -أيها الرسول- عن المشركين، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه.

قوله تعالى:{فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر : ٨٥]، أي:" فاعف -أيها الرسول- عن المشركين، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه"[٥٣٨٨].

وفي حكم هذا الصفح، قولان :

أحدهما : أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى قبل القتال، ثم نسخ بالسيف ، فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك ، «لقد أتيتكم بالذبح، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة». قاله عكرمة[٥٣٨٩]، ومجاهد[٥٣٩٠]، والضحاك[٥٣٩١]، وقتادة[٥٣٩٢].

عن الضحاك، في قوله :{فاصفح الصفح الجميل} ، {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[٥٣٩٣]، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[٥٣٩٤]،] و{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ}[٥٣٩٥]، وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه، حتى أمره بالقتال، فنسخ ذلك كله. فقال (وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد}"[٥٣٩٦].

(٥٣٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٧١):ص١٥١٣/٥.

(٥٣٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٧٢):ص١٥١٣/٥.

(٥٣٨٦) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٤٠١/١.

(٥٣٨٧) ذكره ابن أبي زمنين: ٣٨٩/٢.

(٥٣٨٨) التفسير الميسر:٢٦٦.

(٥٣٨٩) انظر: النكت والعيون:١٧٠.

(٥٣٩٠) أخرجه الطبري:١٢٨/١٧، وابن الجوزي في نواسخ القرآن:١٦٣.

(٥٣٩١) أخرجه الطبري:١٢٨/١٧.

(٥٣٩٢) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:١٦٣، وذكره ابن كثير في تفسيره:٥٤٥/٤.

(٥٣٩٣)[الزخرف : ٨٩].

(٥٣٩٤)[الأنعام : ١٠٦/ الحجر: ٩٤.

(٥٣٩٥)[الجاثية : ١٤].

(٥٣٩٦) أخرجه الطبري:١٢٨/١٧.

عن مجاهد : {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}[٥٣٩٧]، قال: هذا قبل القتال"[٥٣٩٨].
الثاني : أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم ، قاله الحسن[٥٣٩٩].

القرآن
{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)} [الحجر : ٨٦]
التفسير:
إنَّ ربك هو الخلاَّق لكل شيء، العليم به، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه.
قال محمد بن إسحاق:" عليم بما يخفون"[٥٤٠٠].
قال سعيد بن جبير:" {عليم} يعني: عالما بها"[٥٤٠١].

القرآن
{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} [الحجر : ٨٧]
التفسير:
ولقد آتيناك -أيها النبي- فاتحة القرآن، وهي سبع آيات تكرر في كل صلاة، وآتيناك القرآن العظيم.
سبب النزول:
قال الحسين بن الفضل: "إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه القوافل، ويدل على صحة هذا قوله على أثرها {لا تمدن عينيك} الآية"[٥٤٠٢][مرسل].
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر : ٨٧]، أي:" ولقد آتيناك -أيها النبي- فاتحة القرآن"[٥٤٠٣].
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر : ٨٧]، وجوه:
أحدها : أن السبع المثاني هي الفاتحة ، قاله الحسن[٥٤٠٤]، ومجاهد-في أحد قوليه-[٥٤٠٥]، وقتادة[٥٤٠٦]، وأبي بن كعب[٥٤٠٧]، الربيع بن أنس[٥٤٠٨]، وابو العالية[٥٤٠٩]، وعطاء[٥٤١٠]، وإبراهيم[٥٤١١]، وعبدالله بن عبيد بن عمير[٥٤١٢]، وأبي مليكة[٥٤١٣]، ويحيى بن يعمر[٥٤١٤]، وأبو فاختة[٥٤١٥]، وشهر بن حوشب[٥٤١٦]، وخالد الحنفي- قاضي مرو-[٥٤١٧].

(٥٣٩٧)[الحجر : ٨٥].
(٥٣٩٨) أخرجه الطبري:١٢٨/١٧.
(٥٣٩٩) انظر: النكت والعيون:١٧٠/٣.
(٥٤٠٠) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.
(٥٤٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.
(٥٤٠٢) اسباب النزول للواحدي:٢٧٧.
(٥٤٠٣) التفسير الميسر:٢٦٦.
(٥٤٠٤) انظر: تفسير الطبري:١٣٣/١٧.
(٥٤٠٥) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.
(٥٤٠٦) انظر: تفسير الطبري:١٣٦/١٧.
(٥٤٠٧) انظر: تفسير الطبري:١٣٤/١٧.
(٥٤٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٤٢):ص٢٢٧٢/٧.
(٥٤٠٩) انظر: تفسير الطبري:١٣٤/١٧.
(٥٤١٠) انظر: تفسير الطبري:١٣٦/١٧.
(٥٤١١) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.
(٥٤١٢) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.
(٥٤١٣) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.
(٥٤١٤) انظر: تفسير الطبري:١٣٤/١٧.
(٥٤١٥) انظر: تفسير الطبري:١٣٤/١٧.
(٥٤١٦) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.

قال أبو العالية :" لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثاني وما أنزل شيء من الطُول"[٥٤١٨].

وفي سبب تسميتها بذلك، وجهان:

الأول: إذ هي سبع آياتٍ اتّفاقاً[٥٤١٩]، وليس في القرآن ما هو كذلك سواها[٥٤٢٠]، إنْ غَيَّر بعضُهم عَدّ التَّسمية آية دون {صراط الذين أنعمتَ عليهم}، وبعضُهم عَكَس[٥٤٢١]، وهذا القول هو المشهور[٥٤٢٢].

الثاني: لأنها تثنى كلما قرىء القرآن. قاله الربيع بن أنس[٥٤٢٣]، والحسن[٥٤٢٤]،وقتادة[٥٤٢٥].

القول الثاني : أنها السبع الطوَل: «البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس»، قاله سعيد بن جبير[٥٤٢٦]، ومجاهد[٥٤٢٧]، والضحاك[٥٤٢٨].

عن سعيد بن جبير في قوله: {سبعا من المثاني}، قال: السبع الطول: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس. فقيل لابن جبير: ما قوله: {المثاني}، قال: ثنى فيها القضاء والقصص "[٥٤٢٩].

الثالث : أن المثاني القرآن كله، قاله الضحاك[٥٤٣٠]، وأبو مالك[٥٤٣١]، وطاوس[٥٤٣٢]، وسمي بذلك لأنه يذكر الله القصة الواحدة مرارا، قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ} [الزمر : ٢٣].

(٥٤١٧) انظر: تفسير الطبري:١٣٦/١٧.

(٥٤١٨) أخرجه الطبري:١٣٤/١٧.

(٥٤١٩) اتفق القراء والمفسرون بأنها سبع آيات، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري فقال هي ثمان آيات، وإلا الحسين الجعفي فقال هي ست آيات، وقال البعض أنها تسع آيات، ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات ومن عدّ البسملة أدمج الآيتين.(انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٣٥/١).

(٥٤٢٠) ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى " الفاتحة "، و " أرأيت " ولا ثالث لهما. قال جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج البغدادي في أرجوزته التي نظم فيها النظائر:

فَسُوْرَةُ الحَمْدِ لَهَا نَظِيْرَهْ أرَأيْتَ إنْ أثْتَ قَرَأْتَ السُّوْرَه

كلاهما إذا عددتَّ سبعُ. وليس للحق اليقين دفعُ

(انظر: أرجوزة في نظائر القرآن العظيم ل٢٠ نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية، ومنها نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٤٣) وهو جعفر بن أحمد بن الحسين أبو محمد السراج البغدادي القارئ، كان عالما بالقراءات والنحو واللغة، كثير التصنيف، توفي سنة خمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٨ وبغية الوعاة ١/ ٤٨٥.

(٥٤٢١)انظر في: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني ١٣٩.

(٥٤٢٢)وأما تأويل اسمها أنها " السَّبْعُ " ، فإنها سبعُ آيات ، لا خلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء في ذلك ،وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات :

القول الأول : فقال معظم أهل الكوفة ومكة : صارت سبع آيات بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ورُوي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين والشافعي يعد البسملة آية منها.

القول الثاني : قالوا هي سبع آيات ، وليس منهن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ولكن السابعة (أنعمت عليهم)، وذلك قول معظم قَرَأةِ أهل المدينة والبصرة والشام ومُتْقنيهم ومنهم الإمام مالك.

قال الطيبي: وعدّ التسمية أولى؛ لأن (أنعمت عليهم) لا يناسب وزانه وزان فواصل السور، ولما روى البغوي(هو الحسن بن مسعود بن محمد محيي السنة أبو محمد البغوي الشافعي المفسر، كان سيدا إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا بالسير، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩ وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٧٥.) في " شرح السنة " عن ابن عباس أنه قال: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الآية السابعة "(رواه الشافعي في المسند ٧٩ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٣/ ٥٠ من طريق عبد المجيد، والطبري في تفسير الطبري ١٤/ ٥٥ من طريق يحيى الأموي، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٧ من طريق حفص بن غياث، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٤ من طريق حجاج بن محمد الأعور، وحفص بن غياث، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٠٠ من طريق أبي عاصم كلهم (عبد المجيد، ويحيى وحفص، وحجاج، وأبو عاصم) عن ابن جريح عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وصحح السيوطي سنده في الإتقان ١/ ٢٤٦ وفي التصحيح نظر، فإن في سنده عبد العزيز بن جريج، قال الحافظ بن حجر عنه: لين، التقريب ٦١١).

(٥٤٢٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٤٢):ص٢٢٧٢/٧.

(٥٤٢٤) انظر: تفسير الطبري:١٣٥/١٧.

(٥٤٢٥) انظر: تفسير الطبري:١٣٦/١٧.

(٥٤٢٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٤٤):ص٢٢٧٢/٧.

(٥٤٢٧) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٧.

(٥٤٢٨)انظر: تفسير الطبري:١٣٢/١٧ .

(٥٤٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٤٤):ص٢٢٧٢/٧، والطبري:١٣٢/١٧.[مختصرا]

(٥٤٣٠) انظر: تفسير الطبري:١٣٧/١٧.

ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٥٤٣٣]:
فقد كان نوراً ساطعاً يهتدى به ... يخص بتنزيل المثاني المعظم
الرابع : أن المثاني معاني القرآن السبعة: أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون ، قاله زياد بن أبي مريم[٥٤٣٤].
الخامس : أنه سبع كرامات أكرمه الله بها ، أولها الهدى ثم النبوة ، ثم الرحمةِ ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم ، قاله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما[٥٤٣٥].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب"[٥٤٣٦].
وبذلك جاءت الأخبار:
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمّ القُرآن السَّبْعُ المَثانِي الَّتِي أعْطِيتُها"[٥٤٣٧].
- عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ: "إنّي أُحِبُّ أنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنزلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها قال نعم يا رسول الله، قال: إنّي لأَرْجُو أنْ لا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا البابِ حتى تَعْلَمَها، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ البابَ قبل أن ينقضي الحديث، فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ما تَقرأُ فِي الصَّلاةِ؟ فقرأت عليه أمّ القرآن، فقال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنزلَ فِي التَّوْراةِ ولا في الإنْجِيلِ ولا في الزَّبُورِ ولا في الفُرْقانِ مِثْلُها، إنَّها السَّبْعُ مِن المَثاني والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ "[٥٤٣٨].
- عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الرِّكْعَتانِ اللَّتانِ لا يُقْرأُ فِيهما كالخِدَاجِ لَمْ يُتِمَّا، قال رجل: أرأيت إن لم يكن معي إلا أمّ القرآن؟ قال: "هي حسبك هِيَ أمُّ القُرآنِ، هِيَ السَّبْعُ المَثانِي"[٥٤٣٩].
- عن أبيّ بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "إذا افْتَتَحْت الصَّلاةَ بِم تَفْتَتِحُ؟ قال: الحمد لله ربّ العالمين، حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هِي السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطيتُ "[٥٤٤٠].

قوله تعالى:{وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر : ٨٧]، أي:" وآتيناك القرآن العظيم"[٥٤٤١].
قال مجاهد: " هو سائر القرآن"[٥٤٤٢].

القرآن
{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [الحجر : ٨٨]
التفسير:
لا تنظر بعينيك وتتمنَّ ما مَتَّعْنا به أصنافًا من الكفار مِن مُتَع الدنيا، ولا تحزن على كفرهم، وتواضَعْ للمؤمنين بالله ورسوله.

(٥٤٣١) انظر: تفسير الطبري:١٣٧/١٧.
(٥٤٣٢) انظر: تفسير الطبري:١٣٧/١٧.
(٥٤٣٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون:١٧١/٣، والقرطبي في تفسيره:٥٥/١٠.
(٥٤٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٤٧):ص٢٢٧٢/٧، وتفسير الطبري:١٣٦/١٧.
(٥٤٣٥) انظر: النكت والعيون:١٧١/٣.
(٥٤٣٦) تفسير الطبري:١٣٧/١٧.
(٥٤٣٧) أخرجه الطبري:١٣٧/١٧.
(٥٤٣٨) أخرجه الطبري:١٣٧/١٧-١٣٨.
(٥٤٣٩) أخرجه الطبري:١٣٨/١٧.
(٥٤٤٠) أخرجه الطبري:١٣٨/١٧.
(٥٤٤١) التفسير الميسر:٢٦٦.
(٥٤٤٢) تفسير مجاهد: ٤١٨.

سبب النزول:
عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد رسول الله: أسلفني دقيقا إلى هلال رجب. قال: لا، إلا برهن. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم [فأخبرته] فقال: أما والله إني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض، ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين إليه. فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا} ... إلى آخر الآية، كأنه يعزيه عن الدنيا"(٥٤٤٣).
قوله تعالى:{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [الحجر : ٨٨]، أي:" لا تنظر إلى ما متعنا به بعض هؤلاء الكفار مِن مُتَع الدنيا"(٥٤٤٤).
وفي قوله تعالى:{أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [الحجر : ٨٨]، وجوه:
أحدها : أنهم الأشباه ، قاله مجاهد(٥٤٤٥).
قال مجاهد:" يعني: الأغنياء: الأمثال: الأشباه "(٥٤٤٦).
الثاني : أنهم الأصناف. قاله أبو بكر بن زياد(٥٤٤٧).
الثالث : أنهم الأغنياء. قاله ابن أبي نجيح(٥٤٤٨).

القرآن
{كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١]
التفسير:
كما أنزله الله على الذين قسَّموا القرآن، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر من اليهود والنصارى وكفار قريش، وهم الذين جعلوا القرآن أقسامًا وأجزاء.
قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ}[الحجر: ٩٠]، أي:" أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فانقسموا إلى قسمين"(٥٤٤٩).
وفي قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ}[الحجر: ٩٠]، وجوه:
أحدها : أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاءً أي أجزاءً فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض ، قالهالحسن(٥٤٥٠)، وسعيد بن جبير(٥٤٥١).
وعن مجاهد:"{كما أنزلنا على المقتسمين}، قال: أهل الكتاب"(٥٤٥٢).
الثاني : أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاءً به ، فقال بعضهم : هذه السورة لي ، وهذه السورة لك ، فسموا مقتسمين ، قاله عكرمة(٥٤٥٣).
قال عكرمة:" كانوا يستهزءون، يقول هذا: لي سورة البقرة، ويقول هذا: لي سورة آل عمران"(٥٤٥٤).
الثالث : أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم ، فآمن بعضهم ببعضها، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم وكفروا بما آمن به غيرهم ، فسماهم الله تعالى مقتسمين ، قاله مجاهد(٥٤٥٥).

(٥٤٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٤٨):ص٢٢٧٣/٧.
(٥٤٤٤) صفوة التفاسير:١٠٧/٢، والتفسير الميسر:٢٦٦.
(٥٤٤٥) انظر: تفسير الطبري:١٤١/١٧.
(٥٤٤٦) تفسير مجاهد: ٤١٨.
(٥٤٤٧) انظر: النكت والعيون:١٧١/٣.
(٥٤٤٨) انظر: النكت والعيون:١٧١/٣.
(٥٤٤٩) صفوة التفاسير:١٠٧/٢.
(٥٤٥٠) انظر: تفسير الطبري:١٤٣/١٧.
(٥٤٥١) انظر: تفسير الطبري:١٤٣/١٧.
(٥٤٥٢) أخرجه الطبري:١٤٤/١٧.
(٥٤٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٧.
(٥٤٥٤) أخرجه الطبري:١٤٤/١٧.
(٥٤٥٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٧.

الرابع: أنهم رهط خمسة من كفار قريش، قسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين ، قاله قتادة[٥٤٥٦].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته، أن يحل بهم على كفرهم ربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم، وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، لأنهم اقتسموا كتاب الله، فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عني بذلك: المشركون من قريش، لأنهم اقتسموا القرآن، فسماه بعضهم شعرا، وبعض كهانة، وبعض أساطير الأولين. وجائز أن يكون عني به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه، فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله، كانوا عبرة، وللمتعظين بهم منهم عظة[٥٤٥٧].

قوله تعالى: { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }[الحجر: ٩١]، أي:" جعلوا القرآن أجزاءٌ متفرقة وقالوا فيه أقوالاً مختلفة"[٥٤٥٨].

وفي قوله تعالى: { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }[الحجر: ٩١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني فرقاً، فجعلوا بعضه شعراً ، وبعضه سحراً ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين. قاله مجاهد[٥٤٥٩]، والضحاك[٥٤٦٠]، وقتادة[٥٤٦١]، وعطاء[٥٤٦٢].

قال مجاهد:" هم رهط من قريش، عضهوا كتاب الله، فزعم بعضهم أنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين"[٥٤٦٣].

قال الضحاك:" جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور، وذلك أنهم تقطعوه زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون، وهو قوله: {فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا}"[٥٤٦٤].

عن عطاء :"{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}، قال: المشركون من قريش، عضُّوا القرآن فجعلوه أجزاء، فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: مجنون، فذلك العِضُون"[٥٤٦٥].

قال قتادة:" عضهوا كتاب الله، زعم بعضهم أنه سِحْر، وزعم بعضهم أنه شِعْر، وزعم بعضهم أنه كاهن"[٥٤٦٦].

الثاني : أن «العضين» جمع: عضه، وهو البهت، ومن قولهم : عضهتُ الرجل أعضهه عضهاً إذا بهتّه، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به، قاله قتادة[٥٤٦٧]. ومنه قول الشاعر[٥٤٦٨]:

إن العضيهة ليستْ فعل أحرار

الثالث : أن «العضين»: المستهزئون، لأنه لما ذكر في القرآن :«البعوض والذباب والنمل والعنكبوت»، قال أحدهم : أنا صاحب البعوض ، وقال آخر : أنا صاحب الذباب، وقال آخر : أنا صاحب النمل. وقال آخر : أنا صاحب العنكبوت ، استهزاء منهم بالقرآن ، قاله الشعبي[٥٤٦٩]، والسدي[٥٤٧٠].

(٥٤٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٧.
(٥٤٥٧) تفسير الطبري:١٤٥/١٧.
(٥٤٥٨) صفوة التفاسير:١٠٧/٢.
(٥٤٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٥١):ص٢٢٧٣-٢٢٧٤.
(٥٤٦٠) انظرك تفسير الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦١) انظرك تفسير الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦٢) انظرك تفسير الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٥١):ص٢٢٧٣-٢٢٧٤.
(٥٤٦٤) اخرجه الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦٥) اخرجه الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦٦) اخرجه الطبري:١٤٦/١٧.
(٥٤٦٧) انظر: النكت والعيون:١٧٣/٣.
(٥٤٦٨) لم اقف عليه، وانظر الشعؤ في: النكت والعيون:١٧٣/٣، وتفسير العز بن عبدالسلام:١٨٣/٢.

الرابع : أنه عنى بالعضه: السحر ، لأنهم جعلوا القرآن سحراً ، قاله مجاهد[٥٤٧١]، وعكرمة[٥٤٧٢]، قال الشاعر[٥٤٧٣]:

لك من عضائهن زمزمة

يعني: من سحرهن .

قال مجاهد:" قريش فرقوا القرآن، قالوا: هو سحر"[٥٤٧٤].

قال عكرمة:" العضه: السحر بلسان قريش، تقول للساحرة: إنها العاضهة"[٥٤٧٥].

وفي الحديث:« لعن الله العاضهة والمستعضهة»[٥٤٧٦]، قال الماوردي: "يعني: الساحرة والمستسحرة"[٥٤٧٧].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِم قوما عَضَهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضْهِهِمْ إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين، وكان عَضْهُهُم إياه: قذفهموه بالباطل، وقيلهم إنه شعر وسحر، وما أشبه ذلك.

وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده، وذلك قوله {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}، على صحة ما قلنا، وإنه إنما عُنِيَ بقوله {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} مشركي قومه، وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين: إما مؤمن بجميعه، وإما كافر بجميعه. وإذ كان ذلك كذلك، فالصحيح من القول في معنى قوله {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} الذين زعموا أنهم عَضَهوه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو كهانة، وما أشبه ذلك من القول، أو عَضَّهُوه ففرقوه، بنحو ذلك من القول، وإذا كان ذلك معناه احتمل قوله عِضِين، أن يكون جمع: عِضة، واحتمل أن يكون جمع عُضْو، لأن معنى التعضية: التفريق، كما تُعَضى الجَزُور والشاة، فتفرق أعضاء. والعَضْه: البَهْت، ورميه بالباطل من القول، فهما متقاربان في المعنى[٥٤٧٨].

القرآن

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)} [الحجر : ٩٢ - ٩٣]

التفسير:

فوربك لنحاسبنَّهم يوم القيامة ولنجزينهم أجمعين، عن تقسيمهم للقرآن بافتراءاتهم، وتحريفه وتبديله، وغير ذلك مما كانوا يعملونه من عبادة الأوثان، ومن المعاصي والآثام.

قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[الحجر: ٩٢]، أي:" فأقسمُ بربك يا محمد لنسألنَّ الخلائق أجميعن"[٥٤٧٩].

عن مجاهد: قوله "{فوربك لنسألنهم أجمعين}، عن شهادة أن لا اله إلا الله"[٥٤٨٠].

القرآن

(٥٤٦٩) انظر: النكت العيون: ١٧٣/٣.

(٥٤٧٠) انظر: النكت العيون: ١٧٣/٣.

(٥٤٧١) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٧.

(٥٤٧٢) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٧.

(٥٤٧٣) الشعر من شواهد الماوردي في النكت والعيون:١٧٣/٣.

(٥٤٧٤) أخرجه الطبري:١٤٨/١٧.

(٥٤٧٥) أخرجه الطبري:١٤٨/١٧.

(٥٤٧٦)ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣/ ٣٣٩ من حديث ابن عباس وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وكلاهما ضعيف. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٥٩٠: وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريح عن عطاء اه. وهذا مرسل، فهو ضعيف.

(٥٤٧٧) النكت والعيون:١٧٣/٣.

(٥٤٧٨) تفسير الطبري:١٤٩/١٧.

(٥٤٧٩) صفوة التفاسير:٢/!٠٧.

(٥٤٨٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٧.

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)} [الحجر : ٩٤]

التفسير:

فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشركين، فقد برَّأك الله ممَّا يقولون.

قوله تعالى:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر : ٩٤]، أي:" فاجهر بتبليغ أمر ربك"(٥٤٨١).

قال مجاهد:" اجهر بالقرآن في الصلاة(٥٤٨٢).

قال عبد الله بن عبيدة: "مازال النبي مستخفيا حتى نزلت :{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}، فخرج هو وأصحابه"(٥٤٨٣).

وقال رؤية : "ما في القرآن أعْرَبُ من قوله {فاصدع بما تؤمر} {وأعرض عن الجاهلين}"(٥٤٨٤).

قوله تعالى:{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر : ٩٤]، أي:" ولا تلتفت إلى ما يقول المشركون"(٥٤٨٥).

عن الضحاك، في قوله :{فاصفح الصفح الجميل} ، {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}(٥٤٨٦)، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}(٥٤٨٧)،] و {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ الله}(٥٤٨٨)، وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه، حتى أمره بالقتال، فنسخ ذلك كله. فقال (وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد}"(٥٤٨٩).

القرآن

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)} [الحجر : ٩٥]

التفسير:

إنَّا كَفَيْناك المستهزئين الساخرين من زعماء قريش.

عن مجاهد :{إنا كفيناك المستهزئين}، هم من قريش"(٥٤٩٠).

وفي عددهم، قولان:

أحدهما: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي(٥٤٩١)، ابن أبي بَزَّة (٥٤٩٢).

وعدهم ابن أبي بزة، فقال:" العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث- وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم- (٥٤٩٣)، وأصرم وبعكك، ابنا عبد الحارث بن السباق"(٥٤٩٤).

وكذلك عدهم مقاتل، إلا أنه قال مكان الحارث بن عدي: "الحارث بن قيس السهمي"(٥٤٩٥)، وقال: "أصرم وبعكك ابنا الحجاج بن السباق"(٥٤٩٦).

الثاني: أنهم كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة بن عبد الأسود، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، قاله سعيد بن جبير(٥٤٩٧)، وعكرمة(٥٤٩٨)، وقتادة(٥٤٩٩)، ومقسم(٥٥٠٠).

(٥٤٨١) صفوة التفاسير:١٠٧/٢.

(٥٤٨٢) تفسير مجاهد: ٤١٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٥٦):ص٢٢٧٤/٧، وتفسير الطبري:١٥١/١٧.

(٥٤٨٣) أخرجه الطبري:١٥٢/١٧.

(٥٤٨٤) النكت والعيون:١٧٤/٣. وقال السيوطي:" ذكر أبو عبيدة عن رؤبة: ما في القرآن أعرب من قوله: {فاصدع بما تؤمر}". الإتقان:١٥٥/٤

(٥٤٨٥) صفوة التفاسير:١٠٧/٢.

(٥٤٨٦)[الزخرف : ٨٩].

(٥٤٨٧)[الأنعام : ١٠٦/ الحجر: ٩٤.

(٥٤٨٨)[الجاثية : ١٤].

(٥٤٨٩) أخرجه الطبري:١٢٨/١٧.

(٥٤٩٠) أخرجه الطبري:١٥٨/١٧.

(٥٤٩١) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٧.

(٥٤٩٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٧.

(٥٤٩٣) إلى هنا أخرجه الطبري:١٥٨/١٧.

(٥٤٩٤) زاد المسير:٥٤٦/٢.

(٥٤٩٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣٩/٢.

(٥٤٩٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤٠/٢.

(٥٤٩٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٥/١٧.

واسم أبي زمعة: الأسود بن المطلب. وكذلك ذكرهم سعيد بن جبير، إلا أنه قال مكان الحارث بن قيس، الحارث ابن عيظلة[٥٥٠١].

قال الزهري: "كانت أمه تسمى: عيطلة، وأبوه قيس"[٥٥٠٢]

أخرج أبو جعفر الطبري بسنده عن سلمة عن محمد، قال: "كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده، ومن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم، ومن خزاعة: الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء، أنزل الله تعالى ذكره {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين} ... إلى قوله {فسوف يعلمون} قال محمد بن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء، أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه، فمات منه حبنا، ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين، وهو يجر سبله، يعني إزاره، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء، فانتقض به فقتله، ومر به العاص بن وائل السهمي، فأشار إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف، فوقص على شبرقة، فدخل في أخمص رجله منها شوكة، فقتلته.

قال أبو جعفر: الشبرقة: المعروف بالحسك، منه حبنا والحبن: الماء الأصفر، ومر به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه، فامتخط قيحا فقتله"[٥٥٠٣].

عن قتادة، وعن مقسم :"{إنا كفيناك المستهزئين}، قال: هم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، مروا رجلا رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل، فإذا مر به رجل منهم قال جبرئيل: كيف تجد هذا؟ فيقول: بئس عدو الله، فيقول جبرئيل: كفاكه، فأما الوليد بن المغيرة، فتردى، فتعلق سهم بردائه، فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات، وأما الأسود بن عبد يغوث، فأتي بغصن فيه شوك، فضرب به وجهه، فسالت حدقتاه على وجهه، فكان يقول: دعوت على محمد دعوة، ودعا علي دعوة، فاستجيب لي، واستجيب له، دعا علي أن أعمى فعميت: ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب فكان كذلك، وأما العاص بن وائل، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك، وأما الأسود بن المطلب وعدي بن قيس، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن، فشرب ماء من جرة، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات، وأما الآخر فلدغته حية فمات"[٥٥٠٤].

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة: "{كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين}، هم رهط خمسة من قريش عضهوا القرآن، زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين: أما أحدهم: فالأسود بن عبد يغوث، أتى على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت، فقال له الملك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله على أنه خالي، قال: كفيناك، ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة، فقال له الملك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله، قال: كفيناك، ثم أتى عليه عدي بن قيس أخو بني سهم، فقال الملك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله، قال: كفيناك، ثم أتى عليه الأسود بن المطلب، فقال له الملك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله، قال: كفيناك، ثم أتى عليه العاص بن وائل، فقال له الملك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس

(٥٤٩٨) كانظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٧.
(٥٤٩٩) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٧.
(٥٥٠٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٧.
(٥٥٠١) أخرجه الطبري:١٥٥/١٧.
(٥٥٠٢) اخرجه الطبري:١٥٦/١٧.
(٥٥٠٣) تفسير الطبري:١٥٣/١٧-١٥٤.
(٥٥٠٤) أخرجه الطبري:١٥٧/١٧.

عبد الله، قال: كفيناك، فأما الأسود بن عبد يغوث، فأتي بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه، فكان بعد ذلك يقول: دعا علي محمد بدعوة ودعوت عليه بأخرى، فاستجاب الله له في واستجاب الله لي فيه، دعا علي أن أثكل وأن أعمى، فكان كذلك، ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا، فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحجيج، وكان كذلك، وأما الوليد بن المغيرة، فذهب يرتدي، فتعلق بردائه سهم غرب [٥٥٠٥] فأصاب أكحله أو أبجله، فأتي في كل ذلك، فمات، وأما العاص بن وائل، فوطئ على شوكة، فأتي في ذلك، جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك، وأما الأسود بن المطلب وعدي بن قيس، فلا أدري ما أصابهما.

ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، نهى أصحابه عن قتل أبي البختري، وقال: خذوه أخذا، فإنه قد كان له بلاء، فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا البختري إنا قد نهينا عن قتلك فهلم إلى الأمنة والأمان، فقال أبو البختري: وابن أخي معي؟ فقالوا: لم نؤمر إلا بك، فراودوه ثلاث مرات، فأبى إلا وابن أخيه معه، قال: فأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم الكلام، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله، فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أوثقه مخافة أن يلومه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبر بقوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبعده الله وأسحقه، وهم المستهزئون الذين قال الله: {إنا كفيناك المستهزئين}، وهم الخمسة الذين قيل فيهم: {إنا كفيناك المستهزئين}، استهزءوا بكتاب الله، ونبيه صلى الله عليه وسلم"[٥٥٠٦].

قال سعيد بن جبير:" كان المستهزئين: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن عيطلة. فأتاه جبرئيل، فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد، فقال: ما صنعت شيئا، قال: كفيت، وأومأ بيده إلى أخمص العاص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما صنعت شيئا، فقال: كفيت، وأومأ بيده إلى عين أبي زمعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما صنعت شيئا، قال: كفيت. وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دع لي خالي. فقال: كفيت، وأومأ بأصبعه إلى بطن الحارث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما صنعت شيئا، فقال كفيت. قال: فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه، فتعلقت بثوبه بروة أو شررة [٥٥٠٧] وبين يديه نساء، فجعل يستحي أن يطأ من ينتزعها، وجعلت تضرب ساقه فخدشته، فلم يزل مريضا حتى مات، وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء إلى حاجة له بأسفل مكة، فذهب ينزل، فوضع أخمص قدمه على شبرقة، فحكت رجله، فلم يزل يحكها حتى مات، وعمي أبو زمعة، وأخذت الأكلة في رأس الأسود، وأخذ الحارث الماء في بطنه"[٥٥٠٨].

عن عامر: "{إنا كفيناك المستهزئين}، قال: كلهم من قريش: العاص بن وائل، فكفي بأنه أصابه صداع في رأسه، فسال دماغه حتى لا يتكلم إلا من تحت أنفه، والحارث بن عيطلة بصفر في بطنه، وابن الأسود فكفي بالجدري، والوليد بأن رجلا ذهب ليصلح سهما له، فوقعت شظية فوطئ عليها، وعبد يغوث فكفي بالعمي، ذهب بصره"[٥٥٠٩].

القرآن

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)} [الحجر : ٩٧ - ٩٨]

التفسير:

ولقد نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول-; بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك، فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسَبِّح بحمده شاكرًا له مثنيا عليه، وكن من المصلِّين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهمَّك.

عن الضحاك: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}: قل سبحان الله وبحمده"[٥٥١٠].

(٥٥٠٥)سهم غرب، بسكون الراء وفتحها: لا يدري من أين أتاه (اللسان).

(٥٥٠٦) تفسير الطبري:١٥٧/١٧-١٥٨.

(٥٥٠٧)البروة: لغة في البرة، وهي الحلقة من صفر ونحوه، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق، والشررة: واحدة الشرر، وفي الأصل: شرة، ولا معنى له هنا.

(٥٥٠٨) أخرجه الطبري:١٥٥/١٧.

(٥٥٠٩) اخرجه الطبري:١٥٦/١٧.

(٥٥١٠) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٥٣/٣.

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٥٥١١].

القرآن
{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)} [الحجر : ٩٩]
التفسير:
واستمِرَّ في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت.
عن الحسن[٥٥١٢]، ومجاهد[٥٥١٣]، وقتادة[٥٥١٤]، و سالم بن عبد الله[٥٥١٥]،، في قوله: {حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، قالوا: "الموت".
قال قتادة:" اليقين: الموت"[٥٥١٦].
«آخر تفسير سورة (الحجر)، والحمد لله وحده»

(٥٥١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(٥٥١٢) انظر: تفسير الطبري:١٦٠/١٧.
(٥٥١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٥٧):ص٢٢٧٤/٧، وتفسير الطبري:١٦٠/١٧.
(٥٥١٤) انظر: تفسير الطبري:١٦٠/١٧.
(٥٥١٥) انظر: تفسير الطبري:١٦٠/١٧.
(٥٥١٦) تفسير عبدالرزاق(١٤٦٧):ص٢٦٣/٢، وتفسير الطبري:١٦٠/١٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « النحل»

سورة «النحل»: هي السورة السادسة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الكهف»[٥٥١٧]، وعدد آياتها (١٢٨) مائة وثمانية وعشرون، وكلماتها (٢٨٤٠) ألفان وثمانمائة وأربعون. وحروفها (٧٧٠٧) سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف[٥٥١٨].

ومجموع فواصل آياتها يجمعها: «نمر»، منها اثنتان على «الراء» آخراهما {قَدِيرٌ} [النحل : ٧٠، ٧٧][٥٥١٩].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥٥٢٠]، وابن الزبير[٥٥٢١]، والحسن[٥٥٢٢]، وعكرمة[٥٥٢٣]، ومجاهد[٥٥٢٤]، وعطاء[٥٥٢٥]، وجابر[٥٥٢٦]، وعطية[٥٥٢٧]، وحكاه الأصم عن بعضهم[٥٥٢٨]، وبه قال مكي بن أبي طالب[٥٥٢٩]، وابو الليث[٥٥٣٠]، وابن كثير[٥٥٣١]، والسيوطي[٥٥٣٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور"[٥٥٣٣].

والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] الآية. قاله الشعبي[٥٥٣٤].

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات نزلت في مدينة، ثم اختلف فيهن، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الآيات الثلاث: من قوله: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة[٥٥٣٥]. قاله ابن عباس[٥٥٣٦]، وعطاء بن يسار[٥٥٣٧]، والشعبي[٥٥٣٨]، وبه قال السمعاني[٥٥٣٩]، والزمخشري[٥٥٤٠]، والرازي[٥٥٤١]، والفيروزآبادي[٥٥٤٢].

(٥٥١٧) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٥٥١٨)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٧٨.

(٥٥١٩)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٥٥٢٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٥٢١) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردوية.

(٥٥٢٢) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.

(٥٥٢٣) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.

(٥٥٢٤) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.

(٥٥٢٥) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.

(٥٥٢٦) انظر: تفسير القرطبي:٦٥/١٠.

(٥٥٢٧) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.

(٥٥٢٨) انظر: مفاتيح الغيب:١٦٧/١٩.

(٥٥٢٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤٣/٦.

(٥٥٣٠) انظر: بحر العلوم:٢٦٥/٢.

(٥٥٣١) انظر: تفسير ابن كثير:٥٥٥/٤.

(٥٥٣٢) انظر: الدر المنثور:١٠٧/٥.

(٥٥٣٣) التحرير والتنوير:٩٣/١٤.

(٥٥٣٤) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم:٢٦٥/٢، وقال:" أخبرنا الثقة بإسناده عن الشعبي...".

(٥٥٣٥) وهي: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)} [النحل : ١٢٦ - ١٢٨].

(٥٥٣٦) اورده السيوطي في الر المنثور:١٠٧/٥، وزاد نسبته إلى النحاس من طريق مجاهد، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٣٩٤٣/٦.

(٥٥٣٧) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.

(٥٥٣٨) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.

(٥٥٣٩) انظر: تفسير السمعاني:١٥٨/٣.

أخرج النحاس من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد"(٥٥٤٣).

القول الثاني: أن الآيات الثلاث، هي: قوله تعالى: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد، وقوله تعالى :{وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧] ، وقوله {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا}، [النحل: ١١٠]. قاله ابن عطية(٥٥٤٤).

- القول الثالث:أن الآيات الثلاث، هي من قوله تعالى: {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [النحل : ٩٥]، إلى قوله: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل : ٩٧]. وهذا مروي عن ابن عباس ايضا(٥٥٤٥).

الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة: قوله: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} [النحل : ٤١] الآية، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله: وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل : ١٢٦]، وقوله: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ} [النحل : ١٢٧] إلى آخرها. وهذا قول ابن عباس(٥٥٤٦).

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، ثم اختلف فيهن، على قولين:

القول الأول: أن الآيات الخمس، هي قوله تعالى: {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [النحل : ٩٥] ... الآيتين، ومن قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُم} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول قتادة(٥٥٤٧).

القول الثاني: أن الآيات الخمس، هي، من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُم} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول ابن السائب(٥٥٤٨).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات، وهي: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} [النحل : ١٠٦]، الآية، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُم} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً} [النحل : ١١٢] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُم} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. فإن هذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل(٥٥٤٩).

السادس: أن أول أربعين آية مكية، وبقيتها نزلت بالمدينة، قاله جابر بن زيد(٥٥٥٠).

(٥٥٤٠) انظر: الكشاف:٥٩٢/٢.
(٥٥٤١) انظر: مفاتيح الغيب:١٦٧/١٩.
(٥٥٤٢) انظر: البصائر:٢٧٨/١.
(٥٥٤٣) الدر المنثور:١٠٧/٥.
(٥٥٤٤) انظر: المحرر الوجيز:٣٧٧/٣.
(٥٥٤٥) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.
(٥٥٤٦) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم:٢٦٥/٢.
(٥٥٤٧) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.
(٥٥٤٨) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.
(٥٥٤٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥٧/٢-٤٥٨.
(٥٥٥٠) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.

القرآن

{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)} [النحل : ١]

التفسير:

قَرُب قيام الساعة وقضاء الله بعذابكم -أيها الكفار- فلا تستعجلوا العذاب استهزاء بوعيد الرسول لكم. تنزَّه الله سبحانه وتعالى عن الشرك والشركاء.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة لما أخبرهم النبي- صلى الله عليه وسلم- الساعة فخوفهم بها أنها كائنة فقالوا: متى تكون تكذيبا بها؟ فأنزل الله- عز وجل- يا عبادي: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}.. فلما سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- من جبريل- عليه السلام- {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}، وثب قائما وكان جالسا مخافة الساعة فقال جبريل- عليه السلام-: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}، فاطمأن النبي- صلى الله عليه وسلم- عند ذلك"[٥٥٥١].

والثاني: عن أبى بكر بن حفص قال:" لما نزلت:{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}، قاموا، فنزلت: {فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ}"[٥٥٥٢].

قوله تعالى:{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل : ١]، أي:" فرُب قيام الساعة وقضاء الله بعذابكم -أيها الكفار- فلا تستعجلوا العذاب استهزاء بوعيد الرسول لكم"[٥٥٥٣].

وفي قوله تعالى:{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل : ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه إنذار رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قاله أبو مسلم[٥٥٥٤].

الثاني : أنه الأحكام والحدود والفرائض. قاله الضحاك[٥٥٥٥].

الثالث : أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- قاله ابن جريج[٥٥٥٦].

قال ابن جريج:" لما نزلت هذه الآية، يعني :{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ}، قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى، فأمسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}، فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضا، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت :{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}"[٥٥٥٧].

والصواب "قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقَّب ذلك بقوله سبحانه وتعالى {عَمَّا يُشْرِكُونَ}، فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ووعيده لهم. وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيرا"[٥٥٥٨].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل : ١]، أي:" تنزَّه الله سبحانه وتعالى عن الشرك والشركاء"[٥٥٥٩].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٥٥٦٠].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٥٥٦١].

(٥٥٥١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٩/٢.

(٥٥٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٥٩):ص٢٢٧٥/٧، والطبري:١٦٢/١٧.

(٥٥٥٣)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٥٤) حكاه الماوردي عنه في النكت والعيون:١٧٧/٣.

(٥٥٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٦١):ص٢٢٧٦/٧.

(٥٥٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٦٢/١٧.

(٥٥٥٧) أخرجه الطبري:١٦٢/١٧.

(٥٥٥٨) تفسير الطبري:١٦٤/١٧.

(٥٥٥٩)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٥٥٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

القرآن

{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)} [النحل : ٢]

التفسير:

ينزِّل الله الملائكة بالوحي مِن أمره على مَن يشاء من عباده المرسلين: بأن خوِّفوا الناس من الشرك، وأنه لا معبود بحق إلا أنا، فاتقون بأداء فرائضي وإفرادي بالعبادة والإخلاص.

قوله تعالى:{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [النحل : ٢]، أي:" يُنزّل الملائكة بالوحي والنبوة بإرادته وأمره على مَن يشاء من عباده المرسلين"(٥٥٦٢).

وفي قوله تعالى:{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} [النحل : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «الروح» -ها هنا-: «الوحي»، وهو النبوة ،وهو معنى قول الحسن(٥٥٦٣).

عن الحسن:"{ينزل الملائكة بالروح}، قال: بالنبوة"(٥٥٦٤).

الثاني : أنه كلام الله تعالى وهو القرآن ، قاله الربيع ابن أنس(٥٥٦٥).

قال الربيع:" كل كلِم تكلم به ربنا فهو روح منه :{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}، ... إلى قوله :{أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}"(٥٥٦٦).

وعن الضحاك قوله: "{ينزل الملائكة بالروح}، قال: القرآن"(٥٥٦٧)

الثالث : أنها أرواح الخلق. وهذا معنى قول مجاهد(٥٥٦٨).

قال مجاهد :"لا ينزل ملك إلا ومعه روح"(٥٥٦٩).

الرابع : أن «الروح»: الرحمة ، قاله الحسن-أيضا-(٥٥٧٠).

الخامس: أن «الروح»: الرحمة والوحي. قاله قتادة(٥٥٧١).

فالروح - والله أعلم - كان فيه من أمر الله حياة للنفوس والإرشاد إلى أمر الله(٥٥٧٢).

قوله تعالى:{أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل : ٢]، أي:" بأن خوِّفوا الناس من الشرك، وأنه لا معبود بحق إلا أنا، فاتقون بأداء فرائضي وإفرادي بالعبادة والإخلاص"(٥٥٧٣).

قال قتادة:" إنما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده، ويطاع أمره، ويجتنب سخطه"(٥٥٧٤).

القرآن

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)} [النحل : ٤]

التفسير:

خَلَق الإنسان من ماء مهين فإذا به يَقْوى ويغترُّ، فيصبح شديد الخصومة والجدال لربه في إنكار البعث، وغير ذلك، كقوله: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} ، ونسي الله الذي خلقه من العدم.

سبب النزول:

قال الواحدي:" نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم؟ قال: نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة يس:

(٥٥٦٢) صفوة التفاسير:١١١/٢.

(٥٥٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٦٥):ص٢٢٧٦/٧.

(٥٥٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٦٥):ص٢٢٧٦/٧.

(٥٥٦٥) انظر: تفسير الطبري:١٦٦/١٧.

(٥٥٦٦) أخرجه الطبري:١٦٦/١٧.

(٥٥٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٦٦):ص٢٢٧٦/٧.

(٥٥٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٦٦/١٧.

(٥٥٦٩) أخرجه الطبري:١٦٦/١٧.

(٥٥٧٠) انظر: النكت والعيون:١٧٨/٣.

(٥٥٧١) انظر: تفسير الطبري:١٦٦/١٧.

(٥٥٧٢) معاني القرآن:١٩٠/٣.

(٥٥٧٣)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٧٤) أخرجه الطبري:١٦٦/١٧.

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس : ٧٧]، إلى آخر السورة، نازلة في هذه القصة"[٥٥٧٥].

ونقل الماوردي عن الكلبي :"أن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاماً نخرة فذراها وقال : أئعادُ إذا صرنا هكذا"[٥٥٧٦].

قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ} [النحل : ٤]، أي:" خَلق الإنسان من ماء مهين"[٥٥٧٧].

الحسن:" أنه المشرك"[٥٥٧٨].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [النحل : ٤]، أي:" فإذا به بعد تكامله بشراً مخاصمٌ لخالقه، واضح الخصومة، يكابر ويعاند، وقد خُلق ليكون عبداً لا ضداً"[٥٥٧٩].

قال الحسن:" يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر"[٥٥٨٠].

القرآن

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)} [النحل : ٥]

التفسير:

والأنعامَ من الإبل والبقر والغنم خلقها الله لكم -أيها الناس- وجعل في أصوافها وأوبارها الدفء، ومنافع أُخر في ألبانها وجلودها وركوبها، ومنها ما تأكلون.

قوله تعالى:{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} [النحل : ٥]، أي:" والأنعامَ من الإبل والبقر والغنم خلقها الله لكم -أيها الناس- وجعل في أصوافها وأوبارها الدفء"[٥٥٨١].

وفي قوله تعالى:{فِيهَا دِفْءٌ} [النحل : ٥]، وجهان:

أحدهما : أنه اللباس، قاله مجاهد[٥٥٨٢]، وقتادة[٥٥٨٣].

قال مجاهد:" لباس ينسج"[٥٥٨٤].

الثاني : ما ستدفىء به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، قاله الحسن[٥٥٨٥].

قال أهل العلم:" أخبر الله - عز وجل - أن في الأنعام ما يدفئنا، ولم يقل لكم فيها ما يكنكم ويدفئكم من البرد، لأن ما ستر من الحر ستر من البرد، وما ستر من البرد ستر من الحر، قال الله - عز وجل - في موضع آخر: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَ} [النحل : ٨١]، فعلم أنها تقي البرد أيضا، وكذلك إذا قيل: {لكم فيها دفء}، علم أنها تستر من البرد، وتستر من الحر"[٥٥٨٦].

قوله تعالى:{وَمَنَافِعُ} [النحل : ٥]، أي:" ومنافع أُخر في ألبانها وجلودها وركوبها"[٥٥٨٧].

قال مجاهد:" ومنها مركب ولبن ولحم"[٥٥٨٨].

قال مجاهد:" نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها"[٥٥٨٩].

القرآن

(٥٥٧٥) أسباب النزول::٢٨٥. [بدون إسناد]

(٥٥٧٦) النكت والعيون:١٧٩/٣.

(٥٥٧٧)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٧٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠/١.

(٥٥٧٩) صفوة التفاسير:١١١/٢.

(٥٥٨٠) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٣.

(٥٥٨١)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٨٢) انظر: تفسير الطبري:١٦٨/١٧.

(٥٥٨٣) انظر: تفسير الطبري:١٦٨/١٧.

(٥٥٨٤) انظر: تفسير الطبري:١٦٨/١٧.

(٥٥٨٥) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٣.

(٥٥٨٦) معاني القرآن:١٩٠/٣.

(٥٥٨٧)التفسير الميسر:٢٦٧ .

(٥٥٨٨) انظر: تفسير الطبري:١٦٨/١٧.

(٥٥٨٩) أخرجه الطبري:١٦٩/١٧.

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)} [النحل : ٦]

التفسير:

ولكم فيها زينة تُدْخل السرور عليكم عندما تَرُدُّونها إلى منازلها في المساء، وعندما تُخْرجونها للمرعى في الصباح.

قال قتادة:" وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها، طوالا أسنمتها، وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها"(٥٥٩٠).

وقال قتادة: "إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة، وأحسن ما تكون ضروعا"(٥٥٩١).

تسرحون}، أي: حين تخلونها للرعي"(٥٥٩٢).

وعن السدي: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ}، قال: "قول الحسن، إذا رأوها : هذه نَعَمُ فلان"(٥٥٩٣).

القرآن

{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)} [النحل : ٧]

التفسير:

وتحمل هذه الأنعام ما ثُقْل من أمتعتكم إلى بلد بعيد، لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه إلا بجهد شديد من أنفسكم ومشقة عظيمة، إن ربكم لرؤوف رحيم بكم، حيث سخَّر لكم ما تحتاجون إليه، فله الحمد وله الشكر.

قوله تعالى:{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ} [النحل : ٧]، أي:" وتحمل هذه الأنعام ما ثُقْل من أمتعتكم إلى بلد بعيد، لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه إلا بجهد شديد من أنفسكم ومشقة عظيمة"(٥٥٩٤).

قال عكرمة:" البلد: مكة"(٥٥٩٥).

عن قتادة:"{ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ}، قال:" بجهد الأنفس"(٥٥٩٦).

قال عكرمة:" لو تكلفونه لم تبلغوه إلا بجهد شديد"(٥٥٩٧).

وقال مجاهد:" مشقة عليكم"(٥٥٩٨).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النحل : ٧]، أي:" إنَّ ربكم أيها الناس الذي سخَّر لكم هذه الأنعام لعظيمُ الرأفة والرحمة بكم"(٥٥٩٩).

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"(٥٦٠٠).

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"(٥٦٠١). وفي لفظ:" يعني: رحيما بالمؤمنين"(٥٦٠٢).

عن عطاء بن دينار، قوله: "{رحيم} بهم بعد التوبة"(٥٦٠٣).

القرآن

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)} [النحل : ٨]

التفسير:

(٥٥٩٠) أخرجه الطبري:١٧/١٦٩-١٧٠.

(٥٥٩١) أخرجه الطبري:١٧/١٧٠.

(٥٥٩٢) معاني القرآن:٣/١٩٠.

(٥٥٩٣) انظر: النكت والعيون:٣/١٨٠.

(٥٥٩٤) التفسير الميسر:٢٦٨.

(٥٥٩٥) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٧٠.

(٥٥٩٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٧٠.

(٥٥٩٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٧٠.

(٥٥٩٨) أخرجه الطبري:١٧/١٧٠.

(٥٥٩٩) صفوة التفاسير:٢/١١١.

(٥٦٠٠)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٣/٨٩٦

(٥٦٠١)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٣/٨٩٦

(٥٦٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص٦/١٩٩٢.

(٥٦٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٧/٢١٥٩.

وخلق لكم الخيل والبغال والحمير; لكي تركبوها، ولتكون جمَالا لكم ومنظرًا حسنًا; ويخلق لكم من وسائل الركوب وغيرها ما لا عِلْمَ لكم به; لتزدادوا إيمانًا به وشكرا له.

قوله تعالى:{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل : ٨]، أي:" وخلق الخيل والبغال والحمير للحمل والركوب وهي كذلك زينة وجمال"(٥٦٠٤).

عن قتادة :"{لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً}، قال: جعلها لتركبوها، وجعلها زينة لكم، وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل"(٥٦٠٥).

عن الحكم :"{وَالأنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}، فجعل منه الأكل. ثم قرأ حتى بلغ {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا}، قال: لم يجعل لكم فيها أكلا. قال: وكان الحكم يقول: والخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله"(٥٦٠٦).

وروي عن إبراهيم، عن الأسود: "أنه أكل لحم الفرس"(٥٦٠٧).

قال إبراهيم:" نحر أصحابنا فرسا في النجع وأكلوا منه، ولم يروا به بأسا"(٥٦٠٨).

قوله تعالى:{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٨]، أي:" ويخلق لكم من وسائل الركوب وغيرها ما لا عِلْمَ لكم به"(٥٦٠٩).

وفي قوله تعالى:{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : ما لا تعلمون من الخلق، حكاه الماوردي عن الجمهور(٥٦١٠).

الثاني: البراذين. رواه ابن عمر عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-(٥٦١١).

الثالث: أنه خلق السوس في الثياب. قاله مجاهد(٥٦١٢).

الرابع: أنه خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه. قاله قتادة(٥٦١٣)، والسدي(٥٦١٤).

السابع : ما ورد من الأخبار حول المخلوقات والكائنات التي تعيش خارج الأرض، فمن تلك الأخبار:

ما روي عن الشعبي، قال: "إن لله عبادا من وراء الأندلس كما بيننا وبين الأندلس ما يرون أن الله عصاه مخلوق رضراضهم الدر والياقوت وجبالهم الذهب والفضة لا يحرثون ولا يزرعون ولا يعملون عملا لهم شجر على أبوابهم لها ثمر هي طعامهم وشجر لها أوراق عراض هي لباسهم"(٥٦١٥).

وعن وهب، أنه قيل له: "أخبرنا من أتى سعالة الريح وانه رأى بها أربع نجوم كأنها أربعة أقمار فقال وهب: {ويخلق ما لا تعلمون}"(٥٦١٦).

وهذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن باجتماعها يكسب قوة(٥٦١٧).

والتحقيق عندي أن يقال: بأنه لا شك بوجود مخلوقات أخرى غير ما ذكر، وفي الوقت نفسه لا يلزم من ذلك معرفتنا بهذه المخلوقات، فقد قال الله تعالى :{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} النحل: ٨ }، وقال تعالى :{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [النحل: ٤٩]، وقال تعالى :{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص: ٨٨]، وقال تعالى:{ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٦٧ }،

(٥٦٠٤) صفوة التفاسير:١١١/٢.

(٥٦٠٥) أخرجه الطبري:١٧٢/١٧.

(٥٦٠٦) أخرجه الطبري:١٧٣/١٧.

(٥٦٠٧) أخرجه الطبري:١٧٣/١٧.

(٥٦٠٨) أخرجه الطبري:١٧٣/١٧.

(٥٦٠٩) التفسير الميسر:٢٦٨.

(٥٦١٠) انظر: النكت والعيون:١٨٠/٣.

(٥٦١١) أورده السيوطي في الدر المنثور:١١٣/٥، وعزاه إلى الخطيب في تاريخه وابن عساكر.

وساق ابن عساكر في ترجمة محمد بن حمد بن زكريا من طريق الخطيب عن ابن عمر-رضي الله عنهما-، ومحمد ضعفه ابن عساكر. [انظر: لسان الميزان:٣٧٠/٥]، وانظر: موسوعة الحافظ ابن حجر الحديثية:٥١٦/٤].

(٥٦١٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:١١٣/٥، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٥٦١٣) انظر: الكشف والبيان:٦/ ٩، وتفسير القرطبي:٨٠/١٠.

(٥٦١٤) انظر: تفسير القرطبي:٨٠/١٠.

(٥٦١٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:١١٣/٥-١١٤، وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥٦١٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:١١٤/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥٦١٧)انظر الحديث في: تفسير ابن كثير: ٨/ ١٨٤ وانظر: كنز العلمال(٢٩٨٤٣):ص٣٦٨/١٠.

فهذه الآيات وما أشبهها تدل على أن الله تعالى مخلوقات أخرى غير ما نعلمه أو نشاهده، قال أبو السعود في تفسيره: "{ويخلق ما لا تعلمون}، أي: يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم مالا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة "[٥٦١٨].

القرآن

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)} [النحل : ٩]

التفسير:

وعلى الله بيان الطريق المستقيم لِهدايتكم، وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو مائل لا يُوصل إلى الهداية، وهو كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل. ولو شاء الله هدايتكم لهداكم جميعًا للإيمان.

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [النحل : ٩]، أي:" وعلى الله بيان الطريق المستقيم لِهدايتكم، وهو الإسلام"[٥٦١٩].

وفي قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [النحل : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: طريق الحق على الله. مجاهد[٥٦٢٠].

الثاني: أنه الاسلام. قاله السدي[٥٦٢١].

الثالث: معناه: وعلى الله البيان، أي: تبين الهدى والضلال. قاله قتادة[٥٦٢٢]، والضحاك[٥٦٢٣].

قال الضحاك:" يقول: على الله البيان، يبين الهدى من الضلالة، ويبين السبيل التي تفرّقت عن سبله، ومنها جائر"[٥٦٢٤].

وقال قتادة:" على الله بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته"[٥٦٢٥].

وقولُ مجاهد هاهنا أقوى من حيث السياق ؛ لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقًا تسلك إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريقُ الحق ، وهي الطريق التي شَرَعها ورضيها وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ؛ ولهذا قال تعالى : { وَمِنْهَا جَائِرٌ }، أي : حائد مائل زائغ عن الحق[٥٦٢٦].

قوله تعالى:{وَمِنْهَا جَائِرٌ} [النحل : ٩]، أي:" ومن الطرق ما هو مائل لا يُوصل إلى الهداية، وهو كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل"[٥٦٢٧].

قال قتادة:" أي من السبل، سبل الشيطان"[٥٦٢٨].

وقال قتادة:" على السبيل ناكب عن الحق"[٥٦٢٩].

عن الضحاك :"{ وَمِنْهَا جَائِرٌ، يعني: السبل التي تفرّقت عن سبيله"[٥٦٣٠].

عن ابن جريج :"{وَمِنْهَا جَائِرٌ}، السبل المتفرقة عن سبيله"[٥٦٣١].

وذكر ابن وضاح قال: "سئل عاصم بن بهدلة وقيل له: يا أبا بكر، أرأيت قول الله تعالى: {وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين }؟ قال: حدثنا أبو وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خط عبد الله خطا مستقيما، وخط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله، فقال: "خط رسول الله

(٥٦١٨) تفسير أبي السعود:٥/٩٨.
(٥٦١٩) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٧٩):ص٧/٢٢٧٨، وتفسير الطبري:١٧/١٧٥.
(٥٦٢١) انظر تفسير ابن كثير:٤/٥٦٠.
(٥٦٢٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٧٥.
(٥٦٢٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٧٦.
(٥٦٢٤) أخرجه الطبري:١٧/١٧٦.
(٥٦٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٤٨٠):ص٧/٢٢٧٨.
(٥٦٢٦) تفسير ابن كثير:٤/٥٦٠.
(٥٦٢٧) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٢٨) أخرجه الطبري:١٧/١٧٦.
(٥٦٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٤٨٠):ص٧/٢٢٧٨.
(٥٦٣٠) أخرجه الطبري:١٧/١٧٦.
(٥٦٣١) أخرجه الطبري:١٧/١٧٦.

صلى الله عليه وسلم هكذا، فقال للخط المستقيم (هذا سبيل الله)، وللخطوط التي عن يمينه وشماله هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، والسبيل مشتركة، قال الله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه} إلى آخرها"[٥٦٣٢].

قال قتادة : وفي قراءة عبدالله بن مسعود: «ومنكم جائر»"[٥٦٣٣]. قال الشاطبي:" قالوا: يعني هذه الأمة"[٥٦٣٤].

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)} [النحل : ١٠]

التفسير:

هو الذي أنزل لكم من السحاب مطرًا، فجعل لكم منه ماءً تشربونه، وأخرج لكم به شجرًا تَرْعَوْن فيه دوابّكم، ويعود عليكم دَرُّها ونفْعُها.

قوله تعالى:{وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} [النحل : ١٠]، أي:" وأخرج لكم به شجرًا تَرْعَوْن فيه دوابّكم، ويعود عليكم دَرُّها ونفْعُها"[٥٦٣٥].

عن عكرمة، قوله: "{فِيهِ تُسِيمُونَ}، قال: ترعون"[٥٦٣٦]. وروي عن قتادة، والضحاك، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، مثل ذلك[٥٦٣٧].

قال الضحاك:" ترعون أنعامكم"[٥٦٣٨].

القرآن

{يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)} [النحل : ١١]

التفسير:

يُخرج لكم من الأرض بهذا الماء الواحد الزروع المختلفة، ويُخرج به الزيتون والنخيل والأعناب، ويُخرج به كل أنواع الثمار والفواكه. إن في ذلك الإخراج لدلالةً واضحة لقوم يتأملون، فيعتبرون.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل : ١١]، أي:" إن في ذلك الإخراج لدلالةً واضحة لقوم يتأملون، فيعتبرون"[٥٦٣٩].

عن سعيد بن جبير: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[٥٦٤٠].

القرآن

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)} [النحل : ١٢]

التفسير:

وسخَّر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسخَّر لكم الشمس ضياء، والقمر نورًا ولمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجوم في السماء مذللات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ونضج الثمار

(٥٦٣٢)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٣٨)، وتقدم تخريجه (ص٨٥).
(٥٦٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٨٠):ص٢٢٧٨/٧، والطبري:١٧٦/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير:٥٦٠/٤.
(٥٦٣٤) الاعتصام:٨٦/١.
(٥٦٣٥) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٣٦) أخرجه الطبري:١٧٨/١٧.
(٥٦٣٧) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٧.
(٥٦٣٨) أخرجه الطبري: ١٧٨/١٧.
(٥٦٣٩) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٤٠) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.

والزروع، والاهتداء بها في الظلمات. إن في ذلك التسخير لدلائلَ واضحةً لقوم سيعقلون عن الله حججه وبراهينه.

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ} [النحل : ١٢]، أي:" وسخَّر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسخَّر لكم الشمس ضياء، والقمر نورًا ولمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجوم في السماء مذللات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ونضج الثمار والزروع، والاهتداء بها في الظلمات"(٥٦٤١).

عن حسان بن عطية، قال: "الشمس والقمر والنجوم مسخرات في فلك من السماء والأرض"(٥٦٤٢).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [النحل : ١٢]، أي:" إن في ذلك التسخير لدلائلَ واضحةً لقوم سيعقلون عن الله حججه وبراهينه"(٥٦٤٣).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(٥٦٤٤).

القرآن

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)} [النحل : ١٣]

التفسير:

وسخَّر ما خلقه لكم في الأرض من الدوابِّ والثمار والمعادن، وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه. إن في ذلك الخَلْق واختلاف الألوان والمنافع لعبرةً لقوم يتعظون، ويعلمون أنَّ في تسخير هذه الأشياء علاماتٍ على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة.

قوله تعالى:{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} [النحل : ١٣]، أي:" وسخَّر ما خلقه لكم في الأرض من الدوابِّ والثمار والمعادن، وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه"(٥٦٤٥).

قال قتادة: "هو الدواب والأشجار والثمار"(٥٦٤٦).

وعن قتادة:"{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ}، يقول: وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدوابّ، ومن الشجر والثمار، نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله"(٥٦٤٧).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [النحل : ١٣]، أي:" إن في ذلك الخَلْق واختلاف الألوان والمنافع لعبرةً لقوم يتعظون، ويعلمون أنَّ في تسخير هذه الأشياء علاماتٍ على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة"(٥٦٤٨).

عن سعيد بن جبير: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"(٥٦٤٩).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)} [النحل : ١٤]

التفسير:

وهو الذي سخَّر لكم البحر; لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحمًا طريًا، وتستخرجوا منه زينة تَلْبَسونها كاللؤلؤ والمرجان، وترى السفن العظيمة تشق وجه الماء تذهب وتجيء، وتركبونها; لتطلبوا رزق الله بالتجارة والربح فيها، ولعلكم تشكرون لله تعالى على عظيم إنعامه عليكم، فلا تعبدون غيره.

(٥٦٤١) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٣):ص١٤٩٨/٥.
(٥٦٤٣) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(٥٦٤٥) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٤٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٤٧٤):ص٢٦٥/٢.
(٥٦٤٧) أخرجه الطبري:١٨٠/١٧.
(٥٦٤٨) التفسير الميسر:٢٦٨.
(٥٦٤٩) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا} [النحل : ١٤]، أي:" وهو تعالى - بقدرته ورحمته - ذلّل لكم البحر المتلاطم الأمواج للركوب فيه والغوص في أعماقه، لتأكلوا من البحر السمك الطريَّ الذي تصطادونه"(٥٦٥٠).

عن قتادة :"{لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا}، يعني: حيتان البحر"(٥٦٥١).

قوله تعالى:{وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [النحل : ١٤]، أي:" وتستخرجوا منه الجواهر النفيسة كاللؤلؤ والمرجان"(٥٦٥٢).

عن قتادة: "{وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}، قال: هذا اللؤلؤ"(٥٦٥٣).

عن إسماعيل بن عبد الملك، قال: "جاء رجل إلى أبي جعفر، فقال: هل في حليّ النساء صدقة؟ قال: لا هي كما قال الله تعالى {حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...}"(٥٦٥٤).

قوله تعالى:{وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} [النحل : ١٤]، أي:" وترى السفن العظيمة تشق عُباب البحر جاريةً فيه وهي تحمل الأمتعة والأقوات"(٥٦٥٥).

وفي قوله تعالى:{وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} [النحل : ١٤]، وجوه:

أحدها : أن «المواخر»: المواقر ، قاله الحسن-في إحدى الروايات-(٥٦٥٦).

الثاني : أنها التي تجري فيه متعرّضة، قاله أبو صالح(٥٦٥٧).

الثالث : أنها تمخر الريح من السفن، ولا تمخر الريح من السفن، إلا الفلك العظام. قاله مجاهد(٥٦٥٨).

الرابع: المعنى: السفينتان تجريان بريح واحدة كل واحدة مستقبلة الأخرى، قاله الحسن(٥٦٥٩)، والضحاك(٥٦٦٠)، و قتادة(٥٦٦١).

الخامس : أنها تشق الماء بصدرها. قاله عكرمة(٥٦٦٢).

وقال عكرمة:" ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء، فهو المواخر"(٥٦٦٣).

و«المخْر» في كلام العرب: صوت هبوب الريح، إذا اشتدّ هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها، يقال منه: مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا، وهي ماخرة، ويقال: امتخرت الريح وتمخرتها: إذا نظرتَ من أين هبوبها وتسمَّعت صوت هبوبها، ومنه قول واصل مولى ابن عيينة. كان يقال: إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح، يريد بذلك: لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وتردّه عليه(٥٦٦٤).

قوله تعالى:{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [النحل : ١٤]، أي:" سخر لكم البحر لتنتفعوا بما ذُكر ولتطلبوا من فضل الله ورزقه سبل معايشكم بالتجارة"(٥٦٦٥).

عن مجاهد :"{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، قال: تجارة البرّ والبحر، ولتشكروا ربكم على عظيم إنعامه وجليل إفضاله"(٥٦٦٦).

(٥٦٥٠) صفوة التفاسير:١١٢/٢.
(٥٦٥١) أخرجه الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٥٢) صفوة التفاسير:١١٢/٢.
(٥٦٥٣) أخرجه الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٥٤) أخرجه الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٥٥) صفوة التفاسير:١١٢/٢-١١٣.
(٥٦٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٥٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٨٦):ص٢٢٧٨/٧.
(٥٦٥٩) انظر:تفسير الطبري:١٨٢/١٧.
(٥٦٦٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٨٨):ص٢٢٧٩/٧.
(٥٦٦١) انظر:تفسير الطبري:١٨٢/١٧.
(٥٦٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٨٧):ص٢٢٧٩/٧.
(٥٦٦٣) أخرجه الطبري:١٨١/١٧.
(٥٦٦٤)تفسير الطبري:١٨٢/١٧ .
(٥٦٦٥) صفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٦٦٦) اخرجه الطبري:١٨٢/١٧.

عن السدي قوله: "{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}، قال: هو التجارة"(٥٦٦٧).

القرآن

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)} [النحل : ١٥]

التفسير:

وأرسى في الأرض جبالا تثبتها حتى لا تميل بكم، وجعل فيها أنهارًا; لتشربوا منها، وجعل فيها طرقًا; لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها.

قوله تعالى:{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل : ١٥] ، أي:"ونصب في الأرض جبالاً ثوابت راسيات لئلا تضطرب بكم وتميل"(٥٦٦٨).

عن مجاهد :"{أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} : أن تكفأ بكم"(٥٦٦٩).

قال الفراء:" { أن تميد بكم}، لئلا تميد بكم"(٥٦٧٠).

عن قتادة، عن الحسن، قوله :"{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}، قال: الجبال أن تميد بكم. قال قتادة: سمعت الحسن يقول: لما خلقت الأرض كادت تميد، فقالوا: ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا، فأصبحوا وقد خُلقت الجبال، فلم تدر الملائكة مم خُلقت الجبال"(٥٦٧١).

عن قيس بن عباد: "أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور، قالت الملائكة. ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا، فأصبحت صبحا وفيها رواسيها"(٥٦٧٢).

قال وهب: "لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتمور، فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة أحدا على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ولم تدر الملائكة مم خلقت الجبال"(٥٦٧٣).

قوله تعالى:{وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [النحل : ١٥]، أي:" وجعل في الأرض أنهاراً وطرقاً ومسالك، لكي تهتدوا بهذه الطرق الأماكن التي تقصدون"(٥٦٧٤).

عن قتادة، قوله :"{سُبُلا}، أي: طرقا"(٥٦٧٥).

القرآن

{وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)} [النحل : ١٦]

التفسير:

وجعل في الأرض معالم تستدلُّون بها على الطرق نهارًا، كما جعل النجوم للاهتداء بها ليلا.

قوله تعالى:{وَعَلَامَاتٍ} [النحل : ١٦]، أي:" وجعل في الأرض معالم تستدلُّون بها على الطرق نهارًا"(٥٦٧٦).

وفي قوله تعالى:{وَعَلَامَاتٍ} [النحل : ١٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها النجوم أيضاً، لأن من النجوم ما يهتدي بها، قاله مجاهد(٥٦٧٧)، وقتادة(٥٦٧٨)، وإبراهيم النخعي(٥٦٧٩).

قال قتادة:" «العلامات»: هي النجوم"(٥٦٨٠).

(٥٦٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٨٩):ص٢٢٧٩/٧.
(٥٦٦٨) صفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٦٦٩) أخرجه الطبري:١٨٣/١٧.
(٥٦٧٠) معاني القرآ،:٣٢٧/٢.
(٥٦٧١) أخرجه الطبري:١٨٣/١٧-١٨٤.
(٥٦٧٢) أخرجه الطبري:١٨٣/١٧.
(٥٦٧٣) الكشف والبيان:١١/٦.
(٥٦٧٤) صفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٦٧٥) أخرجه الطبري:١٨٤/١٧.
(٥٦٧٦) التفسير الميسر:٢٦٩.
(٥٦٧٧) انظر: تفسير الطبري:١٨٥/١٧.
(٥٦٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٩٤).:ص٢٢٧٩/٧، وتفسير الطبري:١٨٥/١٧.
(٥٦٧٩) انظر: تفسير الطبري:١٨٥/١٧.

الثاني :أنها أنهار الجبال. قاله السدي[٥٦٨١].
الثالث: أن «العلامات»: الجبال. وهذا قول محمد بن كعب[٥٦٨٢].
قال محمد بن كعب القرظي: "أراد بالعلامات: الجبال، فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل"[٥٦٨٣].

والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكلّ علامة استدلّ بها الناس على طرقهم، وفجاج سبُلهم، فداخل في قوله {وَعَلامَاتٍ} والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدي بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهارا، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي والفرقدان، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم[٥٦٨٤].

قوله تعالى:{وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل : ١٦]، أي:" وبالنجوم يهتدون ليلاً في البراري والبحار"[٥٦٨٥].

قال السدي:" يعني: بالثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فيهتدون إلى الطرق والقبلة"[٥٦٨٦].

قال مجاهد وإبراهيم: "أراد جميع النجوم"[٥٦٨٧].

قال قتادة:" ..إن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به"[٥٦٨٨].

عن حسان بن بلال العنزي، قال: "من قال في هذه النجوم سوى هذه الثلاث فهو كاذب، آثم، مفتر، مبتدع"[٥٦٨٩].

القرآن

{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)} [النحل : ١٧]

التفسير:

أتجعلون الله الذي يخلق كل هذه الأشياء وغيرها في استحقاق العبادة كالآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئًا؟ أفلا تتذكرون عظمة الله، فتفردوه بالعبادة؟

قال قتادة:" الله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئا، ولا تملك لأهلها ضرا ولا نفعا"[٥٦٩٠].

القرآن

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)} [النحل : ١٨]

التفسير:

(٥٦٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٤):ص٢٢٧٩/٧، والطبري:١٨٥/١٧.
(٥٦٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٩٥).:ص٢٢٧٩/٧
(٥٦٨٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٢/٦.
(٥٦٨٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٢/٦.
(٥٦٨٤) تفسير الطبري:١٨٦/١٧.
(٥٦٨٥) صفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٦٨٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٢/٦.
(٥٦٨٧) ذكره الواحدي في "البسيط": ٣٦/١٣.
(٥٦٨٨) أخرجه الطبري:١٨٥/١٧.
(٥٦٨٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٦/١.
(٥٦٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٧):ص٢٢٨٠/٧.

وإن تحاولوا حَصْرَ نِعَم الله عليكم لا تَفُوا بحَصْرها; لكثرتها وتنوعها. إن الله لغفور لكم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل : ١٨]، أي:" وإن تحاولوا حَصْرَ نِعَم الله عليكم لا تَفُوا بحَصْرها; لكثرتها وتنوعها"(٥٦٩١).

ذكر يحيى بن سلام عن أبي أمية، عن الحسن، "أن داود النبي قال: إلهي، لو كان لي بكل شعرة في جسدي لسانان يسبحانك الليل والنهار، والدهر كله ما أديت شكر نعمة واحدة أنعمتها علي"(٥٦٩٢).

قال رجل من قيس يكنى أبا بعد الله: "بينا ذات ليلة عند الحسن، فقام من الليل يصلي فلم يزل يردد هذه الآية حتى اسحر:{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}، فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليلة، قال: إن فيها معتبرا ما يرفع طرفا ولا يرده إلا وقع على نعمة، وما لا يعلم من نعم الله أكثر"(٥٦٩٣).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١٨]، أي:" إن الله غفور لما صدر منكم من تقصير رحيم بالعباد حيث ينعم عليهم مع تقصيرهم وعصيانهم"(٥٦٩٤).

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"(٥٦٩٥)، "{رحيما}، بعباده"(٥٦٩٦).

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"(٥٦٩٧).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"(٥٦٩٨).

القرآن

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)} [النحل : ٢٠ - ٢١]

التفسير:

والآلهة التي يعبدها المشركون لا تخلق شيئًا وإن صَغُر، فهي مخلوقات صنعها الكفار بأيديهم، فكيف يعبدونها؟ هم جميعًا جمادات لا حياة فيها ولا تشعر بالوقت الذي يبعث الله فيه عابديها، وهي معهم ليُلقى بهم جميعًا في النار يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [النحل : ٢٠]، أي:" والآلهة التي يعبدها المشركون لا تخلق شيئًا وإن صَغُر، فهي مخلوقات صنعها الكفار بأيديهم، فكيف يعبدونها؟"(٥٦٩٩).

عن قتادة في قوله:" {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، الآية، قال:" هذه الأوثان التي تعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها خيرا ولا نفعا"(٥٧٠٠).

عن السدي: {وَهُمْ يُخْلَقُونَ}، قال:" يعني: وهم يصورون"(٥٧٠١).

قوله تعالى: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل : ٢١]، أي:" هم جميعًا جمادات لا حياة فيها ولا تشعر بالوقت الذي يبعث الله فيه عابديها، وهي معهم ليُلقى بهم جميعًا في النار يوم القيامة"(٥٧٠٢).

(٥٦٩١) التفسير الميسر:٢٦٩.
(٥٦٩٢) تفسير يحيى بن سلام:٥٦/١.
(٥٦٩٣) المنهاج في شعب الإيمان:٢١٨/٢.
(٥٦٩٤) صفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٦٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(٥٦٩٦)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٥٦٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.
(٥٦٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.
(٥٦٩٩) انظر: التفسير الميسر:٢٦٩، وصفوة التفاسير:١١٣/٢.
(٥٧٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٧):ص٢٢٨٠/٧، والطبري:١٨٨/١٧.
(٥٧٠١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٧/١.
(٥٧٠٢) انظر: التفسير الميسر:٢٦٩، وصفوة التفاسير:١١٣/٢.

قال قتادة:" هي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا"[٥٧٠٣].

قال قتادة: "تحشر الأوثان بأعيانها؛ فتخاصم عابديها عند الله؛ أنها لم تدعهم إلى عبادتها، وإنما كان دعاهم إلى ذلك الشياطين"[٥٧٠٤].

القرآن

{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)} [النحل : ٢٢]

التفسير:

إلهكم المستحق وحده للعبادة هو الله الإله الواحد، فالذين لا يؤمنون بالبعث قلوبهم جاحدة وحدانيته سبحانه; لعدم خوفهم من عقابه، فهم متكبرون عن قبول الحق، وعبادة الله وحده.

قوله تعالى:{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [النحل : ٢٢]، أي:" إلهكم المستحق وحده للعبادة هو الله الإله الواحد"[٥٧٠٥].

قال قتادة:" قال: الله إلهنا ومولانا وخالقنا ورازقنا ولا نعبد ولا ندعو غيره"[٥٧٠٦].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ} [النحل : ٢٢]، أي:" لا يؤمنون بالبعث قلوبهم جاحدة وحدانيته سبحانه; لعدم خوفهم من عقابه"[٥٧٠٧].

قال قتادة:" منكرة لهذا الحديث"[٥٧٠٨].

عن قتادة، قال: "لهذا القرآن"[٥٧٠٩].

قوله تعالى:{وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [النحل : ٢٢]، أي:" ، فهم متكبرون عن قبول الحق، وعبادة الله وحده"[٥٧١٠].

قال الحسن:" عن عبادة الله، وعن ما جاء به رسوله"[٥٧١١].

قال قتادة:" مستكبرون عنه"[٥٧١٢]. قال قتادة: "عن القرآن"[٥٧١٣].

القرآن

{لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)} [النحل : ٢٣]

التفسير:

حقًا أنَّ الله يعلم ما يخفونه مِن عقائد وأقوال وأفعال، وما يظهرونه منها، وسيجازيهم على ذلك، إنه عز وجل لا يحب المستكبرين عن عبادته والانقياد له، وسيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى:{لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [النحل : ٢٣]، أي:" حقًا أنَّ الله يعلم ما يخفونه مِن عقائد وأقوال وأفعال، وما يظهرونه منها، وسيجازيهم على ذلك"[٥٧١٤].

عن أبي مالك، في قوله: "{لا جرم}، يعين بالحق"[٥٧١٥].

عن الضحاك، في قوله: {لا جرم}، قال: لا كذب"[٥٧١٦].

(٥٧٠٣) أخرجه الطبري:١٨٨/١٧.

(٥٧٠٤) ذكره ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣٩٨/٢.

(٥٧٠٥) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٧):ص٢٢٨٠/٧.

(٥٧٠٧) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٧):ص٢٢٨٠/٧.

(٥٧٠٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٧/١.

(٥٧١٠) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٧/١.

(٥٧١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٧):ص٢٢٨٠/٧.

(٥٧١٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٧/١.

(٥٧١٤) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٩):ص٢٢٨٠/٧.

(٥٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٠):ص٢٢٨٠/٧.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل : ٢٣]، أي:" إنه عز وجل لا يحب المستكبرين عن عبادته والانقياد له، وسيجازيهم على ذلك"(٥٧١٧).

قال قتادة:" هذا قضاء الله الذي قضى إنه لا يحب المستكبرين وذكر لنا، إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله، انه ليعجبني الجمال، حتى أود إن علاقة سوطي، وقبالة نعلي حسن، فهل ترهب على الكبر؟ فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفا للحق مطمئنا إليه. قال: فليس ذاك بالكبر، ولكن الكبر إن تبطر الحق وتغمص الناس، فلا ترى أحدا أفضل منك وتغمص الحق، فتجاوزه إلى غيره"(٥٧١٨).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤)} [النحل : ٢٤]

التفسير:

وإذا سُئِل هؤلاء المشركون عمَّا نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا كذبًا وزورًا: ما أتى إلا بقصص السابقين وأباطيلهم.

عن قتادة في الآية، قال: "إن أناسا من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فإذا مروا سألوهم فأخبروهم بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا إنما هو أساطير الأولين"(٥٧١٩).

قال السدي:" اجتمعت قريش فقالوا: إن محمدا رجل حلو اللسان، إذا كلمه الرجل ذهب بعقله، فانظروا أناسا من أشرافكم المعدودين المعروفة أنسابهم، فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة على رأس كل ليلة أو ليلتين، فمن جاء يريده فردوه عنه. فخرج ناس منهم في كل طريق، فكان إذا أقبل الرجل وافدا لقومه ينظر ما يقول محمد فينزل بهم. قالوا له: أنا فلان ابن فلان. فيعرفه بنسبه ويقول: أنا أخبرك عن محمد، فلا يريد إن يعني إليه، هو رجل كذاب، لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه. وأما شيوخ قومه وخيارهم، فمفارقون له فيرجع أحدهم. فذلك قوله: {وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}، فإذا كان الوافد ممن عزم الله له على الرشاد فقالوا له مثل ذلك في محمد، قال: بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت، حتى إذا بلغت إلا مسيرة يوم، رجعت قبل إن ألقى هذا الرجل وأنظر ما يقول: وآتي قومي ببيان أمره، فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم: ماذا يقول محمد؟ فيقولون: {خيرا ... للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة}. يقول: قال {ولدار الآخرة خير}، وهي الجنة"(٥٧٢٠).

القرآن

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)} [النحل : ٢٥]

التفسير:

ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة -لا يُغْفَر لهم منها شيء - ويَحْملوا من آثام الذين كذبوا عليهم; ليبعدوهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم. ألا قَبُحَ ما يحملونه من آثام.

قوله تعالى:{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [النحل : ٢٥]، أي:" ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة -لا يُغْفَر لهم منها شيء - ويَحْملوا من آثام الذين كذبوا عليهم; ليبعدوهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم"(٥٧٢١).

عن الحسن والسدي:" {ليحملوا أوزارهم}: آثامهم"(٥٧٢٢).

عن السدي: "{ومن أوزار الذين يضلونهم}: ومن آثام {الذين يضلونهم}"(٥٧٢٣).

(٥٧١٧) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠١):ص٧/٢٢٨٠.

(٥٧١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٤):ص٧/٢٢٨١.

(٥٧٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٣):ص٧/٢٢٨٠-٢٢٨١.

(٥٧٢١) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧٢٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٩/١.

قال مجاهد:" ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم، وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا"[٥٧٢٤].

وقال قتادة: "أي: ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم"[٥٧٢٥].

عن الربيع بن أنس، في قوله: {ليحملوا أوزارهم كاملة}،... الآية. قال: قال النبي:" أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع، كان عليه مثل أوزار من اتبعه من"[٥٧٢٦].

قوله تعالى:{أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل : ٢٥]، أي:" ألا قَبُحَ ما يحملونه من آثام"[٥٧٢٧].

عن زيد بن أسلم:" أنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا، فيجلس إلى جنبه، كلما أفزعه شيء زاده فزعا وكلما تخوف شيئا زاده خوفا، فيقول: بئس الصاحب أنت، ومن أنت؟ فيقول: وما تعرفني؟ فيقول: لا فيقول: أنا عملك كان قبيحا، فلذلك تراني قبيحا، وكان منتنا فلذلك تراني منتنا، طأطئ إلى أركبك فطالما ركبتني في الدنيا، فيركبه، وهو قوله: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة}"[٥٧٢٨].

عن عمرو بن قيس الملائي، قال: "إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك! فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم! وتلا: {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا} [مريم: ٨٥] . وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا، فيقول، هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك! فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيئ، طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك، وتلا: {وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون}"[٥٧٢٩].

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"[٥٧٣٠].

القرآن

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)} [النحل : ٢٦]

التفسير:

قد دبَّر الكفار من قَبْل هؤلاء المشركين المكايد لرسلهم، وما جاءوا به من دعوة الحق، فأتى الله بنيانهم من أساسه وقاعدته، فسقط عليهم السقف مِن فوقهم، وأتاهم الهلاك مِن مأمنهم، من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون أنه يأتيهم منه.

قوله تعالى:{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل : ٢٦]، أي:" قد دبَّر الكفار من قَبْل هؤلاء المشركين المكايد لرسلهم، وما جاءوا به من دعوة الحق، فأتى الله بنيانهم من أساسه وقاعدته، فسقط عليهم السقف مِن فوقهم"[٥٧٣١].

قال قتادة:" أتاها أمر الله من أصلها، فخر عليهم السقف من فوقهم، السقف عالي البيوت فائتفكت بهم بيوتهم، فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون"[٥٧٣٢].

(٥٧٢٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٩/١.

(٥٧٢٤) أخرجه الطبري: ٩٠/١٧.

(٥٧٢٥) أخرجه الطبري: ١٩١/١٧.

(٥٧٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٧):ص٢٢٨١/٧-٢٢٨٢.

(٥٧٢٧) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧٢٨) أخرجه الطبري: ١٩١/١٧.

(٥٧٢٩) أخرجه الطبري(١٣١٨٧):ص٣٢٧/١١.

(٥٧٣٠)أخرجه مسلم في العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (٢٦٧٤) : ٤ / ٢٠٦٠، والبغوي في شرح السنة: ١ / ٢٣٢.

(٥٧٣١) التفسير الكيسر:٢٦٩.

(٥٧٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٠٨):ص٢٢٨٢/٧.

عن مجاهد :{فأتى الله بنيانهم من القواعد}، قال: مكر نمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه"(٥٧٣٣).

قال زيد بن أسلم:" إن أوّل جبار كان في الأرض نمرود، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربع مئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق، أرحم الناس به من جمع يديه، فضرب رأسه بهما، وكان جبارا أربع مئة سنة، فعذّبه الله أربع مئة سنة كمُلكه، ثم أماته الله، وهو الذي كان بنى صَرْحا إلى السماء، وهو الذي قال الله: {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِم}"(٥٧٣٤).

عن زيد بن أسلم :" أن أول جبار كان في الأرض نمروذ , قال: وكان " الناس يخرجون يمتارون من عنده الطعام , قال: فخرج إبراهيم يمتاره مع من يمتار " فإذا مر به ناس قال: «من ربكم؟» قالوا: أنت , حتى مر به إبراهيم قال: «من ربك؟» قال: الذي يحيي ويميت , قال: {أنا أحيي وأميت} [البقرة: ٢٥٨] قال إبراهيم: {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر} [البقرة: ٢٥٨] قال: فرد بغير طعام , قال: فرجع إبراهيم إلى أهله , فمر على كثيب من رمل أعفر , فقال: " ألا آخذ من هذا فأتي به أهلي , فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم , قال: فأخذ منه , فأتى أهله " قال: فوضع متاعه ثم نام , قال: «فقامت امرأته إلى متاعه , ففتحته , فإذا هو بأجود طعام رآه أحد , فصنعت له منه , فقربته إليه , وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام» فقال: من أين هذا؟ فقالت: «من الطعام الذي جئت به , فعرف أن الله رزقه , فحمد الله» ثم بعث الله إلى الجبار ملكا: «أن آمن بي , وأتركك على ملكك» قال: فهل رب غيري؟ قال: «فجاءه الثانية» فقال له ذلك: «فأبى عليه , ثم أتاه الثالثة , فأبى عليه» فقال له الملك: فاجمع جموعك إلى ثلاثة أيام , قال: فجمع الجبار جموعه , قال: «فأمر الله الملك , ففتح عليه بابا من البعوض» قال: فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها , قال: «فبعثها الله عليهم , فأكلت لحومهم , وشربت دماءهم , فلم تبق إلا العظام , والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء» فبعث الله عليه بعوضة , فدخلت في منخره , فمكث أربع مائة سنة , يضرب رأسه , وأرحم الناس به من جمع يديه , ثم ضرب بهما رأسه , وكان جبارا أربع مائة عام , فعذبه الله أربع مائة سنة كملكه , ثم أماته الله , وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء , فأتى الله بنيانه من القواعد , وهو الذي قال الله: {فأتى الله بنيانهم من القواعد} [النحل: ٢٦]"(٥٧٣٥).

قال السدي:" أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج، يعني من مدينته، قال: فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فآمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور، فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن، فربطهن في تابوت، وقعد في ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم، فطرن، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل، ثم رفع لهن اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء، ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع، فألقى اللحم، فاتبعته منقضات، فلما نظرت الجبال إليهن، وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن، فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى: {وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال} وهي في قراءة ابن مسعود: "وإن كاد مكرهم". فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان، فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر، يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث، ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد {فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون} يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض بهم، فسقط، فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية"(٥٧٣٦).

القرآن

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)} [النحل : ٢٧]

(٥٧٣٣) انظر: تفسير الطبري:١٩٤/١٧.
(٥٧٣٤) أخرجه الطبري:١٩٣/١٧.
(٥٧٣٥) تفسير عبدالرزاق(٣٢٨):ص٣٦٧/١.
(٥٧٣٦) أخرجه الطبري:١٩٢/١٧-١٩٣.

التفسير:
ثم يوم القيامة يفضحهم الله بالعذاب ويذلُّهم به، ويقول: أين شركائي من الآلهة التي عبدتموها من دوني; ليدفعوا عنكم العذاب، وقد كنتم تحاربون الأنبياء والمؤمنين وتعادونهم لأجلهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الذل في هذا اليوم والعذاب على الكافرين بالله ورسله.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ} [النحل : ٢٧]، أي:" :" ثم يوم القيامة يفضحهم الله بالعذاب ويذلُّهم به، ويقول: أين شركائي من الآلهة التي عبدتموها من دوني; ليدفعوا عنكم العذاب، وقد كنتم تحاربون الأنبياء والمؤمنين وتعادونهم لأجلهم؟"(٥٧٣٧).

عن السدي: {تُشَاقُّونَ فِيهِمْ}، " يعني: تحاجون فيهم"(٥٧٣٨).

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} [النحل : ٢٧]، أي:" قال العلماء الربانيون: إن الذل في هذا اليوم والعذاب على الكافرين بالله ورسله"(٥٧٣٩).

عن السدي:" {إن الخزي اليوم}، يعني: إن الهوان اليوم. {والسوء}، يعني: العذاب"(٥٧٤٠).

القرآن

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)} [النحل : ٢٨]

التفسير:
الذين تقبض الملائكة أرواحهم في حال ظلمهم لأنفسهم بالكفر، فاستسْلموا لأمر الله حين رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله، وقالوا: ما كنا نعمل شيئًا من المعاصي، فيقال لهم: كَذَبْتم، قد كنتم تعملونها، إن الله عليم بأعمالكم كلها، وسيجازيكم عليها.

سبب النزول:
قال عكرمة: "كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرها إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}"(٥٧٤١).

قوله تعالى:{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النحل : ٢٨]، أي:" الذين تقبض الملائكة أرواحهم في حال ظلمهم لأنفسهم بالكفر"(٥٧٤٢).

قال الحسن: "هي وفاة إلى النار، حشر إلى النار"(٥٧٤٣).

قوله تعالى:{فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} [النحل : ٢٨]، أي:" فاستسْلموا لأمر الله حين رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله، وقالوا: ما كنا نعمل شيئًا من المعاصي"(٥٧٤٤).

قال قتادة:" استسلموا"(٥٧٤٥).

قال السدي:" انقادوا واستسلموا عند الموت"(٥٧٤٦).

وقال الحسن:" فأعطوا الإسلام، أسلموا فلم يقبل ذلك منهم، وقال: إن في القيامة مواطن، فمنها موطن يقرون فيه بأعمالهم الخبيثة وهو قوله: {وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين} [الأنعام: ١٣٠] ، ومنها موطن يجحدون فيه فقالوا: {ما كنا نعمل من سوء} [النحل: ٢٨]"(٥٧٤٧).

قوله تعالى:{بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل : ٢٨]، أي:" فيقال لهم: كَذَبْتم، قد كنتم تعملونها، إن الله عليم بأعمالكم كلها، وسيجازيكم عليها"(٥٧٤٨).

(٥٧٣٧) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٣٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٠/١.
(٥٧٣٩) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٤٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٠/١.
(٥٧٤١) أخرجه الطبري:١٩٥/١٧.
(٥٧٤٢) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٤٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٠/١.
(٥٧٤٤) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٤٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٠/١.
(٥٧٤٦) ذكره الواحدي في "البسيط": ٥٠/١٣.
(٥٧٤٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٠/١.

قال محمد بن إسحاق:" أي: عليم بما يخفون"(٥٧٤٩).
عن سعيد بن جبير: "{عليم}، يعني: عالم بها"(٥٧٥٠).

القرآن
{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)} [النحل : ٢٩]
التفسير:
فادخلوا أبواب جهنم، لا تخرجون منها أبدًا، فلبئست مقرًا للذين تكبَّروا عن الإيمان بالله وعن عبادته وحده وطاعته.
قوله تعالى:{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [النحل : ٢٩]، أي:" فادخلوا أبواب جهنم، لا تخرجون منها أبدًا"(٥٧٥١).
عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٥٧٥٢).
عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (٥٧٥٣).

القرآن
{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)} [النحل : ٣٠]
التفسير:
وإذا قيل للمؤمنين الخائفين من الله: ما الذي أنزل الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: أنزل الله عليه الخير والهدى. للذين آمنوا بالله ورسوله في هذه الدنيا، ودَعَوْا عباد الله إلى الإيمان والعمل الصالح، مَكْرُمَة كبيرة من النصر لهم في الدنيا، وسَعَة الرزق، ولدار الآخرة لهم خير وأعظم مما أُوتوه في الدنيا، ولَنِعْم دارُ الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه دار الآخرةُ.
قوله تعالى:{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا} [النحل : ٣٠]، أي:" وإذا قيل للمؤمنين الخائفين من الله: ما الذي أنزل الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: أنزل الله عليه الخير والهدى"(٥٧٥٤).
قال قتادة:" هؤلاء المؤمنون، يقال لهم: ماذا أنزل ربكم فيقولون: {خيرا للذين أحسنوا}، أي: آمنوا بالله وكتبه وأمروا بطاعته، وحثوا عباد الله على الخير ودعوهم إليه"(٥٧٥٥).
قال السدي:" اجتمعت قريش، فقالوا: إن محمدا رجل حلو اللسان، إذا كلمه الرجل ذهب بعقله، فانظروا أناسا من أشرافكم المعدودين المعروفة أنسابهم، فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة على رأس كل ليلة أو ليلتين، فمن جاء يريده فردوه عنه. فخرج ناس منهم في كل طريق، فكان إذا أقبل الرجل وافدا لقومه ينظر ما يقول محمد فينزل بهم. قالوا له: أنا فلان ابن فلان. فيعرفه بنسبه ويقول: أنا أخبرك عن محمد، فلا يريد إن يعني إليه، هو رجل كذاب، لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه. وأما شيوخ قومه وخيارهم، فمفارقون له فيرجع أحدهم. فذلك قوله: وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين فإذا كان الوافد ممن عزم الله له على الرشاد فقالوا له مثل ذلك في محمد، قال: بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت، حتى إذا بلغت إلا مسيرة يوم، رجعت قبل إن ألقى هذا الرجل وأنظر ما يقول: وآتي قومي ببيان أمره، فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم: ماذا يقول محمد؟ فيقولون: {خيرا ... للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة}"(٥٧٥٦).

(٥٧٤٨) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٦):ص١٩٥٢/٦.
(٥٧٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٥):ص١٩٥٢/٦.
(٥٧٥١) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٥٧٥٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥٧٥٤) التفسير الميسر:٢٧٠.
(٥٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥١٠):ص٢٢٨٢/٧.
(٥٧٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٣):ص٢٢٨٠/٧-٢٢٨١.

قوله تعالى:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ} [النحل : ٣٠]، أي:" للذين آمنوا بالله ورسوله في هذه الدنيا، ودَعَوْا عباد الله إلى الإيمان والعمل الصالح، مَكْرُمَة كبيرة من النصر لهم في الدنيا، وسَعَة الرزق، ولدار الآخرة لهم خير وأعظم مما أُوتوه في الدنيا"(٥٧٥٧).

عن السدي:" {ولدار الآخرة خير}، وهي الجنة"(٥٧٥٨).

قوله تعالى:{وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} [النحل : ٣٠]، أي:" ولَنِعْم دارُ الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه دار الآخرةُ"(٥٧٥٩).

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(٥٧٦٠).

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"(٥٧٦١).

القرآن

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)} [النحل : ٣١]

التفسير:

جنات إقامة لهم، يستقرون فيها، لا يخرجون منها أبدًا، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم، بمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله أهل خشيته وتقواه.

قوله تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} [النحل : ٣١]، أي:" جنات إقامة لهم، يستقرون فيها"(٥٧٦٢).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٥٧٦٣).

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن(٥٧٦٤).

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك(٥٧٦٥).

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء(٥٧٦٦).

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين(٥٧٦٧). ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"(٥٧٦٨).

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"(٥٧٦٩).

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [النحل : ٣١]، أي:" تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار"(٥٧٧٠).

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"(٥٧٧١).

(٥٧٥٧) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٣):ص٧/٢٢٨٠-٢٢٨١.

(٥٧٥٩) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٦٠) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص١٠/٢١١.

(٥٧٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص٦/١٧٥١.

(٥٧٦٢) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٦٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٥٧٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص١٤/٣٥٤.

(٥٧٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص١٤/٣٥٥.

(٥٧٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص١٤/٣٥٥.

(٥٧٦٧)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(٥٧٦٨) انظر: النكت والعيون:٢/٣٨٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(٥٧٦٩) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص١٤/٣٥٤.

(٥٧٧٠) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص٦/١٩٢٩.

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٥٧٧٢).

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} [النحل : ٣١]، أي:" لهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم"(٥٧٧٣).

عن كثير بن مرة، قال: "من الزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ماذا تريدون فأمطره عليكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال كثير: لئن أشهدني الله ذلك، لأقولن: أمطرينا جواري مزينات"(٥٧٧٤).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} [النحل : ٣١]، أي:" بمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله أهل خشيته وتقواه"(٥٧٧٥).

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(٥٧٧٦).

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"(٥٧٧٧).

روي عن سفيان، عن رجل، قال: "نال رجل من عمر بن عبد العزيز، فقيل له: ما يمنعك منه؟ فقال: «إن المتقي ملجم»"(٥٧٧٨). قال أبو خير الهاشمي:" كأنّ له لجاما يمنعه من العدول عن سنن الحقّ قولا وفعلا"(٥٧٧٩).

القرآن

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)} [النحل : ٣٢]

التفسير:

الذين تقبض الملائكةُ أرواحَهم، وقلوبُهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم وسلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره.

قوله تعالى:{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ} [النحل : ٣٢]، أي:" هم الذين تقبض الملائكةُ أرواحهم حال كونهم أبراراً، قد تطهروا من دنس الشرك والمعاصي، طيبةً نفوسهم بلقاء الله"(٥٧٨٠).

عن مجاهد، قوله :"{الذين تتوفاهم الملائكة طيبين}، قال: أحياء وأمواتا، قدر الله ذلك لهم"(٥٧٨١).

قوله تعالى:{يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ} [النحل : ٣٢]، أي:" تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم وسلمتم من كل آفة"(٥٧٨٢).

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك، فقال: السلام عليك ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم نزع بهذه الآية: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين} ... إلى آخر الآية"(٥٧٨٣).

عن حيوة بن شريح، قال: إن الملائكة تأتي ولي الله عند الموت فتقول: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، وتبشره بالجنة "(٥٧٨٤).

(٥٧٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٥٧٧٣) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٤٤):ص٣٣١٠/١٠.

(٥٧٧٥) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٧٦) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٥٧٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٥٧٧٨) رواه ابن سعد في "الطبقات" :٣٧٤/٥، ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٣٣٩/٥) من طريق قبيصة، عن سفيان قال: نال رجل من عمر ... فذكره، والبيهقي في شعب الإيمان(٥٤٠٤):ص٥١٨/٧، عن مالك قال: قال عمر بن عبد العزيز: "التقي ملجم لا يستطيع كل ما يريد".

(٥٧٧٩) الأمثال:٨٢/١، وانظر: أمثال أبي عبيد ٤٠، فصل المقال ٢٢، مجمع الأمثال ١٣٩/١، المستقصى ٣٠٧/١، نكتة الأمثال: ٥.

يضرب في الحثّ على السكوت.

(٥٧٨٠) صفوة التفاسير:١١٦/٢.

(٥٧٨١) أخرجه الطبري:١٩٨/١٧.

(٥٧٨٢) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٨٣) أخرجه الطبري:١٩٨/١٧-١٩٩.

(٥٧٨٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢/١.

القرآن

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)} [النحل : ٣٣]

التفسير:

ما ينتظر المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة; لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، أو يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم، كذلك صنع من قبلهم من المجرمين حتى حلَّ بهم العذاب، وما ظلمهم الله بإهلاكهم، وإنزال العذاب بهم، ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بما جعلهم أهلا للعذاب.

قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ} [النحل : ٣٣]، أي:" ما ينتظر المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة; لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، أو يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم"(٥٧٨٥).

عن قتادة، قوله :"{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ}، قال: بالموت، وقال في آية أخرى {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ}، وهو ملك الموت، وله رسل، قال الله تعالى (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) ذاكم يوم القيامة"(٥٧٨٦).

قال الحسن:" بعذابهم، يعني: مشركي العرب"(٥٧٨٧).

عن مجاهد :"{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ}، يقول: عند الموت حين تتوفاهم، أو يأتي أمر ربك ذلك يوم القيامة"(٥٧٨٨).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النحل : ٣٣]، أي:" كذلك صنع من قبلهم من المجرمين حتى حلَّ بهم العذاب"(٥٧٨٩).

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل : ٣٣]، أي:" وما ظلمهم الله بإهلاكهم، وإنزال العذاب بهم، ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بما جعلهم أهلا للعذاب"(٥٧٩٠).

عن الحسن: {كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، قال: "ينقصون"(٥٧٩١).

القرآن

{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)} [النحل : ٣٤]

التفسير:

فنزلت بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه.

قوله تعالى:{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا} [النحل : ٣٤]، أي:" فنزلت بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها"(٥٧٩٢).

قال السدي: أي :"عذاب ما عملوا من الشرك"(٥٧٩٣).

قوله تعالى:{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [النحل : ٣٤]، أي:" وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه"(٥٧٩٤).

قال السدي:" وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به"(٥٧٩٥).

قال مجاهد:" ما جاءت به أنبياؤهم من الحق"(٥٧٩٦).

(٥٧٨٥) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٨٦) أخرجه الطبري:١٩٩/١٧-٢٠٠.

(٥٧٨٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢/١.

(٥٧٨٨) أخرجه الطبري:٢٠٠/١٧.

(٥٧٨٩)صفوة التفاسير:١١٦/٢.

(٥٧٩٠) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٩١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢/١.

(٥٧٩٢) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٩٣) تفسير يحيى بن سلام:٦٢/١.

(٥٧٩٤) التفسير الميسر:٢٧٠.

(٥٧٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١٥):ص٢٠٠٧/٦.

(٥٧٩٦) أخرجه الطبري(١٨٠٠٣):ص٢٥٥/١٥.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥)} [النحل : ٣٥]

التفسير:

وقال المشركون: لو شاء الله أن نعبده وحده ما عبدنا أحدًا غيره، لا نحن ولا آباؤنا مِن قبلنا، ولا حَرَّمَنا شيئًا لم يحرمه، بمثل هذا الاحتجاج الباطل احتج الكفار السابقون، وهم كاذبون; فإن الله أمرهم ونهاهم ومكَّنهم من القيام بما كلَّفهم به، وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم، فليس على الرسل المنذِرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كُلِّفوا به.

قوله تعالى:{فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل : ٣٥]، أي:" فليس على الرسل المنذِرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كُلِّفوا به"(٥٧٩٧).

قال السدي:" يعني: فما: {فهل على الرسل}"(٥٧٩٨).

القرآن

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)} [النحل : ٣٦]

التفسير:

ولقد بعثنا في كل أمة سبقَتْ رسولا آمرًا لهم بعبادة الله وطاعته وحده وتَرْكِ عبادة غيره من الشياطين والكهنة والأوثان وغير ذلك مما يتخذ من دون الله وليًا، فكان منهم مَن هدى الله، فاتبع المرسلين، ومنهم المعاند الذي اتبع سبيل الغيِّ، فوجبت عليه الضلالة، فلم يوفقه الله. فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حلَّ بهم مِن دمار; لتعتبروا؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل : ٣٦]، أي:" ولقد بعثنا في كل أمة سبقَتْ رسولا آمرًا لهم بعبادة الله وطاعته وحده وتَرْكِ عبادة غيره من الشياطين والكهنة والأوثان وكل من دعا إلى الضلال"(٥٧٩٩).

قال السدي: "{واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦] ، يعني: واجتنبوا الأوثان"(٥٨٠٠).

واختلف في معنى« الطَّاغُوتَ»، على أقوال:

أحدها : أنه الشيطان(٥٨٠١)، وهو قول مجاهد(٥٨٠٢)، والشعبي(٥٨٠٣)، والضحاك(٥٨٠٤)، وقتادة(٥٨٠٥)، والسدي(٥٨٠٦)، وعكرمة(٥٨٠٧).

(٥٧٩٧) التفسير الميسر:٢٧١.

(٥٧٩٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٣/١.

(٥٧٩٩) انظر: التفسير الميسر:٢٧١، وصفوة التفاسير:١١٧/٢.

(٥٨٠٠) تفسير يحيى بن سلام:٦٣/١.

(٥٨٠١) قال الشنقيطي:" قال بعض العلماء : (الطاغوت): الشيطان، ويدل لهذا قوله تعالى : {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقوله : {أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو} وقوله : {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء}، والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بنى ءادم أن لا تعبدوا الشيطان (وقال : (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا {وقال عن خليله ابرهيم} يا أبت لا تعبد الشيطان وقال : {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}،إلى غير ذلك من الآيات".[أضواء البيان: ١٥٩/١].

(٥٨٠٢) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٦):ص٤١٧/٥.

(٥٨٠٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٧):ص٤١٧/٥.

(٥٨٠٤)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٨):ص٤١٧/٥.

(٥٨٠٥)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٩):ص٤١٧/٥.

(٥٨٠٦)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٠):ص٤١٧/٥.

(٥٨٠٧)البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)، قبل الحديث رقم ٤٥٨٣، ولفظه: "الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ".

الثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية[٥٨٠٨]، ومحمد ابن سيرين[٥٨٠٩] والشعبي-أيضا-[٥٨١٠].
الثالث : الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير[٥٨١١]، والرفيع[٥٨١٢]، وابن جريج[٥٨١٣].
الرابع : الأصنام والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون اللَّه تعالى[٥٨١٤]. روي ذلك عن مالك[٥٨١٥].
الخامس : وقيل: أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، روي ذلك عن الإمام مالك[٥٨١٦].
والراجح-والله أعلم- أن «الطاغوت» عبارة عن كل مُعتدٍ وكل معبود من دون الله[٥٨١٧]، وبه قال أكثر أهل العلم.
قوله تعالى:{فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل : ٣٦]، أي:" فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حلَّ بهم مِن دمار; لتعتبروا؟"[٥٨١٨].
قال قتادة:" كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار"[٥٨١٩].

القرآن
{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)} [النحل : ٣٧]
التفسير:
إن تبذل -أيها الرسول- أقصى جهدك لهداية هؤلاء المشركين فاعلم أن الله لا يهدي مَن يضلُّ، وليس لهم من دون الله أحد ينصرهم، ويمنع عنهم عذابه.
قوله تعلى:{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} [النحل : ٣٧]، أي:" إن تبذل -أيها الرسول- أقصى جهدك لهداية هؤلاء المشركين، فاعلم أن الله لا يهدي مَن يضلُّ"[٥٨٢٠].
قرأ النخعي: «إن تحرص»، بفتح الراء[٥٨٢١].
عن الشعبي، قال: "أشهد على علقمة أني سمعته يقرأ: {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل} [النحل: ٣٧] ، أي: من أضله الله، فوجبت عليه الضلالة فإن الله لا يهديه"[٥٨٢٢].

القرآن
{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)} [النحل : ٣٨]
التفسير:
وحلف هؤلاء المشركون بالله أيمانًا مغلَّظة أن الله لا يبعث مَن يموت بعدما بَلِيَ وتفرَّق، بلى سيبعثهم الله حتمًا، وعدًا عليه حقًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه.
سبب النزول:

(٥٨٠٨)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤١):ص٥/٤١٧.
(٥٨٠٩)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٢):ص٥/٤١٧.
(٥٨١٠) أنظر تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٠):ص٢/٤٩٥.
(٥٨١١)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٣):ص٥/٤١٨.
(٥٨١٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٤):ص٥/٤١٨. والرفيه: ، هو أبو العالية الرياحي.
(٥٨١٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٥):ص٥/٤١٨.
(٥٨١٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٤٤٦- ٤٤٧، تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}.
(٥٨١٥) تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٢):ص٢/٤٩٥.
(٥٨١٦) ذكره القرطبي في تفسيره، ٥/ ٢٤٨، عن ابن وهب، عن الإمام مالك، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٤.
(٥٨١٧)انظر :المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى: ٣٠,٤
(٥٨١٨) التفسير الميسر: ٢٧١.
(٥٨١٩) تفسير يحيى بن سلام:٦٣/١.
(٥٨٢٠) التفسير الميسر: ٢٧١.
(٥٨٢١) انظر: الكشاف:٦٠٥/٢.
(٥٨٢٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٤/١.

قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية:" كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا، فقال المشرك: إنك تزعم أنك تبعث بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله :{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"(٥٨٢٣).[مرسل]

قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ} [النحل : ٣٨]، أي:" وحلف هؤلاء المشركون بالله أيمانًا مغلّظة أن الله لا يبعث مَن يموت بعدما بَلِيَ وتفرَّق"(٥٨٢٤).

عن قتادة، "قوله: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت}، تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذب ومصدق"(٥٨٢٥).

قال الربيع:" حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين، فقال: والذي يرسل الروح من بعد الموت، فقال: وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت، وأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت"(٥٨٢٦).

قوله تعالى:{بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل : ٣٨]، أي:" بلى سيبعثهم الله حتمًا، وعدًا عليه حقًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه"(٥٨٢٧).

عن قتادة، قال: "قيل لابن عباس: إن رجالا يقولون: إن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [النحل: ٣٨] , قال: «لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ما تزوجنا نساءه , ولا قسمنا ميراثه ولكن هذه للناس عامة»(٥٨٢٨). وفي لفظ:" ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه"(٥٨٢٩).

القرآن

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [النحل : ٤١]

التفسير:

والذين تركوا ديارهم مِن أجل الله، فهاجروا بعدما وقع عليهم الظلم، لنسكننهم في الدنيا دارًا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر; لأن ثوابهم فيها الجنة. لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله، ما تخلَّف منهم أحد عن ذلك.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الواحدي:" نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بمكة: بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك"(٥٨٣٠). [بدون إسناد]

الثاني: قال الكلبي:"نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرتّ عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا ، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة"(٥٨٣١).

(٥٨٢٣)مرسل، أخرجه ابن جرير (١٧/ ٢٠٣-٢٠٤)، ووعزاه السيوطي في الدر (٤/ ١١٨) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٨٥.

(٥٨٢٤) التفسير الميسر: ٢٧١.

(٥٨٢٥) أخره الطبري: ٢٠٣/١٧.

(٥٨٢٦) أخرجه الطبري: ٢٠٣/١٧.

(٥٨٢٧) التفسير الميسر: ٢٧١.

(٥٨٢٨) تفسير عبدالرزاق(١٤٨٤):ص٢٦٨/٢.

(٥٨٢٩) أخره الطبري: ٢٠٣/١٧.

(٥٨٣٠) أسباب النزول:٢٨٥.

(٥٨٣١) النكت والعيون:١٨٩/٣.

الثالث: قال داود بن أبي هند:" نزلت : {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} ... إلى قوله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[٥٨٣٢]، في أبي جندل بن سهيل"[٥٨٣٣].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ٤١]، أي:" والذين تركوا ديارهم مِن أجل الله، فهاجروا بعدما وقع عليهم الظلم، لنسكننهم في الدنيا دارًا حسنة"[٥٨٣٤].

وفي قوله تعالى:{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ٤١]، وجوه من التفسير:

أحدها : نزول المدينة، قاله الشعبي[٥٨٣٥]، وقتادة[٥٨٣٦].

قال قتادة:" هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين"[٥٨٣٧].

الثاني : الرزق الحسن، قاله مجاهد[٥٨٣٨].

وروي عن العوام، عمن حدثه:" أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه، يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخره لك في الآخرة أفضل. ثم تلا هذه الآية: {لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون}"[٥٨٣٩].

الثالث : أنه النصر على عدوهم ، قاله الضحاك[٥٨٤٠].

وروي عن أبان بن تغلب، قال: "كان الربيع بن خثيم يقرأ هذا الحرف في النحل {والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة}، ويقرأ في العنكبوت: «لنثوينهم من الجنة غرفا»، ويقول: التنبؤ في الدنيا والثواء في الآخرة"[٥٨٤١].

والصواب "قول من قال: معنى {لنبوئنهم} : لنحلنهم ولنسكننهم، لأن التبوء في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} [يونس : ٩٣]، وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل"[٥٨٤٢].

قوله تعالى:{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [النحل : ٤١]، أي:" ولأجر الآخرة أكبر لو كان الناس يعلمون"[٥٨٤٣].

عن قتادة:" قال: "قال الله {ولأجر الآخرة أكبر}، أي والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر، {لو كانوا يعلمون}"[٥٨٤٤].

القرآن

{الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)} [النحل : ٤٢]

التفسير:

هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره المؤلمة، وعلى ربهم وحده يعتمدون، فاستحقوا هذه المنزلة العظيمة.

سبب النزول:

(٥٨٣٢)[النحل : ٤٢].

(٥٨٣٣) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥١٦):ص٢٢٨٣/٧، وعبدالرزاق في تفسيره(١٤٨٦):ص٢٦٨/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٨٩/٣.

(٥٨٣٤) التفسير الميسر:٢٧١.

(٥٨٣٥) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٧.

(٥٨٣٦) انظر: الطبري:٢٠٥/١٧-٢٠٦.

(٥٨٣٧) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٧-٢٠٦.

(٥٨٣٨) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٧.

(٥٨٣٩) أخرجه الطبري:٢٠٦/١٧، وانظر: النكت والعيون:١٨٩/٣.

(٥٨٤٠) انظر: النكت والعيون:١٨٨/٣.

(٥٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥١٩):ص٢٢٨٤/٧.

(٥٨٤٢) تفسير الطبري:٢٠٦/١٧.

(٥٨٤٣) التفسير الميسر:٢٧١، وصفوة التفاسير:١١٨/٢.

(٥٨٤٤) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٧.

قال داود بن أبي هند:" نزلت : {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} ... إلى قوله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[٥٨٤٥]، في أبي جندل بن سهيل"[٥٨٤٦].

قوله تعالى:{الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل : ٤٢]، أي:" هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره المؤلمة، وعلى ربهم وحده يعتمدون"[٥٨٤٧].

قال الحسن: "وهم الذين {هاجروا في الله من بعد ما ظلموا}"[٥٨٤٨].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٥٨٤٩].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)} [النحل : ٤٣]

التفسير:

وما أرسلنا في السابقين قبلك -أيها الرسول- إلا رسلا من الرجال لا من الملائكة، نوحي إليهم، وإن كنتم -يا مشركي قريش- لا تصدقون بذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة، يخبروكم أن الأنبياء كانوا بشرًا، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدهما: عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: "لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، قال: فأنزل الله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ}[٥٨٥٠]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} "[٥٨٥١].

وقال مقاتل:" نزلت في أبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وذلك أنهم قالوا في سبحان: أبعث الله بشرا رسولا يأكل، ويشرب، وترك الملائكة فأنزل الله- عز وجل: {{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} يا محمد- صلى الله عليه وسلم { إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}"[٥٨٥٢].

الثاني: عن سعيد بن جبير في قوله: "{فسئلوا أهل الذكر}، قال: نزلت في عبد الله بن سلام ونفر من اهل التوراة، كانوا أهل كتب يقول: فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون إن الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويعتمر، وإنه لمنافق. قيل: يا رسول الله، بماذا دخل عليه النفاق؟ قال: يطعن على إمامه، وإمامه من قال الله في كتابه: {فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}"[٥٨٥٣].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} [النحل : ٤٣]، أي:" وما أرسلنا في السابقين قبلك -أيها الرسول- إلا رسلا من الرجال لا من الملائكة، نوحي إليهم"[٥٨٥٤].

قال قتادة:" وما نعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى، لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود"[٥٨٥٥].

(٥٨٤٥)[النحل : ٤٢].

(٥٨٤٦) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥١٦):ص٢٢٨٣/٧، وعبدالرزاق في تفسيره(١٤٨٦):ص٢٦٨/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٨٩/٣.

(٥٨٤٧) التفسير الميسر:٢٧١.

(٥٨٤٨) تفسير يحيى بن يلام:٦٥/١.

(٥٨٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٥٨٥٠)[يونس : ٢].

(٥٨٥١) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧، وفي إسناده عنده بشر بن عمارة وهو ضعيف، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

وذكره ابن ابي حاتم(١٢٥٢١):ص٧/ ٢٢٨٤، عن ابن عباس، دون ذكر الإسناد.

وعزاه في الدر (٤/ ١١٨) لابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٨٦، بدون إسناد،

(٥٨٥٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٠/٢.

(٥٨٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٤):ص٢٢٨٩/٧.

(٥٨٥٤) التفسير الميسر:٢٧٢.

(٥٨٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٥٢):ص٢٢١٠/٧.

قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٤٣]، أي:" اسألوا يا معشر قريش العلماء بالتوارة والإنجيل يخبرونكم أن الأنبياء كانوا بشرًا، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر"(٥٨٥٦).

وفي قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٤٣]، أقوال:

أحدها : أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله مجاهد(٥٨٥٧)، وقتادة(٥٨٥٨).

عن مجاهد :{فاسألوا أهل الذكر}، قال: هم أهل الكتاب"(٥٨٥٩).

قال قتادة:" فاسألوا أهل التوراة والإنجيل(٥٨٦٠).

الثاني : أنهم أهل التوراة خاصة، قاله مجاهد أيضا(٥٨٦١).

عن مجاهد:{فاسألوا أهل الذكر}، قال:" أهل التوراة"(٥٨٦٢)

الثالث: أنهم أهل القرآن، قاله أبو جعفرالباقر(٥٨٦٣)، والأعمش(٥٨٦٤).

قال الأعمش:" سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل"(٥٨٦٥).

عن أبي جعفر، قوله:"{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"، قال: نحن أهل الذكر"(٥٨٦٦).

القرآن

{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)} [النحل : ٤٤]

التفسير:

وأرْسَلْنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن; لتوضح للناس ما خفي مِن معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويهتدوا به.

قوله تعالى:{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} [النحل : ٤٤]، أي:" وأرْسَلْنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية"(٥٨٦٧).

عن مجاهد :"{بالبينات والزبر}، قال: الآيات. والزبر: الكتب"(٥٨٦٨).

عن الضحاك:"{ بالزبر}، يعني: بالكتب"(٥٨٦٩).

عن السدي، عن أصحابه، في قوله: "{بالبينات والزبر}، قال: "«البينات»: الحلال والحرام الذي كانت تجيء به الأنبياء، و«الزبر»: كتب الأنبياء"(٥٨٧٠).

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ} [النحل : ٤٤]، أي:" وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن"(٥٨٧١).

عن السدي، عن أصحابه، في قوله:{وأنزلنا إليك الذكر}، قال: هو القرآن"(٥٨٧٢).

قوله تعالى:{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل : ٤٤]، أي:" لتوضح للناس ما خفي مِن معانيه وأحكامه"(٥٨٧٣).

قال مجاهد:" ما أحل لهم وما حرم عليهم"(٥٨٧٤).

(٥٨٥٦) التفسير الميسر:٢٧٢، وصفوة التفاسير:١١٨/٢.

(٥٨٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٠٨/١٧.

(٥٨٥٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٨-٤١٤.

(٥٨٥٩) أخرجه الطبري: ٢٠٨/١٧.

(٥٨٦٠) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٨-٤١٤.

(٥٨٦١) انظر: تفسير الطبري:٢٠٨/١٧.

(٥٨٦٢) أخرجه الطبري: ٢٠٨/١٧.

(٥٨٦٣) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٧.

(٥٨٦٤) انظر: الطبري:٢٠٨/١٧.

(٥٨٦٥) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧.

(٥٨٦٦) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٨.

(٥٨٦٧) التفسير الميسر:٢٧٢.

(٥٨٦٨) أخرجه الطبري:٢١١/١٧.

(٥٨٦٩) أخرجه الطبري:٢١١/١٧.

(٥٨٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٦٦):ص٢٢٨٩/٧.

(٥٨٧١) التفسير الميسر:٢٧٢.

(٥٨٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٦٦):ص٢٢٨٩/٧.

(٥٨٧٣) التفسير الميسر:٢٧٢.

قال قتادة:" أرسله الله إليهم ليتخذ بذلك الحجة عليهم"[٥٨٧٥].
قوله تعالى:{وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل : ٤٤]، أي:" ولكي يتدبروه ويهتدوا به"[٥٨٧٦].
عن مجاهد :{ولعلهم يتفكرون}، قال: يطيعون"[٥٨٧٧].

القرآن
{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥)} [النحل : ٤٥]
التفسير:
أفأمن الكفار المدبِّرون للمكايد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون، أو يأتيهم العذاب من مكان لا يُحِسُّونه ولا يتوقعونه.
قوله تعالى:{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ} [النحل : ٤٥]، أي:" أفأمن الكفار المدبِّرون للمكايد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون"[٥٨٧٨].
عن قتادة في قوله: "{أفأمن الذين مكروا السيئات}، أي: الشرك"[٥٨٧٩].
عن الضحاك في قوله: "{أفأمن الذين مكروا السيئات}، قال: تكذيبهم الرسل وأعمالهم بالمعاصي"[٥٨٨٠].
قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل : ٤٥]، أي:" أو يأتيهم العذاب من مكان لا يُحِسُّونه ولا يتوقعونه"[٥٨٨١].
عن مجاهد: "{أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض}، ... إلى قوله {أو يأخذهم على تخوف}، قال: هو نمرود بن كنعان وقومه"[٥٨٨٢].

القرآن
{أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦)} [النحل : ٤٦]
التفسير:
أو يأخذهم العذاب، وهم يتقلبون في أسفارهم وتصرفهم؟ فما هم بسابقين الله ولا فائتيه ولا ناجين من عذابه; لأنه القوي الذي لا يعجزه شيء.
قوله تعالى:{أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ} [النحل : ٤٦]، أي:" أو يأخذهم العذاب، وهم يتقلبون في أسفارهم وتصرفهم؟"[٥٨٨٣].
وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ} [النحل : ٤٦]، وجوه:
أحدها: أن يأخذهم بالليل والنهار ، قاله ابن جريج[٥٨٨٤].
الثاني : في سفرهم. قاله الحسن[٥٨٨٥]، وقتادة[٥٨٨٦].
قال الحسن:" في البلاد في أسفارهم في غير قرار"[٥٨٨٧].

(٥٨٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٧):ص٢٢٨٩/٧.
(٥٨٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٧):ص٢٢٨٩/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع!
(٥٨٧٦) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٨٧٧) أخرجه الطبري:٢١١/١٧.
(٥٨٧٨) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٨٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٦٨):ص٢٢٨٩/٧.
(٥٨٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٦٨):ص٢٢٨٩/٧.
(٥٨٨١) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٨٨٢) أخرجه الطبري: ٢١٢/١٧.
(٥٨٨٣) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٨٨٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٦٨):ص٢٢٨٩/٧.
(٥٨٨٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٦/١.
(٥٨٨٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢٣):ص٢٢٨٤/٧.
(٥٨٨٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٦/١.

الثالث:على أي حال كانوا بالليل والنهار. قاله الضحاك[٥٨٨٨].

القرآن

{أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)} [النحل : ٤٧]

التفسير:

أو يأخذهم الله بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، أو في حال خوفهم من أخذه لهم، فإن ربكم ليرحم خلقه رحمه واسعة في عاجلهم وآجلهم.

قوله تعالى:{أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} [النحل : ٤٧]، أي:" أو يهلكهم الله حال كونهم خائفين مترقبين لنزول العذاب"[٥٨٨٩].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} [النحل : ٤٧]، وجهان:

أحدهما : يعني: على تنقص، بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء، قاله مجاهد[٥٨٩٠]، وقتادة، حكاه الماوردي عن الضحاك[٥٨٩١].

قال قتادة:" فيعاقب أو يتجاوز"[٥٨٩٢].

الثاني: يعني: أن يأخذ بعضا بالعذاب ويترك الأخرى، وذلك أنه كان يعذب القرية فيهلكها ويترك الأخرى. قاله الحسن[٥٨٩٣]، والضحاك-أيضا-[٥٨٩٤].

قال الحسن:" أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى"[٥٨٩٥].

قوله تعالى:{فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النحل : ٤٧]، أي:" فإن ربكم ليرحم خلقه رحمه واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقوبة"[٥٨٩٦].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٥٨٩٧].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٥٨٩٨]. وفي لفظ:" }، يعني: رحيما بالمؤمنين"[٥٨٩٩].

عن عطاء بن دينار: "{رحيم} بهم بعد التوبة"[٥٩٠٠].

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)} [النحل : ٤٨]

التفسير:

أعَمِيَ هؤلاء الكفار، فلم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء له ظل، كالجبال والأشجار، تميل ظلالها تارة يمينًا وتارة شمالا تبعًا لحركة الشمس نهارًا والقمر ليلا كلها خاضعة لعظمة ربها وجلاله، وهي تحت تسخيره وتدبيره وقهره؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ} [النحل : ٤٨]، أي:" أعَمِيَ هؤلاء الكفار، فلم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء له ظل، كالجبال والأشجار، تميل

(٥٨٨٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢٤):ص٢٢٨٤/٧.
(٥٨٨٩) صفوة التفاسير:١١٨/٢.
(٥٨٩٠) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١٧.
(٥٨٩١) انظر: النكت والعيون:١٩٠/٣.
(٥٨٩٢) أخرجه الطبري:٢١٥/١٧.
(٥٨٩٣) انظر: النكت والعيون:١٩٠/٣.
(٥٨٩٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢٤):ص٢٢٨٤/٧.
(٥٨٩٥) انظر: النكت والعيون:١٩٠/٣.
(٥٨٩٦) التفسير الميسر:٢٧٢، وصفوة التفاسير:١١٨/٢.
(٥٨٩٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٥٨٩٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣
(٥٨٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.
(٥٩٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.

ظلالها تارة يمينًا وتارة شمالا تبعًا لحركة الشمس نهارًا والقمر ليلا ساجدة للهِ سجود خضوعٍ لمشيئته تعالى وانقياد"[٥٩٠١].

قال الضحاك:" تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يفئ الظل، ثم تسجد لله إلى الليل، يعني: ظل كل شيء"[٥٩٠٢].

قال ابن جريج:" إذا فاءت الظلال، ظلال كل شيء بالغدو سجدت لله، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله"[٥٩٠٣].

قال قتادة:" أما اليمين: فأول النهار، وأما الشمال: فآخر النهار"[٥٩٠٤].

قال الحسن: "ربما كان الفيء عن اليمين، وربما كان عن الشمال"[٥٩٠٥].

وفي قوله تعالى:{ سُجَّدًا لِلَّهِ} [النحل : ٤٨]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن ظل كل شيء سجوده ، قاله قتادة[٥٩٠٦].

قال قتادة:" ظل كل شيء فيئه , وظل كل شيء سجوده عن اليمين والشمائل , فاليمين أول النهار , والشمائل آخر النهار"[٥٩٠٧].

الثاني : أن سجود الظلال سجود أشخاصها، قاله الضحاك[٥٩٠٨].

قال الضحاك:" سجد ظل المؤمن طوعا، وظل الكافر كرها"[٥٩٠٩].

قال مجاهد:" ظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع، وظلُّ الكافر يسجد طوعًا وهو كاره"[٥٩١٠].

الثالث : أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة ، قاله الحسن[٥٩١١]، ومجاهد-ايضا-[٥٩١٢].

قال مجاهد:" هو سجود الظلال، ظلال كل شيء ما في السموات وما في الأرض من دابة، قال: سجود ظلال الدواب، وظلال كل شيء"[٥٩١٣].

وقال مجاهد:" إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل"[٥٩١٤].

قال الضحاك:" إذا فاء الفيء توجه كل شيء ساجدا قبل القبلة، من نبت أو شجر، قال: فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك"[٥٩١٥].

قال الحسن : "أما ظلك فيسجد لله، وأما أنت فلا تسجد لله ، فبئس والله ما صنعت"[٥٩١٦].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس يقال من ذلك: سجدت النخلة إذا مالت، وسجد البعير وأسجد: إذا أميل للركوب. وقد بينا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته[٥٩١٧].

قوله تعالى:{وَهُمْ دَاخِرُونَ} [النحل : ٤٨]، أي:" وهم خاضعون صاغرون"[٥٩١٨].

قال مجاهد، وقتادة: "أي: صاغرون"[٥٩١٩].

(٥٩٠١) التفسير الميسر:٢٧٢، وصفوة التفاسير:١١٩/٢.

(٥٩٠٢) أخرجه الطبري:٢١٦/١٧.

(٥٩٠٣) أخرجه الطبري:٢١٦/١٧.

(٥٩٠٤) انظر: تفسير الطبري:٢١٦/١٧.

(٥٩٠٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٧/١.

(٥٩٠٦) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩٠٧) تفسير عبدالرزاق(١٤٨٩):ص٢٦٩/٢، وتفسير الطبري:٢١٦/١٧.

(٥٩٠٨) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩٠٩) أخرجه الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩١٠) أخرجه الطبري(٢٠٣٠٢):ص٤٠٤/١٦.

(٥٩١١) انظر: النكت والعيون:١٩١/٣.

(٥٩١٢) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩١٣) أخرجه الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩١٤) أخرجه الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩١٥) أخرجه الطبري:٢١٧/١٧.

(٥٩١٦) النكت والعيون:١٩١/٣.

(٥٩١٧) تفسير الطبري:٢١٧/١٧-٢١٨.

(٥٩١٨) صفوة التفاسير:١١٩/٢.

القرآن
{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)} [النحل : ٤٩]
التفسير:
ولله وحده يسجد كل ما في السموات وما في الأرض مِن دابة، والملائكة يسجدون لله، وهم لا يستكبرون عن عبادته.
قال قتادة:" لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده له طائعا أو كارها"(٥٩٢٠).

القرآن
{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)} [النحل : ٥١]
التفسير:
وقال الله لعباده: لا تعبدوا إلهين اثنين، إنما معبودكم إله واحد، فخافوني دون سواي.
سبب النزول:
قال مقاتل:" وذلك أن رجلا من المسلمين، دعا الله- عز وجل- في صلاته، ودعا الرحمن. فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين. فأنزل الله- عز وجل- فى قوله: { لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}"(٥٩٢١).
قوله تعالى:{فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل : ٥١]، أي:" فخافوني دون سواي"(٥٩٢٢).
عن بلال بن سعد: "{فإياي فارهبون}: يرهبهم"(٥٩٢٣).

القرآن
{وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)} [النحل : ٥٢]
التفسير:
ولله كل ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، وله وحده العبادة والطاعة والإخلاص دائمًا، أيليق بكم أن تخافوا غير الله وتعبدوه؟
قوله تعالى:{وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النحل : ٥٢]، أي:" ولله كل ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا"(٥٩٢٤).
عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٥٩٢٥).
قوله تعالى:{وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا} [النحل : ٥٢]، أي:" وله وحده العبادة والطاعة والإخلاص دائمًا"(٥٩٢٦).
عن مجاهد: "{وله الدين واصبا}، قال: "الدين: الإخلاص، {واصبا}، يعني: دائما"(٥٩٢٧).
عن قتادة: {وله الدين واصبا}، قال: " دائما. ألا ترى أنه يقول: {عذاب واصب}، أي: دائم "(٥٩٢٨).
عن أبي صالح: "{وله الدين واصبا}، قال: لا إله إلا الله"(٥٩٢٩).

(٥٩١٩) أخرجه الطبري: ٢١٨/١٧.
(٥٩٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٣٠):ص٢٢٨٥/٧.
(٥٩٢١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٢/٢.
(٥٩٢٢) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٠٤):ص٣٠٧٦/٩.
(٥٩٢٤) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(٥٩٢٦) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٢٧) تفسير مجاهد: ٤٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٣٢):ص٢٢٨٥/٧.
(٥٩٢٨) تفسير عبدالرزاق(١٤٩١):ص٢٦٩/٢، وتفسير الطبري:٢٢٢/١٧.

قوله تعالى:{أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} [النحل : ٥٢]، أي:" أيليق بكم أن تخافوا غير الله وتعبدوه؟"(٥٩٣٠).
قال قتادة:" فإن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده طائعا أو كارها"(٥٩٣١).
عن الحسن في الآية، قال: "إن هذا الدين دين واصب....شغل الناس وحال بينهم وبين كثير من شهواتهم، فما يستطيعه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته"(٥٩٣٢).

القرآن
{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)} [النحل : ٥٣]
التفسير:
وما بكم مِن نعمةِ هدايةٍ، أو صحة جسم، وسَعَة رزقٍ وولد، وغير ذلك، فمِنَ الله وحده، فهو المُنْعِم بها عليكم، ثم إذا نزل بكم السقم والبلاء والقحط فإلى الله وحده تَضِجُّون بالدعاء.
قوله تعالى:{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل : ٥٣]، أي:" وما بكم مِن نعمةِ هدايةٍ، أو صحة جسم، وسَعَة رزقٍ وولد، وغير ذلك، فمِنَ الله وحده، فهو المُنْعِم بها عليكم"(٥٩٣٣).
قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل : ٥٣]، أي:" ثم إذا نزل بكم السقم والبلاء والقحط فإلى الله وحده تَضِجُّون بالدعاء"(٥٩٣٤).
قال قتادة:" الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك"(٥٩٣٥).
وقال الحسن في قول الله: "{الصمد}، الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم تلا هذه الآية: {ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون}"(٥٩٣٦).
وفي قوله تعالى:{فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل : ٥٣]، وجهان:
أحدهما : تضجون بالدعاء وبالمسألة، قاله السدي(٥٩٣٧).
الثاني: تتضرعون بالدعاء، قاله مجاهد(٥٩٣٨).

القرآن
{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)} [النحل : ٥٤]
التفسير:
ثم إذا كشف عنكم البلاء والسقم، إذا جماعة منكم بربهم المُنْعِم عليهم بالنجاة يتخذون معه الشركاء والأولياء.
قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ} [النحل : ٥٤]، أي:" ثم إذا كشف عنكم البلاء والسقم"(٥٩٣٩).
قرأ قتادة: «كاشف الضر»، على: فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف، لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة(٥٩٤٠).
قوله تعالى:{إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [النحل : ٥٤]، أي:" إذا جماعة منكم بربهم المُنْعِم عليهم بالنجاة يتخذون معه الشركاء والأولياء"(٥٩٤١).
قال قتادة:" الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك"(٥٩٤٢).

(٥٩٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٣٣):ص٢٢٨٦/٧.
(٥٩٣٠) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٣١) أخرجه الطبري:٢٢٢/١٧.
(٥٩٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٣٥):ص٢٢٨٦/٧.
(٥٩٣٣) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٣٤) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٣٧):ص٢٢٨٦/٧.
(٥٩٣٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٩/٢.
(٥٩٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٣٦):ص٢٢٨٥/٧.
(٥٩٣٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٣٥):ص٢٢٨٥/٧.
(٥٩٣٩) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٤٠) انظر: الكشاف:٦١١/٢.
(٥٩٤١) التفسير الميسر:٢٧٢.
(٥٩٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٣٧):ص٢٢٨٦/٧.

القرآن

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)} [النحل : ٥٥]

التفسير:

ليجحدوا نعمنا عليهم، ومنها كَشْفُ البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم.

قوله تعالى:{فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [النحل : ٥٥]، أي:" فاستمتعوا بدنياكم، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم"(٥٩٤٣).

قال الحسن:" هو وعيد"(٥٩٤٤).

القرآن

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)} [النحل : ٥٦]

التفسير:

ومِن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون للأصنام التي اتخذوها آلهة، -وهي لا تعلم شيئًا ولا تنفع ولا تضر- جزءًا من أموالهم التي رزقهم الله بها تقربًا إليها. تالله لتسألنَّ يوم القيامة عما كنتم تختلقونه من الكذب على الله.

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} [النحل : ٥٦]، أي:" ومِن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون للأصنام التي اتخذوها آلهة، -وهي لا تعلم شيئًا ولا تنفع ولا تضر- جزءًا من أموالهم التي رزقهم الله بها تقربًا إليها"(٥٩٤٥).

قال السدي:" هو قولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا"(٥٩٤٦).

قال قتادة:" هم مشركوا العرب جعلوا لأوثانهم وشياطينهم نصيبا مما رزقهم الله، وجزأوا من أموالهم جزءا فجعلوه لأوثانهم وشياطينهم"(٥٩٤٧).

قال مجاهد:" يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم"(٥٩٤٨).

القرآن

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧)} [النحل : ٥٧]

التفسير:

ويجعل الكفار لله البنات، فيقولون: الملائكة بنات الله، تنزَّه الله عن قولهم، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون من البنين.

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ} [النحل : ٥٧]، أي:" ويجعل الكفار لله البنات، فيقولون: الملائكة بنات الله، تنزَّه الله عن قولهم"(٥٩٤٩).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٥٩٥٠).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٥٩٥١).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} [النحل : ٥٧]، أي:" ويجعلون لأنفسهم ما يحبون من البنين"(٥٩٥٢).

(٥٩٤٣) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٣٨):ص٢٢٨٦/٧.

(٥٩٤٥) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٤٠):ص٢٢٨٦/٧.

(٥٩٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٣٩):ص٢٢٨٦/٧.

(٥٩٤٨) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٧.

(٥٩٤٩) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٥٩٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٥٩٥٢) التفسير الميسر:٢٧٣.

قال الضحاك:" يعني به: البنين"[٥٩٥٣].

القرآن

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)} [النحل : ٥٨]

التفسير:

وإذا جاء مَن يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه; كراهية لما سمع، وامتلأ غمًّا وحزنًا.

قوله تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} [النحل : ٥٨]، أي:" وإذا جاء مَن يخبر أحدهم بولادة أنثى، صار وجهه متغيراً من الغم والحزن"[٥٩٥٤].

قال قتادة:" هذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله بخبث صنيعهم. فأما المؤمن فهو حقيق إن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما ندري أنه لخير لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، فكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته"[٥٩٥٥].

قوله تعالى:{وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل : ٥٨]، أي:" وهو مملوءٌ غيظاً وغماً"[٥٩٥٦].

قال الضحاك:" الكظيم: الكميد"[٥٩٥٧].

القرآن

{يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)} [النحل : ٥٩]

التفسير:

يستخفي مِن قومه كراهة أن يلقاهم متلبسًا بما ساءه من الحزن والعار؛ بسبب البنت التي وُلِدت له، ومتحيرًا في أمر هذه المولودة: أيبقيها حية على ذلٍّ وهوان، أم يدفنها حية في التراب؟ ألا بئس الحكم الذي حكموه مِن جَعْل البنات لله والذكور لهم.

قوله تعالى:{أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} [النحل : ٥٩]، أي:" أيمسك هذه الأنثى على ذلٍ وهوان أم يدفنها في التراب حية؟"[٥٩٥٨].

عن قتادة: "{عَلَى هُونٍ}، أي: هوان بلغة قريش"[٥٩٥٩].

عن ابن جريج:"{أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}: يئد ابنته"[٥٩٦٠].

قال السدي:" كانت العرب يقتلون ما ولد لهم من جارية فيدسونها في التراب وهي حية حتى تموت"[٥٩٦١].

قوله تعالى:{أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل : ٥٩]، أي:" ألا ساء صنيعهم وساء حكمهم، حيث نسبوا لخالقهم البنات - وهي عندهم بتلك الدرجة من الذل"[٥٩٦٢].

قال السدي:" بئس ما حكموا. يقول: شيء لا يرضونه لأنفسهم، فيكف يرضونه لي"[٥٩٦٣].

عن مسرة بن معبد من بني الحارث بن أبي الحرام من لخم عن الوضين: "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوما، فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرا من أهلي

(٥٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٢):ص٢٢٨٦/٧.
(٥٩٥٤) صفوة التفاسير:١٢١/٢.
(٥٩٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٣):ص٢٢٨٦/٨-٢٢٨٧.
(٥٩٥٦) صفوة التفاسير:١٢١/٢.
(٥٩٥٧) أخرجه الطبري: ٢٢٨/١٧.
(٥٩٥٨) صفوة التفاسير:١٢١/٢.
(٥٩٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٤٥):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٦٠) أخرجه الطبري: ٢٢٩/١٧.
(٥٩٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٤٤):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٦٢) صفوة التفاسير:١٢١/٢.
(٥٩٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٤٦):ص٢٢٨٧/٧.

غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه!!. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: «كف فإنه يسأل عما أهمه»، ثم قال له: " أعد علي حديثك فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك»[٥٩٦٤].

والحق أن البنت نعمة من النعم، وقد تكون البنت خيراً من الذكر، وأفضل وأصلح وأحسن وأبر، وكذلك قد تكون أنفع للإنسان من الذكر، ثم إذا احتسب ورباها وأنفق عليها وعلمها وأدبها يعظم له الأجر مما لو قام على ابنه.

القرآن

{لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)} [النحل : ٦٠]

التفسير:

للذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يعملون لها، الصفة القبيحة من العجز والحاجة والجهل والكفر، ولله الصفات العليا من الكمال والاستغناء عن خلقه، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل : ٦٠]، أي:" ولله الصفات العليا من الكمال والاستغناء عن خلقه"[٥٩٦٥].

قال قتادة:" الإخلاص والتوحيد"[٥٩٦٦].

عن قتادة: "{ولله المثل الأعلى}، قال: شهادة أن لا إله إلا الله"[٥٩٦٧].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النحل : ٦٠]، أي:" وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره"[٥٩٦٨].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٥٩٦٩]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٥٩٧٠].

القرآن

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)} [النحل : ٦١]

التفسير:

ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وافترائهم ما ترك على الأرض مَن يتحرَّك، ولكن يبقيهم إلى وقت محدد هو نهاية آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتًا يسيرًا، ولا يتقدمون.

قوله تعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ} [النحل : ٦١]، أي:" ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وافترائهم ما ترك على الأرض مَن يتحرَّك"[٥٩٧١].

وفي قوله: {مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ} [النحل : ٦١]، وجهان من التفسير:

أحدهما: أن قوله {مِنْ دَابَّةٍ}: عنى جميع ما يدب على وجه الأرض.

قال قتادة: "وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام"[٥٩٧٢].

قال سعيد بن جبير: "ما سقاهم المطر"[٥٩٧٣].

(٥٩٦٤) سنن الدرامي(٢):ص١//١٥٣. إسناده رجاله ثقات غير أنه مرسل وقد تفرد بروايته الدارمي.

(٥٩٦٥) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٦٦) أخرجه الطبري: ٢٣٠/١٧.

(٥٩٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٧):ص٢٢٨٧/٧.

(٥٩٦٨) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٥٩٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٥٩٧١) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٥٩٧٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٦/٢.

قال السدي:" إذا قحط المطر لم يبق في الأرض دابة إلا ماتت"(٥٩٧٤).

عن أبي سلمة، قال: "سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال: فالتفت إليه فقال: بلى، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزالا بظلم الظالم"(٥٩٧٥).

الثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج(٥٩٧٦).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل : ٦١]، أي:" ولكن يبقيهم إلى وقت محدد هو نهاية آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتًا يسيرًا، ولا يتقدمون"(٥٩٧٧).

قال الزهري:" نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة، ولا يقدم، ما لم يحضر أجله، فإن الله يؤخر ما شاء، ويقدم ما شاء"(٥٩٧٨).

عن الزهري، عن ابن المسيب، في قوله تعالى: "{وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره} [فاطر: ١١]، قال: لما طعن عمر بن الخطاب قال كعب: لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله , فقال الناس: سبحان الله أليس قد قال الله {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} [الأعراف: ٣٤] فقال كعب: " أليس قد قال الله: {وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب} [فاطر: ١١]، قال الزهري: فنرى أن ذلك يؤخر ما لم يحضر الأجل؛ فإذا حضر لم يؤخر، قال الزهري: وليس أحد إلا وله أجل مكتوب"(٥٩٧٩).

القرآن

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢)} [النحل : ٦٢]

التفسير:

ومن قبائحهم: أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وتقول ألسنتهم كذبًا: إن لهم حسن العاقبة، حقًا أن لهم النار، وأنهم فيها مَتْروكون مَنْسيون.

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ} [النحل : ٦٢]، أي:" ومن قبائحهم: أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات"(٥٩٨٠).

قال الضحاك:" يقول: تجعلون لي البنات وتكرهون ذلك لأنفسكم"(٥٩٨١).

قال السدي:" وهن الجواري"(٥٩٨٢).

قوله تعالى:{وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} [النحل : ٦٢]، أي:" وتقول ألسنتهم كذبًا: إن لهم حسن العاقبة"(٥٩٨٣).

قال مجاهد:" تقول ألسنتهم الكذب» ، {أن لهم الحسنى}" يقول كفار قريش: لنا البنون، ولله البنات"(٥٩٨٤).

قال قتادة:" أي يتكلمون بـ «إن لهم الحسنى»: الغلمان"(٥٩٨٥).

قوله تعالى:{لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} [النحل : ٦٢]، أي:" حقًا أن لهم النار"(٥٩٨٦).

(٥٩٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٤٩):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٥٠):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٧٥) أخرجه الطبري:٢٣١/١٧.
(٥٩٧٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٦/٢.
(٥٩٧٧) التفسير الميسر:٢٧٣.
(٥٩٧٨) أخرجه الطبري:٢٣١/١٧.
(٥٩٧٩) تفسير عبدالرزاق(٢٤٥٤):ص٧٤/٣.
(٥٩٨٠) التفسير الميسر:٢٧٣.
(٥٩٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٢):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٣):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٨٣) التفسير الميسر:٢٧٣.
(٥٩٨٤) تفسير مجاهد: ٤٢٢، وتفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٥٤):ص٢٢٨٧/٧.
(٥٩٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٥٥):ص٢٢٨٨/٧.
(٥٩٨٦) التفسير الميسر:٢٧٣.

عن أبي مالك، في قوله: "{لا جرم}، يعين بالحق"[٥٩٨٧].
عن الضحاك، في قوله: {لا جرم}، قال: لا كذب"[٥٩٨٨].
قوله تعالى:{وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} [النحل : ٦٢]، أي:" وأنهم فيها مَتْروكون مَنْسيون"[٥٩٨٩].
وفي قوله تعالى:{وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} [النحل : ٦٢]، وجوه:
أحدها : معناه: منسيون، قاله مجاهد[٥٩٩٠]، وداود بن ابي هند[٥٩٩١].
وقال سعيد بن جبير:" منسيون مضيعون"[٥٩٩٢].
الثاني : مضيّعون ، قاله الحسن[٥٩٩٣].
وقال قتادة:" مضاعون"[٥٩٩٤].
الثالث : مبعدون في النار ، قاله سعيد بن جبير[٥٩٩٥].
الرابع : متروكون في النار ، قاله الضحاك[٥٩٩٦].
وقال سعيد بن جبير:" متروكون في النار، منسيون فيها"[٥٩٩٧]. وفي لفظ"" ينسون فيها أبدا"[٥٩٩٨].
الخامس : معناه: مُعْجَلُونَ إلى النار مقدّمون إليها ، قاله الحسن[٥٩٩٩]، وقتادة[٦٠٠٠].
قال الحسن:" معجل بهم إلى النار"[٦٠٠١].
ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-:«أنا فَرَطكم على الحوض»[٦٠٠٢]، أي: متقدمكم إليه وسابقكم "حتى تَرِدُوهُ"، وقال القطامي[٦٠٠٣]:
فاسْتَعْجَلُونا وكانُوا مِنْ صَحَابَتِنا ... كمَا تَعَجَّل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ
و«الفرّاط»: المتقدمون في طلب الماء ، و«الورّاد»: المتأخرون.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنه الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك. وذلك أنه يُحكى عن العرب: ما أفْرطت ورائي أحدًا: أي ما خَلَّفته؛ وما فرطته: أي لم أخلفه[٦٠٠٤].

(٥٩٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٩):ص٢٢٨٠/٧.
(٥٩٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٠٠):ص٢٢٨٠/٧.
(٥٩٨٩) التفسير الميسر:٢٧٣.
(٥٩٩٠) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٧.
(٥٩٩١) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٧.
(٥٩٩٢) خرجه الطبري:٢٣٣/١٧.
(٥٩٩٣)حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٩٦/٣ .
(٥٩٩٤) خرجه الطبري:٢٣٣/١٧.
(٥٩٩٥)حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٩٦/٣ .
(٥٩٩٦) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٧.
(٥٩٩٧) خرجه الطبري:٢٣٣/١٧.
(٥٩٩٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٦):ص٢٢٨٨/٧.
(٥٩٩٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٥٧):ص٢٢٨٨/٧.
(٦٠٠٠) انظر: تفسير الطبري:٢٣٤/١٧.
(٦٠٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٥٧):ص٢٢٨٨/٧.
(٦٠٠٢) الحديث« أتدرون أى يوم هذا وأى شهر هذا وأى بلد هذا قالوا هذا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام قال ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ألا وإنى فرطكم على الحوض أنتظركم وأكاثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهى ألا وقد رأيتمونى وسمعتم منى وستسألون عنى فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار ألا وإنى مستنقذ أناسا ومستنقذ منى أناس فأقول يا رب أصحابى فيقول إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك».
حديث رجل من الصحابة: أخرجه أحمد (٤١٢/٥، رقم ٢٣٥٤٤) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٤٤٤/٢، رقم ٤٠٩٩) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد (٣٥١/٥، رقم: ٢٩٣٢) .
حديث ابن مسعود: أخرجه ابن ماجه (١٠١٦/٢، رقم ٣٠٥٧) . قال البوصيرى (٢٠٧/٣) : هذا إسناد صحيح.
ومن غريب الحديث: "فرطكم على الحوض": أى متقدمكم، ومعناه: أنا أولكم قدوما على الحوض. "فليتبوأ": أى: لينزل منزله من النار.
(٦٠٠٣)البيت في ديوان القطامي ،طبعة ليدن، سنة ١٩٠٢.
يقول: استعجلونا: أي أعجلونا، يريد تقدمونا، والفراط: الذين يتقدمون الواردة، فيصلحون الأرشية، حتى يأتي القوم بعدهم. وفي اللسان: فرط: وفرط القوم يفرطهم فرطا (من باب قتل) وفراطة: تقدمهم إلى الورد، لإصلاح الأرشية والدلاء، ومدر الحياض والسقي فيها، فأنا فارط، وهم الفراط؛ قال القطامي: فاستعجلونا ... الخ البيت. وفي الصحاح: كما تعجل في موضع: كما تقدم.

القرآن

{تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)} [النحل : ٦٣]

التفسير:

تالله لقد أرسلنا رسلا إلى أمم مِن قبلك -أيها الرسول- فحسَّن لهم الشيطان ما عملوه من الكفر والتكذيب وعبادة غير الله، فهو متولٍّ إغواءهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع.

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل : ٦٣]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع"[٦٠٠٥].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٦٠٠٦]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٦٠٠٧].

القرآن

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)} [النحل : ٦٤]

التفسير:

وما أنزلنا عليك القرآن -أيها الرسول- إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام; لتقوم الحجة عليهم ببيانك الذي لا يترك الباطل مسلكا إلى النفوس، ولكون القرآن هدى لا يترك مجالاً للحيرة، ورحمة للمؤمنين في اتباعهم الهدى ومجانبتهم الضلال.

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل : ٦٤]، أي:" ولكون القرآن هدى لا يترك مجالاً للحيرة، ورحمة للمؤمنين في اتباعهم الهدى ومجانبتهم الضلال"[٦٠٠٨].

عن سعيد بن جبير:"{هدى}، يعني: تبيانا"[٦٠٠٩].

عن السدي :"{هدى}، قال: نور"[٦٠١٠].

عن الشعبي:"{هدى}، قال: هدى من الضلالة"[٦٠١١].

عن عباد بن منصور، قال:" سألت الحسن عن قوله: {وهدى}، قال: هو القرآن"[٦٠١٢].

عن أبي العالية، قوله: "{ورحمة}، قال: رحمة القرآن"[٦٠١٣].

القرآن

{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)} [النحل : ٦٥]

التفسير:

والله أنزل من السحاب مطرًا، فأخرج به النبات من الأرض بعد أن كانت قاحلة يابسة، إن في إنزال المطر وإنبات النبات لدليلا على قدرة الله على البعث وعلى الوحدانية، لقوم يسمعون، ويتدبرون، ويطيعون الله، ويتقونه.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [النحل : ٦٥]، أي:" والله أنزل من السحاب مطرًا، فأخرج به النبات من الأرض بعد أن كانت قاحلة يابسة"[٦٠١٤].

(٦٠٠٤) تفسير الطبري:٢٣٥/١٧.

(٦٠٠٥) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٦٠٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٦٠٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٦٠٠٨) التفسير الميسر:٢٧٣.

(٦٠٠٩)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٢):ص١٩٥٨/٦ .

(٦٠١٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢١):ص١٩٥٨/٦ .

(٦٠١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٩):ص١٩٥٧/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(٦٠١٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٠):ص١٩٥٧/٦ .

(٦٠١٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٣):ص١٩٥٨/٦ .

(٦٠١٤) التفسير الميسر:٢٧٤.

قال قتادة:" كما أحيا الله الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك يحيي الله عز وجل الناس يوم القيامة"[٦٠١٥].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [النحل : ٦٥]، أي:" إن في إنزال المطر وإنبات النبات لدليلا على قدرة الله على البعث وعلى الوحدانية، لقوم يسمعون، ويتدبرون، ويطيعون الله، ويتقونه"[٦٠١٦].
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[٦٠١٧].

القرآن
{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦)} [النحل : ٦٦]
التفسير:
وإن لكم -أيها الناس- في الأنعام -وهي الإبل والبقر والغنم- لَعظة، فقد شاهدتم أننا نسقيكم من ضروعها لبنًا خارجًا من بين فَرْث -وهو ما في الكَرِش- وبين دم خالصًا من كل الشوائب، لذيذًا لا يَغَصُّ به مَن شَرِبَه.
عن ابن سيرين :"إن ابن عباس شرب لبنا، فقال له مطرف: هل تمضمضت؟ فقال ما أباليه بالة، اسمح يسمح لك. فقال قائل: إنه يخرج من بين فرث ودم. فقال ابن عباس: قد قال الله: {لبنا خالصا سائغا للشاربين}"[٦٠١٨].

القرآن
{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)} [النحل : ٦٧]
التفسير:
ومِن نِعَمنا عليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمرًا مُسْكِرًا -وهذا قبل تحريمها- وطعامًا طيبًا. إن فيما ذكر لَدليلا على قدرة الله لِقومٍ يعقلون البراهين فيعتبرون بها.
قوله تعالى:{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل : ٦٧]، أي:" ومِن نِعَمنا عليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمرًا مُسْكِرًا -وهذا قبل تحريمها- وطعامًا طيبًا "[٦٠١٩].
وفي قوله تعالى:{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل : ٦٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن «السكر»: الخمر، و«الرزق الحسن»: التمر والرطب والزبيب . وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت من بعد بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]. وهذا قول الحسن[٦٠٢٠]، ومجاهد[٦٠٢١]، وقتادة[٦٠٢٢]، وسعيد بن جبير[٦٠٢٣]، وابن ابي ليلى[٦٠٢٤]. ومن ذلك قول الأخطل[٦٠٢٥]:
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ ... إذا جَرَى فيهم المُزَّاءُ والسَّكَرُ
و«السكر»: الخمر ، و«المزاء»: نوع من النبيذ المسكر.
واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين :

(٦٠١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٢):ص٢٧٤/١.
(٦٠١٦) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠١٧) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٦٠١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٨):ص٢٢٨٨/٧.
(٦٠١٩) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٢٠) انظر: تفسير الطبري:٢٤٣/١٧.
(٦٠٢١) انظر: تفسير الطبري:٢٤٣/١٧-٢٤٤.
(٦٠٢٢) انظر: تفسير الطبري:٢٤٤/١٧.
(٦٠٢٣) انظر: تفسير الطبري:٢٤٢/١٧.
(٦٠٢٤) انظر: زاد المسير:٥٦٨/٢.
(٦٠٢٥) ديوانه: ١١٠، و« المُزَّاءُ»: ضرب من الاشربة، الصحاح«مزز».

أحدهما : أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ. قاله قتادة[٦٠٢٦].
عن قتادة :"{سَكَرًا}، قال: هي خمور الأعاجم، ونُسِخت في سورة المائدة، والرزق الحسن قال: ما تنتبذون وتُخَلِّلون وتأكلون"[٦٠٢٧].
الثاني : أنه خرج مخرج الخبر أنهم يتخذون ذلك وإن لم يحل.
قال أبو رزين:" نزل هذا وهم يشربون الخمر، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر"[٦٠٢٨].
قال الحسن:" ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر"[٦٠٢٩].
القول الثاني : أن «السكر»: النبيذ المسكر، و«الرزق الحسن»: التمر والزبيب، قاله مجاهد[٦٠٣٠]، والشعبي[٦٠٣١]، والسدي[٦٠٣٢].
الثالث : أن «السكر»: "هو الخل، بلغة اليمن. قاله الضحاك[٦٠٣٣].
والظاهر أن معنى «السَّكَر» في هذا الموضع: هو كلّ ما حلّ شربه، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم[٦٠٣٤].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [النحل : ٦٧]، أي:" إن فيما ذكر لدليلا على قدرة الله لِقومٍ يعقلون البراهين فيعتبرون بها"[٦٠٣٥].
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[٦٠٣٦].

القرآن
{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)} [النحل : ٦٨]
التفسير:
وألْهَمَ ربك -أيها النبي- النحل بأن اجعلي لك بيوتًا في الجبال، وفي الشجر، وفيما يبني الناس من البيوت والسُّقُف.
قوله تعالى:{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل : ٦٨]، أي:" وألْهَمَ ربك -أيها النبي- النحل"[٦٠٣٧].
وفي قوله تعالى:{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل : ٦٨]، قولان:
أحدهما : أن «الوحي إليها» هو إلهاماً ، قاله مجاهد[٦٠٣٨].
قال مجاهد:" ألهمها إلهاما"[٦٠٣٩].
قال السدي: "وكل شيء من الحيوان إلهام"[٦٠٤٠].
عن معمر، عن أصحابه، قوله :"{وأوحى ربك إلى النحل}، قال: قذف في أنفسها أن اتخذي من الجبال بيوتا"[٦٠٤١].
الثاني : أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها ، قاله الحسن[٦٠٤٢].

(٦٠٢٦) انظر: تفسير الطبري:٢٤٤/١٧.
(٦٠٢٧) أخرجه الطبري:٢٤٤/١٧.
(٦٠٢٨) أخرجه الطبري:٢٤٣/١٧.
(٦٠٢٩) أخرجه الطبري:٢٤٣/١٧.
(٦٠٣٠) انظر: تفسير الطبري:٢٤٦/١٧.
(٦٠٣١) انظر: تفسير الطبري:٢٤٦/١٧.
(٦٠٣٢) انظر: النكتو العيون:١٩٨/٣.
(٦٠٣٣) انظر: زاد المسير:٥٦٩/٢.
(٦٠٣٤) تفسير الطبري:٢٤٧/١٧.
(٦٠٣٥) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٣٦) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٦٠٣٧) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٣٨) انظر: تفسير الطبري:٢٤٨/١٧.
(٦٠٣٩) انظر: تفسير الطبري:٢٤٨/١٧.
(٦٠٤٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣/١.
(٦٠٤١) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٧.

القرآن

{ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)} [النحل : ٦٩]

التفسير:

ثم كُلي مِن كل ثمرة تشتهينها، فاسلكي طرق ربك مذللة لك; لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر، وقد جعلها سهلة عليكِ، لا تضلي في العَوْد إليها وإن بَعُدَتْ. يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان مِن بياض وصفرة وحمرة وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض. إن فيما يصنعه النحل لدلالة قوية على قدرة خالقها لقوم يتفكرون، فيعتبرون.

قوله تعالى:{فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا} [النحل : ٦٩]، أي:" فاسلكي طرق ربك مذللة لك"[٦٠٤٣].

وفي قوله تعالى:{ذُلُلًا} [النحل : ٦٩]، وجوه من التفسير:

أحدهما : مطيعة، قاله قتادة[٦٠٤٤].

وروي عن السدي:" ذليلة لذلك"[٦٠٤٥].

الثاني : أي: طرقا لا يتوعر عليها مكان سلكته، قاله مجاهد[٦٠٤٦].

قوله تعالى:{يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} [النحل : ٦٩]، أي:" يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان مِن بياض وصفرة وحمرة وغير ذلك"[٦٠٤٧].

قوله تعالى:{فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل : ٦٩]، أي:" فيه شفاء للناس من الأمراض"[٦٠٤٨].

وفي قوله تعالى:{فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل : ٦٩]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن ذلك عائد إلى «القرآن»، وأن في القرآن شفاء للناس، أي: بياناً للناس من الحلال والحرام، قاله االحسن[٦٠٤٩]، ومجاهد-في أحد قوليه-[٦٠٥٠]، وبه قال ابن كيسان[٦٠٥١].

الثاني : أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس ، قاله الضحاك[٦٠٥٢].

الثالث : أن ذلك عائد إلى «العسل»، وأن في العسل شفاء للناس ، قاله مجاهد-في قوله الآخر-[٦٠٥٣]، وقتادة[٦٠٥٤]، والسدي[٦٠٥٥]، وهو قول الجمهور[٦٠٥٦].

قال السدي:" هذا العسل {فيه شفاء للناس}، يقول: فيه شفاء الأوجاع التي شفاؤها فيه"[٦٠٥٧].

عن مجاهد:"{.. فيه شفاء للناس}، قال: هو العسل فيه الشفاء، وفي القرآن"[٦٠٥٨].

قال قتادة:"جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: اذْهَبْ فاسْق أخاكَ عَسَلا ثم جاءه فقال: ما زاده إلا شدة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: اذْهَبْ فاسْق أخاكَ عَسَلا فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وكَذَبَ بَطْنُ أخِيكَ، فسقاه، فكأنما نُشِط من عِقال"[٦٠٥٩].

(٦٠٤٢) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٣.
(٦٠٤٣) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٤٤) انظر: تفسير الطبري:٢٤٩/١٧.
(٦٠٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٧٤):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٤٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٧٢):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٤٧) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٤٨) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٤٩) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١٣٦/١٠.
(٦٠٥٠) انظر: تفسير الطبري:٢٥٠/١٧.
(٦٠٥١) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١٣٦/١٠.
(٦٠٥٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٠٠/٣.
(٦٠٥٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٧٥):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٥٤) انظر:: تفسير الطبري:٢٥٠/١٧.
(٦٠٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٧٤):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٥٦) انظر: تفسير القرطبي:١٣٦/١٠.
(٦٠٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٧٤):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٧٥):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٥٩) أخرجه الطبري:٢٥٠/١٧.

والراجح هو القول الثاني، لأن قوله{فِيهِ} في سياق الخبر عن العسل فأن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره[٦٠٦٠].

قال ابن العربي:" كان ابن عمر لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا حتى الدمل إذا خرج عليه طلاه بعسل، فقيل له في ذلك، فقال: أليس الله يقول: {فيه شفاء للناس} [النحل: ٦٩] "[٦٠٦١].

وروي :"أن عوف بن مالك الأشجعي مرض، فقيل له: ألا نعالجك، قال: ائتوني بماء سماء، فإن الله يقول: {ونزلنا من السماء ماء مباركا} [ق: ٩]، وأتوني بعسل، فإن الله يقول: {فيه شفاء للناس} [النحل: ٦٩]. وأتوني بزيت، فإن الله يقول: {من شجرة مباركة} [النور: ٣٥]، فجاءوه بذلك كله، فخلطه جميعا ثم شربه فبرئ"[٦٠٦٢].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل : ٦٩]، أي:" إن فيما يصنعه النحل لدلالة قوية على قدرة خالقها لقوم يتفكرون، فيعتبرون"[٦٠٦٣].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[٦٠٦٤].

القرآن

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)} [النحل : ٧٠]

التفسير:

والله سجانه وتعالى خلقكم ثم يميتكم في نهاية أعماركم، ومنكم مَن يصير إلى أردأ العمر وهو الهرم، كما كان في طفولته لا يعلم شيئًا مما كان يعلمه، إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فالله الذي ردَّ الإنسان إلى هذه الحالة قادر على أن يميته، ثم يبعثه.

قوله تعالى:{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} [النحل : ٧٠]، أي:" ومنكم مَن يصير إلى أردأ العمر وهو الهرم"[٦٠٦٥].

قال السدي: " أرذل العمر هو الخوف"[٦٠٦٦].

وفي الحديث:" اللهم إنى أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من التردى وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا"[٦٠٦٧].

وفي الحديث:" اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر"[٦٠٦٨].

قوله تعالى:{لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} [النحل : ٧٠]، أي:" لينسى ما يعلم فيشبه الطفل في نقصان القوة والعقل"[٦٠٦٩].

قال عكرمة:" من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: {لكي لا يعلم بعد علم شيئا}"[٦٠٧٠].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [النحل : ٧٠]، أي:" عليمٌ بتدبير خلقه، قديرٌ على ما يريده"[٦٠٧١].

(٦٠٦٠) تفسير الطبري:٢٥٠/١٧.
(٦٠٦١) أحكام القرآن:١٣٨/٣.
(٦٠٦٢) أحكام القرآن:١٣٨/٣.
(٦٠٦٣) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٦٤) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٦٠٦٥) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦٠٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٧٧):ص٢٢٩٠/٧.
(٦٠٦٧)أخرجه أحمد (٤٢٧/٣، رقم ١٥٥٦٢) ، وأبو داود (٩٢/٢، رقم ١٥٥٢) ، والنسائى (٢٨٣/٨، رقم ٥٥٣٢) ، والطبرانى (١٧٠/١٩، رقم ٣٨١).
(٦٠٦٨)أخرجه أحمد (١٨٣/١، رقم ١٥٨٥) ، والبخارى (٢٣٤٢/٥، رقم ٦٠٠٩) ، وابن أبى شيبة (١٨/٦، رقم ٢٩١٣٠) وابن حبان (٣٧١/٥، رقم ٢٠٢٤) . وأخرجه أيضا: البزار (٣٤٣/٣، رقم ١١٤٤).
(٦٠٦٩) صفوة التفاسير:١٢٣/٢.
(٦٠٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٧٨):ص٢٢٩٠/٧.

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٦٠٧٢]، {قَدِيرٌ}، "أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٦٠٧٣].

القرآن

{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)} [النحل : ٧١]

التفسير:

والله فَضَّل بعضكم على بعض فيما أعطاكم في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا لله شركاء من عبيده؟ إن هذا لَمن أعظم الظلم والجحود لِنعم الله عز وجل.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} [النحل : ٧١]، أي:" والله فَضَّل بعضكم على بعض فيما أعطاكم في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا لله شركاء من عبيده؟ "[٦٠٧٤].

قال مجاهد:" مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره"[٦٠٧٥].

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد يشارك مملوكه في زوجته وفي فراشه؟! أفتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك بهذا، فالله أحق إن تبرئه من ذلك، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه"[٦٠٧٦].

قال عطاء الخراساني:" هذا مثل ضربه الله في شأن الآلهة، فقال: كيف تعدلون بي عبادي، ولا تعدلون عبيدكم بأنفسكم، وتردون ما فضلتم به عليهم فتكونون أنتم وهم في الرزق سواء.؟"[٦٠٧٧].

عن الحسن البصري، قال: "كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، اقنع برزقك في الدنيا، فإن الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلا، فيبتلى به من بسط له، كيف شكره فيه، وشكره لله أداؤه الحق الذي افترض عليه مما رزقه وخوله"[٦٠٧٨].

القرآن

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)} [النحل : ٧٢]

التفسير:

والله سبحانه جعل مِن جنسكم أزواجا; لتستريح نفوسكم معهن، وجعل لكم منهن الأبناء ومِن نسلهنَّ الأحفاد، ورزقكم من الأطعمة الطيبة من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك. أفبالباطل من ألوهية شركائهم يؤمنون، وبنعم الله التي لا تحصى يجحدون، ولا يشكرون له بإفراده جل وعلا بالعبادة؟

قوله تعالى:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [النحل : ٧٢]، أي:" والله سبحانه جعل مِن جنسكم وشكلكم أزواجا ليحصل الائتلاف والمودة والرحمة بينكم"[٦٠٧٩].

(٦٠٧١) صفوة التفاسير:١٢٣/٢.

(٦٠٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٦٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

(٦٠٧٤) التفسير الميسر:٢٧٤.

(٦٠٧٥) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٧.

(٦٠٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٨١):ص٢٢٩١/٧، والطبري:٢٥٢/١٧-٢٥٣.

(٦٠٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٨٢):ص٢٢٩١/٧.

(٦٠٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٨٣):ص٢٢٩١/٧.

(٦٠٧٩) انظر: صفوة التفاسير:١٢٤/٢، والتفسير الميسر:٢٧٤.

قال قتادة:" أي: والله خلق آدم، ثم خلق زوجته منه"[٦٠٨٠].
قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً} [النحل : ٧٢]، أي:" وجعل لكم من هؤلاء الزوجات الأولاد وأولاد الأولاد"[٦٠٨١].
وفي معنى «الحفدة»، أقوال :
أحدها : أنهم الأصهار أختان الرجل على بناته، قاله أبو الضحى[٦٠٨٢]، وسعيد بن جبير[٦٠٨٣]، وإبراهيم[٦٠٨٤]، ومنه قول الشاعر[٦٠٨٥]:
ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ...لها حَفَدٌ مما يُعَدّث كثيرُ
ولكنها نفس عليَّ أبيّة ... عَيُوفٌ لأصهارٍ للئام قَذور
قال القاسم بن سلام:" «الحفدة»: الأختان بلغة سعد العشيرة"[٦٠٨٦].
الثاني : أنهم الولد وولد الولد، قاله الضحاك[٦٠٨٧].
قال الضحاك:" يعني: ولد الرجل يحفِدونه ويخدُمونه، وكانت العرب إنما تخدمهم أوّلادهم الذكور"[٦٠٨٨].
الثالث : أنهم الأعوان، قاله الحسن[٦٠٨٩]، وأبو مالك[٦٠٩٠]، وعكرمة[٦٠٩١].
قال الحسن:" مَنْ أعانك من أهل وخادم فقد حفدك"[٦٠٩٢].
قال عكرمة:" الحفدة: من خدمك من ولدك وولد ولدك"[٦٠٩٣].
الرابع : أنهم الخدم، قاله الحسن أيضا[٦٠٩٤]، ومجاهد[٦٠٩٥]، وقتادة[٦٠٩٦]، وطاووس[٦٠٩٧]، ومنه قول جميل[٦٠٩٨]:
حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ ... بأكُفِّهِنَّ أزِمَّةُ الأجْمال
وقال طرفة بن العبد[٦٠٩٩]:
يَحْفِدون الضيفَ في أبياتِهِمْ ... كَرَمًا ذلك منهم غيرَ دُلّ
وأصل «الحفد» الإسراع، و«الحفدة» جمع «حافد»، و«الحافد» هو المسرع في العمل، ومنه قولهم في «القنوت»: وإليك نسعى ونحفد، أي: نسرع إلى العمل بطاعتك[٦١٠٠]، منه قول الراعي[٦١٠١]:

(٦٠٨٠) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٧.
(٦٠٨١) صفوة التفاسير:١٢٤/٢.
(٦٠٨٢) انظر: تفسير الطبري:٢٥٤/١٧.
(٦٠٨٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٠٢/٣.
(٦٠٨٤) انظر: تفسير الطبري:٢٥٤/١٧.
(٦٠٨٥)ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حفد» . ولم ينسبه لقائل.
(٦٠٨٦) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٧.
(٦٠٨٧) انظر: تفسير الطبري:٢٥٧/١٧.
(٦٠٨٨) اخرجه الطبري:٢٥٧/١٧.
(٦٠٨٩) انظر: تفسير الطبري:٢٥٥/١٧.
(٦٠٩٠) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩١) انظر: تفسير الطبري:٢٥٥/١٧.
(٦٠٩٢) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٧.
(٦٠٩٣) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩٤) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩٥) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩٦) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩٧) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٧.
(٦٠٩٨)البيت فى مجاز القرآن:٣٦٤/١، وتفسير الطبري ١٧/ ٢٥٥، ٨٩ والجمهرة ٢/ ١٢٣، والقرطبي ١٠/ ١٤٣، ١٤٤ واللسان والتاج (حفد) وشواهد الكشاف ٢٣٧. ونسبه ابن دريد إلى الفرزدق.
(٦٠٩٩)ليس في ديوانه، وورد في "تفسير الماوردي" ٣/ ٢٠٢، وورد غير منسوب في "تفسير أبي حيان" ٥/ ٥٠٠، و"الدر المصون" ٧/ ٢٦٥، و"تفسير الألوسي" ١٤/ ١٩٠.
(٦١٠٠) انظر تفسير الطبري:٢٥٧/١٧-٢٥٨، والنكت والعيون:٢٠٢/٣.
(٦١٠١) ديوانه:٥٨، وتفسير الطبري:٢٥٨/١٧، والنكت والعيون:٢٠٢/٣-٢٠٣، و منتهى الطلب/ محمد بن المبارك:٣٧/٦، ونسبه القرطبي: إلى الأعشى ولم أقف عليه في ديوانه.١٤٣/١٠.

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقا يَمَانيَّةً ... إذا الحُدَاةُ على أكْسائها حَفَدُوا

وكل الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة، ومَخْرج في التأويل[٦١٠٢]، وهو الصحيح-الله أعلم-.

قوله تعالى:{أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل : ٧٢]، أي:" أفبالباطل من ألوهية شركائهم يؤمنون، وبنعم الله التي لا تحصى يجحدون، ولا يشكرون له بإفراده جل وعلا بالعبادة؟"[٦١٠٣].

عن قتادة: "{أفبالباطل يؤمنون}، قال: الشرك"[٦١٠٤].

القرآن

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣)} [النحل : ٧٣]

التفسير:

ويعبد المشركون أصنامًا لا تملك أن تعطيهم شيئًا من الرزق من السماء كالمطر، ولا من الأرض كالزرع، فهم لا يملكون شيئًا، ولا يتأتى منهم أن يملكوه; لأنهم لا يقدرون.[٦١٠٥].

قوله تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا} [النحل : ٧٣]، أي:" ويعبد المشركون أصنامًا لا تملك أن تعطيهم شيئًا من الرزق من السماء كالمطر، ولا من الأرض كالزرع، فهم لا يملكون شيئًا"[٦١٠٦].

قال قتادة:" هذه الأوثان التي تعبد من دون الله، لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا"[٦١٠٧].

القرآن

{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)} [النحل : ٧٤]

التفسير:

وإذا عَلِمتم أن الأصنام والأوثان لا تنفع، فلا تجعلوا -أيها الناس- لله أشباهًا مماثلين له مِن خَلْقه تشركونهم معه في العبادة. إن الله يعلم ما تفعلون، وأنتم غافلون لا تعلمون خطأكم وسوء عاقبتكم.

قوله تعالى:{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل : ٧٤]، أي:" وإذا عَلِمتم أن الأصنام والأوثان لا تنفع، فلا تجعلوا -أيها الناس- لله أشباهًا مماثلين له مِن خَلْقه تشركونهم معه في العبادة"[٦١٠٨].

قال السدي:" يعني: لا تصفوا له الأشباه"[٦١٠٩].

قال قتادة:" {فلا تضربوا لله الأمثال}، فإنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"[٦١١٠].

القرآن

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)} [النحل : ٧٥]

التفسير:

اكسائها. وهو جمع كسي، وهو مؤخر العجز. انظر: اللسان: "كسا".

(٦١٠٢) تفسير الطبري:٢٥٩/١٧.

(٦١٠٣) التفسير الميسر:٢٧٤.

(٦١٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٩٢):ص٢٢٩٢/٧.

(٦١٠٥) التفسير الميسر:٢٧٥.

(٦١٠٦) التفسير الميسر:٢٧٤.

(٦١٠٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٩٣):ص٢٢٩٢/٧.

(٦١٠٨) التفسير الميسر:٢٧٤.

(٦١٠٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧/١.

(٦١١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٩٣):ص٢٢٩٢/٧.

ضرب الله مثلا بيَّن فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلا مملوكًا عاجزًا عن التصرف لا يملك شيئًا، ورجلا آخر حرًا، له مال حلال رزَقَه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، فكيف تُسَوُّون بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمد والنعمة لله، وأنه وحده المستحق للعبادة.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" نزلت هذه الآية: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} في رجل من قريش وعبده، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرا وجهرا، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه"(٦١١١).

قوله تعالى:{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ} [النحل : ٧٥]، أي:" ضرب الله مثلا بيَّن فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلا مملوكًا عاجزًا عن التصرف لا يملك شيئًا، ورجلا آخر حرًا، له مال حلال رزَقَه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، فكيف تُسَوُّون بينهما؟"(٦١١٢).

وفي هذا المثل قولان :

أحدهما : أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً هو المؤمن، لما عنده من الخير، وهذا معنى قول قتادة(٦١١٣).

عن قتادة:" {ضرب الله مثلا عبدا مملوكا}، قال: هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله، {ومن رزقناه منا رزقا حسنا}، قال: هو المؤمن أعطاه الله مالا رزقا حلالا، فعمل فيه بطاعة الله، وأخذه بشكر ومعرفة حق الله، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة. قال الله: {هل يستويان مثلا}، قال: لا والله لا يستويان"(٦١١٤).

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان، لأنها لا تملك شيئاً ، وإنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذي يملك كل شيء ، وهذا معنى قول الحسن(٦١١٥)، و مجاهد(٦١١٦).

عن الحسن في قوله:"{ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء}، قال: الصنم"(٦١١٧).

عن مجاهد في قوله: "{ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا}، {رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ} [النحل : ٧٦] {وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل : ٧٦]، قال: كل هذا مثل إله الحق، وما يدعون من دونه الباطل"(٦١١٨).

قال الربيع بن أنس:" إن الله ضرب الأمثال على حسب الأعمال، فليس عمل صالح، إلا له المثل الصالح، وليس عمل سوء، إلا له مثل سوء، وقال: إن مثل العالم المتفهم، كطريق بين شجر وجبل، فهو مستقيم لا يعوجه شيء، فذلك مثل العبد المؤمن الذي قرأ القرآن وعمل به"(٦١١٩).

القرآن

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)} [النحل : ٧٦]

التفسير:

(٦١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠١):ص٢٢٩٣/٧.
(٦١١٢) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٥٩٦):ص٢٢٩٢/٧ .
(٦١١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٩٦):ص٢٢٩٢/٧ .
(٦١١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٩٨):ص٢٢٩٣/٧.
(٦١١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٩٧):ص٢٢٩٣/٧، وتفسير الطبري:٢٦٢/١٧.
(٦١١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٩٨):ص٢٢٩٣/٧.
(٦١١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٩٧):ص٢٢٩٣/٧، وتفسير الطبري:٢٦٢/١٧.
(٦١١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٩٩):ص٢٢٩٣/٧.

وضرب الله مثلا آخر لبطلان الشرك رجلين: أحدهما أخرس أصم لا يَفْهَم ولا يُفْهِم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على مَن يَلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجل آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإنصاف، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ فكيف تُسَوُّون بين الصنم الأبكم الأصمِّ وبين الله القادر المنعم بكل خير؟

عن السدي في الآية، قال: "هذا مثل ضربه الله للآلهة أيضا. أما الأبكم: فالصنم، فإنه أبكم لا ينطق {وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ} [النحل : ٧٦]، ينفقون عليه وعلى من يأتيه، ولا ينفق هو عليهم ولا يرزقهم، {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل : ٧٦]، وهو الله"[٦١٢٠].

عن قتادة: "{لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} [النحل : ٧٦]، قال: هو الوثن، {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل : ٧٦]، قال: الله يأمر بالعدل، {وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل : ٧٦]"[٦١٢١].

قال مجاهد:" كلّ هذا مثل إله الحقّ، وما يُدعى من دونه من الباطل"[٦١٢٢].

القرآن

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)} [النحل : ٧٧]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى عِلْمُ ما غاب في السموات والأرض، وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء قدير.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- متى الساعة؟ فأنزل الله- عز وجل- {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وغيب الساعة ليس ذلك إلى أحد من العباد"[٦١٢٣].

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النحل : ٧٧]، أي:" ولله سبحانه وتعالى عِلْمُ ما غاب في السموات والأرض"[٦١٢٤].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٦١٢٥].

قوله تعالى:{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل : ٧٧]، أي:" وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك"[٦١٢٦].

قال قتادة:" هو إن يقول كن أو أقرب، فالساعة كلمح البصر أو هي أقرب"[٦١٢٧].

قال السدي:" كلمح ببصر العين من السرعة. أو أقرب من ذلك إذا أردنا"[٦١٢٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النحل : ٧٧]، أي:" والله قادرٌ على كل الأشياء ومن جملتها القيامة التي يكذب بها الكافرون"[٦١٢٩].

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٦١٣٠].

القرآن

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)} [النحل : ٧٨]

(٦١٢٠)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٠٥):ص٢٢٩٣/٧.
(٦١٢١) انظر: الطبري:٢٦٣/١٧.
(٦١٢٢) اخرجه الطبري:٢٦٣/١٧.
(٦١٢٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٩/٢.
(٦١٢٤) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٦١٢٦) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠٧):ص٢٢٩٤/٧.
(٦١٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠٨):ص٢٢٩٤/٧.
(٦١٢٩) صفوة التفاسير:١٢٦/٢.
(٦١٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

التفسير:
والله سبحانه وتعالى أخرجكم مِن بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئًا مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب; لعلكم تشكرون لله تعالى على تلك النعم، وتفردونه عز وجل بالعبادة.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [النحل : ٧٨]، أي:" والله سبحانه وتعالى أخرجكم مِن بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئًا مما حولكم"(٦١٣١).

عن السدي:" {من بطون أمهاتكم}، قال: من الرحم"(٦١٣٢).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل : ٧٨]، أي:" وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب; لعلكم تشكرون لله تعالى على تلك النعم، وتفردونه عز وجل بالعبادة"(٦١٣٣).

قال قتادة:" كرامة أكرمكم الله بها، فاشكروا نعمه"(٦١٣٤).

القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)} [النحل : ٧٩]

التفسير:
ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خَلَقه لها، وأقدرها عليه. إن في ذلك التذليل والإمساك لدلالات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلة على قدرة الله.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ} [النحل : ٧٩]، أي:" ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟"(٦١٣٥).

عن قتادة:" {في جو السماء}، في كبد السماء"(٦١٣٦).

عن السدي:" {في جو السماء}، قال: جوف السماء"(٦١٣٧).

قوله تعالى:{مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ} [النحل : ٧٩]، أي:" ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خَلَقه لها، وأقدرها عليه"(٦١٣٨).

عن السدي:" {مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ}، يمسكه الله على كل ذلك والله أعلم بالصواب"(٦١٣٩).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل : ٧٩]، أي:" إن في ذلك التذليل والإمساك لدلالات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلة على قدرة الله"(٦١٤٠).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(٦١٤١).

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الخامس من التفسير، ويليه الجزء السادس بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٨٠) من سورة «النحل».

(٦١٣١) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠٩):ص٧/٢٢٩٤.
(٦١٣٣) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٠):ص٧/٢٢٩٤.
(٦١٣٥) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦١١):ص٧/٢٢٩٤.
(٦١٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦١٢):ص٧/٢٢٩٤.
(٦١٣٨) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦١٢):ص٧/٢٢٩٤.
(٦١٤٠) التفسير الميسر:٢٧٤.
(٦١٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص٦/١٩٦٧.